ألفاظ الحياة الاجتماعية في نهج البلاغة

ISBN 978-9922-9465-5-9

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد 3677 لسنة 2019

مصدر الفهرسة :	IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda
رقم تصنيف LC :	BP193.1.A2 K57 2020
المؤلف الشخصي :	الياسري، حسام عدنان رحيم - مؤلف.
العنوان :	الفاظ الحياة الاجتماعية في نهج البلاغة /
بيان المسؤولية :	تأليف حسام عدنان رحيم الياسري؛ تقديم السيد نبيل الحسني الكربلائي
بيانات الطبع :	الطبعة الاولى.
بيانات النشر :	كربلاء، العراق : العتبة الحسينية المقدسة، مؤسسة علوم نهج البلاغة 2020 / 1442 للهجرة.
الوصف المادي :	3 مجلد ؛ 24 سم.
سلسلة النشر :	(العتبة الحسينية المقدسة ؛ 792).
سلسلة النشر :	(مؤسسة علوم نهج البلاغة ؛ 191).
سلسلة النشر :	(سلسلة الرسائل والاطاريح الجامعية؛ 44).
تبصرة ببليوجرافية :	يتضمن مراجع ببليوجرافية.
تبصرة محتويات:	المجلد 3 : معاجم
موضوع شخصي :	الشريف الرضي، محمد بن الحسين، 359-406 للهجرة - نهج البلاغة.
موضوع شخصي :	علي بن أبي طالب (عليه السلام) الامام الاول، 23 قبل الهجرة-40 للهجرة – حديث.
مصطلح موضوعي :	اللغة العربية - الفاظ.
اسم شخص اضافي :	شرح لـ(عمل) : الشريف الرضي، محمد بن الحسين، 359-406 للهجرة - نهج البلاغة.
اسم شخص اضافي :	الحسني نبيل قدوري 1965– مقدم.
اسم هيئة اضافي :	العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق)، مؤسسة علوم نهج البلاغة. جهة مصدرة.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية

سلسلة الرسائل والأطاريح الجامعية/ الكوفة (٤٤)
وحدة الدراسات اللغوية

ألفاظ الحياة الاجتماعية في نهج البلاغة

المجلد الثاني

تأليف
حسام عدنان رحيم الياسري

إصدار
مؤسسة علوم نهج البلاغة
في العتبة الحسينية المقدسة

جميع الحقوق محفوظة
العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

العراق - كربلاء المقدسة -مجاور مقام علي الأكبر عليه السلام
مؤسسة علوم نهج البلاغة
هاتف: ٠٧٧٢٨٢٤٣٦٠٠ - ٠٧٨١٥٠١٦٦٣٣
الموقع الألكتروني: www.inahj.org
الإيميل: Info@Inahj.org

تنويه:

إن الأفكار والآراء المذكورة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر كاتبها، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر العتبة الحسينية المقدسة

تخلي العتبة الحسينية المقدسة مسؤوليتها عن أي انتهاك لحقوق الملكية الفكرية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾

صدق الله العلي العظيم

مريم: ٥٥

وقال أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام):

«أَلاَ إِنَّ اللِّسَانَ بَضْعَةٌ مِنَ الإِنْسَانِ، فَلاَ يُسْعِدُهُ الْقَوْلُ إِذَا امْتَنَعَ، وَلاَ يُمْهِلُهُ النُّطْقُ إِذَا اتَّسَعَ، وَإِنَّا لأُمَرَاءُ الْكَلاَمِ، وَفِينَا تَنَشَّبَتْ عُرُوقُهُ، وَعَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ غُصُونُهُ»

نهج البلاغة: خ/ ٢٣٣.

الإهداء

إليك... وقد سألتك يوماً أن تَضَعَني على خُطَاك ؛ أتبصّر مواضع قدميك اللّتَين وصلتَ بهما إلى عِلّيين، فوضعتني عند (نَهجٍ) أوّله (التَّوحيد)،وأوسطه (الزُّهد)، وآخره (العَدل)[1] فطوبى لك وحسن مآب.

---

(١) إشارة إلى أقواله (عليه السلام): ((أوّل الدين معرفته...)) خ/ ١. و ((طوبى للزاهدين في الدنيا...)) قصا / ١٠٤. و ((العَدْل يضع الأمور في مواضعها...)) قصا / ٤٣٧.

الرموز الواردة في البحث

لما كان (نهج البلاغة) مقسماً على (الخطب والأوامر، والكتب والرسائل، وقصار الحِكم، وغريب ألفاظه (عليه السلام))، فقد استعملت مجموعة من الرموز الدالة على هذهِ الأبواب طلباً للاختصار، وبحسب ما يأتي:

الرمز	معناه
خ	خطبة
ك	كتاب
قصا	قصار الحِكم
غ	غريب كلامه

الفصل الثالث
ألفاظ الأكل والشرب ومتعلقاته

جدول دلالي يبيّن شيوع ألفاظ الأكل والشرب ومتعلقاتها

مرتبة بحسب كثرة كل مفردة على الأخرى

أولا: ألفاظ الأكل ومتعلقاتها ويشتمل على ما يأتي	
1- عامّة الغذاء والأدام	الغِذاء،إدامة، بَقلة، مأدبة، وليمة
٢- ألفاظ الخبز وما يصنع منه	القرص، برّة، شعيرة، خبزاً،القمح
٣- ألفاظ الغليظ من الطعام	جشوبة،العلقم،الملح
4-ألفاظ الحلو من الأطعمة	العسل، التّمر، ملفوف
٥- قطع الطعام وبقاياه.	اللّمظَة،ثُفَالة،يُلقِمنِية
٦- ألفاظ أدوات الطبخ ومتعلقاتها ويشتمل على ما يأتي:	
أ. أدوات الطعام	وعاء، الإناء، الجفان، مائدة
ب. أدوات الطحن ومتعلقاتها	الرحى،القطب،ثفالها
ت. أدوات الطبخ وما ينصب عليه	القدر، أثافَي
ث. أدوات القطع	المُدَى
ثانياً: ألفاظ الشرب وأدواتها	
1- ألفاظ أدوات حمل الماء وحفظه.	الكأس، غرب، النوط، الأداوة، الأبريق، قعب،
٢- ألفاظ ألفاظ الآبار ومتعلقاتها.	الرَّكِيّ، الطَّوِيّ، القَلِيْب، أشْطَان، الأَرْشِية،
٣- ألفاظ المشرب المُرّ.	أُجَاج، الصَّبِر، مَقِرة، زُعَاق
٤- ألفاظ المشرب الكَدِر اللون	الكَدِر، آجِن، الرَّنَق
٥- ألفاظ اللّبن من المشرب.	اللّبن، خاثِرك

٦- ألفاظ بقايا الماء.	سَمْلَة، صُبَابة
٧- ألفاظ أدوات القِرب والسّقاء.	الوِكَاء، السِّقاءِ
٨- ألفاظ مشرب أهل النار.	صَدِيد
٩- ألفاظ أدوات تقسيم الماء في السَّفر.	المَقْلَة
ثالثاً: ألفاظ شرب الخمر وأوقاتها	الخمر، الصبوح، يُغْبَقُون، النَّبيذ

المبحث الأول
ألفاظ الأكل ومتعلقاتها

١ - عامّة الغذاء والأدام

الغِذاء

الغِـذاء هـو الطعـام والـشّراب واللّبـنُ[١]. وكلّ مـا يُغتـذى بـه فهـو غـذاء، ومنـه اللبـن الـذي هـو غـذاءُ الصّبـي[٢].

وقـد اسـتعمل الإمـام ألفـاظ: (الغِـذاء) محلاة بـ(ال)، و(غذاؤهـا) مضافـاً إليهـا ضمـير الغائبـة، والمصْـدر (غَـذِي) مـرة واحـدة لـكل منهـا في كلامـه الـوارد في نهـج البلاغـة[٣]، للدلالـة عـلى مـا يـأتي:

أولاً: الدلالة على غذاء الدنيا، وهي الآمها وهمومها.

فقـد وصـف الإمـام غـذاء الدنيـا بـ(السِّـمام)، لشِـدّة مـا فيهـا مـن غُصـص والآم. يقـول(عليه السلام): ((...**وَعَيْشُـهَا رَنِـقٌ، وَعَذْبُـهَا أُجَاجٌ، وَحُلْوُهَـا صَـبِرٌ، وَغِذَاؤُهَـا سِـمَامٌ**...))[٤]. وبـدأ بـ(عَيْشـها) الـذي اسـتعمله بلفـظ المصـدر واصفـاً إيّـاه بـ(الرّنِـق)، تشـبيهاً لـه بالـتّراب والقـذى الـذي يكـون في المـاء، فيخلطـه ويكـدّره. فالرَّنـق الكَـدر

(١) ينظر: العين (غذو): ٨/ ٤٣٩، ولسان العرب (غذاء): ١٥/ ١١٩.

(٢) ينظر: لسان العرب (غذاء): ١٥/ ١١٩.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٣٤.

(٤) نهج البلاغة: خ/ ١١١: ٢٠٧. وقد نقلت المدونات اللغوية قول الإمام((غذاؤها سِمَام)). ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٢/ ٤٠٥، ولسان العرب (سمم): ١٢/ ٣٠٢.

من الماء[١]. وأمّا وَصْف عَذْبها بالأُجاج، فهو إشارة إلى مرارة طعمها ومجانبته العذوبة التي يوصف بها الماء الحلو الذي يَخلو من الملوحة الشديدة[٢]. وعذوبة الماء طيبته[٣]. وأمّا حُلْوُها، فصَبِرٍ مُرّ لاذع، كعصارة شجر الصّبرِ ذي المذاق الشبيه بالحَنظَل[٤]. وأردف الإمام تقسيماته لطعم الدنيا بذكر مفردة (غِذَاؤها)، والغذاء لفظ يدل على الطعام والشراب جميعاً. كأنّه أراد بهذه اللفظة الدلالة على شبع الدنيا وما توافر فيها من لوازم لهذا الإشباع الذي يكون بما يشتمل عليه الغذاء من لوازم. وتتضمن هذه المفردة الدلالة على نماء الجسم وحسن قوامه أيضاً، وذلك يحصل بما يتغذى عليه الإنسان من الطعام والشراب الذي يمتعه ويغذيه. ولكنه(عليه السلام) لمّا كان قصده بيان مساوىء الدنيا وذمِّ متعها ؛ عمد إلى ذكر بشاعة غذائها الذي تقوم به النفوس، وتنمو به الأجساد، مستعملاً لذلك مفردة (سِمَام) جمع (سُم)، وهو ما يقتل من لعاب الأفاعي وغيرها[٥]. وتوظيفه(عليه السلام) لهذا اللفظ فيه إشارة إلى الأعراض التي تشوب حياة الإنسان وتكدّر صفو لذّاته التي يتربّى عليها. فإنّه مهما طال به العمر وبلغ به النعيم، فلابد من أن تعرض له عوارض الموت والفناء. فشبّه في ذلك ما يكون من (سِمام) في الطعام أو الشراب. ولعله أراد بلفظة (سِمَام) أيضاً الإشارة إلى ضيق الدنيا وعدم فُسْحَتِها لحياة المرء أو طول أمرها له، تشبيهاً لها بضيق (سَمِّ الخياط)، وهو ثقب الإبرة[٦] الذي يصفه

(١) ينظر: لسان العرب (رنق): ١٠/ ١٢٧.

(٢) ينظر: العين: (أج): ٦/ ١٩٨.

(٣) نفسه: (عذب): ٢/ ١٠٢.

(٤) ينظر: لسان العرب (صبر): ٤/ ٤٤٢.

(٥) نفسه(سمم): ١٢/ ٣٠٣،٣٠٢.

(٦) ينظر: لسان العرب (سمم): ١٢/ ٣٠٣.

الله تبارك وتعالى: ((**حتّى يَلِجُ الجمَلُ في سَمِّ الخِياط**))[١]. وكذلك الدنيا، فهي من الضيق بمكان حتى أنّه من الصعوبة الولوج إلى غوامضها وأركانها.

ثانياً: الدلالة على لَبَنِ الأُمِّ.

وهو الذي يتغذى عليه الصَّبِيّ حتى ينمو جِسمُه ويستقيم عُوده. وجاءت هذه الدلالة في سياق كلام الإمام عن عجِيْب خَلْق الإنسان، إذ يقول (عليه السلام): ((**أيُّهَا الْمَخْلُوقُ السَّوِيُّ وَالْمُنْشَأُ الْمَرْعِيُّ، فِي ظُلُمَاتِ الأَرْحَامِ... بُدِئْتَ مِنْ** ((**سُلالَة مِنْ طِين**))[٢]، **وَوُضِعْتَ فِي** ((**قَرَار مَكِين إلى قَدَر مَعْلُوم**))[٣]... **ثُمَّ أُخْرِجْتَ مِنْ مَقَرِّكَ إلى دَار لَمْ تَشْهَدْهَا، وَلَمْ تَعْرِفْ سُبُلَ مَنَافِعِهَا؛ فَمَنْ هَدَاكَ لإجْتِرَارِ الْغِذَاءِ مِنْ ثَدْيِ أُمِّكَ ؟...**))[٤]. يبينّ النص مراحل خلق الإنسان، وعجيب إبداع الله تبارك وتعالى في إنشائه وتكوينه، وقد استعان الإمام،في بيان هذه القدُرة الإلهية، بالنص القرآني، موظّفاً لذلك آيات ثلاث من الذكر الحكيم تتعلق الأولى منها متعلّقة بأصل الخلق، وهو الطّيْن، والثانية والثالثة تُظْهران مكان النشأة ومُدُّتها. ومن ثمُّ الوقوف عند مرحلة ما بعد الولادة واهتداء الصَّبي فيها إلى غذائه من لبنُ الأُمِّ الذي يهتدي المولود إليه بإلهام الله جل جلاله، فليس ثمُّة معلّم يهديه إلى أخذ الغذاء من ثدي الأمِّ إلاّ الله عز وجل. ولهذا ساق الإمام هذا التعبير بأسلوب الاستفهام الذي خرج لغرض التعجّب من عظم قدرة الله التي أعان بها الرّضيع في التقام غذائه. وذلك في مقام تذكير الإنسان بتفضّل الله عليه وهدايته له إلى

(١) الأعراف / ٤٠.

(٢) المؤمنون / ١٢.

(٣) المرسلات / ٢١، ٢٢.

(٤) نهج البلاغة: خ / ١٦٣: ٢٩١.

غذائه الذي يشكل لبن الأم جانبه الأساس بما فيه من تفاصيل علمية من حيث حركة فم الطفل وحركة شفتيه عند مصّه اللبن من أمّه، وملاءمة هذا الضّرب من الغذاء للطفل الذي يمثل إعجازاً إلهياً لا يمكن لمخلوق أن يأتي بمثله. فجاء به الإمام دليلاً على قدرة الله تبارك وتعالى جامعاً فيه الإعجاز الإلهي والحقائق العلمية بأسلوب بليغ مخاطباً به الناس الذين لا يدركون إلا بعض المعارف القليلة التي لا تبلغ هذا المستوى من المعرفة التي نطق بها الإمام(١).

ويمكن أن نلحظ في مفردة (الغذاء) التي استعملها الإمام اشتمالها على معنى العطف والحنان الذي يحظى به الطفل عند رضاعته، إذ تتضمن هذه العملية حصول الطفل على عنصرين هاميّن من عناصر الحياة، وهما الغذاء والعاطفة التي تسبغها الأم على وليدها، وما في ذلك من أثر كبير في حسن النشأة والتربية. ولعل هذا المعنى هو الذي جعل اللغويين يعدّون مفردة (التغذية) دالة على التربية في مدوناتهم المعجميّة(٢) ؛لارتباط ذلك الغذاء بعامل تربية الطفل ونشأته كما يبدو.

ثالثاً: الدلالة على التَّرَف والنَّعيْم.

وجاءت هذه الدلالة في سياق وصفه (عليه السلام) حياة الإنسان في الدُّنيا التي يقول فيها: ((**كَانَ فِي الدُّنْيَا غَذِيَّ تَرَف، وَرَبِيبَ شَرَف! يَتَعَلَّلُ بالسُّرُورِ فِي سَاعَةِ حُزْنِهِ**...))(٣). و(غَذِيّ) مُفْردة كلمة (غِذاء)، وقد أشار بها الإمام إلى تَرَف الإنسان في الدنيا وتنعّمه بالأمور المادّية، ولهذا استعمل لفظة (غَذِيّ) التي تدل

(١) ينظر: تفسيرات فسيولوجية في نهج البلاغة: ١٣١، وثمة حديث مفصل في هذا الكتاب عن تغذية الجنين وفي قرار أمه، وبعد ولادته بحسب وصف الإمام والنظريات العلمية.

(٢) ينظر: لسان العرب (غذا): ١٥/ ١١٩.

(٣) نهج البلاغة:خ/ ٢٢١: ٤٢٩.

على صغار الشاء في أصل وضعها اللغوي كما يذكر المعجميّون [١] للدلالة على لنِّعْمَةِ التي كان يتغذى عليها الإنسان في الدنيا، والنُّعيم الذي يرفل به فكل من عُزّ الترف، فهو غَذِي. وكل ذلك من الله جل جلاله.

وأما إيثاره (عليه السلام) استعمال هذه اللفظة دون غيرها من المفردات التي تشابهها في الدلالة، فراجع - فيما أحسب - إلى مكان هذه الكلمة من حيث تفرُّدُها في الصيغة، فهي صفة مشبّهة على وزن (فَعيل)، ويجيء هذا البناء للدلالة على الثبوت فيما هو خِلْقة أو مُكْتسب، نحو: طوِيل، وكريم[٢]. ورُبّما يؤتي به للدلالة على (مَفْعُول)، فيستوي فيه المذكر والمؤنث ويدل -حينذاك- على أنّ الوصف قد وقعَ على الموصوف بها بحيث أصبح سجيّة له أو كالسّجيّة مع خلُوِّه من معنى الحدوث الذي تدل عليه صيغة (مُفْعُول)[٣].

أقول: إنّ هذه الفروق الدلالية بين الصيغتين تمنح مفردة (غَذِيّ) مزّية دلالية، فيكون الإنسان الذي يصفُه أمير المؤمنين بهذا الوصف مُغذًّى بالتَّرف، فضلاً عن أنّ هناك من يُغذِّي هذا الإنسان ويسبغ عليه النِّعم وترف العيش. وبهذا يكون الإنسان مُتَفضَّلاً عليه بهذه الطّيبات. فصار الوصف بـ(غذِيّ) واقعاً عليه، وانتقل معنى الصيغة من (فَعِيل) إلى (مَفْعُول)،للدلالة على اعتماد الإنسان على الله تبارك وتعالى في غذائه وتنعُّمِه بالنِّعَم كلّها، وأصبح الاعتماد سجية له وطبعاً.ويبدو لي أنّ مجيئ الوصف بـ(فَعِيل) للدلالة على معنى (مَفْعُول) في كلمة (غَذِي) أفاد المبالغة في الوصف المتقدم، وهو ما تفيده صيغة (فَعِيل) نفسها حسبما يذكر الدارسون[٤].

(١) ينظر: العين (غذو): ٨/ ٤٣٩، ولسان العرب (غذا): ١٥/ ١١٩.

(٢) ينظر: معاني الابنية: ٦١.

(٣) نفسه.

(٤) نفسه.

إدامُهُ

الإدَام والأُدْم ما يُؤتَدم به مع الخبر مما يجعل فيه الأُدم من السّمن واللّحم واللّبن[١].

وجاءت لفظتا(إدَامُه) و(مَأدُوما) مرة واحدة لكل منهما في نهج البلاغة[٢]، للدلالة على الأدام الذي يخلط مع الخبز ليكون طعاما. ويمكن بيان ذلك بحسب ما يأتي:

أولا: الدلالة على الجوع.

وجاءت هذه الدلالة في سياق كلامه الإمام عن زهد النبي عيسى (عليه السلام) وتواضعه في ملبسه ومأكله، إذ يقول:((**وإن شِئتَ قلتُ في عيسى بن مَريَم** (عليه السلام)، **فلقَد كَانَ يتوسَّد الحَجَرَ،ويَلْبس الخَشِن ويأكل الجَشبَ. وكان إدَامهُ الجُوْعُ**...))[٣]. فأخبر عن (الأُدَام) بكلمة (الجوع). في حين أن الأدام لا يكون إلاّ مما يخلط مع الخبز ليؤتدم به من السّمن أو اللحم وغيرهما. ولكنه لمّا أراد بيان حال الشظف والقناعة التي يتحلّى بها النبي (عيسى) ؛ لهذا جعل(الجوع) أداما له، فضلا عن الإبانة عن عدم إسراف النبي في الأكل أو الوصول إلى حد الشبع، لهذا جعل الجوع أداما له كما تكون الوان الغذاء أداما عند غيره من الناس. كأنّ قيام بدن النبيّ (عيسى) بالجوع كقيام بدن الناس بالأدام[٤]، وهكذا هو حال الأنبياء في التقشف وترك الدنيا والإعراض عنها.

---

(١) ينظر: العين (أدم): ٨/ ٨٨، ولسان العرب (أدم): ١٢/ ٨.

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة:٢٣.

(٣) نهج البلاغة:خ/ ٢٨٣: ١٦٠.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٦٥٣.

وقد فسر الشّرّاح التعبير المتقدم على وجهين ؛ الأول منهما: أن المقصود أن (عيسى)(عليه السلام) كان لا يأكل من الخبز الإ القليل الذي يبقى معه جائعاً، فلمّا كان الجوع مرافقاً له مع تناوله الخبز لهذا صار كالأدام له. أمّا الوجه الثاني، فيكون المراد فيه الحال التي صار إليها النبي من تربية روحية جُبِلت عليه نفسه، وهي رغبته في البقاء جائعاً مثلما يرغب غيره في الأدام مع الخبز. وبهذا يكون الجوع أدامه الذي يستطعمه مع الرغيف(١). وهذا الأمر يفسر لنا إخبار الإمام عن قيام بدن النبي (عيسى) بالجوع كقيامه بالأدام.

ثانياً: الدلالة على ما يؤتَدَمُ به من الملح.

وجاء ذلك في سياق حديث الإمام عن ترويض نفسه وتعليمها الصبر على الجوع والكفاف بقوله: ((**وَايْمُ اللهِ... لأُرِوضَنَّ نَفْسِي رِيَاضَةً تَهَشُّ مَعَهَا إِلى الْقُرْصِ إِذَا قَدَرتْ عَلَيْهِ مَطْعُوماً، وَتَقْنَعُ بِالْمِلْحِ مَأْدُوماً...**))(٢). يريد: أنّ المِلْح هو إدام قُرصِه في حال حصوله على هذا القُرص، الذي قد لا يَتَيسّر له، ولا تفْزُع نفسه إليه، لأنّه عوّدها القناعة والرّضا بما يجده. وبهذا يكون لفظ (إداماً) حالاً من الملْح، وتقدير المعنى (في حالِ كون الملْحِ مأدُوماً به)(٣). فضلًا عن أنّ الإمام استعماله لفظة (مأدوماً) بصيغة (مَفْعول)، ومن قبلها لفظة (مطْعُوماً) بالوزن نفسه جاء لبيان دلالة الثبوت في الموصوف، وهو ما تدل عليه صيغة (مَفْعُول) عند اللغويين(٤). فضلًا عن إظهار دلالة الاستمرار في الحدث ودوامه دون اقتصاره

(١) ينظر: الديباج الوضي: ٣/ ١٣٠٠، ١٣٠١.

(٢) نهج البلاغة: ك/ ٤٥:٥٣٥.

(٣) ينظر: الديباج الوضي: ٥/ ٦٤٦٤.

(٤) ينظر: معاني الابنية: ٥٩.

على المُضِي أو الحال والاستقبال. وهذا من الدلالات التي تفيدها صيغة (مَفْعُول) أيضا[١]. ولعل تحقيق التجانس الصوتي بين لفظتي (مطعوماً) و(مأدوماً) يمثل مسّوغاً لهذا الاستعمال أيضاً. فيكون المعنى في قوله (عليه السلام): أنّه يكتفي بـ(القُرْص مطعوماً) و(بالملح مأدوماً)، وأنّ وصف (القُرص) و(الملح) بـ(المَطعُوم) يدل على ثبات كونهما بهذه الأوصاف بالنسبة للإمام(عليه السلام)، فضلاً عن استمراره على هذه الرياضة التي يكون دَأبه فيها أكل القُرص إذا حصل عليه، مع قناعته بالملح أداما له دون شيء آخر إذا توافر له ذلك.

بقْلة

بَقَل الشيء ظهر[٢].والبقْل من النبات ما ليس بشجر، ولا تبق له أرومة في الشتاء بعدما يُرعى به بخلاف الشجر الذي تبقى له سُوْق دقاق[٣]. ويذكر اللغويون أنّ البَقْل ما نبت في بزره، وليس له أرومة ثابته[٤]. وقيل: بل هو كل نابتة في أوّل نباتها. وكل نبات أخضرّت له الأرض، فهو بقل[٥].

وقد وردت لفظتا (بَقْلة)، وهي اسم جنس مفرد، وجمعها (بقْل) مرة واحدة في نهج البلاغة[٦]. وبدلالة ما أنبتته الأرض من حشائش تخضر بها الأرض.وجرى استعمال هاتين اللفظتين في سياق واحد في كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي يتحدث فيه على زهد النبي موسى (عليه السلام)، إذ يقول الإمام: ((**وَإِنْ شِئْتَ ثَنَّيْتُ بِمُوسى كَلِيمِ**

---

(١) نفسه: ٦٠.

(٢) ينظر: لسان العرب (بقل): ١١/ ٦٠.

(٣) ينظر: العين (بقل): ٥/ ١٦٩، ولسان العرب (بقل): ١١/ ٦٠.

(٤) ينظر: لسان العرب (بقل): ١١/ ٦٠.

(٥) نفسه.

(٦) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٥٨، ٥٩.

الله(ﷺ) إذْ يَقُولُ: ((رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَى مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ))[١]، وَالله، مَا سَأَلَهُ إلاَّ خُبْزاً يَأْكُلُهُ، لأَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ بَقْلَةَ الأرض، وَلَقَدْ كَانَتْ خُضْرَةُ الْبَقْلِ تُرَى مِنْ شَفِيفِ صِفَاقِ بَطْنِهِ، لِهُزَالِهِ وَتَشَذُّبِ لَحْمِهِ))[٢]. وقوله: (بقْلة الأرض) إشارة إلى الحشائش التي أنبتتها الأرض، فعبّر عنها بصيغة المفرد،لأنّ المقصود بها الجنس. واستعماله مفردة (البقل) بصيغة الجمع فيه إشارة إلى تعدد أنواعه ؛ لأنّ النبي الكليم (عليه السلام) لم يسأل الله تبارك وتعالى شيئاً من زخارف الدنيا ولذاتها، وإنما سأله أقل الأشياء وأبسطها، وهو الخبز. فكأنه (عليه السلام) كان يفتقر حتى إلى الخبز الذي هو أقل شيء يعيش به الإنسان. ولهذا كان ضعيف الجسم شفيف الجلد إلى درجة أن تُرى خضرة البقل من بطنه حسبما يذكر الإمام.

مأْدُبَة

المأْدُبة - بالضم - الصّنيع الذي يصنعه الإنسان، فيدعو الناس إليه [٣]. أما المأدَبة -بالفتح- فهي (مَفْعَلة)، مأخوذة من الأدب[٤]. والمأدبة مفردة تطلق على الطعام، أو العُرس عند اللغويين أيضاً[٥]. ويبدو أن الأصل في دلالة هذه المفردة هي (الاجتماع) على الشيء والأخذ منه.

وقد وردت مفردة (مَأدبة) مرتين في نهج البلاغة، للدلالة على مايأتي:

---

(١) القصص / ٢٤.

(٢) نهج البلاغة: خ/ ١٦٠: ٢٨٢.

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة (أدب): ١/ ٧٥.

(٤) نفسه.

(٥) ينظر: الجيم، لأبي عمرو الشيباني: (أدب): ١/ ٧٥.

أولاً: الدلالة على مأدُبة الطعام المعروفة.

وجاءت هذه الدلالة في سياق كلامه (عليه السلام) الذي يذم فيه عامله على البصرة (عثمان بن حنيف الأنصاري)[١]، لمّا بلغة أنّه أجاب بعض فتية البصرة إلى مأدبة دعاه إليها. فكاتبه الإمام قائلاً: ((**فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلاً مِنْ فِتْيَةِ الْبَصْرَةِ دَعَاكَ إِلَى مَأْدُبَة، فَأَسْرَعْتَ إِلَيْهَا، تُسْتَطَابُ لَكَ الأَلْوَانُ، وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ الْجِفَانُ، وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إِلَى طَعَامِ قَوْم، عَائِلُهُمْ مَجْفُوٌّ، وَغَنِيُّهُمْ مَدْعُوٌّ**...))[٢]. ولفظة (مأدبة) - هنا- تدل على الطعام بأصنافه المختلفة، التي عبّر عنها بقوله:((**تُسْتَطَابُ لَكَ الأَلْوَانُ**))، في إشارة إلى كثرة الوان الأكل وتعددها. ويفهم من النص أنّ الإمام لم يُرد نَهي عامله على البصرة من إجابة دعوة الناس للأكل عندهم، وإنما أنكر عليه أموراً عدّة في طليعتها الدعوة صدرت من بعض(فتية) البصرة. وفي هذه المفردة من الإيحاء الدلالي ما يغني عن معرفة ما يدور في هذا النوع من الموائد التي يقوم عليها هؤلاء الفتية.إذ توحي مفردة (فتية) بالدلالة على النزق والنزوع إلى الترف والبذخ، فضلاً عن التسرّع وعدم التّروِّ في الأمور. فالفتى - في اللغة - الشاب والحدث[٣]. والمعروف في الفتيان أنهم يقومون على خدمة الناس والسّعي في حوائجهم، لأنّ أكثر الخدم هم من الفتيان، ولهذا سُمّي الخادم فتى[٤]. فليس

(١) هو عثمان بن حنيف بن واهب بن عكيم الأنصاري الأوسي. من أجلّة الأنصار الذين شهدوا بدراً وأحداً. كان عاملاً للإمام علي على البصرة، حتى قدم عليه (طلحة والزبير)، فقاتلها، وما لبث أصحاب (طلحة) أنْ غاروا على حرس (عثمان)، فقتلوهم ودخلوا عليه فنتفوا لحيته وجفون عينه، وسجنوه، ونهبوا بيت المال. وقد توفي عثمان في خلافة معاوية. ينظر: سير أعلام النبلاء: ٢/ ٣٢٢، والإصابة: ٤/ ٤٤٩.

(٢) نهج البلاغة: ك / ٤٥: ٥٢٩.

(٣) ينظر: العين (فتى): ٨/ ١٣٧، ولسان العرب (فتو): ١٥/ ١٤٦.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز: ٣/ ٥٢٧.

يعرف من الفتيان الإنعام وعمل المآدب والبذخ على انواع الطعام والشراب كما يظهر من كلامه (عليه السلام). ولهذا سمّى القرآن الكريم صاحب موسى (عليه السلام) (يُوشَع بن نُون) (فتى) في قوله تعالى ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا... فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا**﴾[1]، لأنّه كان يخدمه في سفره ويتبعه[2]. هذا من جهة، ومن جهة أخرى أنكر الإمام إسراع عامله إلى هذا النوع من المآدب،لأنّه لمس فيه نوعاً من التّلهُّف والمبادرة إلى الإجابة دون تبصّر ورويّة وإعمال فكر في معرفة الأغراض التي تقام لأجلها هذه الموائد. ولهذا قال الإمام في سياق اللوم: ((**وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إِلى طَعَامِ قَوْم...**)). في إشارة إلى أنّه لم يكن يظن أنّ مثله يسرع إلى هذه الدعوات التي يشوبها الكثير من الإشكالات، ومنها حال الإسراف والبذخ والترف التي رافقتها، في حين أن هناك الكثير من الناس غير مدعُوين إليها، ولاسيما ذوو الحاجة والفقر. وهذا أهم محور من محاور الإشكال التي عرضها أمير المؤمنين على واليه في البصرة، بعدما علم أنّ أكثر المدعوين هم من الأغنياء الميسورين، في حين أنّ أصحاب الفاقة والفقر غائبين عنها. وهذا الأمر لا يتفق مع مبادىء الإسلام الذي يحث على مراعاة الفقراء وضرورة صلتهم والإنفاق عليهم، ولاسيّما من الناس الذين بأيديهم السلطة والحكم. فكيف إذا كان هذا الأمر يحصل في مرأى والي هذا المدينة ومسمعه، بل هو أحد الحاضرين في هذه الأماكن. فكيف يعم العدل وتسود أحكام الله في الأرض.

---

(١) الكهف / ٦٠ – ٦٢.

(٢) ينظر: الكشاف: ٢/ ٦٨٢، والمحرر الوجيز: ٣/ ٥٢٧.

ثانياً: الدلالة على مأدبة الجنّة.

وهو من بديع التعبير الذي صاغه الإمام، فقد وظّف فيه مفردة(مأدبة) في سياق وصفه صورة من صور الجنّة التي يقول فيها: ((سبحانك خالقاً معبوداً... خلقت داراً، وجعلت فيها مأدبة، مشرباً ومطعماً،وأزواجاً وخدماً، وقصوراً وأنهاراً، وزروعاً وثماراً، ثُمّ أرسلتَ داعياً يدعو إليها...))[١]. والسياق يبين عظمة الله تبارك وتعالى وعجيب خلقه. فاستعار الإمام لفظ(الدار) للجنّة، و(المأدبة) لطعامها ومشربها، موسّعاً من هذه المأدبة لتكون مشتملة على (الأزواج والخدم والقصور والانهار والزروع والثمار)، فضلاً عن الطعام والشراب. وهذا المشهد يتضمن الكثير مما يرغب الناس فيه ويطمحون إليه، لهذا اعتنى الإمام في – كلامه المتقدم – بتصوير مشهد المأدُبة واجتماع الناس فيها، فذكر لفظة (أزواجاً)، للدلالة –فيما أحسب – على معنيين ؛ الأول: أن يكون المراد بهذا اللفظ الإبانه عن كثرة الجالسين على هذه المأدبة، فعبّر بلفظ (الأزواج) عن كثرتهم ؛ فضلاً عن أن ذلك يتضمن سعة هذه (المأدبة)، فكلّما كثر الجالسون عليها كان ذلك علامة على سعتها وكثرة ما فيها من ألوان الأطعمة والأشربة وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت. ويمكن أن يكون لفظ (الأزواج) دالاً على اجتماع الزوج وزوجته في هذه المأدبة. وهو أمر وارد في الجنّة ؛ إذ يقول القرآن الكريم: ﴿**وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ**﴾[٢]. ولهذا يكون المراد أنّ الله تبارك وتعالى قد خلق الجنّة. وجعل مأدبتها مشتملة على شتى أصناف الطعام والشراب، فضلاً عن اجتماع أصناف الناس فيها رجالاً ونساء، أزواجاً وفُرادى، متزوجون وغير متزوجين، مع وقوف الخدم

---

(١) نهج البلاغة:خ / ١٠٩: ٢٠٠.

(٢) الدخان ٥٤، وينظر: الطور / ٢٠.

على رؤوسهم لخدمتهم وقضاء حوائجهم، وهم على هذه المائدة. أما وجه استعمال مفردة (مأدُبة) دون لفظة (مائدة) مثلاً، فيبدو ذلك راجع إلى تضمّنها الدلالة المادية والمعنوية التي قصد إليها الإمام، فإنّ مآدب الجنة تختلف عن مآدب الدنيا، لخلوها من سائر الأمور المخالفة للقيم النبيلة التي تحصل في الدنيا، مع كونها تتضمن الكثير من المتع التي أحلّها الله تعالى في الدنيا وزيادة. ولهذا أنكر (عليه السلام) عدم إجابة الداعي إلى هذه الدعوات قائلاً: ((**ثُمَّ أَرْسَلْتَ دَاعِياً يَدْعُو إِلَيْهَا، فَلاَ الدَّاعِيَ أَجَابُوا، وَلاَ فِيمَا رَغَّبْتَ رَغِبُوا، وَلاَ إِلى مَا شَوَّقْتَ إِلَيْهِ اشْتَاقُوا**))[١].

أقول: وقد ذكر بعض الشّرّاح استعارة مفردة (الدّار) للإسلام؛ ولفظ (المأدبة) للجنة، ولفظ (الداعي) للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مشيراً إلى أنّ الإسلام كالدار التي تجمع ها، واستعارة لفظ (المأدبة) للجنّة يراد منه الدلالة على اجتماع اللّذات والشهوات الأخروية فيها، فهي في ذلك كالمأدبة[٢]. ويبدو أنّ استعارة لفظ (الدّار) للإسلام بعيد، والأقرب إلى السياق ما ذكرته من كون الدار هي الجنّة، والمأدبة طعامها وشرابها وأزواجها وخدمها وغير ذلك، في حين يمكن أن يكون(الدّاعي) إليها هو الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وبقية الأنبياء (عليهم السلام).

وَلِيْمة

الولِيْمة الطعام الذي يُصنع في العُرس[٣]. وأصل ذلك مأخوذ من تمام الشيء واجتماعه[٤].

(١) نهج البلاغة: خ/ ١٠٩: ٢٠٠.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة: (البحراني): ١/ ٥٢٢.

(٣) ينظر: لسان العرب (ولم): ١٢/ ٦٤٣.

(٤) نفسه.

وجاءت لفظة(وِليْمة) مرّة واحدة في نهج البلاغة [١]، دالة على الطّعام الذي يستلزم التنعُمِّ بالطيبات من ملذّات الأكل والشرب وغيره مما يتوافر عليه المرء في الوليمة من الصنيع الذي يؤكل عليه.

وقد أورد الإمام هذه اللفظة في سياق حديثة عن الجهاد والحثِّ عليه، إذ يقول (عليه السلام): ((... **فَشدُّوا عُقَدَ المَآزِرِ، وَاطْوُوا فُضُولَ الخَوَاصِرِ، وَلاَ تَجْتَمِعُ عَزِيمَةٌ وَوَلِيمَةٌ، وَمَا أَنْقَضَ النَّوْمَ**..))[٢]. وقد نبّه الإمام إلى عدم اجتماع (العزيمة والوليمة)، والعزيمة -هنا- هي الإرادة والتَّوطُّن لأداء العمل وترك التردد عنه. وقدّم الإمام مفردة (العَزيمة) على (الوليْمَة)، لأنها المقصودة في الحثّ على الجهاد والاستعداد له، ولهذا جمعها مع نقيضها، وهو لفظة (الوليمة) التي أفادت الدلالة على الترف والدّعة والانشغال بالملذّات من الأطعمة والأشربة، فضلاً عمّا يصاحب ذلك من اللّهو والطرب. ولذلك تكون مفردة(الوليمة)،بكل ما تحمله من معنى، سبباً لفتِّ العَضُد والميل إلى عدم تحمل المشاقِّ.

٢ـ ألفاظ الخبز وما يصنع منه

قُرص

القُرص - بالضم - القطعة من الخبز أو الرّغيف[٣].

وقد وردت لفظة (قُرْص) ثلاث مرات في نهج البلاغة ؛ مرتان منها محلاة بـ(ال) (القرْص)، وواحدة مجردة منها، في حين جاءت اللفظة نفسها بصيغة التثنية مضافاً إليها ضمير الغائب (قُرْصَيْه)، ولفظة (أقْراصكً) بصيغة الجمع على

---

(١) ينظر: المعجم المفهرس لالفاظ نهج البلاغة: ٤٩٤.

(٢) نهج البلاغة: خ/ ٢٤١: ٤٥٦.

(٣) ينظر: العين (قرص): ٥/ ٦١، ولسان العرب (قرص): ٧/ ٧١.

(أفْعال) مضافاً إليها ضمير الخطاب مرة واحدة لكل منها[١]، للدلالة على القطعة من الخبز التي تتخذ غذاء. ومن ذلك قوله (عليه السلام) في سياق كلامه عن زهدهِ مخاطباً عامله على البصرة: ((**أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَأمُوم إِمَاماً، يَقْتَدِي بِهِ، وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ. أَلاَ وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ، وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصَيْهِ أَلاَ وَإِنَّكُمْ لاَ تَقْدِرُونَ عَلَى ذلِكَ، وَلكِنْ أَعِينُوني بِوَرَع وَاجْتِهَاد، وَعِفَّة وَسَدَاد**))[٢]. ويفهم من إيراد هذه اللفظة التي استعملها الإمام بصيغة التثنية الدلالة على قُرصَي الخبز اللذَين اكتفى بهما أمير المؤمنين غذاءً،إذ يُفهم من ذلك ما يأتي:

أنّ القرصين كانا من الشَّعير. وقيل: بل من الشعير غير المنخول[٣]؛ لأنّ الإمام لم يكن يأكل إلاّ الجشب من الطعام. وخبز الشعير جشب غليظ المطعم. ويقوى ذلك ما ذكره الإمام نفسه في حديثه عمّا يأكله الأنبياء، ومنهم النبي داوود (عليه السلام) الذي ذكر الإمام صفة أكله قائلاً: ((**وَإِنْ شِئْتَ ثَلَّثْتُ بِدَاوودَ** صلى الله عليه وآله وسلم**... صَاحِبِ الْمَزَامِيرِ، وقَارِىءِ الْجَنَّةِ، فَلَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ سَفَائِفَ الْخُوص بِيَدِهِ، وَيَقُولُ لِجُلَسَائِهِ: أَيُّكُمْ يَكْفِينِي بَيْعَهَا! وَيَأْكُلُ قُرْصَ الشَّعِيرِ مِنْ ثَمَنِهَا**))[٤].فإضافة لفظ (الشّعير) إلى (القُرص)، إضافة نسبه الغرض منها بيان نوع (القُرص) الذي اتّخذه النبي طعاماً له، فضلاً عن الدلالة على خشونة هذا الطعام وجشوبته. وبلحاظ الفَارق الدلالي لمفردتي (قُرْصَيْة) و (قُرْصَ الشّعير) في السياقين المتقدمين، يظهر أنّ تثنية (قُرْصية) التي استعملها الإمام في حديثه عن نفسه تدل على نوع المأكول وعدده، في حين اقتصر التعبير في حديثه عن النبي (داوود) باللفظ المفرد المضاف إلى ما

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٧٠.

(٢) نهج البلاغة: ك/ ٤٥: ٥٣٠.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٣١٣

(٤) نهج البلاغة: خ/ ١٦٠: ٢٨٣.

بعده على النوع وليس العدد ؛ لأنّه قصد - فيما يبدو- الدلالة على (القطعة) من خبز الشّعير باعتبارها نوعاً من الخبز أو اسماً لما يختبز من طحين الشعير وليس الدلالة على عدد الأقراص التي يتناولها النبي.

٢- في حين أن التثنية في مفردة (قُرْصَية) تدل على أنّ الإمام لم يكن يأكل إلاّ مرّتين في اليوم، مستعيناً في يومه بقُرصَين من الشعير غير المنخول ؛ واحد للغداة والآخر للعَشي[١]. أو أنّه كان يصوم اليوم كلّه، ويفطر بقُرصٍ من الشّعير إلى وقت السّحور الذي يتناول الإمام فيه رغيفاً من الشعير أيضاً، ومن ثم يتم صيامه إلى الليل ؛ والمعنى المتقدم يفسّر لنا مجئ مفردة (قُرص) بصيغة التثنية، في إشارة إلى هذا المعنى، فضلاً عن استعمال مفردة (طِمْرَيْة) التي وردت بصيغة التثنية أيضاً، للدلالة على اقتصاره على لباسين فحسب يستر بها بدنه. ومما يلحق بالدلالة على قصد الخُبز المعمول من الشّعير مفردة (القُرص) التي استعملت في سياق كلامه على زهده ومواساته الرعيّة في مأكلهم. إذ يقول (عليه السلام): ((...**وَلكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ، وَيَقُودَنِي جَشَعِي إلى تَخَيُّرِ الأُطْعِمَةِ، وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوِ بِالْـيَمَامَةِ مَنْ لاَطَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ، وَلاَ عَهْدَ لَهُ بِالشِّبَعِ**...))[٢]. ويبدو من السياق أن المراد بـ(القُرْص)هو جنس الرّغيف المعروف الذي يطلبه من لا عهد له بالخبز من الفقراء الذين طغى عليهم الجوع، فجعله بإزاء مفردة (الأطعمة) التي وردت بصيغة الجمع على (أَفْعِلَة)، للدلالة على كثرة هذه الأطعمة وتنوعها لدى الأغنياء وذوي التّرف، في حين وظّفَت مفردة (قُرْص) بصيغة المفرد في الدلالة على عدم حصول الفقراء المعوزين على هذا الجنس من الغذاء أو الخبز حتى القطعة التي لا تسد رمقهم منه.

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٣١٣.

(٢) نهج البلاغة: ك/ ٤٥: ٥٣١.

ولما أراد الإمام الدلالة على كثرة الغذاء وتعدد أنواعه،جاء بلفظة (أقْرَاص) بوزن (أَفْعَال)، ناقلاً هذا البناء من الدلالة على القلة إلى الدلالة على الكثرة والتّنوّع، وذلك في خطابه عامله على البصرة(عثمان بن حنيف الأنصاري) الذي أسرع ملبياً دعوة بعض فتية البصرة لمائدة تستطاب فيها الوان الطعام والشراب، فكتب إليه مؤنباً: ((**فاتّقِ اللهَ، يَابن حُنَيفَ، وَلْتكْفُف أقْرَاصُكَ ؛ لِيَكُونَ مِنَ النّارِ خَلَاصُكَ**...))[١]. والإمام يدعو عامله إلى تقوى الله تبارك وتعالى منبّهاً إيّاه إلى أنّ جزءاً من هذه التقوى هو الابتعاد عن التّهافت على موائد الأغنياء والطّماح إلى تخيّر الأطعمة، فضلاً عن مراعاة حال الفقر والعوز الذي تعاني منه الرعيّة. فأكثر هذا النوع من الموائد يغلب عليها البذخ والترف والإفراط في التبذير، مع غياب العَائل والمجفو عنها، ودعوة الأغنياء والمترفين إليها. وهذه الأمور تؤدي إلى الابتعاد عن تقوى الله وتقلّل من شأن هذا الرجل الذي يعد من ذوي الصّلاح والزُّهد، فضلاً عن أنّه يتبع إمامه علي بن أبي طالب الذي ينبغي عليه الاقتداء به، وهو ما يحملّه مسؤولية كبيرة في عدم الزّيغ عن الإمام ونهجه. وهذا الأمر يفسر لنا افتتاح الإمام خطبته بقوله: ((**أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَأمُوم إِمَاماً يَقْتَدِي بِهِ، وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ.أَلاَ وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ، وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصَيْهِ**...))[٢]. كأنّه يريد تذكير عامله وبقيّة الناس، بأنهم اتباعه وشيعته وعليهم السير على طريقته في الزّهد ونبذ الانشغال بالدنيا ولوازمها. ولمعرفته (عليه السلام) بعدم قدرة هؤلاء على ذلك، فقد طلب منهم إعانته على أنفسهم بـ(الوَرَع والاجتهاد) و(العِفّة والسّداد)، لكبح جماح أنفسهم وإبعادها عن ذلّ الدنيا، والنأي عن معصية الله تبارك وتعالى إلى ظل رحمته.

---

(١) نهج البلاغة:/ ك/ ٤٥: ٥٣٦.

(٢) نفسه: ٥٣٠

ولّما كان الإمام يعهد في (عثمان بن حنيف) هذا الضّرب من الزهد والتقوى، لهذا عاتبه مؤنباً إياه على إسراعه ومبادرته إلى هذا النّوع من المآدب، فاستعمل مفردة (أَقْرَاصُكَ) في موضع الفاعل للفعل (تكفُفْ)، كأنّه (عليه السلام) يأمر (الأقراص) بالكفّ عن (عُثْمان) والابتعاد عنه، استعفافاً له وارتفاعاً به عن أن يكون مشغولاً بالجشع والرغبة في الدنيا ولذائذها. فليس لمثله أن يُعنى بذلك، وهو من أصحاب الإمام وخاصّته. وهذا من الغاية في حسن التعبير ولطافة النّصح والإرشاد،وبديع التّعريض، فمع شِدّة الأذى الذي انطوت عليه نفس الإمام مما قام به عامله، فإنّه عمد إلى لومه وعتابه بأرقّ التعابير تعريضاً به، مُنزِلاً (الأقراص) منزلة مَن يعقل موجّهاً الخطاب اليها، متجنباً التقريع الشديد لعامله مريداً بذلك نهي (ابن حنيف) مع كون اللفظ للأقراص على حدّ تعبير ابن أبي الحديد[1]. وثمّة مسألة أخرى صوتية تتعلق بإيراد مفردة (أقَراصُك) بالرفع، فقد اتبعها الإمام بلفظة أخرى تساويها في الجرس الصوتي، وهي لفظة (خَلاَصُك)، التي سيقت لبيان نجاة (ابن حُنيْف) بإزاء كلمة (أَقْراصك). وفي هذا النسق الصوتي ما لا يخفى من تناسق الأصوات وتآزر بعضها مع البعض الأخر، فيكون هذا الأمر ثراء للدلالة من جوانبها المتعددة.

بُرّة

البُرّ – بالضّم – الحِنطة[2]. وهذا اللفظ أفصح من لفظتي (القَمح والحِنطة)

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٦/ ٢٢٧. وقد ذكر الشارح نفسه رواية بنصب (أقراصك)، وبها يكون النهي موجّهاً إلى (عثمان بن حنيف) لفظاً ومعنى. ولعل رواية الرفع أقوى وأدل وأملك بالسياق من رواية النصب.

(٢) ينظر: العين (بر): ٨/ ٢٦٠، ولسان العرب (برر):٤/ ٥١.

عند اللغويين[١].

وجاءت مفردة (بُرّة) و (برّكم) مرتين في نهج البلاغة[٢]، دالة على الحنطة الجيّدة التي يصنع منها الخبز وغيره مما يؤكل أو يكون طعاماً. وقد استعمل الإمام هذه المفردة بصيغة المفردة، وهي(بُرة)، واحد (البُرّ) في سياق كلامه عن علّة اختيار الله تعالى لبيته الحرام بواد غير ذي زرع ((**بِأَوْعَرِ بِقَاعِ الأرض حَجَراً... وَأَضْيَقِ بُطُونِ الأَوْدِيَةِ قُطْراً، بَيْنَ جِبَالٍ خَشِنَة... وَقُرىً مُنْقَطِعَة...**))[٣]. وجعل الله ذلك ((**ابْتِلاَءً عَظِيماً، وَامْتِحاناً شَدِيداً، وَاخْتِبَاراً مُبِيناً، وَتَمْحِيصاً بَلِيغاً، جَعَلَهُ اللهُ تعالى سَبَباً لِرَحْمَتِهِ، وَوُصْلَةً إلى جَنَّتِهِ**))[٤]. وهذه هي علّة جعل الكعبة المقدسة بأوعر بقاع الأرض، فلو((**وَلَوْ أَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَضَعَ بَيْتَهُ الْحَرَامَ، وَمَشَاعِرَهُ الْعِظَامَ، بَيْنَ جَنَّات وَأَنْهَار، وَسَهْل وَقَرَار، جَمَّ الأَشْجَارِ، دَانِيَ الِّثمَارِ، مُلْتَفَّ الْبُنَى، مُتَّصِلَ الْقُرَى، بَيْنَ بُرَّة سَمْرَاءَ، وَرَوْضَة خَضْرَاءَ، وَأَرْيَاف مُحْدِقَة، وَعِرَاص مُغْدِقَة، وَزُرُوع نَاضِرَة، وَطُرُق عَامِرَة، لَكَانَ قَدْ صَغُرَ قَدْرُ الْجَزَاءِ عَلَى حَسَبِ ضَعْفِ الْبَلاَءِ...**))[٥]. يُبيِّنُ الإمام في النص أنّه لو أراد الله سبحانه أن يضع بيته الحرام بين الأراضي السَّهلة والرّبوع الخضراء التي تحفل بالماء والثمار، لصغر قدر الجزاء على الناس.

وقد وظّف (عليه السلام) مفردة (بُرّة) في هذا السياق للدلالة على الطعام. والبرّة اسم جنس يراد به (الحنطة)، وهي ضرب من الحبوب التي تستعمل في صناعة الخبز وغيره من الأطعمة التي تمثل غذاء للإنسان واستعماله لهذه اللفظة دون غيرها

(١) ينظر: جمهرة اللغة (برر): ١/ ٨.

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٥٠.

(٣) نهج البلاغة: خ/ ١٩٢: ٣٦٨.

(٤) نفسه: ٣٦٩.

(٥) نفسه: ٣٦٩، ٣٧٠.

يرجع – فيما يبدو – إلى إيحاء هذه الكلمة وتضمّنِها الدلالة على الكثرة والنّماء في الخير، لأنها رمز من رموز النّعم التي أسبغها الله تعالى على عباده. ومجيئوها بصيغة اسم الجنس في هذا السياق يدل على التعبير عن أجود الطعام باللفظ الدال عليه من جنس الحبوب بعامّة. فكأنّه عبّر بالجزء عن الكل.

أمّا وصفه لهذه المفردة بـ(سَمْراء)، ففي ذلك دلالة على جودة هذا الصّنف من الحبوب التي تصنع منها الأطعمة المختلفة. وقد ذكر المعجمون أن الصفة المتقدمة من الصفات التي توصف بها (الحنطة) التي تضربها الشمس[1]، وهي من جيّد البُرّ. ويحتمل أن يكون استعماله لفظة (سمْراء) توطئة لقوله (خَضراء) التي وُصِفت بها (الرّوضة)، وذلك من باب التجانس الصوتي بين مفردتي (سَمرَاء) التي وصف بها مفردة (بُرّة)، و(خضراء) الخاصة بوصف (الرّوضة)، وكلتاهما من الألفاظ التي على بناء (فعْلاء) الدال على الألوان[2]. فعضّد هذا الوجه التناسق اللوني بين(سُمْرة البُر)،و(خضرة الروّضة)،وهو ما أوحى بتنوّع مظاهر الطبيعة، وما فيها من غذاء ومتع تطمح اليها النفس الإنسانية. ومع ذلك فلم يعمد الله تبارك وتعالى إلى جعل بيته الحرام في هذه المواضع ؛ فالغرض من وضعه في البقاع الوعرة زيادة قدر الجزاء الذي يرغب أن يناله الإنسان عند ذهابه إلى (الحج) من عناء الحرّ والقرّ وغير ذلك من ضروب المعاناة.

ونظير الاستعمال المتقدم، إيراده (عليه السلام) لفظة (بُرّكم)، التي أضيف اليها ضمير جماعة المخاطبين في سياق كلامه عن افتقار أخيه (عقيل) وإملاقه، الذي يقول

(١) ينظر: لسان العرب (سمر): ٤/ ٣٧٦.

(٢) ينظر: شرح ابن عقيل: ١/ ٦١.

فيه: ((**وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلاً وَقَدْ أَمْلَقَ حَتَّى اسْتماحَنِي مِنْ بُرِّكُمْ صَاعاً**[١]...))[٢]. و(بُرّكم).أي:حنطتكم قدر (صَاعٍ) منها، ليسد به جوع عياله ورمقهم. وإنما قال (برِّكم) إشارة إلى أنّه لم يكن إلاّ خازناً أميناً على طعام المسلمين وأموالهم، فلهذا استعمل (كاف) الخطاب التي دلّ بها على عدم امتلاكه هذه الأنواع من الحَبِّ، فاضافه إلى المخاطبين، لأنه حق خاص بهم، فالزكاة وغيرها من الحقوق الشرعية تخص المسلمين عامة ودون الإمام وبيته (عليهم السّلام) الذين خصهم الله تبارك وتعالى بـ (الخُمْس)، فيما تَحرُم عليهم الصدقات الأخرى التي أُجِيزَت لغيرهم. وقد تكلفت كتب الفقة بتفصيل ذلك[٣].

ويفهم من كلام الإمام التأكيد على أهمية الأمانة والوقوف حرصاً على أموال المسلمين وصيانتها من أي من أنواع التصرّف غير الشرعي، حتى وإن كان ذلك من باب الاضطرار. مع ملاحظة أنّ كلامه يتضمن نوعاً من التعريض بغيره من الذين جعلوا مال الله دُولة بينهم، كالأمويين وغيرهم من الحكام الذين منحوا لأنفسهم حق التصرّف بأموال المسلمين[٤]. ويمكن أن نفهم – أيضاً– أنّ الإمام عبّر بلفظة (بُرّكم) عن أقلّ ما طلبه أخوه منه، وهو (الصّاع) منها، قليلاً كان أو كثيراً. ولكنه (عليه السلام) لم يفرّق بين الصّاع من البُرّ أو الكثير منه؛ لأنّ الأساس في ذلك هو الحفظ والصيانة وعدم التلاعب بأموال المسلمين قليلها أو كثيرها.

(١) الصّاع ضرب من المكاييل. ينظر: لسان العرب (صوع): ٨/ ٢١٥.

(٢) نهج البلاغة: خ/ ٢٢٤: ٤٣٧.

(٣) ينظر: الاقتصاد، للشيخ الطوسي: ٢٨٢.

(٤) تذكر المدونات التاريخية شيوع الفساد الإداري والمالي في عهد معاوية وبني أمية، وحكم العبّاسيين من بعدهم. ينظر: تاريخ الرّسل والملوك:٣/ ٢٦٧، ٣٠٧،٣٠٦، و٤/ ٥٣٠، وأركيولوجية الفساد والسلطة، للدكتور قصي الحسين:٢٥٣ وما بعدها.

ويبدو من الاستعمال المتقدم اتّساع دلالة لفظة (بُرّ) وعدم اختصاصها بـ(الحِنطَة) المعروفة فحسب، وإنما تجاوز بها إلى الدلالة على كل ما يُحرز في بيت المال من طعام أو أموال. واختياره اللفظة المتقدمة على ما سواها من الألفاظ ؛ لتعلّقها بالغذاء الذي تصير إليه، ومنه الخبز الذي يُصنع من هذا النوع من الحبوب. فكأن (عليه السلام) أراد التعبير عن جوع أولاد (عقيل)،الذين وصفهم بأنّهم (شُعْث الشّعور غُبر الوجوه) كناية عن شدّة جوعهم وسغبهم، فبيّن ذلك من خلال استعمال المفردة التي تبتهج لها النفوس الجائعة، لما فيها من إيحاء على الغذاء. ويمكن أن يكون هذا التوجيه صالحاً سواء أكان قوله: ((**حَتَّى اسْتَماحَنِي مِنْ بُرِّكُمْ صَاعاً**)) هو كلامه (عليه السلام) المعبّر عن طلب أخيه، أو أنّه حكاية لقول أخيه نفسه، وضمّنه الإمام في كتابه المتقدم. ومما يظهر شدة حرص الإمام على المال العام، وعدم محاباته أو إيثاره أي شخص فيه، ما صنعه مع أخيه عندما قرّب منه (حديدة) أحماها له ليشعره بأذى العقاب الذي يعرض له للقائم على شؤون الناس، وحفظة أماناتهم في الآخرة.

شعيْرة

الشّعير جِنْس من الحبوب معروف، واحدته شعيرة[١]. وهو ما يصنع منه الرغيف بعد طحنه.

ولفظة (الشَّعيْر) من الفاظ نهج البلاغة التي استعملها أمير المؤمنين بصيغتي الإفراد والجمع (شَعيرة)، و(الشُّعيْر) مرة واحدة لكلٍ منهما[٢]، للدلالة على حبِّ الشَّعيْر الذي يستعمل في صناعة الرغيف من الخبز بعد طحنه. ومن ذلك قوله في

(١) ينظر: لسان العرب (شعر): ٤/ ٤١٥، وتاج العروس (شعر): ١٢/ ١٩٣.

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢٤١.

سياق كلامه عن النبي داوود (عليه السلام) وزهده: ((**وَإِنْ شِئْتَ ثَلَّثْتُ بِدَاوودَ صَاحِبِ الْمَزَامِيرِ، وقَارِىءِ الْجَنَّةِ، فَلَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ سَفَائِفَ الْخُوصِ بِيَدِهِ، وَيَقُولُ لِجُلَسَائِهِ: أَيُّكُمْ يَكْفِينِي بَيْعَهَا! وَيَأْكُلُ قُرْصَ الشَّعِيرِ مِنْ ثَمَنِهَا.**))[1]. وذكر الإمام(قرص الشّعير) إشارة إلى نوع الدقيق الذي عمل منه هذا القرص، وهو الشعير دون غيره من أنواع الدقيق الذي يصنع منه الخبز. فالنبي (داوود) وغيره من الأنبياء كانوا يأكلون الجشب من الطعام، وخبز الشعير مصداق واضح لهذا الضرب من الأكل.

وفي سياقٍ آخر يتحدث فيه أمير المؤمنين عن امتناعه عن عصيان الله جل شأنه، وابتعاده عن الظُلْم، ولو كان في أدنى شيء، يمكن تصوره. يقول (عليه السلام): ((**وَاللهِ لَوْ أُعْطِيتُ الأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلاَكِهَا، عَلَى أَنْ أَعْصِيَ اللهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبُهَا جِلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُهُ...**))[2]. وفي قوله (جلب شعيرة) معانٍ عديدة، منها أنه قصد بذلك ترفّعه وامتناعه من ظلم أدنى شيء في الكون، حتى وإن كان ذلك هو (النّمْلة) التي تعدُّ أحقر الكائنات وأدناها مرتبة، فضلاً عن أن يكون ما سُلب منها هو (جلب الشعيرة)، وهو الغشاء الرقيق الذي يغطي حبة الشعير. على الرغم من قِلة شأنه وعدم قيمته مع حبّة الشعير نفسها، حتى أنّ أغلب الناس يمتنعون عن تناول الخبز المتخذ من الشعير، ويميلون إلى الناعم من الحبِّ، تنعماً و ترفاً.وبهذا يكون (جِلب الشعير) أهون شيء وأكثره رداءة ؛ لأنّه نخاله الشعير. ولكنّه أكبر قدراً عند أمير المؤمنين، لارتباطه بنعم الله عز وجل أولاً، فضلاً حُرمة سلبه لتعلقّه بحقِّ مخلوق من مخلوقات الله تعالى، وهو (النملة).ولهذا ذكر الإمام أنّه لو أعطي (الأقاليم السبعة) في مقابل سلبه جلب شعيرة من نملة، لم يفعل

---

(١) نهج البلاغة: خ/ ١٦٠: ٢٨٣.

(٢) نهج البلاغة: خ/ ٢٢٤: ٤٣٨، ٤٣٩.

ذلك أبداً ؛ فالدنيا عنده أهون مما يتصوره الناس. وقد جاء تركيزه على مفردة (جِلب) يتضمّن الإشارة إلى ضآلة هذا الجزء من الحَبّ وقلّة شأنه.

خُبْزاً

الخُبْز اسم لما يُعالج في الملّة و التنّور، وذلك بعلاج الدقيق وعجنه،ومن ثَمّ خبزه[١]. ويبدو أنّ (الخُبْز) مشتق من الخَبْز - بالفتح -، وهو الضرب باليد[٢]، فمسي الخُبز بذلك لضربهم إياه بأيديهم[٣].

وقد وردت لفظة (خُبْزاً) في نهج البلاغة بصيغة الجمع على (فُعْل) مرة واحدة[٤]، للدلالة على الخبز المتخذ من الشعير أو الحنطة الذي يتخذ طعاماً. وذلك في سياق كلام أمير المؤمنين عن النبي موسى (عليه السلام) وزهده. إذ يقول: ((**وَإِنْ شِئْتَ ثَنَّيْتُ بِمُوسى كَلِيمِ اللهِ(صلى الله عليه وآله) إذْ يَقُولُ: ((رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إلى مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ))**[٥]. **وَاللهِ، مَا سَأَلَهُ إلاَّ خُبْزاً يَأْكُلُهُ، لأَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ بَقْلَةَ الأرض...**))[٦]. ويفسر الإمام خطاب النبي (موسى) (عليه السلام) لله تبارك وتعالى، الذي أورده القرآن الكريم.

القمح

القمح البُرّ [٧]. وأقمح البّرُ، إذا جرى الدَّقيق في السُّنبُل[٨]. وذكر بعض

(١) ينظر: العين (خبز): ٤/ ٢١١، ولسان العرب (خبز): ٥/ ٣٤٤.

(٢) ينظر: تاج العروس (خبز): ١٥/ ١٣١.

(٣) ينظر: لسان العرب (خبز): ٥/ ٣٤٤.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٣٣.

(٥) القصص / ٢٤.

(٦) نهج البلاغة: خ / ١٦٠: ٢٨٢.

(٧) ينظر: العين (قمح): ٣/ ٥٥، ولسان العرب (قمح): ٢/ ٥٦٥.

(٨) نفسها.

اللغويين أنّ القمْح هو من لدن انضاج الدقيق في السُّبْل إلى الاكتناز[١]. والقمح لغة شاميّة تكلّم بها الحجازيون واستعملوها في كلامهم حسبما تذكر المدونات المعجمية[٢].

وقد وردت لفظة (القَمح) مرة واحدة في نهج البلاغة [٣]، دالة على لباب القمح، وهو البُرّ الذي يصنع منه الطعام والخُبز وغيره. وقد ذكر الإمام هذا المعنى في سياق كلامه عن زهده و عدم غلبه الهوى والجشع عليه. يقول في ذلك: ((**وَلَوْ شِئْتُ لَاهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ، إلى مُصَفَّى هذَا الْعَسَلِ، وَلُبَابِ هذَا الْقَمْحِ، وَنَسَائِجِ هذَا الْقَزِّ، وَلكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ، وَيَقُودَنِي جَشَعِي إلى تَخَيُّرِ الْأَطْعِمَةِ...**))[٤]. ينبه الإمام على أنّ زهده في الدنيا هو الذي يمنعه من تحصيل الطيبات وتخيّرها، ولو شاء لاهتدى إلى تحصيلها ولكنه لم يمنح المجال لهواه أن يغلبه في ذلك. وهو بذلك يشير إلى أن (الهوى) هو الجانب المهم في زيغ النفس وابتعادها عن الهداية إلى الله تبارك وتعالى. وقد جعل الإمام لباب القمح، وهو خالصه وخياره[٥]، فضلًا عن العسل الخالص الصافي في صدارة هذه الطيبات ؛ لأنها من أطيب الطيبات وألذها، ولاسيما(القَمح) التي أريد (لبُّها)، وهو خلاصة القمح ونقاوته، حتى قيل فيه إنه مُخُّ الحِنطة[٦]، إشارة إلى جودتها وفضيلة ما يُصنع من الطعام منها، وهو(الهِريْسة) التي تُعدّ من أشهر الطّيّبات هي والعَسَل

(١) ينظر: لسان العرب (قمح): ٢/ ٥٦٥.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٨١.

(٤) نهج البلاغة: ك/ ٤٥: ٥٣١.

(٥) ينظر: لسان العرب (لبيب): ١/ ٧٢٩.

(٦) ينظر: الديباج الوضي: ٥/ ٥٤٤٩.

في مكـة والحجـاز[١].

أقـول: ويلحـظ أنّ الإمـام أشـار إلى هـذه (الطيّبـات) مسـتعملا اسـم الإشـارة (هـذا) الـدال عـلى القريـب، للدلالـة - فيـما يبـدو - عـلى قُربهـا منـه ومجاورتهـا لـه، ولكنـه يبتعـد عنهـا وينـأى بنفسـه عـن تناولها، والالتـذاذ بطعمهـا؛ لأنّـه رغـب عنهـا، وهيهـات أن يُؤثـر هـذه الأشـياء عـلى دينـه ومبادئـه، فيصبـح جُـلّ هَمّـه تخيُّر الأطعمـة أو الألبسـة.

٣ـ الغليظ من الطعام

جشوبة

الجشـب طعـام غليـظ خشـن بـيِّن الجشـوبة، وذلـك إذا أُسِـيء طحنـه حتـى يصـير مُفلّقـاً[٢]. وقيـل: بـل هـو مـا لم ينخـل مـن الطعـام مثـل خبـز الشـعير ونحـوه[٣]. وكل بشـع مـن الطعـام، فهـو جشـب[٤] ويشـمل ذلـك الطعـام غـير المـأدوم أيضـاً[٥].

ومفردتـا (جُشُـوبة)، و(الجَشِـب) مـن مفـردات نهـج البلاغـة، إذ اسـتعملت الأولى منهـا ثلاثـة مـرات فيـه، في حـين وردت الثانيـة مرتـين[٦]، للدلالـة عـلى مـا يـأتي:

أولاً: الدلالة على جشوبة المطعم والعيش.

وهـي أكثـر الـدلالات شـيوعاً في النهـج. ومـن ذلـك قولـه (عليه السلام): ((أَأَقْنَعُ مِنْ

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٣١٧.

(٢) ينظر: لسان العرب (جشب): ١/ ٢٦٥.

(٣) ينظر: العين (جشب): ٦/ ٣٩.

(٤) ينظر: لسان العرب (جشب): ١/ ٢٦٦.

(٥) ينظر: العين (جشب): ٦/ ٣٦، ولسان العرب (جشب): ١/ ٢٦٦.

(٦) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٨٤.

نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلاَ أُشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ، أَوْ أَكُونَ أُسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ الْعَيْشِ! فَمَا خُلِقْتُ لِيَشْغَلَنِي أَكْلُ الطَّيِّبَاتِ...))[١]. أراد خشونه العيش بكل ما تستعمل في المعيشة من لوازم. وهو بهذا يوسّع من دلالة مفردة (جُشُوبة)، بجعلها ذات دلالة عامة بعدما كانت مخصوصة بالغليظ من الطعام الذي يُساء طحنه ونخله، فضلاً عن افتقاره إلى الأدام، فصارت اللفظة المتقدمة دالة على غلظة العيش، فضلاً عن المأك ؛ لأنّه إنما أرد التعبير عن مشاركته الناس في شؤون حياتهم ومحاكاتهم في مأكلهم وملبسهم وغير ذلك، على الرغم من دأبه على ذلك، ومن قبله النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله)، فما كانوا يأكلون الاّ الجشب ولا يلبسون إلاّ الخشن من الثياب، مواساة للرعية، وتأسياً بالفقراء الذين لا عهد لهم بالشبع واللباس ؛ فهؤلاء الصفوة لا يغويهم الهوى ولا يقودهم الجشع إلى تخيّر الأطعمة والألبسة، فأمّا النبي الأكرم، فقد ((**خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا خَمِيصاً، وَوَرَدَ الآخِرَةَ سَلِيماً...**))[٢]. و ((**جَاعَ فِيهَا مَعَ خَاصَّتِهِ، وَزُوِيَتْ عَنْهُ زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِهِ...**))[٣]. وأمّا علي (عليه السلام)، فـ((**تأَسّى بِنَبِيّه وَاقْتَصَّ أَثَرَهُ، وَوَلَجَ مَوْلِجَهُ...**))[٤]،و ((**...اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْه، وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصَيْه...**))[٥]؛ زهداً في الدنيا ورغبة في رضا الله تبارك وتعالى. وقد جرى على هذا النهج أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ومن قبل ذلك الأنبياء (عليهم السلام)، ومنهم النبي (عيسى ابن مريم)(عليه السلام) الذي ((**كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ، وَيَلْبَسُ**

(١) نهج البلاغة: خ / ٢٤: ٥٣٢.

(٢) نفسه:خ/ ١٦٠: ٢٨٥.

(٣) نهج البلاغة: ٢٨٤.

(٤) نفسه: ٢٨٥.

(٥) نفسه: ك/ ٤٥: ٥٣٠.

الْخَشِنَ، وَكَانَ إِدَامُهُ الْجُوعَ...))[١]. والجشب الغليظ من الطعام،وهو ما لا أُدُمَ معه، بقرينة قوله: (أدامُه الجُوْع)، فقد كان لا يأكل الخبز إلاّ عند اشتداد جوعه[٢]، ولا يختار منه إلا الخَشن الغليظ غير المنخول من الحبِّ الذي لا أدم معه؛ ولهذا جعل (الجشب) من الطعام مخصوصاً بالأنبياء وأوصيائهم؛ لأنهم روّضوا أنفسهم رياضة لا يستطيعها غيرهم.

ثانياً: الدلالة على طعم الموت وجشوبة مذاقه.

وهذه الدلالة مثلت ضرباً آخر من ضروب التوسع الدلالي الذي عمد إليه الإمام في استعماله لفظة (جُشُوبة)؛ فقد أوردها في سياق حديثه عن الموت وما يمثله للإنسان قائلاً: ((**فَإِنَّ الْمَوْتَ هَادِمُ لَذَّاتِكُمْ، وَمُكَدِّرُ شَهَوَاتِكُمْ... وَعَظُمَتْ فِيكُمْ سَطْوَتُهُ، وَتَتَابَعَتْ عَلَيْكُمْ عَدْوَتُهُ... فَيُوشِكُ أَنْ تَغْشَاكُمْ دَوَاجِى ظُلَلِهِ، وَاحْتِدَامُ عِلَلِهِ... وَغَوَاشِي سَكَرَاتِهِ، وَأَلِيمُ إِرْهَاقِهِ، وَجُشُوبَةُ مَذَاقِهِ...**))[٣]. والنص تصوير لما يفعله الموت في بني البشر، فاختصّ هذا المقطع من الخطبة بأسلوب الترهيب؛ تحذيراً للناس وإيقافاً لنزوعهم وميلهم إلى اللذات والشّهوات، وتهذيباً لنفوسهم بتذكيرهم بالموت الذي لابد أن يعدو عليهم بسطوته، فيتجرّعه الناس جميعاً، ولهذا جعله الإمام مخصوصاً بالذّوق جاعلاً إيّاه بمنزلة الطعام،الذي يوصف بالغلظة و(الجشوبة)، إذا كان غليظاً مزعجاً في شدته، كأنّه يريد بذلك أنّ مجرد تذوق الإنسان طعم الموت، يجعله يحسّ بشدة أذاه وغصّة ألمه، فهو كالطعام

(١) نهج البلاغة: خ/ ١٦٠: ٢٨٣.
(٢) ينظر: معارج نهج البلاغة: ٢/ ٥٦٩.
(٣) نهج البلاغة: خ/ ٢٣٠: ٤٤٥،٤٤٦.

الجشب الغليظ الذي لا لين فيه ولا غضاضة[١]. وتذوق طعم الموت يمثل علامة شدّة أمره على الناس.

ثالثاً: الدلالة على طعم الحياة الدنيا.

فإن لها طعماً جشباً غليظاً بحسب نظر الإمام، ولهذا وصفها لابنة الإمام الحسن (عليه السلام) بهذا الوصف الذي يقول فيه: ((**إِنَّمَا مَثَلُ مَنْ خَبَرَ الدُّنْيَا كَمَثَلِ قَوْم سَفْر، نَبَا بِهِمْ مَنْزِلٌ جَدِيبٌ، فأَمُّوا مَنْزِلاً خَصِيباً وَجَنَاباً مَرِيعاً، فَاحْتَمَلُوا وَعْثَاءَ الطَّرِيقِ، وَفِرَاقَ الصَّدِيقِ، وَخُشُونَةَ السَّفَرِ، وَجُشُوبَةَ الْمَطْعَمِ، لِيَأْتُوا سَعَةَ دَارِهِمْ، وَمَنْزِلَ قَرَارِهِمْ...**))[٢]. وهنا إشارة إلى حال الزاهدين في الدنيا الذين يشبههم الإمام(بالقوم السَّفْرِ) الذين نزلوا منزلاً جديباً، ومن ثَمّ قصدوا منزلاً خصيباً على الرغم من صعوبة الطريق، وخشونة السَّفر وأعباءه وجشوبة المطعم من الغذاء. وفي ذلك إلماح إلى متاعب الدنيا ومصاعبها بوصفها ممراً من الحياة الدنيا إلى الحياة الآخرة، ولابُدّ أن يكون هذا الممر مليئاً بالمشاق والمتاعب التي ذكر الإمام من جملتها (وعثاء الطريق، وفراق الصديق. وخشونة السّفر، وجشوبة المطعم)، ومن ثمّ الوصول إلى (سعة الدار ومنزل القرار)، وهو الموطن في الآخرة.

أقول: إنّ التقاسيم التي صنّفها الإمام للتحول من الحياة الدنيا إلى الآخرة، تكون مشوبة(بغْلظَة المطعم)، لأنّ الدنيا مليئة بالغصص والآلام التي يصعب تجرّعها واستساغتها، ولهذا عبر عنها باستعمال مفردة (جشوبة) مُلمِّحاً إلى قوله تعالى شأنه ﴿**وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا**

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٤/ ٦٥.

(٢) نهج البلاغة: ك / ٣١/ ٥٠٢.

يَعْلَمُونَ﴾(١).

لقد وسع الإمام(عليه السلام) من دلالة مفردة (جشب) باشتقاقها التي وردت في نهج البلاغة، فبعد إنّ كانت تدل على الجشب من الأكل والطعام، انتقلت للدلالة على جشوبة العيش بصورة عامة، فضلا عن جشوبة طعم الموت، وجشوبة الملبس أيضاً، وذلك في غير موضع من نهج البلاغة، ومنه ما ورد في (خ/ ٢٦).

العَلْقَم

العَلْقم شجر الحنظل، واحدته عَلْقَمة(٢). وهو شجر مرّ(٣).

وقد استعملت لفظة (العَلْقم) بصيغة اسم الجنس الجمعي المحلى بـ(ال) ثلاث مرات في نهج البلاغة، في جاءت المفردة مرة واحدة مجردة منها (عَلْقماً)(٤)، للدلالة على مرارة الطّعم بصورة عامة. ويمكن بيان ذلك بحسب ما يأتي:

أولاً: الدلالة على مرارة الظلم والصبر عليه.

ومن ذلك قوله (عليه السلام) في سياق الشكوى من (قريش)، وما فعلوه معه: **((فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي مُعِينٌ إِلاَّ بَيْتِي، فَضَنِنْتُ بِهِمْ عَنِ المَوْتِ، وَأَغْضَيْتُ عَلَى القَذَى، وَشَرِبْتُ عَلَى الشَّجَا، وَصَبَرْتُ عَلَى أَخْذِ الكَظَمِ، وَعَلىْ أَمَرَّ مِنْ طَعْمِ العَلْقَمِ((**(٥). يريد: أنّه لّما فارقه الناس، ولم يبق معه من المقرّبين بفضله وأفضليته في الإسلام واختصاصه بالإمامة دون غيره، اتخذ من الصبر سبيلاً له، وتجرّع مرارته

---

(١) العنكبوت/ ٦٤.

(٢) ينظر: العين (علقم): ٢/ ٣٠٠، وتهذيب اللغة (علقم): ٣/ ١٩٠.

(٣) ينظر: المحكم (علقم): ٢/ ٤١٤.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣١٣.

(٥) نهج البلاغة: خ/ ٢٦: ٦٠.

على الرغم من شدة وقعها عليه. وقد مثّل لهذه المرارة بذكر (العَلْقم) المعدود من أشد الشجر مرارة ؛ ليقرّب الحال التي صار إليها من(قريش) وظلمهم له وأذاهم بسلْبهم حقّه وتعديهم عليه، متّخذاً من المفردة المتقدمة وسيلة لتبكيت المخاطب وتعجيزه من عدم تحمّله هذا النوع من الظلم كما لا يمكن تحمل طعم العَلْقم أو تذوقه لشدة مرارته. ولهذا استعمل بناء (أفْعل) التفضيل، لبيان أنّ ما تحمله هو أشد من مرارة من طعم (العلقم). وعبّر عن ذلك بلفظة (أَمَرّ) الدالة على الشِدّة والمفاضلة في المرارة مع زيادة في ذلك. وتبدو المناسبة في تشبيه صبره بمرارة هذا النوع من الشجر، ملاحظة لبقاء أذى (الحنظل) في النفس، فشعوره (عليه السلام) بسلب حقّه باقٍ أثره في نفسه كما تبقي مرارة (العَلْقم) في ذوق المرء ونفسه عند تجرّعه. مع لحاظ مقدرته على الصبّر والجلادة في التحمل بشكل لا يستطيع غيره تحمل ما نزل به من أذى.

وقد وردت لفظة (العَلْقم) بالدلالة المتقدمة نفسها، وفي سياقٍ نظير للسياق المتقدم مع اختلاف يسير في الألفاظ، وذلك في (خ/ ٢١٧).

ثانياً: الدلالة على مرارة عاقبة الحرب.

وذلك على أساس أنّ أهم نتائج الحرب ما تخلّفه من قتلى وجرحى من الأعزاء والأحبة، ولاسيّما إذا كانت ناشئة من الفتن والملاحم. يقول الإمام: ((**حَتَّى تَقُومَ الْحُرْبُ بِكُمْ عَلَى سَاق، بَادِياً نَوَاجِذُهَا**(١)، **مَمْلُوءَةً أَخْلاَفُهَا، حُلْواً رَضَاعُهَا، عَلْقَماً عَاقِبَتُهَا ...**))(٢). يصوّر الإمام الحرب بصورة الدَّابة التي تقوم بعد بروكها بادية

(١) النّواجد جمع (نَاجذ)، وهو السّن الذي بين الضرس والنّاب. وقيل: بل هو ضرس الحُلم. ينظر: المصباح المنير(نجذ): ٢/ ٥٩٣.

(٢) نهج البلاغة:خ/ ١٣٨: ٢٤٦.

أسنانها، مملوءة محالبها، حلواً رضاع درّها. وهذا القسم من التعبير يراد به إظهار حالة التّلهّف والنزوع إلى القتال التي يكون عليها ابناء الحرب الطالبين لها، الذين طمحت نفوسهم إليها بعدما رأوها بهذا الوصف من الترغيب. وقد استعار الإمام الفاظ (نَواجِذ، وأخْلاف،ورِضَاع) من الدواب، مكنيّا بها عن الحرب التي شّبهها بالدَّابة - كما قلت سابقاً - بلحاظ القيام المصحوب بالاضطراب وشدة الحركة، والاستعداد للتقدم بوطىء الأرض بأقدامها. فكنّى (عليه السلام) بلفظة (نَواجذ) عن طحنها الناس وما يرتبط بهم بأسنانها، وبلفظة (أخْلافها) عن تهُّيئها لدرِّ الأذى والدّمار لمن يبغي ذلك منها، في إشارة إلى كونها الرِّفد والواسطة الذي يتغذى منه القائمون على هذه الحرب. في حين كنّى بـ(حَلاوة رِضَاعِها) عمّا يحصل عليه هؤلاء من غنائم من مخلفات الحرب، فجعل ذلك بمنزلة الحليب الذي يروي ظمأ الجياع. وباجتماع لهذه الدلالات جميعاً ينتج الوجه المتعلّق بصورة الزّهو والانتصار الآني الذي يظهر على طلاّب هذه الحرب من خلال فرحهم بما حازوه من غنائم وغير ذلك. في حين يبدو جانب المأساة مهيمنا على المصابين في هذه الحروب من ذوي القتلى فيها، وهو ما اختار له الإمام مفردة (عَلْقماً) التي أراد بها بيان سوء عاقبة الحرب ومرارتها، فضلاً عن طول مدّة لبث أذاها في ذوق أصحاب الرزايا فيها.

وقد وردت لفظة (العَلْقم) بالدلالة نفسها في خ(١٥٨).

المِلْح

الملح ما يطيّب به الطّعام[١]، والملح البركة[٢]. ولعلها البركة في كل شيءٍ ومن

(١) ينظر: العين (ملح): ٣/ ٢٤٣، ولسان العرب (ملح): ٢/ ٥٩٩.

(٢) نفسهما.

ذلك البركة في الزّاد. وبسبب من أهمية هذا الضَّرب من طِيب الطعام وأثره في شيوع البركة في المؤآكلة، كانت العرب تحلف بالمِلح والماء تعظيماً لهما[١]. وقد جاءت لفظة (المِلْح) مرتين في نهج البلاغة [٢]، للدلالة على ما يأتي:

أولاً: الدلالة على إذابة القُلُوب.

واستعمل أمير المؤمنين هذا المعنى في سياق ضجره من تثاقُل أصحابه عن الجهاد بعد استيلاء أصحاب معاوية على اليمن، فقال داعياً: ((**اللهمَّ إِنِّي قَدْ مَلِلْتُهُمْ وَمَلُّونِي، وَسَئِمْتُهُمْ وَسَئِمُونِي، فَأَبْدِلْنِي بِهِمْ خَيْراً مِنْهُمْ، وأَبْدِلْهُمْ بِي شَرّاً مِنِّى**[٣]، **اللهمَّ مِثْ**[٤] **قُلُوبَهُمْ كَمَا يُمَاثُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ...**))[٥]. ودعاؤه على قلوبهم بأن تُماث كما يُماث المِلح بالماء يراد منه الدلالة على تفرّق قلوبهم وتشتُّت أمرها[٦]، لئلاّ يجتمعون على باطلهم باتفاق قلوبهم عليه، فضلاً عن إزالة القوة والصلابة عنها، فقوة القلب مبعث على العزّة والفضائل، في حين أنّ تفرّق القلوب وانمياثها يزيل عزّتها وقوتها[٧].

---

(١) ينظر: لسان العرب (ملح): ٢/ ٥٩٩.

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢٤٢.

(٣) إنّ دعاء الإمام(عليه السلام) بأنْ يبُدلهم الله شراً منه، لا يعني نسبة الشرّ اليه، وإنما المراد: إبدالهم بمَن فيه شر غير الإمام(عليه السلام)، بحسب زعمهم وادعائهم بنسبة الشر اليه، فلم يكن في أمير المؤمنين أدنى شرٍ حتى يفهم من الكلام هذا المعنى. ينظر: معارج نهج البلاغة: ١/ ٢٩١، وشرح نهج البلاغة: (البحراني): ١/ ٢٤٤.

(٤) ماثَ الشيء، مَرَسَه وخلطه، وإدابه، وماث المِلح في الماء. أي أذابة. ينظر: لسان العرب (ميث): ٢/ ١٩٢.

(٥) نهج البلاغة: خ/ ٢٥: ٥٨.

(٦) ينظر: الديباج الوضي: ١/ ٣٣٩.

(٧) ينظر: نهج البلاغة، تعليق السيد محمد الحسيني الشيرازي: ١/ ٥٩ هامش (٢).

ولهذا دعا الإمام على هؤلاء القوم بإماثة قلوبهم تشبياً لذلك بذوبان الملح في الماء ؛ لأنه أراد إذابة ما فيها من ضعف وتثاقل وعدم منعة، فضلا عن إزالة بركتها ملاحظة لما اعتادت عليه العرب من الاعتداد بالملح بوصفه من المطيّبات المحمودة التي يُطيّب بها الطعام، حتى أنهم كانوا يعدّونه من بركات الزاد التي يحلفون بها[١]. وهذا ما يفسر لنا دعاء الإمام على هؤلاء بانمياث قلوبهم بلحاظ القوة التي يغلب الماء فيها على الملح في الإسرع بإذابته وإذهاب أثره.

ثانياً: الدلالة على الأدام.

وهو ما يؤتدم به مع الرّغيف. وقد ذكر الإمام هذه الدلالة في سياق كلامه على زهده وقناعته، إذ يقول مُقْسماً بالله جل جلاله: ((**وَايْمُ الله... لأَرُوضَنَّ نَفْسِي رِيَاضَةً تَهشُّ مَعَهَا إلى الْقُرْصِ إِذَا قَدرتْ عَلَيْهِ مَطْعُوماً، وَتَقْنَعُ بِالْمِلْحِ مَأْدُوماً..**))[٢]. ومفردة (المِلح) في قوله تفيد الدلالة على ما يؤتدم به مع الخُبز، في إشارة إلى قلّة شأن زاده وعدم عنايته به، فاكتفائه بـ(القُرْص والمِلح) يدل على جشوبة طعامه وخشونته، فليس من المألوف أن يتخذ الملح إداماً لوحده، ولهذا انفراد الإمام عن غيره من الناس باتخاذه إداماً له، ليدل على رهق عيشه وجشوبة غذائه، فضلاً عن يسره وعدم تكلّفة ؛ لأنّه لا يشغله أكل الطيبات وتخيّرها عن الذكر والطاعة. فكأنّه (عليه السلام) يومىء إلى فضيلة هذا النوع من الزاد وبركته على نفسه ؛ لأنّه رزق الله تبارك وتعالى، ففى (المِلح) ضرب من الإيحاء ببركة الزاد وحسن مفرداته. على الرغم من عدم قناعة الكثير من الناس به إذا صار وحده أداما للخبز. فلهذا جعله طعاماً يأتدم به في غِذائه مُرَوِّضا نفسه عليه، وقانعاً به مع الخبز لإقامة أود

(١) ينظر: تهذيب اللغة (ملح): ٥/ ٦٦، ولسان العرب (ملح): ٢/ ٦٠١.

(٢) نهج البلاغة: ك/ ٤٥: ٥٣٥.

جسمه، مُستعيناً به على العيش الكريم الطَّيِّب الذي تكون القناعة فيه مقتصرة على الخبز والملح، وهما من أجلّ الأطعمة عند ذوي القناعة برزق الله تبارك وتعالى.

٤ـ الحلو من الأطعمة

العَسَل

العَسَل لعاب النّحل الذي تُخرجه من أَفوَاهِها، وذلك أنها تأكل من الأزهار والأوراق ما يملأ بطونها ثم يُقلّب الله جل جلاله تلك الأجسام داخل أبدانها فيجعله عسلاً تلقيْه من أفْواهِهَا كما يخرج اللّبن من بين فَرثٍ ودمٍ[١]. والعَسَل – أيضاً – رِضَاب النّحل[٢].

واستعمل الإمام مفردة (العَسَل) مرتين في كلامه الوارد في نهج البلاغة، في حين جاءت لفظة (الأَعْسَال) بصيغة الجمع على (أَفْعال) مرة واحدة[٣]، للدلالة على مايأتي:

أولاً: الدلالة على العسل المعروف، وهو رِضَاب النّحل ولُعابه.

ومن ذلك قوله (عليه السلام) في بينا زهده وترفعه عن الدنيا: ((**وَلَوْ شِئْتُ لاَهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ، إلى مُصَفَّى هذَا الْعَسَلِ، وَلُبَابِ هذَا الْقَمْحِ، وَنَسَائِجِ هذَا الْقَزِّ، وَلكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ، وَيَقُودَنِي جَشَعِي إلى تَخَيُّرِ الأَطْعِمَةِ...**))[٤]. ولفظة (العَسَل) في هذا النص تدل على العسل المعرف، وهو رضاب النحل، وقد استعمل الإمام

(١) ينظر: العين (عسل): ١/ ٣٣٢، والمخصص: م/ ١: س/ ٥: ١٤.

(٢) ينظر: المخصص:م/ ١: س/ ٥: ١٥.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٠٣.

(٤) نهج البلاغة: ك/ ٤٥: ٥٣١.

هذه المفردة كناية عن ملذات الدنيا وأطايبها التي تشتهيها النفس، فعبّر عن أحلي طيبات الدنيا وألذِّها بلفظ (العسل)، الذي وصفه بـ(المُصفّى)، في إشارة إلى صفائه وخلّوه من الكدر. وذهب بعض الشّراح إلى أنّه (عليه السلام) خصّ (العسل) و(القمح) بالذكر في هذا المقام؛ لأنهما من أشهر الطيّبات في مكة والحجاز[١]. وذلك لبيان أنّه مع كون هذين الضربين من الغذاء من أطيب الطيبات، فإنّه تركهما وضرب عنهما صفحاً، إعداداً لنفسه وإرتقاء في الكمالات[٢].

وقد استعمل الإمام مفردة (العَسَل) بلفظ المذكر مشيراً اليها باسم الإشارة (هذا) الخاص بالمفردة المذكر في حين أنّ اللغويين يذكرون أنه لفظ مؤنث، ولكنه ربّما ذُكِّر على قلة[٣].

ثانياً: الدلالة على (أعْسال) الجنّة.

وقد وردت لفظة (الأعْسَال) في نهج البلاغة مرة واحدة بصيغة الجمع على (أَفْعَال) دالة على أعسال الجنّة المُصفّاة التي لا مثيل لها في الحياة الدنيا. يقول الإمام في سياق وصف الجنة وعجائبها: ((**فَلَوْ رَمَيْتَ بِبَصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَ مَا يُوصَفُ لَكَ مِنْهَا، لَعَزَفَتْ نَفْسُكَ عَنْ بَدَائِعِ مَا أُخْرِجَ إلى الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا وَلَذَّاتِهَا... وَطُلُوعِ تِلْكَ الثِّمارِ مُخْتَلِفَةً فِي غُلُفِ أَكْمَامِهَا، تُجْنَى مِنْ غَيْرِ تَكَلُّف فَتأْتي عَلَى مُنْيَةِ مُجْتَنِيهَا، وَيُطَافُ عَلَى نُزَّالِهَا فِي أَفْنِيَةِ قُصُورِهَا بِالأعْسَالِ الْمُصَفَّقَةِ، وَالْخُمُورِ الْمُرَوَّقَةِ**))[٤]. و السياق تفصيل وبيان لعجائب الجنّة بكل ما تشتهيه النفس، وقد ذكر الإمام

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٣١٧.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: المخصص: م/ ١: س/ ٥: ١٤.

(٤) نهج البلاغة: خ/ ١٦٥: ٣٠٠، ٣٠١.

لفظة (الأعْسَال)، ومن بعدها مفردة (الخُمور) بصيغة الجَمع ؛ لبيان مشارب الجنة التي تعد من أجلِّ نعَمِ الله تبارك وتعالى على سكان قصورها، فضلاً عن صفائها وحلاوتها غير المعهودة في الدنيا. وهذا الوجه من أساليب القرآن الكريم التي يذكر فيها نِعم الله في الجنّة التي وعد المُتَّقين بها، إذا أطاعوه وعملوا بشريعته، فيخرج لهم الأعسال من بُطون النّحل لا يخالطه الشمع والرَّغوة والقذى، فهو خالص من جميع ا لأذى والعيوب التي تكون في عسَل الدنيا[١].

وذهب بعض الشّرّاح إلى أنّ مفردتي (الأعْسَال) و(الخمُور) مستعارتان للتعبير عن ملذات النّفْس ومشتهياتها من هذه المشروبات وغيرها[٢]. فكأنّما يراد من ذلك الدلالة على كل ما تطمح إليه النفس وتشتهيه من أكل أو شرب وغير ذلك من الملذات العقلية من قبيل الإقبال على العلوم والمعارف عند من يكون جُلّ همّه العلم والمعرفة.والمراد بوصف هذه (الأعسال) بالـ(مُصَفَّقة) الدلالة على الصفاء وذهاب الشوائب من هذا الضرب من المآكل، أو هي كناية عن الإخلاص في العمل العبادي وبقية الطاعات التي لا تكون إلاّ لله تعالى، ومن ذلك الصفاء الذهني والعقلي الذي يتطلبه طلب العلم والمعرفة. وهذا كلّه من إيحاءات مفردة(المُصفّق) التي تدل في اللغة على ما يُحول من إناءٍ إلى إناءٍ لكي يصفُو[٣]. كأنّ وصفه (عليه السلام) لـ(أعسَال الجنّة) بالـ(مُصفّقة) يراد منه كونها مُصفّاة غاية الصفاء، فلا شائبة فيها ولا كدر.

وثّمة أثر قرآني في كلامه(عليه السلام)،فقد وصفت الجنّة في القرآن الكريم بين إنعام

(١) شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٦٧٠.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: لسان العرب (صفق): ١٠/ ٢٠٢

الله تبارك وتعالى على ها، ترغيباً لهم في تحصيلها والسعي اليها، وذلك في قوله تبارك وتعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾[(١)]. فذكر القرآن الكريم (العَسَل) ؛ لأنّه ألذُّ الأشياء وأحلاها[(٢)]. وجعله (مُصفّى) ؛ في إشارة إلى خُلوِّه من بقايا الشَّمع والنَّحل، فكأنّه تعالى أراد نفي هذه الأمور عن عسل الجنة تميزاً له عما يوجد منه في الدنيا، والله تعالى أعلم.

وقد وردت لفظة (العسل) بالدلالة نفسها التي أوردها الإمام في (قصا / ٤٠٠)،إشارة إلى فائدته في الرّقية من العيْن.

التمْر

التَّمْر حَمل النَّخلة، وهو اسم جنس واحدته تَمَرَة[(٣)].

وجاءت لفظة (التمرْ) بصيغة الجمع مرة واحدة في نهج البلاغة[(٤)]، للدلالة على تمرِ النخلة في آخر مرحلة نضجه، وذلك في سياق ردّه على معاوية. إذ يقول (عليه السلام): ((**أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُكَ تَذْكُرُ فِيهِ اصْطِفَاءَ الله تعالى مُحَمَّداً(صلى الله عليه وآله وسلم) لِدِينِهِ، وَتَأْيِيدَهُ إِيَّاهُ بِمَنْ أَيَّدَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَلَقَدْ خَبَّأَ لَنَا الدَّهْرُ مِنْكَ عَجَباً، إِذْ طَفِقْتَ**

(١) محمد / ١٥.

(٢) ينظر: مجمع البيان لعلوم القرآن: ٩/ ١٨٠.، والتفسير الكبير: ٢٨/ ٤٧. أقول: ومن هنا استعمل النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) لفظة (عُسَيْلَتها) تصغير (عَسَل) بوزن (فُعَيْلَة) للدلالة على حلاوة الجماع ولذته على سبيل الاستعارة، وذلك في قوله ((... حتى يَذُوقَ عُسَيلَتَها...)). وسائل الشيعة: ٢٢/ ٩٨، ١١٩، ومسند أحمد: ٦/ ١٩٣، وصحيح البخاري: ٥/ ٢٠١٤. وقد عدَّ اللغويون هذه اللفظة من الألفاظ المرتجلة في كلام النبي. ينظر: تهذيب اللغة (عسل):٢/ ٥٦. ولسان العرب (عسل): ١١.

(٣) ينظر: العين (تمر): ٨/ ١١٩، ولسان العرب (تمر): ٤/ ٩٢.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٧٣.

تُخْبِرُنَا بِبَلاَءِ اللهِ عِنْدَنَا، وَنِعْمَتِهِ عَلَيْنَا فِي نَبِيِّنَا، فَكُنْتَ فِي ذلكِ كَنَاقِلِ الَّتمْرِ إلى هَجَرَ[١]**، أَوْ دَاعِي مُسَدِّدِهِ إلى النِّضَالِ...**))[٢]. والمراد التّمر المعروف الذي تنتجه النخلة، في آخر مرحلة من مراحل نضجه، وذلك إذا زال عنه الماء الذي فيه، وهو قبل ذلك (رُطَب) كما يذكر اللغويون[٣]. والتمر غذاء مفيد كانت العرب وما تزال تتخذه غذاء لها.

ويشبه الإمام(معاوية) الذي كتب إلى الإمام كتاباً يذكر فيه حال النبّي الأكرم (ﷺ)، واصطفاء الله تعالى له وتأييده بأصحابه، مدّعياً - بذلك - أنّه القريب من رسول الله والمطلّع على النبوّة وأسرارها. فكان ذلك موضع عجب الإمام وسخريته، لأنّ معاوية أراد تعريف الإمام بأمور هو أعلم بها منه وأكثر دراية بها، لهذا شبهّه الإمام بمن يَنقل التَّمر إلى مدينة (هَجَر) المشهورة بالنخيل والتّمر. كأنّه بذلك يعمد إلى إفساد تجارته حمقاً وغباوة. والتعبير المتقدم الذي استعمله الإمام هو من الأمثال الواردة في كلام العرب، ويضرب لمن يُتلف بضاعته أو يضعها في غير موضعها، لأنّ (هَجَر) معدن التّمر والمُستبضِع إليها مخطئ[٤].ولهذا وظّف التعبير المتقدم ب لتعريف معاوية أنّ الإمام(عليه السلام) هو أعرف منه بشأن رسول الله

(١) هَجَر - بفتح أولها وثانيها- من مدائن البحرين. وقيل: بل ناحية البحرين كلها يقال لها هَجَر. يضرب فيها المثل في وفرة النخيل والتمر. ينظر: معجم البلدان: ٥/ ٣٩٣، ومعجم ما استعجم، للبكري: ٤/ ١٣٤٦. وأصل هذا التعبير هو مثل من الأمثال التي وردت في كلام العرب، وقد روته كتب الأمثال: ((كمُسْتَبْضِع التّمر إلى هَجَر)). ينظر: مجمع الأمثال: ٢/ ١٥٢، والمستقصى في أمثال العرب:٢/ ٢٣٣.

(٢) نهج البلاغة:ك/ ٢٨: ٤٨٨،٤٨٧.

(٣) ينظر: فقه اللغة (الثعالبي): ٢٠٦، والفاظ الشجر والنبات في القرآن الكريم (دراسة ومعجم)، رسالة ماجستير، اسعد جواد الخفاجي: ١٥٢.

(٤) ينظر: مجمع الأمثال: ٢/ ١٥٢، والمستقصي في أمثال العرب: ٢/ ٢٣٣.

وبعثته واصطفائه وبما سيجري على البيت (عليهم السلام) من نعمة وبلاء، فذلك عند أمير المؤمنين من سخرية القدر، إذ يخاطبه (معاوية) بهذا الخطاب مع ضآلة قدره في الإسلام؛ لأنّه من الطلقاء وأبناء الطلقاء.

مَلْفُوْفَة

الطعام اللّفيف هو المخلوط والملفوف من جنسين فأكثر[١].

وقد استعملت لفظة (مَلْفُوْفة)مرة واحدة في نهج البلاغة [٢]، دالة على ضرب من الحلواء الملفوفة التي جاء بها (الأشعث بن قيس) إلى الإمام(عليه السلام)، رغبة في كسب ودّه واستمالته. يقول الإمام في وصف ذلك: ((**وَأَعْجَبُ مِنْ ذلِكَ طَارِقٌ**[٣] **طَرَقَنَا بِمَلْفُوفَةٍ فِي وِعَائِهَا، وَمَعْجُونَةٍ شَنِئْتُهَا، كَأَنَّمَا عُجِنَتْ بِرِيقِ حَيَّةٍ أَوْ قَيْئِهَا، فَقُلْتُ: أَصِلَةٌ، أَمْ زَكَاةٌ، أَمْ صَدَقَةٌ؟ فَذلِكَ مُحَرَّمٌ عَلَيْنَا الْبَيْتِ! فَقَالَ: لاَ ذَا وَلاَ ذَاكَ، وَلكِنَّهَا هَدِيَّةٌ...**))[٤]. و(المَلْفُوْفة) التي قدمت إلى الإمام ضرب من الحلواء، قيل إنها (الفالوذج)أو (الخَبِيص)[٥]. وذلك على سبيل الهدية كما ادعى ذلك (الأشعث). وقد سكت الإمام عن تفصيل ما في (الملفوفة) من أنواع الحلواء استهانة بها واحتقاراً لها ولمن جاء بها. إذ يلحظ شِدة سخط الإمام وعجبه من هذا (الطّارق) الذي جاءه في جنح الظّلام مستتراً عن أعين الناس، ليشتري بها ثمناً قليلاً. ولهذا صرّح (عليه السلام) بهذا الموقف مكنّيا عمن جاءه بلفظ (طَارِق) التي

---

(١) ينظر: لسان العرب (لفف): ٩/ ٣١٩.

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤١١.

(٣) الطارق – في اللغة – الضّارب – ويقال لكل آتٍ بالليل طارق، لحاجته إلى ضرب الباب. ينظر: لسان العرب (طرق): ١٠/ ٢١٦، ٢١٧.

(٤) نهج البلاغة: خ/ ٢٢٤: ٤٣٨.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٤/ ٥٤، والديباج الوضي: ٤/ ١٨١٤.

تدل على القادم ليلاً، كأنه يشير، بهذا الوصف، إلى كون هذه الفعلة من أفعال الجبت، لارتباطه بالتّكهّن والرّجم بالغيب(١)، كأنّه لما جاء ليلًا تكَهّن أنّ الإمام سيمالئه على ما يريد، ولكنه أعرض عنه منكراً عليه فعلته، مشبّهاً (الملفوفة) بما عُجن بـ(ريق الحيّة أو قيئها)، للدلالة على كونها بمنزلة هذا الخليط الذي تشمئز منه النفوس، فضلاً عمّا يحتويه من سم الحية القاتل، فكأنّ قبوله لهذه الحلواء يمثل سبيلاً إلى النار والفناء بحسب نظرة(٢). فمثلما يكون الهلاك في الدنيا بسُم الأفاعي طريقاً إلى الموت، فكذلك يكون تناول هذه الملفوفة وأخذها، فأنّه سبيل إلى الهلاك في نار الآخرة. و في هذا تنبيه منه (عليه السلام) إلى بغضه للدنيا ونفوره منها، زهدا وورعا فضلاً عن رغبته في تهذيب النفوس الإنسانية، حتى وإن كان ذلك على سبيل الهدية ؛ لأنّه يستلزم الجور وعدم العدل، فلابُدّ للمرتشي من أن يميل إلى من قام برشوته، وهو ما يؤدي به – عند ذلك – إلى مجانبة الحق والقسط – وهذا ما يفسر لنا احتجاج الإمام على (الأشعث)، وتفضيله الجوانب المحتملة لما جاء به، راداً على كل جانب منها بالحجة والدليل.

٥ـ قطع الطعام وبقاياه.

اللُمْظة

التّلمّظ هو تحريك اللّسان في الفمِّ بعد الأكل، كأنه يتتبّع بقية الطعام بين

(١) ينظر: الديباج الوضي: ٤/ ١٨١٥.

(٢) نفسه.

الأسنان[١]. واللُّماظة- بالضم- بقيّة الطعام في الفَمّ[٢]. واللُّماظَة الطّعَام[٣] والتَّلَمُّظ التَّذوّق أيضاً[٤].

وقد وردت لفظة (اللُّمْظَة) مرتين في نهج البلاغة، في حين جاءت مفردة (اللّماظة) مرة واحدة[٥]، للدلالة على ما يأتي:

أولاً: الدلالة على النقطة البيضاء.

وتسمى هذه النُقْطة بـ(النكْتَة) التي تكون كالحبّة الصغيرة من الحبوب، ولكنها بيضاء اللون. وبهذا شبّه الإمام الإيمان الذي يبدأ في القلب، فيقول: ((**إنَّ الإيمان يَبْدُو لُمْظَةً فِي الْقَلْبِ، كُلَّمَا ازْدَاد الإيمان ازْدَادَتِ الْلُّمْظَةُ.**))[٦]. أقول: لقد وضع السيد الشريف الرضي هذا القول من أقوال الإمام في الفصل الخاص بغريب كلام أمير المؤمنين المحتاج إلى تفسير[٧].ويعود ذلك إلى غرابة مفردة (لُمْظة) في هذا السياق،فضلا عن كونها من الألفاظ الغريبة في اللغة أصلاً[٨]. واللّمْظَة –

(١) ينظر: تهذيب اللغة (لمظ): ١٤/ ٢٧٨، ولسان العرب (لمظ): ٧/ ٤٦٢.

(٢) ينظر: المعجم في بقية الاشياء ؛ لأبي هلال العسكري: ١٤٤، ولسان العرب (لمظ): ٧/ ٤٦٢.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (لمظ): ١٤/ ٢٧٨.

(٤) ينظر: لسان العرب (لمظ): ٧/ ٢٦٢.

(٥) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤١٣.

(٦) نهج البلاغة: غ/ ٥: ٦٥٢، وقد نقل المعجمون هذا الحديث عن الإمام(عليه السلام). ينظر: تهذيب اللغة (لمظ): ١٤/ ٢٧٨.

و لسان العرب (لمظ): ٧/ ٤٦١، وتاج العروس (لمظ): ١/ ٥٠٧٩.

(٧) ينظر: نهج البلاغة: ٦٥١.

(٨) ينظر: مثلًا: الفائق في غريب الحديث: ٣/ ٣١١، والنهاية في غريب الحديث والأثر: ٤/ ٤٧١، وغريب نهج البلاغة:٢١٩.

هنا- مثل النكتة و نحوها من البياض حسبما يذكر الشريف الرضي[١]. وهكذا يبدو الإيمان في القلب كما يرى الإمام، فهو نكته بيضاء تزداد بياضاً وسعة في القلب، كلّما زاد الإيمان وتأصّل في الإنسان وهذا الأمر رهنٌ بالعمل الصالح وما يتبعه من الحسنات، والبعد عن اجتراح السيئات التي تسوِّد هذه النكتة البيضاء وتمنعها من النّماء والاتساع.

وقد بيّن الشّراح كلام الإمام، فذكروا أنّ اللُّمظة هي النكتة البيضاء. والمراد تشبيه الإيمان في أول أحواله بالنكتة التي تكون في القلب، فلا تزال تزداد قوة وبياناً بالأعمال الصالحة والأحوال المستقيمة إلى أن تصير مَلَكة تامة فيه، فإذا ارتكب الإنسان شيئاً عن القبائح ازدادت تلك النكتة ضعفاً ومالت إلى التناقص والأفول[٢]. فأمّا ثبات المرء على ملكة الإيمان ولُمظَتِهِ، فأشار اليه القرآن الكريم في قوله: ﴿**فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ**﴾[٣]. وأمّا الميل إلى تحجيم الإيمان وإضعاف نُكْتَته في القلب،فيكون بـ(الرّين على القلوب)، وهو ما ذكره الله جل جلاله في قوله: ﴿**كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾[٤]، ولستُ أشك في أنّ اللغويين أخذوا هذه الدلالة التي منحها الإمام(عليه السلام) لمفردة (لُمْظَة) في هذا السياق على سبيل التوسع في الدلالة، ليجعلوها دالة على البياض الذي يظهر في جَحفلة الفرس وغيره من الدُّواب، وهو الشيء من البياض الذي يكون في شَفَة الفَرَس[٥].

وقد أشار إلى ذلك غير واحد من اللغويين وفي طليعتهم أبو عبيد القاسم بن

(١) ينظر: نهج البلاغة: غ/ ٥: ٦٥٢.

(٢) نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٥١٣، والديباج الوضي: ٦/ ٢٩١٧، ٢٩١٨.

(٣) الزمر / ٢٢.

(٤) المطففين / ١٤.

(٥) ينظر: لسان العرب (لمظ): ٧/ ٤٦٢.

سلاّم[١]، والأزهري [٢]، فضلًا عن السيد الشريف الرضي[٣]، والدكتور إبراهيم السامرائي من المحدثين[٤].

إن استعارة مفردة (لُمْظة) للدلالة على ما يبدو من نور الإيمان في القلب[٥]، وَسَّع من دلالة المفردة المتقدمة في الاستعمال اللغوي، فانطلق معناها من الدلالة على القِلّة والشيء اليسير كما يفهم من المتن المعجمي[٦]، إلى الدلالات الآتية التي تُفهم من استعمال الإمام(عليه السلام) لها، ويمكن إجمالها في مايأتي:

الدلالة على القلة والكثرة معاً بحيث أن (اللُّمظة) التي تبدأ نكتةً صغيرة، لا تليث أن تتسع بزيادة الإيمان في القلب.

إن دلالتها على الكثرة يجنح بها نحو معنى (التضاد) اللغوي، وهو الدلالة على الشيء ونقيضه معاً.

دلالتها على اللون الأبيض، وهو ما يقابل (النّور) الذي يكون في قلب المؤمن، وهذا ضرب من تخصيص لونها وانحصاره باللون الأبيض فحسب دون باقي الألوان، ألاّ أن يتغير (الإيمان) ويتحوّل إلى شرك وكفر. فيصير حالة سلبية في المرء مثلاً،كأن يتحوّل الإيمان إلى نفاقٍ، فيكون بلون أسود حينئذٍ، حسبما يروى في الحديث: ((**النّفاقُ في القلْبِ لُمُظْةٌ سوْداء**))[٧].

(١) ينظر: غريب الحديث (أبو عبيد): ٣/ ٤٦٣٠، وغريب نهج البلاغة: ٢١٩.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (لمظ): ١٤/ ٢٧٨.

(٣) ينظر: نهج البلاغة: غ/ ٥: ٦٥٢.

(٤) ينظر: مع نهج البلاغة: ٣٢٠.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٥١٣.

(٦) ينظر: أساس البلاغة (لمظ): ١/ ٥٧٣، وتاج العروس (لمظ): ٥/ ٢٦٣.

(٧) لم أعثر على هذا الحديث في المدونات الخاصة بالحديث النبوي، وهو في العين (لمظ): ٨/ ١٦٤،

أقول: ويفهم من الحديث المتقدمة أن مفردة (لُمظة) تدل على اللون الأسود أيضاً، وهذا اللون يمثّل دليلاً على انحطاط المفردة وابتذالها وقِلّة شأنها بالنسبة لدلالتها اللونية، لارتباطها بالنّفاق، وهو من الخصال السيئة التي تسير بصاحبها إلى الدرك الأسفل من النار، في حين أن دلالتها على اللون الأبيض يجنح بها نحو الرُّقي والتَّفَاؤُل،وهذا هو الفارق بين الضدين المجتمعين في هذه المفردة. إذ يكون السياق فيصلاً في التفرقة بينهما.

أمّا سبب غرابة هذه اللفظة في كلام الإمام(عليه السلام)، فراجع إلى استعارتها وتوظيفها في نسقٍ من الكلام لا يناسب التعبير بهذه المفردة عن نور الإيمان الحاص في القلب، وهو ما يُفهم من قول الشارح البحراني الذي أشار إلى الاستعارة التي دلت عليها كلمة(لُمظة) في قول أمير المؤمنين[١]. فضلًا عمّا ذكره الدكتور عبد الكريم السعداوي بشان غرابتها، مُضيفاً إلى ذلك اجتماع دلالتي (القِلّة)،وهو صغر الحجم الذي أفادته الكلمة ودلالتها على اللون الأبيض الذي وُصِف به الإيمان في القلب، وهذا ما زاد من غرابتها عنده[٢].

ومن خلال تتبع المدونات المعجميّة نلحظ أنّ المفردة المتقدمة ليست لفظة غريبة، فهي مستعملة في كلام العرب، ولكن الإمام أضفى عليها هذا السّمت من الغرابة ؛ بسبب ما أنشأه من سياق ضمّن فيه هذه الكلمة جاعلاً ما كان مألوفاً في لسان العرب شيئاً جديداً بعيداً عما اعتادوا عليه من دلالة لهذه المفردة،فضلاً عما

ولسان العرب (لمظ): ٧/ ٤٦١، وتاج العروس (لمظ): ١/ ٥٠٧٩. أما كتب غريب الحديث، فلم تذكر الا حديث الإمام(عليه السلام) ((الإيمان يبدأ في القلب لمظة))، وهو نقله ابن الأثير في النهاية: ٤/ ٥٥٣، والرواية خلاف رواية نهج البلاغة.

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٥١٣.

(٢) ينظر: غريب نهج البلاغة: ٢٢١.

أضافه إليها من دلالة التضاد والجمع بين البياض والسواد، وبين القلة والكثرة، علاوة على دلالتها على جحفلة الفرس، وهي مظهر من مظاهر الجمال في الخيل.

ثانياً الدلالة على الدنْيا.

وقد استعمل الإمام مفردة (اللُماضَة) للدلالة على (الدنيا) وملذّاتها في سياق كلامه عن التزهيد في الدنيا والترغيب في الجنّة. إذ يقول: ((**أَلاَ حُرٌّ يَدَعُ هذه اللُّماظَةَ لَهَا؟ إِنَّهُ لَيْسَ لِأَنْفُسِكُمْ ثَمَنٌ إِلاَّ الْجُنَّةَ، فَلاَ تَبِيعُوهَا إِلاَّ بِهَا.**))[1]. واللّماظة هي بقية الطعام الذي يبقى من الفمِّ حسبما يذكر المعجميون[2]. إذ استعار (عليه السلام) هذه المفردة للدلالة على الدُّنيا باعتبار قلتها وحقارة شأنها[3].

ويفهم من توظيف مفردة (اللّماظة) في هذا السياق معانٍ عديدة توحي بها هذه الكلمة؛ منها أنّ الدنيا حقيرة الشأن لا قيمة لها، فهي كاللّماظة من الطعام التي لا تغني المرء من جوعه، فضلا عن دلالة القِلّة والضّآلة التي تبدو واضحة في مفردة (لُماظة) التي تفيد الدلالة على البقية القليلة من الطعام التي تبقى في الفم. وقد أفاد (عليه السلام) من هذه المِزّية الدلالية للكلمة، فمنحها للدنيا، لبيان قِصَر مُدّتها وغلبة الزُّوال عليها، ولاسيما عند الأحرار الزاهدين الراغبين عنها. وهم الذين لا تتساوي عندهم الدنيا شيئاً. أمّا المفتونون بها فأولئك ها وأصحابها، ولهذا عبّر الإمام عمّن يدع اللُّماظة لها بـ (الحُرِّ)، طلباً للجنّةِ التي جعلها الله تبارك وتعالى ثمناً (للأنْفُس والأموال) في قوله: ﴿**إِنَّ اللهَّ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ**

(١) نهج البلاغة: قصا / ٤٥٦: ٦٩٢.

(٢) ينظر: المعجم في بقية الأشياء: ١٤٤، ولسان العرب (لمظ): ٧/ ٤٦٢.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٥٠٧.

هُـمُ الْجَنَّـةَ﴾[١].

ثُفالة

الثُّفل ما رسب خثارته وعلا صفوه من كل شيء[٢]. ومن ذلك ما يثْفُل من رواسب القِدر[٣].

ومفردة (ثُفالة) من الفاظ نهج البلاغة التي استعملها الإمام مرتين[٤]، للدلالة على ما يرسب من بقايا الطعام في قعر القِدر عند الطبخ على سبيل تشبيه ما يبقى من الناس عند وقوع فتنة (بني أمية). يقول(عليه السلام): ((**رَايَةُ ضَلاَلَة قَدْ قَامَتْ عَلَى قُطْبِهَا... قَائِدُهَا خَارِجٌ مِنْ الْمِلَّةِ، قَائِمٌ عَلَى الضِّلَّةِ؛ فَلاَ يَبْقَى يَوْمَئِذ مِنْكُمْ إِلاَّ ثُفَالَةٌ كَثُفَالَةِ الْقِدْرِ، أَوْ نُفَاضَةٌ كَنُفَاضَةِ الْعِكْمِ...**))[٥]. وراية الضّلال هي راية الفتنة التي رفعها الأمويون على رأس قائدها وزعيمها الخارج عن مِلّة الدّين، المقيم على ضُلّته. وهذا الكلام يمثل توطئة منه (عليه السلام) لبيان الأساس الذي تدعوا إليه هذه الضّلالة، وهو تتبّع قادة الدين وأصحاب الإسلام الحق والمبدأ الصواب، لاستئصالهم من الأرض والقضاء عليهم، ليتاح لهم المجال في الهيمنة على المجتمع ونشر الضلال فيه. فشبّه من يبقى من الناس في ذلك الوقت ببقايا الطعام في قعر القدر وحواشيه من كدرة وغيرها مما لا خير فيه. كأنّ هؤلاء الذين يبقون زمن الفتن والضّلال يشبهون ثُفالة القِدر في قلة شأنهم وعدم أثرهم في المجتمع؛

(١) التوبة / ١١١.

(٢) ينظر: العين (ثفل):٨/ ٢٢٦، وتهذيب اللغة (ثفل): ١٥/ ٦٦.

(٣) ينظر: العين (ثفل): ٨/ ٢٢٦.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٧٥.

(٥) نهج البلاغة: خ/ ١٠٨: ١٩٧.

بوصفهم من أراذل الناس الذين لا يلتفت إليهم[١]. فهم ليسوا بمنزلة رؤوس الدّين وقادته الذين يوجّهون الناس ويرشدونهم إلى الحق ويبعدونهم عن الباطل. ولهذا يعمد الأمويون وغيرهم من أصحاب الفتن إلى إبقاء هذا النمط من الناس، لسهولة قيادتهم وتوجيههم أينما يريدون.

وقد عزّز الإمام من الدلالة المتقدمة، بأن عطف عليها قوله: ((**أَوْ نُفَاضَةٌ كَنُفَاضَةِ الْعِكْمِ**)). والنّفاضة ما يقع من الأشياء عند نفضها وتحريكها[٢]. فهو من بقايا الأشياء التي تسقط. وخُصّت هذه البقايا بما يسقط من العِكم والأعدال التي توضع على جانبي الهودج التي يوضع المتاع فيها، وربما وضعت فيها الأوعية من صنوف الأطعمة[٣]. فمن الطبيعي أن يسقط من هذه الأعدال بقايا الأطعمة والأمتعة، فيعُمد إلى نفضها لإسقاط ما علق فيها من هذه البقايا. وقد تكون هذا العِكم خاصة بالمرأة التي تتخذها لأدّخار متاعها[٤]. وتنفض هذه الأعدال جميعاً بعد إفراغ ما فيها لتنظيفها وتخليصها مما علق بها من وسخ وغيره. فشبّه الإمام من يبقى من الناس أيام الفتنة والضلال بما يُنفض من هذه العُكُوم، ومما يعضد ذلك، وصفه (عليه السلام) كيفية تَتبّع هذه الفتنة للمؤمن فتدوسه بأذاها. بقولة: ((**وَتَدُوسُكُمْ دَوْسَ الْحَصِيدِ، وَتَسْتَخْلِصُ الْمُؤْمِنَ مِنْ بَيْنِكُمُ اسْتِخْلاصَ الطَّيْرِ الْحَبَّةَ الْبَطِينَةَ مِنْ بَيْنِ هَزِيلِ الْحَبِّ**))[٥]. والنص واضح في أنّ البقية الباقية من الناس هم الأراذل، لأنّ خيار الناس وزعماءهم في الإيمان والتقوى هم الذين يتتبعهم

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني):٣/ ٥١٣، ومنهاج البرعة: ٧/ ٢٤٤.

(٢) ينظر: لسان العرب (نضو): ٧/ ٢٤٠.

(٣) نفسه (عكم): ١٢/ ٤١٥.

(٤) نفسه.

(٥) نهج البلاغة: خ/ ١٠٨: ١٩٧.

الظالمون لاستئصاله وقتلهم. وهذا هو معنى كلامه: ((**استخلاص الطّير الحبّة البطينة**)). فكما يعمد الطير إلى تخيّر البطين الممتلىء من الحبِّ لأكله، وترك الهزيل غير المكتمل منه، فكذلك يفعل الظالمون الذين يوجّهون عيونهم وأتباعهم لقتل المؤمنين الأبرار وترك من لا يشكل خطراً عليهم.

لُقْمَة

اللَّقْم- في اللغة- سرعة الأكل والمبادرة إليه[١]. واللَّقمة واللَّقْمة - بالفتح والضم - ما يهيّأ للّقم[٢]. واللّقم الأخذ بالفم والابتلاع في مهْله[٣].

وجاءت لفظتا (يُلْقِمْنِيه) و(لُقْمَة) مرة واحدة لكلٍ منهما في نهج البلاغة[٤]، للدلالة على ما يأتي:

أولاً:

ومن ذلك قوله (عليه السلام) في سياق كلام أمير المؤمنين عن مكانته من رسول الله (صلى الله عليه وآله) التي يقول فيها: ((**وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللهِ(صلى الله عليه وآله) بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ، وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ؛ وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وَأَنَا وليدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ، وَيُمِسُّنِي جَسَدَهُ، وَيُشِمُّنِي عَرْفَهُ، وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ...**))[٥]. ويُلْقِمنِيهِ. يُطعمه الطعام، وذلك أن النبي كان يمضغ الطعام ويلوكه له حتى

---

(١) لسان العرب(لقم): ١٢/ ٥٤٦.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤١، ٤١٢.

(٥) نهج البلاغة: خ/ ١٩٢: ٣٨٧.

يلين، ومن ثمَّ يلقمه للإمام (عليه السلام)[١].

أقول: إنّ استعمال الإمام مفردتي (يمضع و يُلْقِمنِيه) جاء مناسباً للإبانة عن معنى عناية النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) واهتمامه بإطعام الإمام(عليه السلام)، و في (مَضْعِ) النبي للطعام، إشارة إلى اشتماله على البركة وطِيب المطعم الذي ينتقل إلى الطعام من ريق رسول الله، ومن ثَمّ إلى فم الإمام[٢]. ويُفهَم من قوله أنه يُباهي بهذه المنزلة الرفيعة والمكانة العظيمة من رسول الله ويفتخر بها، ولا سيّما من جهة تلقّفه الطعام من ريق رسول الله. ويبدو لي أنّ إيثاره مفردة (يُلقِمنِيه) على غيرها من الألفاظ يرجع إلى القيمة الصوتية التي تنماز بها هذه الكلمة، فصوت القاف في الكلمة من الأصوات ذات القوة في الإسماع، فهو صوت قوي صحيح الجرس حسب تعبير ابن جني[٣]. ويوصف بأنّه صوت مجهور شديد انفجاري ذو قلقلة[٤]. وربما منحت هذه الخائص الصوتية لصوت (القاف) في المفردة المتقدمة فضيلة التقدمة في استعمالها بالدلالة على التقامه (عليه السلام) الطعام من فم النبي.

ثانياً: الدلالة على فتنة الخلافة.

والمراد بالفتنة هنا بيعة السقيفة، ولمّا دعا (أبو سفيان بن حرب) إلى بيعة الإمام على أثر تنصيب (أبي بكر) خليفة على المسلمين للإيقاع بين المسلمين. فقال الإمام في ذلك: ((**أَيُّها النَّاسُ، شُقُّوا أَمْوَاجَ الفِتَنِ بِسُفُنِ النَّجَاةِ، وَعَرِّجُوا**

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٤: ١٨٣

(٢) ينظر: الديباج الوضي: ٤/ ٢٠٥٢.

(٣) ينظر: سر صناعة الإعراب: ١/ ٦٥.

(٤) ينظر: سر صناعة الإعراب: ١/ ٦١، ٦٣،٢٧٧ و المدخل إلى علم اللغة، للدكتور رمضان عبد التواب: ٧٨،٧٩.

عَنْ طَرِيقِ الـمُنَافَرَةِ، وَضَعُوا تِيجَانَ الـمُفَاخَرَةِ.أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاحٍ، أَوِ اسْتَسْلَمَ فَأَرَاحَ، مَاءٌ آجِنٌ، وَلُقْمَةٌ يَغَصُّ بِهَا آكِلُهَا، وَمُجْتَنِي الثَّمَرَةِ لِغَيْرِ وَقْتِ إِينَاعِهَا...))[١].

وتبدو مفردة (لُقمة) مستعارة في هذا السياق لما يطلب من الخلافة وأمرها، وأشار بالإخبار عنها بمفردة(يغُصّ) إلى أنّ الغصص يدل على نِفار النّفس منها والابتعاد عن قبولها، وكذلك حال الخلافة عنده فقد كاذب فيها المسلمون وتنافروا، وهو أمر يوجب الابتعاد عنها وعدم الالتِذاذ بها، لسُكّن فورة منْ استنهضه بهذا الأمر، بأن ذكر له إنها لقمة منغّصة لا يساغ تناولها والانتفاع بها[٢].

٦ـ ألفاظ أدوات الطبخ ومتعلقاتها

أـ أدوات الطعام

وعاء

الوِعَاء كل ظرف يوضع فيه الشيء[٣].

وقد وردت لفظة وِعاَء أربع مرات في نهج البلاغة، مرتان منه محلاة ب(ال) التعريف، وواحدة محلاة بها (الوِعَاء)، و أخرى أضيفت اليها ضمير الغائبة المفردة (وِعَائها).في حين وردت لفظة (أَوِعَية) بصيغة الجمع على (أَفعْلة) مرة واحدة[٤]، للدلالة على مايأتي:

(١) نهج البلاغة: خ/ ٥: ٣٥، ٣٦.

(٢) ينظر: معارج نهج البلاغة: ١/ ٢٤١، وشرح نهج البلاغة (البحراني): ١/ ١٩٠، والديباج الوضي: ١/ ٢٣٨، ٢٣٩.

(٣) ينظر: لسان العرب (وعي): ١٥/ ٣٩٧.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٨٩.

أولاً: الدلالة على وعاء العلم.

وهـي أكثـر الـدلالات وروداً، فقـد اسـتعمل الإمـام مفـردتي (وِعَـاء) وجمعهـا (أَوْعِيَـة)، فمـن إيـراده اللفظـة الأخـيرة قولـه في سـياق وصـف (القُلـوب)، مخاطبـاً بعـض أصحابـه: ((**إِنَّ هـذِهِ الْقُلُـوبَ أَوْعِيَـةٌ، فَخَيْرُهَـا أَوْعَاهَـا...**))[1]. فشَـبّه قلـوب النـاس بالأوعيـة، وهـي الظـروف التـي تحفـظ فيهـا الأشـياء. بلحـاظ الإحاطـة والحفـظ والحمايـة، ونبّـه الى أنّ خيرهـا مـا كان أكثرهـا سـعة وحفظـاً وإحـرازاً للأشـياء. فكلّـما كانـت القلـوب أكثـر سـعة للحفـظ والاسـتيعاب والتّبصّـر بالأمـور، عـدّت مـن (أَوْعـى) القلـوب وأفضلهـا. ولهـذا طلـب الإمـام مـن المخاطـب أن يحفـظ عنـه مـا يقولـه لـه: ((**فَاحْفَـظْ عَنِّي مَـا أَقُـولُ لَـكَ...**))[2]. وقـد وظّـف (عليه السلام) بناء(أفْعِلَة)،للدلالـة عـلى تعـدد وظائـف هـذه القلـوب وغاياتهـا. والملاحـظ أنّ الإمـام أخبر عـن (القُلُـوب)، وهـو جمـع عـلى وزن (فُعُـول) مـن أبنيـة جمـع الكثـرة [3]، بمفـردة (أَوعِيَـة) عـلى بنـاء (أَفْعِلَـة) مـن أبنيـة القِلّـة.و هـذا يـدل عـلى أمريـن، فإمّـا أن يريـد ببنـاء (أَفْعِلـة) في هـذا المقـام – الدلالـة عـلى الكثـرة مثلـما أريـد بلفـظ (القُلُـوب)، بحيـث يكـون البنـاء المتقـدم دالاً عـلى القِلّـة النسـبية وليسـت المطلقـة، أو أن يكـون المـراد أنّ القُلُـوب في أصلهـا خزائـن وظـروف لجمـع الحكـم والمعـارف والنصائـح واسـتيعابها، فهـي تشـبه في ذلـك الأوعيـة التـي يحفـظ فيهـا الطعـام وغـيره ممـا يحـرص عليـه، ولكنّهـا لا تعـد جميعـاً قلـوب بصـيرة وتبصّـر، بحيـث تفهـم كل مـا تسـمعه و تـراه مـن تجـارب ومواعـظ. فتكـون بذلـك دالّـة عـلى القِلّـة وليـس الكثـرة.

---

(١) نهج البلاغة: قصا / ١٤٧: ٦٢٩.

(٢) نفسه.

(٣) (٥)ينظر:كتاب سيبويه:٢/ ١٧٧.

ويبدو الأثر النبوي واضحاً في كلام الإمام(عليه السلام)، فقد ورد عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) قوله في وصف القُلوب: ((**القُلُوب أَوْعِيةٌ، وبعْضُها أَوْعَى من بَعْضٍ**...))[1]. وهذا القول يبيّن كيف تكون القُلوب أوعية لا يراد منها الحفظ والاستيعاب فحسب، وإنما الفهم والتّفكّر، فضلاً عن تحليل ما في هذه القلوب من معلومات وخبرات.

و قد وردت مفردة (وِعَاء) بصيغة المفرد بالدلالة المتقدمة في(خ/ ٧١، قصا/ ٢٠٥).

ثانياً: الدلالة على الظّرف الذي يحفظ فيه الطعام.

وجاء ذلك في ذمٍّ بعض من جاءه بضرب من (الحَلواء) طالباً بذلك خداع الإمام يقول(عليه السلام): ((**وَأَعْجَبُ مِنْ ذلِكَ طَارِقٌ طَرَقَنَا بِمَلْفوفَةٍ فِي وِعَائِهَا**...))[2]. يعجب الإمام من جُرأة هذا الشخص الذي أقْدم على الإمام بهذه الحلواء التي ضمتّها بوعاء يسترها عن الأعين، فكنىّ عن ذلك بمفردة (وعائها)[3]، ولهذا قدم على الإمام ليلاً يريد بذلك استمالته وإبعاده عن دينه. فذمّ الإمام هذا (الطّارق) وأنكر عليه فعلته هذه، لما لمسه من ريبة في تصرّفه.

وقد استعمل الإمام لفظة (وِعَاء) بالدلالة على الظرف الذي يحفظ فيه الماء والطعام في (ك/ ٣١).

(١) مسند أحمد: ٢/ ١٧٧.

(٢) نهج البلاغة: خ/ ٢٢٤: ٤٣٨.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٤/ ٥٤.

الإناء

الإناء ما يُرتفَق به[١]. ويستعمل في أغراض عدة كالطبخ وغيره [٢]. وقيل: بل هو وعاء الماء[٣].

واستعملت مفردة (الإناء) ثلاث مرات في نهج البلاغة؛ منها مرة واحدة أضيفت فيه (ياء) المتكلّم الى المفردة (إنائي)[٤]، للدلالة على الإناء الذي يتخذ لحفظ الطعام والشراب. ومن ذلك قوله (عليه السلام) متحدثاً عمّا سيفعله الناس بالإسلام وأحكامه قائلاً: ((**أَيُّهَا النَّاسُ، سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ يُكْفَأُ فِيهِ الإِسلام، كَمَا يُكْفَأُ الإِنَاءُ بِمَا فِيهِ.**))[٥]. والإكفاء الانقلاب [٦]. فشبّه انقلاب أحكام الإسلام وتغييرها بانقلاب الإناء المخصص للأكل والشرب بما فيه. ووجه الشبه في ذلك ضياع مفاهيم الدين ومبادئه وصرفها عن محتواها الإسلامي الى إغراض أخرى يستفاد منها أصحاب الأهواء والملل والفتن الذين يعمدون الى تحريف الدين، وتسخيره لمصالحهم الخاصّة. وبهذا يكون (الإسلام) كالإناء الذي ينقلب ما فيه من زاد أو ماء فيضيع هدراً، لتلوثه بالأوساخ والقذر، فضلاً عن وطئه بالأقدام. وكذلك سيفعل (بالإسلام) الذي أخبر الإمام أنه سيعرض له ما يعرض للأواني من انقلاب، فتضيع بذلك حقوق الناس، وتشيع الفتن التي ينجذم لها حبل الدين. وتُعطّل حدود الإسلام، ويترك العمل بأحكامه. ويكون فيه المحسن

(١) ينظر: المحكم (أني): ١٠/ ٥٣٠، ولسان العرب (أني): ١٤/ ٤٨.

(٢) نفسهما.

(٣) ينظر: المغرب: ١/ ٤٧.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٠.

(٥) نهج البلاغة: خ/ ١٠٣: ١٨٨.

(٦) ينظر: غريب الحديث (ابن قتيبة): ١/ ٦٠١.

بمنزلة المسيء[١].

أقول: كأنّ الإمام يومئ بذلك الى قوله تبارك وتعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٢] وشبيه بهذا ما قاله الإمام متحدثاً عن سلب الناس حقّه في سياق حديثه عن (قُريش) داعياً عليهم بقوله: ((اللهمَّ إنّي أَسْتَعْدِيكَ[٣] عَلى قُرَيْش وَمَنْ أَعَانَهُمْ! فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمِي، وَصَغَّرُوا عَظِيمَ مَنْزِلَتِي، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي أَمْراً هُوَ لِي. ثُمَّ قَالُوا: أَلاَ إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ، وَفِي الْحَقِّ أَنْ تَتْرُكَهُ))[٤]. يعرض - في هذا النص - الى قضية ظلامته في قريش ومن أعانهم على ظلمه. مستعير لذلك مفردة (إِنَاء) التي أضاف اليها (ياء) المتكلّم، لبيان حَقّه الذي غُصِب منه. يومىء بذلك الى (الإمامة) التي أخذت منه بعد وفاة رسول (ﷺ). ويحتمل أن يكون المراد بقوله: (أكفَؤُوا إنَائي) الكناية عن إعراضهم وتفرّقهم عنه، فإن ذلك من لوازم قلب الإناء الذي يتفرق ما فيه من زاد أو ماء عند قلبه[٥]. ومما يعضد هذا الوجه أيضاً إشارته الى قَطع رحمه، الذي يراد منه الدلالة على غربته بين هؤلاء القوم؛ لأنّهم جعلوه -بموقفهم هذا-

---

(١) وقد عبرّ الإمام عن هذا الأمر في موضع آخر من النهج عند كلامه عن الفتن وتأثيرها في الناس: ((.. وَلُبِسَ الإسلام لُبْسَ الْفَرْوِ مَقْلُوباً.)).خ/١٠٨.

(٢) النساء/ ٤٦.

(٣) استعديك. استعينك للنصرة عليهم. ينظر: لسان العرب (عدو): ١٥/ ٣٩.

(٤) نهج البلاغة:خ/ ١٧٢: ٣١٠.وينظر:خ/ ٢١٧.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني):٤/ ٣٤.

كالأجنبي منهم، فلم ينصروه أو يعينوه على حقّه[١]. وقد استعمل الإمام لفظة (الإناء) بالدلالة على إناء الماء في (خ/ ٤٢).

الجفان

الجفْنة أداة للطعام[٢]. وهي أعظم ما يكون من القِصَاع التي يُطْعم فيها [٣].

وقد استعمل الإمام لفظة (جِفَان) في نهج البلاغة مرة واحدة[٤]، وبصيغة الجمع للدلالة على قِصَاع الطعام الكبيرة، وذلك في سياق اللوم والتقريع الذي ضمنّه كتابه الى عامله على البصره، إذ يقول له: ((...**فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلاً مِنْ فِتْيَةِ الْبَصْرَةِ دَعَاكَ إلى مَأْدُبَة، فَأَسْرَعْتَ إِلَيْهَا، تُسْتَطَابُ لَكَ الأَلْوَانُ، وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ الْجِفَانُ**))[٥]. والجِفان هي القِصاع العظيمة التي تملأ بالطعام. وقد جاءت هذه المفردة مناسبة لما أراد الإمام(عليه السلام) الحديث عنه من ذمِّ عامله الذي بادر مسرعاً الى مَآدبِ الأغنياء التي يجفى عنها ذوو العيْلة والفقر ويدعا اليها الأغنياء وذوو الرّفعة والمناصب الرّفيعة. فيشيع في هذه الموائد البذخ والترف والإسراف، وهو ما أوحت به مفردة (جِفَان) التي تدل - كما ذكرت- على القِصاع العظيمة التي رغب أصحابها بأنْ يتجاوزوا بها الحد في البذخ والاسراف، مصورين الأمر بصورة الكرم، رغبة منهم - فيما يبدو - في التباهي وإظهاراً لأنفسهم بمظهر الغنى. وهو تقدمه المفردة السابقة لدالة على السِّعة ة الاحاطة و الاحتواء[٦]. حتى أنّ العرب

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١١/ ٨٤.

(٢) ينظر: العين (جفن): ٦/ ١٤٦.

(٣) ينظر: لسان العرب (جفن): ١٣/ ٨٩.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة:٨٦.

(٥) نهج البلاغة:ك/ ٤٥: ٥٢٩.

(٦) ينظر: مقاييس اللغة (جفن):١/ ٤٦٥.

كانت تسمّي السّيد المِطْعام في قومه (جَفْنَة)؛ لكثرة وضعه الزاد في الجِفان ليطعم الناس منها. فسمّوه باسمها علامة على سعة كرمه وكثرة إنفاقه[١].وهذه الجِفان مع سعتها، فهي متعددة كثيرة تتجاوز الحد المعقول والمقبول من الطعام، وذلك بقرينة استعمالها بصيغة جمع الكثرة على(فِعَال). فلو كانت تلك المأدبة التي دُعي اليها والي البصرة قليلة جِفانها، لاستعمل الإمام مفردة(جَفنَات) التي تدل على المعنى نفسه وبأدنى العدد حسبما يذكر اللغويون في دلالتها على العدد القليل[٢]. فضلاً عن ذلك، فالنص يؤكد وجود البذخ والإسراف في هذه المأدبة التي يتكلم عنها الإمام، بقرينة قوله ((**وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ الْجِفَانُ**)). والمراد أنّ هذه القصاع متعددة لاختلاف الوان الطعام فيها، بحيث أنّه ((**تُسْتَطَابُ لَكَ الأَلْوَانُ**))،و يؤتى بالمزيد منها إظهاراً للترفّه بالمعايش والتَّأنقِ في اللذات[٣].وبإزاء هذا كله فالغني هو المدعو، والعائل هو المجفو، وهو ما أزعج الإمام(عليه السلام) وهيّجُ مواجعه نحو هذا الرّجل الذي أسْرع الى تلبية هذه المأدُبة دون النظر الى ما يقضمه من مقضم كان الأجدر إلاّ يُسرع إليه مبادراً، وإنما يدعو صاحبه الى إعداد هذه المآدب للفقراء والمعوزين والجياع المستحقّين لها.

مائدة

المائدة الخِوان الذي يوضع عليه الطعام[٤]. وقيل: إن المائدة هي الطعام نفسه؛ فلا تسمّى المائدة فائدة حتى يكون عليها الطعام، وإلاّ فهي خِوان[٥].

---

(١) ينظر: لسان العرب (جفن): ١٣/ ٨٩.

(٢) ينظر: جمهرة اللغة (جفن): ١/ ٤٨٨.

(٣) ينظر: الديباج الوضي: ٥/ ٢٤٤٠.

(٤) ينظر: العين (ميد): ٨/ ٨٩، ولسان العرب (ميد): ٣/ ٤١١.

(٥) ينظر: فقه اللغة (الثعالبي): ١/ ٤، ولسان العرب (ميد): ٣/ ٤١١.

وقد وردت لفظة (مائِدة) مرة واحدة في نهج البلاغة(١)، دالة على الدنيا التي تكون محلاً للاجتماع والتآلف بين الناس. وذلك في سياق الوعظ والإرشاد الذي يقول فيه الإمام: ((**أَيُّهَا النَّاسُ، لاَ تَسْتَوْحِشُوا فِي طَرِيقِ الْهُدَىٰ لِقِلَّةِ سالكيهِ، فَإِنَّ النَّاسَ قَدِ اجْتَمَعُوا عَلَى مَائِدَة شِبَعُهَا قَصِيرٌ، وَجُوعُهَا طَوِيلٌ...**))(٢). يشبّه الإمام الدنيا بـ(المائِدة) التي اجتمع عليها الناس، والتي توضع عليها الوان مختلفة من الأطعمة والأشربة، ولكن ما يلبث المجتمعون عليها أن ينصرفوا عنها، ويتفرقوا. فعبّر (عليه السلام) عن حال الاجتماع والتفرّق حول هذه (المائدة) بلفظتي (الشّبَع والجُوع)، كأن الذي ينال بغيته من هذه المائدة بمجرد أن ينصرف عنها، فإنّه يعود الى جوعه. فكيف إذا كانت هذه المائدة هي (الدنيا) التي استعار لها الإمام مفردة (المائدة) بوصفها محل للاجتماع، واللقاء بين الناس، فضلاً عن الإشارة إلى دورانها وتقلّبها واضطرابها ؛ بلحاظ أصل اشتقاقها الذي يذكر اللغويون أنها مشتقة من (المَيْد)، وهو -في اللغة- الميل والاضطراب والمجيء والذهاب(٣). وهذا المعنى يليق - فيما يبدو - بالدنيا التي أعرض الإمام(عليه السلام) عن ذكرها، مكتفياً بإيراد لفظ (مائدة)، للدلالة عليها ؛ لأنّه لم يقصد (الدنيا) - بحد ذاتها- وإنما أراد أنّها محل اجتماع ولقاء على منافع يبتغيها الناس لإشباع رغباتهم وغرائزهم، فجاءت كلمة (مائدة) لبيان قِصر الاجتماع وقلّة الملذات التي تقدمها هذه المائدة، وكثرة الهموم والبلايا التي تسديها للناس(٤).ويمكن أن تتضمن المفردة المتقدمة الدلالة على التَّفضّل والعطاء الذي منحه الله تبارك وتعالى للعباد، وذلك بجمعهم في (مائدة

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٣٢.

(٢) نهج البلاغة: خ / ٢٠١: ٤٠٢.

(٣) ينظر: العين (ميد): ٨/ ٨٩.

(٤) ينظر: معارج نهج البلاغة: ٢/ ٦٣٩، وشرح نهج البلاغة (البحراني):٣/ ٧٦٤.

الدنيا)، لتكون محلاً للتزوّد بالتقوى ليوم يحتاج فيه الإنسان الى الزاد الذي يقيه الحساب والعقاب. كأن الله تبارك وتعالى أمدّ الناس بها ومنحهم إيّاها في مقام التفضل والمَنِّ عليهم، لتكون سبيلاً لهم الى الجنّة. وكلامه (عليه السلام) - آنف الذكر- ترغيب لأصحابه السالكين طريقُ الهدى، ونُصح لهم في البقاء على سِكّتهم هذه مع قِلّة عددهم، مسوغاً ترغيبه لهم بقصر مدة الشّبع عند المائدة، وقلة المكوث فيها. وبهذا تكون مفردة (مائدة) في كلامه(عليه السلام) ذات دلالة جديدة غير معهودة عند اللغويين.

بـ أدوات الطحن ومتعلقاتها

الرّحى

الرَّحا أداة يُطحن بها[1]، وهي صخرة تطبق على صخرة أخرى، ثم تدار أعلاهن بقُطب فتطّحن الحبّ[2].

وقد استعمل الإمام لفظة (الرّحى) ست مرات في كلامه الوارد في نهج البلاغة ؛ مرّتين منها أضيف اليها ضمير المفردة الغائبة (رَحَاها)، ومرتين اتصل بها ضمير جماعة الغائبين (رَحَاهُم)[3]، وذلك للدلالة على مايأتي:

أولاً: الدلالة على الرَّحى المعروفة التي تستعمل في الطحن.

واستعملت هذه الدلالة في غير موضع من كلامه الوارد في نهج البلاغة، فمن ذلك توظيفه لهذه الدلالة في إظهار رئاسته في الأمّة وتقدّمه فيها، مصّوراً الناس

---

(١) ينظر: لسان العرب (رحا): ٤/ ٣١٢.

(٢) ينظر: المعجم الوسيط: ١/ ٣٥٥.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٨٤.

بهيأة الرَّحى التي جعل من نفسه قطباً لها. كقوله (عليه السلام): ((**وَإِنَّمَا أَنَا قُطْبُ الرَّحَى، تَدُورُ عَلَيَّ وَأَنَا بِمَكَانِي**...))[1]. فاضافة مفردة (قطب) الى كلمة(الرّحى) من جهة إضافة (الجزء الى الكل)، لبيان أن منزلته في الناس كمنزلة (القُطْب) الذي ينتصب في آلة الطحن، إذ لا تقوم الأخيرة إلاّ به. وقد ورد نظير هذا التعبير في (خ/ ٣)، و(خ/ ١٤٦).

واستعار الإمام لفظة (الرّحى) للفِتن، وذلك في قوله الذي يحذّر فيه العرب من الفِتن قائلاً: ((**ثُمَّ إِنَّكُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ أَغْرَاضُ بَلاَيَا قَدِ اقْتَرَبَتْ، فَاتَّقُوا سَكَرَاتِ النِّعْمَةِ، وَاحْذَرُوا بَوَائِقَ**[2] **النِّقْمَةِ، وَتَثَبَّتُوا فِي قَتَامِ الْعِشْوَةِ، وَاعْوِجَاجِ الْفِتْنَةِ عِنْدَ طُلُوعِ جَنِينِهَا، وَظُهُورِ كَمِينِهَا، وَانْتِصَابِ قُطْبِهَا، وَمَدَارِ رَحَاهَا**...))[3]. فكنّى (بانتصاب قُطْبها) عن تأهّب قادتها الى إثارة الفتن واشتغالهم بإثارتها وبثّها بين النّاس، وبقوله (مَدار رَحاها) الى انتشارها في الأمة، كأنها بدورانها قد بدأت معلنة عن طحن كل ما يقع بين صخرتيها، فلا يبقى منه إلاّ القشور، في حين أنّ المستفيد من هذه الحالة هم أقطاب هذه الفتنة الذين ينصبون قطبها ويديرون طابقيها. وهذا التصوير الفني الذي استعمله الإمام وصفاً للفتنة، أورده في سياق آخر يتحدث فيه عن عقاب (الإمام الجائر)، ناقلاً حديثاً عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في هذا الشأن، وذلك لمّا استسفره المسلمون الى الخليفة (عثمان) شاكين إليه ما نقموه من(عثمان) سائلين مخاطبته في الكفّ عمّا يقوم به، فخاطبه (عليه السلام) بقوله: ((... **فَاللهَ اللهَ فِي نَفْسِكَ! فَإِنَّكَ ـ وَاللهِ ـ مَا تُبَصَّرُ مِنْ عَمىً، وَلاَ تُعَلَّمُ مِنْ جَهْل**... **فَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ اللهِ عِنْدَ اللهِ إِمَامٌ عَادِلٌ، وَإِني سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) يَقُولُ:**

(١) نهج البلاغة: خ / ١١٩: ٢٢١.

(٢) البوائق جمع (بائقة)، وهي الداهية الشديدة. ينظر: لسان العرب (بوق): ١٠/ ٣٠.

(٣) نهج البلاغة: خ/ ١٥١: ٢٦٣.

((يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالإمام الْجَائِرِ وَلَيْسَ مَعَهُ نَصِيرٌ وَلاَ عَاذِرٌ، فَيُلْقَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيَدُورُ فِيهَا كَمَا تَدُورُ الرَّحَى، ثُمَّ يَرْتَبِطُ فِي قَعْرِهَا))[1]...))[2] ويدل حديثه (عليه السلام)، وما نقله عن النبي الأكرم من أنّ نار جهنّم أشبه بالرُّحى في دورانها حتى كأنها تطحن من يقع فيها كما تطحن الرّحى الحبوب، فضلاً عن استعارها وشِدّة حرّها وقد ساق الإمام هذا الحديث في مقام الترهيب والترغيب رغبة في إعادة الخليفة (عثمان) الى سبيل العدل بين الناس بعدما جار عليهم بتسليطه الأمويين من قراباته على رقاب الناس كما تذكر المدونات التأريخية[3] فجاء وعظ الإمام له بأسلوب يعتمد تذكيره بأقوال النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، وتحذيره من النار لعل ذلك يحرّك الأوبة والرجوع الى الحق في نفسه، ولهذا قال له الإمام ناصحاً: ((**فَلاَ تَكُونَنَّ لِمَرْوَانَ سَيِّقَةً يَسُوقُكَ حَيْثُ شَاءَ بَعْدَ جَلاَلَ السِّنِّ وَتَقَضِّي الْعُمُرِ. فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ: كَلِّمِ النَّاسَ فِي أَنْ يُؤَجِّلُونِي، حَتَّى أَخْرُجَ إِلَيْهِمْ مِن مَظَالِمِهِمْ، فَقال(عليه السلام)) مَا كَانَ بِالْمَدِينَةِ فَلاَ أَجَلَ فِيهِ، وَمَا غَابَ فَأَجَلُهُ وُصُولُ أَمْرِكَ إِلَيْهِ.**))[4].

ثانياً: الدلالة على الثّراء والنّماء وكثرة الرزق.

وجاءت هذه الدلالة في سياق كلامه عن الفضل الذي جاء به النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) للعرب، وما سَبّبه لهم من خير في الجانبين (الديني والاجتماعي)، إذ يقول: ((**فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً(صلى الله عليه وآله وسلم)، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَاباً، وَلاَ يَدَّعِي**

(١) لم أعثر على هذا الحديث في المدونات الخاصة بالحديث النبوي، وقد نقلته المصنفات التأريخية التي تحدثت عن حالة الخليفة (عثمان بن عفان) وإكثار الناس القول فيه وتوسّط الإمام علي الحديث معه. ينظر: تاريخ الطبري: ٢/ ٦٤٥، والبداية والنهاية: لابن كثير: ٧/ ١٦٨.

(٢) نهج البلاغة: خ / ١٦٤: ٢٩٢، ٢٩٣.

(٣) ينظر: تاريخ الطبري: ٢/ ٦٤٣ وما بعدها، والبداية والنهاية: ٧/ ١٦٦ وما بعدها.

(٤) نهج البلاغة: خ/ ١٦٤: ٢٩٣.

نُبُوَّةً وَلاَ وَحْياً، فَقَاتَلَ بِمَنْ أَطَاعَهُ مَنْ عَصَاهُ، يَسُوقُهُم إِلَى مَنْجَاتِهِمْ، وَيُبَادِرُ بِهِمُ السَّاعَةَ أَنْ تَنْزِلَ بِهِمْ، يَحْسَرُ الْحَسِيرُ، وَيَقِفُ الْكَسِيرُ فَيُقِيمُ عَلَيْهِ حَتَّى يُلْحِقَهُ غَايَتَهُ، إِلاَّ هَالِكاً لاَ خَيْرَ فِيهِ، حتَّى أَرَاهُمْ مَنْجَاتَهُمْ وَبَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ، فَاسْتَدَارَتْ رَحَاهُمْ وَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ[١]...))[٢]. وخصَّ المقطع الأول من كلامه بفضيلة النبي في نشر الدين الإسلامي، وتوحيد الله تبارك وتعالى، بعدما كان شائعاً بينهم الشّرك وعبادة الأصنام. فجاءهم النبي (ﷺ) بنبّوة وَوَحي يهديهم الى سبل السَّلام والرشاد حتى أرشدهم الى خلاصهم من عذاب الله جل جلاله، ووضعهم في طريق معرفته، وأنزلهم منزلتهم التي وصلو إليها، وأكسبهم احترام الأمم وتقديرها، ثم أشار الى ارتفاع مستواهم المعيشي، مستعملاً لذلك تعبير (استدارت رَحَاهم)، فإنّه كان لّما كان دوران الرّحى سبباً في الحصول على الخير المتحصّل من طحن ما يكون من الغذاء كـ(القمح والشعير) بتلك الآلة، فكان دورانها علامة للرزق والنّماء واكتفاء العيش. ويمكن أن يكون المراد باستداره رحاهم، الدلالة على أمرين ؛ الأول دوران حالهم واستمراره وتكامله، وذلك أنّ الرّحا إنما تدور إذا تكاملت أدواتها واجتمعت آلاتها[٣]. والثاني الدلالة على ارتفاعهم، علو شأنهم كما ترتفع القطعة من الأرض[٤]. فإنّ أداة الطَّحن هذه ترتفع عن الأرض التي توضع عليها ارتفاعاً بارزاً، فتبدو من ذلك علامة ظاهرة للعيان، وهو ما يجعلها ظاهرة للناظر. فكذلك هم العرب الذين ارتفع شأنهم بمجيئ النبي الأكرم. ويمكن أن يتضمن تعبيره الإشارة الى اجتماع العرب وتآلفهم على دين واحد ورابطة اجتماعية

---

(١) القناةُ الرّمح. وقيل: بل هي كل عصا مستوية. ينظر: المحكم (قنو): ٦/ ٥٦٨.

(٢) نهج البلاغة: خ/ ١٠٤: ١٨٩.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن ابي الحديد): ٧/ ٩١.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٤٩٩.

جمعهم عليها النبيّ (ﷺ)، فإنهم ما زالوا متفرقين أيادي سبأ قبل بعثته (صلوات الله عليه).

ويحتمل أنْ يكون المراد بقوله أنهم قويت شوكتهم، ودارت رحى قوَّتهم، فأصبحوا،باجتماعهم وتوحدهم، قادرين على مواجهة أعداء الإسلام والوقوف بوجه التحديات التي تقف بوجه الدين؛ وهذا الأمر أصبح بداية لظهور الأمة الإسلامية التي صنعها النبي محمد (ﷺ)، للوقوف بوجه الحضارات المعاصرة لها ؛ و حتّى الأسبق منها زمناً. وبهذا يكون الإمام قد استعار لفظ (رَحَاهم) للدلالات المتقدمة، جاعلاً من النبي الأكرم اليد التي أدارت هذهِ (الرَّحى) وقامت على جمع أجزائها وأدواتها وتهيئة لوازمها، ومن ثمّ الشروع بعملها. معبّر عن تساوق أمرهم هذا واستمرار اعتداله وتقويمه بقوله: ((استقامت قنَاتهم))، كأنّه يومىء بذلك الصّراط المستقيم الذي وضعهم النبي عليه.

قُطْب

قُطب الرّحى هي الحديدة الواقعة في الطبق الأسفل من الرّحيين التي يدور عليها الطبق الأعلى[١].

وقد استعملت لفظة (قُطْب) ست مرات في نهج البلاغة ؛ مرتان منها جاءت اللفظة فيهما محلاة بـ(ال) التعريف، وثنتان مجردة منها، في حين وردت اللفظة نفسها مرتين مضافاً اليها ضميرة المفردة الغائبة[٢]. وذلك للدلالة على مركز الشيء ورأسه الذي تدور عليه الأمور. ومن ذلك تشبيه محلّه في الأمّة بمحمل (القُطْب) من الرّحى في سياق كلامه عن (الخلافة) في قوله: ((**أَمَا وَالله لَقَدْ**

(١) ينظر: العين (قطب): ٥/ ١٠٨.

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٧٥.

تَقَمَّصَها فُلانٌ، وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّيَ مِنهَا مَحَلُّ القُطْبِ مِنَ الرَّحَا..))(١). فشبه مكانه بالنّسبة الى الأمة والخلافة بموضع قُطْب الرّحى التي لا فائدة فيها وفي دورانها بغير قُطب، فكذلك نسبته (عليه السلام) الى الخلافة من دونه، فإنها لا تقوم الاّ به، ولا يدور أمرها الا عليه. فلا يقوم مقامه في أمرها وأمر الإمامة إلاّ هو(٢). وتعبيره المتقدم من ضروب التشبيه المحض الخالص حسبما يرى ابن أبي الحديد(٣)، فقد تضمّن كلامه أضرباً من التشبيه؛الأول تشبيه محله بمحمل القُطب من الرَّحى، وهو تشبيه للمعقول بالمعقول، فالقُطب هو نظام أحوال الرّحى، فلا تقوم الرحى الاّ به. والثاني تشبيه نفسه بالقُطب، وهو تشبيه المحسوس بالمحسوس. فيكون المراد بقوله المتقدم أنّه من الخلافة في الصميم، فهو في وسطها وبحبوحتها، كما أنّ القطب في مركز الرحى ووسطها (٤). ويزاد على ذلك بأنّ الإمام لا يقصد بقوله المتقدم محله من الخلافة فحسب، إنّما يتعدى ذلك الى كونه قطب الأمة جميعاً. ومما يدلّ على ذلك قوله الذي يتحدث فيه عن مكانته في الناس منكراً انصرافهم عن الجهاد معه قائلاً: ((**وَإِنَّمَا أَنَا قُطْبُ الرَّحَى، تَدُورُ عَلَيَّ وَأَنَا بِمَكَاني، فَإِذَا فَارَقْتُهُ اسْتَحَارَ**(٥) **مَدَارُهَا...**))(٦). فاستعار لنفسه لفظ (القُطب)، تشبيهاً بهذا الشّاخص الذي يمثّل قلب الرّحى ومركزها،بمنزلة حجريجاعلاً الإسلام بمنزلة حجري الرّحى اللذين يدوران حول القُطب. ويتضمن كلامه هذا الدلالة على

---

(١) نهج البلاغة: خ/ ٣: ٢٨.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١/ ١٥٦، وشرح نهج البلاغة (البحراني): ١/ ١٧٤.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١/ ١٥٦.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١/ ١٥٦.

(٥) استحار وقف واضطراب متحيرّاً. ينظر: تهذيب اللغة (حير): ٥/ ١٤٩.

(٦) نهج البلاغة: خ / ١١٩: ٢٢١.

الثبات والاستقرار وعدم الاضطراب والحيرة ؛ لأنّ (القُطب) ثابت لا يزول عن مكانه بخلاف أجزاء الرّحى الباقية التي يمكن نقلها وتحريكها من موضع الى آخر. ولهذا جعل نفسه بمنزلة (القطب)بلحاظ الثّبات والقيام بالأمور والتقدُمة فيها. وبهذا يكون (عليه السلام) قد وسّع من دلالة المفردة المتقدمة، وجعلها دالة على (السيِّد المقدّم) في قومه العَلَم فيهم في السياقات المتقدمة، مثلما جعلها دالة على رأس الفتنة وزعيمها. وقد جرى ذلك في (خ/ ١٤٦)، التي استعمل فيها مفردة (قُطباً)، للدلالة على الزعامة في جيش الأمة الإسلامية، وكذلك مفردة (قُطبها) التي أفادت الدلالة - كما قلتُ سلفاً - على زعامة الفتنة ورأسها، وذلك في (خ/ ١٠٨، ١٥١).

ثِفَالُها

الثِّفال - بالكسر - الجِلدة التي تُوضع تحت الرَّحى[١]. والثَّفال وقاء للرّحى من الأرض، ويقال له الثُّفْل -بالضّم-أيضاً،كما يذكر ابن سِيده[٢].

وجاءت مفردة (ثِفَالها) مرة واحدة في نهج البلاغة[٣]، دالة على الحجر الأَسْفل من الرَّحى. وذلك في قوله (عليه السلام) الذي يتحدث فيه عن منزِلته في الأمة، إذ يقول: ((**وَإِنَّمَا أَنَا قُطْبُ الرَّحَا، تَدُورُ عَلَيَّ وَأَنَا بِمَكَانِي، فَإِذَا فَارَقْتُهُ اسْتَحَارَ مَدَارُهَا، وَاضْطَرَبَ ثِفَالُهَا**...))[٤].ولم يرد الإمام بذكر مفردة (ثفُالُها) دلالتها على الجِلْدة التي تُوضع أسفل الرّحى كما تذكر المدونات المعجمية التي نقلت حديثه(عليه السلام)

(١) ينظر: مقاييس اللغة (ثفل): ١/ ٣٨٠.

(٢) ينظر: المحكم (ثِفل): ١٠/ ١٥٢، وتاج العروس (ثفل): ٢٨ / ١٥٤.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٧٥.

(٤) نهج البلاغة: خ / ١١٩: ٢٢١.

المتقدم[١]. وإنما المُراد هو الحجر الأسفل منها،الذي يُسمّى (ثِفَالًا) أيضاً[٢].

أقول: والرواية التي ذكرها ابن الأثير لكلام الإمام تختلف عمّا في (نهج البلاغة)، فالنّص الذي نقله هو: ((**وَفي حديث علي رضي الله عنه: ((وتدُقّهُمُ دَقُّ الرّحا بثِفَالها))**...))[٣]. وعلّق على معنى كلمة (ثفالها) بقوله: ((الثِّفالُ – بالكسر – جلدهُ تبسط تحت رحا اليَد ؛ ليقعُ عليها الدّقيقُ ويُسمّى الحجر الأسفل ثِفالاً بها، والمعنى أنها تدُقّهم دقّ الرّحا للحبِّ اذا كانت مُثفِلَة، ولاتُثْفِل الاّ عند الطّحْن))[٤]. ويبدو لي أنّ المراد (باضطراب ثِفالها)، هو اضطراب الحجر الأسفل منها الذي يُطلق عليه في اللغة (الثِفَال) أو(الثُّفَال)، وعند ذاك تضطرب الجلُدةِ التي توضع أسْفل الرحى أيضاً ؛ لأنّ هذا (الاضطراب) سيؤدي الى تغيّر حركة الرحى باجزائها جميعاً، مما سيؤثر على عملية الطّحن، وهي الغاية التي تدور من أجلها هذه الآلة. إنَّ هذه العملية بأجمعها تمثل الحال التي كان عليها الإمام(عليه السلام) مع أصحابه يوم دعاهم الى الجهاد، فسكتوا و ما لِبثُوا أن طلبوا اليه الخروج معهم[٥]، فلهذا تكلّم بهذا الكلام مبيّناً وجه المفسدة في خروجه معهم بنفسه؛ لأن ذلك يستلزم تركه المصالح يقوم بها في إدارة الدولة ونظامها، من الإشراف على الجُند وشؤون البلد وبيت المال، وجباية الأرض، والقضاء بين المسلمين وغيرها من الأمور الهامة[٦]. ولهذا شبّه الإسلام وه بالرّحى، التي تضطرب باجزائها اذا

---

(١) ينظر: لسان العرب (حير): ١١/ ٨٥، وتاج العروس (ثفل): ٢٨/ ١٥٤

(٢) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ١/ ٢١٥.

(٣) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ١/ ٢١٥.

(٤) نفسه.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٥٥١

(٦) نفسه.

أُهملت أو تُركت، وهكذا هو الحال اذا أُهمل المسلمين بخروجه الى الحرب[١].

جـ أدوات الطبخ وما ينصب عليه

القِدْر

القِدْر – بالكسر– معروفة[٢]، وهي آنية يطبخ بها [٣].

وقد استعملت مفردة (القِدْر) بصيغ المفرد مرتين في نهج البلاغة، فجاءت لفظة (قُدُرها) بصيغة الجمع على(فُعُول) مرة واحدة[٤]، للدلالة على القِدْر الذي يُطبخ فيه الطعام. ولكن الإمام أراد –بذكر هذه المفردة– إبراز معنيين:

الأول: إظهار معنى الاختلاط والاضطراب.

وقصد الإمام هذه الدلالة في سياق كلامه عن اضطراب الناس وغربلتهم في ما سيعرض لهم من البلايا إذ يقول: ((**...أَلاَ وَإِنَّ بَلِيَّتَكُمْ قَدْ عَادَتْ كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ بَعَثَ اللهُ نَبِيَّهُ (ﷺ)، وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالحَقِّ لَتُبَلْبَلُنَّ بَلْبَلَةً، وَلَتُغَرْبَلُنَّ غَرْبَلَةً، وَلَتُسَاطُنَّ سَوْطَ القِدْرِ، حَتَّى يَعُودَ أَسْفَلُكُمْ أَعْلاَكُمْ، وَأَعْلاَكُمْ أَسْفَلَكُمْ...**))[٥]. (وسَوط القِدْر)، يعني خلط ما فيه بعضه ببعض بالمسّواط، وهي خشبة يحرّك بها القِدْر[٦].

أقول: إنَّ حركة ما يطبخ في القِدْر من طعام واختلاط بعضه بالبعض الآخر، بسبب من تحريكه، وإضرام النار تحته كل هذا يؤدي الى اضطراب القدر بما فيه.

(١) نفسه.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (قدر): ٩/ ٤٠، ولسان العرب (قدر): ٥/ ٧٤.

(٣) ينظر: المصباح المنير (قدر): ٢/ ٤٩٢.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة:٣٦٤، ٣٦٦.

(٥) نهج البلاغة: خ / ١٦: ٤٤.

(٦) ينظر: لسان العرب (سوط): ٧/ ٣٢٥.

وقد أفاد(عليه السلام) من هذه الصورة، موظّفاً إيّاها في بيان الحالة التي يصل إليها الناس في ما استشرفه لهم من المستقبل، وذلك بأن يمرّوا بمرحلة (البَلْبَلة)، وهي مرحلة اختلاطهم، وامتزاج خصالهم، ومن ثَمّ مرحلة (غُربلَتهم)،ليميز بعضهم عن الآخر، وبعد ذلك مرحلة (سَوْط القدْر)، وهي آخر المراحل التي تمثل عملية اختبارهم وابتلائهم كما يُختبر الطعام في القِدر عند طَبخه، بتقليب أسفله الى أعلاه.

وقد شبّه الإمام ما يمر الناس به من تقلّبات واضطرابات تجعل سافلهم عاليهم وبالعكس بـ(سَوْط القِدر)، وذلك لتسلّط أئمّة الجور عليهم وتقليبهم بسَائر أسباب الإهانة والتّحقير [١]. ويتضمن استعماله لفظة (قِدر) إيحاء بالدلالة على التضيق والحصر، في إشارة الى جعل حياتهم أشبه بالقِدر الذي يُقَدّر فيه الطعام المراد طبخه، فكأنّ الذي يُساط في هذا القِدر، يشمله التّضييق والضغط وتقدير الرزق عليه، حتى لا يتمكن من إيفاء ما لديه من لوازم حياته. وربما أشارت المفردة المتقدّمة الى مسألة الاعتقال والحبس التي يمارسها الظّالمون على الناس، بحيث يكون سجنهم في أماكن ضيّقة مقدرة مساحتها بقدر لا يمكن فيه لأحد أن يتحرك فيها.

ثانياً: إظهار معنى عدم القيمة والفائدة في طائفة من الناس.

وعمد الإمام في هذا المعنى الى استعمال تعبير (ثُفالة القِدْر)، وذلك في سياق كلامه عن فتنة بني أميّة التي يقودها قائد خارج من المِلّة. يقول الإمام: ((**رَايَةُ ضَلاَلَة قَدْ قَامَتْ عَلَى قُطْبِهَا قَائِدُهَا خَارِجٌ مِنْ الْمِلَّةِ، قَائِمٌ عَلَى الضِّلَّةِ؛ فَلاَ يَبْقَى يَوْمَئِذ مِنْكُمْ إلاَّ ثُفَالَةٌ كَثُفَالَةِ الْقِدْر...**))[٢]. والسياق - هنا - سياق إظهار فتنة

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٢٠٥.

(٢) نهج البلاغة: خ/ ١٠٨: ١٩٧.

عمياء تخبط الناس وتدُوسهم. وهو ما يتطلب نتائج لهذا الافتتان والسَّحْقِ، فذكر (عليه السلام) تعبير (ثُفَالة القِدْر)؛ لإظهار قيمة هؤلاء الذين خبطتهم الفتنة وعَرَكتْهم، فهم - يؤمئذ - كبقية ما يتساقط من قِدر الطبخ من زاد، وما يلبث فيه من عُكارة قعره.

أقول: وهذا الضرب من التعبير من أعلى كلمات البلاغة وأمكْنها في الدلالة على معنى (الرّذالة والسَّفَالة)؛ فقد أراد أنّ هذه الفتنة لا تُبقي من الناس إلاّ الأراذل والسَّفلة؛ لأنها تستخلص المؤمن استخلاص الطيرِ ا لحبَّةُ البطِيْنة من بين هزيل الحبَّ[1]، وذلك بقتل المؤمنين وتشريدهم.

وقد وظّف الإمام مفردة (ثُفَالة)، وهي من مفردات بقايا الأشياء التي تجيء على زنة (فُعَالة) مثل: (النُخَالة) و(الصُّبابَة)[2]، وهي تدل على عدم قيمة هذا الضّرب من الناس، فمن لا خير فيه منهم، شَبَّهه (بثُفالة القِدر) في كونه غير معتبر ولا مْلتفت اليه[3]. ونظير الدلالة المتقدمة، ما ورد في(خ/ ١٩٠).

أَثَافي

الأُثْفِية حجارة تُنصب عليها القُدور[4].

واستعمل الإمام لفظة (أَثَافي) جمع (أُثِفية) مرة واحدة في نهج البلاغة[5]، للدلالة على القرآن الكريم، وذلك في قوله الذي يتحدث فيه عن منزلة (الكتاب): ((فَهُوَ

---

(١) إشارة الى قوله (عليه السلام): ((وتَدُوسُكم دَوسَ الحَصِيدِ،وتَسْتَخلِصِ المُؤمِنَ مِن بَينِكُم اسْتِخْلَاصَ الطَّيرِ الحَبّةَ البَطِينَةَ من بينِ هَزِيلِ الحَبِّ)). نهج البلاغة: خ / ١٠٨.

(٢) ينظر: مع نهج البلاغة: ٩٨.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٥١٣.

(٤) ينظر: العين (ثفي): ٨/ ٢٤٥، ولسان العرب (أثف): ٩/ ٣.

(٥) ينظر المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٧٥.

مَعْدِنُ الإِيـمَانِ وَبُحْبُوحَتُهُ[١]**، وَيَنَابِيعُ الْعِلْـمِ وَبُحُورُهُ، وَرِيَاضُ الْعَدْلِ وَغُدْرَانُهُ، وَأَثَافِيُّ الإِسْلام وَبُنْيَانُهُ...))**[٢]. يصف الإمام القرآن بكونه أساس الإيمان ووسطه. كأنه يومئ بذلك إلى أنّه قلب الإسلام الذي لا يمكن أن يعيش بدونه. وأمّا وصفه بأنه (أَثافي) الإسلام، فذلك إشارة الى كونه الركيزة التي يُنصَبُ عليها الدّين، فاستعار (عليه السلام) المفردة المتقدمة ونقلها من استعمالها المتعارف عند النّاس من أنّها الحجارة التي توضع عليها القِدر، الى الدلالة على (القرآن الكريم) الذي يمثل الرّكيزة التي يستند إليها الدين الإسلامي، فهو – في ذلك- كأثافي القِدر التي يعتمد عليها استقرار قدر الطبخ ونضجه كذلك ؛ فمتى ما اضطربت هذه (الأثافي) كان ذلك علامة على احتراق الطعام وعدم تمامه، وحتّى إذا تم الطبخ، فهذه الحجارة باقية علامة نزول الناس في هذا المكان، فضلاً عن دلالة ذلك على كرم أصحابها، لأنّ وجود آثار النّار وانتصاب حجارتها دال على السّخاء والجود، فأينما وجدت الأثافي، فهي رمز للإطعام والقِرى. وكذلك القرآن الكريم الذي يمثل المَنصب الذي تنتصب عليه أركان الإسلام وأحكامه التي شرعها الله في كتابه الكريم، فهي باقية مُؤثّفَة لا تبرح مكانها كما الأثافي التي لا تنمحي آثارها. ويتضمن التعبير المتقدم الدلالة على فضيلة القرآن الكريم في الإسلام، فمنه أخذ المسلمون تعاليم دينهم، فلولا وجوده ما بقي للإسلام عين؛ لتضَمّنه أصول الدين وقوانينه التي شرعها الله تبارك وتعالى فيه، فيما أخذ على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الجهر بالإسلام وتفصيل تلك الأحكام. ولهذا يجوز أن نقول أنّ المراد (بالأثافي)، في هذا السياق، ما تضمّنه القرآن الكريم من أحكام وأركان وأصول يقوم الدّين عليها[٣].

---

(١) بُحْبُوحَه كل شيءٍ وسطه. ينظر: غريب الحديث (أبو عبيد): ٢/ ٢٠٥.

(٢) نهج البلاغة: خ/ ١٩٨: ٣٩٧، ٣٩٨.

(٣) وقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: ((أَثَافي الإسلام ثَلاثةُ الصَّلاة، والزَّكَاةُ والولَايةُ ؛ لا

د ـ أدوات القطع

المُدَى

المُدْيَة والمِدْيَة هي الشَّفْرة والسِّكِّيْن[١]. وربّما قالوا (المَدْيةُ)، بفتح الميم، وهي لغُة ثالثة فيها[٢]. ويبدو أنّ هذه اللفظة التي تسمّى بها السّكِين، مأخوذة من دلالة مادة (مَدَى) على مَدَى الغاية والأجل، وهو مُنْتَهاه في اللغة[٣]. والعرب تقول: هو مِنّي مَدى البصر[٤]. أي: الى نهايته وغايته. وذكر بعض اللغويين أنّ المُدية أنها سُميّت بذلك ؛ لأنَّ بها انقضاء المَدى والأجل[٥].

واستعملت مفردة (المُدى) مرّتين في نهج البلاغة بصيغة الجمع على (فُعَل)[٦]، للدلالة على السِّكِّين التي تستعمل في الذَّبح والجَرح. وقد وظّف الإمام هذه اللفظة في سياقين ؛ الأول منها سياق الموعظة و التذكير بالله تبارك وتعالى، والغاية التي خلق الإنسان. يقول (عليه السلام): ((**أَيُّهَا الغَافِلُونَ غَيْرُ المَغْفُولِ عَنْهُمْ، وَالتَّارِكُونَ المَأْخُوذُ مِنْهُمْ، مَالي أَرَاكُمْ عَنِ اللهِ ذَاهِبِينَ، وَإِلَى غَيْرِهِ رَاغِبِينَ ! كَأَنَّكُمْ نَعَمٌ أَرَاحَ بِهَا سَائِمٌ إِلَى مَرْعىً وبيّ**[٧]**، وَمَشْرَب دَوِيّ، وَإِنَّمَا هِيَ كَالمَعْلُوفَةِ لِلْمُدَى لَا تَعْرِفُ**

تصحُّ واحدةُ منْها إلاّ بصَاحِبتها)). وسائل الشيعة: ٨/ ٨، ومنهاج البراعة: ١٢/ ٢٧٥. وهذه التي ذكرها الإمام هي الأركان الهامّة في الإسلام، فضلاً ركن (التوحيد). و في كل واحدة من هذه الأركان المتقدّمة تفاصيل أخرى تمثل (أثَافٍ) فرعية جزئية تتفرع عن الأصول الأصيلة التي ذكرها الإمام.

(١) ينظر: العين (مدي): ٨/ ٨٨، ولسان العرب (مدي): ١٥/ ٢٧٢.

(٢) ينظر: لسان العرب (مدى): ١٥/ ٢٧٢.

(٣) نفسه.

(٤) نفسه.

(٥) نفسه.

(٦) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤١٩.

(٧) نهج البلاغة: خ/ ١٧٥: ٣١٤.

مَـاذَا يُـرَادُ بِهَـا!...)). وأراد بـ (الملعوفـة للمُـدى) النَّعَـم التـي تُعْلـف وتـدارى لأجـل ذبحهـا، وهـو بهـذا يُريـد تذكـير النـاس وإلْفـات نظرهـم الى قيمـة الإنسـان في الحيـاة، ومكانتـه عنـد الله تبـارك وتعـالى ؛ لأنهـم غـير مغفـول عنهـم في كل أفعالهـم وحركاتهـم وسـكناتهم. فـلا يكـون جُـلّ همهـم هـو المـأكل والمشرب والابتعـاد عـن أوامـر الله تبارك و تعـالى، فيصـيرون في ذلـك كالبهائـم التـي تُعْلَـف وتُسْـمن، ومـن ثَـمّ تؤخـذ للذبـح.

ويبـدو أنّ الإمـام(عليه السلام) أراد مـن هـذا التشـبيه، بيـان حالـة الجهـل التـي تطغـى عـلى الإنسـان عندمـا يكـون همّـه الأكل والـشّرب والرّكـون الى الدِّعـة، ومـن ثَـمّ مـا يلبـث أن تكـون نهايتـه الى المـوت الـذي يلاقـي فيـه أهـوالاً مـن العـذاب والعقـاب ؛ بسـبب مـن إغفالـه طاعـة الله تبـارك وتعـالى، وإيثـاره إشـباع لذاتـه وشـهواته عـلى رضـا الله، فـلا فـرق حينئـذ، بينـه وبـين البهائـم التـي تُعلـف لأجـل ذبحهـا، والإفـادة مـن لحمهـا وسـائر بدنهـا.

أمـا السـياق الثـاني الـذي وردت فيـه لفظـة (المُـدى)، فهـو سـياق الحديـث عـن يـوم القيامـة والقِصـاص فيـه مـن المذنبـين. يقـول الإمـام بعـد كلامـه عـن أنـواع الظُّـلم: **((...الْقِصَـاصُ هُنَـاكَ شَـدِيدٌ، لَيْـسَ هُـوَ جَرْحـاً بِالْمُـدَى، وَلاَ ضَرْبـاً بِالسِّـيَاطِ، وَلكِنَّـهُ مَـا يُسْـتَصْغَرُ ذلِـكَ مَعَـهُ))**[١]. وقـد اتخّـذ الإمـام في هـذا النـص (الجـرحَ بالمُـدى) أُنموذجـاً لإظهـار شـدّة القصـاص الـذي يكـون يـوم القيامـة، نظـراً لمـا في الجـرح بالمُـدى مـن إيـلام يستشـعره النـاس ويحسُّـونه رأي العـين، لهـذا اتّخـذه الإمـام سـبيلاً للموازنـة بـين قصـاص القيامـة، حيـث عَـدلُ الله تبـارك وتعـالى، وبـين القصـاص في الدنيـا، حيـث جـور الحاكمـين وظلمهـم وأذاهـم.

أقـول: إنّ اسـتعمال الإمـام مفـردة (مُـدى)، للدلالـة عـلى أداة الجـرح في هـذا

(١) نفسه: خ / ١٧٦: ٣٢٠.

الموضع، وأداة الذبح في الموضع الأول الذي تقدم ذكره، يوحي بأنّ لفظة (مُدى) أكثر تعبيراً وإيفاء للمعنى في هذه السياقات من مفردة (سِكّين) مثلاً، التي تؤدي الوظيفة نفسها في (الذّبح والجَرح). بل إن مفردة (مُدى) تؤدي دلالة انتهاء الغاية في حسم الأجَل، أي الذبح، وتحقيق الغاية أيضاً في الجرح بحيث يكون (الجَارح بها) قد حقق أقصى غايته في إصابة عدّوه. ولهذا أُوثِرَت هذه المفردة في كلام الإمام (عليه السلام) على سواها فيما أحسب.

المبحث الثاني
ألفاظ الشرب وأدواتها

١ـ أدوات حمل الماء وحفظه:

الكأس

الكأس في اللغة القَدَح[١]. وتسمّى الخَمْر كأساً أيضاً[٢]. وذكر اللغويون أنّه لا يسمّى الكأسُ بذلك،إلاّ إذا كان فيها شراب، وإلاّ فهي زجاجة[٣]. وثَمّة تفصيل في المدونات اللغوية عن (الكأس). فهو الإناء إذا كان فيه الخَمْر[٤]. وربّما أريد بلفظ (الكأس) ما فيها من الشَّرَاب[٥].

وقد جاءت لفظة (كأس) مجردة من (ال) التعريف خمس مرات في نهج البلاغة، في حين وردت مرة واحدة محلاة بـ (ال)، ومثلها منصوبة (كأساً)[٦]، وذلك للدلالة على ما يأتي:

أولاً: الدلالة على كأس المنية، أو الموت، والظلم.

فقد استعمل الإمام مفردة (كأس) دالة على هذا المعنى في سياق كلامه عن مشاركته والصحابة مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في قتال المشركين مع كونهم من القرابات

(١) ينظر: العين (كأس): / ٥ ٣٩٣.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: فقه اللغة (الثعالبي): / ١ ٤١.

(٤) ينظر: لسان العرب (كأس): / ٦ ١٨٩.

(٥) نفسه.

(٦) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٩٢

القريبة. يقول(عليه السلام): ((**ولَقَد كُنّا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) نَقتُلُ آباءُنا وإخوانَنا وأعمامِنَا ما يَزِيْدُنَا ذَلكَ إلاّ إيماناً وتَسْلِيماً... وجِدّاً في جِهَادِ العَدُوِّ. ولقد كانَ الرَّجُلُ مِنّا والآخَرُ من عَدُوِّنا... يَتَخالَسَانِ أنْفُسَهما أُيُّهُمَا يَسْقِي صَاحِبَهُ كأسَ المَنُوْنِ**))[1].

ويلحظ أنّ الإمام قد جنح بلفظة (كأس) من مجالها الدلالي إلى مجال آخر، بإضافتها إلى مفردة (المَنُون)، لتدل على (المَوْت) أو(القتل). موطِّئاً لهذه الدلالة بذكر مفردة (يَسْقِي) التي تدل على سقي(الشّرب). جاعلاً الموتَ شراباً يتناوله الأعداء بالكأسِ، كما يُسقَى الشارِبون شِرْبَهم بالكأس أيضاً. وهذا الاستعمال بإضافة كلمة (الكأس) إلى مفردة (المنيّة) أو(الموت)، وغيرها من المكاره، يفهم منه الدلالة على تهيئة لوازم الأذى وعواقبه. فكأنّما هَيّأ كُل طرف لصاحبه كأس حتفه الممتلِئَة. وقد جعل (عليه السلام) المنون في السياق المتقدم أشبه بالشّراب الذي ينهل منه الأعداء الذين يتربّص بعضهم بالبعض الآخر الدوائر. وهذا الضرب من التعبير لا يتّسق معه قول اللغويين من أنّ (الكأس) لا تسمى بذلك إلا إذا كان فيها شراب[2]، فلا يستقيم هذا الوجه إلّا إذا كانت (المَنُون) شراباً أو بمنزلة الشّراب. وربّما أشار بالكأس هنا الى ما فيها على أساس إعداد المنون على سبيل استعارة هذه المفردة لجميع ضروب المكارة[3]. أما إيثار المفردة المتقدمة دون غيرها من الألفاظ الدالة على أدوات الشرب في الدلالة المتقدمة، فراجع- فيما يبدو – الى إيحاء هذه الكلمة فيما تحمله من سعة وامتلاء لما يوضع فيها من شراب، ولاسيّما إذا كان ذلك الشّراب معنوياً وليس مادّياً، ففي الكلمة ضرب من الإحساس بالنّشوة والارتواء، لارتباطها بالإناء الذي يوضع فيه الخمر الذي يضفي على النّفس نوعاً

---

(١) ينظر: نهج البلاغة: خ/ ٥٦ / ٩٦

(٢) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٤ / ١٣٧.

(٣) ينظر: المحكم (كأس): ٧ / ٧٨.

من الارتواء، فكأنّما إذا حظي المسلمون بالشهادة فهي أشبه عندهم بالنّشوة التي يضفيها شّراب الكأس على النّفس، في حين أن سقي الكفّار كأس المنون يجعلهم يتيهون في الطيش الذي تسببه الخمرة في رأس شاربها. كأن الإمام (عليه السلام) يريد من ذلك الدلالة التي قصد إليها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ**﴾[1]. فضلًا عماّ تتمتّع به هذه المفردة من جرس الصوتي لصوتي (الكاف) و(السّين) بوصفهما من الأصوات ذات الوقع في أذن المتلقي. وهذه الدلالة هي التي أعانت على كثرة استعمال تعبير (كأس المنية) أو(كأس الموت)، للدلالة على شرب الموت والارتواء من المنايا كما يبدو. ونظير هذه الدلالة ما ورد في (خ/ ٣، ٩٣) من نهج البلاغة.

ثانياً: الدلالة على المعرفة والحكمة.

إذ جعل لهما الإمام كأساً يَرتوِي منها أصحاب هذا الضرب من المعارف. يقول(عليه السلام) في سياق كلامه عن أهل المعرفة والحكمة الذين تجلى بالتنزيل أبصارهم: ((**ثُمَّ لَيُشْحَذَنَّ فِيهَا قَوْمٌ شَحْذَ الْقَيْنِ النَّصْلَ تُجْلَى بِالتَّنْزِيلِ أَبْصَارُهُمْ، وَيُرْمَى بِالتَّفْسِيرِ فِي مَسَامِعِهِمْ، وَيُغْبَقُونَ كَأْسَ الْحِكْمَةِ بَعْدَ الصَّبُوحِ**))[2]. فجعل للحكمة كأساً يشربونها بعد الصّبُوح. فكأنما الحكمة ومن قبلها (التنزيل والتفسير) شراب يَلّتذّ به شَارِبه، ويَفزع إليه طالبه ؛ لأنّه ليس كَكل شراب، فساقِيه هو الله تبارك وتعالى، بقرينة قوله (يُغْبَقُون) الذي استعمله الإمام مبنياً للمجهول، لِيَزيد – فيما أحسب – من شوقِ السَّامع وتَعَلُّقه بهذا المعنى، فيتّسع تَأمّله بالمشروب والشّارب.

وثَمّة موضع آخر جعل فيه الإمام للعلم كأساً، وهو قوله في صِفة العلماء:

(١) الدخان/ ٤٩.

(٢) نهج البلاغة:خ/ ١٥٠: ٢٦١.

((وَاعْلَمُوا أَنَّ عِبَادَ الله الْمُسْتَحْفَظِينَ عِلْمَهُ، يَصُونُونَ مَصُونَهُ، وَيُفَجِّرُونَ عُيُونَهُ، يَتَوَاصَلُونَ بِالْوِلاَيَةِ، وَيَتَلاَقَوْنَ بالْمَحَبَّةِ، وَيَتَسَاقَوْنَ بِكَأْس رَوِيَّة، وَيَصْدُرُونَ بِرِيَّة...))[١]. مشيراً بذلك الى تبادل العلوم والمعارف بين العلماء. وكانت سبيله الى ذلك توظيف مفردات: (يَتَساقُون) و(كأسٍ رَوِيَّة) و(يَصْدُرُون)، في سياق واحد يوحي بالاشتراك في الاستقاءِ بـ (كأسٍ) واحدة،هي (كأسُ المعرفة)،حسبما يذكر ابن أبي الحديد، الذي يقول في بيان كلامه (عليه السلام): ((ويَتَساقون بِكأسٍ. أي بكأسِ المعرفة، والأُنس بالله يأخذ بعضهم عن بعض العلوم والأسرار، وكأنَّهم شربٌ يتَساقُون بكأسٍ من الخَمرِ))[٢]. ويومئ بذلك إلى استعارة الإمام مفردة (الكأس)، للدلالة على العلم لإظهار معنى إفادة هؤلاءِ العلماء من بعضهم البعض الآخر تمام الإفادة، حسبما يشير الى ذلك الشارح البحراني[٣].

إن استعماله (عليه السلام) مفردة (كأس) بدلالة (العِلم)، يرجع - فيما أحسب - الى اشتراكهما في الدلالة على مَحَلِّ الارتواء وموضعه. فكما أنّ (الكأس) محل للشّرب واحتوائه، فالعلم والمعرفة محل أيضاً للعلوم التي يَنْهل منها العلماء.

ونظير هذا التوظيف الدلالي استعمله الإمام (عليه السلام) في (خ/ ٩١).

غَرْب

الغَرب الدَّلْو العظيمة الكبيرة التي يُسْتَقَى بها[٤]. وذكر الخليل أنّ الغَرب أعظم

(١) نفسه:خ/ ٢١٤: ٤١٦.

(٢) شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١١ / ٦٢.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحريني): ٤ / ٢٥.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة (غرب): ٨ / ١١٦.

من الدّلو[١]. كأنه يومئ الى اختلافها عن الدّلو في السّعة، فضلًا عن الشكل كما يبدو. وتتّخذ (الغَرب) من جِلد ثور، ويستعمل بعد ذلك في الاستقاء[٢]. وذكر بعض اللغويين أنّ (الغَرْب) هي الرَّاوية التي يحمل فيها الماء[٣].

واستعمل الإمام (عليه السلام) مفردة(غَرْب) خمس مرات في نهج البلاغة، ثنتان منها مجردة من (ال) التعريف، وواحدة محلاة بها، وثنتان أخريان مضافة فيها إلى كاف المخاطب[٤]، للدلالة على ما يأتي:

أولاً: الدلالة على طُوْلِ اللسان وإسرافه في التجاوز على الناس.

وهو أكثر الدلالات شيوعاً في استعمال مفردة (غَرْبَ)، ومن ذلك قوله (عليه السلام) في سياق وعظ (مالك الأشتَر) ونُصحه: ((**اِمْلُكْ حَمِيَّةَ أنْفِكَ**[٥]، **وَسَوْرَةَ**[٦]**حَدَّكَ، وَسَطْوَةَ يَدِكَ، وَغَرْبَ لِسَانِكَ...**))[٧]. وفي هذا النص وصايا أربع، أولها النهي عن التّكَبَّر والزَّهو، وآخرها مَلْك اللسان عن التجاوز على الناس بالقذف والسُّباب، مما يؤدي به إلى الوقوع في رذيلة التّهوّر، ويلزمه الظّلم حينذاك[٨]. و ميل الإمام

(١) ينظر: العين (غرب): ٤ / ٤٠٩.

(٢) ينظر: لسان العرب (غرب): ١ / ٦٤٢.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (غرب): ٨ / ١١٦، ولسان العرب (غَرَبَ): ١ / ٦٤٢.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٣٤.

(٥) حمية أنفك كناية عن الأَنَفَة والتكبرّ والفخر، ينظر: الديباج الوضي: ٥ / ٢٦٠٥.

(٦) السّورة: هي السّطْوة، والعرب تقول لِلمُعَرْبِد: سَوَّار، ينظر: لسان العرب (سور): ٤ / ٣٨٤.

والحد: مُنتهى كل شيء، والعرب تصف اللسان بالحَدِّ فتقول: السِنَةٌ حِداد إذا كانت مؤذية، ينظر: لسان العرب (حدد): ٣ / ١٤٠.

(٧) نهج البلاغة: ك / ٥٣: ٥٦٨.

(٨) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥ / ٣٦٠.

إلى استعمال مفردة (غَرب) في التعبير عن طولِ اللسان وسعته في التجاوز على الآخرين من الرعية يناسب دلالة مفردة (غَرب) على الدَّلْو الواسِعة العظيمة، وذلك أنّ أصل المفردة المتقدمة يدل على التّمادي واللّجاجة في الأمور[١]، فضلًا عن الحِدّة[٢]. وهذهِ الدلالة تدفع إلى القول إنّ هناك علاقة بين دلالة هذهِ الكلمة على السَّعَة وتجاوز الحَدِّ في التّطاول، وبين لفظة (غَرْب) التي تدل على الدَّلْو العظيمة التي يجمع الماء فيها. بلحاظ سعتها وامتلائها. وبهذا فيكون اللسان أشبه بـ(الغَرب)، من جهة اشتماله وتضمّنه أنواع القَذْف والسُّبَاب، فيمكن أن يكون مملوء بالرذائل كما يكون الغرب مملوءاً بالماء. ولهذا أمر الإمام (مالكاً) بِأن يَملك نفسه عن تلك الصفات الذميمة التي ينبغي تنزيه اللسان عنها.

ومثل هذهِ الدلالة استعملها الإمام في (ك/ ٤٤، ٥٣)

ثانياً:

وثَمّة استعمال آخر وظَّف فيه الإمام (عليه السلام) لفظة (غَرْبَ) في الدلالة على السِّعَةِ. وهو قوله في سياق كلامه عن صفة خَلْق الإنسان وخصاله التي يقول فيها: ((**أَمْ هذَا الَّذِي أَنْشَأَهُ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْحَامِ... ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْباً حَافِظاً، وَلِساناً لاَفِظاً... لِيَفْهَمَ مُعْتَبِراً، وَيُقَصِّرَ مُزْدَجِراً؛ حَتَّى إِذَا قَامَ اعْتِدَالُهُ، وَاسْتَوَى مِثالُهُ، نَفَرَ مُسْتَكْبِراً، وَخَبَطَ سَادِراً**[٣]**، مَاتِحاً**[٤] **فِي غَرْبِ هَوَاهُ، كَادِحاً سَعْياً لِدُنْيَاهُ...**))[٥]. وقد ضَمّن الإمام

(١) ينظر: العين (غَرْبَ): ٤/ ٤٠٩، ومقاييس اللغة (غَرْبَ): ٤/ ٤٢٠

(٢) نفسها.

(٣) السَّادِر هو المتحَيرِّ، وهو مأخوذ من قولهم: سَدَرَ البعير، وذلك تحيرّ من شدّةَ الحَرِّ. ينظر: لسان العرب (سدر): ٤/ ٣٥٤

(٤) الماتح،هو الجاذب الدّلْوَ من البئر ليستقي بها. ينظر: لسان العرب (متح): ٢/ ٥٨٨

(٥) نهج البلاغة: خ/ ٨٣: ١٣٢، ١٣٣

في كلامه المتقدم مفردات تمثل حال الإنسان، بعد تفضّل الله تبارك وتعالى عليه بالخَلْقِ والإنشاء، فما يلبث هذا المخلوق أن يجحد هذه النّعمة. فيصير مستكبراً وهائماً متحيراً، ومن ثَمّ مُسْتقِياً أو مَالِئاً غَرْبه من المآثِم والذنوب التي استحلّها في صحائف أعْمَاله[١]. ويلحظ الشّارح البحراني استعارة الإمام مفردة (الغَرْبَ) للهَوَى، بجعل الهَوى كالغَرْب المملوء ماءً لِيُسْقَى بها. وكأنّ الإنسان إذا كان سائراً في تيه وضلال، جعل هواه وغيّه أشبه بالغرب الذي يعد لملئ الماء والاستقاء به[٢]. فكأنّه الماتح المستقي الذي يكون جلّ همه الحصول على الماء ولو كان ذلك على حساب قيمه وأخلاقه. ومثل هذهِ الدلالة استعملها الإمام (خ / ٢٤٠).

النَّوط

النّوط التَّعليق[٣]. ونُطْت القربة بِنِيَاطها، أي عَلَّقتها[٤]. والنَّوط جُلَيْلَة صغيرة تَسع خمسين مَنّاً تُستَخفّ لَحمل الزَّادِ في السّفّر وتعلَّق في البعير[٥]. والأنواط المعاليق[٦]. والنَّوط ما يُعلّق بِرحْل الرّاكب من قَعْبٍ و غيره[٧]. وقد أخذ اللغويون هذه الدلالة من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) كما سيأتي. والأَنواط ما نُوِّط على البَعيْر إذا أُوْقِر. والتَّنْواط ما يُعَلَّق أو يُزَيَّن به الهَوْدَج[٨]. وقد وردت مفردة

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢ / ٣٩٣

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: العين (نوط): / ٧ ٤٥٥

(٤) نفسه.

(٥) ينظر: العين (نوط): / ٧ ٤٥٥، لسان العرب (نوط): / ٧ ٤١٨

(٦) ينظر: لسان العرب (نوط): / ٧ ٤١٨

(٧) نفسه

(٨) نفسه.

(النَّوْط) و(نوطا) مرة واحدة لكلٍ منهما في نهج البلاغة [١]، للدلالة على ما يأتي:

أولاً: الدلالة على شدّة القَرابة:

واستعمل الإمام مفردة (نَوْطاً)،لإظهار معنى التَّعَلُّق من جهة القرابة و النَّسب، وذلك في مقام وصفه لعلاقة أهل البيت (عليهم السلام) بالنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله)، ودفع النَّاس لهم عن مقامهم ومحاولة إبعادهم عنه. يقول الإمام: ((... **أَمَّا الاسْتِبْدادُ عَلَيْنَا بِهذَا الْمقَامِ وَنَحْنُ الأَعْلَوْنَ نَسَباً، وَالاشَدُّونَ بِالرَّسُولِ نَوْطا، فَإنَّهَا كَانَتْ أَثَرَةً** [٢] **شَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْم**...)) [٣]. أقول: ويتضمن كلامه فَخراً بعُلوِّ النَّسب، وشِدَّة التُّعَلّق برسول الله (صلى الله عليه وآله) في إشارة إلى أنّ منزلتهم هي منزلة النبي نفسها ؛ لقربهم منا نسباً وسبباً. فاستعمل(عليه السلام) مفردة (نَوْطاً) ؛ للدلالة على القرابة والاختصاص. كأنه(عليه السلام) يصف منزلتهم ومنزلته من النبيِّ بمنزلة (النِّياط) من(القَلْب)، فهم العِرْق الذي قد علّق القلب به [٤]. يشير بذلك إلى ما ذكره القرآن الكريم في قصّة (المُباهلة) من جعل الإمام بمنزلة نفس النبي. يقول تبارك و تعالى ﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾ [٥]. وقد ذكر المفسرون، وفي صدارتهم الزّمخشري، فَضْل(أصحاب الكِساء). يقول الزمخشري في توجيه الآية المتقدمة وبيان دلالتها: ((وفيه دليل لاشئَ أقوى منه على فضل أصحاب

---

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٦٤

(٢) الأثرة لاستئثار بالشيء والاستبدادية، ينظر: لسان العرب (اثر): ٤/ ٨.

(٣) نهج البلاغة: خ/ ١٦٢: ٢٨٨

(٤) ينظر: العين (نوط): ٧ / ٤٥٦

(٥) آل عمران / ٦١

الكِساء (عليهم السلام)[١]. وقد وصف المفسرون مشهد (المُباهلة) وقدوم النبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو مُحْتَضِن حسيناً، وآخذاً بيد الحَسن، ومن خلفهم فاطمة تمشي، ومعهم الإمام علي (عليه السلام) لمباهلة نصارى نَجْرَان.[٢]

ثانياً: ما يُعلّق بِرَحْل الراكب من قَعبٍ أو قَدَحٍ وما أشبهه.

وجاءت هذهِ المفردة في سياق كتاب الإمام الذي وجَّهه (لزيادٍ ابن أبيه) مُحَذِّراً إيّاه من خديعة معاوية له. يقول (عليه السلام):((**وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْكَ يَسْتَزِلُّ لُبَّكَ... فاحْذَرْهُ، فَإِنَّمَا هُوَ الشَّيْطَانُ يَأْتِي الْمَرْءَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ... وَقَدْ كَانَ مِنْ أَبِي سُفْيَانَ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَلْتَةٌ مِنْ حَدِيثِ النَّفْسِ، وَنَزْغَةٌ مِنْ نَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ، لاَ يَثْبُتُ بِهَا نَسَبٌ، وَلاَ يُسْتَحَقُّ بِهَا إِرْثٌ، وَالْمُتَعَلِّقُ بِهَا كَالْوَاغِلِ[٣] الْمُدَفَّعِ، وَالنَّوْطِ الْمُذَبْذَبِ**))[٤]. والنّوْط - هنا- ما يُنَاط بِرَحْل الرّاكب من قَعب أو قَدح وما أشبهه حسبما يقول السيد الشريف الرّضي[٥]. والمُذَبْذَب المُضطَرب الذي لا يزال يتَقَلْقَل من حركة الجَمَل واستعجاله في سَيْره، فيكون النّوْط حينئذ متحركاً من جهة إلى جهة[٦]. وقد ساق الإمام

(١) الكشاف: ١/ ٣٩٧

(٢) ينظر: المحرر الوجيز: ٤٤٧١، والتسهيل لعلوم التنزيل: ١/ ١٠٩، والتفسير الكبير: ٨/ ٧١، ومنهاج البراعة: ١٠/ ٨.

(٣) الواغل الذي يهجم على الشرب ليشرب معهم، وليس منهم. ينظر: العين (وغل): ٤/ ٤٤٨.

(٤) نهج البلاغة: ك/ ٤٤: ٥٢٨. وقد نقلت المدونات اللغوية قول الإمام (الواغل المدفع) و (النوط المذبذب). ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٥/ ٢٠٨، لسان العرب (وغل): ١١/ ٧٣٠.

(٥) ينظر: نهج البلاغة: ك/ ٤٤: ٥٢٩، وشرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٦/ ١٣٧، والديباج الوضي: ٥/ ٢٤٣٩

(٦) ينظر: نهج البلاغة: ك/ ٤٤: ٥٢٩، والنهاية في غريب الحديث: ٥/ ٢٠٨، وشرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٦/ ١٣٧، والديباج الوضي: ٥/ ٢٤٣٩.

(عليه السلام) هاتين اللفظتين على وجه التشبيه بين حالِ ابن زياد، وهو الراغب في التعلّق بنسب أبي سفيان، وبين الوَاغِل المُدفّع والنَّوّط المُذَبْذَب. ووجه الشّبَه عدم الثبات والاستقرار في أمر نَسَبه، فمازال قلقا كالنَّوْط المُعَلّق بالرَّحل[١]. وذلك لما كان من حاله في ضَعف النّسب، وقِلّة الحظ من الشَّرَف والكرامة. فهو كالدَّاخل في هذا الأمر دخول المستعجل الموغل في طلب النسب والرِّفعة.

أقول: إنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) يصِّور حال ابن زياد بـ (المُذَبْذَب) الذي لا يستقر على أمرٍ في نَسَبه تَسَاوقاً مع القرآن الكريم الذي استعمل مفردة (مُذَبْذَبِيْنَ) في الدلالة على تَّقَلْقل المنافقين واضطرابهم[٢]. يقول تبارك وتعالى في وَصْفهم ﴿**مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ الله فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا**﴾ [٣].

الإداوة

الإدَاوَة مَطْهَرة للماءَ[٤]. وهي إناء يُتَطَهّر به. وسُمّيت بذلك، لأنها مأخوذة من إداوةُ الشئ وهي آلته[٥]. ويصف اللغويون (الإداوة) بأنها إناء صغير يُصْنَع من جِلْد أو من جِلْدَيْنِ يقابل أحداهما بالآخر، تُتَّخَذ للماء، وتكون منبسطة كالسَّطيح[٦]. وعدّها الثعالبي وعاء من أوعية الماء التي تستعمل في السَّفَر، وَأَوّلها (الرَّكوة)، و(المَطْهَرَة) ومن ثَمَّ (الإدَاوة)[٧]. ويُفهم من كلامه أنهّا ليست من

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): / ٥ ٣١٠

(٢) ينظر: البحر المحيط: ٤ / ٣٠٢.

(٣) النساء / ١٤٣.

(٤) ينظر: العين (إداوة): / ٨ ٩٥، ولسان العرب (إداوة): / ١٤ ٢٤

(٥) ينظر: لسان العرب (إداوة): / ١٤ ٢٤

(٦) نفسه.

(٧) ينظر: فقه اللغة: / ١ ٥٧

الأدوات التي يُتَطهّر بها، وإنما هي من الأدوات التي يحفظ فيها الماء في السَّفَر التي ربّما يُشْرب منها أيضاً. و ذكره مفردة (مَطْهَرة) قبل (الإداوة) يؤيد هذا الوجه.

وقد وردت مفردة(الإداوة) مرة واحدة في نهج البلاغة(١)، دالة على الوعاء الذي يتطهّر به. يقول الإمام في سياق كلامه عن تَصَرّم الدنيا وضرورة الزّهد فيها: ((**أَلاَ وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَصَرَّمَتْ، وَآذَنَتْ بِانْقِضَاء، وَتَنَكَّرَ مَعْرُوفُها... وَقَدْ أَمَرَّمِنْها مَا كَانَ حُلْواً، وَكَدِرَ مِنْهَا ما كَانَ صَفْواً، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلاَّ سَمَلَةٌ كَسَمَلَةِ الْأَدَاوَةِ، أَوْ جُرْعَةٌ كَجُرْعَةِ الْمَقْلَةِ...**))(٢). والسَّمْلَة، بقية الماء الذي يبقى في أسْفل الإناء وغيره(٣)، وأمّا (الإداوة) فقد ذكروا أنها الإناء الذي يُتطهَّر به(٤). وقد استعارها الإمام للدلالة على قِلّة شأن الدنيا، وحقارتها، فكأنّها لمن أرادها وعطش إلى الرّي منها كبقية الماءِ في الإداوة التي يُتطهّر بها(٥).

أقول: ويمكن أن تكون مفردة (الإداوة) دالة على الإناء الذي يُرْتوَى منه، ولكن لما قلّ فيها ذلك، أضحت بمنزلة ما حُضَّر من الأدوات الخاصة بذلك، لِقِلّة شأن ما فيه.

الإبريق

الإبْريْق ضرب من الأواني المخصّصة لحمل المياه والخمر(٦). وذهب بعض

---

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢٣

(٢) نهج البلاغة: خ/ ٥٢: ٩٢.

(٣) ينظر: لسان العرب (سمل): / ١١ ٣٤٥، ومعارج نهج البلاغة: / ١ ٣٣٥، ومع نهج البلاغة: ٦٨.

(٤) ينظر: مع نهج البلاغة: ٦٨.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): / ٢ ٣١٦.

(٦) ينظر: المحكم (برق): / ٦ ٤٠١، ولسان العرب (برق): / ١٠ ١٧.

اللغويين إلى أنّ الإبريق هو الكوز. وقيل: هو مِثْل الكوز(١). والإبريق من الألفاظ الفارسية المعرّبة(٢). وهو على زِنَة (إِفْعِيْل) وجمعه (أَبَارِيْق)(٣). ومفردة (إِبْرِيق) من ألفاظ القرآن الكريم التي وردت في قوله تعالى: ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ﴾(٤). أمَّا في نهج البلاغة، فقد استعمل الإمام (عليه السلام) لفظة (الإِبْرِيق) مرة واحدة(٥)، دالة على الإناء المعروف الذي يستعمل في سَقّي الناس. وذلك في مقام تشبيه عنق الطاووس بالإبريق، في سياق كلامه على بديع خِلْقَة (الطاووس) وجمال صُنْعه. يقول الإمام: ((...**وَمَخْرَجُ عَنُقِهِ كالإِبْرِيْقِ**...))(٦). فشبّه مَخْرج عُنُق هذا الطَّيْر بالإبريق، لشدَّة مَغْرزه وحُسْن قِوَامه، فضلاً عن طوله واستقامته. والإِبْرِيق كذلك يمتاز بطول رقبته التي يُصَبّ منها(٧). ويبدو أنّ الإمام أراد أيضاً بهذا التشبيه إظهار بَرِيْق عُنُق الطاووس ولمعانه أيضاً، ويُفهم ذلك من خلال نوع المعدن الذي يصنع منه (الإبّريق)، فإنّه يعمل من النُّحاس أو الصّفر(٨). فيكون لامعاً بَرّاقاً، ولاسيما عد سقوط الضوء عليه. ويبدو أنّ هذا الأمر هو الذي دفع

---

(١) نفسهما.

(٢) ينظر: المحكم (برق): / ٦ ٤٠١، ولسان العرب (برق): / ١٠ ١٧، وتاج العروس (برق): / ٢٥ ٤٤ ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه اللفظة لم يذكرها الجواليقي. ينظر: المّعرب: (باب الباء): ٩٣-١٣١.

(٣) ينظر: لسان العرب (برق): / ١٠ ١٧، وتاج العروس (برق): / ٢٥ ٤٤.

(٤) الواقعة / ١٧.

(٥) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٦٥.

(٦) نهج البلاغة: خ/ ١٦٥: ٢٩٨.

(٧) ينظر: الديباج الوضي: / ٣ ١٣٧٢.

(٨) نفسه.

العرب إلى تشبيه أباريق الخَمْر برقاب طَيْر الماء في التّراث الأدبي[١]. مقاربة منها بين هذين الأمرين. ولكن الإمام (عليه السلام) خالف هذه الفكرة، فشبّه عُنُق الطاووس بالإبْرِيق الذي يتميز بطول رقبته التي يصب منها الماء. وهو يومئ بذلك الى دِقّة خَلق هذا الطير من هذهِ الجهة. أي أنّ محلّ خروج عُنقه كمحل خروج عنق الإبريق[٢]. ويفَاد من المدونات المعجمية لتوكيد هذا الأمر، وذلك أنهم ذكروا أنّ المفردة المتقدمة تستعمل في دلالة على حُسْن الجِسم والمنظر. إذ يقال: ((جَارِية إبْرِيق)). أي: حسناء برّاقة الجسم واللّون[٣]. كما أنهّم يَصِفُون السّيوف بـ(البِرَيق والإبريق) للمَعانِها[٤].

قَعْب

القَعْب القَدح الغليظ[٥]. ويصنع هذا الضرّب من الأقداح من الخشب، ويكون مُقَعّراً حسبما يذكر اللغويون[٦]. وذكر ابن الأعرابي ترتيباً للأقداحِ بحسب سِعَتِها، وأولها عنده (الغُمَر)، وهو أصغر الأقداح حجماً، إذ لا يَبْلغ رِيِّ الرجل. وثانيها هو(القَعْب)، وسعته قَدر ريّ الرَّجلِ. وربّما يروِي الاثنين والثلاثَة. وآخرها(العُسُّ)[٧]. وهو كما يبدو أكبرها حجمًا.

---

(١) ينظر: لسان العرب (برق): / ١٠ ١٥.

(٢) ينظر: منهاج البراعة: ١٠/ ٤٨.

(٣) ينظر: لسان العرب(برق): ١٠/ ١٥.

(٤) نفسه.

(٥) ينظر: العين (قعب): / ١ ١٨٢، ولسان العرب (قعب): / ١ ٦٨٣.

(٦) ينظر: لسان العرب (قعب): / ١ ٦٨٣.

(٧) نفسه.

وقد وردت مفردة (قَعْب) في نهج البلاغة مرة واحدة [١]، دالة على القدح الغليظ الذي يعمل من الخَشَب. وقد ذكر ذلك في سياق ذم أصحابه وضَجَره من تثاقلهم عن الجهاد ضد معاوية وأعوانه: يقول (عليه السلام): ((... **وَإِنِّي وَاللهِ لأظُنُّ هؤُلاءِ القَوْمَ سَيُدَالُونَ مِنْكُمْ بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ، وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ، وَبِمَعْصِيَتِكُمْ إِمَامَكُمْ فِي الحَقِّ، وَطَاعَتِهِمْ إِمَامَهُمْ فِي البَاطِلِ، وَبِأَدَائِهِمُ الأمَانَةَ إِلَى صَاحِبِهِمْ وَخِيَانَتِكُمْ، وَبِصَلاَحِهِمْ فِي بِلاَدِهِمْ وَفَسَادِكُمْ،فَلَو ائْتَمَنْتُ أَحَدَكُمْ عَلَى قَعْبٍ لَخَشِيتُ أَنْ يَذْهَبَ بِعِلاَقَتِهِ**))[٢]. يريد(عليه السلام) أنّ أصحاب معاوية ملتزمون بأداءِ الأمانة له، والأمانة – هنا – هي ولاؤهم له، وثباتهم على طاعته وأداء كل ما عليهم له، على الرغم من قيادته لهم بالقوة والقهر والخديعة. في حين أنّ أتباع الإمام الذين يخاطبهم في هذا السياق دون ذلك الأمر في الولاءِ والثبات على طاعته، وهو ما يَعجب منه الإمام، لكثرة ما كان منه من مخاطبتهم وإصلاحهم. ولكنّهم خالفوا الإمام، وصاروا خونة ومُخَادِعين. ولهذا صوّر حالهم في حفظ الأمانة بأنّه لو ائتَمَنَهم على أدنى الأشياء، وهو(القَعْب)، لخشي أن يذهبوا به وبما يعلق به من ليف أو ما شابه ذلك عند غسله. وقد استعملت مفردة (عَلاقَته) في هذا النص، للدلالة على حقارة الأشياء وقلة شأنها ؛ لأنّ (العَلاَقَة)هي ما يَعْلَق بالأواني والأدوات من قذر أو ليف وغيره. وجاءت هذهِ المفردة لِتَعضد الدلالة على تضييع هؤلاء القوم الأمانةَ وخيانتها، ولو كانت قدحا علق به شيء من القذَر. وقد ذكر الشرَّاح أنّ استعمال الإمام مفردتي (قَعْب) و(عَلاَقَته) يراد منهما المبالغة في ذمِّ هؤلاء الجماعة، ووصفهم بالخيانة، فجاءت اللفظتان المتقدمتان كناية

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٧٧.

(٢) نهج البلاغة: خ/ ٢٥: ٥٧، ٥٨.

عـن خيانتهـم الأمانـة في عهـد الإمـام إليهـم بأوامـر الله تبـارك وتعـالى[١].

٢ـ الآبار ومتعلقاتها.

الرَّكِيّ

الرَّكِيَّة هي البِئْر التي تُحْفَر[٢]. وهذهِ المفردة من الألفاظ التي أصل إلفها واو، لأنها مأخوذة من (رَكَوْت).ومعناه حَفَرْت[٣]. و(الرَّكِيِّ)، في اللغة،جمع (رَكِيَّة)[٤].

استعملت لفظة (الرَّكِيِّ) في نهج البلاغة مرة واحدة[٥]، دالة على البِئْر. وذلك في سياق كلامه (عليه السلام) عن أصحابه ومَلِلِه منهم، بَعْدَما خالفوا أمره يوم التحكيم، إذ يقول (عليه السلام):((... **أَمَا وَاللهِ لَوْ أَنِّي حِينَ أَمَرْتُكُمْ بِما أَمَرْتُكُمْ بِهِ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الْمَكْرُوهِ الَّذِي يَجْعَلُ اللهُ فِيهِ خَيْراً، فَإِنِ اسْتَقَمْتُمْ هَدَيْتُكُمْ وَإِنِ اعْوَجَجْتُمْ قَوَّمْتُكُمْ وَإِنْ أَبَيْتُمْ تَدَارَكْتُكُمْ، لَكَانَتِ الْوُثْقَى، وَلكِنْ بِمَنْ وَإِلَى مَنْ؟ أُرِيدُ أَنْ أُدَاوِيَ بِكُمْ وَأَنْتُمْ دَائِي... اللهمَّ قَدْ مَلَّتْ أَطِبَّاءُ هذَا الدَّاءِ الدَّوِيِّ، وَكَلَّتِ النَّزْعَةُ بِأَشْطَانِ الرَّكِيِّ**))[٦]. والرَّكِي -هنا- هي البئر المضطربة الحَفْر التي تُنْزل بها الحبال القوية الفتل حتى لا تُنْقطَع. وقد ضرب الإمام (عليه السلام) هذا التعبير مثلاً لحاله مع هؤلاء القوم الذين يريد تقويمهم وإصلاحهم حتى كَلّتِ النّزعَة بمن يسحب حبال الرَّكِيّ. و(النَّزْعة) هم الذين يجذبون حبال البئر وينتزعونها لإخرج الماء من البئر. وهذه استعارة، قصد

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٢٤٣، ومنهاج البراعة: ٣/ ٩٣.

(٢) ينظر: العين (ركو): ٥/ ٤٠٢، وتهذيب اللغة (ركو): ١٠/ ١٩١، ولسان العرب (ركا): ١٤/ ٣٣٤.

(٣) ينظر: لسان العرب (ركا): ١٤/ ٣٣٤.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة (ركو): ١٠/ ١٩١.

(٥) المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٩٤

(٦) نهج البلاغة: خ/ ١٢١،٢٢٤.

منها الإمام تشبيه أصحابه في بُعْدِهم عن الإصلاح بمن وقع في قَعْر بئر عميق، وقد كُلَّ عن جَذبه وإخراجه[١]. والعِلة في ذلك راجعة إلى عدم استجابة هؤلاء للإعانة والنّصح والارشاد الذي يقدّمه الإمام لهم، وليس إلى ضعف الإمام وعدم قدرته على جذب هؤلاء وإرجاعهم الى الطريق القويم. ويشبّه الإمام (عليه السلام) نفسه في هذا التعبير بـ(النّازع) الذي ينتزع الحبال من البئر، مستعيراً، لنصائحه وكلامه، لفظة (الأشْطَان)، وهي الحِبال التي تُجرُّ بها دِلاَء الآبار. فكأن كلامه ونصائحه لهم بمنزله هذهِ الأشطان. في حين أنّه استعار مفردة (الرّكِيّ)، لحال هؤلاء الناس من جهة وصف ضلالهم وتَيْههم، وكأنهم في بئر عميقة مظلمة مُضْطَربة الحَفْر، وهم بحاجة إلى مَنْ يُنجِيهم منها. والجامع في ذلك هو إحياء هذهِ النفوس المريضة، وإعادة الوعي اليها، كما يصنع المُسْتَقِي الذي يخرج الماء من الآبار؛ ليحيي بها الأرض المَوات، فإن أتعبته الأرض وكَلَّت نفسه عن سَقْيِها أثّر ذلك في إحيائها[٢].

الطَّوِيّ

الطَّي -في اللغة- نقيض النَّشر[٣]. والطّوِي هي البِئَر المطويّة بالحجارة[٤]. وهي التي تبنى بالحجارة من رأسها. ومفردة (طَوِيّ) في الأصل صفة مشبهة على زنة(فَعِيل) بمعنى(مَفْعُول)،ولهذا جمعوه على وزن (أفْعَال)، فيقولون(أطْوَاء)، وقد صح جمعها هكذا لانتقالها من باب الوصفية إلى باب الاسمية[٥].

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): / ٣ ٥٥٥.

(٢) ينظر: منهاج البراعة: / ٨ ١١٩.

(٣) ينظر:العين (طوي):٧/ ٤٦٦، ولسان العرب(طوي):١٥/ ١٨.

(٤) نفسهما.

(٥) ينظر:النهاية في غريب الحديث:٣/ ١٤٦،ولسان العرب (طوي):١٥/ ١٨.ومعاني الأبنية:٦١.

وقد وردت لفظة (الطَّوِيّ) مرة واحدة في نهج البلاغة [١]، دالة على البِئْر العميقة البعيدة القَعْرِ المَطْوِيَّةِ بالحجارة التي يُسْتَقَى منها الماء. واستعملها الإمام (عليه السلام) في سياق كلامه من عِلْمه المكنون الذي اسْتأثر به قَلبه مخافَة على القوم من سَماعِه، لأنّهم لا يتحملون نتائجه وآثاره عند البَوْح به. يقول (عليه السلام): ((... **بَلِ انْدَمَجْتُ عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ، لاَضْطَرَبْتُمُ اضْطِرَابَ الأَرْشِيَةِ فِي الطَّوِيِّ البَعِيدَةِ**))[٢]. وقد وظف الإمام مفردة (**الطَّوِيّ**) في هذا السياق، للدلالة على البئر المَطْوِيّة التي رُصَّ رأسها بالحجارة؛ لتَبْقَى دائمة،ولا تسقط فيها الحجارة أو الرّمال، فَتصِيب ماءها.وتدل المفردة المتقدمة على ثبُوت الوصف في الدلالة على البئر المَطْوِيِّ بالحجارة. فلا حاجة عند ذاك إلى الأخذ بما ذهب اليه ابن الأثير الجزري من أنّ هذهِ اللفظة كانت في أصلها صِفَة مشبهة بوزن (فَعِيل) يراد بها (مَفْعُول)[٣]. إنما هي (فَعِيْل)، فحسب دون حاجة الى مجاوزتها دلالة صيغتها الأصلية. والدليل على ذلك أنّ الإمام (عليه السلام) أراد من استعمالها بيان دلالة البئر التي تُطّوى بالحجارة، ليقام عمدها ويحافظ عليها لعُمقها وبُعد قَعْرها. إذ يفهم من كلامه أنّه أراد ثبوت صفة (طَيِّها) وليس (طُرُوئها) وتغيّرها؛ لأن بناء(فَعِيْل) إذا جاءت بمعنى (مَفْعُول)، فَسَيَنتقل الوصف بها من الثبوت والدوام الى معنى قريب من الثبات والحدوث أيضاً[٤].

أقول: و لو عُمِد إلى الموازنة بين مفردتي (طَوِي) التي تقدمت دلالتها، وبين

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة:٢٨٠.

(٢) نهج البلاغة:خ/ ٦:٣٦. وقد نقلت المدونات اللغوية قول الإمام المتقدم.ينظر: النهاية في غريب الحديث:٢/ ١٣٢،ولسان العرب (طوي):١٥/ ١٨.

(٣) ينظر: النهاية في غريب الحديث:٣/ ١٤٦.

(٤) ينظر: معاني الأبنية:٦١.

مفردة (قَلِيْب) مثلاً، بوصفها دالة على البئر أيضاً، لوجِد أن (قَلْيباً) يُراد بها البئر قبل أن تطوى، فهي البئر العادية القديمة التي لا يعلَم لها ربّ أو حافِر،والتي قد تكون ذات ماء أو غير ذات ماء[1]. ويبدو من كلام اللغويين أنها ليست بعيدة القَعر. ويفهم من ذلك أن (الأَرْشِيَة)، وهي حبال الدِّلاء، لا تضطرب إلاّ في (الطَّوِي) البعيدة القَعر، بسبب من عمق هذا النوع من الآبار التي تتطلّب حبالاً طويلة. ولهذا وظّف (عليه السلام) هذا التعبير مؤثراً فيه استعمال مفردة (الطَّوِيّ)، لمناسبتها السياق الذي انتظمت فيه. فإنّها مع وصفها بلفظ (البعيدة) تتضمّن الإشارة الى موضع العلم العميق والبعيد الأثر، الذي تَنْطوي عليه نفسه (عليه السلام)، فكأنه يومئ بذلك الى عمق علمه وغزارته وصفائه، بشكل لايمكن لأحد النّهل منه الاّ من كان مستعداً لتحمّل مشاق الغوص في أعماقه، بوصفه موضع الارتواء الذي تُحيى به عقول الناس.

القَلِيْب

القَلِيْب اسم من أسماءِ البِئر البَدِيء العادِية القديمة، مطوية كانت أو غير مطوية، فيها ماء أو لم يكن فيها ماء[2]. وقيل: بل هي البِئر قبل أن تطوى، فَإن طُويت، فهي البِئر الطَّوي[3]. وتُسمّى البئر قليباً ما كان فيها عين ماء وإلّا فلا تسمّى بذلك[4]. وخصّ اللغويون هذا النوع من الآبار التي تُسّمى (قَليباً)، بكونها غير معروفة الحافر الذي حفرها [5]. وذكروا أنّ علّة تَسمِيتها بـ(القَلِيْب)

(١) ينظر: لسان العرب (قلب): ١/ ٢٨٥.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (قلب): ٩/ ١٤٤.

(٣) ينظر: العين (قلب): ٥/ ١٧٠، ولسان العرب (قلب): ١/ ٦٨٩.

(٤) ينظر: لسان العرب (قلب): ١/ ٦٨٩.

(٥) ينظر: لسان العرب (قلب): ١/ ٦٨٩، والمحكم (قلب): ٦/ ٤٢٥.

ترجع الى أن حافرها قَلَب ترابها[١].

وقد وردت لفظة (القَلِيْب) في نهج البلاغة مرة واحدة[٢]، دالة على القَليب، وهو بِئر الماء غير المطويَّة، وخصّ بها - هنا - قَليب بدر التي سيطرح فيها قتلى المشركين في وقعة بدر. يقول الإمام (عليه السلام) في سياق كلامه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وموقف قريشٍ منه ذاكراً رفقته مع النبي: ((**وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ(صلى الله عليه وآله وسلم) لَمَّا أَتَاهُ الْمَلأُ مِنْ قُرَيْش، فَقَالُوا لَهُ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ قَدِ ادَّعَيْتَ عَظِيماً لَمْ يَدَّعِهِ آبَاؤُكَ وَلاَ أَحَدٌ مِن بَيْتِكَ، وَنَحْنُ نَسأَلُكَ أَمْراً إِنْ أَجَبْتَنَا إِلَيْهِ وَأَرَيْتَنَاهُ، عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ، وَإِنْ لَمْ تَفعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ.فَقَالَ (صلى الله عليه وآله وسلم): وَمَا تَسْأَلُونَ؟. قَالُوا: تَدْعُو لَنَا هذِهِ الشَّجَرَةَ حَتَّى تَنْقَلِعَ بِعُرُوقِهَا وَتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ. فَقَالَ(صلى الله عليه وآله وسلم): إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْء قَدِيرٌ، فإِنْ فَعَلَ اللهُ ذلِكَ لَكُمْ، أَتُؤْمِنُونَ وَتَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ؟. قَالُوا: نَعَمْ. خَيْر، وَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي الْقَلِيبِ، وَمَنْ يُحَزِّبُ الأَحْزَابَ**))[٣]. فنقل أمير المؤمنين هذا الخبر ذاكراً نصّ الحوار بين النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والمشركين من قُريشٍ، حتى ذكر لهم ما سيحصل في قابل الأيّام من عدم رجوعهم الى الإسلام وطريقة، ومن يُطرح منهم في (القَلِيْب). في إشارة منه الى غزوة (بَدْر)، التي قُتِل فيها جمهور كبير من المشركين، وجمع هؤلاء القتلى في هذهِ البئر بعد ذلك، حتى ذكرت الروايات التأريخية خطاب النبي الأكرم لهم عند وقوفه على تلك القَليب، مخاطباً القتلى ومذكراً لهم بوعد الله تبارك وتعالى[٤].

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة (قلب): ٩ / ١٤٤، ولسان العرب (قلب): ١ / ٦٨٩.

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٧٩.

(٣) نهج البلاغة: خ/ ١٩٢: ٣٧٩.

(٤) ينظر: السيرة النبوية (ابن هشام): ٣ / ١٨٧، ١٨٨ - وسيرة ابن إسحاق: ٣ / ٣٠١ وما بعدها - والمقتفى من سيرة المصطفى، لابن حبيب: ١ / ١٣٠، ١٣١.

أشْطَان

الشَّطْن - في اللغة - الحبل الطويل الشّديد الفَتل الذي يُستقى به[١]. وربما استعمل هذا الحبل في شدّ الخيل[٢]. والشَّطن الحبل الذي يُشطَن به الدّلو[٣] والشّطون البعيد[٤]. ومنه بِئر شطون أي بعيدة القعر وتكون ملتوية عوجاء متّسعة من الأعلى ضيّقَة من الأسفل[٥]. ويبدو أنّ الأصل في دلالات هذا الجذر اللغوي هو النأي والبعد. يقال: شَطَنَت الدّار شُطوناً. أي: بعدت[٦]. وردت مفردة (أَشْطَان) و(أشطانها) في نهج البلاغة مرة واحدة لكل منهما[٧] بصيغة الجمع على زنة (أَفْعَال) للدلالة على ما يأتي:

أولاً: الدلالة على حبل البِئْر.

وهو الحبل المفتول الطويل. وقد ذكر الإمام هذهِ الدلالة في قوله الذي يَتَضَجَّرُ منه من آمر أصحابه وحالهم حينما أشار عليهم بعدم قبول التحكم في صفتين[٨] إذ يقول (عليه السلام): ((... **أَمَا وَاللهِ لَوْ أَنِّ حِيَن أَمَرْتُكُمْ بِما أَمَرْتُكُمْ بِهِ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الْمَكْرُوهِ الَّذِي يَجْعَلُ اللهُ فِيهِ خَيْراً، فَإِنِ اسْتَقَمْتُمْ هَدَيْتُكُمْ وَإِنِ اعْوَجَجْتُمْ قَوَّمْتُكُمْ وَإِنْ أَبَيْتُمْ تَدَارَكْتُكُمْ، لَكَانَتِ الْوُثْقَى، وَلكِنْ بِمَنْ وَإِلَى مَنْ؟ أُرِيدُ أَنْ أُدَاوِيَ بِكُمْ**

(١) ينظر: العين (شطن): ٦ / ٢٣٦، والمحكم (شطن): ٨ / ١٧، ولسان العرب (شطن): ١٣ / ٢٣٧.

(٢) ينظرك المحكم (شطن):٨/ ١٧.

(٣) ينظر: المحكم (شطن): ٨ / ١٧، ولسان العرب (شطن): ١٣ / ٢٣٧.

(٤) نفسهما.

(٥) نفسهما.

(٦) ينظر: لسان العرب (شطن): ١٣ / ٢٣٨.

(٧) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢٤٠.

(٨) ينظر: الديباج الوضي: ٢ / ٩٩٦.

وَأَنْتُمْ دَائي... اللهمَّ قَدْ مَلَّتْ أَطِبَّاءُ هذَا الدَّاءِ الدَّوِيِّ، وَكَلَّتِ النَّزْعَةُ بِأَشْطَانِ الرَّكِيِّ...))[١]. ويلحظ تَذمره (عليه السلام) من مخالفة أصحابه واضطرابهم عليه، ولذلك صوّر حاله معهم بمن يَكِلُّ من جَّذب أَشْطَان البئر، وهي الحِبَال التي يُجْذب بها الدَّلْو. مُستعيراً لذلك مفردة(النَّزْعَة) لنفسه، فكأن أصحابه في قَعر بِئْر عميقة، وقد كَلّ وجزع من جَذْبِهم الى الطريق القويم[٢]. مع أنه لم يَأْلُ جُهداً في نُصحهم ودلالتهم على الأمر الذي فيه صلاحَهم، ولكنّهم أَبَوا إلاّ مُخالفته[٣].

أمّا مَزِيّة مفردة (أَشْطَان) في هذا السياق على غيرها من الألفاظ التي تدل على حِبَال البئر التي تجذب دَلْوه، فيبدو لي أنّها تناسب المعنى العام للنص الذي قصد فيه أمير المؤمنين، بيان حال أصحابه وانخراطهم عن رأيه ومشورته، وهم في ذلك كالصَّعب النّفور من الدوّاب الذي يكون بحاجة الى حَبْل شديد الفَتْل يمكن أن يُعِين على جَذْب الفَرس الصَّعْبَة، فضلا عن ربطها بهذا النوع من الحِبَال التي ذُكِر أنّها تُشدّ بها الخَيل[٤]. فضلًا عن أنّ هذا الضرَّب من الحبال مختص - كما يبدو - بنوع من الآبار، وهي البئر البَعِيدة القعر الشديدة العمق التي تُوْصَف في التراث العربي بأنها (شَطُوْن). وذلك إذا كانت ملتوية عَوْجَاء ضيقة القَعر[٥]. وقد عزَّز الإمام هذه الدلالة، بذكر مفردة (الرَّكِيّ) التي تدل على البئر المحفورة التي لم تَطْوَ[٦]. وهي بذلك غير منتَظمة الحفر.

---

(١) نهج البلاغة: خ/ ١٢١: ٢٢٣، ٢٢٤.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): / ٣ ٥٥٥، ومنهاج البراعة: / ٨ ١١٩.

(٣) ينظر: الديباج الوضي: / ٢ ٩٩٨.

(٤) ينظر: المحكم (شطن): ٨/ ١٧.

(٥) ينظر: المحكم (شطن): ٨/ ١٧، ولسان العرب (شطن): / ١٣ ٢٣٨.

(٦) ينظر لسان العرب (ركو): / ١٤ ٣٣٤، والمعجم الوسيط:١/ ٣٧١.

أقول: ولا يخفى لمن تبصّر في كلامه (عليه السلام) المتقدم أنّ حال أصحابه تشابه الحال التي عليها هذا الضّرب من الآبار التي تكون بحاجة الى (أشْطَان) متعددة لجَذْب الماء منها، بسبب من عدم انتظام حفرها واعوجاج باطِنِها. فلهذا استعملت مفردة (أشْطَان) بصيغة الجمع ؛ لِيُظْهر حال القوة والجُهد الذي يَبْذَله مع هؤلاء القوم الذين يَعْصُونه و يَمْتَنِعُون عليه عند جَذْبِهم الى الطريق القويم التي يرشدهم إليها. ولعّلنا نفهم هذه الدلالة من تفسيرات اللغويين لكلمة (الشَّطْن)، التي تعني الحَبْل الطويل الشديد الفَتْل، فإذا كانت كلمة(الشَّطْن) لفظاً مفرداً دالّة على الحبل شديد الفَتْل، فكيف إذا كانت تلك (الأشْطَان) جمعاً عند ذلك.

ثانياً: الدلالة على الحبال التي تجذب بها الأَعْمار.

فقد جعل(عليه السلام) (الأشْطَان) بمنزلة الحبل التي يَخلج به الموت الأعمار. يقول في وصف ذلك: ((**وَخَلَقَ الآجَالَ فَأَطَالَهَا وَقَصَّرَهَا، وَقَدَّمَهَا وَأَخَّرَهَا، وَوَصَلَ بِالْمَوْتِ أَسْبَابَهَا، وَجَعَلَهُ خَالِجاً**[1] **لأَشْطَانِهَا، وَقَاطِعاً لِمَرائِرِ أَقْرَانِهَا**))[2]. والخَالِج – هنا – هو الموت الذي يَجْذب الأرواح ويَسْلِبها بأمر الله تبارك وتعالى. فاستعار لفظ (الخَالِج) للموت وجعل مفردة (أشْطَانِها) هي القرينة الدالة على وجه الاستعارة. ووجه المشابهة ما يستلزمه الموت من قرب الأجل، مثلما يستلزم الجاذب قرب ما يجذبه اليه، فقدّر(عليه السلام) الموت جاذباً لآجال الناس بحباله[3].أمّا إيثاره مفردة (أشْطَان) على غيرها من الألفاظ التي تدل على(الحبل)، فَأحسبه يرجع الى ايحاء اللفظة المتقدّمة وتأثيرها في نفس المتلقي من شدّة غلظتها وقوة فَتلِها، فضلاً عن

---

(١) الخَلْجُ الجَذْبُ، والخالِج الجَاذِب. ينظر: لسان العرب (خلج): / ٢ ٢٥٦.

(٢) نهج البلاغة: خ/ ٩١: ١٦٥.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): / ٢ ٤٦٥.

طولها الذي يومي الى امتدادها ووصولها الى أبعد مخلوق يراد أخذ أَجله. وقد عزَّز الإمام التعبير المتقدم، بذكره مفردات دالة على الحبال أيضاً، ومنها مفردة (مَرَائرِ)، وهي ضَرب من الحِبال اللطيفَة الدقيقة الموصوفة بالطول وشِدّة الفتل[١]. ومفردة (أَقْرَان) أيضاً التي تدل على الحبل المفْتُول المتّخذ من لحاء الشّجر[٢]، أو الذي يُقْرن به البَعِيران بعضمهما الى البعض الآخر[٣].

أقول: لقد جعل (عليه السلام) الموت قاطعاً لِمرائِرِ أَقران الحياة التي ترتبط بها لوازمها وسبلها، موظّفاً المفردتين المتقدّمتين على سبيل الاستعارة، ناقلاً مفردة (مَرَائر) من مجالها الدلالي الذي تدل فيه على الحبال الدقيقة القوية الفتل، الى الدلالة على العلاقة التي تربط الناس بعضهم بالبعض الآخر، جاعلاً منها كالمَرَائِر من الحِبَال التي يُربط بعضها ببعض، كاشفاً عن ذلك بقرينة لفظية، وهي كلمة (أَقْرَان) التي تدل -كما تقدم- على الحبل الذي يربط به البِعْيْر الى بَعِيْر آخر معه. للدلالة على اقترانهما وجمعهما معاً، وهو ما أراد النصّ إظهاره -فيما يبدو- من خلال الإشارة الى أن الموت يسعى الى قطع علاقات الإقتران والقرابة بين الناس سواء كانت علاقات أخوّة أوصداقة وغير ذلك من الأسباب التي تؤدي الى اجتماع الناس وتقاربهم[٤].

الأَرْشِية

الرِّشاء رَسَن الدَّلو كما يذكر الخليل[٥]. وهو الحَبل الذي يسحب به دَلو

(١) ينظر: المحكم (مرر): / ١٠ ٢٥١، وتاج العروس (مرر): / ١٤ ١٠٩.

(٢) ينظر: تاج العروس (قرن): / ٣٥ ٥٣٠.

(٣) ينظر: المحكم (قرن): / ٦ ٣٦٤.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): / ٣ ٤٦٦.

(٥) ينظر: العين (رشو): / ٦ ٢٨١.

البِئر[١]. وأرْشَيت الدَّلْو ؛ إذا جعلت له رُشاء[٢]. ومن النّكت اللغوية ما ذكره بعض اللغويين في علّة تَسمية رَسَن الدَّلْو رِشَاء، فقد ذكر أنّ ذلك يرجع الى التّوصّل به الى الماء كما يوصل بالرُّشوة الى ما يطلَب من الأشياء[٣]. ويقال لأغصان الشجر وخيوط الحَنظَل و اليَقْطِين أَرْشِيَة ؛ لأنها تمتدُّ كما يمتَد الحَبْل[٤]. وذكر الأصمعي أنّه إذا امتدَّت أغصان الحنظل. قيل: أرْشَت، أي صارت كالأَرشية، وهي الحبال[٥]. وتجمع هذهِ المفردة على (أفْعِلَة)، فيقال فيها (أرْشِيَة)[٦].

وقد استعمل الإمام لفظة (الأرْشِيَة) بصيغة الجمع مرة واحدة في نهج البلاغة[٧]، دالة على رَسَن الدَّلْو، وهو حبله الذي يُرسل به الى سُرُة البِئر. وقد ذُكِرت هذهِ المفردة في سياق كلامه(عليه السلام)عن مَكْنُوْن عِلمه، وما سيحصل للناس لو بَاح به. إذ يقول: ((... **بَلِ انْدَمَجْتُ عَلَى مَكْنُونِ عِلْم لَوْ بُحْتُ بِهِ لاَضْطَرَبْتُمُ اضْطِرَابَ الأَرْشِيَةِ في الطَّوِيِّ البَعِيدَةِ**))[٨]. يريد أنّ ارتباكهم وعدم استقرارهم، سيكون بسبب من سماعهم (مكنون علم) لا يعرفون كُنهه، هذا أولاً. وثانياً أن اضطرابهم سيكون شبيهاً باضطراب الحِبَال التي تمسك الدَّلو عند إنزاله الى قَعر البِئر، لأنها لا تستقيم على حال عند استعمالها في جذب الماء من الآبار. وقد ذكر الشّارح البَيْهقي أنّ هذا الاستعمال الذي أورده الإمام يدل على حالِ هؤلاء

(١) ينظر: لسان العرب (رشا): / ١٤ ٣٢٢، وتاج العروس (رشو): / ٣٨ ١٥٣.

(٢) ينظر: النهاية في الغريب الحديث: / ٢ ٢٢٦، ولسان العرب (رشا) / ١٤ ٣٢٣.

(٣) ينظر: لسان العرب (رشا) / ١٤ ٣٢٣.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة (رشو): / ١١ ٢٧٩.

(٥) نفسه.

(٦) ينظر: العين (رشو): / ٦ ٢٨١، والمغرب في ترتيب المعرب: / ١ ٣٣١.

(٧) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٨٨.

(٨) نهج البلاغة: خ/ ٥: ٣٦.

النّاس عند سَماعهم هذهِ الأسرار التي أشار اليها الإمام ؛ لأنها ستؤدي الى انفعال أنفسهم انفعالاً يَلِيْق بهذه الأسرار[(١)]. ويحتمل أن يكون المراد من اضطرابهم الإشارة الى تَشَتُّت آرائهم عندما يكشف لهم ما يكون أمْر الخلافَة والى من ينتهي، وما سيؤول إليه حال الناسِ مما أعلمه به الرّسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، فشبّه اضطراب آرائهم باضطراب (الأرشية) التي تمسك الدلاء عند إرسالها في الآبار مبالغة في بيان حال الناس واختلافهم الشديد عند بوحه بهذا العِلم[(٢)]، وذلك أنّ البئر كلما كانت عميقة بعيدة، كان اضطراب الأرشية أشد وأكثر بسبب من طولها. وثمّة عِلّة أخرى أشار إليها بعض من نقل عنهم البحراني، وهي علّة تغيّر سبب الاضطراب، وتحيله الى اضطراب من خوف الله وخشيته، وذلك أنهم رأوا أنّه (عليه السلام) أراد القول إنّه انطوى على مكنون العلم بأحوال الآخرة وما شاهده من نعيمها وبؤسها مما لو كشفه لهم، لاضطربوا اضطراب الأرشية في الطّوِي البعيدة، خوفاً من الله ووجلاً من عتابه وشوقاً الى ثوابه، ولَذُهِلُوا عمّا هم فيه من المنافسة في شؤون الدنيا[(٣)].

٣ـ المشرب المُرّ.

أُجَاج

الأُجاج الماء المُرّ المِلْح[(٤)]، وأجَّ الماء يؤُجّ أُجُوجاً، إذا صار مالحاً[(٥)]. وقيل ماء

---

(١) ينظر: معارج نهج البلاغة: ١/ ٢٤٢.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ١/ ١٩١، ومنهاج البراعة: ٣/ ١٢٤.

(٣) نفسهما.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة (أجج): ١١/ ١٥٩.

(٥) ينظر: تهذيب اللغة (أجج): ١١/ ١٥٩، ولسان العرب (أجج): ٢/ ٢٠٦.

أُجَاج. أي مالح شديد المرارة أو شديد الحرارة[١]. وهذه الصّفة تنطبق على ماء البحر الذي يكون مالحاً الى درجة المَرَارة[٢]. والأُجَّة شِدَّة الحَرِّ وتوهّجه. ومن هذا المعنى يوصف الماء أحياناً بأنَّه شديد الحرارة، إذا كان أُجّاً. والعرب تقول: إئتَجَّ الحَرّ إئتِجاجاً، وحرَّق الحرّ أُجَاجاً. إي اشتدَّ وتوهّج[٣].

ومفردة أُجاج من مفردات نهج البلاغة التي استعملها الإمام مرتين[٤]، دالة على الماء المِلْح الذي لايُستَساغ طَعْمه. واستعمل الإمام هذه الدلالة لتأكيد أنّ الحياة لابدّ أن يكون فيها ما يُنَغِّصها من كَدر وألم. وجاء هذا التعبير عند الإمام في سياقين مختلفين كل منها يدل على فَرَادَة المعنى وتميّزة، ومن ذلك قوله الذي يتحدث فيه عن (المُرِيْدِيْنَ لله،الرّاغِبين فيه)، وهم الذين هَاموا في حبّ الله تبارك وتعالى ؛ فَنَسوا اللَّذَّات و الشَهوات. يقول(عليه السلام): ((**وَبَقِيَ رِجَالٌ غَضَّ أَبْصَارَهُمْ ذِكْرُ الْمَرْجِعِ، وَأَرَاقَ دُمُوعَهُمْ خَوْفُ الْـمَحْشَرِ، فَهُمْ بَيْنَ شَرِيد نَادٍّ، وَخَائِف مَقْمُوع... قَدْ أَخْمَلَتْهُمُ التَّقِيَّةُ، وَشَمِلَتْهُمُ الذِّلَّةُ، فَهُمْ في بَحْر أُجَاج، أَفْوَاهُهُمْ ضَامِزَةٌ**[٥]**، وَقُلُوبُهُمْ قَرِحَةٌ، قَدْ وَعَظُوا حَتَّى مَلُّوا، وَقُهِرُوا حَتَّى ذَلُّوا، وَقُتِلُوا حَتَّى قَلُّوا**))[٦]. يصف الإمام حال الراغبين في الله، ويذكر تَشدِيدهم وقمع السُّلطة لهم، وكيف بَرَاهم الخوف والتّقيّة من الظالمين، ما يجعلهم خامِلين من التّقيّة، لا جزاءَ لهم الاّ القَهر

(١) ينظر: تهذيب اللغة (أجج): ١١/ ١٥٩.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: لسان العرب (أجج): ٢/ ٢٠٦.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٤.

(٥) الضَّمْز، في اللغة، هو إمْسَاك البعير عن الإرْغَاءِ. والفائز هو الذي يمسك فاهُ فلا يتكلم، ينظر: لسان العرب (ضمز): ٥/ ٣٦٥.

(٦) نهج البلاغة: خ/ ٣٢: ٧١.

والقَتل. وهذا كله بعدما وَعَظُوا الناسَّ حتى مَلُّوا منهم.

أقول: وهذهِ الأوصاف تناسب أن يكون حالهم كحال الغارقِ في بَحر أُجَاج شديد الملوحة. فاستعمل الإمام هذا التعبير للدلالة على الدنيا وأحوالها، متّخِذاً تعبير (بَحْرٍ أُجاجٍ)، لبيان أحوال الدنيا ومرارتها، فكما أنّ الدنيا لا تَصلح للاستمتاع بها ؛ لأنها سبب العذابِ في الآخرةِ، فكذلك البحر الأُجاج الذي لا يمكن لمن يَسبح فيه أن يَرْتَوِي منه، ويَلتذّ بمائه لشِدَّة مِلْحه[١]. ويبدو أنّ لفظة (أُجاج) المضافة الى (بَحْر) لم تقتصر على إظهار طعم الدنيا المُرِّ فحسب، وإنما يُفهم من استعمالها أيضاً حالُ الغَرَق في هذهِ الدنيا، وما فيها من مُنَغِّصات وآلام. والمعروف أنّ الذي يَسْبح في بَحر مالح ويَلْبَث فيه مدة طويلة، يتعرض جِسمه الى التشقق والتقرّح بسبب شِدّة ملوحة البحر، فضلاً عن آلام هذهِ القروح لجريان الملح فيها. وهذا الضّرب من المعنى محتمل أيضاً في كلامه (عليه السلام).

ولّما كان للإمام (عليه السلام) رأي في الدنيا، فهي - عنده - فانية زائلة لا قيمةَ لها. لهذا نجده يذمَّها ويُظهر مَسَاوِئها، ويَعمد الى تَبصير المُغتَرّين بها بأنَّ كل ما فيها من غضارة ماهو الأرَهَق وألم. ومن أساليبه التي يُظهِر بها هذا الوجه، قوله في سياق ذَمِّها: ((... **وَمَنِ اسْتَكْثَرَ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ مِمَا يُوبِقُهُ... كُمْ مِنْ وَاثِقٍ بِهَا قَد فَجَعَتْهُ، وَذِي طُمَأْنِينَة إِلَيْهَا قَدْ صَرَعَتْهُ... سُلْطَانُهَا دُوَّلٌ، وَعَيْشُهَا رَنِقٌ، وَعَذْبُهَا أُجَاجٌ**...))[٢]. وتَضَمّن النص مفردة (أُجَاج) وصفاً لِعَذْبِ الدُّنْيَا، لتوكيد أنّ كل ما في (الدنيا) من حُلو، وعَذْب، فهو في الأصل مَرارة وكَدر.وذكر الشارح البحراني أنّ الإمام استعار لفظ (العَذْب) للذَّات الدُّنيا، ولفظ (الأُجَاج) ؛ لبَيانِ

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٢٧٣، والديباج الوضي: ١/ ٣٨٦.

(٢) نهج البلاغة: خ/ ١١١: ٢٠٧.

ما يشوبها من الكَدر والمَرَارة التي ترافق لذّاتها(١).

الصَّبِر

الصَّبِر - بكسر الباء، حسبما يذكر أبو حنيفة الدّينوري (ت٢٨١هـ)،عُصارة نَبْتٍ شبيه بنباتِ السَّوسَن الأخضر، ولكنه أكثر ورقاً، إذ تؤخذ أوراقه، فَتُقْدَح في المَعَاصِير، وتسيل عُصارتها، فتؤخذ وتُشَمّس حتى تشتد(٢). وذكر اللغويون أنّ ورق هذا النبات شبيه بِقُرب السّكاكين،فهي طِوَال غِلاظ كثيرة الماء، في خُضرتها غُبْرة تبدو مُقشَعِرة المنظر(٣). وتمتاز عصارة الصَّبِر بِشِدَّةِ المرارة، وتستعمل دواءً في بعض الأحيان(٤). وقد وردت مفردة (صَبِر) مرتين في نهج البلاغة ؛ الأولى مجردة من (ال) التعريف، والثانية محلاة بها(٥)، للدلالة على المذاق المرِّ.ويمكن بيان ذلك بحسب ما يأتي:

أولاً: الدلالة على مرارة الدنيا.

فقد وظّفَ الإمام مفردة (صَبِر)، لإظهار شِدّةِ مرارة الدُّنْيا بِكُلِّ ما فيها من محاسنَ، فجعل حُلْوَها صَبِراً مُرَّاً. وذلك في سياق دمِّ الدنيا الذي يقول فيه: ((**سُلْطَانُهَا دُوَّلٌ، وَعَيْشُهَا رَنِقٌ، وَعَذْبُهَا أُجَاجٌ، وَحُلْوُهَا صَبِرٌ...**))(٦). ووصفها حلاوة الدّنيا بأنّه (صَبِر)،إشارة الى شدّة مَرارة الدنيا، فكما أنّ عُصارة الصَّبِر مُرَّة، فكذلك الدنيا بحلاوتها.وذكره مفردة (حُلوها) جاء لبيان انخداع البعض

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٥٣٨.

(٢) ينظر: المخصص: م/ ٣: س/ ١١: ٢١٤، وتاج العروس (صبر): ١٢/ ٢٨٠.

(٣) ينظر: العين (صبر): ٧/ ١١٥، ولسان العرب (صبر): ٤/ ٤٣٧.

(٤) ينظر: لسان العرب (صبر): ٤/ ٤٣٧، وتاج العروس (صبر): ١٢/ ١٧٩.

(٥) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢٥٢.

(٦) نهج البلاغة: خ/ ١١١: ٢٠٧.

بها. فالمُنخَدِعون بالدنيا وما فيها من ملذات يعتقدون أنها حلوة زاهية، في حين أنّ حلوها في الحقيقة مُر يُشبه في مرارته طعم الصَّبرِ[١]. أمّا المَوضِع الثاني الذي سيقت فيه مفردة (الصَّبِر)، فهو كلامه عن رحلة بني أميّة، في سياق الانتقام منهم. إذ يقول(عليه السلام) في ذلك: ((... **وَسَيَنْتَقِمُ اللهُ مِمَّنْ ظَلَمَ، مَأْكَلاً بِمَأْكَل، وَمَشْرَباً بِمَشْرَب، مِنْ مَطَاعِمِ الْعَلْقَمِ، وَمَشَارِبِ الصَّبِرِ وَالْمَقِرِ**...))[٢]. أراد: أنّ النّصْفة من الله تعالى تكون على جهة المُساواة والاقتصاص مثلاً بمثَل، فيُجازي بمآكل الظُلْم ومَشارِبه بِمِثل فعله[٣].

مَقِرة

مَقِر الشيء - بالكسر- يَمْقر مَقْراً، إذا صار مُرّاً[٤]. والمَقِر الصَّبِر، وهو نبات ينبت ورقاً من غير أغصانٍ[٥]. وهو دواء مُرّ معروف يؤخذ من شجر مُرّ [٦]. وقيل: إن المَقِر والصَّبِر مختلفان، وليسا من ضرب واحد من الشّجر[٧]. وذهب لغويون الى عدّ المَقِر ضرباً من السُّمّ[٨].

واستعمل الإمام (عليه السلام) مفردتا (المَقِرَة) و(المَقِر) مرة واحدة لكل منها في نهج

---

(١) ينظر: الديباج الوضي: ٢/ ٩١٢.

(٢) نهج البلاغة: خ/ ١٥٨: ٢٧٩.

(٣) ينظر: الديباج الوضي: ٣/ ١٢٨٤.

(٤) ينظر: المحكم (مقر): ٦/ ٤٠٨.

(٥) ينظر: المحكم (مقر): ٦/ ٤٠٨، ولسان العرب (مقر): ٥/ ١٨٢.

(٦) ينظر: المحكم (مقر): ٦/ ٤٠٨، والنهاية في غريب الحديث: ٤/ ٣٤٧، ولسان العرب (مقر): ٥/ ١٨٢.

(٧) ينظر: ولسان العرب (مقر): ٥/ ١٨٢.

(٨) ينظر: المحكم (مقر): ٦/ ٤٠٨.

البلاغة[١]، للدلالة على المَشَرب والمَطعم المُرّ الذي لا يُسْتساغ. وجاء هذا الاستعمال في سياقين، الأول سياق الحديث عن دولة بني أميّة وانتقام الله تبارك وتعالى منهم وممّن تابعهم مِنَ الذين سَاقُوا الأَمر إليهم، ودفعُوا الإمام عنه. إذ يقول: ((**أَصْفَيْتُمْ بالأَمْرِ غَيْرَ أهلهِ، وَأَوْرَدْتُمُوهُ غَيْرَ مَوْرِدِهِ، وَسَيَنْتَقِمُ اللهُ مِمَّنْ ظَلَمَ، مَأْكَلاً بِمَأْكَل، وَمَشْرَباً بِمَشْرَب، مِنْ مَطَاعِمِ الْعَلْقَمِ، وَمَشَارِبِ الصَّبِرِ وَالْمَقِرِ...**))[٢]. ويُخبِرِ الإمام عن انتقام الله تبارك وتعالى من الأمويين ومَن سَار في رَكبِهم، وأنَّ هذا الانتقام سيكون انتِصَافاً منه تبارك وتعالى على جهة المساواةِ والاقتصاص مَثَلاً بِمَثَل، فيُجازى بِمَآكِلِ الظُّلْمِ ومَشاربه[٣]. ولهذا استعمل (عليه السلام) مفردات تدل على المَطْعم والمَشْرب المُرِّين؛ وهي مفردات (العَلْقَمِ، والصَّبِر، والمَقِر) التي يعرف عنها المخاطبون شِدَّة مرارتها، وعدم استساغة تناولها. وقد جعل (العَلْقَم) هو المطعوم منها، في حين عُدّ (الصَّبِر، والمَقِر)، هما المَشرب المعروف بمرارته وشِدّته. فأمّا لفظ (المَقِر)، فهو اسم جمعي يدل على الشّراب المُرّ المُعروف الذي لا يقل مرارة عن بقيّة المفردات المتقدّمة، حتّى أنّه يَصعب تجرّعه. وقد جمع الإمام بين اللفظتين المتقدمتين، اللّذين يرى بعض اللغويين أنهما من جنس واحد، حتى ذهبوا الى عدّ الصِّبر هو المَقِر نفسه[٤]. لكن الظّاهر من استعمال الإمام أنهما مختلفان، وإن كان يشتركان في مرارة الطّعم، ولعلّ أشدّها في هذا الأمر هو (العَلْقم)، ثم (الصَّبِر)، ومن ثَمَّ (المَقِر)، الذي انتهى إليه قول الإمام، للدلالة على أنّ ما طابَ لهؤلاءِ الظالمين من المآكل والمشارِب، فإنّه سَيُستَبدل بالمُرِّ الذي لم تَعتد عليه أفواهم.

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٢٣.

(٢) نهج البلاغة: خ/ ١٥٨: ٢٧٩.

(٣) ينظر: الديباج الوضي: ٣/ ١٢٨٤.

(٤) ينظر: لسان العرب (مقر): ٥/ ١٨٢.

وذلك كلّه على سبيل استعارة هذهِ المفردات في الإشارة الى ما يتجرّعه هؤلاء من مرارة القَتْل وزوا ل مُلكهم ودولتهم[١].

أما السياق الثاني، فهو كلامه (عليه السلام) عن زُهده في الدنيا الذي يقول فيه: ((**فَوَاللهِ مَا كَنَزْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تِبْراً... ولا حُزْتُ مِنِ أرْضِهَا شِبْراً... وَلَهِيَ فِي عَيْنِي أَوْهَى وَأَهْوَنُ مِن عَفْصَةٍ مَقِرَةٍ**))[٢]. وقد جاءت لفظة (مَقِرَة) مضافة الى لفظة (عَفْصَة)، وهي ضَرب من الشّجر أو الثَّمر ذي الطّعم المُرّ الذي يُتَّخذ منه الحِبْر، فضلاً عن عدّه من الأدوية القابضة التي تشدّ الأعضاء الرَّخوة الضَّعيفة من البدن[٣]. ولهذا وصف الإمام مفردة (عَفْصة) بكلمة (مَقِرَة)، لتأكيد ذوقها المُرِّ وعدم استساغة طعمها. وقد ناسبت هذهِ الدلالة السياق الذي ذكره الإمام، بجعل (الدنيا) بكل مافيها (أهْوَن)، و(أوهَى) من شجر العَفْصِ ومرارته.

أقول: إن الدنيا عند الإمام (عليه السلام) لا تساوي شيئاً، فهي هَيّنة واهية لا تُقِيم أَوَد نفسها، كشجر العَفْصِ الذي يمتاز بالوَهْن ومَرارة الطعم. فضلاً عن أنّ حلاوتها هي مرارة في الوقت نفسه. وقد أشار الى ذلك في مقولته: ((**مَرَارَةُ الدُّنْيَا حَلاَوَةُ الآخِرَةِ، وَحَلاَوَةُ الدُّنْيَا مَرَارَةُ الآخِرَةِ**))[٤]. وهذا هو منهاج الإمام في فهم الدنيا، فما يَعْرض له فيها من مِتَعٍ ونِعَمٍ ومُلْك، فهو لديه مَرارة يعمد الى اتِّقائها وتجَنّب شرورها، ليلاقي بها حلاوة الآخرة. في حين أنّ ذلك عند غيره من حلاوة الدنيا وطيبها. وقَد عَبّر الشيخ عباس القُمّي عن ذلك التضاد بين (الدنيا والآخرة) الذي أبدع الإمام (عليه السلام) في تصوير حلاوة الدنيا منه الذي وصفه بالوَهْن والوَهْي

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٦٤٧.

(٢) نهج البلاغة: ك/ ٤٥: ٥٣٠.

(٣) ينظر: لسان العرب (عفص): ٧/ ٥٤، وتاج العروس (عفص): ١٨/ ٣٥، ٣٦

(٤) نهج البلاغة: قصا / ٢٥١: ٦٤٧.

والمرارة بقوله: ((لمّا كانت الدنيا ضد الآخرة،وجَبَ أن يكون مرارة آلآمِ الدنيا اللازمة عن ترك اللّذة طلباً للآخرة مَسْتَلْزِمة لحلاوة الآخرةِ ولذّاتها...))[١].

زُعَاق

الزُّعاق ماء مُرّ غليظ لايطاق شربه من أُجوجته[٢]. وبِئر زَعِقة مالِحة الماء. وطعام زُعُاق مَزْعُوق، إذا كثر مِلْحه، فَأَمرّ[٣]. ويحتج اللغويون عند بيان هذهِ الكلمة ببيتٍ من الشِّعر ينسبونه الى الإمام علي (عليه السلام) استعمل فيه المفردة المتقدّمة، وهو قوله[٤]:

دُوْنَكَـهَا مُـتْرَعَةً دِهَـاقاً   كأساً زُعَاقاً مُزِجَتْ زُعَاقاً

وقد وردت لفظة (زُعَاق) مرة واحدة في نهج البلاغة[٥]، للدلالة على الماء المُرِّ ذي الملوحة الشّديدة. وذلك في سياق ذمّه (عليه السلام) لأهل البصرة بعد وقعة (الجَمَل) قائلاً: ((**كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرْأَةِ، وَأَتْبَاعَ البَهِيمَةِ... أَخْلاَقُكُمْ دِقَاقٌ**[٦]**، وَعَهْدُكُمْ شِقَاقٌ، وَدِيْنُكُمْ نِفَاقٌ، وَمَاؤُكُمْ زُعَاقٌ**...))[٧].يعدد الإمام وجوه الذَّمِّ التي يمتاز بها هؤلاء، حَتّى يصل الى رداءة مائهم، فذكر ملوحته الشّديدة حتّى أنّه أمرّ لشِدّة ملّحه. وفي ذكره صفة ماء أهل البصرة، ووصفه بـ(الزُّعَاق)، إشارة الى أن خصالهم

(١) شرح حكم نهج البلاغة: ١٦٥.

(٢) ينظر: العين (زعق): ١/ ١٣٣، وتهذيب اللغة (زعق): ١/ ١٢٧، ولسان العرب (زعق): ١٠/ ١٤١.

(٣) ينظر: العين (زعق): ١/ ١٣٣، ومقاييس اللغة (زعق): ٣/ ٨.

(٤) ينظر: العين (زعق): ١/ ١٣٣.

(٥) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢٠١.

(٦) الدقاق الفُتَاتُ والكِسرَ. ورجل دقيق قليل الخير، ينظر: لسان العرب (دقق): ١/ ١٠١.

(٧) نهج البلاغة: خ/ ١٣: ٤١.

المتقدمة ناتِجَة عن شِربهم لهذا النوع من المياه، فهذه الخِصال مرتبطة بطبيعة أرضهم ومائهم. ويحتمل أن يكون أنّه لّما أراد التعبير عن سُوْء خصال هؤلاء ونفاقهم، وذكر هذه الصفات السَّيئة التي اشتهرت عن هؤلاء،انتقل بكلامه الى وصف مائهم المعروف بالأُجُوجة والغِلْظة، ملاحظة لبيان أثره في طبيعتهم المتقدمة. ملمحاً الى أنّ العِلّة في ذلك هي سوء اختيارهم هذه الأرض التي نزلوا فيها على الرغم من سوء مائها وفساده.

أقول: وثمّة قول للإمام يدعم الوجه المتقدم، وهو قوله في ذمّ أهل البصرة، ذاكراً فيه سوء أرضهم ؛ لقربها من الماء: ((**أَرْضُكُمْ قَرِيبَةٌ مِنَ المَاءِ، بَعِيدَةٌ مِنَ السَّماءِ، خَفَّتْ عُقُولُكُمْ، وَسَفِهَتْ حُلُومُكُمْ**...))[١].فإنّه (عليه السلام) يشير الى فساد أرضهم بسبب قربها من الماء، وهو مايجعلها غير منتجة للثمار الطيّبة التي يتغذى عليها هؤلاء السكّان. وقد ذكر الشُرّاح أنّ أقوال الإمام في ماءِ البصرة وأرضها، راجع الى ملوحة مائهم، وسبب ذلك هو القُرب من البحر وامتزاجه به، ما يؤدي الى فساد تُربتهم وجعلها نتِنَة عِفنة لكثرة ركوب الماء عليها. وهذا الأمر يفسّر لنا دخول ذلك الأمر في سياق ذَمِّهم الذي يكون بسبب من سوءِ اختيارهم لهذا المكان والإقامة فيه مع فيه من ملوحة[٢]،فضلًا عما يسببه ذلك من العلل المرتبطة بسوء المزاج والبَلادة وفساد الطّحال[٣]. وقد ذكرت الدراسات الطبيّة أثر الملوحة الشديدة للمياه في بناء الإنسان ونمّوه،وسلامة جسده وقدراته العقلية، وفي صدارة ذلك ملامح النّضج في الإنسان[٤]. وتعليقاً على ذلك أقول: إنّ تأثير

(١) نهج البلاغة: خ/ ١٤: ٢٠١.

(٢) ينظر: معارج نهج البلاغة: ١/ ٢٥٨.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ١/ ١٩٩.

(٤) ينظر: تفسيرات فسيولوجية في نهج البلاغة، للدكتور عمار جاسم مسلم: ١٤٦، ١٤٨.

الأرض والماءِ على نفسية الإنسان أمر أكده القرآن الكريم الذي يقول في بيان تأثير الأرض على الزرع: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾(١). ويقول أيضاً في تأثير الماء عليها ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾(٢). وهذهِ الحقيقة بَيِّنَةٌ في أثر الأرض والماء على الكائنات جميعاً ومنها الإنسان، فما كان سَقْيه بماء طيّب عَذْب سيكون طيّباً ناضجاً. والنبات والإنسان في هذا سواء. وهذهِ الحقائق القرآنية والعلمية تؤيد وصف الإمام (عليه السلام) لأهل البصرة وسوءِ مائهم الذي كان له الأثر الكبير بيان خصالهم المتقدمة.

وثمّة وجه آخر يحتمله التعبير المتقدم، مؤدّاه أن تكون كلمة (مَاؤُكم) لا تدل على الماء المعروف الذي يشرب منه، وإنّما يراد بها الدلالة على (الطّبع) التي يتّصف بها هؤلاء الذين ذمّهم الإمام. فكأنّه يصف طباعهم وأخلاقهم التي يتحلون بها بالماء الزّعاق ذي الطّعم المرّ. يريد بذلك بيان سوء خصالهم وخفّة عقولهم حلومهم، لما كان منهم من تطوّعهم في جيش (المرأة) واتّباعهم للبهيمة التي اعتلتها في قتاله (عليه السلام).

ولو صحّت هذه الدلالة يكون الإمام منفرداً بهذا الوجه من المعنى الذي لم يلتفت اليه اللغويون والشارحون لكلامه.

---

(١) الأعراف / ٥٨.

(٢) السجدة / ٢٧.

٤ـ المشرب الكَدِر اللون

الكَدِر

الكَدَر نَقِيْض الصَّفَاء. يقال: كَدِر الماء -بالكسر- يَكْدَر كدْراً، إذا تَغَيَّر. وكدّره غيَّره[١]، وهذا هو الأصل في دلالة هذهِ اللفظة. والكُدْرة من الألوان ما نحا نحو السّواد والغُبْرة؛ ولهذا ذهب بعض اللغويين الى جعل الكُدرة في ما وصفاً خاصاً بالألوان[٢]. فإن قيل: ماءُ كَدِر، فهذا يعني أنه متغيرّ اللون. واتّسعت هذه الصّفة لتشمل الماءِ والعَيْش معاً. فيقال: كَدِر الماء والعَيْش، بضم الدال وكسرها[٣].

واستعملت مفردة (الكَدِر) محلاة بـ (ال) مرتين في نهج البلاغة، في حين جاءت مجردة منها مرة واحدة (كَدِر)، ومضافة الى ضمير الفاعل المفرد (كَدَرِه)، والى ضمير جماعة الغائبين (كَدَرَهم)، وبصيغة اسم الفاعل (مُكَدِّر) مرة واحدة لكل منها[٤]، للدلالة على ما يأتي:

أولاً: الدلالة على كَدَر الدنيا بكل ما فيها.

ومن ذلك قوله (عليه السلام) في سياق كلامه عن الموت: ((**فَإِنَّ الْمَوْتَ هَادِمُ لَذَّاتِكُمْ، وَمُكَدِّرُ شَهَوَاتِكُمْ...**))[٥].فجعل أمير المؤمنين الموت هادماً للذّات، ومكدراً للشّهوات التي يرغب الإنسان أن تكون صافية دائماً لا تشوبها شائبة تُعكّر صفوها. وبهذا نَبّه الإمام على أنّ الموت مكدّر لَمن ظَنَّ أن الدنيا ذات لذّات صافية

---

(١) ينظر: العين (كدر): ٦/ ٣٢٥، ولسان العرب (كدر): ٥/ ١٣٤.

(٢) ينظر: لسان العرب (كدر): ٥/ ١٣٤.

(٣) نفسه.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٩٦.

(٥) نهج البلاغة: خ / ٢٣٠: ٤٤٥.

لـه دائمـة. ومثـل هـذهِ الدلالـة وردت في (خ/ ٥٢، ك/ ٣١)

ثانياً: الدلالة على تغيّر الماءِ وطعمه.

ومنه قولـه (عليه السلام) في سياق وصف حـال العـرب قبـل بعثـه النبـي الأكـرم (صلى الله عليه وآله وسلم): **((إِنَّ اللهَ سُبحانَه بَعَثَ مُحَمَّداً (صلى الله عليه وآله وسلم) نَذِيراً لِلْعَالَمِينَ، وَأَمِيناً عَلَى التَّنْزِيلِ، وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ العَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ، وَفِي شَرِّ دَارٍ، مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجارَةٍ خُشْنٍ، وَحَيَّاتٍ صُمٍّ، تشْرَبُونَ الكَدِرَ، وَتَأْكُلُونَ الجَشِبَ...))**[1]. وأشـار بقولـه (تَشْرَبُون الكَدِرَ...) الى عُسرّ مائهم وكـدره. فقـد غـيّرت بعثـة النبـي الأكـرم مـن حـال النّاس، ونقلـت العـرب مـن سـوء حالهـم الى حسـن الحال،ببركـة حلـول النبـي فيهـم. فنتـج عـن ذلـك نقـل العـرب مـن حالهـم الأول الى حـالٍ أخـرى في جانبـي الديـن والعيـش. فقـام (عليه السلام) بالتّعـريض بالعرب وتذكيرهـم بـما هـم فيهـم مـن سـوء حـال ؛ حمـلاً لهـم عـلى العـبرة والاعتبـار، واصفـاً بذلـك سـوء دياناتهم وفسـاد عقائدهـم التـي كانـوا عليهـا قبـل البعثـة النّبويّـة. معرّجـاً عـلى ذكـر ديارهـم ومـا كانـوا فيـه مـن شرٍّ يُغير بعضهـم عـلى البعـض الآخـر.ومـن ثَـمّ ذكـر مشربهـم ومأكلهـم ومـا كانـوا يقتاتـون عليـه مـن اليرابيـع و الضِّبـاب ويشربـون الكـدر مـن والميـاه، وهـو مـا جعلهـم قُسـاة القلـوب ذوي فضاضـة وغلظـة؛ بسـبب مـن حيـاة الصحـراء التـي كانـوا يسـكنون فيهـا مجاوريـن الحجـارة والحيّـات الصـمّ، فضـلاً عـن حيـاة الجـدب والقحـط التـي تشـيع في بيئتهـم. فأمّـا وصـف مَشْربهـم (بالكَـدِر)، فَـلأِنَّ الغالـب عـلى الميـاه التـي يشربونهـا أن تكـون كَـدِرة لا يـكاد غـير المعتـاد أنْ يُقْبـل عليهـا عنـد عطشـه[2]. فإنهـا متغـيرة اللـون والطعـم فلهـذا وصفهـا الإمـام بالكُـدرة.

ومثل تلك الدلالة وردت في (خ / ١٠٥، ١٩٢).

(١) نفسه: خ / ٢٦: ٥٩.

(٢) شرح نهج البلاغة (البحراني): ١:٢٤٦

آجِن

أجِنَ الماء يَأْجِن أُجُوناً، إذا تغيّر لونه و طَعمه[١]. وأجُن الماء – بالضم – إذا تغيّر ولكنّه شَروب حسبما يذكر اللغويون[٢]. والآجِن الماء النَّتِن الذي لا يَشْربه أحد من نَتْنه[٣].

واستعمل الإمام لفظة (آجن) و (آجناً) مرة واحدة لكل منها في نهج البلاغة[٤]، للدلالة على ما يأتي:

أولاً: الدلالة على الابتعاد عن أهل البيت (عليهم السلام).

وقد أورد الإمام هذا المعنى في سياق كلامه عن أهل الضلال الذين ضلّوا بابتعادهم عن أهل البيت. إذ يقول فيهم: ((... **آثَرُوا عَاجِلاً، وَأَخَّرُوا آجِلاً، وَتَرَكُوا صَافِياً، وَشَرِبُوا آجِناً، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى فَاسِقِهِمْ وَقَدْ صَحِبَ الْمُنكَرَ فَأَلِفَهُ**...))[٥]. يشير بقوله (تركوا صافياً) الى أنّ هؤلاءِ الضّالين قد تركوا أهل البيت (عليهم السلام) وابتعدوا عن صُحبتهم والانتفاع بعلومهم ومعارفهم،فتركوا الصّافي من المنابع التي ينهل منها الواردون الى العلوم الصحيحة الحقّة التي يمثّل أهل البيت (عليهم السّلام) مصدرها وموردها. فكأنّ حال هؤلاء كحال العطشان الذي يقبل على الماء لينهل منه، ولكنّه ما يلبث أن يستبدل ما صفا منه بما كدر. وأمّا قوله (شَربوا آجناً)، فيشير به الى ارتواء هؤلاء من أنتن المياه وأشدها تغيّراً في الطّعم والرّائحة. مكنياً

(١) ينظر: تهذيب اللغة (أجن): ١١/ ١٣٨، ولسان العرب (أجن): ١٣/ ٨

(٢) ينظر: نفسهما.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (أجن): ١١/ ١٣٨، وفقه اللغة (الثعالبي): ١٠/ ٦٢.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٦.

(٥) نهج البلاغة: خ/ ١٤٤: ٢٥٣

بذلك عن نهلهم فاسد الأخلاق ؛ لأنّهم صَحِبوا المُنكر فَألفوه حتى شابت عليه مفارِقُهم فتطبّعوا بطبائعه وصار الشرّ وفساد الطبع جزاء من خلقهم. ومما يُسْتَدَلّ به على هذا الوجه سياق النص، الذي صدّره الإمام بذكر فضل أهل البيت (عليهم السلام)، ويشمل ذكره لفضلهم جملة من القرائن اللفظية التي تثبت ذلك. يقول الإمام: ((**أَيْنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا، كَذِباً وَبَغْياً عَلَيْنَا، أَنْ رَفَعَنَا اللهُ وَوَضَعَهُمْ، وَأَعْطَانَا وَحَرَمَهُمْ، وَأَدْخَلَنَا وَأَخْرَجَهُمْ. بِنَا يُسْتَعْطَى الْهُدَى، وَبِنَا يُسْتَجْلَى الْعَمَى...**))[1]. ويُلحظ في النّص توكيده على مكانة أهل البيت، مستعملًا في ذلك أسلوب التضاد في ألفاظ (رَفَعَنا ووَضَعَهُم)،(أعطَانا وحَرَمهم)، (أدْخَلنا وأخْرَجَهُم). وهذه الثنائيّات تمثل تثبيتاً لحق أهل البيت في (أنّهم الرّاسِخون في العِلم)، وأنّ بهم (يُسْتَعْطى الهدى ويُستَجْلَى العَمىَ).

أقول: لقد وظّف الإمام هذا المعنى، ليكون مُدْخلاً لبيان موضع أهل الضلال الذين ارتووا من الآجِن وتركوا النّبْعَ الصّافي الذي لا شائبة فيه، وهم آل محمد (صلى الله عليه وآله). فقد ذكر الشارح البحراني أنّ قوله (آثروا عاجلاً، وتَرَكوا صافياً)، يصدق على مَن تخلّف من الناس في زمان الإمام (عليه السلام) ممن هو غير مَرضِيّ السِّيرة، وإن كان معدوداً من الصحابة بالظاهر،مثل (المغيرة بن شعبة) و(عمرو بن العاص)، و(مروان بن الحكم)، و(معاوية)ونحوهم من أمراء بني أميّة ممن آثروا عاجل الدنيا،وأخّروا آجل الآخرة بنبذِه وراء ظهورهم وجنحوا الى اللذّات الآجنة. وقد استعار الإمام مفردة(الآجن) لتلك اللّذات تشبيهاً لها بالماء الذي لايُساغ شربه لتغير طعمه[2]. وقيل: إنّ المراد بذلك من سيجئ بعد الخلف ليصحب المنكر

(١) نهج البلاغة: خ / ١٤٤: ٢٥٣

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٥٩٧.

ويألفه[١]. ويبدو أنّ الجمع بين الرأيين يُثرِي المصاديق التي ينطبق عليها قول الإمام، فالإشارة التي ألمح إليها الشرّاح تفيد أنّ كلّ من وصفه الإمام بالخصال المذكورة في كلامه، وهو مبتعد عن أهل البيت (عليهم السلام) معرِضاً عنهم، يكون مشمولاً بشرب الآجن من كدر الأخلاق وشوائب الطباع السّيئة. فليس ببعيد أن يكون المَعنّي بذلك -حسبما يذكر الشارح ابن أبي الحديد- جَمع ممن يطلق عليه لفظ (صّحابي)، كالمغيرة بن أبي شعبة، وعمرو ابن العاص، ومروان بن الحكم، ومعاوية بن أبي سفيان، من الذين أغواهم الشيطان واستولت عليهم الدنيا[٢].

وثمة استعمال آخر وردت فيه لفظة (آجن) بالدلالة المتقدمة نفسها، وذلك في (خ / ١٧).

ثانياً: الدلالة على فِتْنة الخلافَة.

فقد شبّه الإمام ذلك بـ (الماءِ الآجن) في سياق رَدِّه على دعوةِ (أبي سفيان والعباس بن المطلب) الى أن يبايعاه بالخلافة بعد حادثة (السّقِيفة)[٣]. فقال (عليه السلام) راداً على هذه الدعوة مُشبِّهاً السَّعي الى (الخلافة) والطِّماح إليها بالفتنة. إذ يقول: ((**أَيُّها النَّاسُ، شُقُّوا أَمْوَاجَ الفِتَنِ بِسُفُنِ النَّجَاةِ، وَعَرِّجُوا عَنْ طَرِيقِ الـمُنَافَرَةِ، وَضَعُوا تِيجَانَ الـمُفَاخَرَةِ. أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاح، أَوِ اسْتَسْلَمَ فَأَرَاحَ، مَاءٌ آجِنٌ، وَلُقْمَةٌ يَغَصُّ بِهَا آكِلُهَا...**))[٤].أقول: إن العِلّة - فيما يبدو - من تشبيه أمر الخلافة بـ(الماءِ

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٩/ ٧١.

(٢) نفسه.

(٣) ومما تجدر الإشارة إليه أن الدعوة الى بيعة الإمام بعد السقيفة، كانت محاولة من أبي سفيان لشق صفوف المسلمين وإيقاع الحرب بينهم، ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ١/ ١٨٩.

(٤) نهج البلاغة: خ/ ٥: ٣٥، ٣٦.

الآجن) و(الّلقمة التي يَغَصُّ بها آكلها)، فيه إشارة من الى أنّ هذهِ القضية مَشوبة بالكَدَر وعدم التَّقَبّل ؛ لأنّ الخِلافة عند الإمام لا تعني الدنيا بما فيها من ملذاتٍ كما أنها لا تعني المَنْصِبَ والجاه والسُّلطَة مثلما هو معروف عند غيره. وإنما هي السبيل الى الحق والعدل والإنصاف. ولهذا أحسب أنه جعلها بمنزلة الماء الآجن، لكونها متغيرة الطّعم واللون فلا يكاد يُسِيْغها، ولا سِيّما إذا كانت بَيعة على بَيعة وهو ما دعا إليه أبو سفيان. فعند ذلك تصير – الخلافة – فتنة دنيوية وماء آجن على الحقيقة. وهو ما يُوجِب النفور منها ويؤدي الى عدمِ الالتذاذِ بأدائها، مثلما لا يُلتَذُّ بالماءِ الآجن لأنه غير مستطاب الطعم بسبب تغيّره وفساده[١].

الرَّنَق

الرَّنِق تُراب في الماء من القَذى ونحوه[٢]. والماء الرَّنْق والرَّنِق بإسكان النون وكسّرها الماء الكَدِر[٣]. والرَّنْقَةُ في اللغة الماء القليل الكَدِر[٤]. وتستعمل هذه اللفظة للدلالة على كَدر غير الماء، ويوصَفُ بها العَيْش أيضاً. يقال: رَنِق عَيْشُه، أي كَدِر[٥] والرّنق والتَرَّنّق من الإضداد، فهو يستعمل في الدلالة على الكَدَرِ والصَّفاء. والعرب تقول: رَنَّق اللهُ قَذَاتك أي صَفَّاها لك[٦].

وجاءت لفظة (رَنِق) نكرة مرتين في نهج البلاغة، في حين أنها وردت محلاة

(١) شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ١٩٠

(٢) ينظر: العين (رنق): ٥/ ١٤٤، ولسان العرب (رنق): ١٠/ ١٢٦.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (رنق): ٩/ ٩٠.

(٤) ينظر: لسان العرب (رنق): ١٠/ ١٢٦.

(٥) ينظر: تهذيب اللغة (رنق): ٩/ ٩٠، ولسان العرب (رنق): ١٠/ ١٢٦.

(٦) ولسان العرب (رنق): ١٠/ ١٢٧.

بـ(ال) مرة واحدة[١]، للدلال على ما يأتي:

أولاً: الدلالة على المَشْرَب الكَدِر.

وهو أكثر المعاني وروداً في استعمال مفردة (رَنِق)، ومنه قول الإمام في سياق وصف الدنيا ومشربها: ((**فَإِنَّ الدُّنْيَا رَنِقٌ مَشْرَبُهَا، رَدِغٌ مَشْرَعُهَا، يُونِقُ مَنْظَرُهَا، وَيُوبِقُ مَخْبَرُهَا**)) [٢]. يصف الإمام - هنا - شرب الدنيا بالرَّنِق، وهو الكَدِر من الماءِ، فكأنّ ماءها الذي يُرْتوى منه كَدِرلا يُساغ شربه[٣]. وقد جعل الإمام هذا التعبير كناية عن كدر لذَّاتِ الدنيا التي تكون كدرتها بشوائِب المصائب والهموم والإحزان وغيرها[٤].

أقول: وقد جعل (عليه السلام) الدنيا بمنزلة الشَّريعة من الماءِ التي يَرِد إليها النَّاهل ليشرب، فإذا به يجد الكدر في ذلك المَورد. وكانت سبيله الى بيان ذلك استعمال مفردة (رَدِغ)، لوصف مَشْرع الدنيا المَلِيءِ بالشوائب الوَحل الشديد[٥]، وهو ما تدل عليه لفظة (رَدِغ) [٦]، التي وظّفها الإمام في هذا السياق، لبيان وصف الطريق الذي يُشرع منه في الورود من الدنيا. وأشار بذلك الى عدم سهولته ومُنزلقه الذي لا تثبت به قدم[٧]. وإنما ذكر مفردة (رَنِق) في هذا السياق ؛ لأنّه ذكر (مشربَ الدنيا)، فأراد وصف هذا المَشْرَب بالكدرة، فجاء بلفظة (رَنِق) لهذه الدلالة كما يبدو.

---

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٩٥.

(٢) نهج البلاغة: خ / ٨٣: ١٢٢.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٦/ ١٩٥.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٣٧٦.

(٥) ينظر: معارج نهج البلاغة: ١/ ٣٧٠.

(٦) ينظر: لسان العرب (ردغ): ٨/ ٤٢٦.

(٧) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٣٧٦.

واستعملت اللفظة نفسها وصفاً للماء الكدر في (خ/ ١٨٢) أيضاً.

ثانياً: الدلالة على العيش الكَدِر.

وجاء ذلك في سياق كلامه عن الدنيا أيضاً، إذ يقول: ((**سُلْطَانُهَا دُوَّلٌ، وَعَيْشُهَا رَنِقٌ، وَعَذْبُهَا أُجَاجٌ**...))[١]. ولمّا كان السياق يتحدث عن تقلّب الدنيا وأحوالها، لذلك وصف الإمام عيشها (بالرَّنِق)، للدلالة على تكدّر هذا العيش، وعدم انتظامه على حالٍ واحد. وإنما آثر وصف العيش بالمفردة المتقدمة؛ بعدما أتبعه بوصف عَذْبها (بالأُجاج)، وهو وصف يصلح لما يشرب من الدنيا، أو يَقرب من الشّرب في هذه الدنيا من قبيل الأمراض والتَّغيُّرات والعِلل التي تؤلم من يعيش الدنيا وما فيها.

٥ـ اللّبن من المشرب.

اللّبن

اللَّبَن اسم جنسٍ، وهو خُلاَص الجَسد ومُستخلصه من بين الفَرث والدّم، فهو كالعَرَقِ يجري في العُرُوق[٢]. وقد ذكر القرآن الكريم هذا المعنى في قوله تبارك تعالى: ﴿**وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ**﴾[٣].

وقد استعملت لفظتا (اللّبَن) و (لَبَنُها) المضافة الى ضمير الغائبة مرة واحدة في نهج البلاغة[٤]، للدلالة على اللَّبَن الذي يَرضعه الصَّبِيّ من أمّه، واللبن الذي

(١) نهج البلاغة: خ / ١١١: ٢٠٧.

(٢) ينظر: لسان العرب (لبن): ١٣/ ٣٧٢.

(٣) النحل / ٦٦.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٠٧.

تدرّه النّاقة. ومن ذلك قول الإمام في سياق ردّه على معاوية قائلاً: **((وَعِنْدِي السَّيْفُ الَّذِي أَعْضَضْتُهُ بِجَدِّكَ وَخَالِكَ وَأَخِيكَ فِي مَقَام وَاحِد وَالْأَوْلَى أَنْ يُقَالَ لَكَ: إِنَّكَ رَقِيتَ سُلَّماً أَطْلَعَكَ مَطْلَعَ سُوء عَلَيْكَ وَطَلَبْتَ أَمْراً لَسْتَ مِنْ أهلهِ وَأَمَّا تِلْكَ الَّتِي تُرِيدُ فَإِنَّهَا خُدْعَةُ الصَّبِيِّ عَنِ اللَّبَنِ فِي أَوَّلِ الْفِصَالِ، وَالسَّلاَمُ لأهلهِ))**[١]. أراد بقوله: **(تلك التي تريد...)**، محاولة معاوية دفع الإمام أنْ يقرّه على إمارة الشام. فَشَبّه (عليه السلام) هذه المسألة بخُدعة الصبي باللَّبَن عند أوّل فطامه، ووجه المشابهة بين تينك المسألتين هو الضعف والوهن، فإنَّ خداع الصّبي باللبن أمر ظاهر بيِّن لكل أحد بنظره، وكذلك طَلَبة معاوية التي طلبها من الإمام[٢]. فتكون خُدعة الصَّبِي باللَّبَن أمر لا يحتاج الى تبصّر ونظرٍ. وقد ذكر الإمام مفردة **(لَبَنها)** في (خ/ ٢٥) للدلالة على لبن الناقة.

خاثِرك

الخُثُورة في اللغة ضد الرِّقة ونقيضها[٣]. وأَخْثَرت الزُّبْد وخَثَّرته، أي تركته خاثراً لم يُذَب[٤]. ولَبَن خاثِر. أي رَائِب[٥]، وهو ما يُمخض من رَوْب فَيَخرج زُبده[٦]. وخثارة الشيء بَقِيّته، والخُثارة ما يبقى على المائدةِ من أكل[٧].

وقد استعمل الإمام (عليه السلام) لفظة (خاثرك) مضافة الى كاف الخطاب مرة واحدة

(١) نهج البلاغة: ك/ ٦٥: ٥٨٣.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٣٧٥.

(٣) ينظر: لسان العرب (خثر): ٤: ٢٣٠.

(٤) نفسه.

(٥) ينظر: تهذيب اللغة (خثر): ٧/ ١٤٤، وفقه اللغة (الثعالبي): ١/ ٦٠.

(٦) ينظر: تاج العروس (روب): ١/ ٤٣٩.

(٧) ينظر: لسان العرب (خثر): ٤/ ٢٣٠

في نهج البلاغة[١]، دالة على الخاثِر من الزُّبْدِ الذي يختلط غليظه برقيقه. وذلك كناية عن اختلاط الأمر واضطرابه على (أبي موسى الأشعري)،الذي كتب إليه الإمام مُحذِّراً إيّاه بعدما بلغه عنه تثبيطه الناس في الكوفة عن الخروج مع الإمام الى حرب (الجمل)[٢]. يقول الإمام في ذلك: ((**وَايْمُ الله لَتُؤْتَيَنَّ مِن حَيْثُ أَنْتَ، وَلَا تُتْرَكُ حَتَّى يُخْلَطَ زُبْدُكَ بِخَاثِرِكَ، وَذَائِبُكَ بِجَامِدِكَ**...))[٣]. وقد كنى (عليه السلام) بقوله: (يخلط زبدك بخاثرك...) عن اختلاط أحوال (أبي موسى) الصّافية بالتّكدير، كانقلاب عزّته بذلّته، وسروره بغمّه، وسهوله أمره بصعوبته وعسره[٤]. وذلك أنهم يقولون للرجل إذا ضُرِب حتى أُثْخِن: إنّه اختلط زَبَدُه بخاثره، كأنّما اختلط ما رقَّ منه، ولطُف منه بما كَثُف وغلظ[٥]. فاستعار الإمام مفردة (زَبَدك)، للدلالة على صفاء الحال ونعومته، تشبيها لذلك برِقّة (الزّبد) وصفوته. في حين دلّ بلفظة (خَاثِرك)، على الغِلظة والكَدر، تشبيها له بالخاثِر من الرّوب الذي تبدو غلظته للعيان. وفي النص إشارة الى ما سيؤول اليه حال هذا الرّجِل من اختلاط الأمور عليه في يوم التّحكيم امّا خدعه (عمرو بن العاص)، وألزمه خلع الإمام (عليه السلام) في ذلك اليوم[٦].

---

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٣٣.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٣٧١.

(٣) نهج البلاغة: ك/ ٦٣: ٥٨.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٣٧٢.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٧/ ١٨٨، ومنهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٢٠/ ٣٢٤.

(٦) ينظر: منهاج البراعة: ٢٠/ ٣٢٤.

٦ـ بقايا الماء.

سَمْلَة

السَّمَلة بقية الماء في الحَوْض[١]. والسِّمال و السَّمَل بقايا الماء[٢]. وقيل: السَّمَلة هي الماء القليل الذي يبقى في أسفل الإناء[٣]. ويبدو أنّ أصل لفظة (سَمَل) هو الدلالة على الخَلِقِ من كل شيء وأولها الثياب. يقال: أَسْمَل الثوب وأخْلَق، إذا دَرَس وصار رَثّاً بالياً. ومن هذا المعنى قيل لبقية الماءِ (سَمْلَة) فكأنهم شبهّوه لقلَّتِه ولما فيه من شوائب وكدر، بالثوب السَّمِل.

وقد وردت مفردة (سملة) مرتين في نهج البلاغة[٤]، للدلالة على بقية الماء في إناء المَطْهرة، وذلك في توكيد منه على قِلّة شأن الدنيا وحقارتها بما فيها من كَدَر وبِلى. يقول (عليه السلام) في سياق وصف الدنيا: ((... **وَقَدْ أَمَرَّ فِيْها مَا كَانَ حُلْواً، وَكَدِرَ مِنْهَا ما كَانَ صَفْواً، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إلاَّ سَمَلَةٌ كَسَمَلَةِ الإدَاوَةِ...**))[٥].

أقول: لقد أخذ اللغويين من الإمام دلالة لفظة (سَمَلَة) على بقايا الماء في الإناء وغيره، وضمُّوه في مصنفاتهم، بوصفه استعمالاً مميزاً أنتج دلالة جديدة يضاف الى بقية معاني هذهِ المفردة بحسب ما يفهم من أقوالهم[٦]. فهذه المفردة لم تقتصر على الدلالة على الماء الباقي في الإناء كما هو أصلها المعجمي الذي اكتفى

---

(١) ينظر: المحكم (سمل):٨/ ٥١٨.

(٢) ينظر: العين (سمل): ٧/ ٢٦٧، والمحكم (سمل): ٨/ ٥١٨.

(٣) ينظر: المحكم (سمل): ٨/ ٥١٨، ولسان العرب (سمل): ١١/ ٣٤٥.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢٢٥.

(٥) نهج البلاغة: خ / ٥٢: ٩٢.

(٦) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٢/ ٤٠٤، ولسان العرب (سمل): ١١/ ٣٤٥، وتاج العروس (سمل): ٢٩/ ٢٢٢.

به اللغويون وبعض شُرَّاح نهج البلاغة[١]، وإنما ضَمّت بين ثناياها إيحاء على القِلّة والحقارة لما يبقى من هذه الدنيا لكل إنسان[٢]، ولا سيما إذا كان نصيبه منها قدر هذه (السَّملَة) التي تكون مصحوبة غالباً بالكَدر والطّين. وهذا يمثل وجه الشَّبه بين المشبّه، وهو (الدنيا)، والمشَبّه به، وهو (سَمَلَة الإداوة)، فكما أنّ العطشان الذي لا تَروي عطشه سَمْلَه الماء في الإداوة[٣]، فكذلك ما يبقى للإنسان من هذه الدنيا الفانية غير الدائمة. ولهذا ذكر الإمام عدم الانتقال من هذه البقية بقوله: ((**لَوْ تَمَزَّزها**[٤] **الصَّدْيَانُ**[٥]، **لم يَنْقَعَ**[٦]))[٧]. وقد أشار بعض الشّرَّاح الى أنّ مفردة (سَمْلَة) يمكن أن تكون دالة على مدة بقاء الإنسان في هذه الدنيا[٨]، فكأنّه (عليه السلام) يومئ الى حقارة العمر وقلّة أيّامه؛ لأنه كثيراً ما يكون مصحوباً بالكدر وسوء العيش.

صُبَابة

الصُّبَابة -بالضمّ- هي البقية اليَسِيْرة من الماء واللَّبَن التي تبقى في الإناء، وهي الصُّبّة أيضاً[٩]. واستعمل الإمام (عليه السلام) مفردة (صُبَابَة) مرتين في نهج البلاغة[١٠]،

---

(١) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٢/ ٤٠٤، وشرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٣/ ٢٦٣، والديباج الوضي: ١/ ٤٦٥، ومع نهج البلاغة: ٦٨.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٣١٦.

(٣) نفسه.

(٤) التَّمزَّز المصُّ والشُّرب قليلًا قليلًا، ينظر: تاج العروس (مزز): ١٥/ ٣٣٢.

(٥) الصّديان العطشان، ينظر: لسان العرب (صدي): ١٤/ ٤٥٣.

(٦) النقوع ذهاب العطش، ينظر: لسان العرب (نقع): ٨/ ٣٦١.

(٧) نهج البلاغة: خ/ ٥٢: ٩٢، ٩٣.

(٨) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٣١٦.

(٩) ينظر: تهذيب اللغة (صبب): ١/ ٣٧٧، ولسان العرب (صبب): ١/ ٥١٥.

(١٠) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢٥٠.

للدلالة على بقية الماء في الإناءِ. وذلك في سياق حديثه عن الدنيا وتَصرّمها. يقول(عليه السلام): ((**أَلاَ وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ حَذَّاءَ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلاَّ صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الإِنَاءِ اصْطَبَّهَا صَابُّهَا...**))(١). يشبّه الإمام انقضاء الدنيا وسرعة زوالها بالصُّبَابة الباقية في إناء الماء، فإنها لا تلبث أن تزول وتتلاشى، فضلاً عن عدم رِيّها وإسقائها الناس، فكذلك حال الدنيا التي لا تنفك منها المساوئ. وإطلاق لفظة (الصُّبَابَة) في هذا السياق يمثّل استعارة لبقية الدنيا القليلة. والقِلّة -هنا-هي القرينة الدالة على وجه الشّبه بين الطرفين حسبما يذكر بعض الشُّرَّاح (٢).

٧ـ أدوات القِرب والسّقاء.

الوِكَاء

الوِكاء رِبَاط القِرْبة(٣). وهو كل سَيرْ أو خَيْط يُشَدّ به فَم السِّقاء أو الوعاء يقال: أَوكيته بالوِكاءِ إذا شَدَدته(٤).

وقد جاءت لفظة (وِكَاء) مرتين في نهج البلاغة، الأولى مجردة من (ال) التعريف، والثانية محلاة بها (الوكاء)، للدلالة على الرِّباط أو السَّيْر الذي يُشدّ به فَمُ السِّقاءِ والوِعاء. ولكن الإمام تجوّز به الى معان أُخر يمكن إجمالها في الآتي:

أولاً: الدلالة على ضَبْط اللسانِ.

وقد جعل(عليه السلام) اللّسان بمنزلة الوِكَاء الذي يُشَدّ به السِّقاء فيحفظ ما فيه.

---

(١) نهج البلاغة: خ / ٤٢: ٨٤.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٢٩٦

(٣) ينظر: العين (وكي): / ٥ ٤٢٢.

(٤) ينظر: المحكم (وكأ): / ١٥٨٧، لسان العرب (وكي): / ١٥ ٤٠٥.

وذلك في سياق وَصِيَّته التي يوصي بها الإمام الحسن (عليه السلام)التي يقول فيها: ((**وَتَلافِيكَ مَا فَرَطَ مِنْ صَمْتِكَ أَيْسَرُ مِنْ إِدْرَاكِكَ مَا فَاتَ مِنْ مَنْطِقِكَ، وَحِفْظُ مَا فِي الْوِعَاءِ بِشَدِّ الْوِكَاءِ...**))(١). والقَيْد الذي يشد به الوعاء في هذا السّياق هو اللِّسان ؛ فقد فَسَّر الإمام عبارته المتقدمة ((...**ما فَرَطَ مِنْ صَمْتِكَ أَيْسَرُ مِنْ إِدْرَاكِكَ مَا فَاتَ مِنْ مَنْطِقِكَ**)). فجعل (الوعاء) هو (الفم) الذي يَصْدُر منه الكلام، تشبيهاً له بالوعاء الذي يحوي الماء و أيَّ شيء آخر. في حين جعل (اللسان) وكاء يُقيِّد المَنْطِق ويمنعه من أن يُفْلِت منه ما يُشِين أو يعيب من الكلام. وهذه هي العِلّة في نصيحة الإمام التي تدعو الى كثرة الصّمت والإقْلال من الكلام ؛ لأنّ ما يَفْرط من صَمت أيْسَر من إدراك ما فات مِن خطَلٍ و فُحشٍ في الكلام(٢). ولهذا فإنّ ترجيح الصَّمت، وإن استلزم الخطأ في الإفراط به، ولاسّيما إذا كان سكوتاً عن قَول الحقّ والحكمة، فذلك أَهون من الإفراط في الكلام والهَذْر دون فائدة. ولهذا كان الغرض - هنا - التَّحفظ عن عَوْرات الكلام بالصَّمت ؛ فيكون ذلك كلاماً، في حين من غير الممكن أن يُجعل الكلام صَمتاً. وهذا الأمر يفسّر لنا كثرة ما كان يوصي به الإمام من الصَّمت الإيجابي،إذا صحّ القول، وليس الصمت السلبي الذي يخرج عن مجال التكلّم بالحق أو الكلام المصحوب بالتّفكّر وإعمال الذّهن ؛ فـ((**مَنْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ، وَمَنْ تَفَكَّرَ أَبْصَرَ**))(٣)، و((**بِكَثْرَةِ الصَّمْتِ تَكُونُ الْهَيْبَةُ**))(٤). إنَّ توظيفه مفردةَ (وِكاء) في كلامه المتقدم جاء - فيما يبدو - من تأثُّره بالفاظ الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) وكلماته ؛ فقد وردت لفظة(وكاء) في بعض كلام النبي كما يظهر من تتبّع كتب الحديث، ومن

---

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٩٣.

(٢) نهج البلاغة: قصا / ٢٢٤: ٦٤٢.

(٣) نهج البلاغة: ك/ ٣١: ٥٠٩.

(٤) نفسه: قصا / ٢٢٤: ٦٤٢.

ذلك قوله: ((**غَطُّوا الإناءَ، وَأَوْكُوا السِّقَاءَ، فإنَّ في السَّنَةِ لَيْلَةً ينزلُ فيها وَبَاءٌ لا يَمُرُّ بِإناءٍ ليسَ عليه غِطاءٌ، أو سِقَاءٌ لَيْسَ عليه وِكاءٌ إلاّ نَزَلَ فيه...**))[1]، وقد أفادت اللفظة - هنا - الدلالة على الرباط الذي يُشدّ به فَم السّقَاء.

وأمّا في كلام أهل البيت (عليهم السلام)، وهم أهل الفصاحة والبلاغة، فقد وردت المفردة المتقدمة في كلام الإمام محمد بن علي البَاقر (عليه السلام) الذي يقول فيه: ((**والله لو أنَّ على أفْوَاهِكُم أَوكية ؛ لأَخْبَرْتُ كلَّ رَجُلٍ مِنكمُ ما لايستوحش معه الى شيء، ولكِن قَد سَبقَت مِنْكُم الإذاعَةُ واللهُ بالغٌ أمْرَه**))[2]. والأوكية - هنا - جمع وِكاء، واستعملت دالة على ضبط الألسِنة بِكتم الأخبار وسَتْرِها. وهذهِ الدلالة قريبة من دلالة مفردة (وكاء) في قول الإمام السَّابق.

ثانياً: الدلالة على العَيْن.

وهي عَيْن الإنسان البَاصِرة التي ذكرها الإمام في بعض حكمه التي يقول فيها: ((**العَيْنُ وِكَاُ السَّهِ**[3]))[4]. وفي هذا القول ضرب من عجيب التعبير وأبلغه ؛ فقد جعل (عليه السلام) العَين رِباطاً للسَّه، وهو الأُسْت- هنا-، جاعلاً الأخير وعاء، والوِكاء حافظاً له من أن ينطلق ما فيه. فكلما كانت العين يَقِظة، كان السَّته مُنضبطاً. وقد نقلت المدونات الخاصة بالحديث النبوي هذه المقولة عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، وتمامها هو: ((**الْعَيْنُ وِكَاءُ السَّهِ، فإذَا نَامَتِ العَيْنُ اسْتَطْلَقَ**

---

(١) صحيح مسلم: ٦/ ١٠٧.

(٢) خاتمة المستدرك، للميرزا النوري: ٥ / ٢٨٤.

(٣) السَّهِ هو حَلْقَةُ الُّبرِ من العَجْز، وهو في الأصل (سَتَهٌ) بِزنةِ (فَعَل). وقد تحذف عَيْنُهُ، فيقال (السَّهْ)، أو تحذف لامه فيقال (السَّتَ) و (الأُسْت). ينظر: لسان العرب (سَتَهَ): ١٣/ ٤٩٥.

(٤) نهج البلاغة (صبحي): قصا / ٤٦٦.

الوِكَاءُ))[١]. ومن العلماء من نسب هذا القول الى الإمام علي (عليه السلام)، ومنهم محمد بن يزيد المُبَرّد (ت ٢٨٥هـ)، الذي نَصَّ على ذلك في (المقضب)[٢].

أقول: إنّ نسبة هذا القول الى النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، لا يمنع أن يكون الإمام (عليه السلام) قد تكلّم به متأثراً بالبلاغة النبوية وأسلوب النبي في التعبير. ويحتمل أن يكون قد نقله عنه على سبيل التَّمثّل بأقوال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

وقد وقف البلاغيون والشُّرَّاح بإعجاب إزاء هذا الضرب من التعبير سواء أكان القول للنبي أم للإمام (عليه السلام)، فقد قال الشريف الرضي معلقاً عليه: ((وهذهِ من أَحسن الاستعارات... فكأنه عليه الصلاة والسلام شبّه السَّتّه بالوعاء، وشبّه العين بالوِكاءِ، فإذا نامت العين انحَلّ صِرار السَّتَه، كما أنه إذا زال الوِكاء دسع بما فيه الوعاء، إلاّ أنّ حفظ العين للسَّتّه على خلاف حفظ الوِكاءِ للوعاء؛ فإنَّ العَين إذا أُشرِجت لم تحفظ ستَهَهَا، والأوكية إذا حُلّت لم تضبط أوعيتها))[٣]. وفصّل الشارح ابن أبي الحديد وجه المشابهة بقوله: ((فجعل العينين وكاءً – والمواد اليقظة – للسَّته كالوِكاء للقِربة... وهذا من الكنايات اللطيفة))[٤]. إنَّ بلاغة هذا النوع من التعبير، وتوظيف تلكَ المفردات فيه على سبيل التشبيه مع خفاء أداة التشبيه ووجه الشَّبَه،

(١) مُسنَد احمد: ١/ ١١١، والسنن الكبرى، للبيهقي: ١/ ١١٨، وكنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، للمتقي الهندي: ٩/ ٣٤٢، والمجازات النبوية، للشريف الرضي: ٢٥٨. وقد نقل (ابن الأثير الجزري) الحديث ولم ينسبه. ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٥/ ٢٢٢.

(٢) ينظر: المقتضب: ١/ ٣٤، ٢٣٣، والمجازات النبوية: ٢٥٩. وقد وهّم (ابن أبي الحديد) المبّرد في نسبة الحديث الى أمير المؤمنين (عليه السلام). ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٢٠/ ١٥٧.

(٣) المجازات النبوية: ٢٥٨، ٢٥٩. وقد عدّ الشريف الرضي هذهِ الاستعارة من الاستعارات العجيبة. ينظر: نهج البلاغة: قصا/ ٤٦٦: ٦٩٤. وقيل في شأنها أيضاً: إنّها من الكنايات اللطيفة العالية الرفيعة. ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٢٠/ ١٥٧، و الديباج الوضي: ٦/ ٣٠٧٧.

(٤) شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٢٠/ ١٥٧.

أدّى الى اتساع دلالات هذا القول الذي يشتمل على معانٍ كثيرة محتملة تؤدي فيها لفظتا (الوِكاء، والسَّتهِ) مزيّة في الكشف عن دلالة التَّحصِين والحفظ التي تؤديها (العَيْن) بوصفها (الوكاء) الذي يمثل صمّام الأمان (للقِرْبة، أو السِّقَاء)، وهي المشُبَهّه به في هذا السياق. إذ تجاوز (عليه السلام) التصريح بهاتين اللفظتين، وانتقل الى لفظة (السَّهِ)، بوصفها الأس لذي يُراد حفظه والعناية به. ولهذا جُعِلت(العين اليَقِظَةُ) وكاء له ورباطاً. ولعل ذكر العين – هنا – يمثل رَمزاً للدلالة على اليقظة والانتباه والابتعاد عن الغَفلة، بدليل أنّ ما يُطْلَق من السَّتَه لا تراه العين، وإنما يُحَسّ به ويُدْرَى. ولهذا كانت العين وكاء وعلامة على ضبط النفس ومنعها مما يُذْهِب هيبتها. وقد ذكر الدكتور عبد الكريم السَّعْداوي جُملة من المعاني التي يحتملها النص مشيراً الى أنها جاءت من حذف وجه الشَّبه بين المشبّه والمُشَبّه به، فضلاً عن بُعد القرائن بينهما، الأمر الذي جعل هذا الاستعمال يتّسم بالغرابة ؛ لأنّه تعبير بلاغي عن دلالة شرعية مؤادها (أنّ النَّوْمَ يُنْقِض الوضوء) ؛ لأنّه مُضْعِف لأداء الوِكاء بزوال اليقظة والانتباه[١]. ويبدو أنّ الدكتور السعداوي أفاد من تمام الحديث النبوي الذي نصه: ((... **فإذا نامَتِ العَيْن اسْتَطلق الوِكاء**)). وهو نصّ في أنّ غَفْلَة العين ونومها مُنْقِض لوضوءِ من توضأ قبل نومه.

السِّقاءِ

السّقاء القِرْبَة التي تستعمل للماءِ واللَّبَن[٢]. وقيل: بل هو ظَرْف الماءِ الذي يُصنع من الجِلْد[٣]. والسِّقَايَة الإناء الذي يُسْقَى به، وهو الصَّاع أو الصُّواع الذي

---

(١) ينظر: غريب نهج البلاغة: ٣٩٨، ٣٩٩

(٢) ينظر: العين (سقي): ٥/ ١٨٩.

(٣) ينظر: لسان العرب (سقي): ١٤/ ٣٩٠.

يتخذ للشّرب كما يذكر الخليل[١]. وقد ذكر القرآن الكريم ذلك في قوله تبارك وتعالى: ﴿**فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ**﴾[٢] ثم فسرَّ (السِّقاية) بقوله (السِّقَاية) بأنها (صُوَاع المَلِك) في قوله: ﴿**قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ**﴾[٣] والسِّقَاية أيضاً هي المَوْضِع الذي يتخذ فيه الشّراب في موسم الحجّ[٤]، قال تعالى: ﴿**أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾[٥].

وقد وردت لفظة (السِّقاءِ) مرة واحدة في نهج البلاغة[٦]، دالة على السِّقَاء الذي يُمْخَض فيه اللَّبَن على وجه التشبيه. وذلك في سياق قوله (عليه السلام) الذي يتحدّث فيه عن خلق العالم وخَلق الرّيح التي يقول الإمام في وصفها: ((**ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ رِيحاً اعْتَقَمَ**[٧] **مَهَبَّهَا... فَأَمَرَها بِتَصْفِيقِ**[٨] **الْمَاءِ الزَّخَّارِ، وَإِثَارَةِ مَوْجِ الْبِحَارِ، فَمَخَضَتْهُ**[٩] **مَخْضَ السِّقَاءِ، وَعَصَفَتْ بِهِ عَصْفَهَا بِالْفَضَاءِ...**)). ويُشَبِّه الإمام تحريك الرّيح للأمواج بحركة السِّقاء الذي يُمْخض فيه اللَّبَن مَخْضاً، فتتلاطم في صفحات السِّقَاءِ أمواجه، وكذلك البحر الذي تحركه الريح،التي تتلاطم أمواجها ويصدر

(١) ينظر: العين (سقي): ٥/ ١٨٩، والمحكم (سقي): ٦/ ٤٨٨.

(٢) يوسف / ٧٠.

(٣) يوسف / ٧٢.

(٤) ينظر: لسان العرب (سقي): ١٣/ ٣٩٠.

(٥) التوبة / ١٩.

(٦) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢١٧.

(٧) الاعتقام مأخوذ من (العُقم)، وهو عدم الإنتاج و الإنجاب. ينظر: تهذيب اللغة (عقم): ١/ ١٨٩.

(٨) الصَّفْق الاضطراب والتقلب يميناً وشمالاً. ينظر: لسان العرب (صفق): ١٠/ ٢٠٢.

(٩) مخض اللبن هو تحريك اللبن لجعله روباً. ينظر: لسان العرب (مخض): ٧/ ٢٣٠.

عنها صوت عالٍ ؛ بسبب من حركة الريح وسرعتها. وتشبيه مَخض الرِّيح بـ(مخض السِّقاء) يُراد منه الدلالة على الاضطراب و شِدّة الحركة[١]، فضلًا عن إظهار صورة الزَّبد الذي تنتجه آثارة الموج الزَّخّار، كما يبدو ذلك في مَخْض السِّقاء للّبن الذي ينتج منه الزَّبد والرّوب.

أقول: وتحمل مفردة (السِّقاء) في هذا المقام، إشارة الى المنخفضات التي امتلأت بالبحار والمياه في سطح الأرض، فكأنها تشبِه السّقاء المعروف من جهة ضمّه للبّن واحتوائه.

٨ـ مشرب أهل النار.

صَدِيد

الصَّدِيد -في اللغة- الدّم والقَيْح الذي يَسِيْل من الجَسَد[٢]. وخصّه بعض اللغويين بالقَيْحُ والماء الرقيق والمِدّة التي تخرج من الجروح[٣].

واستعملت مفردة (صديد) مرة واحدة في نهج البلاغة[٤]، دالة على الدّم والقَيْحِ والمِدّة التي تخرج من جلود أهل النار، فتصير شراباً لهم. وقد أورد الإمام هذهِ اللفظة في سياق تحذيره من النار والوصية بِاتّقَائِها، إذ يقول: ((**وَاتَّقُوا نَاراً حَرُّهَا شَدِيدٌ، وَقَعْرُهَا بَعِيدٌ، وَحِلْيَتُهَا حَدِيدٌ،وَشَرَابُهَا صَدِيدٌ**))[٥]. و تصريحه بصفات النار واتخاذ أصحابها حلية وشراباً، سياق قرآني أخذه الإمام مما جاء في الذكر المبارك

---

(١) ينظر: منهاج البراعة: ١/ ٣١١.

(٢) ينظر: لسان العرب (صدد): ٣/ ٢٤٦، وتاج العروس (صدد): ٨/ ٢٦٧.

(٣) نفسه.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢٥٣.

(٥) نهج البلاغة: خ / ١٢٠: ٢٢٢، ٢٢٣.

من أنّ شراب أهل جهنَّم هو (الصَّديد)،إذ يقول الله تبارك وتعالى ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (١٥) مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ﴾(١) و(الصّديد) في الآية المباركة وفي كلام الإمام تدل على الدّم والقيح اللذين يشربهما أهل جهنّم. وقيل:إنّها القيح الذي يحول بين اللحم والجِلْد(٢).

أقول: ومفردة (صَديد)، بهذه الدلالة، من الألفاظ التي تقشعّر منها النفس وتمجّها ؛ لأنّ صورتها مكروهة في النّفس لما في (الدم و القيح و المِدّة) من شكل مقزّز وطعمٍ غير مستساغٍ. ولهذا أوردها الإمام ؛ لِيُنَفِّر بذكرها السّامعين من النار، ويغرس في نفوسهم حالة من التّرفُّع والابتعاد عنها ؛ تحذيراً من أن شربها سيكون من هذه المواد القذرة الممجوجة التي تشمئزّ منها النّفس

٩ـ أدوات تقسيم الماء في السَّفر.

المَقْلَة

المَقْلة – بالفتح – هي حَصَاة القَسْم، وهي حَصَاة تُلقى في المَاء لِيُعرف قَدْر ما يُسْقى منه، وذلك عند قِلَّته في السّفر(٣). ويصف اللغويون طريقة استعمال هذه (المَقْلَة)؛ فذكروا أنها تُوضع في إناء الماءِ، ثُم يُصَبّ فيه من الماء قَدْر ما يغمر الحَصاة، فَيُعطى كل واحد منهم(٤). وإنما قالوا لهذه الحَصَاة (مَقْلَة)، بالفتح،أو(مُقْلَة) تشبيهاً لها بمُقلة العَين التي تقع وسط بَياض العَيْن(٥). وأصل

(١) إبراهيم/ ١٥، ١٦.

(٢) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (صدد): ١/ ٥٦٩.

(٣) ينظر: المحكم (مقل): ٦/ ٤٤٢.

(٤) ينظر: المحكم (مقل): ٦/ ٤٤٢، ولسان العرب (مقل): ١١/ ٦٢٧.

(٥) ينظر: لسان العرب (مقل): ١١/ ٦٢٧.

المَقْـل، في اللغـة، الغَمْـس. يقـال: مَقَلَـه في المـاءِ مَقْـلاً. أي غَمَسـه وغَطَّـه[١].

واسـتعملت لفظـة (المَقْلَـة) مـرة واحـدة في نهـج البلاغـة[٢]، للدلالـة عـلى حَصـاة القَسَـم التـي يُقسَّـم المـاء بهـا عنـد قِلَّتـه. وذلـك في سـياق كلام الإمـام الـذي يتحـدث فيـه عـن الزهـد في الدُّنيـا. يقـول (عليه السلام): ((**أَلاَ وَإِنَّ الدُّنْيَـا قَـدْ تَصَرَّمَـتْ، وَآذَنَـتْ بِانْقِضَـاء، وَتَنَكَّـرَ مَعْرُوفُهـا... فَلَـمْ يَبْـقَ مِنْهَـا إِلاَّ سَـمَلَةٌ كَسَـمَلَةِ الأدَاوَةِ، أَوْ جُرْعَـةٌ كَجُرْعَـةِ المَقْلَـةِ...**))[٣]. فشـبّه مـدة الدنيـا والمنفعـة منهـا بـ (سَـمْلَةِ الإداوة) و(جُرعـة المَقْلَـة). يريـد مـن ذلـك الدلالـة عـلى ازدِراء الدنيـا وقِلّـة النّفـع منهـا، وهـو مـا يجعلهـا قـذرة كقـذارة مـاء المَطْهـرة. وقلّـة النّفـع والـرِّي فيهـا يشـبه جُرْعـة القَسْـم التـي تسـتعمل فيـه حَصَـاة المَقْلَـة فيجرعـه الصّدْيـان دونـما نَفْـعٍ أو رِيٍّ. وهـو مـا أكّـده الإمـام في قولـه الـذي يصـف فيـه حـال مـن يتنـاول جُرْعـة المَقّلَـة هـذه، إذ يقـول: ((**لَـوْ تَمَزَّزَهَـا**[٤] **الصَّدْيـانُ لَمْ يَنْقَـعْ**))[٥]. كأنّ النّقـع منهـا يمثـل ارتـواءً ورِيّـاً مـن هـذه الشرّبـة التـي لا تتحقـق للصـادي بسـبب مـن قلّـة المـاء فيهـا. وقـد علّـق الشـارح البحـراني عـلى قـول الإمـام المتقـدم الـذي وظّـف فيـه مفـردات (سَـمْلَة، ومَقْلَـة) فذكـر أنهـا دلالات تفيـد التقليـل والتحقـير لمـا بقـي منهـا لـكل شـخصٍ مـن النـاس، فـإنّ بقـاء الدنيـا لـه عـلى حَسـب بقائـه فيهـا. واسـتعار الإمـام مفـردة (السَّـمْلَة) لبقيّـة الدنيـا وشـبّهها ببقيـة المـاء في

---

(١) نفسه.

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٢٣.

(٣) نهج البلاغة: خ/ ٥٢: ٩٢، وقد نقلت المدونات اللغوية قول الإمام المتقدم برواية نقلها ابن الأثير الجزري نصّها: ((لم يَبْقَ منْها جُرْعة كَجُرْعة المقْلَة)). ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٤/ ٣٤٨، ولسان العرب (مقل): ١١/ ٦٢٧.

(٤) المِزّ في اللُّغَةِ هو القَدْر والفَضْل. ينظر: لسان العرب (مزز): ٥/ ٣٠٧.

(٥) نهج البلاغة: خ/ ٥٢: ٩٢، ٩٣.

الإداوة وبجرعة المَقْلَة، ووجه الشّبه عدم وجدان العطشان الماء إلاّ كبقية السّملَة والجرعة المَقْلَة، فكذلك حال طالب الدنيا المتعطش إليها، فإنه لا يجدُ منها تسكيناً لعطشه ورغبته فيها[1].

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٣١٦.

المبحث الثالث
ألفاظ شرب الخمر وأوقاتها

الخَمْر

أصل الخَمْر -في اللغة - مأخوذ من السَّتر أو الحَجب، فقد ورد عن العرب قولهم: أَخْمَره البيت. أي: سَتَره[١]. واختَمَرت المَرأة إذا سُتِرت، وخَمَّرت الإناء إذا سَتَرته وغَطَّتْه[٢]. ومن هذه الدلالة أُخذ معنى الخَمر الذي يعني السُّكر والنَّشوة، بحيث يكون شاربه ساتراً لنفسه وحاجباً لها عن الإدراك والوعي، فهي حجاب له عن العقل. فَتَصيرُ خُمْرتُها غشية له من السُّكر[٣]. ويُسمّى ما يُصيْب شاربها من الفَتْرة خُماراً[٤].

والخَمْر ضرب من الشراب المُسكِر المتّخذ من العِنَب وَعَصِيْره دون سائر الأشياء. ولهذا سمّت العرب العِنب خَمْراً[٥]. وقيل في سبب تسميتها بهذا الاسم إنّها تُرِكت فاختمرت، فسُمّيت خمراً ؛ أو لأنّها خامَرَت العقل وشابته[٦]. وقيل بل هي ما أسكر من عصير العِنب [٧]. وذهب أبو حنيفة الدّينوري (ت٢٨٢هـ) إلى

---

(١) ينظر: العين (خمر): ٤/ ٢٦٣، وتهذيب اللغة (خمر): ٧/ ١٦٠.

(٢) نفسهما.

(٣) نفسهما.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة (خمر): ٧/ ١٦٠.

(٥) ينظر: المخصص: م/ ٣: س/ ١١:٧٢، ولسان العرب (خمر): ٤/ ٢٥٥.

(٦) ينظر: لسان العرب (خمر): ٤/ ٢٥٥.

(٧) ينظر: المخصص: م/ ٣: / ٧٢:١١، وألفاظ الحضارة (زوين): ١/ ٥٠٦.

جواز أن تتّخذ الخَمر من الحبوب[١]،موسّعاً بذلك من دائرة انحصارها بالعنب وعصيره. والمعتمده في ذلك هو عامل(الإسكار) الذي يُؤديه تناول هذا الضّرب من الشّراب. ولذلك اختارت الجمهور أن تكون مفردة (الخَمر) عامة تشمل كل ما أسكر من عصير، لأنّ الأساس في ذلك هو السُّكر وغياب العقل[٢]. فقد حُرّمت الخمر في القرآن الكريم، وما بالمدينة يومئذ من خَمْر عِنب. وما كان شرابهم إلاّ البُسْر والتمر[٣].

وذكر أبو حاتم الرازي (ت٣٢٢هـ)، فيما نقل عنه، أنّ أهل الجاهلية كانوا يُفرّقون بين الخمر والنبيذ، وأنّهم عرفوا الخمر المتّخذ من البُسْر والتّمر، وأمّا المصنوع من عصير العنب فكان يُنسب إلى أهل فارس[٤]. ويصير العنب وغيره من المتخذات وسيلة لصناعة الخمر بطريقة الغلي، وهذه الطريقة تؤدي إلى إنتاج ضربين من السوائل، الأوّل هو (الخمر) المُسْكر المحرّم، ومن ثَمّ الخَلّ وهو السائل الحلال، لأنّه يخرج من منزلة الخمرة وأوصافها، وقد شرطوا له أن يكون متناهٍ في الحموضة، وأن تفارقه النشوة[٥].

وأمّا بالنسبة للنص على حُرمَة (الخَمْر)، فقد ورد ذلك في القرآن في قوله تعالى شأنه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ**

---

(١) ينظر: تاج العروس (خمر): ١١/ ٢٠٨.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: القاموس المحيط (خمر): ١/ ٢٠٨.

(٤) لم اعثر على رأي (أبي حاتم الرازي) في كتابه (الزينة في الكلمات الإسلامية)، غير أن الدكتور (علي زوين) نقله عنه موثقاً ذلك عن المصدر المتقدم. ينظر: ألفاظ الحضارة (زوين): ١/ ٥٠٦.

(٥) ينظر: ألفاظ الحضارة (زوين): ١/ ٥٠٦.

وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ الله وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾(١). وصرّحت الأحاديث الشريفة بذلك أيضاً، فعن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنّه قال: ((**إنّ في جهنّم وادياً يستَغيثُ أهل النار كلّ يوم سَبعينَ ألف مرة منه... فقيل له لمن يكون هذا العذاب؟ قال:لشارب الخمر من أهل القرآن وتارك الصلاة**))(٢).

وقد وردت مفردة (الخَمر)بصيغة اسم الجنس، و(الخُمُور) بصيغة الجمع على (فُعُول) في نهج البلاغة، وكان نصيب الأولى منها موضعين، في حين حظيت الثانية بموضع واحد فحسب(٣)، للدلالة على ما يأتي:

أولاً: الدلالة على الخمرة المعروفة المذهبة للعقل.

وجرى إيراد هذا المعنى عند الإمام(عليه السلام) في موضعين: الأوّل منهما في سياق حديثه الذي يروي فيه ما أخبره النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) به عن الفتن التي ستقع بعد وفاته، وفيه يبيّن حال القَوم الذين يُفتنُون بأموالهم، ويمُنّونَ بدِينِهم على الله تبارك وتعالى. يقول الإمام: ((**إنّه لّما أنْزَلَ الله سبحانه قوله: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾**(٤) **عَلِمْتُ أَنَّ الْفِتْنَةَ لَا تَنْزِلُ بِنَا وَرَسُولُ الله(صلى الله عليه وآله وسلم) بَيْنَ أَظْهُرِنَا. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، مَا هذِهِ الْفِتْنَةُ الَّتِي أَخْبَرَكَ اللهُ بِهَا؟. فَقَالَ: يَا عَلِيُّ، إِنَّ أُمَّتِي سَيُفْتَنُونَ مِنْ بَعْدِي... إِنَّ الْقَوْمَ سَيُفْتَنُونَ بِأَمْوَالِهِم، وَيَمُنُّونَ بِدِينِهِم عَلَى رَبِّهِمْ، وَيَتَمَنَّوْنَ رَحْمَتَهُ، وَيَأْمَنُونَ سَطْوَتَهُ، وَيَسْتَحِلُّونَ حَرَامَهُ بِالشُّبُهَاتِ الْكَاذِبَةِ،**

(١) المائدة: / ٩٠، ٩١.

(٢) وسائل الشيعة: ٤/ ١٤٩.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٤٦.

(٤) العنكبوت/ ٢.

وَالأَهْوَاءِ السَّاهِيَةِ، فَيَسْتَحِلُّونَ الْخَمْرَ بِالنَّبِيذِ، وَالسُّحْتَ بِالْهَدِيَّةِ، وَالرِّبَا بِالْبَيْعِ))[١].

وهذا النّص إخبار من النبيِّ إلى الإمام صاغه(عليه السلام) بأسلوبه كما يبدو من النّص[٢]. فقد استعمل(الجاهلية) مفردتي(النَّبِيْذ) و(الخَمر).والنَّبِيذ هو ما نُبِذَ من عصير ونحوه مما يُتخذ من التمر أو العنب أو العسل، أو الحنطة والشّعير، فَيُنبَذ في وعاء فيه ماء، ويترك حتّى يفور، فَيصيرَ مُسْكِراً، بل حتّى غير المُسكر منه فهو نَبِيذ أيضاً[٣]. والعرب تُسمّي الخَمْرة المُعتَصرَة من العنب نبيذاً، مثلما يقولون للنّبِيذ خمراً[٤]. وبهذا يكون المراد من كلام الإمام ((**يَسْتَحِلُّوْنَ الخَمْرَ بالنّبِيذ**))،إباحتهم شرب الخَمر، بدعوى أنّها نَبِيذ غير مُسكرٍ. والدليل على ذلك قوله: ((... السُحْت باهَدِيّة، والرَّبا بالبَيْع)). فالذي يأخذ السُّحت من الأموال، يحاول تسويغ ذلك بِعَدِّها هديّة، كما أنّ الذي يتعامل بالرِّبا، يُسوِّغ لنفسه ذلك مدعيّاً أنّها معاملة بيع أو شراء.فهؤلاء يستحِلّون شرب الخَمر المحرّمة بدعوى أنّا نَبِيذ على أساس أن النّبِيذ حلال في حين أنّ له صفات تقرب من أوصاف الخمر.

وأمّا الموضع الثاني الذي استعمل فيه الإمام مفردة (الخَمر)،فهو في سياق بيان العِلّة من فَرْض بعض الواجبات في الإسلام، وفي صدارتها (الإيمان)، فضلاً عن بيان السبب في ترك المحرمات، ومنها(الخَمْرة) التي تُعَدّ مذهِبة للعقل والإدراك. والخَمر المقصودة الإمام النص، هي (خمر) الدنيا التي لا سبيل إلى اجتماعها مع العقل. يقول(عليه السلام): ((**فَرَضَ اللهُ الإِيمَانَ تَطْهِيراً مِنَ الشِّرْكِ، وَالصَّلاَةَ تَنْزِيهاً عَنِ**

---

(١) نهج البلاغة: خ / ١٥٦: ٢٧٥.

(٢) ولم تنقل المدونات بالحديث النبوي هذا الحديث ؛ أمّا مَنْ نقله من المصنّفين، فقد روي عن الإمام(عليه السلام) من كلامه الوارد في نهج البلاغة، ينظر: وسائل الشيعة: 151/ 18.

(٣) ينظر: لسان العرب (نبذ): ٣/ ٥١١.

(٤) نفسه.

الْكِبْرِ... وَإِقَامَةَ الْحُدُودِ إِعْظَاماً لِلْمَحَارِمِ، وَتَرْكَ شُرْبِ الْخَمْرِ تَحْصِيناً لِلْعَقْلِ))[١].
وتحصين العقل هو الدافع المهم في وجوب تحريم شرب الخمر ؛ لأنّ علّة (الإسكار) فيها تمنع الإنسان من التّمتّع بعقله عند شربها، ولهذا وقع شارب الخَمر تحت طائلة العقاب ؛ لأنّه سعى إلى إذهاب عقله بإرادته.

ثانياً: الدلالة على خمر الآخرة.

وهذا الضرب من (الخُمور) يختلف عن الخمر الذي يمكن أن تسميته بـ(خمر الدنيا) المحرم، بإزاء ما يمكن تسميته (خَمر الجنّة) الذي يذكره الإمام(عليه السلام)عند وصفه الجنّة التي يصفها بقوله:**((فَلَوْ رَمَيْتَ بِبَصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَ مَا يُوصَفُ لَكَ مِنْهَا لَعَزَفَتْ نَفْسُكَ عَنْ بَدَائِعِ مَا أُخْرِجَ إِلَى الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا وَلَذَّاتِهَا، وَزَخَارِفِ مَنَاظِرِهَا، وَلَذَهِلَتْ بِالْفِكْرِ فِي اصْطِفَاقِ أَشْجَار غُيِّبَتْ عُرُوقُهَا فِي كُثْبَانِ الْمِسْكِ...، وَطُلُوعِ تِلْكَ الِّثمارِ مُخْتَلِفَةً فِي غُلُفِ أَكْمَامِهَا، تُجْنَى مِنْ غَيْرِ تَكَلُّف فَتَأْتِي عَلَى مُنْيَةِ مُجْتَنِيهَا، وَيُطَافُ عَلَى نُزَّالِهَا فِي أَفْنِيَةِ قُصُورِهَا بِالأَعْسَالِ الْمُصَفَّقَةِ، وَالْخُمُورِ الْمُرَوَّقَةِ))**[٢]. والنص صريح في أنّه يُطاف على نُزّال الجنّة بالأعسال والخمور، بحيث تَروق أصحابها. والرّوقة والمُروّق الخيار من الأشياء[٣]. والخمور المروّقة هي أصفى الخُمور التي تكون صافية خالية من الكدر. وقد ساق الإمام لفظة (خمور) بصيغة الجمع (فُعُول)، ومن قبلها مفردة (أعْسَال) على زنة (أفْعَال)، ليدل – فيما يبدو – على كثرتها وعدم نفادها في الجنّة. فخمر الجنّة ليست من خمر الدّنيا أبداً، فقد اختارها الله تعالى لعباده الصالحين مما لا عين رأت ولا أذن سمعت. في حين

(١) نهج البلاغة: قصا / ٢٥٢: ٦٤٧.
(٢) نفسه: خ / ١٦٥: ٣٠٠، ٣٠١.
(٣) ينظر: لسان العرب (روق): ١٠/ ١٣١.

أنّ (خمر) الدنيا شراب الخارجين الآبقين عن أمر الله تبارك وتعالى. وشتّان ما بين هذه وتلك. وقد استعمال الإمام المفردة المتقدمة متّسقاً مع استعمال القرآن الكريم لكلمة(خمر) التي ذكرها الله تعالى في سياق وصفه الجنّة التي وعدها المتّقين، إذ يقول فيها: ﴿**مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ...**﴾(١). فهذه الخمر ليست بأوصاف خمر الدنيا،فليس فيها سكر أو ذهاب عقل، فهي شراب طهور لايسكر شاربه ولا يصدعه، فهي كما يقول البارئ جل جلاله ﴿**وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا**﴾(٢). ويقول في موضع آخر ﴿**لاَ فِيهَا غَوْلٌ وَلاَ هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ**﴾(٣)، وقد ذكر المفسرون أنّ (خمر الجنّة) لا تُلحق الرأس صداعاً، ولا يفارق شاربها عقله عند شربها، فضلاً عن عدم نقصانها ونفادها(٤).

الصّبُوح

الصّبوح الخَمر التي تُشرب بالغداة فما دون القَائِلة(٥). وهو خلاف (الغَبُوق) التي تُشرَب بالعَشِيّ(٦). ولم تكن هذه التسمية - كما يبدو - دالة على شرب الخَمر، وإنّما تدل على ما يُشرب من اللّبن في هذا الوقت. فقد ذكر اللغويون أنّ (الصّبوح) هي الناقة التي تُحلب في ذلك الوقت، ويسمّى لبنها (صَبُوحاً) أيضاً ؛ لأنّه يُصطَبح به. والعرب تُسمّي النّوق بحسب أوقات حلبها، إذ يقولون ناقة (صَبُوحِي)، إذا

---

(١) محمد/ ١٥.

(٢) الإنسان/ ٢١.

(٣) الصّافات/ ٤٧،وتنظر: الواقعة/ ١٩.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز: ٥/ ٢٤٢.

(٥) ينظر: العين (صبح): ٣/ ١٢٥، وتهذيب اللغة (صبح): ٤/ ١٥٥.

(٦) ينظر: لسان العرب (غبق): ١٠/ ٢٨١.

كانت تحلب صباحاً، وناقة (غَبُوقِي) للتي تُحلب في العَشِيّ[١].

وقد وردت لفظة (الصَّبوح) مرة واحدة في نهج البلاغة[٢]، للدلالة على النّهل من الحكمة والعلوم بالغداة، وذلك في قول الإمام(عليه السلام) الذي يصف فيه (قوماً):((... **تُجْلَى بِالتَّنْزِيلِ أَبْصَارُهُمْ، وَيُرْمَى بِالتَّفْسِيرِ فِي مَسَامِعِهِمْ، وَيُغْبَقُونَ كَأْسَ الْحِكْمَةِ بَعْدَ الصَّبُوحِ**))[٣]. ووصفه لهذه النّخبة دقيق، وذلك فإنّ الله تبارك وتعالى لا يشحذ همم فئة إلاّ إذا كان عندها الاستعداد لتلقي المعارف والعلوم. ولهذا قال (عليه السلام) ((تُجْلَى بِالتَّنْزِيلِ أَبْصَارُهُمْ)). يريد: أنّها تنكشف لها آفاق المعرفة والعلم بوساطة التنزيل، مشيراً بذلك إلى القرآن الكريم. كأنّ (الأبصار) -هنا- تحتمل دلالتين: الأولى البصر الحقيقي الذي تؤديه حاسة النّظر، والآخر البصر العلمي المعرفي الذي تعقله القلوب التي في الصدور. وقد ذكر الشّارح المعتزلي أنّ (جلاء الأبصار) يمثّل إشارة إلى كشف الغطاء عن تلك القلوب بالقرآن وتلاوته[٤]. كأنّ - في ذلك - تهيئة إلى (رَمْي التفسير) في مسامعهم،إشارة إلى منحهم أسرار القرآن ومعارفه وتأويله بما يتضمّنه من أسرار ومعارف إلهية أوردها الله جل جلاله في القرآن الكريم.

أقول: وقد كنّى الإمام بمفردة (يُرْمى) عن معنى إلقاء هذه العلوم والأسرار فيهم، كأنّ تحصيلهم لهذه المعارف يكون بإلهام الله تبارك وتعالى، مصدقاً لقوله تعالى في كتابه العزيز: ﴿**فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ**

(١) ينظر: تهذيب اللغة (صبح): ٤/ ١٥٦، ولسان العرب (صبح): ٢/ ٥٠٣.

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢٥٠.

(٣) نهج البلاغة: خ/ ١٥٠: ٢٦١.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٩/ ٩٩.

﴿لَدُنَّا عِلْمًا﴾(١). وقد أشار الإمام إلى أوقات تلقّي هذه النّخبة التي اختارها الله جل جلاله للحكمة والمعارف القرآنية، فذكر تعبير (وَيُغْبَقُونَ كَأْسَ الْحِكْمَةِ بَعْدَ الصَّبُوحِ)، مصوّراً تلك العلوم بصورة الشّراب الذي يُنهل منه صباح مساء، تعبيراً عن أخذهم العلم والحكمة ومواظبتهم على تلقيها وتلقُّفها(٢). مستعيراً مفردة(الصّبوح)، للوقت الذي يتلقون فيه تلك الحِكمة، كأنّ(عليه السلام) يشبّه تلقّهيم هذا بمن يشرب اللّبن (الصَّبوحي) قبل القَائِلة من النهار، في إيماء منه إلى ما يضفيه هذا الضّرب من الشّراب على شاربه من اللّذة والارتواء و طيب الطّعم الذي يضفي عليهم النّشوة واللذة التي لامثيل لها، فتلقّيهم الحكمة يضفي عليهم استطابة و منفعة لأرواحهم وعقولهم وأبدانهم.فقصد الإمام أن يصوّر هذه الحالة فيهم عن طريق استعمال المفردات الخاصّة بوقت شرب اللبن أو الخمر التي تعد من أفضل الأوقات التي عند هؤلاء الشّاربين، وذلك من باب المقاربة في تحصيل المنفعة والمتعة في الارتواء والنّهل.

وقد تباينت آراء الشارحين في تحديد (القوم) الذين يتحدث عنهم الإمام(عليه السلام)، فمنهم من ذهب إلى أنّهم العارفون الذين جمعوا بين الزهد والحكمة والشجاعة، وهم من أنصار ولي الله (المهدي)(عليه السلام) الذي يكون خاتمة الأولياء. وقد صرّح بهذا الوجه الشارح ابن أبي الحديد(٣). في حين ذهب فريق آخر من الشارحين إلى أنّ هؤلاء هم علماء الأمّة المستجمعين لكمالات النفوس والسالكين سبيل الله، المرضيين عنده وعند الأئمة(٤). وقيل:بل هم قوم من عباد

(١) الكهف / ٦٥.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٦١٣.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٩/ ٩٩.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٦١٣، ومنهاج البراعة: ٩/ ١٣٠.

الله الصالحين[١]. وتعليقاً على ذلك أقول: بل المحتمل الأقوى أن يكون هؤلاء القوم هم أهل البيت(عليهم السلام) الذين يمثلون أعلى مستوى من مستويات المعرفة التي وهبها الله تبارك وتعالى لهم، فهم المثال الذي يُقاس عليه من يبتغي الحكمة والمعارف القرآنية.

يُغْبَقُون

الغَبْق والتَّغَبُّق والاغتِبَاق والغُبُوْق ألفاظ تدل على الشُّرب بالعَشِيِّ عند اللغويين[٢].

والظاهر أنّ أصل المفردة مأخوذ من اغتِبَاقِ الإبل والغَنَمِ، وهو سَقيها أو حَلبها بالعَشِيِّ[٣]. ومنه أُخِذ الغَبُوق، وهو ما شُرِب حاراً من اللّبَن بالعَشِيِّ[٤]. وذهب بعض اللغويين إلى عدّ الغَبوق ما أمسى عندهم من شرابهم فشربوه[٥]، وهو اللبن الذي فَضُل عندهم من الصَّبوح، فَتُرِك حتّى العَشِيِّ. وتُسمّى الناقة عند العرب (غَبُوقة)، إذا كانت تُحلَب بعد المغرب[٦]. واستعملت هذه المفردة للدلالة على شِرب الخمر مساءً[٧]، على سبيل تخصيص المعنى، فأضحت تنصرف عند إطلاقها على الضرب من الشرب.

(١) ينظر: الديباج الوضي: ٣/ ١١٩٦.

(٢) ينظر: العين (غبق): ٤/ ٣٥٦، وتهذيب اللغة (غبق): ٨/ ٣٨، ولسان العرب (غبق): ١/ ٢٨١.

(٣) ينظر: لسان العرب (غبق): ١٠/ ٢٨١.

(٤) نفسه.

(٥) نفسه.

(٦) نفسه.

(٧) ينظر: ألفاظ الحضارة (زوين): ١/ ٥٢٠.

وقد ورد الفعل (يُغْبَقوْن) في نهج البلاغة مرة واحدة[١]، للدلالة على شرب (كأس الحكمة)، وهو النّهل من العلم والحكمة ومعارف القرآن الكريم مساءً، وذلك في قوله(عليه السلام): ((... **ثُمَّ لَيُشْحَذَنَّ فِيهَا قَوْمٌ شَحْذَ الْقَيْنِ النَّصْلَ تُجْلَى بِالتَّنْزِيلِ أَبْصَارُهُمْ، وَيُرْمَى بِالتَّفْسِيرِ فِي مَسَامِعِهِمْ، وَيُغْبَقُونَ كَأْسَ الْحِكْمَةِ بَعْدَ الصَّبُوحِ**))[٢]. واستعمل الإمام هذا الفعل مبنياً للمجهول، للدلالة على تلَقِّيهم العلم وشُربهم كأسَه بطريق الإلهام والإلقاء كما يُلقى اللّبن في جوف شاربه عَشيّةً. وهنا تتضح الدلالة الزمنية التي أفادها الفعل (يُغبَقون) الذي أشرت إلى تآزره مع مفردة (الصّبوح)، لإظهار المعاني العديدة التي يمكن تصوّرها من خلال المفردات المستعملة في النّص، ومنها الدلالة على وقت تلقّي العلم والحكمة، وهي- كما يبدو من قول الإمام - أوقات إلهية حددها الباري الذي يُغْبِق في أذهانهم كأس الحكمة، فهذا النوع من العلم يمثل أعلى درجات المعرفة وأنقاها، وأكثرها منفعة؛ لأنّه علم تنزيل كتاب الله وتفسيره، ليدلل على أنّ هذا النوع من العلوم ليس علماً شخصياً أو إنسانياً، وإنّما هو علم إلهي يُعلِّمُه الله لخاصة أوليائه. ولهذا قال (عليه السلام) في ثنايا كلامه: ((يُرمَى بالتّفسِير في مَسَامِعِهم)، في إشارة إلى إلقاء العلم في أذهانهم وبثّه فيهم. ومن بديع التّوسّع الدلالي أنّ الإمام جرّد مفردتي (يُغْبقون)، (الصِّبوح) من دلالتيهما الاجتماعيّة المتعارفة عند الناس، وصرفهما إلى دلالة أخرى هي الدلالة على الشّراب المعنوي غير المادي (المُحلّل)، فليست (الغَبُوق) هي الخمرة المعروفة، وليست (الصّبُوح) خمرة الإصباح، وإن كان لابُدّ من حدّ لهذه النشوة، فهي سُكر العلم والحكمة ونشوتيهما.

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٣٣.

(٢) نهج البلاغة: خ / ١٥٠: ٢٦١.

النَّبيذ

النبيذ هو الشّراب الذي يُتّخذ من التّمر أو الزّبيب الذي يُنبَذ أو يُترك في وعاء أو سِقاء، ويجعل عليه الماء، ثم يترك لِيَفور، فيصير مُسْكراً[١]. وربّما عُمِل هذا الشراب من العسل، أو الحنطة والشعير، فضلاً عن التمر والزّبيب[٢]. وتسمّى الخَمرة المُعتصَرة من العِنب نَبيذاً، كما يسمّى النّبيذ خمراً[٣]. ويذكر اللغويون أنّه إنّما سُمّي النبيذ نبيذاً ؛ لأنّه يترك في الماء ليصير مُنبَذاً متروكاً مدة من الزمن[٤].

ويعامل(النّبيذ) في الإسلام معاملة (الخَمر) في الحُرمة والنّجاسة. وتروي الروايات أنّ قوماً سألوا النبي (صلى الله عليه وآله) عن النّبيذ، فقال لهم: ((**صِفُوه لي، فقالوا: يؤخذ من التَّمر، فيُنبَذ في إناءٍ، ثم يُصَبُّ عليه الماء حتّى يمتلئ، ويُوقَد تحتَه حتّى يَنْطَبِخ، فإذا انطَبَخَ أخَذُوه فألقَوه في إناءٍ آخرَ، ثم صَبّوا عليه ماءً، ثم يُمرَسُ صَفْوُهُ بِثَوبٍ، ثم يُلقى في الإنَاء، ثم يُصب عليه من عُكرِ ما قبله...: فقال رسول الله(صلى الله عليه وآله)، يا هذا قد أكثرت أفَيُسْكر؟. قال: نعم، فقال: فكل مُسْكِرٍ حَرَام...**))[٥].

وقد وردت مفردة (النّبيذ) في نهج البلاغة مرة واحدة[٦]، للدلالة على الشّراب المتّخذ من التّمر. وذلك في قوله(عليه السلام) الذي يخبر فيه عن النبي (صلى الله عليه وآله) حال الذين

---

(١) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٥/ ٦، ولسان العرب (نبذ): ٣/ ٥١٢.

(٢) نفسهما.

(٣) ينظر: لسان العرب (نبذ): ٣/ ٥١٢، وقد ورد عن الفقهاء أنّ الغالب عليها اتخاذها من التمر، ينظر: منهاج البراعة: ٩/ ٢٥٦.

(٤) نفسهما.

(٥) جواهر الكلام، للشيخ محمد حسن: ٦/ ٢٢.

(٦) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٣٤.

يستحلون الحرام بالشبهات، يقول: ((... **فَيَسْتَحِلُّونَ الْخَمْرَ بِالنَّبِيذِ، وَالسُّحْتَ بِالْهَدِيَّةِ، وَالرِّبَا بِالْبَيْعِ**))[١]. ومن أولى شبهات هؤلاء أنهّم يستحلون (الخمر) بدعوى أنّه (نَبِيذ)، معتبرين هذا الضرب من الأشربة المحللة لاتخاذها من التمر، فحكموا بحلّيته على أساس أنّ الحُرمة مخصوصة بـ(الخمر)، فذَمّهم الإمام تنبيهاً على فساد رأيهم، لأنّ النبيذ و الخمرة سواء في الحرمة؛ لاشتراكهما في الإسكار. وقد وردعن النبي الأكرم قوله: ((**الخَمْرُ من خَمْسَةٍ: العَصِيْرُ من الكَرمِ، والنَّقِيعُ من الزَّبِيبِ، والبُتْعُ من العَسَلِ، والمُرزُ منَ الشَّعِيرِ، والنَّبِيذُ من التَّمرِ**))[٢]. ولهذا أنكر على هذه الفئة مراوغتها ومحاولتها إيهام الناس بأنّ النبيذ محلل، فذكر أنّهم يُسوِّغون أعمالهم المحرّمة من خلال إلباسِها لباس الحلال؛ ليُظهروا صلاحهم، وهم مفسدون بلا شك.

وثمّة نوع من النّبذ عمّد إليه أهل (المدينة) في تحلية مائهم الذي يشربون منه، فذكروا ذلك للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فأمرهم أن ينبذوا. أي يضعون تمرة أو تمرتين في الماء، ليتغير طعمه ويحلو. وهذا الضّرب من التحلية يختلف عن النّبِيذ المصنوع أو المعدّ من التمر وغيره بالغليان، فهذا النّوع ملحق بالخمر في الصّفة والإسكار. ولهذا أراد هؤلاء أن يُشبهوا الخمر التي يشربونها بالنبيذ المتخذ من تُميرات يزال بها طعم الماء غير المقبول، وفاتهم أنّ فقدان العقل وذهابه يعد علامة فارقة من علامات السّكر.

---

(١) نهج البلاغة: خ/ ١٥٦: ٢٧٥.

(٢) الكافي، للكليني: ٦/ ٣٩٢، ومنهاج البراعة: ٩/ ٢٥٦. وثمة أحاديث كثيرة وردت في حرمة (النّبيذ) في المدونات الخاصة بالأحاديث النبوية، ينظر على سبيل المثال: وسائل الشيعة: ٢٥/ ٢٨١، ٦١٢، وبحار الأنوار، للمجلسي: ٦٣/ ٤٨٨. ومنهاج البراعة: ٩/ ٢٥٦، ٢٥٧.

الظواهر اللغوية

استعمل الإمام (عليه السلام) بناء (فَاعِلِ) في هذا المجال الدلالي ممثلاً بالفاظ (آجن، وآجناً) و (خاثرك) في حين ورد البناء نفسه المأخذ ومن الرباعي (مُكَدِّر) مرة واحدة.

في حين استعمل اسم الجنس في لفظتين، وهما لفظة (مَقِرة) وجمعها (المَقِر)، ولفظة (سَمْلَة).

ورد من أبنية الجموع في هذا المجال الدلالي بناء (أفْعَال) الذي جاءت على وزنه لفظة (أَعْسَال) جمع (عسل) دالة على (أعْسَال) الجَنَّة في مقام الوَصْف.

وقع الترادف الجزئي بين ألفاظ متعددة في هذا الحقل الدلالي. وذلك بين مفردات (كَدر، وزُعَاق، وآجِن) وبين (رَنِق، وأُجَاج) وبين (سَمْلَة، وصُبَايَة)، و(الصَّبِر، والمَقِر)، و (خاثِرك، و اللَّبَن).

استعملت لفظة (كدر) و اسم الفاعل منها (مُكَدِّر) للدلالة على تَعَكُّر الحياة، ومكدّرها، فضلاً عن وصف الإمام للموت بأنّه مكدّر الشّهوات في إشارة الى كونه القائم بتغيير صفو الدنيا ولذَّتها وذلك في ضرب من الاتساع لدلالة مفردة (كدر) واشتقاقاتها وطوّر الإمام من دلالة مفردة (آجِن)، فجعلها دالة على سُوء الخُلُق، وفساده، فضلاً عن انحراف العقائد وذلك في مقام وصف أهل الضلال وابتعادهم عن أهل البيت.

وساق الإمام لفظة (العسل) و (الأَعسال) للدلالة على أطايب الغذاء، في الدنيا والآخرة.

تطور مفردات (سَمْلَة) و (صُبَابَة) فساقها الإمام (عليه السلام) نحو الانحطاط عندما

استعملها للدلالة على حقارة الدنيا وقلّة شأنها.

استعملت مفردة (صَدِيْد) دالة على ما يشربه أهل النّار من قَيْحٍ ودَمٍ في جهنّم جزاءً بما كسبوا، وذلك على سبيل التّهكم والتحذير من سوء عاقبة أمثال هؤلاء.

طغت دلالة عدم الصفاء واختلاط الأمر على لفظة (خَاثِرك) التي وظّفها الإمام في كلامه لهذهِ الغاية.

وردت ألفاظ (أشْطَان) و(أَرْشِيَة) مجموعة جمعاً غير سالمٍ على وزن القِلّة فالأولى جاءت على (أَفْعَال) الثانية على (أفْعِلَة).

استعملت لفظة (المَقْلَة) اسم جنس بصيغة المفرد.

استعملت لفظة (كأس) مهموزة في الموضع كُلها التي استعملت فيها.

استعمل الإمام (عليه السلام) بناء (إفْعِيْل)، وهو بناء غير عربي ربما اشتُقَّ من (أفْعَل) مثل (إبليس) من (أبْلَس) كما يقول الخليل.

وقع الترادف الجزئي بين ألفاظ (كأس) و (قَعْب) و (النّوط)، وبين (عَزْب) و (السِّقاء)، وبين (الرَّكي) و (الطّوي) و (القَليب)، وبين (أَشْطَان) و (أرْشية)

ثَمّة علاقة جزء بكل بين لفظتي (الوِكَاء) و (السِّقاء).

استعمل الإمام لفظة (إبْريق)، وهي من الألفاظ المعرّبة للدلالة على تشبيه عُنُق الطاووس بمخرج الإبريق المعروف للدلالة على دقة الخلق وجماله الصنع.

انزاحت جمهرة من الألفاظ في هذا الحقل الدلالي من مجالاتها الدلالية الأصلية الى مجالات أُخر. ومن ذلك انتقال لفظة (كأس) من دلالتها على الأداة التي يُشرب بها الى جعلها أداة لشرب المنِيّة، وشرب الحكمة والجامع بينهما هو

الإعانة على الارتواء. ويعد هذا الضّرب من المجاز من الكنايات اللطيفة الفريدة في لغة الإمام (عليه السلام) كما نقل الإمام مفردة (غَرْب) الى الدلالة على الحِدّة في اللسان وسطوته. واستعملت لفظة (الرَّكي) الدالة على البِئْر في مجال آخر، وهو الدلالة على البعد و الإسراف في الوقوف في الظلمات التي لا مَنجىً منها إلاّ بالاستماع لوصايا الإمام والالتزام بها، مثلما وظّف الإمام مفردة (الطّوِي)، للدلالة على علمه العميق، وسعته تشبيهاً له بالبئر المطويّة البعيدة القَعْر.

واستعملت لفظة (الأرْشية)، للدلالة على الوصايا والنصائح التي كان الإمام (عليه السلام) يوجهها للناس ويستنقذهم بها.

أُصيبت بعض الألفاظ بالانحطاط الدلالي. فقد ازدُرِيَت لفظة (قَعْب) التي جعلها الإمام دالة على القدح المصنوع الخشب الذي أصابه القَذر، وذلك في مقام وصف بعض أصحابه بالخيانة وعدم إمكان إئتمانهم ولو على هذا النوع من الأقداح كما انحطت دلالة لفظة (قَلِيْب) التي تدل على البئر، بعدما نقلت من كونها مخصوصة بتوفير الماء الى جعلها مقبرة، أو مدفناً لقتلى المشركين في معركة (بَدْر).

الفصل الرابع

ألفاظ الزينة والجواهر ومتعلقاتها

جدول دلالي يبيّن شيوع ألفاظ الزينة ومتعلقاتها

مرتبة بحسب كثرة كل مفردة على الأخرى

الجواهر والحلي	زخرفها، الذهب، الحلي، زبرجها، العِقْيَان، الدر،الزبرجد، الفضة، اللجين، نطقت، الورق، تِبْراً، تيجان، جواهر، حجلها، رُعُثَها، زُمُرّدة، أسَاوِرة، عَسْجَدِيَّة، فُصُوص، فِلِز، قُلْبَها، قَلَائِدَهَا، كَبَائس، المُكَلّل، اللُّؤلُؤ، المَرْجَان، وِشَاحُة، يَاقوْتة،
ألفاظ الزينة	صبغ،الكحل، الخضاب، مداري، العِظلم، الوسمة
العطر والرياحين	طِيْب، رَيْحَانَة، المِسْك،عِطْر

المبحث الأول

ألفاظ الجواهر والحلي

زَخَارِفَها

أَصل الزُّخرُف الذَّهب(١). وهو الزّينة أيضاً(٢). وبيت مزخرف. أي: مُزَيَّن(٣).. ومن ثَمّ شبّه كلّ مُموَّهٍ ومُزوَّرٍ بالزُّخرُف(٤).

وقد استعمل الإمام (عليه السلام) ألفاظ (زَخَارِفَها) ثلاث مرات في نهج البلاغة، و(زَخْرَف) مرتين. في حين وردت ألفاظ (زُخْرُفه، وزخَارِف، وزَخَارِفك، ومُزَخْرَفة) مرة واحدة لكل منهما (٥)، للدلالة على الزّينة بعامّة. وقد شاعت هذه الدلالة في كلام الإمام حتى ارتبطت عنده السياقات التي يَذُم فيها أمير المؤمنين الدنيا وما فيها، فضلاً عن بيانه موقف النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) من الدنيا وتجنبه الدنيا وابتعاده عنها. ومن ذلك قوله (عليه السلام) في ابتعاد النبي عن الدنيا وزَخَارِفَها ((**وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ الله (صلى الله عليه وآله) مَا يَدُلُّكُ عَلَى مَسَاوِئِ الدُّنْيَا وَعُيُوبِهَا إِذْ جَاعَ فِيهَا مَعَ خَاصَّتِهِ(٦) وَزُوِيَتْ(٧) عَنْهُ زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِهِ**))(٨). ولّما كان السِّيَاق يتحدث

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة (زخرف): ٧/ ٢٧١، والمحكم (زخرف): ٥/ ٣٣٦.

(٢) ينظر: العين (زخرف): 338/ 4، ولسان العرب (زخرف): 132/ 9.

(٣) ()ينظر: المحكم (زخرف): 5/ 336.

(٤) ينظر: لسان العرب (زخرف): 132/ 9.

(٥) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: 200.

(٦) اختص بالشيء، وخصه. أي أفرده به دون غيره. ينظر: لسان العرب (خصص): 7 / 24.

(٧) زوى الشيء يزويه. إذا نحاه، فتنحى. ينظر: لسان العرب (زوي): 14 / 363.

(٨) نهج البلاغة: خ / 160: 284.

عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) وعلاقته بالدُّنيا ؛ لهذا أراد الإمام بيان مساوئ الدنيا ببيان موقف النبي منها، فذكر جُوْعه فيها، مع كونه من أخصّ النّاس وأقربهم منزلة إلى الله تبارك وتعالى. ولهذا نُحِّيَت عنه زَخَارِف الدنيا وكل زينتها المُمَوّهَة الخادعة. على الرغم من تَهَافُتِ النّاسِ اليها وطلبها، ولكن الله تبارك وتعالى أكرم نبيه بهذا الأمر، فمن طَمِعَت نفسه في الدنيا، فقد أهانها. يقول(عليه السلام) في ذلك: ((**فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ بِعَقْلِهِ: أَكْرَمَ اللهُ مُحَمَّداً بِذَلِكَ أَمْ أَهَانَهُ ؟ فَإِنْ قَالَ أَهَانَهُ: فَقَدْ كَذَبَ. وَاللهِ الْعَظِيمِ... وَإِنْ قَالَ أَكْرَمَهُ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهَانَ غَيْرَهُ حَيْثُ بَسَطَ الدُّنْيَا لَهُ، وَزَوَاهَا عَنْ أَقْرَبِ النَّاسِ مِنْهُ**))[١].

أقول: وقد تكرر تعبير الإمام في وصف انزواء الدنيا عن النبي في (خ / ١٦٠[٢])، فضلاً عن استعمال الإمام مفردة (زَخَارِف) بصيغة الجمع في هذا السياق، للدلالة على كثرة ما في الدنيا من زينة وزخارف ولكن النبي مال عنها وأَعْرَض؛ رغبة في الآخرة وما فيها. فقد دَلَّت مفردة (زَخَارف) على الزينة الخادعة في قوله (عليه السلام): ((... **أَيْنَ الْأُمَمُ الَّذِينَ فَتَنْتِهِمْ بِزَخَارِفِكِ فَهَا هُمْ رَهَائِنُ الْقُبُورِ**...))[٢]. وجاءت مفردة (فَتَنْتِهِمْ) في النّص. والفِتْنَة الابتلاء والاختبار[٣]. ومن هذا المعنى يفهم أنّ (زَخَارِف) الدنيا ما هي الاّ فِتْنَةٌ واختبار للناس، ليُمَيّز بها أصيلهم الذي لا يؤخذ بها ولا يغتَر، ومخدوعهم الذي غرّته الحياة الدنيا بِزِيْنَتِها الكاذِبَة. فكأنّها تَختبِرهم كما يُختبر الذهب والفِضّة بإذابتها بالنّار، وهذا هو الأصل في معنى مفردة (الفِتْنَة)[٤]. وقد وردت لفظة (زُخْرُف) دالة على الزينة المُمَوّهة في:(خ / ٣٢، ٧٤،

(١) نفسه: خ / 160: 285.

(٢) نهج البلاغة: ك / 45: 534.

(٣) ينظر: لسان العرب (فتن): 13 / 317.

(٤) نفسه.

١٦٥،١٢٨، ك / ٣).

الذهب

الذَّهَب التِّبر، والقطعة منها ذَهَبَةٌ[١]. والذَهَبَةُ المطرة الجيدة[٢]. والذهب مكيال لأهل اليمن[٣].

وقد وردت لفظة (ذَهَب) بصيغ متعددة في نهج البلاغة، فقد استعملت مفردة (الذَّهب) أربع مرات، ولفظتا (ذَهَبك) و (الذُهْبان) مرة واحدة لكل منهما[٤]، للدلالة على الذَّهب المعروف. ومن ذلك قوله (عليه السلام) في سياق وصيَّته لبعض عمّاله على الصّدَقات كان يكتبها لمن يستعمله عليها. يعلمهم فيها آداب جباية الصّدقات من الرّعيّة: ((... **ثُمَّ تَقُولَ: عِبَادَ اللهِ، أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ وَلِيُّ اللهِ وَخَلِيفَتُهُ، لِآخُذَ مِنْكُمْ حَقَّ اللهِ فِي أَمْوَالِكُمْ، فَهَلْ للهِ فِي أَمْوَالِكُمْ مِنْ حَقٍّ فَتُؤَدُّوهُ إِلى وَلِيِّهِ ؟ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: لَا. فَلَا تُرَاجِعْهُ، وَإِنْ أَنْعَمَ لَكَ مُنْعِمٌ، فَانْطَلِقْ مَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخِيفَهُ أَوْ تُوعِدَهُ أَوْ... فَخُذْ مَا أَعْطَاكَ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ فَإِنْ كَانَ لَهُ مَاشِيَةٌ أَوْ إِبِلٌ فَلَا تَدْخُلْهَا إِلَّا بِإِذْنِهِ...**))[٥]. والمراد بالذَّهب المعدن المعروف، بقرينة لفظة (الفضة) التي تُعَد القسيم (للذهب) حسبما معروف، وهما مما تكون فيه الزكاة. و يسمِّيها الفقهاء بـ(النَّقْدَيْن)؛ إذ لا تجب فيهما الزكاة إلا ببلوغهما النِّصَاب الشرعي[٦]. وقد وردت لفظة (الذّهب)

---

(١) ينظر: العين (ذهب): ٤/ ٤٠، والمحكم (ذهب):٤/ ٢٩٦.

(٢) ينظر: العين (ذهب): ٤/ ٤٠.

(٣) نفسه.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٧٢، ١٧٣.

(٥) نهج البلاغة: ك / ٢٥: ٤٨٢.

(٦) ينظر: نهاية الأحكام، للعلامة الحلي: 2/ 251. والنصاب في الذهب بلوغه عشرين مثقالًا، وفي الفضة بلوغها مائتي درهماً كما تذكر المدونات الفقهية.

بصيغة الجمع على (فُعْلان) في كلامه(عليه السلام) الذي يتحدث فيه عن حالِ الأنبياء وشَظف عَيْشهم: ((.. **وَلَوْ أَرَادَ اللهُ سُبْحَانَهُ لِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذِّهْبَانِ... لَفَعَلَ، وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلَاءُ، وَبَطَلَ الْجَزَاءُ...**))[١]. وأراد باستعمال صيغة الجمع على (فُعْلان)، وهي إحدى صيغ جمع التكسير، الإشارة إلى صِنف الذَّهب خاصة دون غيره من المعادن، فضلاً عن بيان أن كَثْرة (الذُّهْبَانِ) التي توحي بأنّ الله تبارك وتعالى لو أراد أن يُسْبغ على أنبيائه (الذُّهْبَانِ) على كثرتها لفعل؛ لأنّهم يستحقون ذلك، فيما لو تعلق الأمر بالأمور المادية،وجعلها سبيلاً لنعمائه عليهم. ولهذا استعمل (عليه السلام) مفردة (كُنُوز)جمعاً على(فُعُول)، التي توحي - أيضاً - بالغنى والزينة والثراء المادي، فالكنز - في اللغة - اسم للمال المدفون [٢]. ويبدو أنه غلب عليه معنى الجمع والاقتناء والحفظ، ولهذا قيل: إن الكنز اسم للمال إذا أحرز في وعاء[٣]. والعرب تسمّي كل كثير مجموع كنزاً[٤]. أمّا عند الإمام، فمفردة كنوز جاءت للدلالة على (كُنُوز الذّهْبَان). ويمثل هذا الاستعمال ضرباً من تخصيص الدلالة. بمعنى أنّ مفردة (كُنُوز) انتقلت من دلالتها على المال المدفون أو المجموع إلى دلالة أخرى هي الدلالة على الذهب المجموع أو المُحْرَز في وعاء لحفظه، وذلك إشارة إلى معنى الغِنى والثّراء الذي توحيه هذه اللفظة، فكيف إذا صار المكْنُوز (ذُهْبَاناً). وههنا يظهر تأثير التآزر الدلالي - إذا صَحّ التَّعبير بين صيغتي (فُعُول) التي سيقت على وزنها لفظة (كُنُوْز)، وبين صيغة (فُعْلان) التي جمعت عليها لفظة (ذُّهْبَان) فكلاهما تدلان على الكَثْرة في الجَمع، فضلاً عن

(١) نهج البلاغة: خ / ١٩٢: ٣٦٧.

(٢) ينظر: لسان العرب (كنز): ٥ / ٤٠١.

(٣) ينظر: لسان العرب (كنز): ٥ / ٤٠١.

(٤) نفسه.

إيحائهما بالمبالغة والتكثير،حسبما يفهم من النّص، وذلك يرجع إلى إضافة أحدهما إلى الآخر، وهو ما يخلق نوعاً من التَّعَجُّب لدى المخاطب الذي سيعجب من قدرة الله تبارك وتعالى على فَتح (كُنُوز الذِّهْبَانِ) وغيرها من العجائب، ولكنه (جل حلاله) أوْقَف ذلك كُلّه لِئَلّا يَبْطُل الجزاء ويسقط البلاء والتكليف، فلو جرى ذلك لما استحقَّ المؤمنون ثواب المُحسنين، ولَما وَجب للقابلين أجور المبتلِين كما يقول(عليه السلام)[1]. أقول: يبدو أن الإمام قد أفاد من التعبير القرآني في صياغة قوله (كُنُوز الذّهبان) من خلال قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾[2]. فقد جعل القرآن الكَنز للذهب والفضَّة. وعلى هذا النَّسَقِ جرى الإمام في قَولَه بجعل (الذُّهبان) (كُنُوزاً). هذا من جهة، ومن جهة ثانية: فالقرآن الكريم استعمل صيغة الجمع (فُعْلان) الدَّالة على الكثرة، (للقلّة النِّسبِيّة) حسبما يعبِّر الدكتور فاضل السامرائي،الذي يقول مُتحدّثاً عن بِناء (فُعْلان) ومجيئة للقلة مع أنه موضوع للكثير، وبيان العِلّة في ذلك:((وقد استعمل القرآن هذا الجمع للقلِّة النّسبيّة قال تعالى في وصف عباد الرحمن: ((**وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَاناً** ((. فقد وردت لفظة (عُمْيَان) مرة واحدة وهي هذه، ووردت لفظة (**عُمْي**) في سبعة مواطن هي قوله: ﴿**صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ**﴾[3]. وقوله: ﴿**صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ**﴾[4]. وهي كما نرى كلها في وصف اهل الكُفْر والضلال، وأرى أنَّ سبب

---

(١) ينظر: نهج البلاغة: خ / 192: 367.

(٢) التوبة / ٣٤.

(٣) البقرة / ١٨.

(٤) البقرة / ١٧١.

هذا التّغير ما ذكرته، وهو أنّ عباد الرحمن أقل من الكفرة دائماً كما يصرِّح القرآن الكريم في مواطن عديدة قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ (١)... فجاء بهذا اللفظ مع عباد الرحمن الذين هم قلة، للدلالة على القلّة النِّسْبِيّة))(٢). ومن خلال عقد موازنة بين استعمال القرآن الكريم لهذه الصيغة، وبين استعمال الإمام لها، يتضح أنّ السياق القرآني هو المسوّغ لتحّول دلالة (فُعْلان) من الكثرة إلى (القلّة النّسْبِيّة) ؛لارتباطها بالدلالة على (النُّخْبَة) من الناس، وهم عباد الرحمن. في حين أنّ السياق الذي وردت فيه لفظة (ذُهْبَان)في كلام الإمام هو سياق يتحدث فيه عن حال النَّبِيِّ(مُوْسَى بن عِمران وهَارُوْنُ (عليهما السلام)) وعدم امتلاكهم الإمام والكنوز، مقارنة بحال فرعون الذي يملك الكنوز والإمام.ولهذا ذكر (عليه السلام) أنّ الله تبارك وتعالى، لو أراد أن يفتح لأنبيائه (كُنُوز الذّهْبان)، وغير ذلك من الأمور التي لا يتَّسع لها ذِهن الناس وتصورهم،لفتح فالمسألة متعلقة بالمشيئة الإلهية. فجاء ذلك مناسباً لاستعمال لفظة (الذّهْبَانِ) على زِنة (فُعْلان) ؛ لاظهار الكثرة والنَّمَاءِ والثراء،الذي لو أراده الله تعالى لأنبيائه لصنعه لهم، وجاءت صيغة (فُعُول) معزّزة لهذا المعنى.

وقد استعملت مفردة (الذهب) في نهج البلاغة بالدلالة المتقدمة نفسها في (خ/ ١٩٢).

الحِلي

الحَلْي- بالفتح- ما يُتزيَّن به من مصوغ المعدنيات أو الحجارة (٣). وذكر الخليل

(١) سبأ/ ١٣.

(٢) معاني الأبنية: ١٥٨.

(٣) ينظر: المحكم (حلي):٣/ ٤٤١، وتاج العروس (حلي): ٣٧/ ٤٦٩.

أن الحلي كلّ حِلية حليت بها امرأة أَو سيفاً أو نحوه[١]. و الحَلي- بالفتح- للمرأة، وما سواها، فلا يُقالُ له حِلْيَة، سواء أكان ذلك للسَّيف و غيره[٢]. وذكر ابن الأثير الجزري أن الحلى اسم لكل ما يُتزيَّن به من مصاغ الذهب والفِضَّة[٣].وثمة دلالة أخرى لهذه الكلمة منها أن الحِلية هي الخِلْقَة والصفة والصورة[٤].

وقد استعمل الإمام لفظة (الحِلْيَة) مرتين في نهج البلاغة. في حين استعملت ألفاظ (حِلْيَتها) و(الحُلِيُّ)، و(حَلْي) مرة واحدة لكل منهما للدلالة على ما يأتي:

أولاً: الدلالة على الخلقة والصورة التي يتميز بها الناس.

واستعمل (عليه السلام) هذه الدلالة في سياق كلامه على صفات الله تبارك وتعالى وتنزيهه عمّا لايليق به.إذ يقول:((**كَذَبَ الْعَادِلُونَ بِكَ إِذْ شَبَّهُوكَ بِأَصْنَامِهِمْ وَنَحَلُوكَ حِلْيَةَ الْمَخْلُوقِينَ بِأَوْهَامِهِمْ**))[٥]. (والحِلية) – هنا – هي الخلقة أو الصورة التي يتصف بها خلق الله. ولهذا أراد الإمام أن يُبيّن ما صنعه هؤلاء (الْعَادِلون) الذين أعطوا الله جل جلاله صفات المخلوقين ومنحوه صورهم. فجعلوا لله عديلاً وشريكاً[٦]. وهذا من الكفر كما يقول(عليه السلام)؛ لأنه سَاوى الله بِخلْقِه، فَعَدَلَ بِهِ:((**وَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ سَاوَاكَ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِكَ فَقَدْ عَدَلَ بِكَ، وَالْعَادِلُ بِكَ كَافِرٌ بِمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ مُحْكَمَاتُ آيَاتِكَ...**))[٧].

---

(١) نفسهما.

(٢) ينظر: العين (حلي): ٣/ ٢٩٦.

(٣) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ١/ ٤٣٥، ولسان العرب (حلي):١٤/ ١٩٥.

(٤) ينظر: المحكم (حلي):٣/ ٤٤١.

(٥) نهج البلاغة: خ/ ٩١: ١٥٢.

(٦) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٤٣٤.

(٧) نهج البلاغة: خ/ ٩١: ١٥٢.

ثانياً: الدلالة على صفة الغدر والاغترار.

وهذه الدلالة متفرعة من الدلالة الأولى، وقد وظف الإمام مفردة (حِلْيَة) في هذا السياق للدلالة على أوصاف (المُغْتَرِّينَ) وذلك في كلامه عن فضل اهل البيت (عليهم السلام) على غيرهم: ((**بِنَا اهْتَدَيْتُمْ فِي الظَّلْمَاءِ، وَتَسَنَّمْتُمْ ذُرْوَةَ الْعَلْيَاءِ... مَا زِلْتُ أَنْتَظِرُ بِكُمْ عَوَاقِبَ الْغَدْرِ، وَأَتَوَسَّمُكُمْ بِحِلْيَةِ الْمُغْتَرِّينَ...**))[١]. ويشير (عليه السلام) إلى أنه كان يترَقَّب الغَدر منهم، وأنّ موقفهم معه موقف عاقبته الغدر؛ إيماء منه إلى غدرهم بعد بيعتهم له؛ فقد كان يلوح له من أفعالهم وأحوالهم هذا الأمر بحسب فَراسته فيهم[٢]. ومما يؤيد ذلك استعماله لفظة (أتوسَّمكم) التي تدل على تَفَرُّس الإنسان ومعرفته حقيقةَ الأمر بسمته وأوصافه[٣]. والمعنى أنّه تفرّس فيهم،من خلال سماتهم الظاهرة، صفة المُغترِّين، وعلم فيهم ذلك؛ بما لاح له من صفاتهم الدَّالة [٤]. فجاء بتعبير (أَتَوَسَّمُكم)،وعدّى الفعل بنفسه، ولم يَقُل (أَتَوَسَّم فيكم)، ما يوحي بشدة ارتباط صفة الاغترار بهؤلاء حتى صارت جزءاً لا يتجزّأ منهم. وبهذا تكون المفردة عند الإمام قد أصابها اتساع في الدلالة، فانتقلت من الدلالة على الزينة أو الجواهر إلى الدلالة على الصّفة والخُلُق غير المقبول.

ثالثاً: الدلالة على زِينَة الكَعبة وجواهرها.

وجاءت هذه الدلالة في سياق نصيحته (عليه السلام) للخليفة (عمر بن الخطاب) الذي سأله عن (حلي الكعبة) وجواز أخذه لتجهيز جيوش المسلمين به[٥]. فقال

(١) نهج البلاغة: خ / 4: 34.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): 1/ 187.

(٣) نظر: تاج العروس (وسم): 34 / 46.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): 1/ 187، والديباج الوضي: 1/ 231.

(٥) ينظر: نهج البلاغة: قصا / ٢٧٠: ٦٥٧،٦٥٨.

له: ((**إنَّ هَـذَا الْقُـرْآنَ أُنْـزِلَ عَـلَى النَّبِيِّ (صلى الله عليه وآله وسلّم) وَالأموال أَرْبَعَـةٌ: أَمْـوَالُ الْمُـسْـلِمِينَ، فَقَسَّـمَهَا بَيْنَ الْوَرَثَـةِ فِي الْفَرَائِـضِ، وَالْفَـيْءُ فَقَسَّـمَهُ عَـلَى مُسْـتَحِقِّيهِ، وَالْخُمُـسُ فَوَضَعَـهُ اللهُ حَيْـثُ وَضَعَـهُ، وَالصَّدَقَـاتُ فَجَعَلَهَـا اللهُ حَيْـثُ جَعَلَهَـا. وَكَانَ حَـلْيُ الْكَعْبَـةِ فِيهَـا يَوْمَئِذٍ، فَتَرَكَـهُ اللهُ عَـلَى حَالِـهِ وَلَمْ يَتْرُكْـهُ نِسْـيَاناً، وَلَمْ يَخْـفَ عَلَيْـهِ مَكَانـاً؛ فَأَقِـرَّهُ حَيْـثُ أَقَـرَّهُ اللهُ وَرَسُـولُهُ**))[١].((فَقَالَ عُمَـرُ: لَـوْلاَكَ لاَفْتَضَحْنَـا. وَتَـرَكَ الْحَـلْيَ بِحَالِـهِ))[٢].

و(الحَلْي)،في النـص، هـو زينـة الكعبـة ومـا يهـدي اليهـا مـن جواهـر وبُـرُد، ومايزينهـا مـن ذهـب أو فضـة. وإنـما أراد الإمـام مـن قولتـه هـذه منـع التـصرف بهـذه (الحَلْي)، لمـا مـرّ مـن أنّ الله تعـالى لم يـشر اليهـا في موطـن مـن مواطـن صرفهـا أو انفاقهـا في جهـة معينـة،واقتـداء بـما فعلـه رسـول الله مـن عـدم التـصرف بهـا[٣]. وقـد تخصصـت المفـردة المتقدمـة بمقتنيـات الكعبـة وحليهـا دون غيرهـا مـن الجواهـر والـبُرد وكنـوز الذهـب والفضـة التـي تهـدى إلى الكعبـة المقدّسـة. وقـد اكتسـبت المفـردة في هـذا السـياق ضربـاً مـن التشريـف والاجـلال ؛لاختصاصهـا بمقتنيـات الكعبـة الشريفـة.

رابعاً: الدلالة على فُصُوْصِ الجواهر المُنَطَّقةِ باللُّجَيْنِ.

وهـذه الفصـوص ضرب مـن الحُلِي التـي تسـتعمل في الزينـة. وذلـك في قولـه (عليه السلام) متحدثـاً عـن خلقـة الطـاووس وجمالـه:((**وَإِنْ شَـاكَلْتَهُ بِالْحُلِيِّ فَهُـوَ كَفُصُـوصٍ ذَاتِ أَلْوَانٍ قَـدْ نُطِّقَـتْ بِاللُّجَـيْنِ الْمُكَلَّـلِ...**))[٤]. ويفسر الإمـام الحُلِـي - هنـا- بالفصـوص الملونـة التـي أدير عليهـا اللّجين المكلّـل، والمُشـاكلة التـي يقصدهـا الإمـام في هـذا السـياق،هـي

(١) نفسه.

(٢) نفسه: قصا / ٢٧٠: ٦٥٨.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٤٦٦.

(٤) نهج البلاغة:خ/ ١٦٥: ٢٩٧.

المُشَابهة والمماثَلَة. يقصد بذلك إنه لو أُريد مُشاكَلَة هذا الطائر ومشابهته بالحُليّ، فإنَّ ذلك يجعله كَفُصوص مُلَوَّنَة. والفصوص ضَرب من الجواهر حسبما هو معروف، ونطاق اللُّجَين هو نطاق الفضّة الذي يُتَّشح به، أو تَتَمَنطَق به المرأة في الزينة، ولهذا جعله مشاكلاً للحُلِّي.

خامساً: الدلالة على حلية النار، وهي الحديد.

ويلحظ أنّه (عليه السلام) قد مَال بدلالة هذه اللفظة من دلالتها على الجواهر والمصوغات وما يُتزيَّن به من الذهب والفضة، إلى دلالة جديدة غير معهوده في هذه اللفظة، فمنحها معنى آخر لم يُشر اليه اللغويون. وجاءت هذه الدلالة في سياق الوعظ والارشاد والتحذير من النار في الآخرة، مُنَفِّراً منها ومُخوِّفاً من عاقبتها ؛ إذ يقول:))**وَاتَّقُوا نَاراً حَرُّهَا شَدِيدٌ، وَقَعْرُهَا، بَعِيدٌ وَحِلْيَتُهَا حَدِيدٌ، وَشَرَابُهَا صَدِيدٌ**...))[1]. والنص يفصِّل خصائص (نارِ جهنّم)، وأولى خصائصها حرّها الشديد، وقَعرها البعِيد. وهو وصف يدل - كما يبدو - على اتساعها وبعدها الموحي باستيعابِها وقدرتها على الامتلاء، وهو ما يقول عنه الله تبارك وتعالى: ﴿**يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ**﴾[2]. وأمّا (حِلْيَتُها)، فهي (الحَديد). وذلك أنّ ما يُعد لاهل النار في الآخرة،هو الحديد الذي تُصنع منه الأصفاد والأغلال والسلاسل التي تكون حِلية يحلّى بها المجرمون[3]. وهذه الدلالة مأخوذة من قوله تبارك وتعالى: ﴿**وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ**

(١) نهج البلاغة: خ / ١٢٠: ٢٢٢، ٢٢٣.

(٢) ق / ٣٠.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٥٥٣.

أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[١]. ويقول جل جلاله: ﴿**إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ**﴾[٢]. و تظهر هذه النّصوص المباركة الوسائل التي يسحب بها اهل النار، والتي جعلها أمير المؤمنين بمنزلة (الحِلي) التي يتزَيَّن بها أصحاب النار. و يفهم من هذا التعبير الدلالة على التهكم والاستهزاء بهؤلاء، فقد جعل الأَصفاد بمنزلة (الحِلْيَة)لاهل النّار، في مقابل حِليَة المؤمنين التي يذكرها القرآن الكريم، التي تشتمل على أنواع متعددة من الجواهر والألبِسة التي يصفها الله تبارك وتعالى بقوله: ﴿**أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا**﴾[٣]. أقول: ويبدو الفرق واضحاً بين هذا الوصف، والوصف السابق الذي يذكر فيه حال أصحاب النار. فالذين آمنوا يحلّون من أساور من ذهب، ويلبسون أرقى الثياب وأكثرها بهاءً، في حين أن حلية اهل النار ستُلحِق بهم الأذى والعار، فالمعروف أن الحديد يكون مطَاوعاً للنار التي تصهره و تشد من حرارته، فيصير شديد الإيذاء، فكيف إذا صهرته النار، وصار يذيب جلْد الإنسان جاعلاً منه (صَدِيْداً) مكوناً من الدّم والقَيح الذي ينتج من شدّة النار وحرّها. وبهذا يصبح (الصَّديد) شراباً لاهل للنّار ينهلون منه ومما تَساقط من جلودهم. ومن هنا يتّضح معنى التَّهكُّم الذي أفاده كلام الإمام لمن عصى الله تبارك وتعالى وعصى النبي، وضرب صَفْحاً عن قيم الإسلام وتعاليمه، فيكون حظّه نار جهَّنم بِحِليتها. فكأنّه (عليه السلام) يريد القول لمن آثر النّار على الجنّة، ما قاله الله تبارك وتعالى (للأثِيم): ﴿**خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٤٧) ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ**

(١) الرعد / ٥.

(٢) غافر / 71.

(٣) الكهف / ٣١، وينظر / ٢٣، وفاطر / ٣٣.

رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (٤٨) ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾[١].استهانَة وهزواً بما صار اليه من حال، وما ذاقه من وبالٍ.

زِبْرِجهَا

الزِّبْرِج الوَشي[٢].الزِّبرج الذَّهب[٣]، وقد جمع بعض اللغويين بين المعنيين،

فذهب إلى أنّ الزِّبرِج هو الزينة من وشي أو جوهر ونحو ذلك[٤].وقيل: هو النَّقْش[٥]. وأصل الزِّبرِج في اللغة، حسبما يفهم من أقوال اللغويين، السَّحاب النَّمِر الذي يجمع بين السَّوَاد والحُمرة المُخَيَّل للمطر[٦].

وقد وردت مفردة (زِبْرِجها) مرتين في نهج البلاغة، في حين جاءت لفظة (زِبْرِجه) مرة واحدة [٧]. فأمّا اللفظة الأولى، فقد استعملها (عليه السلام)، للدلالة على زبرج الدنيا وزينتها الخادعة. وذلك في قوله الذي يتحدث فيه عن التنفير من الدنيا، وعدم الانخداع بها، إذ يقول: ((**...مَنْ رَاقَهُ زِبْرِجُهَا أَعْقَبَتْ نَاظِرَيْهِ كَمَهاً**[٨]))[٩]. و(زِبْرِجُهَا) زينتها وَوَشْيها الخادع الذي لاقيمة له ؛ لأنّه حُطام بِرُمّته. والملاحظ أنّه الإمام نقل هذه المفردة من الدلالة على الزينة من الوَشي و

---

(١) الدخان / ٤٩.

(٢) ينظر: لسان العرب (زبرج): ٢/ ٢٨٥.

(٣) ينظر: لسان العرب (زبرج): ٢/ ٢٨٥، وتاج العروس (زبرج): ٦/ ٥.

(٤) ينظر: تاج العروس (زبرج): ٦/ ٥.

(٥) ينظر: لسان العرب (زبرج): ٢/ ٢٨٥.

(٦) نفسه.

(٧) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢٠٠.

(٨) الكَمَه العمى. ينظر: لسان العرب (كمه): ١٣ / ٥٣٦.

(٩) نهج البلاغة: قصا / ٣٦٧: ٦٧٤.

الجوهر، إلى الدلالة على الزينة المتعلقة بالدُّنْيا من طمع الإنسان بأن يحُوز ما فيها من متع ولذّات وأمور مادية. فضلاً عن أنّنا نَفهم من تعبيره المتقدم أنّ (زِبْرِجها) - هنا - يشير إلى المظاهر الخادعة للدنيا؛ لأنّ (زِبْرِجها) كالنَّقْش المُزوّر الذي يخدع الناظر اليه. ولهذا استعمل (عليه السلام) تعبير (أَعْقَبَت نَاظِرَيْه كَمَهاً)، للدلالة على أنّ المخدوع بها سيناله العَمى وضعف البصر منها ومن شهواتها، لما يقوم به المتصدي و المتعلّق بها من طماح وسعي إلى التعلّق بها. ويحتمل أن يكون المراد بـ (زبرج) الدنيا في هذا السياق، هو (غُرورها)، كما فَسّر اللغويون ذلك، عندما ذكروا قول الإمام في سياق آخر يقول فيه: ((... **وَلَكِنَّهُمْ حَلِيَتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِم وَرَاقَهُمْ زِبْرِجُهَا**...))[١]. فذكروا أنّ: زبرجها هو غرورها وزينتها [٢]. فالمُعجب بزبرج الدنيا سيعقب ناظريه العمى، كأنّه يعمى منصرفاً عمّا فيها من العِبر والاعتبار [٣]. أمّا مفردة (زِبرجه)، فقد استعملها الإمام، للدلالة على زبرج الخلافة وزينتها ومخُيلتها، وهي أيضاً وَشي خادع كاذب. يقول (عليه السلام) مخاطبا القوم لمّا عزموا على مُبايعة الخليفة عثمان: ((**لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا مِنْ غَيْرِي، وَاللهِ لَأُسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً الْتِمَاساً لِأَجْرِ ذَلِكَ وَفَضْلِهِ، وَزُهْداً فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وَزِبْرِجِهِ**))[٤]. وأشار بـ(زُخرُفه وزِبرِجه) إلى بيعة الخليفة(عثمان بن عفان)، فعدل من عود الضمير على الخلافة في صورة التأنيث، إلى عوده بضمير الغيبة على المذكر، في كلامه عن (الزخرف والزبرج)،

(١) نهج البلاغة: خ / ٣: ٣٢، وقد نقل قول الإمام هذا في لسان العرب (زبرج): ٩/ ٢٨٥، وتاج العروس (زبرج): ٦/ ٥.

(٢) ينظر: تاج العروس (زبرج): 6/ 5.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٤٨٨.

(٤) نهج البلاغة: خ / 74: 113، 114.

وذلك - فيما أحسب - إيماء إلى أنّ أمر البيعة والمُلك هو ضرب من الخداع والتزوير. ولتوكيد هذا الأمر استعمل أمير المؤمنين (عليه السلام) لفظتا (زُخْرُف،وَزِبْرِج)، وهما من الألفاظ الدَّالة على الزينة فالزُّخْرُف في الاصل هو الذهب، ثُمّ استعمل في الدلالة على كلّ مموَّه ومزوَّر منه[1]. وبهذا نفهم دلالة لفظة (زِبْرِجه) التي تدل - هنا- على الوشي والزينة الوهمية المزوّرة أيضاً، وقد أخذت هذه الدلالة من مفردة (زُخْرُف) المجاورة لها.

العِقْيَان

قال الخليل بن أحمد (ت١٧٠هـ): ((والعِقْيَان ذَهب يَنْبت نَباتاً، وليسَ مما يُذاب من الحجارة))[2]. وقيل: بل هو الذهب الخالص[3].

وقد وردت لفظة (العِقْيَان) ثلاث مرات في نهج البلاغة[4]، للدلالة على ضرب من المعادن النفيسة، وهو الذهب الخالص الذي يَنْبت نَبَاتاً دون أن يُذاب من الحجارة. وقد اختلفت الدلالات التي أوردها الإمام(عليه السلام) من توظيف هذه المفردة، ويمكن إجمال ذلك فيما يأتي:

أولاً: الدلالة على لون العقيان ونقائه وصفائه.

ونص(عليه السلام) على ذلك في سياق كلامه عن خلقة الطاووس وتنوع الوانه: ((تَخَالُ قَصَبَهُ مَدَارِيَ مِنْ فِضَّةٍ، وَمَا أُنْبِتَ عَلَيْهَا مِنْ عَجِيبِ دَارَاتِهِ، وَشُمُوسِهِ

---

(١) ينظر: لسان العرب (زخرف): ٩/ ١٣٢.

(٢) العين (عقي): ٢ / ١٧٨، وينظر: لسان العرب (عقي): ١٥ / ٨١.

(٣) ينظر: لسان العرب (عقي): ١٥ / ٨١، وتاج العروس (عقي): ٣٩/ ٧٧.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣١٣.

خَالِصَ الْعِقْيَانِ))[١]. وإنما قال: (خَالِصَ الْعِقْيَانِ). ولم يكتف بلفظة (العِقْيَان) وحدها ؛ لأنه أراد -فيما يبدو- النّص على صفاء لون هذا النوع من المعادن النّفيسة ولاسيّما (العِقْيَان) الموصوف بخلّوه من الشوائب، فهو أنقى أنواع الذَّهب. وبهذا يكون لونه خالصاً صافياً من كل ما يَعْلَق به من المعادن الأخرى.

ثانياً: الدلالة على القيمة المادّية للعقيان بوصفه واحداً من الكنوز الثمينة.

ولهذا أشار الإمام إلى أنّ الله تبارك وتعالى لو أراد أن يفتح لأنبيائه الكنوز لفتحها عليهم. يقول أمير المؤمنين في سياق كلامه عن دخول النبي (موسى وهارون) (عليهما السلام) على (فرعون) بملبسهما المتواضع. واحتقار فرعون لهيئتيهما. يقول(عليه السلام):((**وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونُ (عليهما السلام) عَلَى فِرْعَوْنَ، وَعَلَيْهِمَا مَدَارِعُ الصُّوفِ وَبِأَيْدِيهِمَا الْعِصِيُّ، فَشَرَطَا لَهُ إِنْ أَسْلَمَ بَقَاءَ مُلْكِهِ وَدَوَامَ عِزِّهِ. فَقَالَ: أَ لَا تَعْجَبُونَ مِنْ هَذَيْنِ يَشْرِطَانِ لِي دَوَامَ الْعِزِّ وَبَقَاءَ الْمُلْكِ، وَهُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ وَالذُّلِّ، فَهَلَّا أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا أَسَاوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ**[٢]**، إِعْظَاماً لِلذَّهَبِ وَجَمْعِهِ، وَاحْتِقَاراً لِلصُّوفِ وَلُبْسِهِ...**))[٣]. ويَرُدّ أمير المؤمنين (عليه السلام) على قَوْلَةِ (فِرْعَون) الذي جعل (مَدَارِع الصُّوف)، لباساً دالاً على الفَقْر وقِلّة الشأن،بإزاء (الذَّهَبِ) وجمعه الذي عدّه علامة على علو الشأن والغنى والمُلك. يقول (عليه السلام): ((**وَلَوْ أَرَادَ اللهُ سُبْحَانَهُ لِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذِّهْبَانِ، وَمَعَادِنَ الْعِقْيَانِ، وَمَغَارِسَ الْجِنَانِ وَأَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طُيُورَ السَّمَاءِ وَوُحُوشَ الأرضِينَ لَفَعَلَ...**))[٤].

(١) نهج البلاغة: خ / ١٦٥ : ٢٩٦.

(٢) إشارة الى خطاب فرعون الذي وجهه لقومه عند مناظرته مع النبي موسى (عليه السلام) في قوله تعالى ﴿فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ الزخرف / ٥٣.

(٣) نهج البلاغة: خ / ١٩٢ : ٣٦٧.

(٤) نهج البلاغة: خ / ١٩٢ : ٣٦٧. وقد نقلت المدونات اللغوية قول الإمام المتقدم. ينظر: النهاية في

فقدّم مفردات دالة على الكنوز والمعادن الثمينة على قوله (مَغَارِس الْجِنَانِ و طُيُور السَّمَاءِ) ؛ مراعاة لما كان يتصوره فرعون من قيمة للذهب والجواهر. ورداً على إعظامه للذهب وجمعه، ولهذا أراد الإمام بيان أنّ الله تبارك وتعالى لايعْجِزه أن يفتح كنوز الأرض لأنبيائه من الذّهْبَان، وَ العِقْيَان.

أقول: ومفردة (العِقيان) أكثر دلالة و إيحاء على الخالص من الذهب؛ ولغرض تحقيق دلالة التكثير والاستزادة في فتح الله لهذه الكنوز على أنبيائه، استعمل (عليه السلام) لفظة (الذِّهْبَان) بصيغة الجمع، وعطف عليها مفردة (عِقْيَان) التي تجانسها صوتياً ؛ تعضيداً لقيمتهما المادية، وتحقيقاً للانسجام الصوتي بينهما، فكلاهما بجرس صوتي متقارب. وقد التفت بعض الشُرَّاح إلى جمع الإمام بين لفظتي (الذِّهْبَان) و (العِقْيَان) في هذا السِّياق، فذكر أنّه إنما جمع بينهما مع كونهما من جنس واحد، لاختلاف نوعيهما، فالعِقْيَان الذّهب الخالص الذي لايحتاج إلى إخلاص أو تنقية بالكِير[1]. وفسرَّ اللغويون دلالة مفردة (العِقْيَان) في كلام الإمام ذاكرين أنها تدل على خالص الذهب[2]. كأنهّم يشيرون بذلك إلى صفائه وفضيلته على الذّهب وبقيّة أنواعه.

ومما تجدر الإشارة إلى أنّ هذه اللفظة جاءت بالدلالة المتقدمة نفسها في (خ/ ٩١).

الدُرّ

الدُّرَّة هي الحَبّةُ العظيمة من اللؤلؤ[3].وتجمع هذه اللفظة على (فُعْل)،

غريب الحديث: ٣/ ٢٨٣، و لسان العرب (عقي): ١٥ / ٨١.

(١) ينظر: الديباج الوضي: ٤/ ٢٠٠٤.

(٢) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٣/ ٢٨٣، ولسان العرب (عقي): ١٥ / ٨١.

(٣) ينظر: جمهرة اللغة (دره): 2/ 641، والمحكم (درر): 9/ 265.

و(فُعَـل)، فيُقـال: دُرّ، دُرَر [١].

وجـاءت لفظـة (الـدُّرُّ) مـرّة واحـدة في نهـج البلاغـة، هـي ولفظـة (دَرَارِيِّـا)[٢]، للدلالـة عـلى مـا يـأتي:

أولاً: الدلالة على الحَبِّ من اللؤلؤ.

يقـول (عليه السلام) في سـياق وَصْـف قـدرة الله تبـارك وتعـالى وكرمـه: ((**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَا يَفِرُهُ**[٣] **الْمَنْعُ، وَالْجُمُودُ وَلاَ يُكْدِيهِ**[٤] **الْإِعْطَاءُ، وَالْجُودُ إِذْ كُلُّ مُعْطٍ مُنْتَقِصٌ سِوَاهُ وَكُلُّ مَانِعٍ مَذْمُومٌ مَا خَلاَهُ... عِيَالُهُ الْخَلَائِقُ، ضَمِنَ أَرْزَاقَهُمْ، وَقَدَّرَ أَقْوَاتَهُمْ... وَلَيْسَ بِمَا سُئِلَ بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِمَا لَمْ يُسْأَلْ... وَلَوْ وَهَبَ مَا تَنَفَّسَتْ عَنْهُ مَعَادِنُ الْجِبَالِ، وَضَحِكَتْ عَنْهُ أَصْدَافُ الْبِحَارِ، مِنْ فِلِزِّ اللُّجَيْنِ وَالْعِقْيَانِ وَنُثَارَةِ الدُّرِّ... مَا أَثَّرَ ذَلِكَ فِي جُودِهِ**))[٥]. يتحدث الإمام عن جود الله جل جلاله وإنعامه على الخلائق، حتـى يصـل (عليه السلام) في وَصـف عطـاء الله إلى أنّـه لـو وهـب ماتَنَفَّسَـت عنـه معـادن الجبـال، وضحكـت عنـه أصـداف البحـار مـن كل الجواهـر والـدّرّ، مـا أثّـر ذلـك في وجـوده، ومـا أنقصـه ذلـك. وكانـت سـبيل الإمـام إلى بيـان هـذا المعنـى توظيفـه التعبير القـرآني في إظهـار كـرم الله تعـالى وجـوده فاسـتعمل مفـردة (تنفَّسـت)،لإظهار مـا يخـرج مـن الجبـال مـن الذهـب أو الجواهـر. وغـير ذلـك مـن الكنـوز. متأثّـراً بالقـرآن الكريـم الـذي استعمل (التَّنفس)، لانفـلاق الصَّبـاح وشروق شَمسه، في قولـه تبـارك

(١) ينظر: المحكم (درر): 9/ 265.

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: 153.

(٣) يفره، يزيده ويكثره. والوَفر من المال،الكثير منه. ينظر: لسان العرب (وفر): 5/ 287.

(٤) الكدية هي شدة الدهر، ينظر: تاج العروس (كدي): 39 / 380.

(٥) نهج البلاغة: خ / 91: 149، 150.

وتعالى[١]. ثُـمّ استعمل (عليه السلام) مفردة (ضَحِكَت)، للدلالة على ما تُنْتِجه أَصْدَاف البِحَار من الجواهر النفيسة واللؤلؤ. فجاء بمفردة (ضحِكت) للإشارة إلى فتح هذه الأصداف وإخراج ما فيها من دُرٍّ ولؤلؤ. فكأنه يشبّه هذه الأصداف بفم الإنسان الذي يتبسّم ضاحكاً، فتبدو منه الأسنان البيضاء التي تشبه الدّر.

وقد عني شُرَّاح النهج بالتعبير المتقدم، فذكر بعضهم أنّ قوله: ((تَنَفَّسَتْ عَنْه مَعَادِنُ الْجِبَالِ))، استعارة لما أخرجته الجبال وولدته من المعادن، فكأنها لما أخرجته وولدته كالحيوان الذي يَتَنَفّس، فيخرج الهواء من صدره. والأمر نفسه في (ضَحِكَت) التي تدل على تفتح الأصداف وانشقاقها [٢]. ووجه الشّبه بين الأمرين انفتاح الصّدفتين وإسْفَارهما عن اللؤلؤِ الشبيه في ظهوره بأسنان الإنسان عند ضحكه [٣]. وذهب بعض الشراح إلى أنّه إنما أضاف التَّنَفّس إلى المعادن، والضحك إلى البحار مع نفاسة كل منهما؛ فما يخرج من البِحار هي الأحجار الجوهرية مثل اللؤلؤ والياقوت والزّمُرّد. فوصفها بالضحك لما فيها من الصّفاء والرِّقة والنّعومة، بخلاف ما يخرج من المعادن من الذهب والفضة وغيرها؛ فإنها لا توصف بكونها جواهر، فجاء وصفه (عليه السلام) لها بالتَّنَفُس، وهو الخروج الذي لا يَصْحَبه الجوهر[٤]. وكلا الرأيين اللذين ذهب اليهما الشرَّاح يلتقيان في نفاسة ما يخرج من البرّ والبحر من الجواهر والنفائس، من الذهب والدّر والمرجان وغيرها. ويبدو الوجه الثاني أقَلّ دلالة من المذهب الأول الذي يرى المناسبة بين التَّنَفس والضحك وما يخرج من البر والبحر من جواهر.

---

(١) التكوير / 18.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): 5/ 92.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): 2/ 433.

(٤) ينظر: الديباج الوضي: 2/ 682، 683.

ثانياً: الدلالة على النجوم والكواكب.

وهي تبدو في السماء كأنّها الدُّرر التي علقت بكبِد السَّماء. وأورد الإمام هذه الدلالة في سياق وصفه السماء وما فيها. يقول (عليه السلام): ((**وَأَمْسَكَهَا مِنْ أَنْ تَمُورَ**[١] **فِي خَرْقِ الْهَوَاءِ...وَأَمَرَهَا أَنْ تَقِفَ مُسْتَسْلِمَةً لِأَمْرِهِ، وَجَعَلَ شَمْسَهَا آيَةً مُبْصِرَةً لِنَهَارِهَا، وَقَمَرَهَا آيَةً مَمْحُوَّةً مِنْ لَيْلِهَا...ثُمَّ عَلَّقَ فِي جَوِّهَا فَلَكَهَا، وَنَاطَ بِهَا زِينَتَهَا مِنْ خَفِيَّاتِ دَرَارِيِّهَا، وَمَصَابِيحِ كَوَاكِبِهَا...**))[٢]. يصوّر الإمام السماء، بوصفها آية من آيات الله تبارك وتعالى التي يبصرها الإنسان ويلحظ مافيها من نجوم وبهاء تنتجه هذه النّجوم. وثَبات السّماء وإمساكها في موضعها يعد آية قائمة برأسها، فضلاً عمّا يعتريها من النور والظُّلْمَة، وانكشاف هذه الظلمة بشروق الشمس.

الزَّبَرجد

الزَّبَرْجَد الزُّمُرّذ[٣]. وربما قيل: الزَّبَرْدج[٤]. وذكر الزَّبيدي (ت ١١٠٥ هـ) أنّ الزَّبَرجد جوهر معروف، وهو من أنواع الزُّمرّذ[٥]، و فرع منه، فالزّمُرّد عام يشتمل على أنواع عدّة من الأحجار الكريمة منها الزَّبَرجد. وقد ذكرت كتب الجواهر أن الزَّبَرجد معدن قَريب من الزُّمرّذ، وتقرب منافعهما من بعض، من حيث الجودة والندرة. فهما معدنان مترادفان لا ينفصل بعضهما عن البعض الآخر. و(الزَّبَرجد) من الألفاظ غير العربية، فهو لفظ أعجمي معرّب، حسبما يذكر الجواليقي (ت ٥٤٠ هـ) الذي نص على أعجميته مع الزمرد بقوله:((والزَّبَرجد معروف

---

(١) المَور التردد في الذهاب والمجيء. ينظر: لسان العرب (مور): 5/ 186.

(٢) نهج البلاغة: خ / 91: 154، 155.

(٣) ينظر: العين (زبرجد): ٦/ ٢١٠، ولسان العرب (زبرجد): ٣/ ١٩٤.

(٤) ينظر: لسان العرب (زبرجد): ٣/ ١٩٤، وتاج العروس (زبرجد): ٨/ ١٤٠.

(٥) ينظر:تاج العروس (زبرجد): ٨/ ١٤٠.

والزُّمرّذ... وهما أعجميّان معرّبان)) [١].

ومفردة (الزَّبَرْجد) من ألفاظ نهج البلاغة التي استعملها الإمام مرتين[٢]، دالة على جوهر الزَّبَرجد المعروف ولونه وذلك في سياق كلامه عن عجيب خلقه الطاووس وجماله. فمن استعمال المفردة دالة على حجر (الزَّبرجد) قوله (عليه السلام) واصفاً ريش الطاووس: ((**تَخَالُ قَصَبَهُ مَدَارِيَ مِنْ فِضَّةٍ، وَمَا أُنْبِتَ عَلَيْهَا مِنْ عَجِيبِ دَارَاتِهِ، وَشُمُوسِهِ خَالِصَ الْعِقْيَانِ، وَفِلَذَ الزَّبَرْجَدِ**))٩. يشبّه الإمام دارات ريش الطاووس عند فَرْشِها وانفتاحها مشكّلة نصف بدر، كأنها هالات القَمر، أو شموس شبيهة بالشمس الاستدارة والاستنارة حسبما يذكر بعض الشُّرَّاح [٣]. ويلحظ أنّ الإمام استعمل مفردتي (الْعِقْيَانِ) و(الزَّبَرْجَدِ)، وهما من الألفاظ الدَّالة على الحلي والجواهر، مناسبة للسياق الذي يشبّه فيه الإمام ريش الطاووس المتعدد الألوان بهذه الجواهر، فأخذ من العِقْيَانِ لونه الأصفر ليشبّه الألوان التي تعلوا أطراف ريش الطاووس ببريقها اللاّمعِ وصّفرتها الفاقعة [٤]. وأخذ من الزَّبَرجد الشكل الذي يكون عليه هذا الحجر الكريم بلونه الأخضر المتميّز، كأنها قطع تتوسط ريش هذا الطائر[٥]. وخصّ مفردة (الزَّبَرْجد) بالحجم والشّكل الذي يشبه القطع أو الأحجار المميزة بشكلها وحجمها. مستعملاً لها مفردة (فِلَذَ) جمع (فِلْذَة)، وهي القطعة من المال أو الذّهب أو الفضة، التي تدل

(١) المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم: 223.

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: 200.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٦٦٨.

(٤) نفسه.

(٥) نفسه.

على قطع الكنوز المدفونة تحت الأرض[١]. فكأنه يصف تنضيد الوان هذا الطائر بالكنوز التي تكون مدفونة في التراب،كناية عن خفائها في أجزاء ريشه، ولكنها ما تلبث أن تبدو للعيان عند نشر ريشه بألوانه الزّاهية التي تتوسطها فِلَذ من الزَّبرجد الأخضر الذي تُطَعَّم به قصباته، فكأنها كنوز من الجواهر. فما كان منها أخضر اللون فهو الزَّبَرْجَد بعينه[٢]. وذلك على نحو التشبيه. وقد أكد الإمام ذلك في موضع آخر من كلامه عن خلقة الطاووس، ذاكراً أنّ شيوع اللّون الأخضر في ريشه، يمنحه لون الزَّبَرجد وخضرته، فضلاً عن بقية الألوان التي تتضد في ريشه من صفرة، وحُمرة وغير ذلك.إذ يقول (عليه السلام): ((**وَإِذَا تَصَفَّحْتَ شَعْرَةً مِنْ شَعَرَاتِ قَصَبِهِ أَرَتْكَ حُمْرَةً وَرْدِيَّةً، وَتَارَةً خُضْرَةً زَبَرْجَدِيَّةً...**))[٣]. والنّص على الوان الأحجار الكريمة -هنا- إشارة منه إلى تميّزه بالجمال والروعة وحسن التنضيد في الطاووس.

ويفهم من هذا الوصف أنّ تنوّع الألوان وتواردها في هذا الطائر، علاوة على هذا التنضيد العجيب في توزيع هذه الألوان، يُظهِر قَدرة الله تبارك وتعالى، وغلبته في الخلق والإبداع وتبكيت للمخلوقين وإثباتاً لعجزهم في عدم القدرة على الخلق.فضلاً عن عدم القدرة على وصف هذا المخلوق الذي أظهره تبارك وتعالى للعيون، لادراكه ومعرفة عجيب صنّعه[٤].

أَصْدَاف

((الصَّدَف غِشَاءُ خَلْقٍ في البَحْرِ، تَضُمُّهُ صَدَفَتَانِ مفروجتان عن لحم فيه روح

(١) ينظر: لسان العرب (فلذ): ٣/ ٥٠٢.

(٢) ينظر: الديباج الوضي: ٣/ ١٣٦٨.

(٣) نهج البلاغة: خ / ١٦٥: ٢٩٩.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣ / ٦٦٨.

يسمى المحارة فيه اللؤلؤ))[١]. و الصَّدَف غلاف اللؤلؤ[٢].

وقد وردن لفظة (أَصْدَافُ) في كلام الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة مرتين[٣] للدلالة على المَحَّار الذي يضم اللؤلؤ. يقول (عليه السلام) في سياق حديثه عن عظيم خَلْقِ الله تبارك وتعالى في البَرِّ والبحر: ((**وَمَا أَوْعَبَتْهُ**[٤] **الْأَصْدَافُ وَحَضَنَتْ عَلَيْهِ أَمْوَاجُ الْبِحَارِ...**))[٥].

وأشار (عليه السلام) بالْأَصْدَاف -هنا- إلى المَحَّار الذي يَضمّ الدُّرّ أو اللؤلؤ، وعبر عن قيمة ما تحويه هذه الأصداف وغرابته وجماله، بمفردة (أَوْعَبَتْه). أي: ضَمَّتْه وجمعته حَتّى لم تترك منه شيئاً. والدلالة نفسها لمفردة (أَصْدَاف) وردت في (خ/ ٩١) أيضاً.

الفِضّة

الفِضّة ضرب من الجواهر معروف[٦]. والمُفَضّض هو المُمَوّه بالفضة[٧]. ونجمع هذه اللفظة على (فِضَض) عند اللغويين[٨].

واستعملت لفظة (الفِضّة) مرتين في نهج البلاغة، دالة على الفِضّة المعروفة، المعدودة من الجواهر. ومن ذلك قوله الإمام في سياق وصيته إلى عماله على الصدقات في كيفية جباية الصدقات من الناس. يقول فيها: ((... **ثُمَّ تَقُولَ: عِبَادَ**

(١) العين (صدف): 7/ 101.

(٢) ينظر: لسان العرب (صدف): 9/ 188.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤/ ٢٥٤.

(٤) أوعب الشيء، أي لم يدع منه شيئاً. ينظر: تاج العروس (وعب): 4/ 350.

(٥) نهج البلاغة: خ/ ٩١: ١٦٧.

(٦) ينظر: المحكم (فضض): ٨/ ١٦١، ولسان العرب (فضض): ٧/ ٢٠٨.

(٧) ينظر: المحكم (فضض): ٨/ ١٦١.

(٨) ينظر: لسان العرب (فضض): ٧/ ٢٠٨

اللهِ، أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ وَلِيُّ اللهِ وَخَلِيفَتُهُ، لِآخُذَ مِنْكُمْ حَقَّ اللهِ فِي أَمْوَالِكُمْ، فَهَلْ للهِ فِي أَمْوَالِكُمْ مِنْ حَقٍّ فَتُؤَدُّوهُ إِلى وَلِيِّهِ ؟ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: لَا. فَلَا تُرَاجِعْهُ، وَإِنْ أَنْعَمَ لَكَ مُنْعِمٌ،فَانْطَلِقْ مَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخِيفَهُ أَوْ تُوعِدَهُ أَوْ... فَخُذْ مَا أَعْطَاكَ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ...))[1]. ونظير هذه الدلالة ما ورد في (خ/ ١٦٥).

اللُّجَيْن

اللُّجَيْن الفِضَّة[2]. وقيل: هو اسم من أسماء الفِضَّة[3].

وقد جاء هذا اللفظ مرتين في نهج البلاغة [4]، دالّة على الفِضَّةِ التي تُعَدُّ القسيم لَمعْدِنِ الذَّهَب.ومن ذلك قوله (عليه السلام) في سياق وصف الطاووس وجماله: ((... **وَإِنْ شَاكَلْتَهُ بِالْحُلِيِّ فَهُوَ كَفُصُوصٍ ذَاتِ أَلْوَانٍ قَدْ نُطِّقَتْ بِاللُّجَيْنِ الْمُكَلَّلِ**...))[5]. يصف الإمام الطاووس في هذا النص، مُشَبِّهاً إيّاه بالفصوص المُرَصَّعَةِ بِصَفَائِحِ الفِضَّةِ المُكَلَّلَة بذلك التَّرقيع[6]. والدلالة نفسها لمفردة (اللُّجَيْنْ) وردت في (خ/ ٩١)

نُطِّقت

كل شيءٍ شددت به وسطك[7] والنطاق شبه إزاء فيه تكة كانت المرأة تنطق به[8].

وذكر بعض اللغويين وصفاً للنطاق بأنه شقة تلبسها المرأة وتشد وسطها ثم

(١) نهج البلاغة: ك/ ٢٥: ٤٨٢.

(٢) ينظر: العين (لجن): ٦/ ١٢٤، وتهذيب اللغة (لجن): ١١/ ٥٦.

(٣) ينظر: ألفاظ الحضارة (زوين): ١: ٥٧٩.

(٤) ينظر المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٠٧.

(٥) نهج البلاغة: خ/ ١٦٥: ٢٩٧.

(٦) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٦٦٨.

(٧) ينظر: العين (نطق): ٥/ ١٠٤، ولسان العب (نطق): ١٠/ ٣٥٥.

(٨) ينظر: العين (نطق): ٥/ ١٠٤.

ترسل الأعلى منه على الأسفل إلى الرّكبة[١].

وقد استعملت مفردة (نُطِّقت)، و(نطاقة) المضافة الى ضمير الغائب في نهج البلاغة مرة واحدة لكلٍ منهما[٢]. وكانت اللفظة الأولى بدلالة النطاق الذي يحيط وسط الجسم، بيد ان الإمام (عليه السلام) استعملها للدلالة على ما يحيط وسط (الطاووس) من أزاهير والوان، فكأن هذا النطاق الذي طوق به هذا الطير مصنوع من اللجينة المكلل. يقول (عليه السلام): ((**وَإِنْ شَاكَلْتَهُ بِالْحُلِيِّ فَهُوَ كَفُصُوص ذَاتِ أَلْوَان، قَدْ نُطِّقَتْ بِاللُّجَيْنِ الْمُكَلَّلِ**))[٣].

وقد أخذ الإمام مفردة نطقت لإظهار الطوق الذي يتحلى به الطاووس، فيكون زينة له، فقد نقل الإمام اللفظة المتقدمة للدلالة على النصوص الملونة ليظهر جمال هذا الطير. واستعار الإمام لفظة (نطاقة)، ليضمنّها كلامه سياق إجابته من سأله عن قول النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله): ((**غيّروا الشيب، ولا تشبهوا باليهود**))[٤]. فقال (عليه السلام) ((**إِنَّمَا قَالَ(صلى الله عليه وآله) ذلِكَ وَالدِّينُ قُلٌّ فَأَمَّا الانَ وَقَدِ اتَّسَعَ نِطَاقُهُ وَضَرَبَ بِجِرَانِهِ فَامْرُؤٌ وَمَا اخْتَارَ.**))[٥] وقد دل (عليه السلام) بقوله (اتسع نطاقه) على السعة والانتشار، وذلك على سبيل الكناية[٦]، وهو كالنطاق المتسع العظيم وسط صاحبه.

فقد صور الإمام نطاق الإسلام بالحد الذي يحيط به. ومن ثم يتسع، فيكون

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة (نطف): ٩/ ٢٤، ولسان العرب (نطق): ١٠/ ٣٥٥.

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لالفاظ نهج البلاغة: ٤٤٤.

(٣) نهج البلاغة (صبحي): خ: ١٦٥: ٢٩٧.

(٤) الجامع الصحيح (سنن الترمذي): ٤/ ٢٣٢، والمعجم الاوسط: ٢/ ٥٥، والديباج الوضي: ٦/ ٢٧٣٥.

(٥) نهج البلاغة: قصا / ١٧: ٦٠١.

(٦) ينظر: لسان العرب (نطق): ١٠/ ٣٥٤، ونهج البلاغة: قصا / ١٧: ٦٠١ هامش (٨).

اكبر مما أحاط به، كأنه يُشبهه بالنطاق الذي يشد المسلمين الى بعضهم البعض الآخر.

الوَرِق

والوَرِق -بالكسر- الفِضَّة[١]. وربما سُكِّنَتِ الرّاء فقيل وَرْق[٢]. وقيل: بل الوَرِق هو المضروب من الفِضَّة[٣]. وكذلك الرِّقَّةُ التي تدل عند اللغويين على الفِضَّةِ والذهب[٤]. ووسعّها بعضهم حتى جعلها دالّة على المال أيضاً[٥]. والوَرَق - بالفتح - المالُ من الإبل والغَنَم[٦].

واستعمل الإمام لفظة (الوَرِق) في كلامه الوارد في نهج البلاغة مرَّتين [٧]، للدلالة على مَعْدِنِ الفِضَّة المعروف الذي يُعدّ أحد الكنوز، ومن علامات الغِنى أيضاً، ولاسيّما إذا اجتمع مع الذَّهب. ومن ذلك قوله (عليه السلام) في سياق انكاره على بَعِضِ عُمَّالِه الذي بَنَى بِنَاءً فَخْماً عظيماً، فقال الإمام في ذلك: ((**أَطْلَعَتِ الوَرِقُ رُؤُوْسَهَا إِنَّ الْبِنَاءَ يَصِفُ لَكَ الْغِنَى**))[٨]. فأورد مفردة (الوَرِق)، وهي في اللغة الفِضَّة[٩]، أو المَضْرُوب منها[١٠] على هَيأَة المال. فاستعملها الإمام في سياق إنكار

(١) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٥/ ١٧٤.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: المغرب في ترتيب المعرب: ٢/ ٣٥٠.

(٤) ينظر: المحكم (ورق): ٦/ ٥٥٧.

(٥) نفسه

(٦) ينظر: تهذيب اللغة (ورق): ٩/ ٢٢١.

(٧) ينظر المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٨١.

(٨) نهج البلاغة: قصا/ ٣٥٥: ٦٧١.

(٩) () ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٥/ ١٧٤.

(١٠) ينظر: المغرب في ترتيب المعرب: ٢/ ٣٥٠.

البَـذْخِ والـتَّرَف الـذي بَـانَ عـلى بَعْـضِ عمّالـه، فَصَـارت المفـردة مُتَّسـعةَ الدلالـة، إذ وسـع الإمـام مـن دلالتهـا ؛ لتصبـح دالـة عنـده عـلى كثـرة المـال والغنـى.

وقـد مَـال شُرَّاح النهـج إلى المعنـى المتقـدم أيضـاً، فعـدّوا مفـردة (الـوَرِق) كنايـة عـن كثرة المـالِ، وهـو اشـارة إلى عُلُـوِّ البنـاء واطلاعـه باعتبـار أن البنـاء يُنْبِـيءُ عـن الغِنَـى[١].

أقـول: وكذلـك عـدَّ الإمام(عليه السلام)(الـوَرِق، والذَّهَـب) مـن الخَزَائِـن المكنـوزة التـي لابُـدَّ أَنْ تُحْفَـظَ وتُمْنَـع، مُشَـبِّهاً بهـا (اللّسَـان)الذي يتكلـم بـه الإنسـان، في اشـارة للحفاظ عليـه مـن عثـرات الـكلام، وسَـقَطَاته. يقـول (عليه السلام) في سـياق بيـان أثـر الـكلام وقيمتـه: ((**الْكَلَامُ فِي وَثَاقِكَ**[٢] **مَا لَمْ تَتَكَلَّـمْ بِـهِ، فَـإِذَا تَكَلَّـمْتَ بِـهِ صِرتَ فِي وَثَاقِـهِ، فَاخْـزُنْ لِسَـانَكَ كَـمَا تَخْـزُنُ ذَهَبَـكَ وَوَرِقَـكَ، فَـرُبَّ كَلِمَـةٍ سَـلَبَتْ نِعْمَـةً وَجَلَبَـتْ نِقْمَـةً**))[٣]. يشـير إلى قيمـة اللسـان ومـا يتكلّـم بـه ؛ لأن المِقْـوَل جـزءٌ مهـم في أحـكام القَـوْلِ، فـما زال الـكلام محكومـاً ممنوعـاً حتـى يَنْطِـقُ بـه اللسـان، فعنـد ذلـك يَصِيْر المـرء رَهْـن كلامـه إنْ خـيراً فَخَـيْر، وإنْ شراً فَـشَر. ولهـذا أكّـدّ الإمـام عـلى ضرورة خَـزْنِ اللسـان كـما يَخْـزَن الذّهـب والفِضّـةُ،ويمنعـان عـن الغَـيْر بسـبب مـن قيمتهـا العاليـة، وإن المـرء لايخْرجهـا إلا في المواضـع التـي يسـتحق انفاقهـا والبِـدَار إلى صرفهـا، لأنهـا مـن الكنـوز التـي يحـرص الإنسـان عـلى عـدم التفريـط بهـا. وكذلـك ينبغـي أن يكـون الحـرص على(اللسـان / القـول) فربـما خرجـت منـه كلمـة أصابـت مـن الإنسـان مقتـلاً.و (الـوَرِقُ) في هـذا السـياق هـي الفِضّـة، بقرينـة مفـردة (ذَهَبَـكَ) التـي جاورتهـا، وصَرَفتهـا مـن الدلالـة عـلى الأمـوال إلى الدلالـة عـلى معـدن الفِضَّـة - كـما يبـدو

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٤٨٤، والديباج الوضي: ٦/ ٢٩٨٥.

(٢) الوثاق اسم لما يوثق به ويحكم كالحبل وغيره. ينظر: لسان العرب (وثق): ١٠/ ٣٧١.

(٣) نهج البلاغة: قصا / ٣٨١: ٦٧٩، ٦٨٠.

تِبْراً

التِّبْر الذهب كُلُّه[١]. وذهب بعض اللغويين إلى أن التِّبرْ هو جميع جواهر الأرض من ذهب وفِضّة و نحاسٍ وصُّفْر وغير ذلك مما استخرج من المعدن قَبْل أَنْ يُصَاغ أو يستعمل[٢]. وقيل هو الفُتات من الذَّهَب والفِضَّة قبل أَن يُصَاغا، فإذا صِيْغَا فهما الذَّهَب والفِضَّة. وأكثر اختصاص (التِّبْر) عند اللغويين بالذَّهَب[٣]، سواء أكان مضروباً أم غير مضروب، حتّى ذهب بعضهم إلى أنّ لَفْظَةَ (التِّبْر) لا تُقَال إِلّا للذَّهب[٤]. ومال بعضهم إلى عَدّها فرعاً في غير الذَّهَبِ، من المعدنيات كالنّحاس والحديد التي يقال لها (تِبْر) على سبيل التجَّوز[٥].

أقول: ويبدو أنّ هذه المفردة مأخوذة أصلاً من الدلالة على (التَّبار)، وهو الهَلاك في اللغة[٦]، فهم يقولون: تَبَرَّه تَتْبِيراً. أَي: اهلكه و كَسَّره[٧]. وقَد سُمِّي كل مُكَسَّر تِبْراً. وتبدو أنّ هذه الدلالة قريبة من قوله تبارك وتعالى ﴿**وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا**﴾[٨]. ويجمع أغلب المفسرين على أن التتْبِير، في الآية المباركة، هو التَّفْتِيْت والهلاك[٩].

---

(١) ينظر: لسان العرب (تبر): ٤/ ٨٨.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه.

(٤) نفسه.

(٥) نفسه.

(٦) نفسه.

(٧) نفسه.

(٨) الفرقان / ٣٩.

(٩) ينظر: تفسير البيضاوي: ٤/ ٢١٨، والمحرر الوجيز: ٤ / ٤١١.

ولفظة (تِبْراً) من ألفاظ نهج البلاغة التي وردت في كلام الإمام مرة واحدة[١]، دالة على الذَّهَب والفِضَّة اللذين لم يُضْربا بَعْد. واستعمل أمير المؤمنين هذه المفردة في سياق كلامه على زُهْدِه وورعه وتقواه عمّا تَضُمُّه الحياة الدنيا من مَلَذّات. يقول (عليه السلام): ((**فَوَاللهِ مَا كَنَزْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تِبْراً، وَلَا ادَّخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا وَفْراً**[٢]...))[٣]. ولفظة (تِبْراً) تفيد الدلالة على الذهب غير المضروب الذي يُمَثّل كنزاً من الكُنُوز، ولهذا استعمل الإمام مفردتي (كَنَزْت) و (غَنَائِمِهَا)، وهما من الألفاظ الدالّة على حيازةِ الأموال والجواهر. فالكَنْز اسم للمال إذا أُحْرِز في وعاء أو مكان ما[٤]، وتطلق المفردة أيضاً على الذَّهَب والفِضَّة[٥]. وهو ما يَعْضد دلالة لفظة (تِبْراً) على المعدنين المتقدّمين في هذا السياق. أمّا مفردة (غَنَائِمِهَا)، فهي من الألفاظ التي توحي بحيازة الغنائم في الحروب والغزوات، (فالغنيمة والغَنَائم)، ما أُصِيْب من أموال اهل الحرب، وَأَوْجَف عليه المسلمون الخَيْلَ والركابِ[٦]. ولهذا يلحظ في هذه المفردة انضمامها إلى مجال الألفاظ الإسلامية، بوصفها من ألفاظ الغنائم المخصوصة بالجهاد في الإسلام، فضلاً عن أن الإمام اتبعها بلفظة (وَفْراً)، والوَفْر – في اللغة – هو المال الكثير. وبهذا يكون الإمام قد أعْلَن أنّه لم يكنز في دنياه ذهباً ولا فِضّة، سواء أكان بواسطة موقعه، بوصفه خليفةً للمسلمين، أو بوصفه قائد الجيش الإسلامي، فيحوز من غنائم الحرب التي يقودها يمكن له

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٧٠.

(٢) الوفر من المال والمتاع، الكثير الواسع. ينظر: لسان العرب (وفر): ٥ / ٢٨٧. وقد أورد اللغويون كلام الإمام المتقدم. ينظر:لسان العرب (وفر):٥/ ٢٨٧.

(٣) نهج البلاغة: ك / ٤٥: ٥٣٠.

(٤) ينظر: لسان العرب (كنز): ٥/ ٤٠١.

(٥) نفسه.

(٦) نفسه: (غنم): ١٢/ ٤٤٦.

أنْ يَحُوْزَ الكثير منها، فهو أجَلّ وأتقى من أن يُفَكِّر في ذلك البَتَّةَ.

تيجان

التيجان في اللغة جمع تاج، أو أتواج، والفعل منه التتويج[١]. والتاج الاكليل، وتوجه أي البسه التاج[٢]. والتاج من البسة الرأس التي يستعملها غير العرب من ملوك العجم[٣]. ويكون التتويج ايضاً علامة على تسويد الرجل، يقال. توجه أي: سوّده[٤]. ولهذا غالباً ما تصنع التيجان من الذهب والجوهر[٥]. ويتخذها الملوك رمزاً للسلطة[٦]. وربما استعملتها النساء للزينة[٧].

وتعد هذه المفردة من الالفاظ المعربة في العربية، وهي بحسب اللغويين – من الالفاظ الفارسية المعربة ؛ اذ استعملت عندهم بوزن (فَعّل((تَـوّج) للدلالة على بعض الاماكن والمدن[٨]. وذهب بعض الباحثين الى ان اصل لفظة (تاج) في الفارسية (تاك)[٩].

وان هذه المفردة عربية الاصل، ولاسيما انها ذات جذر عربي. ولعل ميل

(١) ينظر: العين (توج): ٦/ ١٧٠.

(٢) ينظر: العين (توج): ٦/ ١٧: تهذيب اللغة (توج): ١١/ ١١٢.

(٣) ينظر: البيان والتبين: ١/ ٤٤٣.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة (توج): ١١/ ١١٣، والمصباح المنير: ١/ ٧٨.

(٥) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ١/ ١٩٩، ولسان العرب (توج): ٢/ ٢١٩.

(٦) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ١/ ١٩٩، والفاظ الحضارة (زوين): ١/ ٥٤٢.

(٧) ينظر: الفاظ الحضارة (زوين): ١/ ٥٤٢.

(٨) ينظر: المعرب: ٦٣٧.

(٩) ينظر: الفاظ الحضارة في القرن الرابع الهجري (دراسة في ضوء مروج الذهب للمسعودي) رجب عبد الجواد ابراهيم: ٦٣.

اللغويين الى جعلها من الالفاظ غير العربية هو اشتهار الاعاجم بلبس (التيجان)، وجعلها علامة على ملكهم وزينتهم، ومما يرجح ذلك عند الباحث ان البناء الذي جمعت عليه هذه المفردة، وهو بناء (تيجان) بوزن (فِعْلان)، وهو من أبنية الجمع في العربية، فلو لم يكن في هذه اللفظة دلالة على اصالتها في العربية لما اختير لها هذا البناء ولمنعت من التصرف ايضاً تحقيقاً لهذه المسألة.

وقد استعملت لفظة (تيجان) بصيغة الجمع مرة واحدة في نهج البلاغة[١]. للدلالة على اكاليل التكبر والمفاخرة التي نهى عنها الإسلام. وجاءت هذه المفردة في سياق كلام الإمام (عليه السلام) الذي ينهى فيه عن الفتنة التي فهمها الإمام (عليه السلام) من دعوة (ابي سفيان والعباس) للأمام الى بيعته بالخلافة بعد حادثة السقيفة. إذ يقول:((**أَيُّها النَّاسُ، شُقُّوا أَمْوَاجَ الفِتَنِ بِسُفُنِ النَّجَاةِ، وَعَرِّجُوا عَنْ طَرِيقِ الـمُنَافَرَةِ**[٢]**، وَضَعُوا تِيجَانَ الـمُفَاخَرَةِ. أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاح، أوِ اسْتَسْلَمَ فَأَرَاحَ...**))[٣].

ويبدو أن الإمام أراد من ذكر مفردة (تيجان) مناسبتها لموضوع الكبر والمفاخرة الذي ينهى عنه، ولهذا استعار الإمام لتكون علامة على الفخر والعنت والكبر الذي يبدو فيمن يتقلد هذا الضرب من الأكاليل المصوغة من الذهب والجواهر، فضلاً عن دلالتها على السلطة والزعامة، وهو موضوع أشار اليه الإمام في خطبته هذه التي خطبها لما قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد خاطبه (العباس) و (ابو سفيان) في ان يبايعا له بالخلافة بعد ان تمت البيعة لابي بكر في السقيفة[٤]، ولهذا نهى فيها

(١) ينظر: المعجم المفهرس لالفاظ نهج البلاغة: ٧٤.

(٢) المنافرة التفرّق: ينظر لسان العرب (نفر): ٥/ ٢٢٤.

(٣) نهج البلاغة: خ / ٥: ٣٥.

(٤) نفسه: خ: ٣٥.

عن الفتنة، وأشار الى ترك المفاخرة والاعتزاء بالقديم بوضع (التيجان)، لانها مما يعظم به قدر الانسان[١].

وقد قرأ (عليه السلام) في هذه الأزمة الفتنة وأحسَّ بقربها ؛ ولذلك قال معلقاً على مَنْ دعاه الى البيعة: ((**هذا مَاءٌ آجِنٌ**[٢]**، وَلُقْمَةٌ يَغَصُّ بِهَا آكِلُهَا، وَمُجْتَنِي الثَّمَرَةِ لِغَيْرِ وَقْتِ إِينَاعِهَا كالزَّارعِ بِغَيْرِ أَرْضِهِ.**))[٣].

فإن قيل: لِمَ استعملت لفظة (تيجان) ولم تستعمل لفظة (عمائم) بدلاً عنها؟. وللإجابة على ذلك أقول: إن لفظة (عمامة) أو (عمائم) لا تناسب السياق الذي ساقه الإمام، ولا تلائم المعنى الذي قصد اليه ؛ لان العمامة لا تدل على ما تدل عليه (التيجان) فهي البأس عز وشرف، وهي تدل على السيادة والمنزلة العالية. والمعمم - عند العرب- هو السيد الذي يقصده الناس، ليكون معيناً لهم في أمورهم، وهذه من علامات الرفعة والتواضع.

في حين أن (التاج) مقترن بالفخر والكبر، والزّهو وهذه الأمور بعيدة عن التواضع والقرب الى الملك والاستعلاء، وهو ما ناسب المقام الذي تحدث فيه الإمام الذي أحسه من خطاب هذين الرجلين له، ودعوتهم اليه بالبيعة.وأحسب أن استعمال الإمام لمفردة (تيجان) بصيغة الجمع بدلاً من مفردة (تاج) يناسب حال مَنْ دعاه الى طلب الخلافة، لانهما كانا يتمثلان الملك والدعوة اليه دون ان تكون غايتها الدعوة الى ارجاع الحق في الخلافة الى الإمام (عليه السلام) فكأنهم يدعونه الى البيعة بغضاً بغيره، وازدراء له في اخذه الخلافة، وهو من غير بني هاشم.

(١) شرح نهج البلاغة (ابن ابي الحديد): ١/ ٢٩.

(٢) الآجن الماء المتغير الطعم واللون. ينظر: لسان العرب (أجن): ١٣/ ٨.

(٣) نهج البلاغة: خ/ ٥: ٣٥، ٣٦.

ولهذا منع الإمام من الدعوة في اخذه الخلافة، وهو من غير بني هاشم. ولهذا منع الإمام من الدعوة الى الافتخار والدعوة الى المنافرة والفرقة، مستعيراً لفظة (تيجان) التي تدل على ما يعظم به قدر الانسان من جهة ملكه الى توظيفها فيما يعظم به المرء من الافتخار وذكر القديم(١).

جواهر

الجَوْهَر معروف،وهو كل حَجرٍ يُسْتَخْرَج منه شيء يُنْتَفَع به(٢).وجَوْهَر كُلِّ شيء ما خُلِق عليه **أو** جِبِلَ(٣).

ومفردة (جَوَاهِر) من ألفاظ نهج البلاغة التي وردت فيه مرة واحدة (٤)، دالة على الجَوْهر الذي خُلِق عليه الإنسان وجِبِلَ، وهو مَعْدِنه وأَصْلُه. وذلك في قوله(عليه السلام) الذي يذكر فيه موضع اختبار الإنسان وبيان أصْله. إذ يقول: ((**فِي تَقَلُّبِ الْأَحْوَالِ عِلْمُ جَوَاهِرِ الرِّجَالِ**))(٥). يريد(عليه السلام): أنّ تقُلّب أحوال الدُّنيا وتصّرفها على المرء كَرِفْعَتِه بعدما كان وَضِيْعاً قليل الشأن، وبالعكس، ونزول الشدائد به. يُفِيْدُ العِلْمَ بأحواله ومعدنه وما فيه من خَيْر أو شَر، وجَلَادة وضَعْف، وفَضِيلَة أو رَذِيْلَة(٦)، فيكون مَحَكّاً لجواهرهم وأصولهم.

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن ابي الحديد): ١/ ٢٠٦ وشرح نهج البلاغة (البحراني): ١/ ١٨٩، ١٩٠.

(٢) ينظر: العين (جهر): ٣/ ٣٩، ولسان العرب (جهر): ٤/ ١٥٢.

(٣) نفسه.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٩٧.

(٥) نهج البلاغة: قصا / ٢١٧: ٦٤٢.

(٦) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٤٥٤، والديباج الوضي: ٦/ ٢٨٨٧.

حِجْلَها

الحِجْـل -بالفتـح والكسر-الخَلْخَـال[١]. وهـو ضرب مـن الزينـة التـي تُطِيْـف بالسَّـاقِ[٢]. وهـو مـن حِـلي النسـاء[٣]. وأصْـلُ (الحِجْـل) في اللغـة هـو القَيْدُ[٤].وهـو مـا تُقَيِّـدُ بـه الدَّابَّـةُ أو الإنسـان، والحَجْـل - بالفتـح - مَـشْي المُقَيَّـد[٥]. ولذلـك قيـل: ((القُيُـود حُجُـول الرّجـال، والحُجُـول لرَبّـات الحِجال))[٦].أي:القُيــود خَلاخِيـل الرجـال،

والخَلاخِيـل للنِّسـاء أصـلاً[٧]. وتجمـع لفظـة (حِجْـل) عـلى (أفْعَـال)، و(فُعُـول)، فيقـال: (أحْجَـال)، و(حُجُـول)[٨].

وقـد استعمل الإمـام لفظـة (حِجْلهـا) بصيغـة المفـرد مرة واحـدة في نهـج البلاغـة، للدلالـة عـلى الخَلخـال الـذي تلبسـه المـرأة في رجلهـا للزينـة. وذلـك في سـياق كلامـه الـذي يسـتنهض فيـه النـاس لقتـال المغيريـن مـن أصحـاب معاويـة عـلى الأنبـار[٩].

---

(١) ينظر: العين (حجل): ٣/ ٧٩، وتهذيب اللغة (حجل): ٤/ ٨٨.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة (حجل): ٢/ ١٤٠.

(٣) ينظر: كفاية المتحفظ في اللغة: ١/ ٥٦.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة (حجل): ٤/ ٨٨، وتاج العروس (حجل): ٢٨ / ٢٨١.

(٥) ينظر: تهذيب اللغة (حجل): ٤/ ٨٨.

(٦) تاج العروس (حجل): ٢٨ / ٢٨١.

(٧) تاج العروس (حجل): ٢٨ / ٢٨١.

(٨) نفسه.

(٩) الأنبار،عنـد المصنفـين في البلـدان، أنبـاران ؛ الأولى تقـع قـرب (بَلـخ)، وهـي قصبـة ناحيـة جوزجـان، وتقـع عـلى الجبـل، ولهـا ميـاه وكـروم وبسـاتين كثـيرة. والثانيـة الأنبـار التـي تقـع عـلى الفـرات غـربي بغـداد، وبينهـما عـشرة فراسـخ. وكان (الفُـرس) يسّـمونها (فَـيرُوز سَابُور)،نسـبة الى أول مـن عمّرهـا، وهو(سَـابُور بـن هُرمـز ذو الأكتَـاف). وجددهـا (أبـو العبـاس السـفاح) الـذي بنـى فيهـا قصـوراً، وأقـام

يقـول (عليه السلام): ((أَلَا وَإِنِّي قَـدْ دَعَوْتُكُـمْ إلى قِتَـالِ هَـؤُلَاءِ الْقَـوْمِ لَيْـلًا وَنَهَـاراً، وَسِرّاً وَإِعْلَانـاً، وَقُلْـتُ لَكُـمُ اغْزُوهُـمْ قَبْـلَ أَنْ يَغْزُوكُـمْ، فَـوَاللهِ مَـا غُـزِيَ قَـوْمٌ قَـطُّ فِي عُقْـرِ دَارِهِـمْ إِلَّا ذَلُّـوا، فَتَوَاكَلْتُـمْ[١] وَتَخَاذَلْتُـمْ حَتَّـى شُنَّـتْ عَلَيْكُـمُ الْغَـارَاتُ، وَمُلِكَـتْ عَلَيْكُـمُ الْأَوْطَـانُ... وَلَقَـدْ بَلَغَنِـي أَنَّ الرَّجُـلَ مِنْهُـمْ كَانَ يَدْخُـلُ عَـلَى الْمَـرْأَةِ الْمُسْـلِمَةِ وَالآخـرى الْمُعَاهِـدَةِ، فَيَنْتَـزِعُ حِجْلَهَـا، وَقُلُبَهَـا، وَقَلَائِدَهَـا وَرُعُثَهَـا، مَـا تَمْتَنِـعُ مِنْـهُ إِلَّا بِالِاسْـتِرْجَاعِ وَالِاسْـتِرْحَامِ...))[٢]. والنّـص يحتفـل بذكـر المفـردات الدالـة عـلى زينـة المـرأة ؛ فقـد أراد (عليه السلام) أن يظهـر ماجرى عـلى هـؤلاء النِّسـوة مـن سَـبْيٍ وسَـلْبٍ ونَهْـب، لاستثارة الناس وتحريك هممهم والنهوض لـردِّ غـارات معاوية وجنده على المدن والأمصار التي تقع تحت حكم الإمام. ولهذا وصف ورود خيل الأمويين على مدينة(الأنبار) وقتـل والِيهـا ومـا جـرى عـلى المسلمات والمُعاهَـدات مـن سَـلْبٍ.مؤكداً عـلى هـذه المسألة ليظهـر للمخاطِبْين أنّ هـمّ اهـل الشـام القتـل وتدمير البـلاد وسَـلْبِ النُسـوة الضعيفـات والاستقواء عليهـن. في حين أنّ الذيـن يخاطبهـم يتواكلـون عـلى بعضهـم البعـض الآخـر، بسـبب تَفَرُّقِهـم عـن حَقِّهـم، واجتـماع أولئـك عـلى باطلهـم.

أقـول: ويظهـر النّـص الحـال التـي كان عليهـا الإمـام مـن قعـود أصحابـه عـن استرجاع حقوقهـم، ومـا يـراه مـن هَتْـكٍ للمسـلمات والمعَاهَـدات، وهـو مـا يَجْلـب الهَـمّ والحـزن لـه.

فيهـا الى أن مـات. وقيـل: إنهّـا سـمّيت بذلـك، لأنّـه كان يجمـع فيهـا (أنَابِـير) الحنطـة والشـعير والقَـتّ والتـين. ينظـر: معجـم البلـدان: ١/ ٢٥٧.

(١) تواكلهم: أي أتكل كل واحد منهم على الآخر. ينظر: لسان العرب (وكل): ١١/ ٧٣٥.

(٢) نهج البلاغة: خ / ٢٧: ٦١، ٦٢.

رُعُثها

الرِعَـاث -عنـد الخليـل- ضَرْب مـن الخـرز والحـلي[١].و هـي الأقُـراطُ وكل مِعْـلَاقٍ يُعَلَّـق في الأُذُنِ[٢]، وهـو مـن حلي النّسـاء [٣].و تَرَعَّثَـت المـرأة إذا تَقَرَّطَـت[٤]. وقـد سُـمِّيَت القـلادة - عنـد بعـض اللغويـين - رِعْثـا أيضـاً [٥]. والظّاهـر أنّ أصـل هـذه المفـردة مأخـوذ مـن (رِعْثَـة الدِّيْـك)، وهـي عُثْنونُـه النّاتِـئُ تحـت مِنْقَـاره، وهـو لِحْيَتُـه[٦].

وقـد وردت لفظـة (رُعُثَهَـا) بصيغـة الجمـع عـلى (فُعُـل) مـرة واحـدة في نهـج البلاغـة، دالّـة عـلى الأقْـراط التـي تَتَزَيَّـن بهـا المـرأة في أُذنَيْهـا. وذلـك في قولـه (عليه السلام) في سياق استنهاضه همم النـاس لصدِّ غـارات الشـامِيِّيْن عـلى الأمصـار والمُـدن التـي تقـع تحت حكـم الإمـام. يقـول أمـير المؤمنـين: ((**وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ وَالأخرى الْمُعَاهِـدَةِ، فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا، وَقُلُبَهَا، وَقَلَائِدَهَا وَرُعُثَهَا، مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلَّا بِالِاسْتِرْجَاعِ وَالِاسْتِرْحَامِ...**))[٧].ولفظة (رُعُثَهَا) لفظ جمع على وزن (فُعُـل) وظَّفَهُـا الإمـام، للدلالـة عـلى الأقـراط التـي تلبس في أذان المـرأة، بوصفها ممـا تتزيّـن بـه النّسـاء. وخـص الإمـام هـذه المفـردة بالأقـراط دون (القلائـد)، التـي أدخلهـا بعـض اللغويـين ضمـن مـا تـدل عليـه لفظـة (رُعُـث) [٨]، وذلـك عـلى سـبيل التوسـع في

(١) ينظر: العين (رعث): ٢/ ١٠٦.

(٢) ينظر: جمهرة اللغة (رعث): ٢/ ١١٣١، وتهذيب اللغة (رعث): ٢/ ١٩٦.

(٣) النهاية في غريب الحديث: ٢/ ٢٣٤، ولسان العرب (رعث): ٢/ ١٥٢.

(٤) ينظر: لسان العرب (رعث): ٢/ ١٥٢.

(٥) ينظر: لسان العرب (رعث): ٢/ ١٥٢.

(٦) ينظر: تاج العروس (رعث): ٥/ ٢٥٩.

(٧) نهج البلاغة: خ / ٢٧: ٦٢.

(٨) ينظر: لسان العرب (رعث): ٢/ ١٥٢.

دلالـة اللفظـة.

وثَمّـة روايـة في مفـردة (رُعُثَهَـا)، نَقَلتهـا بعـض شروح النّهـج، فقـد رُوِيَـت المفـردة بصيغـة (رِعَاثَهـا)[١]. عـلى زِنَـةِ (فِعَـال) مـن أبنيـة القِلَّـة.كأن هـذه الروايـة توحـي بعـدد هـذه الأقـراط التـي توضـع في الأُذُنين، فأقـل شـئ تتزيّـن بـه المـرأة، هـي هـذه الرِّعـاث. وفي ذلـك إشـارة إلى ضعـف حـال هـؤلاء النسـوة وفقرهن،بحيـث أن الغـزاة لم يبقـوا لهـن حتّـى هـذه الأقـراط القليلـة القيمـة، أمّـا لفظـة (رُعُثَهَـا)، فإنهـا جمـع بـوزن (فُعُـل)، وبنـاء مـن أبنيـة الكثـرة، واسـتعماله في السـياق المتقـدم يرجـع - فيـما أحسـب - إلى أنّ النِّسـوة اللـواتي سُـلِبْن كُـنَّ مـن الكثـرة بحيـث زاد مـا سُـلِب مـن حِليهِـنَّ ومصوغاتِهِنَّ، فلـم يُبقي الأعـداء لهنّ حتـى الأقـراط التـي غالبـاً مـا تكـون تحـت خُمُرهـن، ولهـذا اسـتعملت لفظـة (رُعُثَهَـا) ببنـاء الكثـرة، للدلالـة عـلى كثـرة مـا انْتُـزِع مـن النسـاء مـن أقـراط وجواهـر.

زُمُرّدة

الزُّمُـرُّذ - بالـذَّال - ضَرب مـن الجواهـر معـروف[٢]. وقيـل: هـو الزَّبَرْجَـد[٣]. وقـد ذكـره اللغويـون بالـذّال[٤]، وقيـل بـل هـو بالـدَّال المُهْمَلَـةَ[٥]. وأجـاز بعـض اللغويـين الوجهـين معـاً[٦].والزُّمُـرُّذ مـن الألفـاظ المعرّبـة[٧]، وأنّ الزَّبَرْجَـد هـو

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ١/ ٢٤٩، والديباج الوضي: ١/ ٣٥١، ونهج البلاغة (عبده): ١/ ٦٥، ونهج البلاغة، تحقيق السيد هاشم الميلاني:١٢٠.

(٢) ينظر: لسان العرب (زمرد): ٣/ ٤٩٣.

(٣) نفسه.

(٤) ينظر: تاج العروس (زمرد): ٩/ ٤١٥.

(٥) نفسه.

(٦) نفسه.

(٧) ينظر: تاج العروس (زمرد): ٩/ ٤١٥.

تعريب الزُّمُرُّذُ[١]. وقد ضَبَط الجواليقي مفردة (الزّمُرّد) عند كلامه عليها، قائلًا: ((الزِّمَّرْدَة بِكَسر الرَّاء وفَتْح الميم...أعجمي معرّب، وهو وصف للمرأة التي تُشبه الرِّجال في الخَلْقِ والخُلُق...))[٢].

وقد وردت لفظة (زُمُرُّدة) مرّة واحدة في نهج البلاغة [٣]، دالّة على حجر الزُّمْرّد المعروف. وذلك في سياق كلامه على (الكعبة المقدّسة) واختيارها بأوْعر بِقَاعِ الأرض، وكونها من الحجارة المعروفة. يقول الإمام: ((**وَلَوْ كَانَ الْإِسَاسُ الْمَحْمُولُ عَلَيْهَا وَالأحجار الْمَرْفُوعُ بِهَا بَيْنَ زُمُرُّدَةٍ خَضْرَاءَ وَيَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ وَنُورٍ وَضِيَاء، لَخَفَّفَ ذَلِكَ مُصَارَعَةَ الشَّكِّ فِي الصُّدُورِ وَلَوَضَعَ مُجَاهَدَةَ إِبْلِيسَ عَنِ الْقُلُوبِ...**))[٤].

وقصد(عليه السلام) أنّ الله تبارك وتعالى لو أراد أن يجعل أساس بَيْتِه الحرام من الزُمُرُّد الأخْضَرِ و اليَاقُوت الأحمر، وهما من الأحجار الكريمة النّفيسة المنيرة، لَفَعَل ذلك ولأدّى إلى زوال شَكِّ النفوس في أن له بيتاً وأنبياء يحملون تعاليمه إلى الناس؛ فرؤية الناس، ولاسيما الجاحدون منهم، الكعبة الشريفة مبنيةً من حجارة معروفة لديهم ليست ذات قيمة، فضلاً عن رؤيتهم الأنبياء بحالٍ من الفقر والمسكنة وتواضع العيش وجشوبته، يعزز فيهم هذا المعنى؛ لأنهم يتصوّرون أنّ الأمور المرتبطة بالله تبارك وتعالى ينبغي أن تكون من أَثْمَنِ الأشياء، فينبغي على أنبيائه أن يكونوا من أَغْنَى الناس وأحسنهم حالاً في الأمور المادية، وفاتهم أن ذلك يخالف أرادة الله الذي تكون عِزَّة بَيْتِه الحرام وعزّة أنبيائه ورُسُله مرتبطة بتواضع الحال وقِلّة المادّة، ولهذا كان الأنبياء أكثر الناس فقراً وشظفاً في عيشهم، وكان بيتُه الحرام الذي جعله

(١) نفسه.

(٢) المعرّب: ٢١٦.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢٠٢.

(٤) نهج البلاغة: خ/ ١٩٢: ٣٧٠.

مثابةً للناس من أحجار معروفة لدى الناس، وليست من تلك الجواهر الثمينة الخضراء والحمراء. وقد بَيّن الإمام(عليه السلام) العِلّة في ذلك بقوله: ((**وَلَكِنَّ اللهَ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ وَيَتَعَبَّدُهُمْ بِأَنْوَاعِ الْمَجَاهِدِ وَيَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ الْمَكَارِهِ إِخْرَاجاً لِلتَّكَبُّرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ وَإِسْكَاناً لِلتَّذَلُّلِ فِي نُفُوسِهِمْ...**))[١]. فإنّه (جل جلاله) لم يَجْعَل الكعبة المقدسة قائمة على (الزّمُرّد واليَاقُوت) لكي تُلْهِي الناس بجمالها، وتجعلهم يَقْصِدونها انبهاراً بما فيها، ولكنه جعلها بهيأتها المعروفة؛ ليكون أعلى همّهم أن يقصدوا الله في بيته، ويؤدون شعائرهم طاعة له وابتغاء لرضوانه.

أقول: أما أنّه (عليه السلام) خص(الزُمُرّد والياقوت) بالذكر -هنا- دون غيرهما من الأحجار الكريمة، فذلك راجع - كما يبدو - إلى منزلة هذين الجوهرين على غيرهما من الجواهر، فالزُمرّد من أجلّ الأحجار الكريمة، فضلاً عن لَوْنَه الأَخّاذ الجميل، وقد ذُكر أنّه كُلّما ازدادت خُضْرَتُه، ازدادت جَوْدَتُه وصَفَاؤه[٢]. ولهذا وظّف أمير المؤمنين هذا الحجر مع ذكر لَوْنِه؛ ليدل -فيما يبدو- على أنّ الله (جلّ جلاله) لا يُعْجِزه أن يَجِيء بأَجْود الأحجار الكريمة وأصفاها لوناً، لتكون أُسَّاً للكعبة المقدسة ومرتكزاً. وأما (الياقوت)، فهو من أكثر المعادن صلابَةً بعد المَاسِ، وهو ذو لَوْنٍ مُشرَّب بالحُمْرَةِ[٣]. وقصد به الإمام الإشارة إلى قُوّة أساسِ الكعبة فيما لو جعله أساساً لها.

---

(١) نهج البلاغة: خ / ١٩٢: ٣٧٠.

(٢) ينظر: المعجم الوسيط: ١/ ٨٣٠، وألفاظ الحضارة في القرن الرابع الهجري (دراسة في ضوء مروج الذهب للمسعودي) / د. رجب عبد الجواد أبراهيم: ٢٠٦.

(٣) ينظر: المعجم الوسيط: ٢/ ١٠٥٦.

أسَاوِرة

السِّوار سِوَار المرأة[١]، وهو القُلْب، بضم فَسكون، الذي تستعمله المرأة في يديها[٢]. ويصنع هذا النوع من الحلي من الفضّة غالباً[٣]. وتسميته مأخوذة من الاستدارة والإحاطة بالشيء فيما يبدو. فالسّوّار هو الرجل الذي يسُور في رأسه الشَّراب[٤].كأنما يحوطه ويدور عليه.و ذكر الزَّبِيدي أنّ مفردة (السِّوار) من الألفاظ الفارسيّة المعرّبة، وهي بالفارسية (دِسْتِوار)[٥]. وتجمع هذه اللفظة على (سُوُر، و أَسْوِرَة، وأَسَاوِر)[٦].

ولفظة (أَسَاوِرة) من ألفاظ نهج البلاغة التي استعملت فيه مرة واحدة[٧]، للدلالة على السِّوار المصنوع من الذّهب الذي يُلْبَس في اليَد. وذلك في قول الإمام الذي يتحدث فيه عن مَوقف (فِرعون) مع النبي (موسى و هارون) (عليهما السلام)، لمّا دخلا عليه وعليهما مدراع الصوف وبأيديهما العِصِيّ، فقال فِرْعَوْن – كما ينقل أمير المؤمنين (عليه السلام) مقالته: **((أَلا تَعْجَبُونَ مِنْ هَذَيْنِ يَشْرِطَانِ لِي دَوَامَ الْعِزِّ، وَبَقَاءَ الْمُلْكِ، وَهُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ وَالذُّلِّ، فَهَلَّا أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا أَسَاوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، إِعْظَاماً لِلذَّهَبِ وَجَمْعِهِ وَاحْتِقَاراً لِلصُّوفِ وَلُبْسِهِ...))**[٨]. فجعل (فِرْعَون) القاء (أَسَاوِرَة

(١) ينظر: العين(سو): ٧/ ٢٨٩، وتهذيب اللغة(سور):١٣ / ٣٧، ولسان العرب (سور): ٤/ ٣٨٧.

(٢) ينظر: تاج العروس (سور): ١٢/ ١٠٣.

(٣) نفسه.

(٤) ينظر: العين (سور): ٧/ ٢٨٩.

(٥) ينظر: تاج العروس (سور): ١٢/ ١٠٣.

(٦) ينظر: جمهرة اللغة (سور): ٢/ ١٠٦٥.

(٧) ينظر: المعجم المفهرس لالفاظ نهج البلاغة: ٢٢٩.

(٨) نهج البلاغة: خ/ ١٩٢: ٣٦٧.

الذَهَب)،علامـة للغنـى والملـك ونقيضـاً لحـال الفقـر والذّلـة. وخُصّـت (الأَسَـاوِر) بالذِّكـر دون غيرهـا مـن ألفـاظ الزينـة؛ لأنهـا - كـما يبـدو- رمـز للغنـى وأثـر مـن آثاره التي تَبدو على لابسه، ولاسيّما إذا كان من الذَّهـب. إذ كان مـن عـادة الرجال التَّزيـن بهـذه الأسـاور يومـذاك، حتّـى كان علامـة فارقـة فيهـم، بخـلاف الصّـوف الـذي يعدّ شـعاراً للفقـر. وهـو مـا حمـل (فِرْعَـوْن) عـلى الاسـتكبار عـلى النبـي (موسـى و هـارون) (عليهما السلام)، وإظهـار الاحتقـار لهـما[١]. والملاحـظ اسـتعمال مفـردة (أَسَـاوِرَة) بصيغـة اسـم الجنـس، لبيـان الفخامـة وحـال الثّـراء والـتّرف والغنـى الـذي توحـي بـه المفـردة المتقدمـة، فضـلاً عـن الإشـارة إلى كونهـا مـن مظاهـر المُلْـك والسّـلطة[٢]. ويحتمـل أن يكـون إيثـار هـذه الكلمـة ببنائهـا المتقـدم راجـع إلى فَرَادَتِهـا وتميّزهـا عـن بقيّـة ألفـاظ الجمـع الخاصّـة بهـذه المفـردة، فبناء(أَسَـاورة) يمكـن أن يجـذب ذهـن لذهـن السَّـامع ويجعلـه يقـف عنـده متأمّـلاً الموقـف موازنـاً بـين حـال التواضـع والكفـاف الـذي يمثلـه النبـي (موسـى و هـارون) (عليهما السلام)، وحـال التكّـبر والغنـى، والميـل إلى جمـع الذهـب والفضـة والجواهـر وكنزهـا بوصفهـا السّـبيل إلى المُلْـك والتَّسَـلُّط. وقـد ذكـر أنّ هـؤلاء القـوم كانـوا إذا سـوّدوا رجـلاً طوَّقـوه بسـوارٍ مـن الذّهـب، للدلالـة عـلى مُلكـه[٣]. وهـذا الموقـف يمثلـه (فِرعَـون) وملئـه.

أقـول: وقـد اسـتعمل القـرآن الكريـم لفظـة (أَسْـوِرَةٌ) في القصـة نفسـها التـي ينقلها الذكـر الحكيـم في موقـف ملـوك فالنبـي (موسـى) (عليه السلام) مع (فِرْعَـون). إذ يقـول تبـارك وتعـالى:، ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٥١) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ

(١) ينظر: المحرر الوجيز: ٥/ ١٥٩.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٤/ ١٦١.

(٣) ينظر: تفسير البيضاوي: ٥/ ١٤٨.

(٥٢) **فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾**[١]. وقد ذكر المفسرون أن قوله (أَسْوِرَةٌ) تدل على مقاليد المُلْك والحكم[٢].وقد ذكر أنّ هؤلاء القوم كانوا إذا سوّدوا رجلاً طوّقوه بسوارٍ من الذّهب، للدلالة على مُلكه[٣]. فكأنّ المفردة المتقدمة تمثل ضرباً من الدلالة على السلطة والإمارة، فهي بمنزلة التاج الذي يضعه الملوك فوق رؤوسهم علامة على ملكهم وسلطانهم.

عَسْجَدِيَّة

العَسْجد الذَّهَب[٤]. وقيل: العَسْجَدُ اسم جامع للجَوْهَرِ كُلّه من الدُّرِّ والياقوت[٥]. والعَسْجَدِيَّةُ هي الإبل التي تحمل الذَّهَبَ[٦].

واستعمل الإمام لفظة (عَسْجَدِيَّةً) مرة واحدة في كلامه الوارد في نهج البلاغة[٧]، وذلك للدلالة على صُفرة الذّهب ولونه. في سياق وصفه شعر الطاووس. إذ يقول (عليه السلام): ((... **وَإِذَا تَصَفَّحْتَ شَعْرَةً مِنْ شَعَرَاتِ قَصَبِهِ أَرَتْكَ حُمْرَةً وَرْدِيَّةً وَتَارَةً خُضْرَةً زَبَرْجَدِيَّةً وَأَحْيَاناً صُفْرَةً عَسْجَدِيَّةً**))[٨]. والملاحظ في النص شيوع ألفاظ الألوان فيه، فألفاظ (حُمْرَة، ووَرْدِيَّةً، وخُضْرَة، وصُفْرَة)، كلّها إشارة إلى الوان ريش هذا الطائر المتعدّدة التي تُحِيْلُه إلى حديقة غنّاء. وقد

(١) الزخرف / ٥١-٥٣.
(٢) ينظر: تفسير البيضاوي: ٥/ ١٤٨.
(٣) نفسه.
(٤) ينظر: لسان العرب (عسجد): ٣/ ٢٩٠.
(٥) نفسه.
(٦) ينظر: تاج العروس (عسجد): ٨/ ٣٧٩.
(٧) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٠٣.
(٨) نهج البلاغة: خ / ١٦٥: ٢٩٩.

أكدّ الإمام بذكره لوني (الخُضْرَة، والصُفْرَة) أنها الوان ناشِئَةٌ من أحجارٍ كريمة، فالخُضْرَة لَون يَمْتَاز به حجر (الزَّبَرْجَد) الذي كلما ازداد خضرة كلما زاد نقاءً وجودةً، ولهذا وصف الإمام الخُضْرة إلى الزَّبَرجد على جهة النَّسَب اليه، إشارة إلى كون خُضْرة ريش الطاووس مَنْسُوبَة، أو مأخوذة من الزَّبَرجد الذي كأنما يُرَّصِع ريشه، وكذلك الصُّفْرة التي تَزْدهي بها قَصَابَاته، فإنها صُفْرة العَسْجَد، وهو الذَّهب. وذكر شُرَّاح النهج أنّ الخُضْرة والصُفْرَة مَنْسُوبتان إلى هذه الأحجار، فالخضرة منسوبة إلى الزُّمُرّد، والصُفْرَة إلى العَسْجَدِ، وهو الذَّهَبُ[١].

فُصُوص

الفَصُّ للخاتم[٢]، وهو ما يُلْصَق به[٣]. من زينة. وإنما قيل له فَصٌّ ؛ لأنّه ليس من نفسِ الخاتم بل هو مُلْصَقٌ به[٤]. وفَصُّ الأمر أَصلُه وحقيقتُه وكُنْهُه[٥]. وأصل الفَصِّ - في اللغة- مَفاصِل ركبة الفرس وأرساغه[٦]. فكل ملتقى عظمين منه، فهو فَصٌّ[٧].

وجاءت لفظة (فُصُوص) مرة واحدة في نهج البلاغة[٨]،بصيغة الجمع على (فُعُول)، للدلالة على ضَرْب من الحَلِيّ المُلَوّنة التي شبّه بها الإمام جمال خلقَةِ

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٩/ ٢١٢، وشرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٦٦٦.

(٢) ينظر: لسان العرب (فصص): ٧/ ٦٦، وتاج العروس (فصص): ١٨ / ٧٢.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة (فص): ٤/ ٤٤٠.

(٤) نفسه.

(٥) ينظر: لسان العرب (فصص): ٧/ ٦٦.

(٦) نفسه.

(٧) نفسه.

(٨) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٥١.

الطاووس. يقول (عليه السلام): ((**وَإِنْ شَاكَلْتَهُ بِالْحُلِيِّ فَهُوَ كَفُصُوصٍ ذَاتِ أَلْوَانٍ قَدْ نُطِّقَتْ بِاللُّجَيْنِ الْمُكَلَّلِ**...))[١]. والمشاكلة – هنا – التشبيه. أي أنه إذا شُبِّه بالحُلِيِّ، فإنّه يبدو كَفُصُوْصٍ ملونة جعلت في نطاقٍ من اللُّجَينِ، وهو الفِضّة المُكلَّلة بالجواهر والحُلِي التي يُزَيِّن بعضها البعض الآخر. ويلحظ أنّ الإمام(عليه السلام) وسّع – في هذا السياق – من دلالة مفردة (فُصُوص) وجعلها تدل على فصوص الجواهر التي يُصْنَع منها نطاق الفِضّة الذي يُتَزَيَّن به. فكأنما هذه الفُصُوص أشبه بحدقات العيون التي تُسَمَّى فصوصاً أيضاً[٢]. فضلًا عن ألوانها المتعددة التي تضفي عليها بريقاً وجمالاً.

فلز

الفِلْز، بكسر فسكون، النحاس الأبيض الذي تُصنع منه القُدُور العِظَام[٣]. وذكر أبو عبيد القاسم بن سلاّم (ت ٢٢٤هـ) أن الفِلِزّ لفظ يُطِلَق على جواهر الأرض من الذهب والفِضّة والنُّحاسِ وأشباه ذلك[٤]. وقيل: بل هو خَبَث ما أُذِيْبَ من الذهب والفِضّةِ والحديد وما يُنْفِيْهِ الكِيْرُ مما يذاب من جواهر الأرض[٥].

وقد استعمل الإمام لفظة (فِلِزّ) في كلامه الوارد في نهج البلاغة مرة واحدة[٦]، للدلالة على جَوْهَر الفِضَّة والذَّهَب وهو أصلها الذي يؤخذ منه. وذلك في سياق وصف الله تبارك وتعالى وجوده وكرمه. يقول (عليه السلام): ((...**وَلَا كَانَ فِي مَكَانٍ فَيَجُوزَ**

(١) نهج البلاغة: خ / ١٦٥: ٢٩٩.

(٢) ينظر: لسان العرب (فصص): ٧/ ٦٦.

(٣) ينظر: العين (فلز): ٧/ ٣٦٨، وتهذيب اللغة (فلز): ١٣ / ١٤٧.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة (فلز): ١٣ / ١٤٧.

(٥) ينظر: مقاييس اللغة (فلز): 4/ 451، ولسان العرب (فلز): 5/ 392.

(٦) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة:٣٥٦.

عَلَيْـهِ الِانْتِقَـالُ وَلَـوْ وَهَـبَ مَـا تَنَفَّسَـتْ عَنْـهُ مَعَـادِنُ الْجِبَـالِ وَضَحِكَـتْ عَنْـهُ أَصْـدَافُ الْبِحَـارِ مِـنْ فِلِـزِّ اللُّجَـيْنِ وَ الْعِقْيَـانِ وَ نُثَـارَةِ الـدُّرِّ وَحَصِيـدِ الْمَرْجَـانِ مَـا أَثَّـرَ ذَلِـكَ فِي جُـودِهِ...))[١].

ويَنُصّ القـول المتقـدم عـلى أنّ مفـردة (فِلِـزّ) -هنـا- تـدل عـلى جوهـر (اللُّجَـيْنِ و الْعِقْيَـانِ)، وهمـا الفِضّـة والذَّهـب الـذي ينبـت نباتـاً وليـس ممـا يـذاب مـن الحجـارة [٢]. وقـد أطلـق الإمـام تسـمية (الفِلِـزّ) عـلى هذيـن المعدنـين، في حـين أن اللغويـين يذهبـون إلى عـدِّ (الْعِقْيَـانِ) مـن الذهـب الـذي ينبـت نباتـا، أو يخـرج مـن الأرض دون إذابـة. وبحسـب هـذا تكـون مفـردة (فِلِـزّ) دالـة عـلى أصـل كل شيء مـن جواهـر الأرض مـن الفِضَّـة والذَّهَـب والنُّحَـاسِ والآنَـك[٣]. ولكنـه(عليه السلام) قيـد دلالتهـا، بجعلهـا خاصـة بالفِضَّـة والذَّهَـب. ويُلمس في المفـردة المتقدمـة دلالتهـا عـلى الشِّـدَّة والصّلابـة والقـوّة أيضـاً. ولعلـه الإمـام أراد الإشـارة إلى قـوة هذيـن المعدنـين وجـودة صلابتهـا، عـلاوة عـلى نفاسـتهما أيضـاً فجـاء بالمفـردة المتقدّمـة لبيـان ذلـك، حتّـى أنّ العـرب كانـت تصـف الرّجـل الشّـديد القـوي بأنّه(فِلِزّ)، دلالـة عـلى شِـدَّتِه وغلظتـه[٤].

قُلْبَها

القُلّب سِوَار المرأة[٥].

---

(١) نهج البلاغة: خ / ٩١: ١٤٩، ١٥٠. وقد نقلت المدونات المعجميّة كلام الإمام (عليه السلام) المتقدم.ينظر: لسان العرب (فلز): 5/ 392.

(٢) ينظر: العين (عقي): ٢/ ١٧٨.

(٣) ينظر: معا رج نهج البلاغة: ١/ ٤٠١.

(٤) ينظر: لسان العرب (فلز): ٥/ ٣٩٢.

(٥) ينظر: المحكم (قلب): ٦/ ٤٢٤، ولسان العرب (قلب): ١/ ٦٨٨.

وقد وردت لفظة (قُلْبَها) مرّة واحدة في نهج البلاغة[١]، للدلالة على السّوار الذي تَتَزَيَّن به المرأة، وذلك في قول أمير المؤمنين الذي يتحدث فيه عن غزو اهل الشام للمدن التي تقع تحت حكم الإمام. يقول(عليه السلام): ((**وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ وَالآخرى الْمُعَاهِدَةِ، فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا، وَقُلُبَهَا، وَقَلَائِدَهَا وَرُعُثَهَا، مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلَّا بِالِاسْتِرْجَاعِ وَالِاسْتِرْحَامِ...**))[٢].

قَلَائِدَها

القِلَادَة ما جُعِل في العُنُقِ من الحُلْي و الأوسمة ونحوها[٣]. وهم يستعملون ذلك في الزينة التي تختص بها المرأة. وربّما كانت هذه القلادة للحيوان أيضاً[٤]، فقد كان من عادة العرب أنْ تُقلَّد الدّواب ؛ فَيُعلِّقون في عُنُقِ البُدْنِ عُرْوةَ مِزادة، أو خَلَقُ نَعْلٍ، لِيُعْلَمَ أنّها هَدْي[٥].

ولفظة (قَلَائِدَها) من ألفاظ نهج البلاغة التي استعملت فيه مرة واحدة[٦]، للدلالة على القلائد التي تَلْبَسها المرأة في عُنُقِها مُتَّخِذَةً منها زينة لها. وذلك في قوله (عليه السلام): ((**وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ وَالآخرى الْمُعَاهِدَةِ، فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا، وَقُلُبَهَا، وَقَلَائِدَهَا وَرُعُثَهَا، مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلَّا بِالِاسْتِرْجَاعِ وَالِاسْتِرْحَامِ...**))[٧].

---

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٧٩.

(٢) نهج البلاغة: خ / ٢٧: ٦٢.

(٣) ينظر: لسان العرب (قلب): ٣/ ٣٦٦، والمعجم الوسيط:٢/ ٧٥٤.

(٤) لسان العرب(قلب):٣/ ٣٦٦.

(٥) ينظر: تهذيب اللغة (قلب): ٩/ ٤٧.

(٦) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٧٩.

(٧) نهج البلاغة: خ / ٢٧: ٦٢.

كَبائس

الكَبَائِس جمع كبَاسَة، وهي عِذْق النَّخْلَة التّامِ بِشَمَارِيخه ورُطَبِه[١]. وهو من التَّمْر بمنزلة العُنْقُود من العِنَب[٢].

ومفردة (كَبَائس) من ألفاظ نهج البلاغة التي استعملت فيه مرة واحدة[٣]، دالّة على عذُوقِ اللُّؤْلُؤِ تشبيهاً لثمار أشجار الجَنَّة بِعُذُوقِ من اللؤلؤِ والأحجار الكريمة. يقول(عليه السلام) في سياق وصف الجَنَّة: ((**فَلَوْ رَمَيْتَ بِبَصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَمَا يُوصَفُ لَكَ مِنْهَا، لَعَزَفَتْ نَفْسُكَ عَنْ بَدَائِعِ مَا أُخْرِجَ إلى الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا وَلَذَّاتِهَا... وَفِي تَعْلِيقِ كَبَائِسِ اللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ فِي عَسَالِيجِهَا**[٤]**وَأَفْنَانِهَا** [٥]))[٦].ويصف النّص ذُهُول الإنسان عمّا في الدنيا، وتفكرّه في أشجار الجَنّة التي تزدهي بما لا عين رأت ولا أذن سَمَعت. فكأنّ عُذُوق أشجارها كعذوق لؤلؤٍ رَطْبٍ تنمو في غصونها وأفنانها. وفسّر الشريف الرضي مفردة (كَبَائس) في قول الإمام بـ(العِذْوق) عادّاً إيّاها من الألفاظ الغريبة في كلامه (عليه السلام)[٧]. ومال أغلب شرَّاح النهج إلى هذا الوجه[٨]، الّا الشّارح البحراني الذي عدّ مفردات:(اللّؤلُؤ الرّطب، والثِّمار)، ومتعلقاتها ومنها لفظة (كبائس)، استعارات لما يفيض من الملائكة من العلوم والكمالات. جاعلاً

(١) ينظر: العين (كبس): ٥/ ٣١٦، ولسان العرب (كبس): ٦/ ٢٩١.

(٢) ينظر: لسان العرب (كبس): ٦/ ٢٩١.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٩٣.

(٤) العُسلوج الغصن الناعم. ينظر: لسان العرب (عسلج): ٢/ ٣٢٤.

(٥) الفنن الغصن المستقيم من الشجر. ينظر: لسان العرب (فنن): ١٣ / ٣٢٧.

(٦) نهج البلاغة: خ/ ١٦٥: ٣٠٠. وقد نقلت المدونات المعجميّة قول الإمام المتقدم. ينظر: لسان العرب (كبس): ٦/ ٢٩١.

(٧) نهج البلاغة: خ/ ١٦٥: ٣٠٠.

(٨) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٩/ ٢١٣، ٢١٤، والديباج الوضي: ٣/ ١٣٨٢.

ذلك من باب التأويل والمجاز الذي يمكن أن يحتملها النّص[١]. ويبدو ذلك غير مناسب للسياق الذي يصف فيه الإمام الجَنّة وما فيها أشجار وثمار. التي دعا إلى التَّفكُّر فيها والتَّبصُّر بأَحوالها ترغيباً فيها وحثّاً إلى الوصول اليها، مؤكداً ذلك بقوله: ((**فَلَوْ شَغَلْتَ قَلْبَكَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ بِالْوُصُولِ إلى مَا يَهْجُمُ عَلَيْكَ مِنْ تِلْكَ الْمَنَاظِرِ الْمُونِقَةِ؛ لَزَهِقَتْ نَفْسُكَ شَوْقاً إِلَيْهَا، وَلَتَحَمَّلْتَ مِنْ مَجْلِسِي هَذَا إلى مُجَاوَرَةِ، اهل الْقُبُورِ اسْتِعْجَالاً بِهَا**))[٢]. وتُظهر عبارة (الْمَنَاظِرِ الْمُونِقَةِ) جمال المناظِر التي تزدهي بها الجَنّة. والمنظر في اللغة هو الشيء الذي يُعْجِب النّاظر، إذا نظرَ اليه[٣].

المُكَلّل

الإكليل هو كل ما احتف بالشيء من جوانبه[٤]. والإكليل شبه عصابة مزينة بالجواهر[٥]. والعرب تسمّي التّاج إكليلًا[٦]. وكلّله. أي: ألبسه الإكليل[٧].

وقد وردت لفظة (المُكلّل) مرة واحدة في نهج البلاغة[٨]، للدلالة على نطاق الزّينة المكلّل باللّجين والجواهر. وذلك في سياق كلامه (عليه السلام) عن الطاووس بقوله: ((**وَإِنْ شَاكَلْتَهُ بِالْحُلِيِّ فَهُوَ كَفُصُوصٍ ذَاتِ أَلْوَانٍ قَدْ نُطِّقَتْ بِاللُّجَيْنِ**

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): 3/ 669.

(٢) نهج البلاغة: خ / ١٦٥: ٣٠١.

(٣) ينظر: العين (نظر): ٨/ ١٥٥.

(٤) ينظر: لسان العرب (كلل): 11: 594.

(٥) نفسه.

(٦) ينظر: لسان العرب (كلل): ١١: ٥٩٤، وتاج العروس (كلل): ٣٠/ ٣٤٧.

(٧) ينظر: لسان العرب (كلل): ١١: ٥٩٤.

(٨) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٠٢.

المُكَلَّلِ))[١]. وتبدو دلالة لفظة (المُكَلَّلِ) متآزرة مع بقية مفردات النص، موحية أنّ نطاق اللُّجَيْنِ من الفضة كالعِصابة التي يحتفّ بها هذا الطائر، فتطوّقه بما فيها من الوان منضدة تنضيداً عجيباً.

اللُّؤلؤ

اللؤلؤ الدُّر[٢]. وإنما سمي لؤلؤاً لضوئه ولمعانه[٣]. وهو يتكون في الأصداف من رواسب أو جوامد لمّاعة مستديرة في بعض الحيوانات المائية[٤].

واستعملت لفظة (اللُّؤلُؤ) مرّة واحدة في نهج البلاغة[٥]، للدلالة على اللؤلؤ المعروف. وجاءت هذه المفردة في سياق كلامه عن الجنة وما فيها من روائع الأشجار والثّمار مشبها ثمارها بـ (كبائس اللّؤلؤ الرّطب). يقول (عليه السلام): **((فَلَوْ رَمَيْتَ بِبَصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَ مَا يُوصَفُ لَكَ مِنْهَا، لَعَزَفَتْ نَفْسُكَ عَنْ بَدَائِعِ مَا أُخْرِجَ إِلَى الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا وَلَذَّاتِهَا وَزَخَارِفِ مَنَاظِرِهَا، وَلَذَهِلَتْ بِالْفِكْرِ فِي اصْطِفَاقِ أَشْجَارٍ غُيِّبَتْ عُرُوقُهَا فِي كُثْبَانِ**[٦] **الْمِسْكِ عَلَى سَوَاحِلِ أَنْهَارِهَا، وَفِي تَعْلِيقِ كَبَائِسِ اللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ فِي عَسَالِيجِهَا وَأَفْنَانِهَا، وَطُلُوعِ تِلْكَ الثِّمَارِ مُخْتَلِفَةً فِي غُلُفِ أَكْمَامِهَا**[٧] **...))**[٨].

---

(١) نهج البلاغة: خ/ ١٦٥: ٢٩٧.

(٢) ينظر: لسان العرب (لألأ): ١/ ١٥٠.

(٣) ينظر: تاج العروس (لألأ): ١/ ٤١١.

(٤) ينظر: المعجم الوسيط: ٢/ ٨١٠.

(٥) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٠٦.

(٦) كثبان جمع كثيب، وهو الرمل المستطيل المحدودب. ينظر: لسان العرب (كثب): ١/ ٧٠٣.

(٧) أكمام الزرع،غلفها التي يخرج منها. وأكمام النخلة ما غطى جمارها من السعف والجذع. ينظر: لسان العرب (كمم): 12 / 526.

(٨) نهج البلاغة: خ/ ١٦٥: ٣٠٠.

وقد جعل الإمام اللؤلؤ على هيأة عذوق، كأنّها عناقيد تطلع من غلف الأكمام التي ينتج فيها طلع النّخل. واللؤلؤ في هذا السياق كناية عن ثمار تلك الأشجار. ولعل وصف هذه الثمار باللؤلؤ، إنما جاء بجامع اللّمعان الذي يتميز به الدّر، فضلاً عن منزلته بين الجواهر من حيث كونه ينتج أصلاً في البحار ناشئاً في أصداف تضمّه، فهي بهذا الوصف، كالأكمام بالنسبة لأكمام الشجر أو النخل، وهو ما تصوير تلك الثّمار بهيأة اللُّؤْلُؤ الرَّطْب. ووصف (اللُّؤْلُؤ) بـ(الرَّطْب) في هذا السياق يوحي بلِينِه ونعومته، فالرّطب -في اللغة- نقيض اليابس، والرّطب النّاعم أيضاً[(١)]. ويقال للرّوضة رَطبة مادامت خَضراء[(٢)]. وبهذا تكون ثمار أشجار الجنة وعساليجها وغصونها كاللؤْلؤِ الرَّطْب النّاعم في روضة خضراءَ.

أقول: وتبدو لفظة (لؤلؤ) في كلام الإمام مميزة عن غيرها من المفردات، ليس لأنّها من ألفاظ الجواهر، إنما لأنها من المفردة ذات البناء الغريب حسبما ذكر ذلك ابن عطية الغرناطي (ت٥٤١هـ) الذي ذكر غرابة بناء المفردة المتّقدمة، مشيراً إلى أنّه لايحفظ منه سوى خمسة أبنية في كلام العرب هي: ((اللّؤلؤ، والجُؤجُؤ، والدُّؤدُؤ، واليُؤيُؤ، والبُؤبُؤ))[(٣)]. وغرابة هذا البناء منحت المفردة مزيّة في السياق المتقدم، وبخاصّة أنّها من الألفاظ التي استعملها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ**﴾ [(٤)]. وقد ذكر المفسرون أن المراد بـ(للّؤلؤ) في الآية المباركة كبار الدّرّ[(٥)].

---

(١) ينظر: لسان العرب (رطب): ١: ٤١٩.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: ٥/ ٢٢٨.

(٤) الرحمن/ ٢٢.

(٥) ينظر: تفسير البيضاوي: ٥/ ٢٧٥.

المَرْجَان

المَرْجَان اللُّؤْلُؤ الصِّغَار[١]. وذهب بعض اللغويين إلى أنّه اللؤلؤ العِظَام الكِبَار[٢]. وقيل: بل هو خَرَز أحمر[٣]، وهو المشهور في عُرف الناس [٤]. فالمَرْجَان هو البُسَّذ، وهو جَوْهَر أحمر[٥]. والبُسَّد، بالدَّال أو الذَّال، هو أصل المَرْجَان عند اللغويين[٦]، وهو يَنبت في البحر، وليس في المَعَادِنِ مايُشبِه النَّبات غيره[٧].وقد نقل الفيّومي (ت ٧٧٠هـ) أنّ المَرْجَان هي عُرُوْق حُمْر تَطلع من البَحْر كأصابِعِ الكفِّ[٨].

وقد استعملت لفظة (المَرْجَان) مرة واحدة في نهج البلاغة[٩]، للدلالة على ضَرب من الجواهر الكريمة الحمراء اللون التي تُعَدُّ نوعاً من صغار اللؤلؤ. يقول الإمام(عليه السلام) في سياق وصف الله تبارك وتعالى وجوده وكرمه على الناس: ((... **وَلَوْ وَهَبَ مَا تَنَفَّسَتْ عَنْهُ مَعَادِنُ الْجِبَالِ، وَضَحِكَتْ عَنْهُ أَصْدَافُ الْبِحَارِ مِنْ فِلِزِّ اللُّجَيْنِ وَالْعِقْيَانِ، وَنُثَارَةِ الدُّرِّ، وَحَصِيدِ الْمُرْجَانِ، مَا أَثَّرَ ذَلِكَ فِي جُوْدِهِ**...))[١٠]. والسياق يشير إلى جُود الله تبارك وتعالى وكرمه في أنه لو وهب كل ما ضمّته

(١) ينظر: العين (مرجن): ٦/ ٢٠٩، والمحكم (مرجن): ٧/ ٤٢٣.

(٢) ينظر: تاج العروس (مرج): ٦/ ٢١٠.

(٣) نفسه.

(٤) نفسه.

(٥) ينظر: لسان العرب (مرج): ٢/ ٣٦٦، و تاج العروس (مرج): ٦/ ٢١٠.

(٦) ينظر: تاج العروس (بسد): ٧/ ٤٣٢.

(٧) نفسه.

(٨) ينظر: المصباح المنير: ٢/ ٥٦٧.

(٩) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٢٠.

(١٠) نهج البلاغة: خ / ٩١: ١٤٩، ١٥٠.

الجبال من معادنَ، وما حوته أصداف البحار من الفضة والذهب والدُّر والمرجان لما أثَّر في كرمه تعالى. وقد ذهب شُرَّاح نهج البلاغة مَذْهَبين في بيان دلالة مفردة (المَرْجَانِ)، وهل هي من النبات أم من الجواهر التي تنشأ في أصداف البحار. فاختار بعضهم أن يكون (المَرْجَانِ) مما ينبت في قرار البحر، وعدّه شِبه شجرة ذات أغصَان وأصول ينشَعِب بعضها من بعض، وهو يحصد حصاداً بالحديد، ويقوم بذلك غوّاصون، يُخْرِجُونه،ومن ثَمّ يُحكُّ على حجرٍ أَصمٍّ[١]. ولهذا ذهب الإمام(عليه السلام) إلى وصفه بـ (بالحَصِيْد)؛ لأنه شبه شجرٍ يحصد حصاداً. ويبدو هذا الوجه معتمد على حقيقة أنّ المَرجان الذي يقال إنه مما ينبت في البحار.

وذهب الشّارح ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ) إلى أن الإمام أراد بلفظ (المَرْجَان) صِغَار اللُّؤلُؤ[٢]. وإنما وصفها بـ(الحَصِيد)؛ كأنه أراد المُتبدّد منه، كما يَتَبَدّد الحَبّ المَحْصود[٣]. وقد اتفق مع ابن أبي الحديد في هذا الوجه الشارح البحراني أيضاً[٤]. ويُفهم من كلام صاحب (الديباج الوضي) أن (المَرْجَان) ضرب من الدُّرِّ، ووصف الإمام له بـ(الحَصِيْداً) يعود إلى شكله وإحكامه وتقديره وتَدْوِيْره وتَربِيعه. فجعله نِثَارة مرة، ثم أحكم صُنْعَه في أخرى، وكل ذلك يخرج من البحار[٥]. وقد اعتمد الشّارح في هذا الوجه على ما تفيده لفظة (حَصِيْد) من دلالات، آخذاً منها الدلالة على الإحْكَام وجودة الصُّنْع، في قولهم: دِرْع حَصْدَاء. أي صَلِبَة شديدة مُحْكّمةٌ[٦].

---

(١) ينظر: معارج نهج البلاغة: ١/ ٤٠١.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد):٦/ ٣١٢.

(٣) نفسه.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني):٢/ ٤٣٣.

(٥) ينظر: الديباج الوضي: ٢/ ٦٨٣

(٦) ينظر: لسان العرب (حصد):٣/ ١٥٢.

وقولهم: اسْتَحْصد الحَبْل. إذا اسْتَحْكَم[١].

أقول: إنّ أصل (المَرْجَان) متعددة، ولكنّ الغالب فيه هو كونه نوع من الدُّرَّ بلونٍ أحمرٍ، وهو مما ينبت في بطون البحار ويحصد حَصاداً، ورُبّما ابتعدت بنا أصول هذا النوع من الأحجار الكريمة إلى القول بأنّه نوع من الحيوانات البحريّة. كما يذكر مصنفو المعاجم الحديثة، الذين ذكرو أنَّ (المَرْجَان) جِنْس حيواناتٍ بحريّةٍ من طائفة (المَرْجَانيات) التي لها هَيْكَل وكِلْس أحمر يُعد من الأحجار الكريمة[٢]. ويشير هؤلاء إلى تميّزه عن الدُّرِّ بلونه الأحمر، فضلا عن طريقة تكوّنه التي تجعله نوعاً خاصاً من الأحجار، وتبعده عن كونه قسيماً للدُّرِّ. وأمّا وصف الإمام له بأنه (حَصِيْد)، فيحتمل أنّه أراد حصاده على وجه الحقيقة، وهي الطريقة التي يجمع فيها هذا الحجر من البحر. وفي ذلك إشارة إلى أنّ(المرجانَ) نوع من النبات[٣].

ويمكن أن يستفاد من إيحاءات مفردة (حَصِيد) في الإشارة إلى حصاد الخَيْر والنِّعمة ؛ لأنّ مصطلح الحَصِيد والحَصاد مُقْتَرِن بِجَزِّ (البُرِّ والحنطة) وغيرها من النبات والزرع الذي يحصد حصاداً[٤]. وهذه الأصناف من البرِّ والقمح تدل على النّعمَة والرّزقِ والغنى في العيش. وكذلك الحال في (حصيد المَرْجان) الذي يمكن أن يدل على كثرة ما وَجِد من هذه الأحجار الكريمة التي تدل الغنى ورفاه الحال. وهو ما أشار اليه ابن أبي الحديد[٥]. فضلا عن دلالتها على الاحكام وشِدّة الفَتْل والقوّة.

(١) نفسه.

(٢) ينظر: المعجم الوسيط: ٢/ ٨٦١، وألفاظ الحضارة في القرن الرابع الهجري: ٢١٥.

(٣) ينظر: نهج البلاغة: خ / ٩١: ١٥٠ هامش (١).

(٤) ينظر: لسان العرب (حصد): ٣/ ١٥١.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٦/ ٣١٢.

أقـول: وقـد وردت لفظـة (المَرْجـان) في القـرآن الكريم،وذلـك في قولـه تبـارك وتعـالى: ﴿يَخْـرُجُ مِنْهُـمَا اللُّؤْلُـؤُ وَالْمَرْجَـانُ﴾(١).

وِشَاحَة

الوِشَـاح مـن حَـلي النِّسـاء، وهـو كِرْسَـان(٢) مـن لُؤْلُـؤ وجَوهـر مَنظُومـانِ مخالـف بينهـما، ومعطـوف أحدهمـا عـلى الآخـر، تتوشَّـح بـه المـرأة(٣). ويُنسـج الوشـاح مـن أَدِيـمٍ عريـض، ويُرصَّـع بالجواهـر والخـرز، وتشـدّه المـرأة بـين عاتِقَيهـا وكَشـحَيها(٤). ومـن هـذه الدلالـة أخـذ قولهـم: تَوشَّـح الرجـل بِثَوبِـه إذا تَأَبّطَ بـه، وتوشَّـح بِسيفه، إذا وضـع حمائلـه عـلى عاتقـه الأيسر(٥).

وقـد وردت لفظـة (وِشَـاحه) مـرة واحـدة في نهـج البلاغـة(٦)، للدلالـة عـلى جمـال ريـش الطـاووس الـذي يُغَطِّـي جناحيـه. يقـول الإمـام في سـياق كلامـه عـلى خلقـة الطـاووس: ((...**وَيَتَصَفَّـحُ ذَنَبَـهُ وَجَنَاحَيْـهِ فَيُقَهْقِـهُ ضَاحِـكاً لِجَـمالِ سِرْبَالِـهِ وَأَصَابِيـغِ وِشَاحِـهِ**...))(٧).يشـير (عليه السلام) في هـذا النـص إلى صـورة مـن صـور هـذا الطائـر الـذي يختـال بجـمال لباسـه وذَنَبِـه(٨). فضـلًا عـن روعـة وِشَـاحه. وقـد كنّـى الإمـام بالوشـاح

(١) الرحمن / ٢٢.

(٢) الكَرْس النّظم. والمتكرّس هو الذي نظم بعضه فوق بعض. وتلاوة ذات كِرسَين. أي ذات نظمين. ينظر: لسان العرب (كرس): ٦/ ١٩٣.

(٣) ينظر: العين (وشح): 263/ 3، ولسان العرب (وشح): 632/ 2.

(٤) ينظر: النهاية في غريب الحديث: 5/ 186، ولسان العرب (وشح): 632/ 2.

(٥) ينظر: تهذيب اللغة (وشح): 5/ 95.

(٦) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: 483.

(٧) نهج البلاغة: خ / ١٦٥: ٢٩٧.

(٨) ينظر: الديباج الوضي: 3/ 1370.

عن جَنَاحي الطاووس اللّذين يبدوانِ كالوِشَاحِ المرصّع بالجواهر والحُلي واللآلئِ الذي تَتَّشِح به المرأة على عاتقيها وكَشْحِهَا[١]. فكأنّ هذا الطير يَتَّشِح بوِشَاحٍ ملونٍ، عَبرّ الإمام عن جمال الوانه بلفظة (أَصَابِيْغ)، والصّبغ في اللغة هو ما يُصْطَبَغُ به من الإدَام[٢]. تُلَوّن به الثياب وغيرها[٣]. وقد أورد الإمام هذه المفردة للدلالة على تعدد الوان هذا الطائر، ولاسيّما الوان جناحَيْه اللذين جُعلا بمنزلة الوِشَاحِ له. واللاّفِت أنّ الإمام استعمل مفردة (أَصَابِيْغ) ببناء جمع الجَمْع، لِيدل-فيما يبدو- على كَثرة أصباغ هذا الطائر وتعدد ألْوانِه التي يزدهي بها. ولعل توظيف لهذا الضَّرب من الصياغة الصّرفيّة يوحي بتفرّد التعبير للمتلقي، فيَسِتَوقفه وينزع به نحو التفكرّ بدرجة الخُيَلَاءِ التي ينماز بها هذا الطائر على غيره من الطيور. ولهذا ذكر الإمام لفظة (أَصَابِيْغ) على بناء منتهى الجموع، في حين جاء بلفظة (وِشَاحه) بصيغة المفرد، ليظهر التّنوّع في مكونات هذا الوشاح وتفرّده في الصياغة، ليبدو أنّه فرد لا نظير له من حيث ألوانه وأشكال الأحجار الكريمة التي يزدهي بها.

أقول: وتتضمّن المفردة المتقدمة عدم فائدة هذه الزينة التي يتوشَّح بها الطاووس، وذلك من خلال دلالتها على الألوان غير الدائمة أو الثّابتة التي سيزول بريقها مع مرور الوقت، ويدعم هذا الوجه أنّ مفردة (أَصَابِيغ) وهي مأخوذة من (الصّبغ)، تدل على في اللغة على التَّغيِير[٤]. والصّبغ الغمس بالماءِ، وصبغت الناقة مَشَافِرها، إذا غمستها في الماء[٥]. والمعلوم أنّ الماء لايدوم صبغه

(١) نفسه.

(٢) ينظر: لسان العرب (صبغ):8/ 437.

(٣) نفسه.

(٤) ينظر: لسان العرب (صبغ): 8/ 437.

(٥) نفسه.

على الشفاه والمشافِر طويلاً. فأحسب أنّ الإمام(عليه السلام) أراد بوصف هذا الطائر واختياله بألوان وشاحه، الإشارة إلى خيلائه وكِبْره وغروره، فإنّه يزدهى بنفسه، ويَتِيه اذا نَظَر في أعطافِه ورأى ألوانه المختلفة، فإذا نظر إلى سَاقَيه، وَجَم وانكسر نشاطه وزهوه. فَصَاح صِياح العَوِيل لِحُزنه ؛ بسبب من دِقَّة ساقَيه ونتوء بعض أصابعه[١]. وكذلك المغرور من الناس المتكبرّ على أبناء جِلْدَته، فإنّه مايَلْبَث أن يسقط في يَده من غروره وتكبّره، وبخاصّة إذا عرف قدر نفسه واستصغار شأنه.

يَاقوْتة

اليَاقُوْت من الجَوَاهر معروف[٢]. وهو أقسام كثير ؛ أَجْوَده الأَحْمَر الرُّمَّاني[٣].

ويُعد اليَاقُوت من أقوى الأحجار الكريمة وأكثر صلابة، بعد المَاسِ[٤]. وهو ذو لونٍ شَفَّاف مُشَرّب بالحُمْرة، أو الزُّرقَةِ، أو الصُّفْرَةِ. ويستعمل في الزينة. و(اليَاقُوْتَ) لفظ بوزن (فَاعُوْل)[٥]، واحدته (يَاقُوْتَة)، وجمعه (يواقِيْت)[٦]. وهو من الألفاظ الفارسية المعرّبة التي تكلمت بها العرب[٧]. والظّاهر أنّ اللغويين الذين حكموا بأعجميّة هذه المفردة كان مسوّغهم في ذلك كونها على بناء

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٩/ ٢٠٩،و شرح نهج البلاغة (البحراني):٣/ ٦٦٨.

(٢) ينظر: تاج العروس (يقت): ٥/ ١٥٠، والقاموس المحيط (فصل الياء):١/ ٢٠٩.

(٣) نفسه.

(٤) ينظر: المعجم الوسيط: ٢/ ١٠٦٥، وألفاظ الحضارة في القرن الرابع الهجري: ٢٠٨.

(٥) ينظر: تاج العروس (يقت): ٥ / ١٥٠.

(٦) نفسه.

(٧) ينظر: المعرب: ٤٠٤، ولسان العرب (يقت):٢/ ١٠٩، وتاج العروس (يقت): ٥ / ١٥٠. وقد سكت الدكتور علي زوين عن ذكر أعجمية هذه اللفظة. ينظر: ألفاظ الحضارة في الشعر العربي في القرن الثاني الهجري:١/ ٥٨٢.

(فَاعُول)، وهذا البناء من الأبنية غير العربية،إذ تخلو العربية القديمة منه حسبما يذكر الباحثون[١].الذين ذكروا أن هذا البناء من الأبنية الكثيرة الورود في اللغة السّريانية، وقد استعملته العرب والحقته بأبنية الآلة والمبالغة [٢].

ولفظة (يَاقُوْتَة) من ألفاظ نهج البلاغة التي استعملها الإمام(عليه السلام) مرة واحدة [٣]، دالّة على (اليَاقُوْت) الأَحْمَر، وهو أحد الأحجار الكريمة. وذلك في سياق كلامه عن الكعبة المقدسة، والعِلّة التي من أجلها لم يجعل الله أساسها من (الزُمُرُّدِ الأَخْضَر، واليَاقُوت الأحمر). يقول (عليه السلام): ((**وَلَوْ كَانَ الْأَسَاسُ الْمَحْمُولُ عَلَيْهَا، وَالأحجار الْمَرْفُوعُ بِهَا، بَيْنَ زُمُرُّدَةٍ خَضْرَاءَ، وَيَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ، وَنُورٍ وَضِيَاءٍ، لَخَفَّفَ ذَلِكَ مُصَارَعَةَ الشَّكِّ فِي الصُّدُورِ... وَلَكِنَّ اللهَ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ، وَيَتَعَبَّدُهُمْ بِأَنْوَاعِ الْمَجَاهِدِ... إِخْرَاجاً لِلتَّكَبُّرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَإِسْكَاناً لِلتَّذَلُّلِ فِي نُفُوسِهِمْ...**))[٤]. يعني (عليه السلام) أنه لو كانت القواعد التي وُضِع عليها البيت المقدس، والأحجار التي شُيِّد بين زُمُرُّدة خَضْرَاء، وياقُوتة حَمراء لأدّى ذلك إلى نفي الشَّكِّ من نفوسِ الناس الذين يعتبرون الوجاهة والجواهر والأموال ضرورة من ضرورات الأنبياء ولازمة من لوازمهم، فضلاً عن بيوت الله تبارك وتعالى التي ينبغي عندهم أن تكون مُشتَمِلَة على أغلَى الجواهر والمعادن. فإن الله تبارك وتعالى لو وضع بيته في أَطْيَب بقاع الأرض وأعظمها نضارة، و زيَّنه بالجواهر واليَواقِيت واللآلِئ والذهب والفِضّةِ ؛ لكان تَوَجُّه الناس اليه طمعاً في نضارته وزينته ومكانه الجميل الطَّيِّب الزّرع. وليس لأجل أن يكون ذلك تقرّباً إلى الله جل

(١) ينظر:الطّاغوت في العربية، د- رشيد العبيدي، بحث منشور في مجلة المورد (م/ ٣٠-ع/ ١):١٤.

(٢) ينظر: ليس في كلام العرب، لابن خالويه:٢٦٨، ومعاني الأبنية:١٦٦، والطّاغوت في العربية:١٤.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٥٠٠.

(٤) نهج البلاغة: خ / ١٩٢: ٣٧٠.

شـأنه وطلبـاً لوجهـه[١].

أقـول: إنّ الله تبـارك وتعـالى قـادر عـلى أن يجعـل بيتـه بأَطْيَـب بقـاعِ الأرض، وليـس عسـيراً عليـه أن يجعـل أسـاس بيتـه الحـرام مـن أجـود الجواهـر والأحجـار الكريمـة المنزلـة. ولكنـه آثـر أن يكـون بيتـه المبـارك مـن أحجـار معروفـة للنـاس، وقصـد أن يكـون مَحَـطّ البيـت الحـرام بِأَوْعَـر بقـاعِ الأرض ؛ لاختبـار عبـاده بأنـواع الشّـدائد، ويتعبدّهـم بأنـواع المجاهـدة وضروب المكاره ؛ إخراجـاً للتّكـبّر مـن قلوبهـم، وإسـكاناً للتذلّـل في نُفُوسِـهم. فرقـاً بينهـم وبـين (إبليـس) الـذي نـازع الله رداء الجَبْريّـة وادّرع لبـاس التَّعـزُّز[٢]. وفَاتَـه أنّ العِـزّةَ لله جميعـاً[٣].

وبالرّجـوع إلى النّـص، نلحـظ أنّ الإمـام(عليه السلام) اختـار ضربـين مـن الأحجـار الكريمـة ليكونـا عـلى –سـبيل الفـرض –أساسـاً لبيتـه الحـرام، وهمـا (الزُمُـرُّد الأَخْـضَر) و(اليـاقـوت الأحمـر)، وذكرهمـا، لأنهـما مـن أَرْفَـع الأحجـار النفِيسـة قَـدْراً وأعزّهـا ثَمَنـاً، فضـلاً عـن تفـاوت لونَيْهـا، فالزُمُـرُّد ذو خُضْـرَة عاليـة، واليَاقُـوْت مُـشَرّب حُمْـرة. عـلاوة عـلى كونهـا مـن أكثـر الأحجـار الكريمـة نُـدْرَةً، فـلا يوجـد منهـما إلاّ فصـوص قليلـة[٤]. وممـا يمكـن أن يـزاد عـلى ذلـك أنّ اليـاقوت يعـدّ مـن أقـوى المعـادن وأشـدها صلابَـةً بعـد المـاس حسـبما تذكـر المعاجـم[٥]. فضـلًا عـن نـصّ الإمـام عـلى

---

(١) ينظر: الديباج الوضي: 4/ 2018.

(٢) إشارة الى قوله (عليه السلام) في شأن إبليس ((الذي وضع أساس العصبية، ونازع الله رداء الجبرية، وادّرع لباس التّعزز...)). نهج البلاغة: خ / ١٩٢: ٣٦٠.

(٣) إشارة الى قوله تبارك و تعالى:((الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لله جَمِيعًا)). النساء / ١٣٩ وينظر: يونس / ٦٥.

(٤) ينظر: الديباج الوضي: 4/ 2017.

(٥) ينظر: المعجم الوسيط: 2/ 1065.

حُمْرة هذه الياقوتَة يقود إلى اختياره نوعاً من أجود أنواع الياقوت وأعلاها قيمة، وهو الياقوت الأحمر[١].

(١) ينظر: تاج العروس (يقت):٥ / ١٥٠.

المبحث الثاني
ألفاظ الزينة ومتعلقاتها

صِبْغ

الصّبغ والصِّباغ ما تُلّون به الثياب(١). وصِبغ الثّوب لونه(٢). والأصل في دلالة الصبغ التغيير، فصبغ الشّيب تلوينه، وهو ما يستلزم تغيير لونه وإزالته من حالته إلى حالة أخرى من سواد أو حمرة(٣).

وقد استعمل الإمام (عليه السلام) مفردات (صُبِغَ) بالبناء للمجهول ثلاث مرات، منها مرة واحدة متصل به ضمير التأنيث (صُبِغَت)، في حين وردت المفردة المتقدمة بصيغة المصدر (صِبْغ)، وبوزن منتهى الجموع (أَصَابِيْغ) مرتين لكلٍ منهما في نهج البلاغة (٤)، للدلالة على ما يأتي:

أولاً: الدلالة على تنوّع ألوان الطيور وتعددها.

فقد وردت اشتقاقات متعددة لمفردة (صِبغ) في إشارة إلى تعدد الوان الطيور من الطواويس وغيرها. ومن ذلك قوله في وصف خلق الطيور: ((... **وَنَسَقَهَا**(٥) **عَلَى اخْتِلَافِهَا فِي الْأَصَابِيغِ بِلَطِيفِ قُدْرَتِهِ، وَدَقِيقِ صَنْعَتِهِ ؛ فَمِنْهَا مَغْمُوسٌ** (٦) **فِي**

(١) ينظر: العين (صبغ): 374/ 4.

(٢) ينظر: المحكم (صبغ): 5 / 425.

(٣) ينظر: لسان العرب (صبغ): 8 / 438.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: 252.

(٥) نسقها رتَّبها على نظام واحد. ينظر: لسان العرب (نسق): 10 / 352.

(٦) الغَمْس إرساب الشيء في الشيء السَّيال أو النّدِي من ماءٍ أو صبغ. ينظر: لسان العرب (غمس): 6 / 156.

قَالَبِ(١) **لَوْنٍ لاَ يَشُوبُهُ غَيْرُ لَوْنِ مَا غُمِسَ به، وَمِنْهَا مَغْمُوسٌ فِي لَوْنِ صِبْغٍ قَدْ طُوِّقَ**(٢) **بِخِلاَفِ مَا صُبِغَ بِهِ))**(٣).

ويتخذ الإمام من (الطّيور) سبيلاً لبيان قدرة الله تبارك وتعالى في بديع الخلق، ولا سيّما من جهة ترتيب ألوانها، فمنها ما يكون بلونٍ واحد غير مشوب بآخر، ومنها ما يكون مغموساً بِصِبْغ رقابها التي تُطوَّق بخلاف ما صُبِغ به بقية الرّيش، وهذا أمر شائع في الطيور. فكثير منها أعطاها الله جل جلاله هذه الأطواق التي تخالف ما عليها من لونٍ أو ألوان متعددة. فكأنّه(عليه السلام) يشير إلى تَحَلَّى الطيور بتلك الأطواق متّخذة إيّاها زينة لها(٤). ولا بد من الإشارة إلى أن الإمام قد وظّف مفردة (صِبْغ)، ومن قبلها لفظة (أَصَابِيْغ) في كلامه المتقدم للدلالة على (اللّون) الذي يتغير من طير إلى آخر، بل يتغير في الطير نفسه. وقد تضمّن كلامه استعمال مفردة (أَصَابِيْغ) بوزن (أَفَاعِيْل)، وهذا البناء يصنّف عند الصرفيين بكونه من أبنية جمع التكسير الخاص بمنتهى الجمع كما يبدو من كلام سيبويه الذي ذكره عند حديثه عن بناء (أَفْعَال) – وهو من أبنية جموع القِلّة – إذ أشار إلى أنّ ما كان على هذا البناء، فأنّه يُكسّر على (أَفَاعِيْل)، وضرب مثالاً لذلك بجمع (أَنْعَام) على(أَنَاعِيْم)(٥). وبالاستعانة بهذا الوصف يمكن القول أنّ الإمام لّما أراد التعبير عن تعدد أشكال

---

(١) القالب هو الشيء الذي تفرغ فيه الجواهر ليكون مثالًا لما يصاغ منها ينظر: لسان العرب (قلب): 1 / 689.

(٢) الطوّق كل شيء استدار وأحاط بالعنق. ينظر: لسان العرب (طوق): 10 / 231.

(٣) نهج البلاغة: خ165: 296.

(٤) ينظر: كتاب سيبويه: 3 / 218، و 4/ 247.

(٥) ينظر: كتاب سيبويه: 3 / 218، و 4/ 247.

الطّيور وتنوع ألوانها، استعمل هذا البناء من أبنية (جمع الجمع)[1]، للدلالة على هذا التّنوع والتعدد مناسبة لتعدد أَصباغ ريش الطّيور وغمس بعضها في البعض الآخر، بحيث تبدو أشبه باللّباس المزخرف المزدهي بالألوان. وتبدو لفظة (أَصَابِيْغ) ألْيَق من إيراد لفظة (أَصْبَاغ)، لما في البناء الأول من فخامة وامتداد في الصوت متأتٍ – فيما أحسب – من المقطع الصوتي (بِيْغ) الذي منحها امتداداً وسعة في النطق يناسب المقام الذي يتحدث فيه الإمام عن كمال قدره الله وعجيب صنعه لتنبيه الناس وإرشادهم إلى التدبّر في خلق الله وإبداعه.

وقد جاءت مفردة (أَصَابِيْغ) بالدلالة المتقدمة نفسها،وذلك في سياق وصفه الطاووس في (خ / ١٦٥). في حين وردت لفظة (صِبْغ) بصيغة المصدر، للدلالة على الألوان التي تكون في الطيور، ومنها الطاووس، وجاء ذلك كله في (١٦٥ ٤).

ثانياً: الدلالة على تغيير الأخلاق.

واستعمل لهذه الدلالة مفردة (صُبِغَت)بصيغة الفعل الماضي المبني للمجهول، وذلك في كلام الإمام الذي يذَمّ فيه اهل الضلال الذين خالفوا اهل البيت (عليهم السلام)، إذ يقول: ((... **كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلى فَاسِقِهِمْ وَقَدْ صَحِبَ الْمُنْكَرَ فَأَلِفَهُ، وَبَسِئَ**[2] **بِهِ وَوَافَقَهُ حَتَّى شَابَتْ عَلَيْهِ مَفَارِقُهُ**[3]**، وَصُبِغَتْ بِهِ خَلاَئِقُهُ...**))[4]. يصف النص الفُسّاق من اهل الضلال الذين أَلِفوا المنكر وصحبوه، حتى صار سجية من سجاياهم وطبعت أخلاقهم به، وأضحى علامة من علاماتهم. وصوّر الإمام امتداد صحبة

(١) ينظر: تاج العروس (صبغ): ٢٢ / ٥٢٣.

(٢) بَسِئ أي أنسَ به ومَرِن. ينظر: لسان العرب (بسأ): ١ / ٣٤.

(٣) أصل (المَفْرق) تشعب الطريق. ينظر: لسان العرب (فرق): ١٠ / ٣٠١. والمراد هنا هو الشيب الذي أصاب ما تَشَعّب من شعر الرأس.

(٤) نهج البلاغة: خ / 144: 253.

هـؤلاء للمنكـر، بذكـر شـيب مفارقهـم وهـو مـا تَشعّب مـن شـعر رؤوسـهم، ليـدل بذلـك عـلى قضـاء كونهـم قضـوا أعمارهـم في طاعـة الشـيطان وهـوى النّفـس. ومـن خـلال هـذا الوجـه يمكـن فهـم دلالـة مفـردة (صُبِغَـت) التـي أفـادت - هنـا - الدلالـة عـلى تغـيّر الأخـلاق وانطوائهـا عـلى هـذه الفاسـدة التـي صـارت ملكـة وطبعـاً وخلقـاً فيهـم[١]. أمـا إيثـار المفـردة المتقدمـة مبنيـة للمجهـول، فيبـدو في ذلـك إشـارة إلى تعـدد تلـك الخصـال ومؤثراتهـا التـي غـيّرت أخـلاق هـذا الصنـف مـن النـاس، وأدّت بهـم إلى الفسـوق والعصيـان، ومنهـا استعداد أنفسـهم إلى سـلوك سـبيل الباطـل واتخـاذه منهجـاً لهم.فكأنّما أضمـر الفاعـل في المقـام المتقـدم، بسـبب مـن تعـدد العلـل التـي أدت بهـؤلاء إلى أن تتغـيّر أخلاقهـم وصفاتهـم السـلوكية. ويفهـم مـن كلام الإمـام أنّ للمسـلمين (صِبْغَـة) معينـة، فـإذا فسـق الفاسـق خـرج عـن هـذه الصّبغـة وتغـير لونـه وسَـمْتُه مـن حـال الإسـلام إلى حـال ولـون آخـر.

أقـول: واجـد في كلامـه(عليه السلام) أثـراً قرآنيـاً، فهـو قريـب مـن قولـه تبـارك وتعـالى: ﴿**صِبْغَـةَ اللهِ وَمَـنْ أَحْسَـنُ مِـنَ اللهِ صِبْغَـةً وَنَحْـنُ لَـهُ عَابِـدُونَ**﴾[٢]. فكلمـة (صِبْغَـة) في الآيـة المباركـة تـدل عـلى سُـنَّة الله تعـالى وفطرتـه، فكأنّهـا استعيرت-هنا- للدّيـن مـن حيـث ظهـور آثـاره وسَـمْته عـلى المُتَدَيِّـن كـما يظهـر الصِبْـغ في الثـوب[٣]. أو هـو مـن جهـة المشـاكلة، كـما يقـال لمـن يغـرس الأشـجار: أُغـرس كـما يُغْـرَس. أي: اِصنَـع الكَـرَم، كأن ذلـك دلالـة عـلى صِبْـغ المسـلمين بالإيـمان[٤].

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): 70/ 9، وشرح نهج البلاغة (البحراني): 597/ 3.

(٢) البقرة/ 138.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: 216/ 1، والتفسير الكبير: 78/ 4.

(٤) ينظر: الكشاف: 222/ 1.

الكُحْل

الكُحْل عند الخليل ما يُكتَحَل به[١]، وهو ما يُوضع في العَينْ، لتشفى به عن طريق تسويد مواضع الكحل منها[٢].

وجاءت لفظة (اكتَحَلَتْ) مسندة إلى ضمير المؤنثة، و(الكُحْل)، و(كُحْلُهم) مضافة إلى ضمير الغائبين مرة واحدة لكل من المفردات المتقدمة في نهج البلاغة[٣]، للدلالة على ما يأتي:

أولاً: الدلالة على اكتحال العين ومنابت أشفارها بالتراب كما يعلوه الكُحْل.

ووردت هذه الدلالة في سياق وصفه (عليه السلام) حال الموتى في القبور الذين يقول فيهم: ((... **وَاكْتَحَلَتْ أَبْصَارُهُمْ بِالتُّرَاب، فَخَسَفَتْ**))[٤]. إذ يشير النص إلى انمحاء محاسن هؤلاء الأموات بعدما أُضجِعُوا في قبورهم، حتّى اكتحلت أبصارهم بالتّراب، فخُسِفت محاجرهم وفُقِئت عيونهم بعد امتلائها بتراب القبور. كأنّ الإمام يشير بقوله هذا إلى اندثار أبصار الإنسان وحواسه التي كان يصول بها ويجول، فبدلاً من أن تكتحل عيونهم بالكحل المعروف الذي طالما استعملوه في حياتهم الدنيا لتقوية أبصارهم ومداواة أبصارهم به، فضلاً عن اتخاذه زيّنة لهم أيضاً، لكنهم اكتحلوا بالتراب الذي خسف عيونهم ومحا معالمها ومحاسنها. وقد جرى كلامه هذا على نحو التّهكم بحال الناس الذين يعرفون نهاية أمرهم،ولكنهم لم يعدوا العدة لذلك اليوم الذي يهلك من هلك فيه عن بيّنة ويحيى من حيّ عن بيّنة.

---

(١) ينظر: العين (كحل): 3/ 62، و تهذيب اللغة (كحل):62/ 4.

(٢) ينظر: المحكم (كحل):410/ 3.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: 396.

(٤) نهج البلاغة: خ / 221: 428.

أقول: وقريب من هذه الدلالة استعماله (عليه السلام) مفردة (كُحْلُهم) للدلالة على (دموع أتباع الشيطان) من اهل الفتن والضّلال. يقول الإمام: ((**أَطَاعُوا الشَّيْطَانَ، فَسَلَكُوا مَسَالِكَهُ، وَوَرَدُوا مَنَاهلهُ... فِي فِتَنٍ دَاسَتْهُمْ بِأَخْفَافِهَا... فَهُمْ فِيهَا تَائِهُونَ حَائِرُونَ جَاهلونَ مَفْتُونُونَ. فِي خَيْرِ دَارٍ وَشَرِّ جِيرَانٍ. نَوْمُهُمْ سُهُودٌ**[١] **وَكُحْلُهُمْ دُمُوعٌ...**))[٢]. والنص في سياق حديثه عن الجاهلية، وحال الناس قبل بعثة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، فذكر (عليه السلام) طاعة هؤلاء للشيطان وحرصهم في أن يسيروا على نهجه ويسلكوا سبيله. ثم انتقل الإمام إلى وصف حالهم في الفتن التي استعار لها مفردة (أخفاف) جمعاً على (أَفْعَال)، وهي الإبل، مصوراً إياها بهيئة الجمل الذي يسحق بأخفافه ما يلاقيه. حتى صار الناس في تَيْه وحَيْرة وجهل وافتتان، لما لا قوه من أهوال.

وقد اختلف الشّراح في قول الإمام: ((**فِي خَيْرِ دَارٍ وَشَرِّ جِيرَانٍ. نَوْمُهُمْ سُهُودٌ وَكُحْلُهُمْ دُمُوعٌ**)). فمنهم من ذهب إلى أنه أراد بـ (خَيْرِ دَارٍ) الكوفة أو العراق، بـ (وَشَرِّ جِيرَانٍ) اهلها وفيهم أصحابه[٣]. وقيل: بل أراد بذلك الشّام، وبالجيران أصحاب معاوية[٤]. وبهذا يكون تعبير: (نَوْمُهُمْ سُهُودٌ، وَكُحْلُهُمْ دُمُوعٌ) خاصاً بأصحاب معاوية الذين لاينامون طوال الليل سعياً في ترتيب أمر صاحبهم وتهيئة مستلزمات ملكة وسطوته على الناس، وتكون مفردة (كُحْلُهُم) – هنا – دالة على نفاقهم و تغيّر خصالهم، فكأنّ بكاءهم يكون من هول ما يدبّرون من ظلم وأذىً للناس. وأما إذا كان المقصود بـ(خَيْرِ دَارٍ وَشَرِّ جِيرَانٍ) هم اهل الكوفة، فإنّ مفردة (كُحْلهم) – حينذاك – علامة على خوفهم من عدم طاعتهم الإمام في أوامره

(١) السُّهاد الأرق وقِلّة النوم. ينظر: لسان العرب (سهد): 3 / 224.

(٢) نهج البلاغة: خ / 2: 26، 27.

(٣) ينظر:شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): 143/ 1،وشرح نهج البلاغة (البحراني): 167/ 1.

(٤) نفسها.

ونواهيه وطاعتهم أهواءهم وأنفسهم الأمّارة بالسوء. وبهذا يصبح التعبير المتقدم دالاً على شكوى الإمام وجزعه[(١)]. وذهب الشارح البيهقي الأنصاري إلى أنّ المراد بـ(خَيْرِ دَار) الدنيا بوصفها محل العمل[(٢)]. وأن أكثر الخلق بها أشرار جهّال. ويبدو ه

أقول: ويلحظ من آراء الشراح في كلام الإمام المتقدم اعتماد دلالة تعبير (كُحْلُهُمْ دُمُوعٌ) على معنى التعبير الذي يسبقه. ولّما كان الإمام يتحدث عن حال اهل الجاهلية قبل بعثة النبي الأكرم(ﷺ)، فليس ببعيد أن يكون في كلامه إشارة إلى قول النبي(ﷺ) لّما حكى حاله مع اهل مكة في بدء البعثة النبويّة قائلاً: ((**كُنْتُ فِي خَيْرِ دَارٍ وَشَرِّ جِيرَانٍ**))[(٣)]؛ يعني (مكة) و(قريشاً). وبهذا تكون دلالة مفردة (كُحْلُهُم) دالة على جحود قريش مع النبي (ﷺ)، كأن الإمام (عليه السلام) يشير بقوله المتقدم إلى عدم إنصاف هؤلاء النبي الأكرم، فلو أنه طلب اليهم الجود وبذل النفس، لجادوا عليه بالبكاء والذي تكتحل عيونهم به، أو كأنهم بتخليهم عنه، وخذلانهم له ملؤوا قلبه أسىً وحسرة من ذلك. وعلى حدِّ تعبير الشارح ابن أبي الحديد أنه (ﷺ) لو استماحهم النَّوم، لجادوا عليه بالسّهود عوضاً عنه، ولو طلب منهم الكحل، لكان كُحْلُهُم الذي يصلونه به الدموع[(٤)].

أقول: وغير بعيد عن ذلك ما لقيه الإمام من بعض المتخاذلين من أصحابه ممن جاورهم وصحبهم واجتهد في تربيتهم، فلقي منهم ما لقي من قبيل انصرافهم إلى معاوية، وبذل ولائهم له في سبيل العطايا والأموال. ولم يكن الإمام

(١) نفسها.

(٢) ينظر: معارج نهج البلاغة: 224/ 1، وشرح نهج البلاغة (البحراني): 168/ 1.

(٣) لم أعثر على هذا الحديث في ما توافر لدي من كتب الحديث النبوي، وقد نقله ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: 143/ 1.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): 143/ 1، ومنهاج البراعة: 237/ 2.

بعيداً عن النبي وما شهده معه من سوء معاملة قريش وإيذائهم له بشتى السبل، فلما أحسَّ الإمام بما صار اليه الناس يوم (صِفِّيْن)، تحدث بقوله المتقدم الذي ذكر فيه الناس وحيرتهم وجهلهم الذي رجعوا اليه بعد الإسلام أيام (صِفِّيْن)، فجاء لفظ (كُحْلُهُم) عاماً في كلامه، ليشمل الناس في أصحابه وأصحاب معاوية ومن عناه أمر الحرب ودخل فيها، فبالغ (عليه السلام) في وَصف هؤلاء بالسُّهود والأرق، لخوفهم من الحرب وشدتها، فضلاً عن حال التَّيْه والضّلال التي صار عليها الناس، ولاسيما الذين انصرفوا إلى معاوية الذي اجتهد في إيهام الناس وإيقاعهم في الفتن، أو بذل الأموال لهم لجذبهم إلى جانبه وإيقاعهم في الفتن الضّالة[1].

أمّا قوله (كُحْلُهُمْ دُمُوع)، فالظاهر منه التشبيه بين دموعهم التي تجري من حيرتهم وضلالهم،أو من خوفهم وخشيتهم الحرب، أو من مفارقتهم الإمام وانضمامهم إلى معاوية، فصارت تلك الدموع أشبه ما تكون (بالكُحْل) الذي يلازم الأجفان، بوصفها وسيلة من وسائل التداوي والإبراء من الأذى، فعكس الإمام التشبيه، جاعلاً (الكحل) هو(الدموع)، بلحاظ الملازمة وكثرة اعتياد عيونهم عليه[2]. ويبدو لي أن الإمام أراد القول: إن (سُهُود) هؤلاء النمط من الناس واكتحال عيونهم بالدموع لايجديهم نفعاً بسبب من تفريطهم بإمامهم، وتخاذلهم عنه. وهذا الامر يمثل إنصرافاً عمّا أمرهم الله تعالى به.

ثانياً: الدلالة على قلة البقاء والمكث في الأرض.

وجاءت هذه الدلالة في سياق كلام الإمام من الملاحم وفتنة بني أميّة وما

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): 168/1.

(٢) نفسه.

يفعله معاوية بالناس. يقول (عليه السلام): ((**وَاللهِ لَيُشَرِّدَنَّكُمْ**[١] **فِي أَطْرَافِ الأرض حَتَّى لاَ يَبْقَى مِنْكُمْ إِلَّا قَلِيلٌ كَالْكُحْلِ فِي الْعَيْنِ**...))[٢]. شَبّه الإمام لَبْث هؤلاء وبقائهم في مدنهم وأماكنهم التي يقومون فيها شبّه ذلك بالمُدّة التي يبقى فيها (الكُحل) في العين، وهي فترة قصيرة، فما يلبث الكحل أن يزول من العين بغسلها أو مَسْحِها أو عند نزول العَرق من الجَبِيْن عليه. وهذه المؤثرات تمثل عللاً في زوال ذلك أثر الكحل في العين.

وقد ذكر الشّرّاح أنّ الإمام يشبّه البقية الباقية من الناس الذين يُشَرِّدهم صاحب الفتنة في أطراف الأرض ببقيّة الكحل في العين في إشارة إلى القِلّة والحقارة و الخِفّة، فكأنّ من يبقى من هؤلاء الناس لا قيمة له من جهة أثره ومكانته في المجتمع، فضلاً عن قِلّة الشأن. وذلك أن قادة الفِتنّة استأصلوا كبار المجتمع وقتلوا رموزه وقادته من اهل المنزلة العالية، فما بقي غير الضعاف من الناس ممن لا شأن لهم إلّا الخوف والالتجاء إلى السكوت وعدم المعارضة.

الخِضَاب

الخِضاب ما يُخْتَضَب به من حِنّاء وكَتَم وَوَسْمَة[٣]. والخِضَاب كلّ شيءٍ غُيرِّ لونه بِحُمْرةٍ كالدّم ونحوه، فهو مخضوب، ومنه خضاب الشّيْب[٤]. وأوّل من خُضِب بالسّواد من العرب هو عبد المطلب[٥].

(١) التشريد، الطرد والتفريق. ينظر: لسان العرب (شرد): 3 / 237.

(٢) نهج البلاغة: خ / 138: 247.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (خضب):56 /7.

(٤) ينظر: العين (خضب): 4/ 178، و تهذيب اللغة (خضب):55 /7.

(٥) ينظر: الروض الأنف؛ للسهيلي: 10/ 24، و لسان العرب (خضب):357 /1.

وقد وردت لفظة (الخِضاب) مرة واحدة في نهج البلاغة[١]. دالة على ما يختضب به من حناء أو غيره مما يغير به الشيب. وذلك في سياق جواب الإمام لمن طلب اليه أن يغير شيبه. فقال: ((**الخِضَابُ زِينَةٌ وَنَحْنُ قَوْمٌ فِي مُصِيبَةٍ**))[٢]. وقد جعل الإمام الخِضاب زينة ؛ ولهذا وضعه بإزاء (المُصِيبَة)، مشيراً إلى عدم جواز الخِضاب في المصائب، وقد أشار الشريف الرضي إلى أنّه (عليه السلام) قصد بـ(المُصِيبَة) وفاة النبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم)[٣]. وهي فاجعة عظيمة نأى الإمام عن الاختضاب بسببها. هذا من جهة، ومن جهة ثانية، فإنّ عد الخضاب زينة راجع إلى جمال الحنّاء والوسمة وما يخلط معها لأجل تغيير لون الشيب. ولهذا ذكر اللغويون إن تغير الشيب بغير خضاب بالحِنّاء لا يسمّى (خضاباً) وإنما صبغاً[٤].

مَدارِي

المِدْرَى مفردة أعجمية، ومؤنثها (مِدْراة)، وهي حديدة يُحكُّ بها الرأْس، يقال لها بالأعجمي(سَرْخارَهْ)[٥].ويشبه بها (المِدْراةُ) قَرْنُ الثور[٦].ويُعْمَل (المِدْرَى) من حديد أَو خَشَبٍ على شكلٍ سنٍ من أَسنان المِشط يسرَّح به الشَّعر المُتلبِّد[٧].

ولفظة (مَدارِي) من مفردات نهج البلاغة التي استعملت فيه مرة واحدة[٨].

---

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: 138.

(٢) نهج البلاغة: قصا / 473: 696.

(٣) نفسه.

(٤) ينظر: لسان العرب (خضب): 1/ 359.

(٥) ينظر: العين (دري): 61/ 8،وتهذيب اللغة (دري):113/ 14.

(٦) نفسه.

(٧) النهاية في غريب الحديث:115/ 2.

(٨) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: 154.

بصيغة اسم الجنس الجمعي، للدلالة على المِشط الذي يُرجَّل به الشَّعر. وجاء ذلك في سياق تشبيه الإمام قصب ريش الطاووس بالمَدَارِي. إذ يقول: ((**تَخَالُ قَصَبَهُ مَدَارِيَ مِنْ فِضَّةٍ**...))[1]. أراد(عليه السلام) بكلمة(قَصَبَه) الدلالة على قَصَب الريش الذي يُجلّل هذا الطائر، والتي تبدو - عند نشرها - كأنها أسنان المَدَارِي وهي مغروزة في جسمه.

وذلك إشارة إلى عظيم خلق الله تبارك وتعالى ودقته من جهة، فتنظيم هذه (القصبات) واتّساقها في جناحه يجعلها تبدو كأسنان المشط، فضبطت أصولها وأشرج بعضها إلى بعض في نظام واحد[2].

وأما تشبيه هذه القصبات (بالفِضّة)، فيرجع إلى أنّ عظام أجنحة الطاووس بيضاء بلون الفِضّة[3]، فناسب ذلك النسق في اللون بين قوادم قصباته، وبين المشط الفضي الذي يُسَرّح به الشَّعر و يُرجَّل.

العِظْلِم

قال الخليل: ((العِظْلِم عُصَارة شَجَرٍ لونه أخْضَر إلى الكُدْرة))[4]. والعِظْلم شجيرة غبراء تنبت وتدوم خضرتها، وترتفع على ساقٍ نحو الذّراع ولها فروع، وفي أطرافها نَوَرٌ كَنَورِ الكُزْبَرة[5]. وهذا الضرب من الشجر هو (الوَسْمَة) ذو

---

(١) نهج البلاغة: خ / 165: 296.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): 209،208/ 9، وشرح نهج البلاغة (البحراني): 667/ 3.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن ابي الحديد): 208/ 90، 209.

(٤) ينظر: العين (عظلم): 2/ 342، و تهذيب اللغة (عظلم):229/ 3.

(٥) ينظر: المحكم (عظلم): 2/ 461، و لسان العرب (عظلم):412/ 12.

اللّون الأسود[١]. وقيل: بل لونه أحمر[٢]. يستعمل في الخضاب[٣].

وردت مفردة (العِظْلِم) مرة واحدة في نهج البلاغة[٤]، للدلالة على اللون الأسود المأخوذ من العُصارة التي يُصْبَغ بها. وذلك في سياق حديثه عن إمْلَاق (عقيل ابن أبي طالب) وجوع صبيانه. يقول(عليه السلام): ((**وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلًا وَقَدْ أَمْلَقَ حَتَّى اسْتَمَاحَنِي مِنْ بُرِّكُمْ صَاعاً، وَرَأَيْتُ صِبْيَانَهُ شُعْثَ الشُّعُورِ، غُبْرَ الْأَلْوَانِ، مِنْ فَقْرِهِمْ، كَأَنَّمَا سُوِّدَتْ وُجُوهُهُمْ بِالْعِظْلِمِ**...))[٥].ويلحظ تشبيه وجوه هؤلاء الصبية بلون العِظْلِم وأثره، من خلال ذكر مفردة (سُوِّدَت) التي تتناسب مع ما يؤديه (العِظْلِم) من تأثير في لون ما يصبغ به،إذ إنّه نَبْت يُسَّود به[٦]. فيكون ما ذكره الإمام من الجمع بين مفردتي(سُوِّدَتْ) و(العِظْلِم) من قبيل الجمع بين السبب والمُسَبِّب. والملاحظ أنّه(عليه السلام) قد نقل المفردة من الدلالة على اللون المستعمل في التّزيّن ولخضاب إلى الدلالة على السَّواد الذي يلطخ به الوجه ويسوّد علامة على الإنهاك وعدم المقدرة من الضعف الذي يسببه الجوع والفقر.

الوَسِمَة

الوَسْم والوَسْمَة شجرة ورقها خضاب[٧]. وتُسَمّى الوَسْمَةُ (العِظْلِم)،وهو

---

(١) نفسها.

(٢) ينظر: لسان المعرب:355/ 2.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (كحل):62/ 4.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: 307.

(٥) نهج البلاغة: خ/ 224: 437.

(٦) ينظر: الديباج الوضي: 4/ 1812.

(٧) ينظر: العين (وسم): 7/ 321، و تهذيب اللغة (وسم):336/ 4.

نبت يُصْبَغ بـه أيضـاً[١]. والوَسْـمَة مـن النباتـات العشـبية الزراعيـة التـي تسـتعمل في الصباغ، وهـو مـن الفصيلـة الصليبيـة[٢]. وكلام العـرب الفصيـح في هـذه اللفظـة هـو بكسر السين(الوسـمة)، وتسـكينها لغـة[٣].

ولفظة(الوَسـمة) مـن ألفـاظ نهـج البلاغـة التـي اسـتعملها الإمـام (عليه السلام) مـرة واحـدة[٤]. دالـة عـلى صبـغ الخضـاب الـذي يلـون بـه الشـعر وغـيره. في مقـام تشـبيه ريـش عنـق الطـاووس بلـون (الوسـمة اليمانيـة). يقـول الإمـام: ((... **وَمَغْرِزُهَـا إلى حَيْـثُ بَطْنُـهُ كَصِبْـغِ الْوَسِـمَةِ الْيَمَانِيَّـةِ**...))[٥]. وهـذا المقطـع مـن كلام الإمـام خـاص بوصـف لـون ريـش الطـاووس المحيـط بعنقـه الـذي يكـون بلـون أسـود، كأنـه متلفـع بمِلحفـة سـوداء، فضـلاً عـن شـدة البريـق والخضـرة النـاضرة. ولهـذا شـبّه الإمـام ألـوان هـذا الطـير بلـون صبـغ (الوَسِـمة اليمانيـة) التـي يختضـب بهـا لغـرض إضفـاء السّـواد عـلى الشـعر كـما تذكـر المدونـات الأدبيـة[٦]. يريـد(عليه السلام) أن يصـف شـدة السّـواد الضـارب إلى الخضـرة في ريـش هـذا الطـاووس، حتـى يبـدو مُدْهامّـاً مـن الامتـزاج بـين الخضـرة والسّـواد. ولـمّـا كانـت هـذه السِّـمة تحققهـا (الوَسِـمة) التـي يُكسَـر بهـا لـون البيـاض والحمـرة إلى الدُّهمـة[٧]، فقـد اسـتعمل الإمـام المفـردة المتقدمـة لهـذا المعنـى فضـلًا عـن الإشـارة إلى كونهـا تمثـل علامـة مميـزة لهـذا الطائـر تميـزه عـن غـيره مـن الطيـور.

---

(١) ينظر: لسان العرب (وسم): 12/ 637.

(٢) ينظر: المعجم الوسيط: 2/ 989.

(٣) ينظر: لسان العرب (وسم): 12/ 637.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: 483.

(٥) نهج البلاغة: خ/ 165: 298.

(٦) ينظر: مشارق الأنوار: 2/ 295.

(٧) ينظر: مشارق الأنوار: 2/ 295، ومنهاج البراعة: 10/ 48.

المبحث الثالث

ألفاظ العطر والرياحين

طِيْب

الطّيّب ما يُتَطَيَّب به من العطر الذي تكون فيه رائحة طيبة[١]. وهو على وزن فِعْل[٢].

واستعملت مفردة (طِيْب) خمس مرات في نهج البلاغة°، للدلالة على الرائحة الطيبة الزكية، إلا في موضع واحد استعملها الإمام فيه بدلالة الطّيّب من الطعام. فأمّا المعنى الأول، فمنه قوله متحدثاً عن خَلْقِ آدم (عليه السلام)، وسبب خلق الله له من طينٍ دون أن يكون من نور: ((**وَلَوْ أَرَادَ الله أَنْ يَخْلُقَ آدمَ مِنْ نُورٍ يَخْطَفُ الْأَبْصَارَ ضِيَاؤُهُ وَيَبْهَرُ الْعُقُولَ رُوَاؤُهُ وَطِيْبٍ يَأْخُذُ الْأَنْفَاسَ عَرْفُهُ لَفَعَلَ**...))[٣]. والطِيْب العِطر الذي يُبهر ويَعظم وَقْعه في النّفس، لقوّة عَبْقهِ ونفوذهِ[٤]. ويدعم ذلك إيراده (عليه السلام) مفردة (عَرْفُه) في السياق المتقدم، والعَرْف الرائحة الطَّيِّبة والمُنْتِنَة معاً[٥]، ولكنّه لّما استعمل كلمة (طِيْب) في النص، دَلّ بذلك على تخصيصه بالرائحة الطيّبة. ومن هذا المعنى أيضاً قوله (عليه السلام) في حديثه عن (المِسْك)، وهو

(١) ينظر: أساس البلاغة (طيب): 1 / 400، و لسان العرب (طيب): 1 / 563.

(٢) ينظر: لسان العرب (طيب): 1 / 563.

(٣) ينظر: نهج البلاغة: خ/ 192: 360.

(٤) ينظر: الديباج الوضي: 4 / 2977.

(٥) ينظر: لسان العرب (عرف): 9 / 236

ضَرب من الطّيْب: ((**نِعْمَ الطِّيبُ الْمِسْكُ خَفِيفٌ مَحْمِلُهُ عَطِرٌ رِيحُهُ**))(١). والدلالة نفسها استعملها الإمام في (قصا / ١٠٤، ٤٠٠). إمّا الدلالة الثانية، فهي استعمال مفردة (طِيْب) دالة على الطيِّب من وجوه الطعام

الحلال. وذلك في كتابه الذي يخاطب فيه عامله (عثمان بن حُنيف الأنصاري)(٢). يقول فيه الإمام: ((**فَانْظُرْ إِلَى مَا تَقْضِمُهُ مِنْ هَذَا الْمَقْضَمِ، فَمَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ، فَالْفِظْهُ، وَمَا أَيْقَنْتَ بِطِيْبِ وُجُوْهِهِ، فَنَلْ مِنْهُ**))(٣). والسياق - هنا - سياق تحذير وتوجيه يوجب فيه الإمام ضرورة التثبّت من حلال المطعَم واجتنب حرامه بورعٍ واجتهادٍ. ولهذا عطَف (عليه السلام) على كلمته المتقدمة قوله: ((**أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَاماً يَقْتَدِي بِهِ وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ أَلَا وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصَيْهِ أَلَا وَإِنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ وَلَكِنْ أَعِينُونِي بِوَرَعٍ وَاجْتِهَادٍ وَعِفَّةٍ وَسَدَادٍ**))(٤). وتأكيداً لهذا المعنى ينصح الإمام عامله على التيقّن من (طِيْبِ) وجوه مأكله. أي: التثّبّت من مصادِر هذا المأكل، والتأكد من حِلّه و طِيْب وجه اكتسابه(٥). وتبدو لفظة (طِيْبِ) في هذا السياق مرادفة لفظة(الحلال) أو تساويها في الدلالة.

---

(١) نهج البلاغة: قصا/ 397: 682.

(٢) هو عثمان بن حُنيف بن واهب بن عكيم بن الحارث بن عوف الأنصاري الأوسي، بعثه الإمام علي والياً على البصرة، فلم يزل عليها، حتى قدم عليه (طلحة والزبير)، فقاتلهما، ثم توادعوا حتى يقدم عليهم الإمام، فما كان من أصحاب (طلحة) إلا أن دخلوا عليه وقتلوا حرسه،ونتفوا لحيته وجفون عينيه وسجنوه، ثم سرقوا بيت المال.ينظر: سيرأعلام النبلاء:322-320/ 2،والإصابة في تمييز الصحابة:449/ 4.

(٣) ينظر: نهج البلاغة: ك/ 45: 529 / 530.

(٤) نفسه.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): 5 / 313، والديباج الوضي: 5 / 2442.

رَيْحَانَة

الرَّيْحَان نبت معروف، وهو بَقْلٌ طَيِّب الرِّيح[1]، واحدته(رَيْحَانَة)[2]. وقيل: الرَّيْحَان أطراف كل بَقْلةٍ طيّبة الريح إذا خرج عليها أوائل النَّوَر[3]. والرَّيْحَان اسم جامع للرياحين الطيّبة الريح[4].

واستعملت مفردة (رَيْحَانَة) بصيغة المفرد المؤنث مرتين في نهج البلاغة، في حين استعملت اللفظة نفسها بصيغة الجمع على(فَعْلان) مضافة إلى ضمير الغائب (رَيْحَانَهُ) مرة واحدة[5]، للدلالة على الغضاضة وطيب الرائحة وصفاً للمرأة التي وصفها الإمام بكونها (رَيْحَانَة) في سياق حديثه عن (المرأة) من وصيته للإمام الحسن (عليه السلام) التي يقول فيها: ((... **وَلَا تُمَلِّكِ الْمَرْأَةَ مِنْ أَمْرِهَا مَا جَاوَزَ نَفْسَهَا فَإِنَّ الْمَرْأَةَ رَيْحَانَةٌ وَلَيْسَتْ بِقَهْرَمَانَةٍ**[6]. ووصفه (عليه السلام) المرأة بـ (الرَّيْحَانَة) بيان إلى أنها غَضّة طَرِيّة طيبة النَّفْس والروح، وهذِهِ هي الفطرة الإلهية التي فُطِرت عليها. فاستعار لها لفظة (الرَّيْحَان)، لكونها محلاً للطيب و اللّذة والاستمتاع[7]. و يعضد هذا الوجه استعمال الإمام مفردة (قَهْرَمَانة) نقيضاً وضداً للفظة (رَّيْحَانَة)، كأنه يومئ بذلك إلى دلالة الطِّيْب والغضاضة والرّقة بذكر النقيض الذي يمثل جانب التسلّط والشدّة والقَهْر، ومجانية العدل فضلاً الرغبة في التملك، وإدارة الأمور

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة (روح):177/ 2، لسان العرب (روح):455/ 2.

(٢) ينظر: لسان العرب (روح):455/ 2.

(٣) نفسه.

(٤) نفسه.

(٥) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: 196.

(٦) ينظر: نهج البلاغة: ك31/ 513.

(٧) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن ابي الحديد): 96/ 16، وشرح نهج البلاغة (البحراني): 291/ 5.

وتعبير الإمام المتقدم يرشد إلى عدم تمكين المرأة من السيطرة على الرّجل، والتّجبّر عليه، من خلال أخذ صلاحياته التي خوّله الباري جل جلاله في القوامة على المرأة بما فضّل الله بعضهم على بعض. فامتلاك المرأة أو منحها الحقوق التي ليست لها سَيَجُرّها إلى القهر والغَلَبة، ويخرجها من غضاضة شأنها وطِيب نَفْسها و نَفَسها. وفي التعبير العلوي قضية اجتماعية، فنفيه صفة الـ(قَهْرَمَانَة) عن المرأة بيان إلى أنّها لم تُخْلَق لتكون حاكمة متسلطة، وإنّما خلقت لتكون زوجة محكومة بطاعة زوجها فيما يرضي الله تبارك وتعالى. فإنها خُلِقَت للرّقة والحنان والدّعة والاطمئنان[١]. وهذا الأمر يدعونا إلى أن فهم الفارق بين كونها (رَيْحَانَة) و(قَهْرَمَانَة). أي: طيّبة محبوبة كما هو الرّيحان الذي يتّصف بالغضارة وطيب الرائحة، فكذلك المرأة التي ينبغي أن تكون محبوبة مصانة ينبغي أن تعامل برقّة، ليكون لها حضورها العاطفي في قلب الزوج[٢].

أمّا الموضع الثاني الذي جاءت فيه مفردة (رَيْحَانَة)، فهو قوله، لمّا سُئِل عن(قُريش) وبني (مَخْزُوم)، فقال: ((**أَمَّا بَنُو مَخْزُومٍ، فَرَيْحَانَةُ قُرَيْشٍ نُحِبُّ حَدِيثَ رِجَالِهِمْ وَالنِّكَاحَ فِي نِسَائِهِم**...))[٣]. وسياق حديثه(عليه السلام) سياق موازنة بين هذه القبيلة وبني (عبد شَّمس) و(اهل البيت)، وقد عبّر عن هذا الضرب من المدح لبني (مَخْزُوم) بوصفهم بأنّهم (ريحانة قريش) أي: لُبّها وصفوتها. وبنو مخزوم بَطن من قريش، وهو مخزوم بن يقظة بن مرّة بن كعب ابن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك[٤]. و كان لمخزوم هذا ريح طَيّبة كالخُزامي ولون كَلَونه. ولعل هذا

(١) ينظر: في ضلال نهج البلاغة: 531/ 3، والمرأة في نهج البلاغة: د.نجوى صالح الجواد: 224.

(٢) ينظر: المرأة في نهج البلاغة: 225.

(٣) نهج البلاغة: قصا:120/ 622، 623.

(٤) ينظر: نسب قريش:97/ 1، شرح نهج البلاغة (البحراني): 428/ 5.

المعنى هو الذي دعاهم إلى أنّ يسمّوا هذا البطن من لؤي بن غالب بن قريش (ريحانة قريش) لريحه الطيبة[١]. ويبدو أنّ هذهِ الدلالة أو التسمية الغالبة على بني مخزوم كانت شائعة، ولهذا ضَمّنها الإمام في كلامه، فضلاً عمّا تدل عليه مفردة (ريحانة) من معنّى يشتمل على طِيْب الرائحة والمنزلة بين الأشجار، فيكون المعنى الذي قصد إليه الإمام أنّ بني مخزوم في قريش بمنزلة الرّيحَان في الأشجار[٢]. وذهب بعض الشّراح إلى أنّ قوله: (بنو مخزوم ريحانة قريش) ليس وصفاً من إنشاء الإمام، وإنما كان مقولة سائدة قبله وفسّره الإمام بتفسير حَسنٍ، فلم يُقْصر الأمر على حب النكاح في نسائهم، بل زاد عليه حب حديث رجالهم. واستدل على ذلك بالحوار الذي دار بين بعض بني مخزوم وبني تميم، لمّا افتخر بعضهم على البعض الآخر، فذكر المخزومي سبب وصف قبيلته بـ(رَيْحَانَةُ قُرَيْش)، معللاً ذلك بحَظْوة نسائهم عند الرجال[٣].

أقول: وهذا يتناسب مع دلالة مفردة (الرَّيْحَان) على الغضاضة والرِّقة، فضلاً عن طيب الرائحة.

وجاء الموضع الثالث الذي استعمل فيه الإمام لفظة (رَيْحَانَةُ) بصيغة الجمع في سياق حديثه عن النبي (عيسى)(عليه السلام) أو بدلالة المأكول الطَّيِّب المَطْعَم: ((**وَإِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ (عليه السلام) فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ وَيَلْبَسُ الْخَشِنَ وَيَأْكُلُ**

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): 428/ 5.

(٢) ينظر: الديباج الوضي: 6/ 2811.

(٣) ينظر: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، للثعالبي: 1/ 298، وربيع الأبرار للزمخشري: 1/ 463. وقد نقل صاحب (العقد الفريد) عن بعضهم أنّ التسمية المتقدمة لاتدل على الفخر وإنما تدل على الذّم، فذلك يدل على خَوَر رجالهم، ولين نسائهم وضعفهن. ينظر: العقد الفريد 4/ 46.

الْجُشِبَ وَكَانَ إِدَامُهُ الْجُوعَ... وَفَاكِهَتُهُ وَرَيْحَانُهُ مَا تُنْبِتُ الأرض لِلْبَهَائِمِ))(١). وفي كلامه (عليه السلام) استعارة، إذ استعير لفظا (الفاكهة والرّيحان) لما تُنبته الأرض(٢). من طَيّب المأكول طعماً ورائحة.

عَرْفُه

العَرْف الرِّيْحُ الطَيِّب(٣). وقيل: بل هو الرائحة طيّبة كانت أو مُنْتِنةً، وأكثر استعماله في الرِّيح الطَّيِّبَةِ(٤). وهذا اللفظ من الأضداد، فإنّه يدل على الرائحة الطَّيِّبة والمُنْتِنة في الوقت نفسه(٥).

وقد وردت لفظة (عَرْفُه) مرتين في نهج البلاغة(٦)، للدلالة على الرّائحة الطَّيِّبة الزّكية التي تأخذ الأنفاس. وكان الاستعمال الأول منهما في سياق حديثه (عليه السلام) عن خَلْق آدم الذي يقول: **((وَلَوْ أَرَادَ الله أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ مِنْ نُورٍ يَخْطَفُ الْأَبْصَارَ ضِيَاؤُهُ، وَيَبْهَرُ الْعُقُولَ رُوَاؤُهُ، وَطِيبٍ يَأْخُذُ الْأَنْفَاسَ عَرْفُهُ، لَفَعَلَ...))**(٧). والعَرْف ما يُشمّ من رائحة طيّبة، وقد أراد (عليه السلام) - هنا- الرائحة الطيّبة التي يَعْظُم وَقْعُها في النفوس، ويَعْظم تأثيرها في الخياشِيم من عَبْقَة ريحها ونفوذه(٨).

وأمّا المعنى الآخر، فهو في سياق حديث الإمام عن علاقته بالنبي الأكرم

(١) نهج البلاغة: خ/ 16: 283.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): 653/ 3.

(٣) ينظر: العين (عرف): 122/ 2.

(٤) ينظر: لسان العرب (عرف):240/ 9.

(٥) ينظر: تهذيب اللغة (عرف):240/ 2، و المحكم (عرف): 2/ 111.

(٦) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: 300

(٧) نهج البلاغة: خ: 192: 360.

(٨) ينظر: الديباج الوضي: 4/ 1977

(ﷺ) وقُرْبه منه، بعد حديثه عن شجاعته وفَضله. إذ يقول: ((**أَنَا وَضَعْتُ فِي الصِّغَرِ بِكَلَاكِلِ الْعَرَبِ... وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ، وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ، وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وَأَنَا وَلَدٌ يَضُمُّنِي إِلى صَدْرِهِ، وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ، وَيُمِسُّنِي جَسَدَهُ، وَيُشِمُّنِي عَرْفَهُ**))[١]. وقد اتّخذ (عليه السلام) من هذه المفردات الواردة في النص سبيلا لبيان قوة ارتباطه بالنبي الأكرم لِيُبَيّن أنّه رَبِيب رسول الله. فذكر قوله (وَيُشِمُّنِي عَرْفَهُ)، الذي ساقه لبيان تمتّعه بطيب عطر النبي ورِيحُهُ الطيّبة الزكية التي تنبعث من جسم (ﷺ)، ومجِيئُوه بالتعبير المتقدم يدل على شِدة قُربه من النبي الخاتم الذي كان الإمام يعيش في كَنَفه ملاصقاً له، حتّى مسّ جسده جسد النبي،في إشارة إلى حصول تبرّكه بملامسة جسم الرسول له، كأنّه يوحي بأنّ أنفاسه هي أنفاس النبي وبدنه جزء من بدن النبي أيضاً،لحصول البركة بملامسته النبي الأكرم، سواء أكانت هذه الملامسة على سبيل القرب المادي أم القرب المعنوي.ويبدو لي أنّ الإمام يشير بكلامه المتقدم إلى قول النبي (ﷺ) الذي يبيّن فيه فضيلة من مسّ جسمه جسم النبي بقوله: ((**مَنْ مَسَّ جِسْمُهُ جِسْمِي لم تَمَسُّهُ النار**))[٢]. وقوله (ﷺ) ((**مَنْ مَسَّ دِمِي دَمَهُ لم تُصِبْهُ النار**))[٣]. كأنّ النبي يريّد بذلك الحثّ على ملازمته والجلوس في مجلسه، فضلاً عن الوقوف معه في مواقف السّلم والحرب. وقد ذهب بعض الشّرّاح إلى تفسير مفردة (عَرْفة) في قول الإمام بـ(عَرَقه). في إشارة إلى كونه (عليه السلام) كان يشم رائحة عَرق جسم النبي الأكرم (ﷺ). وهذا أمر محتمل، لأنّ عَرق جسمه بمنزلة (عَرْفه) وكلاهما من

---

(١) نهج البلاغة: خ: 192/ 378.

(٢) لم أعثر على هذا الحديث في ما توافر لديّ من كتب الحديث النبوي. وقد ذكره صاحب (الديباج الوضي) في شرحه لنهج البلاغة: 4/ 2051.

(٣) السيرة النبوية (ابن هشام): 29/ 4، والديباج الوضي: 4/ 2051 هامش (4).

البركة بمكان. وفي ذلك كلّه إشارة إلى سكون الإمام إلى النبِّي وشدّة اختصاصه به، بحيث تطمئن نفسه وتطيب أساريره عنده.

المِسْك

المِسْك - بكسر الميم - معروف، وهو الطِّيْب[١]. واحدته (مِسْكه)[٢]. ويقال لكل قطعة منه (حَصَاة)[٣]. وغالباً ما يؤخذ من نبات البرِّ الذي يسمّونه(نبت البَرّ) الذي تكون ريحه أطيب من الخُزامى[٤].

والمِسْك من الألفاظ الفارسية المعربة في العربية كما نص على ذلك غير واحد من اللغويين[٥]. وقد أومأ إلى ذلك الخليل الذي ذكر أنه لفظ ليس بعربي محض[٦]. ويُذكَر أنّ العرب كانت تُسَمِّي هذا الضرب من الطِّيب، المَشْمُوم[٧].

واستعملت مفردة (المِسْك) مرتين في نهج البلاغة[٨]، للدلالة على المِسْك ذي الرائحة الطيبة الجليلة. يقول (عليه السلام) في صفة الجنة، وما فيها من روعة وبهجة: ((**فَلَوْ**

---

(١) ينظر: العين (مسك): 5/ 218، و تهذيب اللغة (مسك):52/ 10.

(٢) ينظر: المخصص: م / 3: س / 11: 199.

(٣) نفسه: 200.

(٤) ينظر: لسان العرب (مسك):487/ 10.

(٥) ينظر: العين (مسك): 5/ 218، و تهذيب اللغة (مسك):52/ 10،والمعرّب:373، و لسان العرب (مسك):487/ 10،و تاج العروس (مسك): 27 / 31. ومن الجدير ذكره ان محقق كتاب (المعرّب) قد ذكر أنّه لم يجد من قال بأعجمية هذه اللفظة غير الجواليقي. ينظر: المعرب:373 هامش (4) غير ان الكثير من اللغويين ممن سبق الجواليقي أوجاء بعده قد أشار إلى اعجميتها.

(٦) ينظر: العين (مسك): 5/ 218.

(٧) ينظر: لسان العرب (مسك):487/ 10.

(٨) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: 421.

رَمَيْتَ بِبَصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَمَا يُوصَفُ لَكَ مِنْهَا لَعَزَفَتْ نَفْسُكَ عَنْ بَدَائِعِ مَا أُخْرِجَ إِلى الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا وَلَذَّاتِهَا وَزَخَارِفِ مَنَاظِرِهَا وَلَذَهِلَتْ بِالْفِكْرِ فِي اصْطِفَاقِ أَشْجَارٍ غُيِّبَتْ عُرُوقُهَا فِي كُثْبَانِ الْمِسْكِ عَلَى سَوَاحِلِ أَنْهَارِهَا)) [١]. ويبين الإمام، في هذا النص، صورة من صور الجنّة، موظّفاً أسلوب الاستعارة في إظهار هذا الوجه من جمال الجنّة، فجعل (كُثبان المسك) أرضا تنبت فيها عروق أشجار الجنّة. وهذه الأرض مكونة من المِسك ذي الرائحة الطيبة بدلاً من التراب المعروف، فكأنّه (عليه السلام) يومئ إلى طيب هذهِ الأشجار وطيب ثمارها، وهذا كله متأتٍ من طيب منبتها وشرفه.

وثَمّة موضع آخر امتدح فيه الإمام (المِسْك)، واصفاً إيّاه بخفّة المَحمَل وعِطْر الرائحة وجمالها. وذلك في (قصا / ٣٩٧)

عَطِر

العِطر اسم جامع لأشياء الطِّيْب[٢]. وبَيّاعُه(العَطّار)، وحرفته (العِطارة)[٣]. يقال: رجل عَطِر وامرأة عَطِرة، إذا كانا طَيِّبَي الرِّيح من تعاهد أنفسهما بالطِّيْب من العِطْر[٤].

وقد وردت مفردة (عَطِر) مرة واحدة في نهج البلاغة[٥]. دالة على الرائحة الطيبة المنبعثة من (المِسْك)، وذلك عند مدح الإمام هذا الضّرب من الطِّيِّب.

---

(١) نهج البلاغة: خ/ 165: 300.

(٢) ينظر: العين (عطر): 8/ 2، و تهذيب اللغة (عطر):97/ 2.

(٣) نفسهما.

(٤) نفسهما.

(٥) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: 306.

يقـول الإمام:))**نِعْـمَ الطِّيْـبُ المِسْـكُ، خَفِيـفٌ مَحْمِلُـهُ، عَطِـرٌ رِيحُـهُ**))[1]. يذكـر النـص جملـة مـن الصفـات التـي ينـماز بهـا (المِسْـك)، فهـو مـن الطّيـب الخفيـف المحمـل عـلى النفـس مـن جهـة وزنـه وحجـم مـا يوضـع فيـه مـن أواني، فضـلاً عـن الخفّـة في قـوّة نفـاذه إلى النّفـس التـي تطيـب إليـه وترتـاح مـن حملـه وبثّـه في البَـدن. ولهـذا وصفـه (عليه السلام) بكونـه عَطِر الرّائحة ثناءً منه عـلى تلك الخصـال المتقدمة. كأنّـه يومـئ إلى تَفَـرّد هـذا الطَّيْـب عـن بقيـة العطـور بِخِفّـة المَحْمـل وكريـم الرائحـة.

أقـول: وممـا يلفـت النظـر في هـذا التعبـير المتقـدم استعماله (عليه السلام) مفـردة (عَطِـر) بـوزن (فَعِـل). وهـذا البنـاء مـن أبنيـة الصفة المشبّهة الذي يصـاغ مـن (فَعِلَ) الـلازم[2]. وأكثـر مـا يشـيع فيـه هـذا البنـاء هـو الدلالـة عـلى الأدواء الباطنـة العارضـة غـير الثابتـة مـن الأوجـاع وغيرهـا، نحـو (مَـرِض وتَعِـب وبَطِـر، وفَـرِح)[3]. وقـد اختلفـت دلالـة هـذا البنـاء في كلام الإمـام الـذي اسـتعمل مفـردة (عَطِـر) بدلالـة مختلفـة عـما أورده الصرفيـون الذيـن ذكـروا دلالات هـذا البناء،فذهبـوا إلى أنّـه مـن الأبنيـة التـي تـدل عـلى العَـرض الحَـادث الـذي لا يكـون راسـخاً مسـتقراً فيهـا، فإنـه ممـا يحصـل ويسـوغ زوالـه[4]، ويغلـب فيـما يكـره أمـره مـن الأوجـاع والعيـوب، و مـا يعسر مـن المكروهـات بعامّـة[5]. وهـذه الوجـوه تخالـف مـا الدلالـة التـي وظّـف بهـا الإمـام البنـاء المتقـدم، إذ ألبَسَـه معنـى الثبـوت لمـا وُصِـف بـه ؛ فإنـه قصـد بقولـه (عَطِـرٌ رِيْحُـه) الدلالـة عـلى كـون (ريـح المِسْـك) ثابتـة دائمـة غـير عارضـة، وهـذه دلالـة يلمـح فيهـا الثبـات وعـدم

(١) نهج البلاغة: قصا / 397: 682.

(٢) ينظر: معاني الأبنية: 78.

(٣) نفسه: 78، 79.

(٤) ينظر: شرح الشافية: 1 / 72، و معاني الأبنية: 82.

(٥) ينظر: كتاب سيبويه: 4 / 21، و معاني الأبنية: 83.

الطُّرُوء، فضلاً عن ورودها فيما لا يُكره أمره من الأوجاع والعيوب التي المح اللغويون إلى انحصار البناء المتقدم بها. بل وجدتُ العكس في كلام أمير المؤمنين الذي ساق هذا البناء فيما يُحبّ ويُستطاب من المَشمُوم، وهو(المِسْك) الذي يتّسم بطِيب رائحته ونفاذ عطره. وهو أمر ثابت فيه لاينفك عنه. كما أنه في المحبوب المرغوب دون المكروه.

الظواهر اللغوية

شاعت ألفاظ الحلي والجواهر والأحجار الكريمة في (خ / ١٦٥)، وهي الخطبة الخاصة بوصف (الطاووس) إذ وظّف الإمام (عليه السلام) هذه المفردات في مقام التشبيه، في إشارة إلى مجال هذا الطائر وبديع خلقه.

استعمل الإمام (عليه السلام) الكثير من أبنية الجمع في هذا الحقل الدلالي بحيث شاعت تلك الأبنية في هذا المبحث، فجاءت لفظة (أسَاوِرة) بصيغة منتهى الجموع، ولفظة (رُعُثها) بوزن (فُعُل)، و (فُصوص) بوزن (فُعُول)، و (كبائِس)، و(قَلائِد)، كلاهما بوزن (فَعَائِل)، وهو من أبنية الرّباعي المختوم بالتاء الذي ثالثه حرف مَدّ.

وقد كان نصيب الأبنية الغريبة القليلة الاستعمال في العربية بنائين ؛ الأول هو بناء (لُؤْلُؤْ) وهو اسم جنس جمعي يفرّق بينه وبين مفردة بـ(التاء)، ومفردة (لُؤْلُؤة) وهذا البناء من الأبنية القليلة الغريبة في العربية كما يذكر ابن عطية الغرناطي، وهو يجمع على (فَعَالِل)، فيقال فيه (لآلئ). أمّا البناء الثاني، فهو بناء (يَاقُوت) بوزن (فَاعَول)، وهو من الأبنية غير العربية، ويبدو أنّ اللغويين حكموا بأعجميّة لفظة (يَاقُوت)، لكونها على هذا الوزن الذي يعد من الأبنية غير العربية أصلاً.

استعمل الإمام علي (عليه السلام) لفظة (ذُهْبَان) بَوْزن (فُعْلان) جمعاً مكسراً، وهو من أبنية جموع الكثرة. ولكن مجيء (ذُهْبَان) بهذه الصيغة من الاستعمالات القليلة في اللغة ؛ حتى أنّ اللغويين لم يذكروا هذا اللفظ جمعاً لمفردة (ذَهَب)، إلا الزمخشري والفيومي منهم.

ورد لفظ (لُجَيْن) بوزن التّصغير على (فُعَيْل)، للدلالة على الندرة والجودة.

وردت في كلام الإمام جملة من المصادر الصناعية في هذا المبحث، منها لفظة (زَبَرْ جَدِيَّة)، (عَسْجَدِيّة).

وقوع ظاهرة الترادف الجزئي بين ألفاظ (تِبْر)، ذَهَب، (العِقْبان)، وبين (الفِضّة، اللجُّين، الوَرِق)، و (الزبرجد والزُّمُرد)، و (اللؤلؤ، والدّر، والمَرْجان)، و (زْبرِج و زخْرف) و (المُكَلّل والوِشاح)، (أَسَاورة، وقُلْبُها).

ثَمّة علاقة تقابل دلالي بين الألفاظ التي أوردها الإمام مُريداً بها الدلالة اللونية، فإن لكل جوهرة لون يميزها عن غيرها، ولهذا فإنَّ لفظة (خُضْرَة زَبَرْجَدِية) تقابل (صُفْرَةً عَسْجديّة)، وهذا ناشيء من اختلاف لون كل حَجَر منهما.

تبيّن من خلال البحث وجود علاقة تضام، أو اشتمال بين ألفاظ (الحلي، والذهب، والفضة، وجواهر). و (فِلِز، والذهب، والفضة، الحلي).

ورد في كلام الإمام جمهرة من الألفاظ المعرّبة، وهي (الزَّبَرْجد، والزُّمُرّد، وأَسَاورة، ويَاقوتة).

استعملت ألفاظ (حِجلها، ورعثها، وقلبها، وقلائدها) بدلالتها الحقيقية على الحلي التي تستعملها النساء في الزينة.

تطورت بعض الألفاظ التي استعملها الإمام ؛ فانتقلت لفظة (الورق) من

دلالتها على الفضة إلى الدلالة على المال أو على الفِضّة المضروبة مثلما انتقلت لفظة (جواهر) من دلالتها على ضروب الحلي والزينة إلى الدلالة على جواهر الرجال ومعادنهم التي جبلوا عليها، ومثلما صارت لفظة (تِبْرا) دالة عند الإمام – على جواهر الأرض جميعاً بعدما كانت تستعمل في الدلالة على الذهب خاصة. وضيّق الإمام لفظة (فلز) فجعلها دالة على (اللجين والعقيان) بعدما كانت تدل على جواهر الأرض من الذهب والفضة والنحاس وغيرها

انزاحت مجموعة من الألفاظ من دلالتها الحقيقية إلى دلالة أخرى، ومن ذلك لفظة (زبرج) التي نقلها من الدلالة على (الذهب) إلى الدلالة على الملك الخادع المموه تشبيهاً له بالزخرف من الحلي الكاذبة المموهة. وشبيه بذلك لفظة (كبائس).

الفصل الخامس
ألفاظ الألبسة ومتعلقاتها

جدول دلالي يبيّن شيوع ألفاظ الألبسة ومتعلقاتها

مرتبة بحسب كثرة كل مفردة على الأخرى

أولا: ألفاظ ألبسة الجسم وتشمل ما يأتي:	
١- الثياب النّاعمة من الحرير وغيره.	الرّياش، ديباج، ريط، حلل، موشي، حريرة، السّرق، بُرديه، عَصب، الفرو، القزّ
٢- عامّة الثياب	لبس، ثوبه، الشّعار، سرابيل، نسائج، رداء، كساه، تقمّصها
٣- الثياب البالية	رقّعت، طمره، رثّاً، أهدام، المتداعية، مقطّعا ت
4-الخشن من الثياب	مدرعتي، الخشن، الصّوف
٥- ستر أعلى البدن	جلابيب، مئزر
٦- هيأة اللباس	شمّر، سَدل
٧- لباس الموت	أكفان
ثانياً:: الفاظ لباس القدم ومتعلقاتها	النَّعْل، يخصف، شراكية، شِّسْع
ثالثاً: لباس الرأس ومتعلقاته	العمامة، متلفع، معجر

المبحث الأول

ألفاظ ألبسة الجسم

١ـ الثياب النّاعمة من الحرير وغيره.

الرِّيَاش

الرِّيش كُسوة الطائر، واحدته رِيشة[١]. والرِّياش اللِّباس الحَسِن الفاخر[٢]. وقيل بل الرِّياش كلّ اللِّباس، أو ما ظهر من اللِّباس[٣]. ويقال فلان حسَن الرِّيش.أَي حسن الثيابِ[٤].و الرِّياش،أيضاً، الَأثاث من المتاع وما كان من لِباسٍ أَو فِرَاشٍ[٥].

وقد استعملت لفظة (الرِّياش) محلاة بـ(ال)، ومفردة(رياشاً) مرتين لكلٍ منهما في نهج البلاغة[٦]، للدلالة على اللّباس ونعومة العيش ورفاهيته.ومن ذلك ما جاء في كلامه (عليه السلام) في مقام ذكر نعم الله تبارك وتعالى على العباد الذي يقول فيه:: ((**أُوصِيكُمْ عِبَادَ الله بِتَقْوَى الله الَّذِي أَلْبَسَكُمُ الرِّيَاشَ وَأَسْبَغَ عليكم الْمَعَاشَ...**))[٧].و السياق سياق وصيّة بتقوى الله وذكر فَضْله على العِباد من إلْبَاسِ الناس وإنزال الأرزاق عليهم، فوظّف الإمام مفردة (الرِّياش)، في إشارة

(١) ينظر: العين (ريش): ٦/ ٢٨٣.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (ريش):٤/ ١٢٠.

(٤) ينظر: لسان العرب (ريش): 308/ 6.

(٥) ينظر: تهذيب اللغة (ريش):٤/ ١٢٠.

(٦) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة:١٩٨.

(٧) نهج البلاغة: خ / 331:821.

الى ضروب النِّعم في إكسائهم بشتّى أنواع الثياب والألبسة الناعمة التي توحي بالستر والزينة التي يزدهي بها بنو آدم. ويمكن أن تحتمل المفردة المتقدمة الدلالة على أنواع متعددة من لوازم العيش الرغيد من المتاع والفرُش التي يحوزها المرء له ولبَيْته. وليس ببعيد أن تدل المفردة على نعومة الحياة ورفاهها، وهو ما توحي به لفظة (الرّياش). أما لفظة (المَعَاش)، فهي مأخوذة من (العَيْش)، والمعاش، والمعيشة ما يُعَاش به[1]، ويغلب ذلك على الملبوس و المطعوم من المأكل أيضاً حسبما يذكر بعض الشّرّاح[2]. وربما دلت هذه المفردة على (المال) الذي يعتاش به ووفرة أسباب الحياة. فكأنّه (عليه السلام) ساق الكلمة المتقدمة لبيان مظاهر الخِصب والنّماء والترف الذي أعدّه الله تبارك وتعالى للناس ؛ ليتمكنوا من العيش في الحياة الدنيا. ويلحظ أن الإمام أراد أن ينبّه المخاطبين الى عدم دوام الحياة واستمرارها مع كل ما فيها من لوازم وأسباب لهذه الحياة. وبهذا يكون الإمام قد وسّع من دلالة هذه اللفظة لتكون دالة على لوازم لحياة الإنسان، من أثاث وفراش وبُسُط وغيرها. ويبدو الأثر القرآني واضحاً في استعماله(عليه السلام) هذه المفردة ؛ ولاسيّما قوله وتعالى: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**﴾[3]. فكلامه يتّسق مع الآية المباركة، ويتّضح ذلك من خلال افتتاح كلامه بالوصيّة (بالتقوى)، والآية الكريمة المتقدّمة عدّت(اللِّباس والرّيش) ضرباً من (التّقوى).

وقد ذكر المفسّرون أن (الرِّيش)، في الآية، هو لباس الزينة، وهو مستعار من ريش الطيور؛ لأنّه لباسه وزينته الذي يكتسي به. والمعنى: أنه أنزل على بني آدم

---

(١) ينظر: لسان العرب(عيش):٦/ ٣٢١.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني):٣/ ٧١٤.

(٣) الأعراف / ٢٦

لباسَين ؛ لباس تواري به السّوءة، ولباس آخر للزينة [١]. وذلك يعني أن لباس المواراة هو السّتر الذي يستر به الإنسان معايبه ومساوئه. وهو أيضاً لباس الورع والخشية من الله تعالى[٢]. في قبالة اللباس المادي الذي تمثله الألبسة التي يرتديها المرء وغيرها من لوازم الحياة ومتاعها. وقد ذهب ابن عباس الى تفسير (الرّيش) في الآية بالمال[٣]. وهذا الوجه مأخوذ من الدلالة اللغوية للمفردة المتقدمة. يؤيدها قراءة قوله تعالى: (وَرِيْشًا) بـ (وَرِياشًا)، جمع رِيش[٤]. وذكروا أنّ هذه القراءة تدل على سعة الرزق ورفاهية العيش، فضلاً عن الدلالة على المَلْبس[٥].

أقول: وليس ببعيد أن تكون لفظة (الرِّياش) في كلام الإمام (عليه السلام) بمنزلة الرِّيش للإنسان على أساس كونه كسوة له، ومن جهة اعتباره زينة. الذي يستوحى منه معنى السّتر. وهذا كله يتضمن الدلالة على التفضّل والإنعام[٦].

أقول: ولم يبْعّد شراح نهج البلاغة عمّا ذكره اللغويون والمفسرون في دلالة لفظة (الرّياش)، فقد ذهب الشّارح ابن أبي الحديد الى أنها تدل على اللّباس [٧]. وزاد بعضهم عليه بأن جعلها مخصوصةً بالفاخر من اللّباس والكسوة [٨]. وقيل:

---

(١) الكشاف:٩: ٢/ ٩٣.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي: ٣/ ٤٣٤.

(٤) ينظر: الكشاف: ٢/ ٩٣،والمحرر الوجيز: ٢/ ٣٨٨.

(٥) ينظر: المحرر الوجيز: ٢/ ٣٨٨.

(٦) نفسه.

(٧) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٠/ ٧٤.

(٨) ينظر:الديباج الوضي:٣/ ١٣٠٨،ونهج البلاغة(عبدة):٢/ ٢٣٥هامش(٦)،ومصادر نهج البلاغة وأسانيده:٢/ ٣٧١هامش(٣).

بل هي دالة على الزينة[١]. وقد وردت لفظة (الرّياش) و(رياشًا) بالدلالة المتقدمة نفسها في (خ/ ٨٣، ١٦٠،١٠٩).

دِيبَاج

الدَّبْج -في اللغة- النَّقْش والتّزِيين[٢]، ودَبَجَ المطر الأرض يَدْبُجها.إذا رَوَّضها وزيَّنها[٣]. والدِّيباج ضَرَب من الثياب المتخذة من الإبْرِيْسَم وهي ثياب منسوجة مُلَوّنة الواناً[٤].

أمّا أصل هذه المفردة، فقد ذكر اللغويون أنّ أصلها(دبَّاج) بـ (بَاءَيْن)، فقلبت إحداهما ياءً،وهي نظيرها كلمة (دِيْنَار) التي أصلها (دِنَّار) على سبيل المخالفة الصوتية. ولهذا جمعت مفردة (دِيْبَاج) على (دَبَابِيْج) حسبما يذكر اللغويون[٥]. وفُسِّر هذا الإبدال بين (الباء والياء)؛ بأنّه استثقال لِتَضعيف الباء[٦]. وقد ذكر اللغويون أنّ (الدِّيباج) -بكسْرِ الدال- أكثر صواباً من الفتح[٧]؛ لأن الفتح مُوَلَّدٌ[٨].

ويجمع اللغويون على أن لفظة (الدِّيباج) من الألفاظ الفارسية المعرّبة التي استعملها العرب[٩]. وأصل اللفظة في الفارسية هو(دُيوبَاف). ومعناه: نِسَاجة

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني):٣/ ٦٥١.

(٢) ينظر:المحكم (دبج):٧/ ٣٤٧،والمخصص:م/ ١:س/ ٤: ٧٦.

(٣) ينظر: المحكم(دبج):٧/ ٣٤٧.

(٤) ينظر: لسان العرب(دبج):٢/ ٢٦٢.

(٥) ينظر: تهذيب اللغة (دبج):٣/ ٤٨٣.

(٦) ينظر: تهذيب اللغة(دبج):١٠/ ٣٥٦، ولسان العرب (دبج): ٢/ ٢٦٢.

(٧) ينظر: العين (دبج): ٦/ ٨٨،والمخصص:م/ ١:س/ ٤: ٧٦.

(٨) ينظر: لسان العرب (دبج): ٢/ ٢٦٢.

(٩) ينظر: كتاب سيبويه: ٣/ ٢٣٤، والمخصص:م/ ١: س/ ٤:٧٦، والمعرّب:١٨٨.

الجِنّ[١]. وقيل: إنّما هو (دِيْبارِي)، وعُرِّب بإبدال الياءِ الأخيرة (جِيمًا). وذهب بعض اللغويين الى أنّ أصله (دِيباً)، وعُرِّب بزيادة (الجيم) العربيّة، فصار (دِيْبَاج)[٢]. وقد تبنى هذا الوجه الاخير (ادّي شِير)، الذي ذكر أنّ (دِيْبَا)،في اللغة، الفارسية مركّب من (دُيو)،ومعناه (جِنٌّ). و(بَاف)،وهو النَسْج[٣].

و استعملت مفردة (دِيْبِاج) مرتين في نهج البلاغة محلاة بـ(ال)، والثانية مجردة منها و مضافة الى ضمير الغائب[٤]، للدلالة على ما يأتي:

أولاً: الدلالة على اللباس المُزَيّن المُتّخذ من الإبريسم.

وهو ضرب من الثياب العالية التي يَتَزَّيا بها أصحاب الثراء والنّماء. يقول أمير المؤمنين في وصف الأتْرَاك:((**كَأَنِّي أَرَاهُمْ قَوْماً... يَلْبَسُونَ السَّرَقَ وَالدِّيبَاجَ وَيَعْتَقِبُونَ الْخَيْلَ الْعِتَاقَ...**))[٥]. **والسَرَّق** والديباج كلاهما من الثياب المصنوعة من جيد النسيج وأغلاه، فالأول هو شِقَاق الحرير الأبيض، وهو أجود أنواعه، وهو لفظ معرّب من الفارسية أيضاً[٦]. والثاني من الفاظ الألبسة هو الإبرسيم المنقوش المُزيّن الذي لا يقل شأناً عن الحرير. ويلحظ أنّ الإمام قد استعمل هاتين المفردتين، وهما من الألفاظ المعرّبة، وذلك - فيما أظن - ملاءمة لِنَسق المُتحدَّث عنهم بوصفهم من الأعاجم، فضلاً عن إظهار صورة البذخ والإسراف فيهم. وهي عادة لا يشجع عليها الدين الإسلامي الحنيف وينبذها.حتّى أنه حرّمها على

---

(١) ينظر: المعرب: ١٨٨، و تاج العروس (دبج): ٥/ ٥٤٤.

(٢) ينظر: تاج العروس (دبج): 544/ 5.

(٣) ينظر: الألفاظ الفارسية المعرّبة، لادِّي شِير: ٦٠، والمعرّب: ١٨٨ هامش (٤).

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٥١.

(٥) نهج البلاغة: خ / ١٢٨: ٢٣٤.

(٦) ينظر: لسان العرب (سرق):١٠/ ١٥٥.

المسلمين من الرجال دون النساء.ويبدو أنّ ذكر هذين الضّربين من ألفاظ ألبسة الحرير جاء إشارة إلى تنوع لباس هؤلاء الأتراك وتعدده، فإنهم يلبسون الناعم من الحرير ذي اللون الأبيض، فضلاً عن الخشن المنقوش منه، وهو (الديباج).

ثانياً: وأمّا الدلالة الثانية، فهي روعة التّنْظيم وحُسنه، فضلاً عن تناسق الألوان:

يقول (عليه السلام) في سياق وصف الطاووس: ((**قَلَّ صِبْغٌ إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِقِسْطٍ وَعَلَاهُ بِكَثْرَةِ صِقَالِهِ وَبَرِيقِهِ وَبَصِيصِ دِيبَاجِهِ وَرَوْنَقِهِ، فَهُوَ كَالْأَزَاهِيرِ الْمَبْثُوثَةِ...**))[1].

يريد: أنّ ريْش هذا الطَّيْر مُتَناسِق مُنتظم، كأنّه مُدبّج بعضه مع البعض الآخر، وهو ما يزيده لمعاناً وحُسْناً. وقد انتقل معنى المفردة المتقدمة الى الدلالة على الزينة والحُسْن في النّظم. وهذا التعبير يشتمل على إظهار أنّ نَسْج ريش الطاووس كَنَسْجِ الديباج المخلوط بالحرير وغيره من الرّوائع المنسوجة[2].

رَيْط

الرَّيْطة مُلاءة كلّها بِنَسج واحد، وجمعها رِياطٌ[3]. وقيل: هي كلّ ثوب لَينٍّ رقيق[4]. والرَّيْطة لا تكون إلا بيضاء اللون[5].ويشرط اللغويون في تسْمِيتها بذلك (الرَّيْطة) أن تكون غير ذات لَفْقَين. أي:أن لا يُضَمِّ بعضها الى بعض الآخر بخيطٍ أو نحوه[6].

---

(١) نهج البلاغة:خ / ١٦٥:٢٩٨.

(٢) ينظر: الديباج الوضي:٣/ ١٣٧٥.

(٣) ينظر: العين (ريط):٧/ ٤٤٨، والمحكم (ريط):٩/ ٢١٦.

(٤) ينظر: لسان العرب (ريط):٧/ ٣٠٧.

(٥) ينظر: تهذيب اللغة (ريط):٤/ ٤٢٠، و لسان العرب (ريط):٧/ ٣٠٧.

(٦) ينظر: وتاج العروس (ريط):١٩/ ٣١٧، و المُغرب:١/ ٣٥٧

ومفردة (رَيْط) من الفاظ الإمام علي الواردة في نهج البلاغة ؛ فقد استعملت فيه مرة واحدة [١]. وبدلالة اللباس المتعدد الالوان الذي اكتست به الأرض، وليس الانسان، ومن خلال ما خرج من الأرض من عُشْبٍ وأزهار. يقول (عليه السلام): ((**فَلَمَّا أَلْقَتِ السَّحَابُ بَرْكَ بِوَانَيْهَا** [٢]**، وَبَعَاعَ مَا اسْتَقَلَّتْ بِهِ مِنَ الْعِبْءِ الْمَحْمُولِ عَلَيْهَا، أَخْرَجَ بِهِ مِنْ هَوَامِدِ الأرض النَّبَاتَ، وَمِنْ زُعْرِ** [٣] **الْجِبَالِ الْأَعْشَابَ، فَهِيَ تَبْهَجُ بِزِينَةِ رِيَاضِهَا، وَتَزْدَهِي بِمَا أُلْبِسَتْهُ مِنْ رَيْطِ أَزَاهِيرِهَا...**))[٤]. وقد وظّف الإمام مفردة (رَيْطِ)،الدالة على اللباس الناعم الأبيض اللون ؛ لإظهار زِيِّ الأرض بعد هطول المطر عليها، فصوّرها بصورة اللباس المزدهى بألوانٍ من أزاهير متعددة كلّها خضرة وبهاءً. وناسباً الازدهاء واللّبس الى الأرض، تشبيها لها بالمرأة المُتبجّحَة بما عليها من فاخر الثياب [٥]. فكأن الإمام لمّا ذكر أزاهير الأرض، وصفها بـ (النَّوْر)، وهو الزّهر الأبيض الذي يشبه الأقحوان المختلط بألوان متعدّدة، فجَسَّد الأرض وجعلها بمنزلة المرأة التي ترتدي هذا الضرب من المُلاءات.ويظهر أن هذه المفردة لم تكن بالدلالة التي اقتصر عليها اللغويون، وإنما تجاوز بها الإمام الى الدلالة على جمال الأرض وخضرتها التي تتنوّع الوانها لتعدد أزاهيرها،غير أن الغالب عليها هو اللون الأخضر الذي تكتسي به الأرض.وبهذا تكون المفردة المتقدمة غير مقتصرة

---

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٩٨.

(٢) البعاع ثقل السحاب من الماء. ينظر: لسان العرب (بعع):٨/ ١٧.

(٣) الزّعر شعر الرأس، ويطلق على ريش الطائر أيضاً. ويشبّه الإمام -هنا- الأعشاب التي تنمو في الجبال بزعر الشعر. يريد القليلة النبات تشبيهاً لها بقلة الشعر في الرأس. ينظر: لسان العرب (زعر):٤/ ٣٢٣. وقد نقلت المدونات اللغوية هذه المفردة ودلالتها عن الإمام (عليه السلام). ينظر: النهاية في غريب الحديث:303/ 2، و لسان العرب (زعر):323/ 4.

(٤) نهج البلاغة:خ/ ٩١: ١٦٤.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني):٢/ ٤٥٨، و٤٦٠.

على اللون الأبيض الذي شرط اللغويون أن تكون لوناً للريطة من الألبسة. وفي ذلك ضرب من التّوسع الذي لم يلتفت اللغويون اليه.

حُلل

الحُلَّة رِداء وقميص تمامه العِمامة[(١)]. ويسمى فاخر القماش حُلَّة أيضاً من الوَشْي، والحِبرَة والخَزُّ، والقَزُّ، والقُوهِيُّ، والحَرِير[(٢)].ويقال للثوب الجَديد حُلَّة أيضاً،وكل ثوب جَيِّد جديد يَلْبسه المرء، رقيقاً كان أو غليظاً، فهو حُلَّة [(٣)].وتتكون الحُلّة من ثوبين من جنس واحد ؛ وهما الإزار والرّداء. ولا تسمّى الحُلّة بذلك الّا إذا كانت مكونة من ثوبين[(٤)]. وربّما تكونت من ثلاثة ثياب، القميص والإزار والرِّداء[(٥)].والحُلَل بُرود يؤتى بها من اليمن ومواضع مختلفة منها[(٦)].

وقد وردت مفردة (حُلَل) بصيغة الجمع مرّتين في نهج البلاغة، الأولى مجردة من (ال) التعريف، والثانية محلاة بها[(٧)]، للدلالة على مايأتي:

الأولى: دلالتها على الحُلّة المَنقُوشة المُنَمنمة.

وهي ضرب من ثياب الحرير الغالية.وهذا المعنى استعمله الإمام في سياق حديثه عن (عجيب خِلْقه الطاووس)، الذي صوّر جمال ريشه وروعته بقوله:

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة (حلل):٣/ ٢٨٣، ولسان العرب (حلل):١١ / ١٧٢.

(٢) نفسيهما.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (حلل):٣/ ٢٨٣.

(٤) ينظر:العين (حلل):٣/ ٢٨، و تهذيب اللغة (حلل):٣/ ٢٨٣، وكفاية المتحفظ:١/ ٢٢٦.

(٥) ينظر: تهذيب اللغة (حلل):٣/ ٢٨٣.

(٦) ينظر: تهذيب اللغة (حلل):٣/ ٢٨٣،و لسان العرب (حلل):١١ / ١٧٢.

(٧) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٢٢

((وَإِنْ ضَاهَيْتَهُ بِالْمَلَابِسِ فَهُوَ كَمَوْشِيِّ الْحُلَلِ، أَوْ كَمُونِقِ[١] **عَصْبِ الْيَمَنِ...))**[٢].

وفي النص ضروب من التشبيه بين ريش الطاووس، وهذه الألبسة المذكورة في النص، ووجه الشبه بينهما اجتماع الألوان ونضارتها وبهجتها [٣].واستعمل الإمام لفظة(حُلَل)بصيغة الجمع على (فُعَل)، كأنّه يرتدي حُللاً لا حُلَّةً واحدة ؛ بسبب من تعدد الوانه وتنوعها، فمن ينظر اليه يحس أنه يرتدي أنواعاً من الوَشْي الأرقم المُلّون والحرير والبُرّود البِيْض الغالية [٤]. ولهذا قال (عليه السلام): ((**أَوْ مُونِقِ عَصْبِ الْيَمَنِ**)).وعَصْب اليمن ضرب من البُرود المنسوبة إلى بلاد اليمن [٥]. وهي من جميل النَسج وجيّده.

ثانياً: دلالتها على الآداب، والقيم الخلقية التي يتحلى بها المرء.

وقد أورد الإمام هذه المفردة للدلالة على الآداب التي يتحلّى بها الإنسان، فهي كالحُلّة التي يلبسها ويتزين بها. يقول الإمام:))**الْعِلْمُ وِرَاثَةٌ كَرِيمَةٌ، وَالْآدَابُ حُلَلٌ مُجَدَّدَةٌ، وَالْفِكْرُ مِرْآةٌ صَافِيَةٌ**))[٦]. فجعل هذه (الحُلل) مجُدَّدة لا تَبلَى كما تَبلَى بقية الثياب من الحلل وغيرها. وإنما شبه الآداب بهذا النوع من المنسوجات؛ لأنّه أراد الإبانة عن فخامة مكارم الأخلاق التي يتحلّى بها الإنسان بشكل لا يقل شأناً عن فخامة الألبسة التي يتزيّا المرء بها، فمثلما يلبس الحلل والقمص الفاخرة، فإنّه يلبس الأخلاق الرّفيعة العالية التي تستره عن كل ما يُشِين ويستقبح. وقد استعار

(١) المونق المُعجب. ينظر: لسان العرب (أنق):10 / 392.

(٢) نهج البلاغة:خ/ 165 :297.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني):668/ 3.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد):209/ 9، والديباج الوضي:1369/ 3.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد):209/ 9.

(٦) نهج البلاغة: قصا / 5: 599.

الإمام لفظ (الحُلَل) للأخلاق ؛ باعتبار دوام زينتها له، وتجدد بهائه وحسنه بها، فضلاً عن الإشارة الى تعدد الحلل وتنوعها، وهو ما يلمح الى الخصال الحميدة وتنوعها، فكلما تحَلّى الإنسان بواحدة منها تجددت مكارمه وأخلاقه [١]. ولهذا وصف(عليه السلام) (الآداب = الحُلل) بلفظة (مُجَدّدة)، في إشارة إلى هذا الضرب من التنوّع والتعدد الذي يضفي تنوعاً وتكاملاً في الوقت نفسه لهذه الآداب على المرء، ولاسيما إذا اقترنت بالعلم والفكر معاً.

مَوشِي

الوَشْي تعدد الوان الشيء[٢]. وقيل: هو خَلْط لونٍ بلونٍ آخر[٣]. وهو في الثياب نقش وتزيين وتحسين تعرف به، فتُسمّى الثياب موشّاة،إذا كانت مَرقُومة منقوشة[٤].

ومفردتا (مَوْشِيّ)، و(مُوْشَّاة) من الفاظ نهج البلاغة التي استعملت فيه مرة واحدة واحدة لكلٍ منهما[٥]، للدلالة على الألوان المتناسقة التي تصير كالنّقش عند اجتماعها في الثياب وغيرها.وقد ورد ذلك عند الإمام في نهج البلاغة بالدلالات الآتية:

أولاً: استعمال مفردة (مَوْشِيّ) بالدلالة المتقدمة، وصفاً للحُلَل التي تُلْبس بِنَقْشها ونمنمها المُزخرف، وذلك على نحو من التشبيه عند وصفه (عليه السلام)

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني):393/ 5،و الديباج الوضي: 6/ 2729.

(٢) ينظر: لسان العرب (وشي): ١٥ / ٣٩٢.

(٣) نفسه.

(٤) ينظر:المحكم (وشي):٨/ ١٣٩،والنهاية في غريب الحديث:٢/ ٥٢٢،و لسان العرب (وشي): ١٥/ ٣٩٢.

(٥) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٨٣.

الطاووس الذي يقول فيه:((**وَإِنْ ضَاهَيْتَهُ بِالْمَلَابِسِ فَهُوَ كَمَوْشِيِّ الْحُلَلِ**))(١).إذ يُشَبَّه ريش هذا الطير من حيث تناسق ألوانه وتنضيدها بشكل متناسق بـ (الْحُلَل الموشّاة المنقوشة). ولتوكيد جمال نقشها ونمنمتها قّدم مفردة (مَوْشِيّ) على (الحلل) عناية بها،لأنّه (عليه السلام) قصد -فيما يبدو- التركيز على نظام الوان الطاووس وحسن نسجها وبديع ترتيبها، حتى بدت للناظر كالموشى من الحلل المتخذة من الإبريسم والحرير. ولهذا استُغنِي عن تقديم مفردة (الحُلَل)على (الْمُوشّاة) في قوله المتقدم ؛لأنّ المراد تشبيه الوان ريش الطاووس بالموشي من الحُلَل وليس بالحلل الْمُوشّاة، رغبة، فيما يبدو، في إظهار جمال النّقش واللّون معاً، ولاسيّما إذا كان ذلك على هيأة حُلَّة بهذا الوصف ؛ لأن الحُلَل قد تكون مَرقُومة أو غير مَرقُومة، والأوْلَى أجمل وأكثر روعة.

ثانياً: استعملت مفردة (مُوَشَّاة)؛ للدلالة على النقش الذي يبدو في عرف الطاووس.

وذلك في وصفه الإمام لـ(قُنْزُعَة) الطاووس التي تظهر في موضع العُرْف منه التي يقول في وصفها:((**وَلَهُ فِي مَوْضِعِ الْعُرْفِ قُنْزُعَةٌ خَضْرَاءُ مُوَشَّاةٌ...**))(٢). ومفردة (الْمُوَشَّاة)، وصف لألوان هذه الخصلة الخضراء التي تبدو كأنّها منقوشة نقشاً وَسط هذه الجمهرة من الأصابيغ التي يتحلى بها هذا الطير. وقد أوحت المفردة المتقدمة على النقش الْمُنمنم الْمُلَوّن. وأمّا وصفها بـ(الخَضْرَاء) تشبيه لها بلون حجر الزّبَرجَد(٣). وهو ما ناسب مجيء كلمة (الْمُوَشَّاة) بالدلالة على النّقش.

---

(١) نهج البلاغة:خ / ١٦٥: ٢٩٧.

(٢) نهج البلاغة:خ / ١٦٥: ٢٩٧.

(٣) ينظر: الديباج الوضي:٣/ ١٣٧٢.

حَرِيرَة

الحَرِيْـرَة واحـدة الحَرِيـر، وهـي ثيـاب مصنوعـة مـن الإِبْرَيْسَـم[١]. ويقـال: إن كل ثـوبٍ مـن الإبرسيم، فهـو حرير[٢].وهـذا الـضرب مـن المنسوجات مـن أنعَـم الألبسـة وأكثرهـا بروقـاً[٣]. وقـد اسـتعملتها العـرب منـذ الجاهليـة. وقـد حـرّم الإسـلام لبـس هـذا النـوع مـن الألبسـة للرجـال، وأحلّهـا للنسـاء. وقـد روي أنّ النبـي (ﷺ) لم يُجِـز لبـس الحريـر لأحـدٍ مـن الرجـال إلاّ لـ(عبـد الرحمـن بـن عـوف)[٤]؛ لأنـه كان رجـلًا قَمْـلاً ذا شَرْي [٥].وقـد كانـت العـرب تسـتورد هـذا النسـيج مـن إيـران في الغالـب، ولهـذا نجـد أنّ أغلـب أسـمائه وصفاتـه معرّبـة مـن الفارسـية[٦]، وقـد دخلـت صناعتـه للعـرب بعـد الصّـدر الإسـلامي الأول مـن الصّـين عـن طريـق إيـران[٧].

وقـد اسـتعمل القـران الكريـم مفـردة (حَرِيـر)؛ للدلالـة عـلى روعـة هـذا النـوع مـن اللبـاس الـذي جعلـه مـن لبـاس الجنـة، وذلـك في قولـه تعـالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ

(١) ينظر: المخصص:م/ ١:س/ ٦٩:٤، و لسان العرب (حرر):٤/ ١٨٤.

(٢) ينظر: فقه اللغة (للثعالبي):١/ ١١، و المخصص:م/ ١:س/ ٦٩:٤.

(٣) ينظر: لسان العرب (زخر):٣/ ٢١.

(٤) هـو عبـد الرحمـن بـن عـوف بـن عبـد عـوف بـن عبـد الحـارث بـن زهـرة بـن كلاب، وكان اسـمه في الجاهليـة (عبـد عمـرو)، فغيّره النبـي (ﷺ). ولـد بعـد عـام الفيـل بعـشر سـنين، وهـو أحـد السـتة مـن اهـل الشـورى، أسـلم قديـماً، وهاجـر الهجرتـين وشـهد بـدراً. ينظـر: الطبقـات الكـبرى: ٣/ ١٤، و ٣/ ١٣٠، والإصابـة في تمييـز الصحابـة:٤/ ٣٤٦، والفـاظ الحضـارة (زويـن):١/ ٥٤٧.

(٥) قَمْـلًا أصابـه (القَمْـل)، وهـو مـن صغـار الـدواب التـي تصيـب شـعر الإنسـان.ينظر: لسـان العرب(قمـل):١١/ ٥٦٨ وأمـا (الـشَّرْي)، فخـرّاج صِغـار لهـا لـذع شديد.ينظر:لسـان العـرب (شري): ١٤/ ٤٣٠.

(٦) ينظر: تاريخ الحضارة الإسلامية:١١٢، والفاظ الحضارة (زوين):١/ ٥٤٧.

(٧) نفسها.

آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾(١).

وقد جاءت مفردة (حَرِيرَة) مرة واحدة في نهج البلاغة(٢)،للدلالة على الرِّيش الذي يكتسي به الطاووس الشبيه بالحريرة النّاعمة. يقول (عليه السلام): ((...**وَمَخْرَجُ عَنُقِهِ كَالْإِبْرِيقِ وَمَغْرِزُهَا إِلَى حَيْثُ بَطْنُهُ كَصِبْغِ الْوَسِمَةِ الْيَمَانِيَّةِ أَوْ كَحَرِيرَةٍ مُلْبَسَةٍ مِرْآةً ذَاتَ صِقَالٍ**...))(٣).والمعنى أنّ شكل جسمه المغطى بالريش ذي الألوان المتعددة كصبغ الوسمة اليمانية، أو كلون الحرير النّاعم الأسود اللون.

السَّرَق

والسَّرَق الشَّقَق البِيض من الحَرير(٤)، وهو أجود الحرير كما يذكر الخليل(٥).

وهذه المفردة من ألألفاظ غير العربية، فهي من الألفاظ الفارسية المعرّبة(٦). وأصلها، بحسب أبي عبيد القاسم بن سلّام،(سَرَهْ) بالهاء، ومعناه (الجيّد)، فعُرّب بـ(القاف)، فقيل (سَرَق)بإبدال (الهاء) مثل كلمة (الإسْتَبْرَق)، وأصله بالفارسية (اِسْتَبْرَه)(٧).

---

(١) الحج / ٢٣.

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة:١٠٧.

(٣) نهج البلاغة:خ/ ١٦٥ :٢٩٨.

(٤) ينظر: غريب الحديث(أبوعبيد): ٤/ ٢٤١،وتهذيب اللغة(سرق): ٨/ ٣٠٧، والمخصص:م/ ١: س/ ٤: ٦٨.

(٥) ينظر: العين (سرق):٥/ ٧٦، والمحكم (سرق):٦/ ٢٣١.

(٦) ينظر: غريب الحديث (أبوعبيد): ٤/ ٢٤٢، وتهذيب اللغة (سرق): ٨/ ٣٠٧، والمحكم(سرق):٦/ ٢٣٢،والمعرّب:٢٣٠.

(٧) ينظر: غريب الحديث (أبوعبيد): ٤/ ٢٤٢، غريب الحديث (ابن قتيبة): ٢/ ٣٣٩، و تهذيب اللغة

وقد وردت لفظة (السَّرَق)، بصيغة اسم الجنس الجمعي المحلى بـ (ال) مرة واحدة في نهج البلاغة[١]، للدلالة اللّباس المصنوع من شَقَق الحرير الأبيض. وجاء ذلك في سياق وصف (الأتراك) في قوله: ((**كَأَنِّي أَرَاهُمْ قَوْماً كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطَرَّقَةُ يَلْبَسُونَ السَّرَقَ وَالدِّيبَاجَ**)) [٢]. يصف (عليه السلام) أشكال هؤلاء واستدارة وجوههم وتطّرقها، كما يُطْرَق النّعل المجعول بعضه على بعض. كناية عن سعتها وكبرها وخشونتها. ثُمّ ذكر لباسهم الذي يصفه بأنّه من (السَّرَق) و(الدِّيبَاج)، وكلاهما من الحرير، فالسَّرَق هو شقق الحرير الأبيض خاصّة، في إشارة إلى تَرَفهم وتَنَعّمهم، وتنوّع البستهم التي يلبسونها. ولهذا فَصّل الإمام في ذكر هذين الضربين من الحرير، ولو أراد الاقتصار على نوع النسج فحسب، لقال (يَلبَسُون الحَرير)،ولكنه أراد ذكر أنواع لباسهم المصنوع من الحرير، فمنه الناعم الأبيض، وهو أغلى الحرير وأجوده، ومنها الخَشن الأقل جودة، وهو (الدِّيبَاج).

بُرْدَيه

البُرد ثوب من بُرود العَصْب والوَشْي[٣].وهو شَمْلَة مخططة[٤].

وقد وردت مفردة (بُرْدَيه) مرة واحدة في نهج البلاغة[٥]، للدلالة على الثوب

(سرق): ٨/ ٣٠٧،والمعرّب: ٢٣٠، والنهاية في غريب الحديث: ٢/ ٣٦٢.

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢١٤.

(٢) نهج البلاغة:خ / ١٢٨: ٢٣٤.

(٣) ينظر: العين (برد): ٨/ ٢٩، و تهذيب اللغة (برد): ١٤/ ٧٦، والمحكم (برد):٩/ ٣٢٣.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة (برد): ١٤/ ٧٦.

(٥) لم ترد هذه المفردة في (المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة)، ولعل ذلك راجع إلى عدم اعتبارها من مفردات (النهج)،على الرغم من أن الشريف الرضي نقلها ناصاً على كونها من ضمن قول الإمام (عليه السلام) في (المنذر بن الجارود).

المتّخذ من بُرود العَصب ذي الوَشي المخطّط. وذلك في قوله (عليه السلام) واصفاً اختيال (المُنذر بن الجَارُود العَبدي) وزهوه: ((إِنَّهُ لَنَظَارٌ فِي عِطْفَيْهِ، مُخْتَالٌ فِي بُرْدَيْهِ...))[١]. فوصفه بالتّفاخر والزّهو، وعدم رعايته الناس؛ لكثرة مبالغته في العناية بنفسه ولباسه من العُجب والاختيال، ولهذا وصفه الإمام بكثرة النظر إلى جانبيه؛ زهواً وإعراضاً، كأنّه الفرد الذي لا يجارى. وذكر الإمام في المقطع الثاني من كلامه إعجاب هذا الرجل بـ(بُرْدَيْهِ) اللذين يرتديهما، وهما من البُرُود العَصْب ذي النّمط الغالي المُزدهي بالوَشي، وهو ما يدل على فُحْش هذا الرجل وعنايته بالدنيا، وبعده عن التواضع ومبالغته في التّأنق في ملبسه الذي اختار منه أجود الأنواع علامة على تكبّره وإنفاقه، وابتعاداً عن صفة التواضع التي ن يكون عليها المرء المسلم، فضلاً عن عدم الاقتداء بإمامه في شظف عيشه وبساطة للباسه عليه(عليه السلام).

عَصْب

أصل العَصْب -في اللغة- الفَتْل والطّي الشديد واللَّي[٢]. والعَصّاب الغَزّال الذي يفتل الغَزل ويَغْزِله[٣]. ويقال لا طناب المفاصل (أعصابٌ) لأنها تلائم بينها وتشد بعضها ومن مع البعض الآخر[٤]. وهذه الدلالة أُخذت فيما أحسب من معنى الفَتْل والطّي.

والعَصْب ضرب من اللباس يسمى البُرود تنسب الى اليمن[٥]. وهو ما يُعْصَب غَزْلُه، ثم يُصْبغ ويُحاك، وإنّما سُمّي عَصْباً؛ لأن غَزْله يُعْصَب. أي: يُجْمع ويُشدُّ،

(١) نهج البلاغة: ك/ ٧١: ٥٩١.

(٢) ينظر: لسان العرب (عصب): ١/ ٦٠٢، وتاج العروس (عصب):١/ ٧٦٣.

(٣) نفسهما.

(٤) نفسهما.

(٥) ينظر: الصحاح (عصب):١/ ١٥٩.

ومن ثَمّ يتم صِبْغه ونسَجه، فيأتي مَوْشيّاً ؛ لبقاء ما عُصِب منه أبيض لم يأخذه صِبغ[(١)]. وقيل إنما هي برود مخططة[(٢)]. ويذكر اللغويون أنّ هذه المفردة لا تجمع، وإنما يقال فيها بُرْد عَصْب، وبُرُود عَصْب، وبُرُدٍ عصْبٍ بالتنوين[(٣)]. وقد وردت المفردة المتقدمة في الحديث النبوي الشريف،ومن ذلك ما جاء في قوله (صبى الله عليه وآله): ((**لَا يُحَدُّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلَاثٍ إِلَّا الْمَرْأَةَ، فَإِنَّهَا تُحِدُّ عَلَى زَوْجِهَا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا، لا تَلْبَسُ ثَوْبًا مَصْبُوغًا إِلَّا ثَوْبَ عَصْبٍ وَلَا تَكْتَحِلُ...**))[(٤)].

وقد استعملت مفردة (عصْب) في نهج البلاغة مرة واحدة[(٥)] وبدلالة التشبيه بالبرود اليمنية، وذلك في سياق حديث الإمام (عليه السلام) عن الطاووس وجماله: ((**وَإِنْ ضَاهَيْتَهُ بِالْمَلَابِسِ فَهُوَ كَمَوْشِيِّ الْحُلَلِ أَوْ كَمُونِقِ عَصْبِ الْيَمَنِ**))[(٦)].يشبّه الإمام جمال ريش هذا الطائر بالبُرد اليمانية المنقوشة الملّونة أو المخطّطة الموشاة، ووجه المشابهة بين ريش الطاووس الضربين من الألبسة هو اجتماع الألوان مع نضارتها وبهجته.

الفَرْو

الفَرْو لباس كالجبّة يصنع من الجلد الذي يكون عليه الوَبَرُ أو الصّوف[(٧)]. فإن لم يكن عليها الوَبَر أو الصّوف ؛ لم تُسَمَّ فروة حيئذٍ[(٨)].

(١) ينظر: لسان العرب (عصب): ١/ ٦٠٢.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه.

(٤) مسند أحمد: ٥/ ٢٩٩، وهو في: النهاية في غريب الحديث:٣/ ٤٨٢ برواية: ((المعتدة لا تَلْبسُ المُصبّغَةُ الاّ ثَوْبَ عَصْبٍ)).

(٥) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة:٣٠٤.

(٦) نهج البلاغة: خ / ١٦٥ : ٢٩٧.

(٧) ينظر: العين (فرو): ٨/ ٢٧٨، و تهذيب اللغة (فرو): ٥/ ١٤٢.

(٨) ينظر: تهذيب اللغة (فرو): ٥/ ١٤٢ ولسان العرب (فرو): ١٥ / ١٥١.

وقد استعمل الإمام لفظة (الفَرْو) بصيغة اسم الجنس الجمعي مرة واحدة في نهج البلاغة[١]، للدلالة على لبس (الفَرْو) مقلوباً على وجهه. وذلك في سياق كلامه عن الملاحم والفتن التي تحدث في آخر الزمان، ومنها فتنة بني أمية التي يقول فيها: ((**فَعِنْدَ ذَلِكَ أَخَذَ الْبَاطِلُ مَآخِذَهُ، وَرَكِبَ الْجَهْلُ مَرَاكِبَهُ... وَتَوَاخَى**[٢] **النَّاسُ عَلَى الْفُجُورِ وَتَهَاجَرُوا عَلَى الدِّينِ... فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ... استعملتِ الْمَوَدَّةُ بِاللِّسَانِ وَتَشَاجَرَ النَّاسُ بِالْقُلُوبِ، وَصَارَ الْفُسُوقُ نَسَباً، وَالْعَفَافُ عَجَباً، وَلُبِسَ الإسلام لُبْسَ الْفَرْوِ مَقْلُوباً**))[٣]. وكلامه يظهر تقلب الأحوال وانقلابها على وجهها. يقصد بذلك ما يفعله اهل الفتن والنفاق بالقيم والأخلاق الإسلامية التي يقلبها هؤلاء بباطلهم وطغيانهم وإشاعتهم الجهل بين الناس، من خلال إظهارهم الباطل بلباس الحقِّ. وقد عدّد الإمام ضروباً من القيم التي قلبها هؤلاء بفتنهم، ومنها مؤآخاة الناس على فجورهم، كأنهم أقرب إلى بعضهم البعض الآخر متّفقون على الفُجُور، متهاجرون متعادون على الدّين، حتى صار الانتماء إلى الفاسقين نسباً يُفْتَخر به، والعَفاف غريباً عجيباً بين الناس لقلته بينهم[٤]، ولذلك ختم (عليه السلام) كلامه بقوله: ((**وَلُبِسَ الإسلام لُبْسَ الْفَرْوِ مَقْلُوباً**)). في إشارة إلى اضطراب فَهم الناس لهذه الأحكام والقيم، وقلب اهل الفِتن لمصاديقها في الأذهان. فشبّه الإسلام بالفَرْو المقلوب على لابسه. ووجه الشّبه أن

---

(١) ينظر: المعجم المفهرس لالفاظ نهج البلاغة: ٣٥٠.

(٢) التواخي المؤاخاة، وأصله(تآخي)، فابدلت الهمزة واواً كأنه مأخوذ من (الوخاء). وقد ذكر الخليل أن (واخى) لغة لطَيّء. ينظر: العين (وخى): ٤/ ٣١٩،و شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد):٧/ ١٥٠.

(٣) نهج البلاغة: خ/ ١٠٨: ١٩٧، ١٩٨.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد):150/ 7.

أصحاب الباطل والنفاق، قلبوا أحكامه وأغراضه التي أنله من أجلها، فطبّقوه قوانيه بشكل مخالفٍ لأصوله التي فرضها الله تبارك وتعالى، فالأصل فيه أن يكون متمكّناً من المرء في ظاهره وباطنه، بحيث يكون أمره فيه قولاً وعملاً. ولكن هؤلاء اتخذوا أقوالاً دون الأفعال. وهو بهذا أشبه (الفَرو) الذي يَلبسه الناس، من جهة أنّ الأصل فيه أن يكون الجلد ملاصقاً للبدن، والوبر أو الصوف ظاهر إلى الخارج[١]. فصوّره الإمام بهيئة الفرو بضرب من التعبير عدّه الشّرّاح من أحسن التشبيه وأبلغه[٢].

أقول: والإمام بهذا الضّرب من التشبيه (بلِبس الفَرو) يريد الإشارة إلى مخالفة أصحاب الفتن والأباطيل لأصول الإسلام وأحكامه، فمَن يلبس (الفَرْو) بهذه الهيأة، يمثل علامة فارقة في المخالفة، وعدم الانتفاع بملبسه، فضلاً عن إثارته السخرية والاستهزاء في نفس من يراه. ولهذا فإنّ اتخاذ أحكام الإسلام مقلوبة، يظهر عدم الانتفاع بها بهذا الشكل، مع إثارة استغراب من يرقب هذا الأمر، من عدم التساوق بين المبادئ الإسلامية وتطبيقاتها عند هؤلاء. مع ملاحظة مسألة مهمة تتعلق بمفردة (الفَرْو) نفسها التي استعملت في هذا السياق دون غيرها من الألفاظ الخاصة باللّباس، وذلك – فيما أحسب – راجع إلى أنّها من الألبسة التي تستعمل في تدفئة الجسم من البَرد[٣]، فضلًا عن أنّها توحي بغنى صاحبها ووفرة ماله حسبما يفهم من المعجميين[٤]. فكأنّ الذي يرتديها مقلوبة يُبعدها من غايتها ووظيفتها، فيكون كمن أظهر سوء وجهه دون بساطته. وكذلك الإسلام الذي

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني):٣/ ٥١٥.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: أساس البلاغة (فرو):١/ ٤٧٢.

(٤) ينظر: أساس البلاغة (فرو):١/ ٤٧٢، وتاج العروس(فرو):٣٩/ ٢٢٦.

يُراد منه أن يُزّين الإنسان ويحسّن خلقه. لا أن ينكَفِئ ويعود إلى الجاهلية كما كانت العرب عليه من قبل.

القَزّ

القَزّ ضَرب من النّسيج يُسوَّى منه الإبريسَم[١]. وقيل: بل هو الإبريَسَم نفسه[٢]. وقد نقل الفيومي في بيان العلاقة والفارق بين (القَزّ و الإبريسَم) أنهّا كالعلاقة بين الحِنطة والدَّقيق[٣]. في إشارة الى أنهّما شئ واحد أو أنّ القَزّ هو أصل للإبريسم. فالقَزّ ضَرب من أنواع الحرير، أو هو اسم من أسمائه أو صفاته[٤]. والطبيعي منه تقزّه دودة تسمّى دودة القَزِّ[٥].

وقد اختلف اللغويون في عربية هذه المفردة، فمنهم من ذهب إلى عُجمتها، فنقل الأزهري عن الخليل القول بأنها معرّبة[٦]. وتابع الخليل في ذلك الأزهري، وابن سِيده، وابن منظور، و الزَّبيدي[٧]. وانفرد ابن دريد (ت ٣٢١هـ) بأن عدّ (القَزّ) لفظ عربي صحيح[٨].ويبدو رأيه وجيهاً ؛ لأنّ اللفظة المتقدمة ذات أصل عربي معروف. ولعله مأخوذ من قولهم:(رَجُلٌ قَزٌّ)، إذا كان ظريفاً متقززاً عن

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة (قزز):٣/ ١١٩.

(٢) ينظر: تاج العروس(قزز):١/ ٣٧٨٦.

(٣) ينظر: المصباح المنير:٢/ ٥٥٢.

(٤) ينظر: ألفاظ الحضارة في الشعر العربي (زوين): ١/ ٥٤٨.

(٥) ينظر: القاموس المحيط (قزز): ٢/ ٣٨٩، و المعجم الوسيط: ٢/ ٧٣٣.

(٦) ينظر: تهذيب اللغة (قز):٨/ ٢١٤.

(٧) ينظر:تهذيب اللغة(قز):٨/ ٢١٤،والمحكم(قزز):٦/ ١٠٧، ولسان العرب (قزز):٥/ ٣٩٤.

(٨) ينظر: جمهرة اللغة (زقق): ١/ ١٣٠.

المعاصي و العيوب والذنوب[١]، ومن ثَمّ أخذت المفردة لتدل على هذا الضرّب من الحَرير الإبريسم. أو ربما أخذ من أصل نسجه، وهي الدودة المعروفة بـ(دودة القَزّ) التي تنسج هذه الخيوط وتقزّها قَزّاً كأنها تُوفِزه وتُلقِيه من فمها.

ومما تجدر الإشارة اليه أنّ المصنفين في المعرّب من الألفاظ، ومنهم الجواليقي لم يذكر لفظة (القَز) في كتابه، وإنما ذكر لفظة قريبة منها، وهي (القِهْز)، بفتح القاف وكسرها، مشيراً الى أنّها أعجميّة معرّبة[٢]. ولعله خلط بين (القَزْ) و(القِهْز)؛ فمن اللغويين من ذكر أن (القِهْز) هو (القَز) بِعَيْنه[٣]. وذهب فريق من اللغويين إلى أنّه اسم آخر (للقَزّ)، وأصله في الفارسية (كَهْزَانَة)[٤].

ويبدو الخلط واضحاً في هذا التوصيف؛ لأن (القَهْز) على رأي أغلب اللغويين يختلف عن (القَزْ)؛ فهو ضَرب من الثياب التي تتّخذ من الصّوف المَرْعِزي التي ربما خالطها الحرير[٥]. واختلفوا في لونها، فذهب أبو عبيد القاسم بن سلّام الى أنها ثياب بِيض[٦]. وقيل: بل هي من صُوف أحمر[٧].

وقد وردت لفظة (القَزّ) بصيغة اسم الجنس الجمعي مرة واحدة في نهج

---

(١) ينظر: لسان العرب(قزز):٥/ ٣٩٤.

(٢) ينظر: المعرّب: ٣١١.

(٣) ينظر:جمهرة اللغة (قهز):٢/ ٨٢٤،والمخصص:م/ ١:س/ ٤: ٦٨،وتاج العروس(قهز):١٥/ ٢٩٢.

(٤) ينظر: لسان العرب (قهز):٥/ ٣٩٨، وتاج العروس (قهز): ٥/ ٢٩٢.

(٥) ينظر:العين(قهز):٣/ ٣٦٢،والمخصص:م/ ١:س/ ٤: ٦٩.

(٦) ينظر:غريب الحديث(أبوعبيد):٣/ ٤٦٢،وتهذيب اللغة(قهز):٥/ ٢٥٦،والنهاية في غريب الحديث: ٤/ ١٢٩.

(٧) ينظر: لسان العرب (قهز): ٥/ ٣٩٨.

البلاغة[١]، للدلالة على نسائج القَزِّ، وهي أصوله التي يصنع منها نسيج من خيوط هذا الضّرب من حرير الإبرسيم، بوصفه من أجود الحرير وأغلاه. يقول(عليه السلام) في سياق كلامه عن زهده وتقواه وانصرافه عن ملذات الدنيا، إذ يقول: ((**وَلَوْ شِئْتُ لَاهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ إِلَى مُصَفَّى هَذَا العَسَلِ، وَلُبَابِ هَذَا القَمْحِ، وَنَسَائِجِ هَذَا القَزِّ، وَلَكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ...**))[٢]. ويذكر في النص أطيب المأكول والملبوس، في إشارة إلى تنوّع الأمور المادية في الحياة التي يسعى الإنسان اليها. فجعل (مُصّفى العَسَل) و(وَلُبَاب القَمْح)، وهو خلاصة هذه الأشياء وصفوتها، دلالة على ما زهد فيه الإمام؛ لكونها مما يطلب ويشتهي عند الناس في حين أنه استعمل تعبير(نَسَائِجِ القَزِّ) في الإشارة إلى الثياب الغالية المنسوجة من الحرير الإبريسم التي توحي بترف لابِسها وغِناه، وهو ما ابتعد عنه الإمام، وآثرعليه (الخَشِن) و (الطِّمر) من الأكل والملبس تَرَفّعاً عن الدنيا وملذّاتها.

٢ـ عامّة الثياب

لَبَس

اللباس ما وارى الجسد[٣]. وهو ما يُلْبَس من الثياب وغيرها.

وقد استعمل الإمام (عليه السلام) مادة (لَبَس) باشتقاقات متعددة بلغت جميعاً ستاً وأربعين مرة[٤]، للدلالة على ما يأتي:

---

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٧١.

(٢) نهج البلاغة: ك/ ٤٥: ٥٣١.

(٣) ينظر: العين (لبس): ٧ / ٢٦٢.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٠٦، ٤٠٧.

أولاً: الدلالة على التباس الأمور واختلاطها.

وهـذه دلالـة شـائعة في كلام الإمـام الـذي توسّـع في استعمالها. ومـن ذلـك قولـه في كتـاب أرسـله إلى عاملـه على (مكّـة) يحـذّره فيـه مـن ذوي النفـاق مـن اهـل الشـام الذيـن أرسـلهم (معاويـة) لخلـط الأمـور عـلى النـاس. يقـول (عليه السلام): **((أَنَّـهُ وُجِّـهَ[١] إِلَى الْمُوْسِـمِ[٢] أُنَـاسٌ مِـنْ اهـل الشَّـامِ الْعُمْـي الْقُلُـوبِ الصُّـمِّ الأسـماعِ الْكُمْـهِ الأَبْصَـارِ الَّذِيـنَ يَلْبِسُـونَ الْحَـقَّ بِالْبَاطِـلِ وَيُطِيعُـونَ الْمَخْلُـوقَ فِي مَعْصِيَـةِ الْخَالِـقِ))**[٣]. والنـص في وصـف اتبـاع معاويـة مـن اهـل الشـام الذيـن لايُبصرون بقلوبهـم ولايسـمعون الحـق بآذانهـم، فهـم صـمّ بكـم عمـي لايعقلـون يمتهنـون خلـط الحـق بالباطـل وتصويـره بصورتـه، ويطيعـون معاويـة في معصيـة الله تبـارك وتعـالى. وهـؤلاء النمـط أرسـلهم معاويـة إلى (الحـج) لخـداع النـاس وتضليلهـم ؛ لصَرفهـم عـن الحـق، وإدخالهـم في الشّـبهات. فاسـتعمل الإمـام مفـردة (يَلْبِسُـون) في بيـان صفـة هـؤلاء الذيـن يجتهـدون في إلْبَـاس النـاس الشـبهات ويخلطـون الأمـور عليهـم، كأنّهـم يَحُوكُـون الأمـور كـما تُحـاك الملابـس ؛ لأجـل التّغطيـة عـلى عقـول الحجيـج ومـواراة تفكيرهـم وخلـط الأمـور عليهـم، فـكأنّ هـذا هـو الأصـل في دلالـة مفـردة(يَلبِسـون) التـي يذكـر اللغويـون أنّهـا تـدل عـلى المخالطـة والمداخلة[٤].وأزيـد عـلى ذلـك أنّ المـادة اللغويـة المتقدمـة تفيـد الدلالـة عـلى التّغطيـة والمـواراة. فـكأن الـذي يلبـس ثيابـاً أو غيرهـا يريـد مـواراة نفسـه وسـترها بهـذه الثيـاب، أمّـا الـذي يُلْبِـس الإمـور عـلى الآخريـن، فإنّـه يسـعى إلى سـتر الحقيقـة وموارتهـا عـن النـاس، بإظهـار غيرهـا.

(١) وُجِّه إلى كذا، أي أُرسل. ينظر: لسان العرب (وجه): ١٣ / ٥٥٧.

(٢) المُوْسم موسم الحج ومجتمعه. ينظر: المحكم (وسم): ٨ / ٦٢٨.

(٣) نهج البلاغة: ك/ ٣٣: ٥١٥.

(٤) ينظر: مقاييس اللغة (لبس): ٥ / ٢٣٠.

أقـول: ونظـير الدلالـة المتقدمـة، مـاورد في (خ / ١٠، ٤٧، ٥٠، ١٢٧، ١٣٧ ٢، ١٥١، ١٠٨، ١٧٤، ١٧٩، ٢١٥، ٢٣٠، ك / ٣١ ٢، ٦٥، قصـا / ٤٠٥).

ثانياً: الدلالة على اللباس الذي يواري الجسد ويستره.

ومـن ذلـك قـول الإمـام في وصـف زهـد النبـي (عِيسَـى) (عليه السلام)، ومـا يرتديـه مـن خَشِـن الثياب بقولـه: ((**فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّـدُ الْحَجَرَ، وَيَلْبَسُ الْخَشِـنَ**))[1].والنص يصوّر حـال النبـي (عيسـى) وزهـده مكتفيـاً بالحجر وسـادة لـه، وبالخشـن مـن الصّـوف لباسـاً لـه ؛ تَرَفّعـاً عـمّا يبعـده عـن الـولاء لله تبـارك وتعـالى، وزهـداً في مـا تتنافـس فيـه غـيره مـن رغبـة في الدنيـا وملذاتها.ولبسـه للخشـن فيـه إشـارة الى أن راحتـه واطمئنانـه تكـون بهـذا النـوع مـن الألبسـة شـأنه في ذلـك شـأن غـيره مـن الأنبيـاء والأوصيـاء الذيـن دأبـوا عـلى اتخاذ الصـوف لباسـاً لهـم يـواري حالـه التـي لايعلـم بهـا إلا الله تبـارك وتعـالى.

وقـد اسـتعمل الإمـام (عليه السلام) الفـاظ (لَبِـسَ، ولُبْـس)، و (يَلْبَسُـون)، في (خ/ ١٠٨، ١٢٨، ١٦٥ ٢، ١٩٢) بالدلالـة المتقدمـة نفسـها.

ثالثاً: الدلالة على لباس العز والكرامة والتحلي بالحكمة.

وتنقسـم هـذه الدلالـة عـلى قسـمين؛ الأولى للدلالـة عـلى لبـاس العـز والكبريـاء، وهـذا الـضرب مخصـوص بـالله تبـارك وتعـالى، فـلا يسـتأثر بـه إلاّ هـو. فوصفـه الإمـام في سـياق الحمـد والثنـاء: ((**الْحَمْـدُ لله الَّـذِي لَبِـسَ الْعِـزَّ وَالْكِبْرِيَـاءَ وَاخْتَارَهُـمَا لِنَفْسِـهِ دُونَ خَلْقِـهِ**...))[2].ولم تـدل مفـردة (لبـس) في هـذا السـياق وأمثالـه ممـا هـو اختـص بـالله جـل جلالـه عـلى لبـس الثيـاب وارتدائهـا، أو المـواراة وسـتر البـدن بهـا ؛ فهـذه

---

(١) نهج البلاغة: خ/ ١٦٠:٢٨٣.

(٢) نهج البلاغة: خ / ١٩٢:٣٥٩.

المعاني لاتصدق عليه جلّ جلاله. ولهذا تنصرف المفردة المتقدمة إلى الدلالة على معنى الاشتمال والتحلي بصفتي (العِزّ والكبرياء) اللتين جعلهما الإمام بمنزلة ما يلبس؛ تحقيقاً لمعنى اتّصافه الخالق بتينك الصّفتين. إشارة إلى علمه و كماله وشرفه وعِزّته وكبريائه على عباده وعبيده جميعاً. لهذا عدَّ الشُّرَّاح مفردة (لَبس) مجاز واستعارة مكنية لتحقيق الدلالة على إحاطة كماله وعزه وكبريائه به واشتمالها عليه كما يُحيط القميص والرّداء بجسد لابسه[1]. ويمكن أن يكون المراد بـ (لبس) اتّصافه (جل جلاله) بهذين الوصفين فيكونا من قبيل اختصاصه وتفرده بالعز والكبرياء مع عدّ المفردة من باب المجاز[2].

إن استهلال الإمام (عليه السلام) لكلامه المتقدم بحمد الله ولبس (العِزِّ والكبرياء) تعبير من صميم توحيد الخالق وتنزيهه عمّا لا يليق به من الحَدِّ والجسم. وقد أخذه الإمام (عليه السلام) من القرآن الكريم الذي تكرّر فيه كثيراً اختصاص العزة بالله تبارك وتعالى. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ للهِ جَمِيعًا**﴾[3]. أما صفة (الكبرياء)، فقد وردت في القرآن الكريم مختصة به أيضاً، وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾[4]. وبهذا يكون (عليه السلام) قد وظّف النصّ القرآني توظيفاً يرقى إلى مستوى توحيد الخالق واشتماله بكماله كلّه على (العِزِّ والكبرياء). ولم يغب عنه (عليه السلام) التعبير النبوي عند توظيف مفردة (لبس) في سياق حمد الله تبارك وتعالى، فقد ورد في المأثور عن النبي (صلى الله عليه وآله) قوله: ((**قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ**

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني):٤/ ١٤١،و الديباج الوضي: ٤/ ١٩٧٢.

(٢) ينظر: منهاج البراعة: ١١/ ٢٢٦.

(٣) النساء / ١٣٩،و ينظر: يونس / ٦٥، فاطر / ١٠، الصافات / ١٨٠، المنافقون / ٨.

(٤) الجاثية / ٣٧.

الكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالعِزَّةُ إِزَارِي فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِداً مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ))[١]. وهذا الحديث يدل على اختصاص الكبرياء والعزة بالله تعالى اللَّذَيْنِ صورّهما النص بصورة (الرّداء والإزار)، وهما من الألبسة. وذلك بجامع الإحاطة والشّمول والاتصاف بهذين اللِّبَاسَيْن كما يتّصف المرء بلباسه، فكأنّ هذين (اللباسين) من أهم خصائصه جل جلاله.

وقد أورد الإمام (عليه السلام) استعمالاً آخر مشابهاً لهذا التعبير، وذلك عند توظيفه مفردة (لِبَاس) للدلالة على اختصاص الله جل جلاله (بالكرامة)، وذلك في (خ/ ١٩٢).

ووسَّع الإمام (عليه السلام) من هذا التعبير - بعدما أكد فيه (وحدانية الله) تبارك وتعالى [٢]،مستعملًا اشتقاقات متعددة لمفردة (لَبِسَ) لإظهار (إِلْبَاس) الله الناس أَلْبِسة مختلفة من (النعم والبلاء) كل بحسب عمله وسَعْيه. ومن ذلك قوله (عليه السلام) في سياق الوصية بالتقوى وذكر إنعام الله وتفضله على عباده: ((**أُوصِيكُمْ عِبَادَ الله بِتَقْوَى الله الَّذِي ضَرَبَ الْأَمْثَالَ... وَأَلْبَسَكُمُ الرِّيَاشَ...**))[٣].والتعبير يظهر النِّعم

(١) مسند أحمد بن حنبل: ٢/ ٢٤٨، وفي رواية أخرى:((... وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي...)). ينظر مسند أحمد بن حنبل: ٢/ ٣٧٦، وسنن أبي داوود: ٤/ ٥٩. وثمة رواية أخرى أوردها (الطّبراني) نَصّها عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((إنّ الله عَزَّ وَجَلَّ يقول: العِزَّةُ إِزَارِي و الكِبْرِيَاءُ رِدَائِي فَمَنْ نَازَعَنِيهما أعذبه)). المعجم الأوسط: ٣/ ٣٥٢.وهناك رواية قريبة مما نقله (ابن حنبل) أوردها الشارح ابن أبي في شرحه للنهج: ١٣ / ٩٨.

(٢) يشير (مرتضى مطهري) إلى أننا يمكن أن نعد البحوث التوحيدية في (نهج البلاغة)، من أعجب البحوث ؛ لأنها - دون مبالغة - تقرب من حدود الإعجاز. ينظر: في رحاب نهج البلاغة، مرتضى مطهري: ٣٥، و الأثر القرآني في نهج البلاغة دراسة في الشكل والمضمون، د. عباس علي الفحام:٣٥٢.

(٣) نهج البلاغة: خ / ١٢١:٨٣.وينظر: خ / ٣٣١:١٨٣.

التي أسبغها الله تعالى على النّاس تعملاً مفردة. فذكر الإمام لفظة (الرِّيَاشَ) التي تدل على الوثَارة والتّنَعُّمِّ والنّعيم ونعومة اللباس ورقّته، مستعملاً مفردة (أَلْبَسَكُمُ) بصيغة الفعل الماضي المتّصل بـ(كاف) الخطاب، الذي يدل على وقوع الفعل ومضيه لتحقيق دلالة الحدوث وثباته، من أجل تخصيص الإلباس بهم. ومجيء التعبير بـ(ألْبَس) بوزن (أَفْعَل) يراد به - فيما يبدو - الدلالة على نسبة وقوع الفعل إلى الله تبارك وتعالى واختصاصه به، فضلاً عن الدلالة على التّصيير والإعانة، وهذه من الدلالات التي تفيدها الصيغة المتقدّمة[1].

وبهذا يكون معنى قول الإمام (عليه السلام): أنّ الله تعالى جعلكم ذوي نعم وترفٍ، وهيّأ لكم أرزاقكم، وأعانكم على تحصيلها.

أقول: وقد وجدت في نهج البلاغة نظائر لهذا الاستعمال، من ذلك ما جاء في: (خ/ ١٨٢،١٠٩، ك/ ٥٣ ٢). فقد حاكى الإمام هذا الضرب من التعبير، وذلك في مقام ذكر فضله وعدله في الناس الذي يقول فيه:((**وَوَقَفْتُكُمْ عَلَى حُدُودِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَأَلْبَسْتُكُمُ الْعَافِيَةَ مِنْ عَدْلِي**))[2]. يريد: أنه أشاع في هم (دَفْع المكاره) عنهم، بعدله. فجعل - العافية ههنا - بمنزلة اللباس الذي يلبس لأجل الستر والمواراة فضلاً الزينة مع ملاحظة اشتماله على تمام بدن الإنسان، كأنه (عليه السلام) يريد الإبانة عن شيوع العدل فيهم في مدة ولايته عليهم بحيث صار مشتملاً عليهم مثلما يشملون بألبستهم.

وقد ورد نظير هذا التعبير بصيغة فعل الأمر (إِلْبَس)في سياق نصحه بعض عماله بضرورة الرفق بالرعيّة في (ك/ ١٩).

---

(١) أدب الكتاب، لابن قتيبة:١/ ٣٥٤، و الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم: ٥٨،٥٩.

(٢) نهج البلاغة: خ/ ٨٧: ١٤٣.

أقول: إن استعمال الإمام مفردة (لِبَاس) ومشتقاتها في سياقات لا تدل على ارتداء الألبسة الحقيقية يعد من ضروب التعبير القرآني، فقد ورد في القرآن المبارك قوله تعالى: ﴿... **وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ**...﴾[(١)]. وقوله: ﴿... **فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ**... ﴾[(٢)]. وكنّى القرآن عن (الجماع) بقوله: ﴿**أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ**[(٣)] **إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ**... ﴾[(٤)]. والجامع في ذلك اشتمال كل واحدٍ منها على الآخر ومخالطته وملابسته. وكلّما أراد القرآن الإشارة إلى هذه المعاني استعمل لفظة (لباس). وعدّ المفسّرون هذا الضرب من التعبير من قبيل الاستعارة[(٥)]. فأمّا قوله تعالى: ﴿...**فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ**...﴾[(٦)]. ففيه وجه وقف عنده المفسرون، وهو أنّ (اللِّباس) لايُذَاق، بل (يُلْبَس). وهو عندهم من عجيب التعابير القرآنية[(٧)]. وقد وضعوا لهذا التعبير توجيهات متعددة في طليعتها أنه لمّا كان الجوع شديداً عليهم، صار كأنّه أحاط بهم من كل الجهات كما يحيط اللباس بالبدن، ومن ثَمّ أضحى في حالة كأنّها ذوق لهم وطعم[(٨)]، فيكون المراد التعبير عن إحساسهم بالأذى والجوع الذي ذاقوا شدّته ومرارة أذاه. وربما أريد بلفظ (لِبَاس) الدلالة على المساس والإحساس بالشيء، فالذي يَلْبَس شيئاً

---

(١) الأعراف / ٢٦

(٢) النحل / ١١٢.

(٣) الرَّفَث الجماع وغيره مّما يكون بين الرجل وامرأته من التقبيل والمغازلة في حالة الجماع. ينظر: لسان العرب (رفث): ٢ / ١٥٣.

(٤) البقرة / ١٨٧.

(٥) ينظر: الكشاف: ٢ / ٩٣، و المحرر الوجيز: ٣ / ٤٢٧، و التفسير الكبير: ٢٠ / ١٣٠.

(٦) النحل / ١١٢.

(٧) ينظر: التفسير الكبير: ٢٠ / ١٠٣.

(٨) ينظر: الكشاف: 2 / 597، و التفسير الكبير: 20 / 103.

من الثياب يُحس بها ويشعر بوجودها،ومما يقوّي هذا الوجه مفردة (أذَاقَها) التي تدل على شِدّة إحساس هؤلاء بما أصابهم من جوع وخوف[١].

وعلى هذا الأساس شاع في كلامه(عليه السلام) نظائر للتعابير القرآنية، ومنها ما ورد في (خ/ ١٧، ٢٧، ٨٣، ٨٧، ١٥٨، ٢٢١، ك/ ٦٥)

وثَمّة مفردة اشتَقَّها الإمام من كلمة(لَبِسَ)، وهي(لَبُوس) التي استعملها في سياق وصفه الناس وحالهم يوم القيامة الذي يقول فيه: ((... **أَخْرَجَهُمْ مِنْ ضَرَائِحِ الْقُبُورِ...مُهْطِعِينَ إِلَى مَعَادِهِ...عَلَيْهِمْ لَبُوسُ الاِسْتِكَانَةِ، وَضَرَعُ[٢] الاِسْتِسْلاَمِ...**))[٣].لقد اختار(عليه السلام) المفردة المتقدمة بوزن (فَعُول)،لتحقيق الشِدَّة في خضوع هؤلاء واستكانتهم أمام جبار السماوات والأرض. وهذه الكلمة تدل في اللغة على (الدّروع) التي تُلبس في الحرب[٤]. وقيل: بل هي الثياب[٥]. وصياغتها على هذا البناء يظهر الميل إلى المعنى العالي الذي تتضمنه المفردة، فكان يمكن أن يأتي الإمام بمفردة أخرى غيرها لهذا السياق، مثل كلمة (لِباس) بوزن (فِعَال). فجاء بناء (فَعُول) لتحقيق الثبات والمبالغة في الوصف الذي يكون عليه الناس يوم القيامة. ويرى الصَّرفيون أنّ البناء المتقدّم لايجيء في تعبير إلَّا لإظهار مَن دام منه الفعل أو كَثُر[٦]. فضلًا عن تشديد الشيء والمبالغة فيه[٧]. وهذا الكلام

(١) ينظر: التفسير الكبير: 20 / 103.

(٢) الضَرَع الخضوع والذل. ينظر: لسان العرب (ضرع): ٨ / ٢٢١.

(٣) نهج البلاغة: خ/ ٨٣: ١٢٣، ١٢٤.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة (لبس): ١٢ / ٣٠٧.

(٥) ينظر: لسان العرب (لبس): ٦ / ٢٠٣.

(٦) ينظر: كتاب سيبويه: ١ / ١١٠،و ٣/ ٣٨٤،و معاني الابنية:١١٤.

(٧) ينظر: كتاب سيبويه: ٣/ ٣٨٤.

يدل على أنّ في (فَعُول) معنىً ليس في (فِعَال)، وبيان ذلك أنّ (لبوساً) تشير إلى أنّ (الاستكانة) في هؤلاء تكون بمنزلة الطبع والسّجية فيهم، في حين أن (لِبَاساً) على (فِعَال) تمثل حالة طارئة غير لازمة لصاحبها، فاللِّباس متغيّر حتى إن لازم صاحبه مدة من الزمن،على العكس من (اللّبوس) الذي يتضمن التَّلَبّس بالوصف. وثمّة أمر آخر، وهو أن المفردة توحي بأنّ هذه النّخبة من النّاس قد تَحصَّنت بـ (الخضوع والاستكانة) أمام الباري تبارك وتعالى، وتدّرعُوا بها ؛ اتّقاءً من غضب الله تبارك وتعالى،كما يلبس الدَّراع دِرْعه في الحرب ؛ اتقاءً من الجراح والأذى. فكأنّ الموتى يَتَمَنّون أن تكون استكانتهم وذلّهم أمام الله تعالى درعاً من غضبه وحصناً من عقابه. وهذا المعنى قريب من التوظيف القرآني لمفردة (لَبُوس) التي يبدو أنّ الإمام أفاد من ورودها في الذكر الحكيم الذي مال بها إلى دلالة لا تبتعد كثيراً عن دلالتها في قوله تعالى: ﴿**وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ**﴾[1].وقد اتفق المصنفون في غريب القرآن ومفرداته[2]، والمفسرون على تفسير مفردة (لَبُوس) بالدِّرع[3].ويبدو أنّ ميلهم إلى هذا التفسير راجع إلى حال النبيّ داوود (ﷺ) الذي يُرى أنّه كان أوّل من صنع (الدروع) المُسَمّاة بـ (الزّرد)[4]، وكان ممن يشتغلون بالحديد، حتّى حكي القرآن الكريم أنّ الله جل جلاله ألآنَ له الحديد.إذ يقول: ﴿... **وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ... أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ**﴾[5].

---

(١) الأنبياء / ٨٠.

(٢) ينظر: غريب القرآن (ابن عُزَيز السجستاني): ١ / ٤٠٣، و مفردات الفاظ القرآن: ٧٣٥، والبيان في تفسير غريب القرآن، لابن الهائم المصري: ١ / ٢٩٦.

(٣) ينظر: الكشاف: ٣/ ١٣٠، و تنوير المقباس: ١ / ٢٧٤، و البحر المحيط: ٦ / ٣٠٨.

(٤) ينظر: البحر المحيط: ٦ / ٣٠٨.

(٥) سبأ / ١٠.

ثَوْب

الثّوب واحد الثّياب[١]، وهي اللِّباس عامّة[٢]. ويجمع هذا اللفظ على (أثْوُب) جمع قِلةٍ على زنة (أفْعُل) وبعض العرب يهمزه،فيقال (أثْؤُبٌ)[٣]، واستعملت لفظة (ثّوْبِه) مضافة إلى ضمير الغائب المفرد ثلاث مرات في نهج البلاغة، في حين جاءت الفاظ (ثَوْب) مجردة من (ال) التعريف مرة، ومحلاة بها مرة، ومنصوبة مرة أخرى(ثَوْباً) ومضافة إلى (ياء) التكَلّم (ثَوْبِي) مرة أخرى. وذلك كله بصيغة المفردة. أمّا صيغة الجمع، فقد ورد منها لفظ (الثِّياب) بوزن (فِعَال) مرة واحدة فحسب[٤]، للدلالة على ما يأتي:

أولاً: دلالتها على الثياب.

ومن ذلك قول الإمام في سياق كلامه عن زهد رسول الله وتواضعه: ((**وَلَقَدْ كَانَ** (ﷺ) **يَأْكُلُ عَلَى الأرض، وَيَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبْدِ، وَيَخْصِفُ**[٥] **بِيَدِهِ نَعْلَهُ وَيَرْقَعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ**...))[٦]. يبينّ النّص خُلق رسول الله وتواضعه، مع كونه النبي الخاتم، فكان مع ذلك كأنّه العَبْد الذي يقف بين يدي مولاه. واستعمل الإمام هذا التعبير لبيان شدة خشوعه وتواضعه وإعراضه عن الدنيا. فقد كان يتولّى أعماله بيده ومن ذلك (خَصْف النَّعْل)، إشارة إلى قيامه بخرزه وإصلاحه بيده، مع ما في هذه المسألة من ازدراء عند النّاس ؛ بوصفها من الأمور التي يتولاّها ذوو الشأن

---

(١) ينظر: العين (ثوب):٨/ ٢٤٦.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (ثوب):٥/ ١١٤، ولسان العرب (ثوب):١/ ٢٤٣.

(٣) ينظر: لسان العرب (ثوب):١/ ١٤٣.

(٤) ينظر المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة:٧٨.

(٥) خَصْفَ النعل هو مظاهرة بعضها على البعض الآخر. ينظر: لسان العرب (خصف):٩/ ٧١.

(٦) نهج البلاغة: خ / ١٦٠:٢٨٤.

الوضيع، فهي محتقرة عند أصحاب المنزلة والرفعة، فإنهم يتركون عملها الى الفئة المحتقرة من المجتمع. ولكنّه (صلى الله عليه وآله) أراد إزالة الكبر و العَنت في نفوس الناس من خلال إعطائهم أمثلة عالية في التّواضع وازدراء الكبرياء والتّعزز، إذ لم يكن العرب معتادون على القيام بأعمالهم بأنفسهم إلا أن يتّخذوا خدماً تكفيهم ذلك. وكان رسول الله مع ذلك كلّه يرقع ثوبه بيده و يَلحَم أجزاء لباسه المُتخَرِّق بنفسه أيضاً، فما كان همّه في استبدال لباسه أو نعاله، وإنما كان يستعملها حتّى يتخرّقا، فترقيع ثوبه يفهم منه أنّ لباسه كان من التواضع والبساطة حتى إذا أصابه التمزيق لم يكن يستبدله بثوبٍ آخر جديد، بل يعمد إلى ترقيعه ولَحمِ أجزائه بعضها إلى البعض الآخر حسبما تدل مفردة (يَرْقع) في المعجم[١].

أقول: وشبيه بذلك ما ذكره الإمام عن زهد نفسه وتواضعها. إذ يقول: ((**فَوَالله مَا كَنَزْتُ**[٢] **مِنْ دُنْيَاكُمْ تِبراً... وَلاَ أَعْدَدْتُ لِبَالِي ثَوْبِي طِمْراً**))[٣].يريد: أنّه لم يحرز من هذه الدنيا أو يكنز من المدّخرات وغيرها ايّ شئ، ولم يُعد لما رَثَّ من ثَوْبه طِمْراً بالياً من الأطمار. والمفارقة في ذلك أنّه (عليه السلام) لم يُهَيِّئ لنفسه حتّى الخَلِق من الثياب البالِيَة[٤] في إشارة الى زهده وتقواه وورعه عمّا حرّم الله.

أقول: إن استعمال الإمام لمفردة (ثَوْبه)، و(ثَوْبي)، وإيثارهما على غيرها من الألفاظ الدَّالة على اللِّباس، يفهم منه الدلالة على مطلق الثياب؛ فالثّوْب لفظ عام يدخل فيه الكثير مما تسمى الثياب، مثل (القَمِيص، والجُبَّة، والسِّرْبال)، وغيرها من الألفاظ الأخرى. فلّما أراد (عليه السلام) التّعبير عن ذلك آثر مفردة (الثَّوْب)

(١) ينظر: لسان العرب (رقع):131/ 8.

(٢) الكنز المال المُدَّخر، أو المدفون. ينظر: لسان العرب (كنز):401/ 5.

(٣) نهج البلاغة: ك:45: 530.

(٤) ينظر: المحكم (طمر):164/ 9.

على غيرها رغبة في رفضه الأنواع المختلفة من الثياب.

وقد وردت مفردة (الثّياب) بصيغة الجمع، للدلالة على الثياب المتداعية المتهالكة على سبيل تشبيه الإنسان الضعيف المتهالك بها في (خ/ ٦٩).

ثانياً: الدلالة على نقاء النّفس وطهارتها.

وقد وظّف الإمام مفردة (الثّوب) لهذه الدلالة، وذلك في مقام مدح بعض أصحابه ورثائه قائلاً: ((**لله بَلاءُ فُلانٍ، فَلَقَدْ قَوَّمَ**[١] **الأَوَدَ**[٢]... **وَخَلَّفَ**[٣] **الْفِتْنَةَ ذَهَبَ نَقِيَّ الثَّوْبِ، قَلِيلَ الْعَيْبِ**...))[٤].و(نقاء الثوب) كناية عن حُسن حاله ونقاء نفسه وطهارتها من الدَّنس. فاستعار (عليه السلام) مفردة (الثَّوْب)، للدلالة على (العِرْض) و(النَّفْس) وإشار إلى نقاوته من المذامِّ[٥].والتعبير المتقدم شائع في اللغة، فكثيراً ما يُكنّى بلفظ (الثّيَاب) عن (النَّفْس)[٦]، فإن كان المرء طيّب السريرة حسُنَ الخُلُق قيل عنه: إنه طاهر الثياب. ويبدو الأثر القرآني واضحاً في تعبير الإمام ؛ إذ يقول الله تبارك وتعالى: ﴿**وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ**﴾[٧].وقد أشار جمهور المفسرين إلى أنّ المراد بتطهير الثياب في الآية المباركة، تَنْقِية الأَفعال والنَّفْس والعِرْض، باستعارة اللفظ للنفس والأَفْعال والعرض[٨]. ويدخل في ذلك - أيضاً - الدلالة على وجوب

---

(١) قوّم الشيء، إذا عدّله واستقامه. ينظر: لسان العرب (قوم):232/ 1.

(٢) الأود. العوج. ينظر: لسان العرب (أود):75/ 3.

(٣) التخلف التأخر والترك. ينظر: لسان العرب (خلف):٩/ ٨٣.

(٤) نهج البلاغة:خ ٢٢٨: ٤٤٣.

(٥) شرح نهج البلاغة (البحراني):٤/ ٦١.

(٦) ينظر: لسان العرب (ثوب):١/ ٢٤٦.

(٧) المدثر / ٤.

(٨) ينظر: المحرر الوجيز: ٥ / ٣٩٢، و التفسير الكبير: ٣٠ / ١٦٩.

تطهير الثياب من النجاسات أيضاً[١].

أقول: إن استعمال (نَقي الثَّوْب) في مقام المدح يفهم منه الدلالة على نظافة سَرِيْرَة الشخص الذي مدحه الإمام (عليه السلام)، فضلاً عن نقاء ظاهره، وهو ما يناسب صلاح هذا الرَّجل، وحُسْن ظاهره أمام الناس، فنقاوة ثَوبه تدل على براءته من العيوب ؛ لأن (نقاء الثَّوب) علامة على براءة من الشَّتم والعَيب[٢]. وصفاء من تَلَبّس صاحبه بأيَّة خصلة أو صفة غير محمودة. وهي إشارة إلى عدم التَّلَبّس بالقبائح بحسب تعبير بعض شُرَّاح النهج[٣]. وقريب من ذلك استعمال أمير المؤمنين تعبيره (مَنْ كَسَاهُ الْحَيَاءُ) في قوله: ((**مَنْ كَسَاهُ الْحَيَاءُ ثَوْبَهُ، لَمْ يَرَ النَّاسُ عَيْبَهُ**))[٤]. فجعل (الحَياء) - هنا - بمنزلة (الثَّوْب) الذي يَكْسِي الإنسان ويستره عن الناس، فضلاً عمّا يشينه من القبائح والرذائل، بحيث يكون حاجباً بينه وبين سُلطة المعائب التي تُدَنِّسه. وكانت سبيل الإمام إلى هذا المعنى استعارة لفظ (الثَّوْب) لما يشتمل عليه الإنسان من (الحياء) والحِشْمَة[٥]. فيصير (الحياء) بمنزلة ما يُخفي العيوب ويسترها عن أعين الناس[٦].

أقول: و(الحياء) ضرب من الخصال الحميدة التي دعا إليها الإسلام، ففي الحديث عن النبيِّ (صلى الله عليه وآله) في وصِيّته: ((**يَا عَلِيُّ الإسلام عُرْيَانٌ وَلِبَاسُهُ الحَيَاءُ،**

(١) نفسها

(٢) ينظر: لسان العرب (عرض):٧/ ١٦٥.

(٣) ينظر: الديباج الوضي: ٤/ ١٨٣١.

(٤) نهج البلاغة: قصا/ ٢٢٣: ٦٤٢.

(٥) شرح نهج البلاغة (البحراني):455/ 5.

(٦) معارج نهج البلاغة:253/ 2، و الديباج الوضي: 2888/ 6.

وَزِيْنَتُـهُ العَفَـاف))[١]. فالحيـاء في النـص بمنزلـة اللّبـاس للإنسـان الـذي يسـتره عـن أعـين النـاس.

ونظـير ذلـك مجـيء لفظـة (ثّـوب)، للدلالـة عـلى ارتـداء (الـذّل) والإهانـة في (خ/ ٢٧).

وممـا ورد في الدلالـة عـلى السَّـتر استعماله لفظـة (ثّوْبـاً) دالـة عـلى السَّـتر وصَرْف النظـر عـن (الخلافـة)، وذلـك في قولـه: ((...**فَسَـدَلْتُ**[٢] **دُونَهَـا ثَوْبَـا**...))[٣]. يعنـي (الخلافـة) التـي أُخـذت منـه. فعـبّر عـن زُهـده فيهـا ورغبـة عنهـا، بإسـدال الثَّـوب. وإرخاؤه، حتى كأنّـه ستر نفسـه عنهـا. كمَـن إلتحَـف بثوبـه، وأَدخَـل يديـه فيـه كنايـة عـن إحتجابـه عـن طلبهـا بحجـاب الإعـراض والابتعـاد، مسـتعيراً لفـظ (الثـوب) للحجـاب[٤]. وكلامـه بالصياغـة المتقدمـة يـدل عـلى زُهـده (عليه السلام) في هـذا المنصـب ورغبتـه عنـه[٥].

ثالثاً: الدلالة على التَّهَيُّؤ و الاستعداد.

وجـاءت هـذه الدلالـة في قـول الإمـام في بيـان أصنـاف النـاس: ((...**وَمِنْهُـمْ مَـنْ يَطْلُـبُ الدُّنْيَـا بِعَمَـلِ الْآخِـرَةِ، وَلَا يَطْلُـبُ الْآخِـرَةَ بِعَمَـلِ الدُّنْيَـا. قَـدْ طَامَـنَ**[٦] **مِـنْ شَـخْصِهِ، وَقَـارَبَ مِـنْ خَطْـوِهِ، وَشَـمَّرَ مِـنْ ثَوْبِـهِ**...))[٧].

(١) وسائل الشيعة:15 / 232، و 248.

(٢) سَدَل الثوب، أرخاه. ينظر: لسان العرب (سدل):333/ 11.

(٣) نهج البلاغة: خ / 3: 28.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ١/ ١٧٥.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١/ ١٥٤.

(٦) طامَنَ خفض وأسكن. ينظر: لسان العرب (طمن):١٣/ ٢٦٨.

(٧) نهج البلاغة: خ / ٣٢: ٧٠.

والخصال المتقدمة من أوصاف المنافق الذي يعيش مع الناس عيشة الأتقياء، ولكنه في سِرِّه ينهج نهج المنافقين. فاستعمل (عليه السلام) صفات: (السَّكينة، ومقاربة الخَطْو، وتَشْمِير الثَّوْب، والتّزَيُّن بالأمانة)، وكلها أوصاف مستعارة لهذا النوع من الناس الذين يُظهرون الإيمان، ويُبْطِنون النِّفَاق والمُرَاءات بين الناس. فكأنّما هذه الصفات تشير الى ما يظهر على هؤلاء من الخصال التي يخدعون بها الناس، لأنها من علامات الصلحاء والمؤمنين، ولكنّهم يضمرون خصالاً تختلف عنها في أنفسهم.

أقول: وتَشْمِير الثَّوب في هذا السِّياق كناية عن التّهَيّؤ والاستعداد للقيام بأمرٍ ما. وقد جعله الإمام - هنا - علامة على الاستعداد لطلب المعاصي والآثام في الدنيا في غير السِّر دون العلن.

الشّعار

الشِّعَار هو ما اسْتُشعِر من اللباس تحت الثياب حسبما يذكر الخليل(١).وسمِّى بذلك ؛ لأنّه يلي شَعْر البدن دون ما سواه من اللباس(٢).

واستعمل الإمام مفردة (شِعَار)في كلامه في نهج البلاغة مجردة من (ال) التعريف ثلاث مرات، في حين وردت محلاة بـ (ال) مرتين. وجاءت المفردة مضافة إلى ياء المتكلّم (شِعَاري)، والى ضمير الخطاب الدال على الجماعة (شِعَاركم)، وضمير الغائبة المفردة (شعارها) مرة واحدة لكلِ منها(٣)، للدلالة على ما يأتي:

أولاً: دلالتها على لباس الخوف.

(١) ينظر: العين (شعر):١/ ٢٥٠،و تهذيب اللغة (شعر):١/ ٢٦٧.

(٢) نفسهما.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة:٢٤١.

واستعملت مفردة (شِعَار) في هذه الدلالة بوصفها لباساً يدل على الخوف. ومن ذلك قول(عليه السلام) في سياق وصف الدنيا: ((**وَالدُّنْيَا كَاسِفَةُ النُّورِ ظَاهِرَةُ الْغُرُورِ... عَابِسَةٌ فِي وَجْهِ طَالِبِهَا، ثَمَرُهَا الْفِتْنَةُ، وَطَعَامُهَا الْجِيفَةُ، وَشِعَارُهَا الْخَوْفُ، وَدِثَارُهَا السَّيْفُ...**))[١]. ومفردة (شِعَارُهَا) في هذا السياق نقلت من الاستعمال المادي، وهو كونها من البسة الإنسان إلى جعلها لباس خَوْفٍ للدنيا. كأنها لما فيها من شرور وآثامٍ ترتدر هذا الضرب من الألبسة التي تمثل علامة على الخوف الذي يعرض لها. ومما يدل على هذا المعنى مجيئه(عليه السلام) بمفردة (دِثَار) التي تدل على اللباس الذي يُلْبَس فوق الشِّعار[٢]. لبيان حال الدنيا وتصويرها بأنها تلبس الخوف شعاراً والسيف دثاراً. مستعيراً هاتين اللفظتين للدنيا جاعلاً منهما علامة على ازدرائها وأذاها،فـ((لفظ الشِّعار للخوف والدِّثار للسيف، ووجه الاستعارة الأولى أنّ الخوف، وإنْ كان من العوارض القلبية، إلا أنّه كثيراً ما يستتبع اضطراب البَدَن وانفعاله بالرعدة، فيكون شاملاً شمول ما يتخذه الإنسان شِعاراً. ووجه الثانية أنّ الدِّثار والسيف يشتركان في مباشرة المدثر والمضروب من فوقهما))[٣].

أقول: إن جعله (الخوف والسيف) شعاراً ودثاراً للدنيا، يلمح إلى منزلة كل منهما بين الناس في الدنيا، فلما كان الشِّعار هو أقرب الألبسة إلى جسد الإنسان، والدِّثار مما يُلْبَس فوقه، فقد تناسب ذلك مع تقدم (الخوف) على (السيف)؛ لأنّ الأول أقرب إلى النفس والقلب من جهة الاحساس والشعور، والسيف الذي يمثل رمزاً للقوة والشّجاعة، يجيء بعده. وعُدّ هذا التعبير من بديع الكلام

---

(١) نهج البلاغة: خ/ ٨٩: ١٤٥، ١٤٦.

(٢) ينظر: لسان العرب (دثر):٤/ ٢٧٦.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٤٢٤.

وجيّد الصّناعة في رأي الشّرّاح[١]. ومما يمكن إضافته على ذلك أنّ مفردة (شِعَار) يمكن أن تدل على العلامة على الخوف والشعور به في هذا المقام.

وقد وردت لفظة (شِعار) بالدلالة المتقدمة نفسها في (خ/ ١٥٨). في حين وردت المفردة نفسها مضافة إلى ضمير الخطاب الخاص بالجماعة (شِعَاركم) بالدلالة نفسها في (خ / ١٩٨).

ثانياً الدلالة على القرابة من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

وجاءت مفردة (الشِّعار) لبيان قُرب منزلة اهل البيت (عليهم السّلام) من النبي الأكرم، وشدة علاقتهم به دون غيره. وذلك في سياق ذكره فضائل أهل البيت واختصاصهم بالنبي الخاتم. يقول(عليه السلام): ((**نَحْنُ الشِّعَارُ، وَالْأَصْحَابُ، وَالْخَزَنَةُ، وَالْأَبْوَابُ، وَلَا تُؤْتَى الْبُيُوتُ إِلَّا مِنْ أَبْوَابِهَا فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا سُمِّيَ سَارِقاً**))[٢]. والنص رد على من ينازع اهل البيت في قُرْبِهِم وقرابتهم من الرسول وصُحبتهم له.

وقد وظّف (عليه السلام) مفردات تدل على شِدّة الصِّلة بين النبيّ وآله. فوظّف مفردة (الشِّعار) التي تدل في الأصل على اللِّباس الملاصق للبدن[٣]، ليدل بها على التصاق اهل البيت بالنبيِّ الكريم وقُربهم منه، كَقُرب الشّعار من الألبسة الى البَدن. ويُفْهَم من هذا التعبير شِدّة اختصاص النبي بـ(آله)[٤]، فضلًا عن اختصاصهم به وملازمتهم له دون غيرهم من الأصحاب كما يلزم الشّعار

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن ابي الحديد):٦/ ٣٠١.

(٢) نهج البلاغة: خ/ ١٥٤ :٢٧٠.

(٣) ينظر: غريب الحديث (أبو عبيد):١/ ٣١١.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد):٩/ ١٢٨.

الجسد[١]. والإمام يُصّحح في هذا السياق المفهوم المتداول عند الناس لمفهوم (الصُّحْبَة) وملازمة الناس للنبي من غير اهل البيت، فذكر قوله المتقدم للدلالة على اختصاصه هو وأئمة اهل البيت بالرسول، مستعملاً بناء القِلّة الذي جمعت عليه لفظة (أَصْحَاب)، وهو (أَفْعَال)، ليدل على نُّدرة مَن يوصف بهذه الصفّة من الناس وقلّتهم. تَصْويباً وتصحيحاً - فيما يبدو - لنظرية (الصُحْبَة) التي وُسِّعت حتّى شملت (أصحَاباً) من أمثال (أبي سُفيان) وغيره. وقد ورد في المأثور من أنّ النبي قال للأنصار:))**أنتُمُ الشَّعار والنَّاسُ الدِّثار**(([٢]. وفسرّ اللغويون دلالة مفردتي (الشَّعار والدِّثار) في النص، بالدلالة على أنّهم الخاصة، وغيرهم من الناس العَامَّة[٣]. كأنه (ﷺ) عبرّ بلفظة (الشِّعار) عن قرب المكانة منه. ومع فضيلة هؤلاء النّخبة من المسلمين، فلا أحسب أنّ النبيّ يؤثرهم على اهله المطهّرين. فجاء كلام الإمام شبيهاً بصياغته بألفاظ الحديث النبوي المتقدّم، ولاسيما في توظيف مفردة (الشِّعار)؛ ليبيِّنَ أنّه (عليه السلام) واهل البيت، هم (الشِّعار، والأصحاب، والخَزَنة و الأبواب). فاللفظ الأول وُظِّف لبيان القُرب والاختصاص والقرابة، والثاني للمصاحبة والرِّفقة، و(الخَزَنة)، للدلالة على وقوفه على علم النّبِيّ وإحرازهم له، فضلاً عن كونهم خزنة القرآن الكريم وحفظته بكل ما فيه من علوم ومعارف. فصاروا بذلك خزنة العلم وأبوابه[٤]. وأما لفظ (الأبواب)،

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني):٣/ ٦٣٢، ومنهاج البراعة: ٩ / ٢٠٧.

(٢) النهاية في غريب الحديث:٢/ ٤٨٠، ولم أعثر على هذا الحديث في ما راجعته من كتب الحديث الشريف. وقد نقله اللغويون في معاجمهم. ينظر: تهذيب اللغة (شعر):١/ ٢٦٧، و لسان العرب (شعر):٤/ ٢٧٦.

(٣) النهاية في غريب الحديث:٢/ ٤٨٠، و لسان العرب (شعر):٤/ ٢٧٦.

(٤) الخَزْن -في اللغة- إحراز الشيء وجعله في خزنة. ينظر: لسان العرب (خزن):١٣/ ١٣٩. ولعل الإمام يشير، بهذا اللفظ، إلى ما ورد عن النبي الأكرم (ﷺ) من أنّه (خازن علمه)، أو (عَيْبَة عِلمه)،

فيومـئ بـه إلى قـول النبـي (ﷺ): ((**أَنَـا مَدِيْنَـةُ العِلْـمِ وَعَـليٌّ بَابُهَـا، فَمَـنْ أَرادَ المدِيْنَـةَ، فَلْيَـأت الباب**))[١]. وقـد نـصّ عـلى هـذا المعنـى غـير واحـد مـن شرّاح النهـج. وفي طليعتهـم الشـارح ابـن أبي الحديـد[٢]، وغـيره مـن شـارحي النهـج[٣].

أقـول: ويحتمـل أن تكـون مفـردة (الشِّـعار) الـواردة في قـول الإمام تتضمّـن الدلالة عـلى (العَلَـم) الـذي يُتَّخـذ شـعاراً يهتَـدي بـه الضّالـون في الفلـوات، وكذلـك العلامـة، وهـي الأثـر الـذي يُهتـدى بـه[٤]. فيكـون المعنـى بحسـب هـذه الدلالـة أن الإمـام عـلي وأهـل البيت(عليهم السلام)هـم العَلامَـة والشِّـعار الـذي اتّخذه النبـي الأكـرم (ﷺ) لهدايـة النـاس وإرشـادهم إلى الطريـق القويـم، فهـم الأعْـلَام والعلامـة الفارقـة في الإسـلام التـي يهتـدي بهـا المسـلمون وغيرهـم الى الطريـق القويـم، وهـم أعـلام القـوم وسـاداته الذيـن امتـازوا عمّـن سـواهم مـن المسـلمين بالقرابـة والاختصـاص بالرسـول صلـوات الله عليه. وقـد وردت مفـردة (شِـعَاري) دالـة عـلى القـرب والاختصـاص في (ك / ٤١).

بحسـب مـا ينقـل الشـارح ابـن أبي الحديـد، كأنـه يشـير بذلـك إلى كونـه واهـل البيت(عليهم السلام) هـم خزنـة الجنـة وأبوابهـا. ينظـر: تفصيـل ذلـك فيـما رواه اللغويـون في الحديـث الـذي خُـصَّ بـه الإمـام علي (عليه السلام) بكونـه قسـيم الجنـة والنـار في: غريـب الحديـث (ابـن قتيبـة):150/ 2، والفائـق: 195/ 3، والنهايـة في غريـب الحديـث:11/ 4. فضـلاً عـمّا ورد مـن ذلـك في كتـب التفسـير، وشروح نهـج البلاغـة، ومنهـا: التبيـان في تفسـير القـرآن، للطـوسي: 411/ 4، والجامـع لأحـكام القـرآن، للقرطبـي:211/ 7، والكشـف والبيان،للثعلبـي النيسـابوري: 4/ 36. وروح المعـاني: 123/ 8، ومـن شروح نهـج البلاغـة: شرح نهـج البلاغـة (ابـن أبي الحديـد): 136-128/ 9، ومنهـاج البراعـة: 207/ 9.

(١) المعجـم الكبـير:١١/ ٦٥، المسـتدرك عـلى الصحيحـين:٣/ ١٣٧ و شرح نهـج البلاغـة (البحـراني): ٣/ ٣٦٢، والديبـاج الـوضي:٣/ ١٢٤٢.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٩/ ١٢٨.

(٣) ينظـر: شرح نهـج البلاغـة (البحـراني): ٣/ ٣٦٢، والديبـاج الـوضي:٣/ ١٢٤٢، ومنهـاج البراعـة: ٩/ ٢٠٧.

(٤) ينظر: لسان العرب (شعر):٤ / ٤١٣ / ٤١٤.

ثالثاً: الدلالة على القرآن الكريم.

وقد جعله الإمام (عليه السلام) بمنزلة (الشِّعار) من الثياب الذي يكون قريباً من الجسد، في قوله الذي يصف فيه الزاهدين: ((... **أُولَئِكَ قَوْمٌ اتَّخَذُوا الأرض بِسَاطاً وَ تُرَابَهَا فِرَاشاً وَ مَاءَهَا طِيباً وَ الْقُرْآنَ شِعَاراً وَ الدُّعَاءَ دِثَاراً...**))[1].فإنّه لمّا أراد التعبير عن مخالطة القرآن لهم، وقربه من أرواحهم، استعمل له مفردة (شِعَاراً)؛ باعتبار ملازمتهم له، دراسة وفهماً وقراءة كما يُلازم الشّعار الجسد[2].

أقول: ومما يعضد هذه الدلالة ورود لفظة (دِثار) وما سبقها من الألفاظ الدالة على لوازم متاع الإنسان ومعاشه، مثل لفظة (بساطاً) و(فراشاً) و(طِيْباً). فكأنّ هذه المفردات قرائن في عدّ القرآن الكريم علامة من علامات هؤلاء الزّاهدين ولازمة من لوازمهم التي ينمازون بها، كأنهم جعلوه علماً لهم يَهْتَدون به في حياتهم وعلامة من علاماتهم التي يفترقون بها عن الآخرين.

رابعاً: الدلالة على الفُرقة والحكم بما لم ينْزل الله جل جلاله.

واستعمل الإمام مفردة (الشَّعار) دالة على ما يُنادَى به من دعوة إلى التَّفِرقة والحكم بالباطل. وذلك في سياق كشفِه الشُّبْهَة التي وَقَعُ فيها (الخوارج) من حكم الحَكَمَين. يقول (عليه السلام): ((...**وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ، فَإِنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ... أَلَا مَنْ دَعَا إِلَى هَذَا الشِّعَارِ فَاقْتُلُوهُ، وَلَوْ كَانَ تَحْتَ عِمَامَتِي هذه، فَإِنَّمَا حُكِّمَ الحَكَمَانِ لِيُحْيِيَا مَا أَحيَا الْقُرْآنُ، وَيُمِيتَا مَا أَمَاتَ الْقُرْآنُ، وَإِحْيَاؤُهُ الِاجْتِمَاعُ**

---

(١) نهج البلاغة: قصا / ١٠٤: ٦١٨.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٤٢١، والديباج الوضي:٦/ ٢٧٩٣، ومنهاج البراعة: ٢١/ ١٧٨.

عَلَيْـهِ، وَإِمَاتَتُـهُ الِافْـتِرَاقُ عَنْـهُ...))[١]. أراد بـ(الشِّـعار) الدعـوة إلى تفريـق جمـع النـاس مـن خـلال اتخـاذ القـرآن الكريـم سـبيلاً الى التَّفرقـة والسّـعي الى إضلالهـم مـن خـلال صرف القـرآن الكريـم عـن معانيـه الحقيقيـة، ولهـذا أمـر (عليه السلام) بقتـل مـن يدعـو إلى ذلـك، فلـو كان الأمـر مُقتَصِراً عـلى شـعار التَّفرقـة، لما كان ذلـك مدعـاة إلى قَتـل مـن يدعـو الى ذلـك، لكـن لارتبـاط ذلـك بالفتنـة والإضـلال وتفريـق الجمـع والدّعـوة الى التّكفـير، صـار ذلـك مسـوّغاً لقتـل مـن يدعـو إلى ذلـك، وكان مصـداق هـذه الدّعـوة عنـد الإمـام شـعار الخـوارج (لاحكـم إلاّ لله) الـذي دعـا إليـه رؤوسـهم لّما رفعـت المصاحـف في (صِفّـين). ولهـذا قـال(عليه السلام) في ختـام كلامـه: ((...**إِنَّـمَا اجْتَمَـعَ رَأْيُ مَلَئِكُـمْ عَـلَى اخْتِيَـارِ رَجُلَيْنِ، أَخَذْنَـا عَلَيْهِـمَا أَلَّا يَتَعَدَّيَـا الْقُـرْآنَ فَتَاهَـا عَنْـهُ، وَتَـرَكَا الْحَـقَّ وَهُمَـا يُبْصِرَانِـهِ، وَكَانَ الْجَـوْرُ هَوَاهُمَـا فَمَضَيَـا عَلَيْـهِ...**))[٢]. فـكأن اسـتبداد الحكمـين برأيهـما، وغَلَبـة الهـوى عليهـما مَثّـل شـعاراً مـن شـعارات التّفرقـة بـين النـاس والدعـوة إلى خِداعهـم[٣]. ولـدرء ذلـك اسـتعمل الإمـام (صلاحياتـه الشّرعيـة)، بوصفـه إمـام الأمّـة وخليفتهـا المفـترض الطاعـة، لقطـع الطريـق أمـام مـن يُهـادن أمثـال هـؤلاء مـن الخـوارج وغيرهـم، لئـلا تتخـذ الشـعارات المُضَلِّـلة وسـيلة لإضـلال النـاس وصرفهـم عـن الـصراط المسـتقيم، مثلـما صـار شـعار الخـوارج كلمـة حـقٍّ يُـراد بهـا باطـل.

سَرَابِيل

السِّرْبَـال القَميـص، وجَمعـه سَرَابِيل[٤]. وسَرْبَلْتُـه أَلْبَسْتُـه السِّرْبـال[٥]. وكلّ مـا لُبِـس،

(١) نهج البلاغة: خ / ١٢٧: ٢٣٣.

(٢) نهج البلاغة: خ / ١٢٧: ٢٣٣.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٥٦٥.

(٤) ينظر: العين (سربل): ٧/ ٣٤٤.

(٥) ينظر: جمهرة اللغة (سربل): 2/ 1120.

فهو سِربَال[١].و تطلق هذه اللفظة على الدِّرع أيضا[٢]. وهذه اللفظة من الألفاظ الفارسيّة المعرّبة، وأصله فيها (شِلْوَار)[٣].وربّما استعمل هذا اللفظ في بعض الألسن العربية الدّارجة على القلب، فقيل (شِرْوَال)[٤].

وقد وردت الفاظ (سَرَابِيل) بصيغة الجمع على (فَعَالِيل) مجردة من (ال) التعريف ثلاث مرات في نهج البلاغة، ومحلاة بـ(ال) مرة واحدة. في حين استعملت مفردة (سِرْبَال) بصيغة المفرد مرتين؛ الثانية منهما مضافة إلى ضمير الغائب المفرد (سِرْبالُه). ووردت لفظة (مُتَسَرْبلين) مرة واحدة[٥]، للدلالة على ما يأتي:

أولاً: الدلالة على الدّروع، ولباس الحرب.

وجاءت هذه الدلالة في سياق تحذيره (لمعاوية) الذي يقول: ((...**وَأَنَا مُرْقِلٌ**[٦] **نَحْوَكَ فِي جَحْفَلٍ**[٧] **مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَالْأَنْصَارِ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ شَدِيدٍ؛ زِحَامُهُمْ... مُتَسَرْبِلِينَ سَرَابِيلَ الْمَوْتِ، أَحَبُّ اللِّقَاءِ إِلَيْهِمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ**...))[٨]. والمقام - كما سلف - مقام تحذير ووعيد، أراد فيه الإمام بيان شِدّة ولع أصحابه في قتال الأعداء من اهل الباطل، فاستعمل لهم لفظ (مُتَسَرْبِلين) بصيغة اسم الفاعل المجموع، للدلالة على ارتدائهم لباس الموت، في كناية عن أكفان الموت، كأن

(١) ينظر: المحكم (سربل):٨/ ٢٥٢. لسان العرب (سربل):١١/ ٣٥٥.

(٢) نفسهما.

(٣) ينظر: مع نهج البلاغة: ٢٠٣.

(٤) نفسه.

(٥) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢١٣.

(٦) الإرْقَال الإسْراع. ينظر: لسان العرب (رقل):١١/ ٢٩٣.

(٧) الجحفل الجيش الكثير. ينظر: لسان العرب (جحفل):١١/ ١٠٢.

(٨) نهج البلاغة: ك/ ٢٨: ٤٩٣.

هـؤلاء لشـدّة رغبتهـم في مقارعـة العـدوّ ومنازلتـه دون وجـل مـن المـوت، ارتـدوا لِبَاسـهم الـذي يَـدُلّ في هـذا السياق عـلى أمريـن ؛ الأول هـو الـدروع وعـدّة الحَـرب التـي يلبسـها المقاتـل عنـد عَزمـه عـلى القتـال. ولهـذا احتمـل الـشّرّاح هـذه الدلالـة المتقدمـة جاعلـين تعبـير (سَرَابِيـل المـوت) كنايـة عـن هـذه الأدوات[1].أمّـا الاحتـمال الثـاني الـذي تحتملـه اللفظـة المتقدمـة، فهـو الدلالـة عـلى الأحـوال التـي وَطَّنـوا أنفسـهم عليهـا مـن اسـتعدادهم إلى القتـال والقَتْـل بـين يَـدي إمامهـم[2]. كنايـة عـماّ يكـون في صدورهـم مـن السّـعة والانـشراح بالقتـال والقتـل[3].

أقـول: وثمّـة احتـمال آخـر يسـتفاد مـن دلالـة مفـردة (سِرْبـال) على(القميـص). وهـو أن تكـون الكلمـة دالـة عـلى (الأكفَـان) التـي يلبسـها مـن يُوَطِّنـون أَنفسـهم إلى القَتـل. فجـاء إيـراد الإمـام لهـذه المفـردة مناسـب لحـال هـذا الجَحفـل الـذي يقـوده لقتـال معاويـة ؛ فكأنـه (عليه السلام) يريـد الإشـارة إلى إسراع جيشـه إلى المـوت مـن خـلال ارتدائهـم هـذه (السَرَابِيـل) إشـارة إلى حبِّهـم لقـاء الله جـل جلالـه[4].

أقول: ومفـردة (سَرَابِيـل) بهـذه الدلالـة قريبـة مما ورد في القـرآن الكريـم في قولـه تعـالى في مقـام تَفضّـل الله عـلى الإنسـان: ﴿... **سَرَابِيـلَ تَقِيكُـمُ الْحَـرَّ وَسَرَابِيـلَ تَقِيكُـم بَأْسَـكُمْ كَذَلِـكَ يُتِـمُّ نِعْمَتَـهُ عَلَيْكُـمْ**...﴾[5]. وقـد ذكـر المفسرون أن لفـظ (السَّرَّابِيـل) لفـظ عـام يقـع عـلى كلِّ مـا كان مـن حديـد أو غـيره. وهـو في الآيـة دال عـلى الـدّروع

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٢٤٥.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: الديباج الوضي:٥/ ٢٢٦٢.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٢٤٥.

(٥) النحل / ٨١.

والجَواشِـن[١]. وهـي أشـبه بالسرِّبـال الـذي يسـتعمله الجنـود في الحـروب اتقـاءً للطعـن حفظـاً لأنفسـهم[٢].

ثانياً: الدلالة على التّقوى وترك الآثام.

ومـن ذلـك قولـه (عليه السلام) في بيـان صفـات المتّقـين: ((**إِنَّ مِـنْ أَحَـبِّ عِبَـادِ الله إِلَيْـهِ عَبْداً أَعَانَـهُ الله عَـلَى نَفْسِـهِ فَاسْتَشْـعَرَ الْحُـزْنَ وَتَجَلْبَـبَ الْخَـوْفَ... قَـدْ خَلَـعَ سَـرَابِيلَ الشَّـهَوَاتِ وَتَخَلَّـى مِـنَ الْهُمُـومِ...**))[٣]. والإمـام يصـف المتقـين الذيـن يعـدّون مـن أحـبِّ العبـاد إلى الله تبـارك وتعـالى. وأُولَى خصائصهـم إعانـة الله لهـم عـلى أنفسـهم وكبـح جماحهـا، وصـدِّ شـهواتها. فجـاء تعبير(سَـرَابِيـل الشَّـهَوَات) للتجسـيد الشّـهوات وإنزالهـا منزلـة اللّبـاس الـذي يرتديـه المـرء. والشَّـهوَات جمـع (شَـهوَة)، وهـي اشـتياق النّفـس إلى الـشيء ونزوعهـا إلى مـا تريـده مـن المعـاصي والآثـام[٤]. فلـمّا كانـت هـذه (الشَّـهوات) تَلبَـس الإنسـان وتشـتمل عليـه، وهـو يرتديهـا كـما يرتـدي (سَّـرَابِيلـه)؛ لهـذا اسـتعارها الإمـام للشّـهوات التـي تبـدو كاللّبـاس في الإنسـان[٥].وإنّـما جـاء بهـا عـلى بنـاء الجمـع مناسـبة للتعددهـا وكثرتهـا في الإنسـان. ولـمّـا كان المـراد، في هـذا المقـام، وَصـف المتّقـين ومدحهـم، لهـذا أبـان الإمـام عـن تقـوى هـؤلاء وخلاصهـم ممـا يبعدهـم عـن طاعـة الله عـن طريـق (خَلَعهـم) ألبِسـة شـهواتهم وطرحهـا.و(الخَلْـع) النّـزع والطّـرح[٦]، كنايـة

(١) ينظر: الكشاف:٢/ ٥٨٤، و المحرر الوجيز: ٣/ ٤١٢.

(٢) نفسهما.

(٣) نهج البلاغة: خ / ٨٧: ١٤٠، ١٤١.

(٤) ينظر: تاج العروس (شهو):٣٠ / ٤٠٢.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٤١١.

(٦) ينظر: لسان العرب (خلع):٨ / ٧٦.

طرح الشّهوات والانشغال بالطّاعة والعِبادة[١].

أقول: وتبدو مفردة (خَلَع) مناسبة لقوله (سَرَابِيلَ الشَّهَوَاتِ) ؛ فـ(الشَّهوَة) أمر مرتكز في نفس الإنسان وغريزته، و(السّربَال) من الفاظ الألبسة التي تكون ظاهرة للعيان، لذلك جاء التعبير بلفظ (الخَلْع) لائقاً لمعنى تَخلِّي المرء عن شهواته ورغباته غير الصّالحة الحميدة المرتبطة بنفسه الأمّارة بالسّوء، والانتقال بها نحو الطاعة والإيمان. ويمكن إظهار الدّقة في اختيار الإمام لمفرداته، من خلال قوله في سياق كلامه عن (الحَجِّ) والطقوس التي يقوم بها (الحَجِيج) بقوله: ((... **فَصَارَ مَثَابَةً**[٢] **لِمُنْتَجَعِ**[٣] **أَسْفَارِهِمْ، وَغَايَةً لِمُلْقَى رِحَالِهِم... قَدْ نَبَذُوا السَّرابِيلَ وراءَ ظُهُورِهِم...**))[٤]. فاستعمل (عليه السلام) في هذا السياق تعبير (نَبَذُوا السَّرَابِيلَ)، والنَّبذ طَرح الشيء من اليَد إلى الإمام أو الى الخلف حسبما يذكر اللغويون[٥]. فهؤلاء الحجيج يقصِدُون الله تبارك وتعالى في بيته تاركين كل شيء خَلْفَهم من لوازم الدنيا و متعلقاتها، ومنها (السَّرابيل)، وهي ألبستهم التي يرتدونها،فيخلعونها مرتدين بدلاً عنها إحرام الحج.فجعل (عليه السلام) ملابس هؤلاء سرابيل ينبذوها خلفهم وأمامهم في سفرهم الى الله جل جلاله، راجعين إليه كما خلقهم أوّل مرّة.

أقول: وتوحي المفردة المتقدّمة بالدلالة على الكبر والعلو وسوء الخلق،وهي خصال ينبغي نبذها والتّخلّي عنها القصد الى بيت الله الحرام الذي حُرِّم فيه كل سوء وأذى ورفث وفسوق وجدال. يقول تبارك وتعالى: ﴿**الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ**

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٤١١.

(٢) المثابة المجتمع الذي يثوب اليه الناس، وهو البيت الحرام. ينظر: العين (ثوب):٨/ ٢٤٦.

(٣) المنتجع مأخوذ من (النجعة) وهي الذهاب في طلب الكلأ. ينظر: لسان العرب (نجع):٨/ ٣٤٧.

(٤) نهج البلاغة: ك/ ١٩٢: ٣٦٩.

(٥) ينظر: لسان العرب (نبذ): ١/ ٥١١.

فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾[١]. فكأنّ أمير المؤمنين يومئ بنذ هذه (السّرابيل) الى قوله تعالى المتقدّم. فجاء بلفظتي (خَلَعَ) و(نَبَذُوا)، فالأولى منهما مخصوصة بنزع الخصال الذميمة وطرحها، والثانية لترك السّرابيل من الألبسة والشّهوات من الرّفث والفسوق والجدال وراء ظهورهم، فضلاً عن نَبذ الدنيا وما فيها. فكأنّ الإمام يشير إلى ما نُبِذ من أمور الدنيا التي ينبغي أن يتخلّى عنها الذاهبون إلى الله تبارك وتعالى. والمشترك في المعنى المتقدم هو مفردة (سَرَابِيل) التي توحي بالدلالة على ما يكون في المرء من خصال العَنَت والكبر والخيلاء والشدة، فضلاً عن الفسوق في نهج البلاغة ويبدو ذلك واضح في قول الإمام الذي يصف فيه حال اهل المعصية يوم القيامة: ((**وَأَمَّا اهل المَعْصِيَةِ، فَأَنْزَلَهُمْ شَرَّ دَارٍ، وَغَلَّ الْأَيْدِيَ إِلَى الأَعْنَاقِ... وَأَلْبَسَهُمْ سَرَابِيلَ القَطِرَانِ وَمُقَطَّعَاتِ النِّيرَانِ....**))[٢] فقال: (سَرَابِيلهُم من قَطِرَان) ولم يقل،على سبيل المثال، (لِبْسُهُم من قَطِرَان). أو (ثِيَابُهم من قَطِرَان)، لما سبق من تضمّن هذه المفردة دلالة الذَّم، فلهذا جاء الإمام بلفظة (أَلبَسَهُمْ)، لإظهار الدلالة على اكتسائهم بهذا الضّرب من ثياب العذاب وألوانه. و(القَطِرَان) ما يَتَحَلَّب من شجر الأَبْهَل والأُرُزّ الذي يطبخ لتُهَنَّأ به الإبل[٣]. فتعالج به الإبل من الجَرَب وغيره. ويتّخذ القَطِران من نَبات العَرْعَر والعُتُم الذي تكون الابل أقل صبراً عليه[٤]؛ لشدته عليها، إذ تؤدّي هذه العُصارة إلى اشتعال النار في جلودها[٥].

(١) البقرة/ ١٩٧.

(٢) نهج البلاغة: خ / ١٠٩: ٢٠٣.

(٣) ينظر: العين (قطر):٥/ ٩٦، والمحكم (قطر):٦/ ٢٦٥.

(٤) ينظر: المخصص:م/ ٢: س/ ١٦٤:٧.

(٥) ينظر: لسان العرب (قطر): ٥ / ١٠٥.

أقول: ويبدو الأثر القرآني واضحاً في كلام الإمام،فقد وصف القران الكريم حال المجرمين يوم القيامة وما يجري عليهم من العذاب في قوله: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٤٩) سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾[١]. وذكر المفسرون أنّ المعنى هو جعل قُمُص اهل النّار من القَطِرَان الذي تُهَنّأ به الإبل، إذ يكون للنار فيه اشتعال شديد، فجعله الله تبارك وتعالى سرابيلاً لهؤلاء تكسى أجسادهم به وتهنأ[٢]، وذلك علاجاً لهم ومداواة الغرض منها إصلاحهم مما كانوا فيه من الذنوب والمعاصي. وثمّة أمر مُمَيّز في التعبيرين القرآني والعَلَوي لـ(سَرَابِيلُهُم مِن قَطِرَانٍ) و(سَرَابِيلَ القَطِرَان)، فالفارق بينهما في تركيب الكلام، إذ جاء بلفظ (قطران) مجروراً بـ (من)، في حين أنّ الإمام استعمل تركيب الإضافة بين مفردتي (سَرَابِيل) و(القَطِران). ومن هذين التعبيرين يمكن بيان العلاقة بين (السّرَابيل) وهذا النوع من العلاج الذي تعالج به الدواب. فـ(القَطِرَان) طلاء تُطْلَى به جلود الإبل والدواب التي يصيبها الجَرَب[٣]، في حين استعمل القرآن هذا الضرب من المراهم طلاء تُطْلَى به جلود اهل النّار، فيصير لهم كالسَّرابيل لإحاطته بجلودهم واشتمالهم به كما يشتمل باللّباس. ولمّا كان (القَطِرَان) مميّزاً بِحِدَّته وشِدّة حرارته على الجلد، حتى أنّها تبلغ جوف من يطلى به، وتكون عاملاً من عوامل اشتعال النار والإحراق بها[٤]، فضلًا عن لونه الأسود المُنتِن[٥]. ولهذا كان (القَطِرَان) مجمعاً لهذه الأوصاف المؤذية من اللذع والحرقة والإسراع في الاشتعال، فضلاً

(١) إبراهيم / ٤٩، ٥٠.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز: ٣/ ٣٤٨.

(٣) ينظر: الكشاف:٢/ ٥٣١.

(٤) ينظر: الكشاف:٢/ ٥٣١، ولسان العرب (قطر):٥ / ١٠٥.

(٥) نفسها.

عن قذارة اللون والرّائحة، فجعل عقاباً لاهل لقوته في الأذى وإسراعه في النار في جلود المخلدين في النّار. واستعمله الإمام (عليه السلام) في تصوير شدة الأذى الذي يتعرض له أصحاب المعاصي والآثام في الآخرة.

أقول: وثَمّة فارق بين (سَرَابِيلَ قَطِرَان) الدنيا و(سَرَابِيلَ القَطِرَان) في الآخرة مما لايمكن تصوّر أذاه وشدّته. ومع ذلك فهو حقيقة من حقائق القرآن الكريم المتعددة التي تظهر ما سيكون عليه حال المجرمين في الآخرة، والله أعلم بكل شيء من ذلك.

وقد أشار شُرَّاح النهج إلى أن مراد الإمام من قوله (سَرَابِيلَ القَطِرَان) هو جعل عذاب هذه الفئة من الناس العاصين بمنزلة الطلاء بالقَطِران الذي يمثل ضرباً من اللباس لهم، مع اجتماع الخصال الأربع لهذا الطلاء، وهي اللذع والحرقة، والإسراع في النار واشتعال الجلد بها، وقذارة اللون ونتن الرائحة [1]. والتفت الشارح البحراني إلى دلالة أخرى لمفردة (سَرَابِيلُهُم) فجعلها مستعارة لهيئآت البدن وجواهر النفوس، ووجه المشابهة بينهما الاشتمال بهذه الخصال، كما يشتمل السّربال بالبدن، وأمّا نسبتها إلى (القَطِرَان)، فهو إشارة إلى شِدّة استعدادهم للعذاب، وأمّا علّة توظيفه، فراجعة إلى كونه يسمح باشتعال النار بشكل أشد من غيره [2].

رابعاً: الدلالة على ريش الطاووس.

وهذه الدلالة قريبة مما ذكرتُهُ من أن لفظة (سِرْبَال) ضَرْبٌ من الإيحاء والزَّهْو والخُيَلاء. وقد تجسد ذلك في وصف أمير المؤمنين (عليه السلام) لجمال الطاووس بقوله:

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٧ / ١٦٥، والديباج الوضي: ٢/ ٨٩٠.
(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣ / ٥٢٧.

((...**يَمْشِي مَشْيَ المَرِحِ**[١] **المُخْتَالِ**[٢]**، وَيَتَصَفَّحُ ذَنَبَهُ وَجَنَاحَيْهِ فَيُقَهْقِهُ**[٣] **ضَاحِكاً لِجَمَالِ سِرْبَالِهِ**...))[٤]. يصف (عليه السلام) زَهوَ هذا الطّائر وكثرة اختياله، وخِفَّتِه ونشاطه، وهو ما يدعوه إلى القهقهة والضحك. والمراد بهما صياحه الذي شبهه الإمام بذلك مستعيراً اللفظين المتقدمين، لبيان زهوه وكثرة اختياله، فهو كالمتكبّر الذي اغترّ بنفسه، فيقهقه ضاحكاً من غروره وخيلائه. أمّا لفظة (سِرْبَاله)، فالمراد بها ريشه الذي يكتسي به، وهو ضرب متعدد الألوان والأشكال، فناسب أن يصفه (عليه السلام) بـ(السّربال) تشبيهاً له باللّباس المتعدد الألوان الذي يرتديه المرء المرح المختال المَزْهُوّ بنفسه.

نَسَائِج

النَّسْج نسج الثوب وغيره، وأصله ضَمُّ الشيء إلى الشيء[٥]. وقد كثر في كلامهم حتى قالوا نَسَجت الريح الترابَ، إذا سَحَبَت بعضَه إلى بعضٍ[٦]. ونَسَجَ الحائِك الثّوبَ يَنْسِجُه، إذا حاكَه بضَمِّ السَّدَى إلى اللُّحْمة من آلآت النَّسْج[٧].

ويقال للثوب نَسِيجُ وحدِه، وذلك إذا لم يُنسج على مِنْواله ثوب غيره لدقَّته، فيصير نَفِيساً كريماً لا نظير له[٨]. وأصبحت هذه الكلمة مثلًا يُضرب في الرَّجل

(١) المَرَحُ شِدّةُ الفرح والنشاط. ينظر: لسان العرب (مرح):٢/ ٥٩١.

(٢) الاختيال والخُيلاء والكبر والعجب. ينظر: لسان العرب (خيل):١١/ ٢٢٨.

(٣) القَهْقَهة ضرب من الضحك، وهو اشتداده. ينظر: لسان العرب (قهقه):١٣/ ٥٣١.

(٤) نهج البلاغة: ك/ ١٦٥: ٢٩٧.

(٥) ينظر: العين (نسج): ٦/ ٥٥، وتهذيب اللغة (نسج): ١٠/ ٣١٢.

(٦) ينظر: العين (نسج): ٦/ ٥٥.

(٧) ينظر: لسان العرب (نسج): ٢/ ٣٧٦.

(٨) ينظر: تهذيب اللغة (نسج): ١٠/ ٣١٣.

المحمود الذي لا عَيب فيه[١].

استعمل الإمام مفردات (نَسج) بصيغة المصدر، و(النَّسَّاج)، و (نَسَائج) بصيغة الجمع، و (مَنْسَجِه) اسماً للمكان مضافة إلى ضمير الغائب المفرد المذكر مرة واحدة لكل منها الألفاظ في نهج البلاغة[٢]، للدلالة على ما يأتي:

أولاً: الدلالة على حياكة العنكبوت لبيته.

وجاءت هذه الدلالة مثلاً في الوَهْن و الضِّعف. وذلك في مقام وصف أبغض الخلق إلى الله تبارك وتعالى، وهم صنفان ؛ فمنهم: ((**رَجُلٌ قَمَشَ**[٣] **جَهْلاً مُوضِعٌ فِي جُهَّالِ الْأُمَّةِ... فَإِنْ نَزَلَتْ بِهِ إِحْدَى الْمُبْهَمَاتِ هَيَّأَ لَهَا حَشْواً رَثًّا مِنْ رَأْيِهِ... فَهُوَ مَنْ لَبِسَ الشُّبُهَاتِ فِي مِثْلِ نَسْجِ الْعَنْكَبُوتِ...**))[٤]. يريد بـ(القَمَش) من الرّجال المتخبّط الذي لا يميّز بين الجيّد و الرّدئ من الأمور، المتسرّع الذي لا يُبصر الخروج من مبهمات الأمور، فكأنّ وقوعه في الشّبهات كيف يخرج التي يخرج بها من مبهمات الأمور، فكأنه في وقوعه في الشبهات مثل ما يقع في بيت العنكبوت، دلالة على عدم تبصّره للأمور وادراكها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يمكن أن يدل التعبير المتقدم على ضعف الملكات العقلية والقدرات الفكرية، ما يؤدي الى أن يكون القمش من الرّجال ضعيف الحجة والبرهان، ذي مذهبٍ واهٍ كنسج العنكبوت. والمقام - هنا - مقام تنفير وتحذير من الوقوع

(١) ينظر: تهذيب اللغة (نسج): ١٠/ ٣١٣، و مقاييس اللغة (نسج):٥/ ٤٢٤.

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٤٠.

(٣) القمش جمع الشيء من هنا وهناك. وهو الرّديءُ من كل شيءٍ. ينظر: لسان العرب (قمش): ٦/ ٣٣٨.

(٤) نهج البلاغة: خ / ١٧: ٤٦،٤٧.

في الشبهات الواهية، واتخاذها موئلاً للفتن، فوظّف الإمام مفردة (نَسْج) لتشبيه اختلاط الأمور واشتباكها على الجاهل، من جهة ضعف الرأي والحيرة التي يقع فيها، بنَسْج العنكبوت الذي يمتاز برقّة خيوط بيته ودقة حياكتها، ويصحب هذه الدقة يصاحبها اختلاط نسج هذه الخيوط وعدم الاهتداء إلى أصلها الذي بُدِء به، فضلاً عن الضعف والوَهْن، الأمر الذي يجعل لا يصمد أمام الخطر. فكأن الإمام (عليه السلام) يشير إلى ضعف الملجأ الذي يأوي إليه هذا الجاهل

ثانياً: دلالتها على مكان النَسج ومحلّه.

واستعمل الإمام مفردة (مَنْسَجِهِ)، وذلك في سياق حديثه عن صفة الغَوغاء إذا اجتمعوا أو تفرَّقوا، فشبّههم بأَصحاب المِهَن، عند تفرقهم الى عَمَلهم. يقول (عليه السلام): ((...**رَجْعَ أَصْحَابُ الْمِهَنِ إِلَى مِهْنَتِهِمْ، فَيَنْتَفِعُ النَّاسُ بِهِمْ، كَرُجُوعِ الْبَنَّاءِ إِلَى بِنَائِهِ وَالنَّسَّاجِ إِلَى مَنْسَجِهِ**...))[1]. والمَنْسَج مكان عمل النَسِيج وصناعته.

ثالثاً: دلالتها على ما يُنسج من مَلابِس فاخرة مصنوعة من القَزِّ.

وجاءت هذه الدلالة في حديثه (عليه السلام) عن تقواه وامتناعه عن ملذات الدنيا وزخرفها يقول: ((**وَإِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرُوضُهَا بِالتَّقْوَى ؛ لِتَأْتِيَ آمِنَةً يَوْمَ الْخَوْفِ الْأَكْبَرِ... وَلَوْ شِئْتُ لَاهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ إِلَى مُصَفَّى هَذَا الْعَسَلِ، وَلُبَابِ هَذَا الْقَمْحِ، وَنَسَائِجِ هَذَا الْقَزِّ، وَلَكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ**...))[2]. والنّسائِج، جمع (نَسج)، وهي ما يُحاك من خيوط لصناعة القزّ و الحرير الذي تنسج منه ألبسة شتّى فاخرة. وتدل المفردة المتقدمة على (الثياب) الفاخرة المأخوذة من الديباج الإبرسيم، بوصفها من أعلى المنسوجات وأشرفها.

(١) نهج البلاغة: قصا / ١٩٩: ٦٣٩.

(٢) نفسه.

رِدَاء

الـرِّدَاء الثّـوْب أو الـبُرد الـذي يضعـه الإنسـان عـلى عاتِقيـه وبـين كَتفيـه فـوق ثيابـه[١].و قـد فـرّق اللغويـون بـين ضروب الألبسـة التـي يرتديهـا الإنسـان، ومَيّـزوا بـين نوعـين منها،وهمـا (الـرِّداءَ) و(الإزار)، فالـرِّداء مـا يَسـتُر أعـلى البَـدَن، وهـو مـا عـلى العاتـق والظهـر،في حـين أنّ (الإزار) مخصـوص بـما يَسـتُر أسـفل البَـدَن، وكلاهمـا غـير مخيـط[٢]. ولهـذا قيـل:إنّ الـرِّداء – عنـد العـرب – مـا يُلْبَـس فـوق الثيـاب كـما تُلْبَـس الجُبَّـة والعبـاءة[٣].

ويكنّـى بـ(الـرِّداء) عـن الكـرم وسـعة المعـروف، إذ يقـال: (فـلان غَمْـرُ الـرِّداء). إذا كان كثير المعـروف واسِـعه، وإن كان رِداؤه صغـيراً[٤]. قـال كثـيرّ عـزّة[٥]:

غَمْرُ الرِّداءِ إذا تبَسَّمَ ضاحِكاً   غَلِقَتْ لضِحْكَتِه رِقابُ المالِ

ويسـمّى الدَّيْـن رداءً أيضـاً، وهـذه الدلالـة أخذهـا اللغويـون عـن الإمـام علي(عليه السلام)[٦]. فقد نُقِل عنه القـول: ((**مَن أرَادَ البَقَـاءَ،ولا بَقـاءَ، فلْيُخَفِّفِ الرِّدَاءَ. قيل: ومـا خِفَّـةُ الـرِّدَاءِ ؟ قـال: قِلَّـة الدَّيْنش**))[٧]. وإنّـما سـماّه رِدَاء ؛ لأنّـه يقـع في موضـع لبس الـرِّداء، مـن المنكِبَين ومجمـع العُنـق كـما يبدو.فإنّـه يثقـل عاتـق المـرء ويجهده. والعـرب

---

(١) ينظر:النهاية في غريب الحديث:217/ 2.

(٢) ينظر: تاج العروس (ازر):2452/ 1.

(٣) ينظر المعجم الوسيط:706/ 1، وألفاظ الحضارة (رجب عبد الجواد): 275.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة (ردي):119/ 14.

(٥) ديوانه: 288، و تهذيب اللغة (ردي):119/ 14.

(٦) ينظر: النّهاية في غريب الحديث:٢/ ٥١٩.

(٧) نفسه.

تقول في ضَمان الدَّين: هذا لك في عُنُقي، ولازِم في رَقَبتي[١].فجعلوه واقعاً موضع النّحر منهم، في إشارة الى أنّ حفظه وأداءه كحفظ المرء لنفسه وحرصه عليها. ومعنى كلامه: فلْيُخَفِّف ظَهْره ولا يُثْقِله بالدَّين[٢]. ويسمّى السيف والقوس رداءً أيضاً ؛ لأنّ من تَقَلَّدها كأنّه تردّى بها[٣].

وجاءت مفردة (رِدَاء) مرتين في نهج البلاغة[٤]، وبدلالتين ؛ الأولى منها ساقها (عليه السلام) للدلالة على (الجَبرِيَّة) الذي يختص به الله تبارك وتعالى، وذلك في قوله الذي يتحدث فيه عن (إبليس): ((...**عَدُوُّ الله إِمَامُ الْمُتَعَصِّبِينَ وَسَلَفُ الْمُسْتَكْبِرِينَ الَّذِي وَضَعَ أَسَاسَ الْعَصَبِيَّةِ وَنَازَعَ اللهَ رِدَاءَ الْجَبْرِيَّةِ**...))[٥]. وليس المراد بـ(رِدَاءَ الجَبْرِيَّةِ) الرّداء المعروف الذي يمثله اللباس المادي، وإنما ما جلّل الله به نفسه من جبروت وعظمة لا يملكها غيره. وقد عصى إبليس الله تعالى وادَّرع العزّة بالإثم لباساً له، وأراد انتزاع رداء الجبروت الذي يستأثر به الحق تعالى، فلهذا أُخْرِج مذموماً مدحوراً. والظّاهر أنّ مفردة (رِدَاء) قد انتقلت بالوصف المتقدم من الدلالة المادية إلى الدلالة الحسيّة التي لا يمكن تصوّرها إلاّ بما يلاحظه الإنسان من قوّة وقهر وسطوة لله تبارك وتعالى التي تبدو آثارها في الحياة الدنيا.وقد كنّى الإمام عن ذلك كلّه بمفردة (رِداء) التي أضاف اليها كلمة (الجبرية)، وهي مفردة تدل على الجبّار المتكبّر الذي لايرى لأحد عليه حقاً[٦].وهذه الصفة من الصفات المخصوصة بالله

(١) ينظر: تهذيب اللغة (ردي):119/ 14، و النهاية في غريب الحديث:217/ 2.

(٢) ينظر: النهاية في غريب الحديث:217/ 2.

(٣) ينظر: النهاية في غريب الحديث:217/ 2، ولسان العرب (ردي):316/ 14.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: 185.

(٥) نهج البلاغة: خ / 192:360.

(٦) ينظر: المحكم (جبر): ٧/ ٤٠٦.

جل جلاله، وقد ورد في الحديث عند الإمام الباقر (عليه السلام) في صفة (العِز) الذي تجلّل به الخالق تبارك وتعالى: ((**العزُّ رِداءُ اللهُ وَالكِبْرِياءُ إزارُهُ، فَمَنْ تناوَلَ شَيئاً مِنْهُ أكَبَّهُ اللهُ في جَهَنَّم**))(١).

أمّا المعنى الثاني الذي جاء به الإمام لمفردة (رِدَاء)، فهو دلالتها على ما يرتديه الناس على عواتقهم. وجاء ذلك في سياق وَصف (بَيْعته بالخلافة)، وما جرى على النّاس من تدافعٍ وازدحام عليه: ((**وَبَسَطْتُمْ يَدِي فَكَفَفْتُهَا... ثُمَّ تَدَاكَكْتُمْ عَلَيَّ تَدَاكَّ الإِبِلِ الْهِيمِ عَلَى حِيَاضِهَا يَوْمَ وِرْدِهَا حَتَّى انْقَطَعَتِ النَّعْلُ وَسَقَطَ الرِّدَاءُ وَوُطِئَ الضَّعِيفُ...**))(٢).

والرداء -هنا- هو اللباس المعروف الذي يستعمله الناس. و قد كنّى الإمام بسقوط ردائه عن شِدّة الزّحام والتدافع عليه، وهو ما يدل على رغبة الناس فيه وميلهم إليه. ولّما كان الرِّداء مما يعتنى به عند المرء، فلهذا أشار إلى سقوطه في هذه الحادثة، ليدل على عدم عناية النّاس بمظاهرهم وهيأة لباسهم، لعنايتهم ببيعته واندفاعهم نحوه، حبّاً وسروراً ببيعتهم له(٣).

كِسْوَة

الكُِسْوة -بالكسر والضم- اللّباس(٤).

و(كَساهُ) و(كِسْوَة) من مفردات نهج البلاغة التي وردت مرة واحدة لكلٍ

(١) وسائل الشيعة:15 / 374.

(٢) نهج البلاغة:خ / 229:443،444.

(٣) ينظر: الديباج الوضي: ٤/ ١٨٣٣.

(٤) ينظر: العين (كسو):391/ 5، ولسان العرب (كسا):223/ 15.

منهما[١]، للدلالة على ما يأتي: وبدلالتين.

الأولى: الدلالة على السَّتْر.

واستعملت في هذه الدلالة مفردة (كَساهُ) في قوله: ((**مَنْ كَسَاهُ**[٢] **الْحَيَاءُ ثَوْبَهُ لَمْ يَرَ النَّاسُ عَيْبَهُ**))[٣]. ويفهم من النّص أنّ (الحياء) هو الذي (كَسى) المرء (ثَوْبه)، فهو الكاسي السَّاتر للإنسان، ومفردة (كَسَاه) قرينة على الاستعارة التي استعمل فيها الإمام مفردة (الثّوب) لما يشمل الإنسان من الحياء ويستره[٤].

الثانية: دلالتها مَلْبَس الإنسان وحاجياته.

وقد أورد الإمام هذا المعنى في وصاياه إلى عمّاله على الخراج التي يقول فيها: ((...**وَلَا تَبِيعُنَّ لِلنَّاسِ فِي الْخَرَاجِ كِسْوَةَ شِتَاءٍ وَلَا صَيْفٍ**...))[٥]. ومفردة (كِسْوَة) تدل على المَلْبَس ومتعلقاته من حاجات الإنسان من اللباس الخاص بالشتاء والصيف وغير ذلك من مؤونة الإنسان من الألبسة ولوازمها.

تَقَمَّصَهَا

القميص ضرب معروف من الملابس[٦]، وهو ثوب مخيط بِكُمَّين غير

---

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٠٠.

(٢) رويت هذه الحكمة عند الشّارح(البحراني): ((مَنْ كَسَا الحَيَاءُ ثَوْبَهُ...)). ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني):٥/ ٤٥٥.

(٣) نهج البلاغة: قصا / ٢٢٣: ٦٤٢.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني):٥/ ٤٥٥.

(٥) نهج البلاغة: ك / 51: 542.

(٦) ينظر: لسان العرب (قمص):82/ 7.

مفرجٍ، يُلْبَس تحت الثياب. ولا يكون إلاّ من قُطن أو كَتّان(١). وقيل: بل هو الشِّعار الذي يُلبس تحت الدِّثار(٢). ويطلق لفظ القميص في العصر الحديث على اللباس الرقيق الذي يرتدى تحت السترة غالباً(٣). والقميص لفظ مذكر، فإن أُنِّث، فقد أُرِيد به الدّرع(٤).

ومفردة (تَقَمَّصَها) بصيغة (تَفعّل) المتصلة بضمير الغائبة من ألفاظ نهج البلاغة التي استعملت فيه مرة واحدة(٥)، للدلالة على اتخاذ الخليفة (أبي بكر) الخلافة قميصاً. وذلك في سياق كلامه (عليه السلام) عن الشكوى من أمر الخلافة التي يقول فيها: ((**أَمَا وَاللهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلَانٌ، وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَا**...))(٦). ولفظة (تَقَمَّصَهَا) وردت على بناء (تَفعّل)، وهو بناء يدل على التكثير والمبالغة، كأنّه (عليه السلام) أراد بيان مبالغة الخليفة (أبي بكر) في الاستيلاء على (الخلافة)، حتى جعلها كقميصه الذي يلبسه من جهة اشتمالِه على بدنه واستتاره به(٧) وتلفّعه به. فكأنّه اتّخذ الخلافة رِداءً يكسو بدنه ويستره. وذلك على جهة استعارة لفظ (القميص) للخلافة والكناية به عن تَلَبّس (أبي بكر) بها(٨)، والضمير في (تَقَمَّصَهَا) عائد على الخلافة. وقيل: بل عائد على (الإمامة)(٩).

(١) ينظر: تاج العروس (قمص): 128/ 18.

(٢) ينظر: المعجم الوسيط: 759/ 2.

(٣) نفسه.

(٤) ينظر: العين (قمص): 70/ 5، و تهذيب اللغة (قمص): 298/ 8.

(٥) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: 381.

(٦) نهج البلاغة: خ/ ٣:٢٨.

(٧) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١/ ١٥٤، وشرح نهج البلاغة (البحراني): ١/ ١٧٣.

(٨) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ١/ ١٧٤، والديباج الوضي: ١/ ٢٠١.

(٩) ينظر: الديباج الوضي: ١/ ٢٠١.

أقول: إن استعمال الإمام بناء (تَفَعّل) في الدلالة المتقدمة جاء مناسباً لحال الخليفة (أبي بكر) الذي تحقق لديه أنّه مستحق لهذا المنصب. فاستعمل الإمام بناء (تَفَعّل) ليدل به على معنى التّلبّس وصيرورة الصفة في صاحبها. ويذكر الصرفيون أنّ البناء المتقدم يؤتى به عندما يريد المرء أن يدخل نفسه في أمر حتى يضاف إليه ويكون من اهله، نحو: تَبَصَّر، وتَحَلَّم: أي صار ذا بصيرة وحلم[١]. ويكون ذلك في المحبوب المطلوب من الأمور دون المكروه منها[٢]. وبحسب هذا الوجه يكون لفظ (تَقَمَّص) حاكياً عن حال الخليفة (أبي بكر) الذي يكون في ظنّه أنّه اهل للخلافة، كأنّه هو الأجدر بها دون غيره. وقد تضمّن هذا البناء الدلالة على عدم استحقاق هذا المنصب، فضلاً عن بطلان هذه الخلافة المتقمَّصة[٣]. في إشارة إلى أنّ (التَّقَمُّص) غير مقتصر معنى الارتداء المجازي، وإنما يتضمّن النُّزُوِّ والتَّسلُّط الذي قام به الخليفة (أبو بكر). كأنّ الإمام يلمح إلى أنّ خلافة أبي بكر أمر دُبِّر بلَيل، فَقُمِصَ على حقِّ الإمام فيها كما يَقْمُص الفَرَس حين يرفع يديه ويطرحها أرضاً عند نزوّه[٤]. فضلًا عن ذلك، ففي المسكوت عنه في كلام الإمام ولفظة (تَقَمَّص) إيحاء ودَّلالة على ماتستر به عورات الإنسان وخُلّته. كأنَّ الساعي إلى تقلّدها كمن يرغب في التعويض عما فيه من طِماح إلى السلطة وزهوها واتخاذها درعاً يلوذ به كما يلوذ الدَّراع بالحديد في الحرب.

(١) ينظر: كتاب سيبويه: ٤/ ٧١.

(٢) ينظر: كتاب سيبويه: ٤/ ٧١.

(٣) ينظر: منهاج البراعة: ٣/ ٤١.

(٤) ينظر: مقاييس اللغة (قمص):٥/ ٢٧، ولسان العرب (قمص): ٧/ ٨٢.

٣ـ الثياب البالية.

رَقَّعْت

الرُّقْعَة الخِرْقة، وهي التي يُرْقع بها الثَّوب[١]، واسْتَرْقَع الثوب، إذا حانَ له أَن يُرْقَعَ في المواضع التي انْهَجَت منه[٢] بـ(إلحَامِ خَرْقِه) وإصلاحه بسَدِّها[٣]. ولهذا قيل لكل ما سُدّ من خلّة إنها رُقِّعَت[٤].

وجاءت مفردة (رَقَّعْت) و (يَرْقَع) مرة واحدة لكلٍ منهما في نهج البلاغة[٥]، للدلالة ترقيع خلّة المَلْبَس البَالي الخَلِق. إذ استعملت مفردة (رَقَّعْت) مع لفظة (مِدرَعة) في قوله الذي يصف فيه زهده وتواضعه: ((**وَاللهِ لَقَدْ رَقَّعْتُ مِدْرَعَتِي هذه حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا وَلَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ أَ لَا تَنْبِذُهَا عَنْكَ ؟...**))[٦]. أراد (عليه السلام) الإبانة عن شظف عيشه و بِلَى ثيابه وإنهاجها، فاستعمل اللفظة المتقدمة بصيغة (فَعَّل) دلالة على كثرة المرات التي الْحَمَها فيه. وهذه الصيغة الصرفية التي استعملها الإمام دلّت على التكثير مناسبة لتعدد ترقيع مدرعته وكثرته. وذكر الإمام في موضع آخر تواضع النبي في قوله:)) **وَلَقَدْ كَانَ (صلى الله عليه وآله) يَأْكُلُ عَلَى الأرض...وَيَخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ وَيَرْقَعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ...**))[٧]. وتوحي لفظة (يَرْقَعُ) بالدلالة على أمرين ؛ الأول تواضع النبي من خلال قيامه بتلك الأعمال بنفسه،

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة (رقع):429/ 2، ولسان العرب (رقع): 131/ 8.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: لسان العرب (رقع): 131/ 8.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة (رقع):158/ 1، ولسان العرب (رقع): 131/ 8.

(٥) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: 881.

(٦) نهج البلاغة:خ / 160: 285.

(٧) نفسه:خ/ ١٦٠: ٢٨٤.

والثاني عدم عنايته بالألبسة المزخرفة والحُلل المدبّجة وركونه إلى التواضع واكتفائه بلباسٍ يستر بدنه، بحيث أنه لا يميل إلى استبداله، وإنما يعمد إلى ترقيعه.

كأنّ لفظة (يَرْقَع) توحي بالدلالة على أمرين ؛ الأول تواضع النبي وقيامه بتلك الأعمال بنفسه، والثاني عدم عنايته بالألبسة المزخرفة والحُلل المدبّجة، وركونه إلى التواضع واكتفائه بلباسٍ يستر بدنه، بحيث أنه لا يميل إلى استبداله وإنما يعمد إلى تر قيعه.

طِمره

الطِّمْر الثوب الخَلِق[١]. وخُص الطِّمْر بالكِساءَ البالَي من غير الصُّوف[٢].

واستعمل الإمام لفظة (طِمْراً) نكرة منصوبة، و(طِمره) مضافة إلى ضمير الغائب، و (طِمْرَيْه) بصيغة التثنية مضافة إلى ضمير الغائب المفرد مرة واحدة لكل منها الألفاظ في نهج البلاغة[٣]. وقد خص الإمام نفسه بهذه الدلالة، في مقام الحديث عن زهده وتقواه، وعدم اغتراره بالدنيا وزخرفها، مُوَجِّهاً كلامه إلى بعض عماله: ((**أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُوم إِمَاماً يَقْتَدِي بِهِ، وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ. أَلَا وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ، وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصَيْهِ...**))[٤]. ويقول في موضعٍ آخر: ((**فَوَ اللهِ مَا كَنَزْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تِبْراً، وَلَا ادَّخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا وَفْراً، وَلَا أَعْدَدْتُ لِبَالِي ثَوْبِي طِمْراً، وَلَا حُزْتُ مِنْ أَرْضِهَا شِبْراً**))[٥]. والمراد بفردة

(١) ينظر: العين (طمر): 7 / 424، وجمهرة اللغة (طمر): 417/ 1.

(٢) ينظر: لسان العرب (طمر): 502/ 4.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: 276.

(٤) نهج البلاغة: ك 531:45.

(٥) نفسه.

(طِمْرَيْـهِ) ثوبـه الخَلِـق المتواضـع، واسـتعماله لفـظ التثنيـة يحتمـل أمريـن ؛ فأمّـا لأنهـما إزار ورداء يَسْـتران الجسـد والـرأس[١]. وقيـل: بـل همـا ثـوب واحـد مـن جزأيـن لا يستغنى عـن أحدهمـا معـاً، وكلاهمـا يَسـتُران البَـدن[٢]. أو أنّـه لم يكـن يمتلـك سـوى هذيـن الثَّوبَـين الباليَـين اللذيـن يسـتبدل أحدهمـا بالآخـر وكلاهمـا بالٍ.ومما يسـتدل عـلى ذلـك قولـه: (وَمِن طُعْمه بِقُرصَيهِ). فـ(القُرْصَـان) مـن الخبـز همـا قُـرص واحـد، ولكنـه أراد بتثنيتـه مـا يأكلـه (عليه السلام) مـن خبـز في الوجبـة الواحـدة، كأنّـه يريـد القـول أنـه لا يـأكل الّا مرتـين في اليـوم الواحـد فحسـب زهـداً وورعـاً.أو كـما قـال بعـض الـشُرَّاح رَغِيـف بُكـرَةٍ ورغيـف عَشِـيّاً دون زيـادة[٣].

وأمّـا قولـه: (لِبَـالِي ثَـوْبِي طِمْـراً)، فـ(الطِمْـر) هـو الثـوب البـالي، وهـو مـا ركـن اليـه الـشُرَّاح عنـد تفسـير قولـه المتقدم[٤]. ويلحـظ أنّ إيثـاره(عليه السلام) لمفـردة (طِمْـر) في النصيـن المتقدمـين راجـع إلى مـا توحيـه المفـردة مـن دلالـة عـلى طَمـر النّفـس ودفنهـا بـه[٥]. كأنَّ المـراد مـن هذيـن الطِّمْرَيـن بالنسـبة للإمـام هـو سَـتر البـدن بهـا لا غَـير دون النظـر إلى حُسْـن الثـوب وزخرفتـه و نقشـه. عـلاوة عـلى أنّ (الأطـمار) تمثـل علامـة مـن علامـات الفقـر والزُّهـد[٦]. فاكتفـى الإمـام بثيابـه الباليـة التـي يلبسـها، ولم يَعُـدّ لهـا ثوبـاً طِمـراً

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): 14 / 20، والديباج الوضي:2443/ 5.

(٢) ينظر: نهج البلاغة (عبده):447/ 3 هامش (10)، ونهج البلاغة(صبحي):530هامش (8).

(٣) ينظر: الديباج الوضي:2443/ 5.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة(ابن أبي الحديد): 16 / 160، ومصادر نهج البلاغة وأسانيده:368/ 3 هامش (3).

(٥) من الدلالات التي تفيدها مادة (طمر) في المعجم، الدلالة على دفن النّفس وطَمرِها.ينظر: لسان العرب (طمر): 502/ 4.

(٦) وقد ورد في الحديث الشريف: ((كَمْ مِنْ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِى طِمْرَيْنِ لَا يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ، لأَبَرَّهُ...)). سنن الترمذي: ٥/ ٦٩٢.

يستبدله بهما، أو ثوباً قَشيباً جديداً كما يفعل الناس[١]. ويرى بعض الشرّاح أنّ قصد من: (وَلَا أَعْدَدْتُ لِبَالِي ثَوْبِي طِمْراً)، أنّه لم يُعِد طِمْراً للزينة والتَّجَمُّلِ إلا البالي فحسب[٢]. وحاول صاحب (الديباج الوضي) على هذا المعنى بيان الفارق بين قولي الإمام: ((**قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ**)) و ((**لِبَالِي ثَوْبِي طِمْراً**)) بأن سأل: ((كيف قال – هنا –: يسوّى بالي ثوبي، وقال فيما تقدّم: (قد قنع من الدنيا بِطِمْرَيْهِ)، فما وجه ذلك ؟ وجوابه: لَعَلّه تارة يَلْبَس الرِّداء، وتارة يَلبَس الإزار، فغيَّر على ما يقتضيه الحال من لباسه لأحدهما دون الآخر)). ويبدو أن الأمر ليس كذلك، فيمكن أن يكون الإمام مكتفياً بِطِمرَين، هما لباسه الذي يستعين به في دنياه،وهو مكوّن من (طِمرَين) يستبدل أحدهما بالآخر عند الحاجة الى ذلك كبِلَى بعضهما واندثاره. ولذلك ذكر الإمام أنّه لم يُعِدّ أي طِمرٍ غير (طِمْرَيْهِ) المذكورين.

أقول: وقد وردت الدلالة نفسها في (خ / ١٩٢).

رَثّاً

الرَّثُّ الثَوب البَالي[٣]. ورجل رَثّ، إذا كانت هَيْأُته وملبَسه رَثَّة[٤]. وكل شيء أخلق فهو رَثّ[٥]. والرَّثيثُ الخَلِق الخَسِيس البالي من كل شيء[٦].

وجاءت لفظة (رَثا) مرتين في نهج البلاغة[٧]، للدلالة على الخَلِق البالي القديم،

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): 16 / 160.

(٢) ينظر: الديباج الوضي:2444/ 5.

(٣) ينظر: العين (رثث):212/ 8، وتهذيب اللغة (رثث):44/ 15.

(٤) نفسهما.

(٥) ينظر: لسان العرب (رثث):151/ 2.

(٦) ينظر: المحكم (رثث):١٠/١٢٦.

(٧) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة:179.

ولم يُرد بذلك اللّباس، وإنما قصد في الموضع الأول الذي وردت فيه مفردة (رَثًّا) الرأي. يقول(عليه السلام) في سياق حديثه عن أصناف الناس: ((... **فَإِنْ نَزَلَت بِهِ إِحْدَى الْمُبْهَمَاتِ هَيَّأَ لَهَا حَشْواً رَثًّا مِنْ رَأْيِهِ ثُمَّ قَطَعَ بِهِ**...))[١]. يريد بـ(حَشْواً رَثًّا) الرأي و الكلام الذي لا مَنْفَعَة منه ولا جديد فيه، فهو منطق رَثٌّ بالٍ لا فائدة منه. وتقترب مفردة (رثاً) في هذا النص من (الثّياب) الرَّثة البالية، فوظَّف (عليه السلام) هذه المفردة ليس للدلالة على الثياب البالية، وإنّما وصفاً للعقل عند هذه الفئة من النّاس، كما يبدو، بوصفه الموجّه لتفكيرهم وآرائهم،مشبّهاً إياه بـ(الرَّثِّ) البالي من الثياب كما تبلى الثياب القديمة. ومما يقوي هذا الوجه عندي قوله بعد النص السابق: ((**فَهُوَ كمَنْ لَبِسِ الشُّبُهَاتِ فِي مِثْلِ نَسْجِ الْعَنْكَبُوتِ**...))[٢]. فجاء بمفردة (لَبِسِ)الدالة على الارتداء والاشتمال بالشيء، مناسبة لكلمة (رَثًّا) التي خرجت لمعنى الضّعف والوَهْن. وبهذا تكون مفردة (رَثًّا) متّسعة الدلالة في نهج البلاغة، فقد نقلت من مجال الدلالة على بلى الثياب وإخلاقها، إلى الدلالة على بِلَى الرأي وإخلاقه وخساسته، بل الحشو الرّث من الرأي والفكر الذي لا قيمة له. التعبير ألمح اليه المعجميون الذين ذكروا أنّ مفردة (رَثّ) تدل على الخَلِق الخسيس البالي من كل شيء، وأنها أكثر ما تستعمل في اللّبس[٣]. وأمّا المعنى الثاني لهذه اللفظة، فهو الإشارة بها إلى بِلَى الدُّنيا وما فيها، فينتقل جديدها ليصير رَثّاً خَلِقاً كالمَلْبُوس وغيره مما هو عرضة للتلف. يقول (عليه السلام) في الدنيا: ((... **فَإِنَّ الدُّنْيَا مَاضِيَةٌ بِكُمْ عَلَى سَنَنٍ... وَانْصَرَمَتِ الدُّنْيَا بِاهلِهَا، وَأَخْرَجَتْهُمْ مِنْ حِضْنِهَا، فَكَانَتْ كَيَوْمٍ**

(١) نهج البلاغة: خ 47:17.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: المحكم (رثث):١٠/ ١٢٦.

مَضَى، أَوْ شَهْرٍ انْقَضَى وَصَارَ جَدِيدُهَا رَثّاً، وَسَمِينُهَا غَثّاً...))[١].

أهْدَام

أَهْدام جَمْع هِدْم، وهو الثوب الخَلِق البالي[٢]. وأصل من الهَدم و قَلْع البيوت، وإزالتها، وهو نقيض البناء[٣]، ومن ثَمّ استعمل هذا المعنى للدلالة على الثياب البالية كما يبدو، وخصّت هذه الكلمة بالكساء البالي المصنوع من الصّوف دون بقية الثياب[٤]. وقيل: بل الهِدم الثوب الخَلِق المُرَقّع مطلقاً، أو هو الكساء الذي تضاعَفَت رِقاعُه[٥]. يقال: هَدَمْت الثوبَ، إذا رَقَّعْتُه[٦]، أي أصلحته بِسَتر خَرقه.

ووردت مفردة (أَهْدام) بصيغة الجمع على (أَفْعَال) مرة واحدة في نهج البلاغة[٧]، للدلالة على لباس الموت الذي يَبْلَى مع بِلَى الأجساد. وقد استعمل الإمام هذا المعنى في سياق حديثه عن الموتى، إذ يقول فيهم: ((... **فَقَالُوا: كَلَحَتِ الوُجُوهُ النَّوَاضِرُ وَخَوَتِ الأَجْسَامُ النَّوَاعِمُ، وَلَبِسْنَا أَهْدَامَ البِلَى...**))[٨]. ينقل (عليه السلام) إجابات الموتى ووصف تغير حالهم من الحُسن الى القُبح ومن القوة الى الضّعف ومن جيّد اللّباس الى الى(ثياب البِلَى)، وهي الأكفان التي يكفّن بها الموتي بعد

---

(١) نهج البلاغة: خ ١٩٠: ٣٥٣، ٣٥٤.

(٢) ينظر: العين (هدم): ٤/ ٣١.

(٣) ينظر: العين (هدم): ٤/ ٣١، و لسان العرب (هدم): ١٢/ ٦٠٣.

(٤) ينظر: لسان العرب (هدم): 603 /12.

(٥) نفسه.

(٦) ينظر: النهاية في غريب الحديث: 251 /5.

(٧) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: 467.

(٨) نهج البلاغة: خ / ٢٢١ : ٤٢٨، ٤٢٧. وقد أوردت المدونات اللغوية قول الإمام: ((لبسنا أهدام البِلَى)). ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٥/ ٥٧٣، ولسان العرب (هدم): ١٢/ ٦٠٤.

انتقالهم الى القبر. وإضافتها الى مفردة (البِلى) يوحي بنسبة هذه الأكفان الى كونها خاصّة بالموتي فحسب هذا من جهة، ومن جهة أخرى يوحي بأنّها تفنى بفناء الميّت وتحوّل جسده الى تراب، فيَبْلَى البدن وما لُفّ به من (أهدام)،واختياره (عليه السلام) المفردة المتقدمة لهذه الدلالة ببناء (أَفْعَال) الخاص بجمع القلّة يشير الى أمرين ؛ الأول إيحاء هذه المفردة بالدلالة على الهّدم والفناء والزّوال، كما يُهدم البناء بقصد إزالته، وكذلك الموت الذي يبلى به المرء وتنهدم أركانه وتخلق محاسنه وتعود قوّته ضعفاً، وهذا هو معنى الفناء أو البِلَى الذي يُعيِي الإنسان ويهلكه،والمراد بذلك الموت كما يبدو. وذهب بعض الشرّاح الى أنّ الإمام (عليه السلام) جعل للبِلَى أَهْدَامَاً على سبيل الاستعارة، مثلما جعل للخوف والجوع لباساً[1]، في قوله تعالى: ﴿**فَأَذَاقَهَا الله لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ**﴾[2]. وهذا وجه محتمل لكنه لا يمثل الدلالة الرئيسة لمفردة (أَهْدَامَ) التي تدل على لباس الموت والفناء.أمّا وجه استعمال المفردة المتقدمة ببناء الجمع، فظاهرة الدلالة على عدم فخامة اللّباس الذي يُكفّن به الأموات عند انتقالهم الى الله تبارك وتعالى، فما هي إلاّ خرق بيضاء يُلفّ بها بديلاً عمّا كان يرتديه الإنسان في حياته الدنيا من فاخر الألبسة والثياب التي تتعدد وتتنوّع بتنوّع أصحابها وارتفاع شأنهم. وهو ما يفسّر لنا استعمال بناء (أَفْعَال) في كلام الإمام السّالف ذكره.

أقول: ويرى شرّاح النّهج أنّ مفردة (أَهْدَامَ) تحمل ضرباً من الاستعارة التي قصد بها الدلالة على التّغيّر والتّقشُّف والتّمزيق الذي يعرض له بدن الميّت على سبيل تشبيه بِلِى العظام والأجساد بالأهدام الباليّة[3]. ولم يستبعد الشّرّاح أن تدل

(١) ينظر: الديباج الوضي:4/ 1776.

(٢) النحل / 112.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): 4 / 41، ومنهاج البراعة:212/ 14.

اللفظة المتقدمة على الأكفان[١]. وزاد بعضهم، وهو الشّارح الخوئي (ت ١٣٢٤هـ) احتمالاً آخر لتعبير (أَهْدَامَ البِلَى)، ذاهباً الى أن في التعبير ضرب من التشبيه، فلفظة (أَهْدَامَ) مشبّه به، والمشبّه هو البِلى الذي يحيط بالأموات في القبر[٢]. وبحسب هذا الوجه تصبح كلمة (البِلَى) دالة على أبدان الموتى التي تكون عرضة للفناء والأخلاق تشبيهاً لها بالأهدام البالية الرّثة. ويَستتبع ذلك أن تكون لفظة (لَبِسْنَا) مستعارة للدلالة على الإحاطة والشمول. ويكون تركيب(أَهْدَامَ البِلَى) دالاً على إحاطة اللّباس بالبدن، فكأنّ (الموت= البِلَى) قد أحاط بالموتى الذين لَبِسُوه كما يلبس المرء أهدامه ويشتمل بها[٣].

المُتَدَاعية

تَداعَى البناء والحائط، إذا تكسَّر وآذَن بالانهِدامٍ[٤].وتَداعَت الإبل، فهي مُتدَاعِية،،إذا تَحطَّمت هُزَالاً، وتداعت الحَمُوْلة غذا طاحت[٥]. ومن هذه الدلالات - كما يبدو- أخذ تداعي الثياب وإخْلاَقها، إذ يقال للرجل إذا أخْلَقَت ثيابه: قد دعَت ثِيابُكَ. أي: أنهَجت احْتَاج أَن يلْبَس غيرها[٦].

وكلمة (المُتَداعية) من ألفاظ الإمام علي (عليه السلام) التي استعملها في كلامه في نهج البلاغة مرة واحدة[٧]، وصفاً للثياب التي رثّت وأخلَقَت وصارت قديمة

(١) نفسها.

(٢) ينظر: منهاج البراعة:212/ 14.

(٣) نفسه.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة (دعي): 3/ 78،ولسان العرب (دعا):262/ 14.

(٥) ينظر: لسان العرب (دعا):262/ 14.

(٦) نفسه.

(٧) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: 156.

متهالكة. وجاء ذلك في قوله مُوَبِّخاً بعض أصحابه: ((**كَمْ أُدَارِيكُمْ كَمَا تُدَارَى البِكَارُ العَمِدَةُ، وَالثِّيَابُ المُتَدَاعِيَةُ كُلَّمَا حِيصَتْ**[١] **مِنْ جَانِبٍ تَهَتَّكَتْ مِنْ آخَرَ...**))[٢]. والثياب المُتَدَاعية هي الثياب التي أنهجت وتهتّكت بِلَىً. وتوحي هذه الكلمة بسوء هذا النوع من الثياب التي تعد أكثر أنواع الثياب بِلىً، فضربها الإمام مثلاً في المداراة والحاجة الى العناية مع قلّة شأنها ؛ لأنها تكون أشد حاجة إلى العناية من غيرها، فكُلَّما خِيطَت من جانبٍ تهتكت من الجانب الآخر. فهي أَسْمَال يدعو بعضها البعض الآخر إلى التداعي والانهدام[٣]. يريد (عليه السلام) من تصوير هذا النّوع من الألبسة، وما يجري عليها من إصلاح وعناية وحذرٍ من تهتّكها، بيان حال أصحابه الذين يُشبّه حال بعضهم بهذا الضّرب من الثياب، فكلما دعاهم الى الصّلاح وسلوك سبيل الحق وعدم الرّكون الى الباطل والوقوف بوجه الظلم من خلال جمعهم للجهاد، فَسَدوا وتداعى بعضٌ آخر عليه[٤].

أقول: لقد وسّع الإمام من دلالة مفردة (مُتَدَاعِية)، ونقلها من مجالها المعروف الذي تستعمل فيه، وهو انهيار البناء وانهدامه، ووصف الإبل الهزيلة الضعيفة، إلى الدلالة على تهدّم حال أصحابه وانهيار عزيمتهم وتخرّق صفوفهم وانقسامها ؛ بسبب من ضَعْفهم وضعف إيمانهم، مع كثرة مداراته لهم وعنايته بإصلاحهم. لهذا وصفهم، مشبّهاً حالهم، بالعَمِدة من الإبل، والثياب المُتهالكة البالية في إشارة إلى سوء حالهم وضعف نصرتهم للإمام.

---

(١) الحَوص الخياطة. ينظر: لسان العرب (حوص): ٧ / ١٨.

(٢) نهج البلاغة: خ/ 69: 107. ونقلت المدونات اللغوية قول الإمام: ((كلّما حيصت من جانب...)). ينظر: النهاية في غريب الحديث: 461/ 1، ولسان العرب (حوص): 18/ 7.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): 81/ 6.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): 346/ 2.

مُقَطَّعات

المُقَطَّعَات من الثياب هي شِبه الجِباب ونحوها من الخَزِّ والبزّ والألوان حسبما يذكر الخليل(١). وقال غيره إنها الثياب المختلفة الأوان التي تكون على بدن واحد، وتحتها ثوب من لونٍ آخر(٢). وذهب بعض اللغويين أنّها الثياب القِصار(٣). وقيل:إنّ المُقَطَّعَات لفظ عام يشمل كلَّ ما يُفصَّل أو يُخاط من قميص أو غيره والجباب والسراويل التي تقطّع ثم تُخاط، وتشمل أيضاً ما لم يُقْطع أو يفصّل كالأُزُر والأَرْدِية والمطارف والأربطة التي يُتَعَطّف بها مرّه ويُتلفَّع بها أخرى(٤). وذكر بعضهم أنها بُرود عليها وشي مُقَطّع(٥).

وهذه المفردة من الألفاظ التي لا واحد لها من لفظها(٦)، وهي من أسماء الجمع التي تحمل معنى الجمع، فلا يقال للجُبَّة القصيرة مُقَطّعة ولا للقميص مُقَطّع، وإنما يقال لها جميعاً مقطعات، وواحدها (ثَوْب)(٧).

وقد وردت لفظة (مُقَطّعَات) مرة واحدة في نهج البلاغة(٨)، للدلالة على الثياب المُقَطّعة التي تخاط من النيران لأهل المعصية يوم القيامة. وذلك في سياق كلام الإمام عن (اهل المعصية) وما سينزل بهم يوم القيامة، إذ يقول:

---

(١) ينظر: العين (قطع):138/ 1.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: غريب الحديث (أبوعبيد):161/ 1.

(٤) ينظر: النهاية في غريب الحديث:81/ 4، و لسان العرب (قطع):283/ 8.

(٥) ينظر: تهذيب اللغة (قطع):129/ 1.

(٦) ينظر: النهاية في غريب الحديث:82/ 4.

(٧) نفسه.

(٨) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: 376.

((وَأَمَّا اهل المَعْصِيَةِ، فَأَنْزَلُهُمْ شَرَّ دَارٍ، وَغَلَّ الْأَيْدِيَ إِلَى الْأَعْنَاقِ...وَأَلْبَسَهُمْ سَرَابِيلَ الْقَطِرَانِ، وَمُقَطَّعَاتِ النِّيرَانِ، فِي عَذَابٍ قَدِ اشْتَدَّ حَرُّهُ...))[١]. فأضاف (المُقطّعات) إلى(النّيْران)، لبيان نوع النَّسْج الذي تصنع منه هذه (المُقطّعات)، كأنه يومئ إلى أنّ هذه الثياب تقطّع وتفصّل وتخاط من (النّار) على مقاسات هؤلاء[٢]، في إشارة إلى تَلَبّسهم بها واشتمالها عليهم ؛كأنّها تمثّل أرقى البستهم التي يزدهون بها وهم خالدون في النّار إمعاناً في عذابهم تهكّماً بهم، فدخولهم النار كان ثمرة لسوء أفعالهم وعظيم ذنوبهم التي ارتكبوها في حياتهم الدنيا، فكما كانوا يتجلّلون في دنياهم بألبستهم البرّاقة وجبابهم بما عليهم من وشيٍ ونقش، فيكون لباسهم في النار من مقطّعات العذاب ونيرانه الحامية.كأنّه (عليه السلام) يريد أن يذكرهم بقوله تبارك وتعالى:((**خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم ثم صبّوا فوق رأسه من عذاب الحميم ذُق إنّك أنتَ العزيز الكريم**))[٣]. ويبدو أن الإمام قد أخذَ هذا التعبير من القرآن الكريم الذي يتحدث فيه الله جل جلاله عن عاقبة الذين كفروا قائلاً: ﴿**فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ**[٤]﴾[٥]. فاستعمل القرآن الكريم لفظة (قُطِّعَتْ) بالبناء المجهول للدلالة على تهيئة هذا الضّرب من الثياب المنسوجة من نار لتكون مناسبة لهم، في كناية عن مناسبة العذاب بالنار لذنوب هؤلاء حتى كأنّها جاءت على مقاساتهم وأحجام أعمالهم. وهو مضمون

---

(١) نهج البلاغة: خ / 109: 203.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): 7 / 165، والديباج الوضي:891/ 2.

(٣) الدخان/ ٤٧-٤٩.

(٤) الحميم من المشترك اللفظي، فهو القريب وهو الماء الحار، أو كل شيء سُخِّن. ينظر: لسان العرب (حمم):152/ 12، 153، وهو في الآية المباركة (الحار).

(٥) الحج / 19.

كلام المفسرين الذين ذهبوا إلى أن الله تعالى كأنه ((يُقَدَّر لهم نيراناً على مقادير جُثَثِهم تَشتمل عليهم، كما تقطّع الثياب الملبوسة. ويجوز أن تظاهر على كل واحدٍ منهم تلك النيران كالثياب المظاهرة على اللّابس بعضها فوق بعضٍ))[١].

٤ـالخشن من الثياب.

مِدرَعَتي

المِدرَعة ضرب من الثياب لا تكون ألاّ من الصُّوف[٢]. الدِّرع ضَرب من اللبّاس، فدِرع المرأة قميصها[٣].

واستعمل الإمام(عليه السلام) الفاظ:(أدَّرع) و(مِدْرَعتي) وجمعها(مَدَارِع) مرة واحدة لكل واحدة من هذه الألفاظ في نهج البلاغة[٤]، للدلالة على ما يأتي:

أولا: الدلالة على الثَّوب المصنوع من الصُّوف.

وجاءت هذه الدلالة في موضعين ؛ منها قوله (عليه السلام) في سياق الحديث عن زهده ونبذه الدنيا:((**وَالله لَقَدْ رَقَّعْتُ مِدْرَعَتِي هذه حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا...**))[٥]. والمِدْرَعَة ضرب من الثياب التي لا تكون ألاّ من الصُّوف. وقيل: بل هي جُبَّة مَشقُوقة المُقدّم وجمعها مَدَارِع[٦]. وهذا النوع من الألبسة يمثل - بحسب قول الإمام - علامة على الزّهد وكبح النفس عما تميل إليه من الملذات.

---

(١) الكشاف:150/ 3، وينظر: التفسير الكبير:19/ 23.

(٢) ينظر: العين (درع):35/ 2.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة (درع): 2/ 268.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: 153.

(٥) نهج البلاغة: خ / ١٦٠: ٢٨٥.

(٦) ينظر: المحكم (درع): 9/ 2، والمعجم الوسيط: 281/ 1.

أقول: وقد أشار الإمام إلى بِلَى (مِدْرَعته)؛ لدأبه على ارتدائها وعدم استبدالها، ولهذا ذكر كثرة تَرقِيعها ومداومته على ذلك. واستعمل الإمام لفظة (رَقَّعْت) على وزن (فَعَّل) للدلالة على الكثرة والمبالغة الحاصلة من تعدد مرات ترقيع (مِدرَعته). وذكر لفظ (اسْتَحْيَيْت) للإبانة عن حاله الذي صار إليه من تكراره التّردد على الرّاقع، وهو أمير المؤمنين الذي يملك البلاد برُمّتها، ولكنّه ربّ الزّهد والبعد عن زخارف الدنيا وملذاتها بعد رسول الله.

أقول: إنّ إصراره (عليه السلام) على الاكتفاء بـ(مِدْرَعته) وتكرار ترقيعها لا يُراد منه الدلالة على حال الذُّلّ والفقر، وإنما يراد منه الإشارة إلى الدأب على الزّهادة والتُّقى والرّغبة عن الدنيا.وهذا من شأن الأنبياء والرُّسل و الأولياء من الأئمةالمعصومين (عليهم السّلام) الذين كانوا يلبسون الخَشن من الثياب و يأكلون الجشب من الطعام. ومصداق ذلك ما ذكره أمير المؤمنين في وصف حال النبي (موسى)وأخيه(هارون) عندما دخلا على (فرعون)، فوصف (عليه السلام) حالهما بقوله: ((**وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونُ عَلَى فِرْعَوْنَ وَعَلَيْهِمَا مَدَارِعُ الصُّوفِ وَبِأَيْدِيهِمَا الْعِصِيُّ**...))[1]. فالنّص يحمل دلالات متعددة، من بينها استعمال الإمام لمفردة (مَدَارِعُ) بوزن (مَفَاعِل)، جمع (مِدْرَعة)، في إشارة إلى علامة الزّهادة التي تمثل مظهر الأنبياء والصالحين. فكأن الإمام (عليه السلام) يتخذ من (المَدَارِع) شعاراً للفقر والزهد، في مقابل الذَّهب الذي يعد شعاراً الأغنياء والمتكبرين[2]. وإنما آثر الإمام استعمال اللفظة المتقدمة مضافة إلى كلمة(الصّوف)، مع أنّ المفردة نفسها توحي بالدلالة على كونها من الصوف الخشن، وذلك - فيما أحسب - توكيد

(١) نهج البلاغة:خ/ ١٩٢ :٣٦٧.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٤ / ١٦١.

لحال التواضع المقرون بالعِزّة للنبي(موسى) وأخيه،وذلك يتضمّن الإشارة إلى ضربين من الناس: الأول وهم اهل التواضع والسكينة، وهؤلاء يمثلهم الأنبياء والأئمة، وعلامتهم خشونة اللباس والمأكل بوصفها من أهم مظاهر كسر هوى النفس. وأمّا الصنف الثاني، فهو صنف الفراعنة المتجبّرين المترفين الذين يعدّون الغِنى، وكنز الذهب من أهم شعاراتهم.

أقول: ولم يبتعد الشّرّاح عن التفسير اللغوي لمفردة (مِدرَعة) فذكروا أنّها الدُّرّاعة[1]

ثانياً: الدلالة على لبس التكَبّر.

و استعمل الإمام هذه الدلالة لفظة (ادَّرَع) في وصف حال إبليس وتكبّره. إذ يقول (عليه السلام): ((... **فَعَدُوُّ الله إِمَامُ الْمُتَعَصِّبِينَ، وَسَلَفُ الْمُسْتَكْبِرِينَ، الَّذِي وَضَعَ أَسَاسَ الْعَصَبِيَّةِ، وَنَازَعَ**[2] **اللهَّ رِدَاءَ الْجَبْرِيَّةِ، وَادَّرَعَ لِبَاسَ التَّعَزُّزِ، وَخَلَعَ قِنَاعَ التَّذَلُّلِ...**))[3]. ويصف الإمام موقف إبليس الذي انفرد عن بقية الملائكة بعدم تنفيذ أمر الله جل شأنه في السجود لآدم (عليه السلام)، فصار إماماً للعصبية والمتعصبين ؛ لافتخاره بأنّه مخلوق من نار، وأنّ (آدم) مخلوق من طِين. فهو أول من أنشأ هذا المبدأ في التعصّب، الذي يصفه الإمام بأنّه (اعتراض للحمّية) و (افتخار بالخَلق). في قوله الذي يصف فيه اختبار الله تعالى للملائكة: ((... **ثُمَّ اخْتَبَرَ بِذَلِكَ مَلاَئِكَتَهُ الْمُقَرَّبِينَ، لِيَمِيزَ الْمُتَوَاضِعِينَ مِنْهُمْ مِنَ الْمُسْتَكْبِرِينَ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنِّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ**

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٩ / ١٧٩، و شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٦٥١.

(٢) نازعه الشيء غالبه عليه.. ينظر: لسان العرب (نزع): 350/ 8.

(٣) نهج البلاغة:خ/ ١٩٢: ٣٦٠.

كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلاَّ إِبْلِيسَ﴾[١] اعْتَرَضَتْهُ[٢] الحَمِيَّةُ[٣] فَافْتَخَرَ عَلَى آدَمَ بِخَلْقِهِ، وَ تَعَصَّبَ عَلَيْهِ لِأَصْلِهِ...))[٤].

أقول: وكلامه (عليه السلام) يوحي بالمقابلة بين (اللبس) و (الخَلْع) من خلال استعمال مفردة (ادَّرَعَ) التي تدل على ارتداء الدِّرع ولبسه[٥]. فكأنّه يصور (إبليس) بهيئة من اتخذ التّعزّز والتّكبّر درعاً يستتر به عن غضب الله، متسربلاً بالتعالى والغرور في مقابل خلعه صفة التواضع والتّذلل. اللّذان يعدان من سيماء الملائكة. وأشار بمفردة (قِنَاع) إلى أنّ (إبليس) ماكان راغباً بهذا الضرب من التذلل والتواضع، وإنما جعله قناعاً له يستَتِر به. والقِنَاع ما تستتر به المرأة و تغطّي رأسها[٦]. واستعار الإمام مفردتي (الرِّداء) و(ادّرع) بوصفها من الفاظ الألبسة، مكنيّاً بهما عن (عظمة الله تبارك وتعالى، وجبروته) التي يستأثر بها على الخلق. وأشار بـ(المُنَازعة) إلى مخالفة (إبليس) أمر الله جل جلاله بالسجود لآدم، فتمرّد وأبى. موظّفاً مفردة(ادّرع) في كناية عن تَلبُّس (إبليس) بالتعزّز والتكبّر كما يذكر الشارح البحراني[٧]. وأمّا إيثار مفردة (ادّرع) على غيرها من الألفاظ، فلتضمّنها -فيما يبدو- الدلالة على اتخاذ خصال التّعزّز درعاً له يَتَّقي به العودة إلى التّذلُّل والتواضع الذي كان عليه قبل الأمر بالسجود لآدم (عليه السلام). ولا يخفى ما للصيغة الصَّرفية التي جاءت عليها

---

(١) ص/ 72. وينظر: الحجر / 29.

(٢) اعتراض الشيء: تكلّفه. ينظر: لسان العرب (عرض):٧/ ١٦٨.

(٣) الحِميّة المَنَعَة. ينظر: لسان العرب (حمي):١٤/ ١٩٨.

(٤) نهج البلاغة: خ/ 192: 360.

(٥) ينظر: العين (درع):٢/ ٣٤.

(٦) ينظر: مقاييس اللغة (قنع):٥/ ٣٣.

(٧) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٤ / ١٤٢.

لفظة (ادّرع) من أثر في الدلالة التي قصد اليها. فـ(ادَّرع) على وزن (افْتَعَل)، وهذه الصيغة يغلب عليها معنى المبالغة في الفعل[١]، فضلًا عن الدلالة على المطاوعة[٢]. وهذه المعاني الصرفية تناسب السياق الذي أورد فيه الإمام (عليه السلام) مفردة (ادّرع) التي أضفت عليها الصيغة المتقدمة الدلالة على أن لدى (إبليس) استعداد للشَّر ومطاوعة له في الخروج عن أمر الله تبارك وتعالى مع المبالغة في هذا الأمر والاجتهاد فيه. وسياق الكلام يُبَيّن شِدّة سعي (إبليس) لمنازعة الله رداء عظمته وجبروته. ولهذا ذكر الإمام في ختام كلامه ما صنعه الله تعالى بـ(إبليس) قائلاً: ((...**أَلَا تَرَوْنَ كَيْفَ صَغَّرَهُ اللهُ بِتَكَبُّرِهِ وَوَضَعَهُ بِتَرَفُّعِهِ فَجَعَلَهُ فِي الدُّنْيَا مَدْحُوراً وَأَعَدَّ لَهُ فِي الْآخِرَةِ سَعِيراً**))[٣]. وهذا الضرب من العقاب كان بسبب من عصيانه أمر الله تبارك وتعالى ؛ لأنّه (نازع الله رِداءه) الذي استأثر به على الخلق. وقد جاء تعبير الإمام مناسباً لمقدمة الخطبة التي افتتحها (عليه السلام) بقوله: ((**الحَمْدُ للهِ الَّذِي لَبِسَ العِزَّ وَالكِبْرِيَاءَ وَاخْتَارَهُمَا لِنَفْسِهِ دُونَ خَلْقِهِ...وَاصْطَفَاهُمَا لِجَلَالِهِ**))[٤].

الخَشِن

اخْشَوْشَنَ الرجل إذا لبس خشناً، أو قال قولاً فيه خُشُونة[٥]. والخشونة في اللغة ضِدُّ اللِّيْن[٦]. ويقال فلان خَشِن الجانب اذا كان صعباً لا يُطاق[٧]. هذا في

(١) ينظر: كتاب سيبويه: ٤ / ٧٤، والإعجاز الصرفي في القرآن الكريم: ١٣٠.

(٢) ينظر: شرح ابن عقيل: ٤ / ٢٦٣.

(٣) نهج البلاغة:خ ١٩٢: ٣٦٠.

(٤) نفسه: خ / 192: 359، 360، ومما تجدر الإشارة اليه أنّ الموضوع الرئيس لهذه الخطبة هو ذم إبليس وأتباعه من المتكبرين.

(٥) ينظر: العين (خشن): 170/ 4، وتهذيب اللغة (خشن): 422/ 2.

(٦) ينظر: جمهرة اللغة (خشن): ١/ ٦٠٣، و لسان العرب (خشن): ١٣/ ١٤٠.

(٧) ينظر: لسان العرب (خشن): 140/ 13.

الجانب المعنوي من الإنسان. أما الاستعمال المادي للمفردة، فتوصف الثياب باللِّيْن والخُشُونة، إذ يقال: ثَوب ذو خُشُونةٍ، ومُلاءةٍ خَشْناءَ[١]. ويبدو أن هذا المعنى مأخوذ من (الأرض الغليظة) ؛ وذلك أنها توصف بالخَشناء، إذا كانت فيها حجارة وَرَمل[٢]. ومنه أُخِذ قولهم اخْشَوْشَنَ الرجل إذا لَبِسَ الخَشِن وتَعَوَّده أو أكله أو عاشَ به[٣].

استعمل الإمام مفردة (خَشِن) مرتين في نهج البلاغة ؛ الأولى مجردة من (ال) التعريف، والثانية محلاة بها[٤]. وبدلالتين ؛ الأولى الدلالة على خُشُونة المَلبَسِ،وذلك في سياق حديثه عن النبي (عيسى) (عليه السلام) الذي يقول فيه:((**وَإِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ (عليه السلام)، فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ، وَيَلْبَسُ الْخَشِنَ، وَيَأْكُلُ الْجَشِبَ...**))[٥].وفصّل الإمام مَلْبَس النبي ومَأكَله، وهما الأساس في بَيان زُهد الإنسان وَتَرفه. والمراد بخشونة الملبس ما غَلُظ من الثياب التي تدل على الزّهد والتواضع ومحاكاة الفقراء، مع كون النبي (عيسى) من الأنبياء الذين يمكنهم طلب أي شيء من الله، ولكنهم تركوا ذلك رغبة في الزهد وطلباً لرضا الله جل جلاله، ولاسيّما أنّ المتحدث الإنسان هو نبي يملك التمكّن من الاستمتاع بالدنيا والاستئثار بها، ولكنه ترك ذلك طوعاً ؛ رغبه بما عند الله تعالى.

وأمّا الدلالة الثانية، فهي أوسَع من الأولى، فخُشونة الثياب تخصيص لمعنى المفردة وحصر لها بهذا الأمر من البسة الجسم، ولكنّه (عليه السلام) جاء بمفردة (خَشُنَ)

---

(١) نفسه

(٢) ينظر: لسان العرب(خشن):140/ 13.

(٣) نفسه.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: 136.

(٥) نهج البلاغة: خ/ 160: 283.

للإشارة إلى خُشُوْنة الحياة وصعوبتها قبل بعثة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، إذ يقول: ((**ثُمَّ إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً** (صلى الله عليه وآله وسلم) **بِالحَقِّ حِينَ دَنَا مِنَ الدُّنْيَا الِانْقِطَاعُ، وَأَقْبَلَ مِنَ الآخِرَةِ الاِطِّلَاعُ وَأَظْلَمَتْ بَهْجَتُهَا بَعْدَ إِشْرَاقٍ، وَقَامَتْ بِاهلِهَا عَلَى سَاقٍ وَخَشُنَ مِنْهَا مِهَادٌ، وَأَزِفَ مِنْهَا قِيَادٌ...**))[١]. فخُشونة المِهاد، إشارة إلى صعوبة الحياة في الآخرة، وعدم الراحة فيها من شِدَّةِ الألَمِ والشّظف[٢]. وهذا الاستعمال من استعمالات الإمام المتفردة، وفيه سِعَة في المعنى، فإنّ خشونة المِهاد تشمل الفراش وما عليه، وذلك كله كناية عن أهَوال يوم القيامة وشِدَّته كما يبدو.

الصُوف

الصُّوف شَعر الضّأن[٣]. والصّوف للغَنَم كالشَّعر للمَعز، والوَبَر للإبل[٤]. وواحد الصُّوف صُوفة، والجمع صُوْف وأصْوَاف[٥]. والصُّوف نوع من لِباس العُبّاد الزُّهاد واهل الصَّوامِع، ولهذا سُمِّي (الصُوْفِيّة) بذلك ؛ نسبة إلى ملابس الصوف التي يرتدونها تَنَسُّكاً وتَعَبُّداً[٦].

ومفردة (الصُّوف) من الفاظ نهج البلاغة التي وردت فيه مرتين بصيغة اسم الجنس الجمعي[٧]، للدلالة على شعر الضّأن الذي تصنع منه (المدَارِع). وذلك في سياق كلام الإمام عن لباس النبي (موسى) وأخيه (هارون)،إذ يقول(عليه السلام):))

(١) نفسه:خ / 198: 396، 397.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: العين (صوف):161/ 7، ولسان العرب (صوف):199/ 9.

(٤) ينظر: لسان العرب (صوف):199/ 9.

(٥) ينظر: العين (صوف):161/ 7.

(٦) ينظر: تاج العروس (صوف):42/ 24.

(٧) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة:263.

وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونُ (عليهما السّلام) عَلَى فِرْعَوْنَ، وَعَلَيْهِمَا مَدَارِعُ الصُّوفِ... فَقَالَ: أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ هَذَيْنِ يَشْرِطَانِ لِي دَوَامَ الْعِزِّ وَبَقَاءَ الْمُلْكِ، وَهُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ وَالذُّلِّ، فَهَلَّا أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا أَسَاوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ. إِعْظَاماً لِلذَّهَبِ وَجَمْعِهِ، وَاحْتِقَاراً لِلصُّوفِ وَلُبْسِهِ...))[١]. يشير بلفظة (صُوْف) الى نسج الـ(مدراع) التي كان يلبسها النبي وأخوه دلالة على هذا الضّرب من المنسوج الذي يمثل لباس الزّهد والتواضع المعدود من البسة الأنبياء والأئمة (عليهم السّلام) ؛ لما فيه من الخشونة والغلظة التي تؤذي الجلد. كأنّ ذلك علامة على خشونة المهاد وشظف العيش وسيماء الزهد والتّواضع. ولهذا صار لباساً للعُبّاد والزُّهّاد وأصحاب النُّسك، حتّى اتّخذه المُتَصَوّفة شعاراً لهم، فَنُسِبُوا اليه[٢].

٥ـ ستر أعلى البدن.

جلابيب، مئزر

جَلابِيْب

الجِلْباب من أَلْبِسة المرأة، وهو – بحسب قول الخليل: ((ثوبٌ أوسع من الخِمار دون الرداء، تُغطّي به المرأة رأسها وصدرها))[٣]. ونقل عن بعض النِّسوة أنّ جلباب المرأة هو مُلّاءتها التي تشتمل بها[٤]. ويبدو من تتبع المدونات اللغوية أنّ قميص الرجل يسمى جلباباً أيضاً[٥]. وقيل: بل هو ما يلبس فوق الثياب

(١) نهج البلاغة:خ / 192: 367.

(٢) ينظر: في ذلك: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد):117/ 13، و تاج العروس (صوف):42/ 24.

(٣) ينظر: العين (جلب):132/ 6، وينظر: تهذيب اللغة (جلب):64/ 11.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة (جلب):64/ 11، و لسان العرب (جلب):273/ 1.

(٥) ينظر: مقاييس اللغة (جلب):470/ 1، و لسان العرب (جلب):272/ 1، و المعجم الوسيط: 128/ 1.

كالمِلحَفـة[١].

وقـد وردت لفظـة (جلابِيْـب) بصيغـة الجمـع عـلى (فَعَالِيْـل) أربـع مـرات في نهـج البلاغـة مـرة منهـا أضيفـت المفـردة فيهـا إلى ضمـير الغائبـة (جَلابِيبهـا)، في حـين جاءت كلمة(جِلْبابـاً) بصيغـة المفـرد المنصـوب مرتـين، ولفظـة (جِلْبـاب) مفـردة مرفوعـة مـرة واحـدة. ومثلهـا في العـدد لفظتـا (تَجَلْبَـب) و(تَجَلْبَبـوا) المسـندة إلى ضمـير الجماعـة[٢]، للدلالـة عـلى السّـتر الخـاص بالبـدن مـن جهـة الاشـتمال باللبـاس أو الـرِّداء وغيرهـا، وجـاءت المفـردات المتقدمـة دالـة عـلى السـتر المعنـوي دون المـادي. ومـن ذلـك قولـه (عليه السلام) في ذكـر خصـال مُحِبِّي اهـل البيـت (عليهـم السّـلام): ((**مَنْ أَحَبَّنَا اهل الْبَيْتِ فَلْيَسْـتَعِدَّ لِلْفَقْـرِ جِلْبَابـاً**))[٣]. ورُوِت كتـب غريـب الحديـث والمعاجـم هـذا القـول للإمـام بذكـر مفـردة (فَلْيعِـدَّ) بـدلاً مـن (فَلْيَسْـتَعِدَّ)[٤]. والجِلبَـاب في قـول الإمـام الـرّداء الـذي تسـتر بـه المـرأة رأسـها وجيدهـا وصدرهـا. وقـد وظّفـه الإمـام، ليكـون سـاتراً لنفـس مـن أحـب اهـل البيـت في تحمّـل الفقـر والأذى والصـبر عليهـا، بحيـث يكـون (جلبـاب الفقـر) مانعـاً مـن ظهـور سـيماء التكـبّر وسـوء الخلـق وضيـق الصّـدر والأنفـة، وغيرهـا مـن قبيـح الأخـلاق عـلى محبّـي اهـل البيـت وأتباعهـم[٥]. وذلـك كلـه

(١) ينظر: المعجم الوسيط:128/ 1.

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة:87.

(٣) نهج البلاغة: قصا / 112:621.

(٤) ينظر: غريب الحديث (أبو عبيد): 3/ 466، و غريب الحديث (ابن الجوزي): 1/ 163، و الفائق:229/ 1، و النهاية في غريب الحديث: 1/ 283، و تهذيب اللغة (جلب): 64/ 11، ولسان العرب (جلب):273/ 1.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): 424/ 5، والديباج الوضي:2804/ 6، ومنهاج البراعة: 194/ 21.

اقتداء بهم ؛ لأنّهم اتّخذوا الفقر شعاراً لهم ونبذوا الدنيا عنهم[١].

أقول: وقد عرض المصنّفون في (غريب الحديث) الى قول الإمام، فذهب أبو عبيد القاسم بن سلاّم إلى أنه لم يُرد الفقر في الدنيا، وإنما أراد فقر يوم القيامة. والمعنى أنّ مَن أحبّنا ؛ فليعِدّ ليوم فاقته عملاً صالحاً ينتفع به على جهة الوعظ والنصيحة[٢]. وهذا الوجه قاصر عماّ ذهب اليه ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) فيما نقل عنه[٣] الذي رأى أنّ المراد من ذلك الصبر على التّقلّل من الدنيا والقناعة فيها[٤]. ثم ذكر وجه العلاقة بين (الصبر على الفقر) و(الجلباب) ؛ فالصَّبر يستر البدن كما يستر الجِلبَاب البدن[٥]. وهذ الوجه يوضح القاسم المشترك بين (الفقر والجلباب)، في كونهم يستُران المرء عما يشينه من قبائح إظهار البدن ن أو قبائح إراقة ماء الوجه في سبيل إسكات جوع النفس وطمعها. ولم يخرج الباقون من أصحاب الغريب عن هذا التأويل[٦]. في حين استعان شّراح نهج البلاغة بالوجوه التي أشار إليها المصنّفون في الغريب التي مال بعضهم الى الجمع بينها، في حين عدّ بعضهم رأي ابن قتيبة أحسن الوجوه. وهذا هو رأي السيد المرتضى فيما نقله عنه شارحوا النهج[٧].

---

(١) ينظر: غريب الحديث (أبو عبيد): 3/ 466، والديباج الوضي:2804/ 6.

(٢) نفسهما.

(٣) لم أعثر على رأي ابن قتيبة هذا في كتابه (غريب الحديث).

(٤) ينظر: غريب الحديث (ابن الجوزي): 1/ 163، و الفائق:229/ 1، و النهاية في غريب الحديث: 1/ 283.

(٥) نفسهما.

(٦) نفسهما

(٧) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): 424/ 5، والديباج الوضي:2804/ 6، ومنهاج البراعة: 21/194.

أمّا سبب إيثار الإمام مفردة (جِلْباب) على غيرها من ألفاظ السَّتر والألبسة؛ فذلك راجع - فيما يبدو - إلى مزية هذا الضّرب من الأردية المختصة بستر بدن المرأة والمواضع يحرم عليها كشفها أمام الأجانب، فضلاً عن كون هذا اللباس مما يَزِين المرأة، ويبعد عنها طِماح الأبصار، فلهذا وظّفت المفردة المتقدمة لإيحائها بالستر والاستتار. وهما يعزز هذا الأمر ما جاء في القرآن الكريم من أمر للنساء بإدناء (جَلَابِيبِهِنَّ) في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ...**﴾[١]. فكأنّه (عليه السلام) - أراد بتوظيفه مفردة (جِلْباباً) في الإشارة إلى إدناء من أحبَّ اهل البيت وتقريبهم إليهم؛ لئلا تجذبهم متع الدنيا وزخارفها، فيكون ذلك سبباً في استحقاقهم العقاب والعذاب من الله تبارك وتعالى. ويفهم من هذا الأمر عدم الجمع بين حُبِّ اهل البيت والقيام بالأعمال المشينة القبيحة التي لا ترضي الله ورسوله وآله(عليهم السّلام). وقد وجدت عند ابن الأثير الجزري ما يشبه هذا المعنى؛ إذ يقول:((... وقيل إنما كنّى بالجِلبَاب عن اشتماله بالفَقر.أي: فَلْيَلبَس إزار الفَقر ويكون منه على حالةٍ تَعُمُّه وتَشْمَلُه؛ لأن الغِنى من أحوال اهل الدنيا، ولا يتهَيَّأ الجمع بين حُبّ الدنيا وحُبّ اهل البيت))[٢].

أقول: وقد وردت الدلالة المتقدمة نفسها في (خ / ٤، ٦٦، ٨٧، ١٥٣، ١٨٢، ك / ١٩، ١٠، ٦٥). إذ استعملت لفظتا (تَجَلْبَب، وتَجَلْبَبوا) دالة على الاشتمال بالسّكِينة والخوف في (خ / ٦٦، ٨٧). وألفاظ (جَلابِيب، و جَلابِيبِها)، للدلالة على الاشتمال بالغفلة والظلمة والفتنة وطغيانها،فضلاً عن الدنيا وزينتها، وذلك في (خ / ١٥٣،

(١) الأحزاب / 59.

(٢) النهاية في غريب الحديث: 1/ 283.

١٨٢، ك/ ١٠).

في حين ساق الإمام مفردة (جِلْبَاب)، و(جِلْباً) للدلالة على الاستتار واللِّين والرفق،والدِّين الذي عدّه الإمام وجهاً لاستتار المنافق به من جهة كونه يستر صاحبه بتظاهره بالدّين الذي يشبه الجلباب، وذلك في (خ/ ٤، ك/ ١٩).

مئْزَرك

الإزَار المِئْزر[١]. و الإزار المِلحَفة[٢]. ولم يذكر أكثر اللغويين معنى هذا الضرب من الألبسة، ولكنهم نقلوا عن ثعلب (ت ٢٩١ هـ) أنّ الإزار هو كل ما وَارَى وسَتَر[٣]. ثم ذكر أنه ثوب يستر أسفل البدن، وهو غير مخيط[٤]. وفرّقوا بينه وبين (الرّداء)، فذكروا أنّ الأخير مخصوص بستر أعلى البدن، وكلاهما غير مخيط[٥].

وقد وردت مفردة (مِئْزَرك) مضافة إلى ضمير الخطاب مرة واحدة في نهج البلاغة، في حين جاءت لفظة (مآزِر) بصيغة الجمع على (مَفَاعِل) مرة واحدة أيضاً[٦]، للدلالة على المِئزَر، وهو الثوب الذي يغطي أسفل البدن. وأورد الإمام هاتين اللفظتين للحثِّ على الاستعداد والتّهَيُؤ. ومن ذلك قوله الذي يخاطب فيه (أبي موسى الأشعري)[٧]، الذي كان عامله على (الكوفة) لمّا بلغه تثبيطه الناس

---

(١) ينظر: العين (أزر):382/ 7، وتهذيب اللغة (أزر):16/ 13.

(٢) ينظر: المحكم:75/ 9، ولسان العرب (ازر):16/ 4.

(٣) ينظر:لسان العرب (ازر):16/ 4.

(٤) ينظر: تاج العروس (ازر):43/ 10، والمعجم الوسيط:16/ 1.

(٥) نفسها.

(٦) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: 25.

(٧) هو أبو موسى عبد الله بن قيس بن حضار المذحجي، أسلم بمكة وهاجر إلى الحبشة، وأول مشاهده كان في (خيبر)، ولاّه الخليفة عمر بن الخطاب البصرة، ثم عزله عنها، فنزل الكوفة وابتنى

عن الخروج مع الإمام لحرب أصحابِ (الجمل)[١]: ((**أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ قَوْلٌ هُوَلَكَ وَعَلَيْكَ، فَإِذَا قَدِمَ رَسُولِي عَلَيْكَ، فَارْفَعْ ذَيْلَكَ، وَاشْدُدْ مِئْزَرَكَ، وَاخْرُجْ مِنْ جُحْرِكَ، وَانْدُبْ مَنْ مَعَكَ**...))[٢].وفي النص تَشدِيد وإلزام من الإمام لعامله توبيخاً وتأنيباً له، مستعملاً لذلك ضروباً من الكناية لحثه على النهوض والاستعداد. فقوله ((**فَارْفَعْ ذَيْلَكَ، وَاشْدُدْ مِئْزَرَكَ**)) يُراد منه: ارفع أطراف ثَوبك واشدد مِئْزَرك استعداداً للقيام بما أمره الإمام به من البدار والمسارعة اليه لأنه (عليه السلام) أحسّ بما عند (أبي موسى) من خور وتردد عن ذلك، فجاء كلامه توبيخاً وتقريعاً له[٣]. فكنّى برفع الذيل وشّدِّ المئزر عن التّشْمير والجِدّ في الأمر[٤]، في حين أنّه كنّى عن الخروج من الجحر بالنهوض من حال الدعة الأمان الذي ركن إليه عامله المتقاعس عن نصرته. ومن الجدير بالذّكر أنّ مفردة (مشئزَر) من الفاظ الحديث النبوي، التي وردت في كلام النبي (صلى الله عليه وآله) غير مرة، ومن ذلك ما ورد في حديث الاعتكاف الذي يقول: ((**كان إِذا دَخَلَ العَشْرُ، أَحيا اللَّيْل وشَدَّ المِئْزَر**...))[٥]. وشدّ المئزر كناية عن التشمير للعبادة[٦]. وهذا المعنى الذي ورد في

به داراً. ثم استعمله عثمان بن عفان عليها، فلما قتل بقي ابو موسى عليها ايام خلافة الإمام علي، فما زال معه، حتى حدثت حادثة التحكيم التي كان فيها الاشعري أحد الحكمين فيها. وقد مات أبو موسى سنة (47هـ). ينظر: حلية الأولياء:57/ 1، والطبقات الكبرى:16/ 6.

(١) نهج البلاغة (عبده): ك/ 63:486/ 3.

(٢) نهج البلاغة: ك/ 63: 578،577.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): 371/ 5.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): 187/ 17.

(٥) السنن الكبرى: 2/ 50، والنهاية في غريب الحديث: 44/ 1، وفيه: ((كان إِذا دخل العشُر الَأواخرُ أَيقظ اهله وشَدَّ المئْزَرَ...)).

(٦) ينظر: النهاية في غريب الحديث: 44/ 1.

الحديث استعمله الإمام (عليه السلام) نفسه، والفارق بين القولين السياق فقط، فكلام الإمام في سياق التقريعِ والتوبيخ، وسياق الحديث النبوي سياق عبادة وترغيب. ونظير المعنى المتقدم ورد في نهج البلاغة بمفردة (مآزر) وذلك في (خ / ٢٤١).

٦ـ هيأة اللباس

شَمَّر

الشَّمْر تَشْمِير الثَّوب ورَفعُه[١]. والتَشْمير الإرسال، من قولهم شَمَّرْت السفينةَ،إذا أرسلْتها[٢]. والتّشمِير و التَّشَمُّر التّهيُّؤ والمرو بجدِ واجتهادٍ[٣]. وشَّمْر عن ساقه إذا خَفَّ مسرعاً[٤]. وفي الأمثال(شمّرَ ذَيلًا وادَّرَعَ ليلًا)[٥]. أي: تأهَّب للأمر وتَجَلّد لركوبه[٦].

وقد استعمل الإمام لفظة(شمّر) بوزن (فَعّل) ثلاث مرات في نهج البلاغة، في حين جاءت لفظة (شَمِّر) بصيغة الأمر مرتين، واقتصرت ألفاظ (شَمّرت) المسندة إلى ضمير المؤنثة،و(تَشمِيراً)، و(التّشمِير) على الورود مرة واحدة فحسب لكل مفردة منها[٧]، للدلالة على الاستعداد والتّأهّب. ومن ذلك قوله (عليه السلام) في تحذير

(١) ينظر: العين (شمر):٦/ ٢٦١، ولسان العرب (شمر): ٤/ ٤٢٤.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (شمر): 250/ 11.

(٣) ينظر: لسان العرب (شمر): 424/ 4.

(٤) نفسه.

(٥) ينظر: مجمع الأمثال: 362/ 1، والمستقصى في أمثال العرب:134/ 2.

(٦) نفسها.

(٧) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة (شمر): 244.

(معاوية ابن أبي سفيان): ((...**فَاقْعَسْ**[١] **عَنْ هَذَا الأَمْرِ، وَخُذْ أُهْبَةَ**[٢] **الحِسَابِ، وَشَمِّرْ لِمَا قَدْ نَزَلَ بِكَ**...))[٣]. يريد تحذير معاوية، ودعوته إلى نبذ الضغينة والحِقْد، و ترك ما هو ماضٍ اليه من السعي لقتال الإمام. ولهذا أمره(عليه السلام) بأخذ الاستعداد للحساب، إشارة إلى الحساب الذي سيلقاه في الآخرة وما سيناله من حساب في الدنيا، من مواجهة الإمام له بجيشٍ لا قِبل له به. ولهذا دعاه إلى أن يُشمِّر من ثيابه لما قد نزل به من أمر يبعده عن النّصر في مواجهته الإمام. وجعل بعض الشّرَّاح لفظة (شَمِّر) في هذا السياق كناية عن الاستعداد لما ينزل به من الموت أو القتل[٤].

وقد وردت ألفاظ (شمّر، و شَمِّر، و شَمّرتْ، و تَشْمِيراً، والتَّشْمِير) بالدلالة نفسها، وذلك في: (خ/ ٣٢، ٩٣، ٢٢٣، ك ٣٦،٣٤، قصا / ٢١٠ ٢).

سَدَلت

السَّدْل إرخاء الثوب وإسباله من المنكبين إلى الأرض[٥]. ويكون ذلك دون أَنْ يُضم جانبي الثوب، فإِن ضَمَّهما، فليس ذلك بسَدْلٍ[٦]. وكيفية (السَّدْل) أَن يَلْتَحِف المُصلّي بِثوبه، ويُدْخِل يديه من داخل، فيركع وَيَسْجد وهو كذلك[٧]. وقد ورد في النصوص كراهة السَّدل على الإزر بغير القميص، فأما عليه فلا بأس

---

(١) أقعَس تأخّر. ينظر: لسان العرب (قعس): ٦/ ١٧٧.

(٢) الُأهبة العدّة، و التأهّب الاستعداد. ينظر: لسان العرب (أهب): ١/ ٢١٧.

(٣) نهج البلاغة: ك / 10: 468.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٤/ ٢٠٧.

(٥) ينظر: العين (سدل): 228/ 7، وتهذيب اللغة (سدل): 252/ 12.

(٦) ينظر: غريب الحديث (أبو عبيد): 3 / 482، و تهذيب اللغة (سدل): 252/ 12.

(٧) النهاية في غريب الحديث: ٢/ ٣٥٥.

بذلك[١]. وجاء في المدونات أنّ السّدل من خصائص اليهود وقد كانت اليهود تفعله[٢].

وقيل بل السَّدْل هو وَضْعُ وسَطَ الإِزار على رأْس المصلي ومن ثَمّ ارْسال طَرَفيه عن يمينه وشماله من غير أَن يجعلهما على كتفيه[٣].

واستعملت مفردة (سَدَلْتُ) بصيغة الفعل الماضي المسند إلى ضمير المتكلم مرة واحدة في نهج البلاغة[٤]. للدلالة على إرخاء الثوب بينه وبين (الخلافة)، وذلك في قَوْله الذي يصف فيه أخذ الخلافة منه مع كونه الأحقّ بها، ولكنه مع ذلك رغبَ عنها، وسترَ نفسه عن عوراتها. يقول (عليه السلام): ((**أَمَا وَالله لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلَانٌ، وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَا. يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ، وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ، فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً، وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً**[٥]...))[٦]. يفصّل الإمام حال التسلط على الخلافة، وأخذها منه دون وجه حق. مشيراً بذلك الى الخليفة (أَبي بكر) الذي تَسَنَّم الخلافة على أثر اجتماع (السقيفة) التي فصَّلت كتب السيرة والتأريخ أخبارها[٧]. ويعقد (عليه السلام) موازنة بين منزلته ومنزلة غيره ممن سعى إلى الوثوب على حقّه وارتداه كما يُرتدى (القميص) ويلبس، فذكر منزلته منها كمنزلة(القطب

---

(١) وسائل الشيعة: ٤/ ٣٨٣، و ٤٠٢.

(٢) ينظر: النهاية في غريب الحديث:٢/ ٣٥٥.

(٣) النهاية في غريب الحديث: 355/ 2،ولسان العرب (سدل):11/ 333.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: 213.

(٥) الكشح مابين الخاصرة الى الضلع الخلف من لدن السّرّة الى المَتْن. ينظر: لسان العرب (كشح): ٢/ ٥٧١.

(٦) نهج البلاغة:خ / 3: 28.

(٧) ينظر: السيرة النبوية (ابن هشام): ٦/ ٧٨ وما بعدها، وتاريخ الرسل والملوك: ٢/ ٢٣٤ وما بعدها.

من الرَّحى)، إشارة إلى كونه الأصل الذي تدور عليه أمور الناس التي تكون بحاجة اليه. أمّا وقوله (فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً)، فالسَّدْل إرخاء الثّوب من المَنكِب إلى الأرض[١]. فلما قصد الدلالة على رغبته عن(الخلافة) وستر نفسه عن زخرفها، فجاء بالمفردة المتقدمة: ((كِناية عن احتجاجه عن طلبها، والمبالغة فيها بحجاب الإعراض عنها، واستعار لذلك الحِجاب لفظ الثوب...))[٢]. وضرَبه السّدل بينه وبين الخلافة يشير إلى زهده فيها ورغبته عنها[٣] مؤكّداً زهده هذا بقوله (وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً). كأنه قطع نفسه عنها، بإمالة كشحه وطويه عن غرورها وخداع منصبها، حتّى أنّه صام عنها ولم يُلْقِم نفسه إيّاها على حدّ تعبير الشارح ابن أبي الحديد[٤]. الذي أفاد التعبير المتقدم من مفردة (طَوَيْت) التي تدل على ضمور البَطن لقِلّة ما فيها من طعام[٥]. ويقال في اللغة (طَوى كَشحَه)؛ إذا أضمره[٦]. وهو معنى يليق بالسياق الذي تكلم

فيه الإمام (عليه السلام).وهذا يدل على زهده فيما تهافت عليه غيره من المناصب التي يسعى الآخرون الى تحصيلها، في حين أصحابها الجديرون بها طووا أنفسهم عن الخوض فيها، لّما صار الحال إليها حال تسابق وغلبة.

٧ـ لباس الموت.

(١) ينظر: العين (سدل):228/ 7.

(٢) شرح نهج البلاغة (البحراني): ١ / ١٧٥.

(٣) شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١ / ١٥٤.

(٤) نفسه.

(٥) ينظر: لسان العرب (طوي):١٥/ ١٩.

(٦) نفسه.

أَكْفَان

الكَفَـن معـروف، وهـو لبـاس الميّـت الـذي يغطـى بـه ويسـتر[١]. والظاهـر أنّ أصل (الكفَـن)،في اللغـة، الدلالـة على غَـزل الصَّـوف. يقـال: كَفَـنَ الرّجـل.إذا غـزل الصّوف[٢].والكَفْـن التغطيـة والسـتر[٣]. ومـن هـذا المعنـى أخـذت دلالـة لفظـة الكفـن التـي يـراد بهـا السّـتر والمـواراة[٣]. وتجمـع الكلمـة المتقدمـة عـلى (أكْفَـان)[٤].

ولفظـة (أكْفَـان) مـن الفـاظ نهـج البلاغـة، إذ وردت فيـه مـرة واحـدة، في حـين جـاءت المفـردة نفسـها مضافـة إلى ضمـير الغائـب المذكـر (أَكْفَانِـه) مـرة واحـدة أيضـاً[٥]، للدلالـة الكفـن الـذي يـدرج بـه الميّـت، ويلـفّ بـه.ومـن ذلـك قولـه (عليه السلام): ((...**ثُـمَّ أُدْرِجَ[٦] فِي أَكْفَانِهِ مُبْلِسـاً[٧]**...))[٨]. والإدراج الميت إلباسه كفنه، ليعود الى ربّـه، فكـما خـرج مـن بطـن أمـه في أول حياتـه ولُـفَّ في قـماش أبيـض، فإنّـه يُطـوى في كفنـه، ويُضـمّ عليـه كالكتـاب، وهـو سـاكت لا ينطـق كأنّـه ختـم عـلى فمِـه[٩]. وربّـما أريـد بلفـظ (الأَكفَـان)، في هـذا المقـام، التّلَفّـع واللّـف بهـا، حتّـى تصـير مشـتملة عـلى بـدن الميّـت كلّـه. ومجيء بصيغـة الجمـع ؛ يرجـع لاعتبـار هيـأة التكفـين وطريقتـه التـي يقـوم بهـا المشرفـون عـلى تجهيـز الموتـى. ويحتمـل أن يكـون المـراد بلفـظ الجمـع الدلالـة

(١) ينظر: تهذيب اللغة (كفن):١٠/ ١٥٤، و المحكم (كفن):٧/ ٦٠، ولسان العرب (كفن): ١٣/ ٣٥.

(٢) ينظر: العين (كفن): ٥/ ٣٨٢، و تهذيب اللغة (كفن):١٠/ ١٥٣.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (كفن):١٠/ ١٥٤.

(٤) ينظر: المحكم (كفن):٧/ ٦٠.

(٥) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٠١.

(٦) الإدراج الرجوع في الطريق الأول. ينظر: لسان العرب (درج): ٢/ ٢٦٧.

(٧) الإبلاس الانقطاع والسكوت والندم. ينظر: لسان العرب (بلس): ٦/ ٢٩.

(٨) نهج البلاغة: خ / ٨٣:١٣٣.

(٩) ينظر: الديباج الوضي:٢/ ٦١٣، ٦١٤.

على تعدد صور التكفين التي يدرج بها الموتى، فمرّة يكفّن الميت بالكفن المعروف الذي يحاك من الصوف أو غيره من النسيج، وأخرى يكون تراب القبر كفناً للموتى، بلحاظ الإحاطة والاشتمال الذي ينطوي عليها البَدن. وهذه الدلالة من الدلالات المميزة في نهج البلاغة، إذ استعملها أمير المؤمنين قول (عليه السلام):

((...**حُمِلُوا الى قبورهم...وجعل لهم من الصّفِيحِ**[١] **أجْنَانُ**[٢]**، ومن التّرابِ أكفانُ، ومن الرّفات جيرانٌ...**))[٣]. فكأنّ من أدرج في قبره كان كمن لُفَ في كفنه واستتر به، في إشارة الى أمرين،فإمّا أن يكون ذلك علامة على أن من أُقبِر يستلزم حينذاك أن يكون قد أُلْبِسَ الكفن، ومن ثَمّ وسِّد في لحده،أو أن كلامه (عليه السلام) عاماً لا يخص الموتى من المسلمين الذين تشترط الشريعة الإسلامية أن يجهّزوا عند موتهم بالأكفان ويلفوا بها بطريقة مخصوصة مع إجراء بعضٍ من الطقوس المرافقة لذلك، وإنّما يكون معنى قوله أنّ الأموات من غير المسلمين سيكون التّراب بديلاً عن الأكفان لهم، فهو يحيط بهم من جميع جوانبهم، وهذا هو المراد من الكفن في معناه العام، الذي يدل على الستر والمواراة.

---

(١) الصفيح العريض من كل شئ.ينظر: مقاييس اللغة(صفح):٣/ ٢٩٣.

(٢) الأجنان جمع (جنن)، وهو القبر الذي يدفن به المرء فيستر بدنه. ينظر: لسان العرب (جنن): ١٣/ ٩٣.

(٣) نهج البلاغة:خ/ ١١١: ٢٠٩.

المبحث الثاني
ألفاظ لباس القدم ومتعلقاتها

النَّعْل

النَّعْـل مـا جَعَلْتَـه وقايـة مـن الأرض[١]. ورجـل ناعِـل. أي ذو خُـفٍّ وَنَعـل[٢]. وسُـمِّيت النَّعْـل بذلـك ؛ لوقوعهـا أسـفل القـدم، سـواء أكان ذلـك في الإنسـان أم في الحيـوان[٣].

وقـد وردت لفظـة (النَّعْـل) ثـلاث مـرات في نهـج البلاغـة، في حـين اسـتعملت المفـردة المتقدمـة مضافـة إلى كاف الخطـاب (نِعْلِـك)، والى ضمـير الغائـب (نِعْلِـه) مـرة واحـدة لـكل منهـا[٤]، للدلالـة (النَّعْـل) المعروفـة التـي تُلْبَـس حفاظـاً عـلى الرجلـين، ووقايـة لهـا مـن الأرض.

أولاً: الدلالة على عدم القيمة والفائدة.

وقـد جـاء هـذا المعنـى في سـياق كلامـه (عليه السلام) عـن (الإِمْـرَة)، سـواء أكانـت أمْـرَة الجيـش أم أمـرة الأمـة بأجمعهـا وذلـك بحـوار لـه مـع (عبـد الله بـن عبـاس)، عنـد خروجـه لقتـال اهـل البـصرة. يقـول ابـن عبـاس: ((**دَخَلْـتُ عَـلَى أَمِـيرِ الْمُؤْمِنِـينَ** (عليه السلام) **بِـذِي قَـارٍ وَهُـوَ يَخْصِـفُ نَعْلَـهُ فَقَـالَ لِي: مَـا قِيمَـةُ هَـذَا النَّعْـلِ؟. فَقُلْـتُ: لَا قِيمَـةَ لَهَـا.**

(١) ينظر: العين (نعل):2/ 142، و تهذيب اللغة (نعل):242/ 2.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (نعل):242/ 2.

(٣) نفسه:445/ 5.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: 447.

فَقَالَ (عليه السلام): وَاللهِ لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِمْرَتِكُمْ، إِلَّا أَنْ أُقِيمَ حَقّاً أَوْ أَدْفَعَ بَاطِلًا...))[١].

واستعماله مفردة (النّعل) في هذا السياق، مع كونها لاقيمة لها، لارتباطها بالخبث والقذر الذي تطؤه الأقدام، فضلاً عما يَتَوَقَّى بها من عثرات الطريق. ولاقيمة لهذا النوع من البسة القدم لما فيه من معاني الوطئ والسحق، سوى فائدة واحدة، وهي الحفاظ على القدم من الأذى والوسخ، وهذا هو المعنى الذي أراد الإمام الإشارة إليه من تشبيه (الإمرة) بـ(النّعل)، فأمّا كونها أحب إليه، فلأنها تفيد في درء الأقذار ووقاية الرجل مما يصيبها من الأذى وغير ذلك، مع ملاحظة أنّ المرء يمكنه التّصرّف بـ(نعله) كيفما يشاء، في حين أنّ (الإمرة) تقيّد الحاكم وتمنعه من التصّرف وفق الأحكام والقوانين الإسلامية، لعدم الرغبة الغالبة عند الناس في سيادة الحق.

أقول: وقد ناسب أن يصف الإمام (الإمرة) على رفعتها ومكانتها لدى الناس، ويوازن بينها وبين (النَّعْل) مفضّلاً الأخيرة على الأولى على الرغم من قلّة شأنها وازدرائها، في إشارة إلى ذلِّ الإمرة وارتهان من يقع في أحضانها بها، حتى يصير بمنزلة العبد لها، ولاسيّما إذا كان المرء مغتراً بالمنصب وإغراءاته المتعلّقة بالجاه والسلطة والحكم. ولّما كان (النَّعْل) علامة على الذل وعدم القيمة، لهذا كان ذُلّ النَّعْل أهْون عليه من ذلِّ الإمرة[٢]. وثمة دلالة أخرى يتضمنها قوله (عليه السلام)، وهي تشبيه إشاعة الحق ومنع الباطل من أن يسود بالنَّعل التي تكون لاقيمة لها إن لم تكن سبباً في حفظ القدم من الأذى ودفعه. فليس ثمّة نفع في الإمرة إن لم يتمكن الحاكم بها من دفع الباطل وإنصاف الناس المظلومين.

(١) ينظر: نهج البلاغة: خ33: 73.

(٢) وقد ورد في مأثور الامثال أنهم يقولون:(أذلُّ من النَّعْل)، للدلالة على قلّة الشأن. ينظر: جمهرة الأمثال: ١ / ٤٧٠.

وقد وردت لفظة (نَعل) في القرآن الكريم بدلالتها بالدلالة على لباس القدم الذي يتوقى به المرء من القذارة وغيرها، وقد ذكرت في سياق أمر الله تبارك وتعالى في دخول الوادي المقدس (طُوى) يقول تعالى مخاطباً نبيه (موسى) (عليه السلام): ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾[1]. فإكراماً للمكان ومَنْ حلَّ به أُمِرَ (موسى) بِخلعِ نعليه؛ لأنَّ الحَفْوة تواضع لله تبارك وتعالى، واحتراماً للبقعة وتعظيماً لها وتشريفاً لُقِدْسها[2]، وكذلك لُيبَاشر بقدميه بركة الوادي المقدس، حسبما روي عن الإمام علي (عليه السلام)[3].

ومن نظير هذهِ الدلالة في عدم المنفعة لما تسافل من الأشياء بشكل يكون النَّعل أكثر فائدة منه ما ورد في (ك/ ٧١). وجاءت مفردة (النَّعْل) أيضاً دالة على النَّعْل الذي يُلبس في القدم في (خ/ ٢٢٩).

ثانياً: الدلالة عن الانحراف عن الجادة والزلل إلى الباطل.

وقد ورد هذا المعنى في موضع واحد استعمل فيه الإمام لفظة (النَّعْل) إشارة إلى السقوط في الباطل، وهو أن يقع الإنسان في معضلة تقوده إلى مجانبة الحق ومفارقة حالته الأولى. وقد نَبّه الإمام إلى هذا المعنى بقوله الذي يرد به على مَن عاتبه في التّسْوِيَة في العَطَاء بين الناس، فخاطبهم قائلا: ((**أَتَأْمُرُونِّي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ..لَوْ كَانَ الْمَالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ فَكَيْفَ وَإِنَّمَا الْمَالُ مَالُ اللهِ... وَلَمْ يَضَعِ امْرُؤٌ مَالَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَلَا عِنْدَ غَيْرِ اهلِهِ إِلَّا حَرَمَهُ اللهُ شُكْرَهُمْ وَكَانَ لِغَيْرِهِ وُدُّهُمْ فَإِنْ زَلَّتْ بِهِ النَّعْل يَوْماً فَاحْتَاجَ إِلَى مَعُونَتِهِمْ فَشَرُّ خَلِيلٍ وَأَلْأَمُ**

(١) طه/ 12.

(٢) الكشاف ٢/ ٩٩.

(٣) ينظر: البيان في تفسير القرآن (الطوسي): ٧/ ١٦٢.

خَدِيـنٍ))[١]. وفي هـذا السـياق يكنّـي (عليه السلام) عـن الخطـأ والعِثـار، بِزَلَّـة النَّعْـل التـي يتلوهـا السـقوط لا محالـة[٢]. وبحسـب السـياق، فالإمـام لا يريـد مـن كلمتـه هـذه الحديث عـن النَّعْـل، وإنـما جعلـه مـن بـاب الإشـارة إلى السـقوط والوقـوع في الخطـأ. وقـد ورد في المأثـور مـن الامثـال القديمـة قولهـم: ((زَلَّـتْ بـه نَعْلُـه))[٣]، وهـو مثـل يـضرب لمـن نُكِـب وزالـت نعمتـه[٤]. فكأنـه (عليه السلام) يريـد القـول:إنّ الـذي يضـع أمـوال الحقـوق المفروضـة مـن الله تبـارك وتعـالى وغـير ذلـك، في غـير مسـتحقيها طلبـاً لوِدِّهـم وزلفـة لهـم، مـا يلبـث أن ينـصرف عنـه هـؤلاء الذيـن آثرهـم عـلى دينـه، حتّـى يصبـح عندهـم شر صاحـب وخليـل.

ثالثاً: الدلالة على خصف النعل وإصلاحه.

وجـرى اسـتعمال هـذا المعنـى في كلام الإمـام في سـياق حديثـه عـن صفـة رسـول الله التـي يقـول فيهـا: ((**وَلَقَـد كَانَ (صلى الله عليه وآله وسلم) يـأكُلُ عَـلَى الأرض، وَيَجْلِـسُ جِلْسَـةَ العَبْـدِ، وَيَخْصِـفُ بِيَـدِهِ نَعلَـهُ، وَيَرْقُـعُ بِيَـدِهِ ثَوْبَـهُ...**))[٥]. ونلحـظ أن اسـتعمال مفـردة (نَعلَـه) قـد جـاءت ضمـن سـياق بيـان تواضـع النبـي، وعـدم إيـكال أعمالـه الخاصـة إلى غـيره اسـتئثاراً منـه بأدائهـا، ليعلـم النـاس أن سـلطة النبـوة ورفعـة شـأنها لا تذهـب هيبـة صاحبهـا أو تنـزل مـن قـدره، وإنـما تعـزّ مكانتـه وتكـبره في المجتمـع. حتـى أنّ الإمـام، لمّـا أراد التعبـير عـن هـذا الأمـر اسـتعمل مفـردة (بيـده)، ليؤكـد الواسـطة التـي يكـون بهـا (خَصـف) النعـل وإصلاحـه، تحقيقـاً لأداء النبـيِّ هـذا العمـل بيـده دون

(١) ينظر: نهج البلاغة: خ / ١٢٦: ٢٣١، ٢٣٢.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): 563/ 3،و الديباج الوضي: 3/ 1050.

(٣) ينظر: مجمع الأمثال: 563/ 1.

(٤) نفسه.

(٥) ينظر: نهج البلاغة: خ / 160: 284.

الاستعانة بغيره[١]. مع كون هذا النوع من الأعمال مما يقلل الشأن عند الناس ؛ لارتباطه بإصلاح (النعل) الذي تسحق به الأقذار والأوساخ. وتقديم كلمة (بِيَده) على المفعول، جاء مناسباً لغرض المدح والثناء الذي يتضمنه النص، فلو تأخّر(الجار والجرور) عن (المفعول به)، وهو قوله (نعله)، لكان المراد أنّه ربّما شاركه في ذلك غيره من الناس في ذلك، في حين أن تقديم الجار والمجرور يوجب اختصاصه بذلك.

يَخْصِف

الخَصْف القطعة مما يُخْصَف به النَّعْل[٢]، والمِخْصَف مِثْقَبه[٣]. وذهب ابن فارس إلى أنّ (الخاء والصاد والفاء) أصل يدل على جمع شيءٍ إلى شيءٍ، ومنه خَصْف النَّعْل، وهو أن يُطبَق عليها مِثْلُها[٤].

---

(١) وتقديم الجار والمجرور على (المفعول) مبحث له دلالات متعددة،وهو رهن السياق. وقد وقف عنده النحاة والمصنفون في التعبير القرآني وبيّنوا دلالته، ومن ذلك كلامهم في قوله تعالى شأنه في قصة موسى (عليه السلام): ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾(طه / 67) الذي تقدم فيه الجار والمجرور، وهو قوله(في نفسه)،على المفعول به (خِيفَة)، وعُدّ ذلك من حسن التقديم،فلو قيل– في غير القرآن– (فَأَوْجَسَ خِيفَةً فِي نَفْسِهِ)، لاحتمل المعنى أن في نفسه خوفاً أحسَّ به ثم أظهره، في حين أن المراد –كما يبدو– أنّ الخوف على سبيل المدح له ؛ لأنّه لم يعلم خوفه إلا الله تبارك وتعالى، ولذلك خاطبه تبارك وتعالى بقوله: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى﴾ (طه / 68). ولو كان الجار والمجرور متأخّراً ؛ لدلّ ذلك على ذمِّ موسى (عليه السلام) ؛ لأن نفسه حينذاك ستكون منطوية على الخوف مجبولة عليه. ينظر: الجملة العربية تأليفها وأقسامها ؛ للدكتور فاضل السامرائي: 54، 55.

(٢) ينظر: العين (خصف): 4 / 189.

(٣) نفسه.

(٤) ينظر: المقاييس: (خصف): 149/ 2.

ولفظة (يَخْصِف) من الفاظ نهج البلاغة التي استعملت فيه مرة واحدة[١]، للدلالة على خصف نَعْل رسول الله بيده وإصلاحه. وذلك في قول الإمام: ((**وَلَقَد كَانَ (ﷺ) يأكُلُ عَلَى الأرض، وَيَجْلِسُ جِلْسَةَ العَبْدِ، وَيَخْصِفُ بِيَدِهِ نَعلَهُ، وَيَرْقُعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ**...))[٢]. ويخصف (نَعلَه)، أي: يخيطه ويُطْرِق بعض أجزائها على بعض. والنص في مقام التَأسي برسول الله، ووجوب التخلّق بأخلاقه، والابتعاد عن زخارف الدنيا ولذاتها، فضلاً عن ضرورة التواضع ومجانية التَّكبّر. وقد أفاد (عليه السلام) من القرآن الكريم في توظيفه لمفردة (يَخْصِف) مع الفارق بين السياقين، فقد استعمل الذكر الحكيم مفردة (يخصفان) في حكاية (آدم وحواء) (عليهما السلام)، لمّا ذاقا من الشجرة التي نهاهم الله عنها. يقول تبارك وتعالى: ﴿...**ا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ**...﴾[٣]. والمراد بـ(الخَصْف) في السياق القرآني السّتر، وذلك بلصق ورقة على ورقة أخرى بضمّ بعضها إلى بعض؛ لستر عورتيهما[٤].

أقول: وقد وردت مفردة (يخصف) في الحديث الشريف أيضاً بوزن الفاعل (خَاصِف)، وذلك في مقام مدح النَّبيِّ للإما علي في قوله:((**إنَّ مِنْكُم من يُقَاتِلُ على تَأويله كما قاتَلْتُ على تنزيله. فقام أبو بكر وعُمَر. فقال: لا، ولكِن خَاصِفُ النَّعْل. وعليٌّ يَخْصِفُ نَعْلَهُ**...))[٥]. والحديث يشير الى الثناء على الإمام

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: 137.

(٢) ينظر: نهج البلاغة (صبحي): خ / 160: 284.

(٣) الأعراف / 22. وينظر: طه / 121.

(٤) ينظر: مجمع البيان: 210/ 4، و المحرر الوجيز: 2/ 386.

(٥) مسند أحمد بن حنبل: 33/ 3، وينظر فضائل الصحابة، لأحمد بن حنبل: 2/ 149، الذي أورد الحديث بالفاظ مختلفة، والخصال، للشيخ الصدوق: 1/ 283،ووسائل الشيعة: 1/ 15، و 27.

بالاختصاص بالنبيِّ الأكرم (ﷺ) الذي خصه دون غيره بـ (خَصْفِ نَعْله)، في رواية من ذهب إلى أنه كان يخصف نعل رسول الله.

شِرَاكَيْه

الشِّرك سَيْر النَّعْل الذي يكون على ظهرها[١].

وقد وردت مفردة (شِرَاكَيْهِ) بصيغة التثنية مضافة إلى ضمير الغائب مرة واحدة في نهج البلاغة[٢]، للدلالة على شراكي النَّعْل في سياق وصف الإمام (المنذر بن الجارود العبدي)[٣]. يقول الشريف الرضي، بعد روايته كتاب الإمام إلى (المُنذر)، الذي يُعَنِّفه فيه على خيانته في بعض ما ولاه من أعمال: ((**وَ الْمُنْذِرُ بن الجَارُوْدِ هذا هو الذي قال فيه أمير المؤمنين (عليه السلام): إنّهُ لَنَظَّارٌ في عِطْفَيْهِ**[٤]**، مُخْتَالٌ في بُرْدَيْهِ، تَفَّالٌ**[٥] **في شَرِاكَيْهِ**))[٦]. يصف الإمام حال هذا الرجل الذي ينماز بالتعالي والاختيال والتكبر والزَّهو. وهو ما يفسّر استعمال أبنية المبالغة في السياق المتقدم؛ للدلالة على الخيلاء التي يتصف بها هذا الشخص، فجاءت لفظتا(نَظّار) و(تَفَّال)؛

---

(١) ينظر: العين (شرك): 293/ 5، ينظر: تهذيب اللغة (شرك) 1 / 13.

(٢) لم ترد هذهِ المفردة في (المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة)، ولعل ذلك راجع إلى عدم اعتبارها من مفردات النهج، على الرغم من أن (الشريف الرضي) نقلها في ختام كتاب الإمام إلى (المنذر بن الجارود العبدي) في قوله المتقدم.

(٣) هو بِشْرْ بن عَمرو بن حُبَيش بن المُعلىّ العبدي. ولد في عهد النبي (ﷺ)، وكانت لأبيه صحبة. وقد جعله الإمام علي والياً على (اصْطَخر). وشهد مع الإمام وقعة (الجَمَل)، ثم تولى إمارة الهند في عهد يزيد بن معاوية، ومات بها سنة (٦١ هـ). ينظر: الإصابة في تتميز الصحابة: ٦/ ٢٦٤.

(٤) العِطْف المنكب. وعِطفا الرَّجل جانباه من لدى رأسه إلى وركه. ينظر: لسان العرب (عطف): 552 / 1.

(٥) التّفال البصاق والزَّبد. ينظر: لسان العرب (تفل): 77/ 11.

(٦) نهج البلاغة: ك ٧١: ٥٩١.

لبيان كثرة نظره إلى نفسه ومبالغته في الإعراض عن الآخرين، بثَني عطفه عنهم، كأنّه لا يليق بمثله أن يكون بمنزلة العامّة من الناس. مشيراً بلفظة (تَفَّال) إلى كثرة عنايته (بشِرَاكَي نَعْله)، إذ كان دؤوباً في البصاق عليهما، كلما أصابهما الغبار في محاولة منه لتنظيفهما ونفخ الغبار عنهما. وهذهِ الحالة لايفعلها إلا المعجب المزهوُّ بشراكيه[١]، على الرغم من قلّة شأنهما، ولكنه اتخّذ ذلك علامة على العناية بأكثر الأشياء دناءة وأقَلّها شأناً عند الناس. مبالغة في العُجب بنفسه، وانصرافه عن كرام الأمور وفي طليعتها رعايته حدود الله إلى العناية بمَلْبسه ومظهره. وذلك دليل على حمقه وتخايله ورعونته[٢].

أقول: واستعمال الإمام صيغ المبالغة في النص جاء مناسباً للدلالة على التكثير والمبالغة، فضلاً عن المداومة على الفعل، فمَن وصف بها كانت حرفته تلك الأوصاف التي جيء بها على زنة (فَعّال) [٣]. ومثل ذلك بناء (مِفْعَال) الذي صيغت عليه كلمة (مُخْتَال) للدلالة على الكثرة والمبالغة في الاختيال والكِبر.

شِّسْع

الشِّسع أحد أجزاء النّعل و متعلقاته. وهو السَّير الذي تُّشدّ به النعل إلى زمامها[٤]. وقيل: هو الذي يدخل بين الإصبِعَين. ويدخل طرفه في الثقب الذي في صدر النَّعل في الزِّمام[٥].

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): 45/ 18.

(٢) ينظر: الديباج الوضي: 5/ 2700.

(٣) ينظر: كتاب سيبويه: 110/ 1، والمقتضب: 2/ 113، ومعاني الأبنية: 108، 109.

(٤) ينظر:العين (شسع):242/ 1، و لسان العرب (شسع) 8 / 180.

(٥) ينظر: لسان العرب (شسع) 8 / 180، وتاج العروس (شسع): 21/ 271.

ومفرة (شِّسع) من مفردات نهج البلاغة، إذ وردت فيه مرة واحدة[١]، للدلالة على سير النعل الذي يدخل بين الإصبعَين، ومن ثَمّ يدخل في الثقب الذي في مقدمة النَّعل. وقد استعمل الإمام هذه اللفظة في سياق ذمه (المنذر بن الجارود العبدي) وتعنيفه: ((...**فَإِذَا أَنْتَ فِيمَا - رُقِّيَ[٢] إِلَيَّ عَنْكَ - لاَ تَدَعُ لِهَوَاكَ انْقِيَاداً وَلَا تُبْقِي لِآخِرَتِكَ عَتَاداً**[٣] ؛ **تَعْمُرُ دُنْيَاكَ بِخَرَابِ آخِرَتِكَ، وَتَصِلُ عَشِيرَتَكَ بِقَطِيعَةِ دِينِكَ. وَلَئِنْ كَانَ مَا بَلَغَنِي عَنْكَ حَقّاً. لَجَمَلُ اهلكَ وَشِّسْع نَعْلِكَ خَيْرٌ مِنْكَ**...))[٤]. يصف الإمام حال (المنذر بن الجارود) من خيانته وانصرافه إلى اتباع الهوى والتَّعَلّق بالدنيا والانصراف عن الآخرة، بعدم أخذ الأهبة لها من طاعة الله تبارك وتعالى وعدم مخالفته، وهذا كله حاصل، بسبب من استيلاء هذا الرجل على حقوق الناس، واستغلاله الصلاحيات التي يمتلكها بوصفه والياً، في تحصيل الأموال وإيثار عشيرته وأقاربه بها على حساب غيرهم من الرعية، مخالفة لأمر الله جل جلاله، ووصايا إمامه، ولهذا حقّره (عليه السلام) وبالغ في ذمِّه، جاعلاً من (جمل اهله) و (شِّسْع نعله) خيراً منه. واختياره لهذين الضربين المختلفين من الأمثلة التي جعلها مثلاً للموازنة بينها وبين (المُنذر)، فيبدو أنه راجع إلى أن (الجَمل) يمثل رمزاً للصَّبر والتحمّل عند العرب لطبيعة خلقته ومقدرته على السير لمسافات طويلة. فأراد (عليه السلام) ذمّ هذا الشخص تعريضاً به من خلال ذكر (الجَمَل) الذي يتصف بخصالٍ متعددة، لعل أهمها الصّبر و المقدرة على تحمل

---

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: 239.

(٢) الرُّقي الصعود والارتقاء.ينظر:العين (رقي):211/ 5 والمراد في كلام الإمام وصول الأخبار اليه عن المنذر بن الجارود العبدي.

(٣) العتاد العُدّة والاهبة والذخيرة. ينظر:لسان العرب (عتد):278/ 3.

(٤) نهج البلاغة: ك 71: 591.

الأشغال والأحمال والسير لمسافات بعيدة. كأنه أراد القول أن (المُنْذر) لم يكن بتلك الخصال التي هي أدنى ما يطلب من الوالي الذي يتوجب عليه الصَّبر وتحمل الأمانة والوصول بها إلى الغاية المطلوبة من الحفاظ عليها و تسليمها الى مستحقّيها. ويحتمل أن يكون توظيفه التمثيل بهذا النوع من الدواب، لكون(الجَمَل) مما يُضرب به المثل في الهوان والذّلّ عند العرب،على حدّ تعبير بعض الشّرّاح، فإنه يتوارث من الأب إلى الابناء، وكل يسوقه حيث شاء، حتى يصير حقيراً ذليلاً عندهم [١].

أمّا عدّ (شِسع نَعله) خيراً منه، فذلك متعلق بمكانة الشِّسع من النعل، فهو الأساس الذي يُشدُّ به النّعل إلى الزِّمام، ويدخل فيه الإصبعان من الرِّجل، فضلاً عن كونه يُمسك صدر النعل ويشدّه إلى الزِّمام على حدِّ وصف اللغويين. ومع ذلك كله فهو مرتبط بالرّذالة والسوء، فهو جزء من النّعل الذي يُلبس وقاية من الأقذار والأذى.

أقول: ولم يكن (المنذر بن الجارود) بمنزلة (شِسع النّعل) الذي يمثّل العماد في ثبات القَدم في النّعل، فلم يكن (المنذر) عماداً لحفظ الإمارة التي قلّده إيَّاها الإمام (عليه السلام)، فلهذا صار (شِسْع نَعله) خيراً منه، فقد حفظ قدمه وصانها من العِثار إشارة إلى ما ذكره الإمام من عناية هذا الرّجل بنفسه، وتكبّره واختياله على الناس ورعايته لمظهره، واجتهاده بتنظيف شراك نَعْله ونفض التراب عنه، فإنّه:)) **مُخْتَالٌ فِي بُرْدَيْهِ، تَفَّالٌ فِي شِرَاكَيْهِ**))[٢]، وفي ذلك دليل على حمقه ورعونته وتقديمه التافه من الأمور على الأهم من تفريطه في شؤون البلد وعدم رعايته مصالح الدولة الإدارية والمالية التي تمثل، فضلاً عن الفساد الذي ساد في ظل هذا الرّجل.

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): 44/ 18، و شرح نهج البلاغة (البحراني): 385/ 4،و الديباج الوضي: 2699/ 5.

(٢) نهج البلاغة: ك ٧١: ٥٩١.

المبحث الثالث

ألفاظ لباس الرأس ومتعلقاته

العِمَامَة

العِمامة معروفة، كما يذكر الخليل، وجمعها عَمَائِم[١]. وهي ما يُلاث على الرّأس تكويراً[٢]، ليلبسها الرجال[٣]. والعَمائِم بمنزلة (التِّيجَان) عند العجم[٤]. ولهذا قيل: ((**العَمَائم تِيْجان العَرب**))[٥]. وتذكر كتب التراث أن العرب كانت أذا سوّدت رجلاً ألْبَسته العِمامة، في إشارة إلى مكانة هذا الشخص وعلو منزلته[٦]. وورد في التراث اللغوي أن (المُعَمّم) هو السَّيِّد الذي يقلّده القوم أمورهم، ويلجؤون اليه في حوائجهم[٧].

وتتعدد الوان العَمائِم عند العرب ؛ فمنها البيضاء والسوداء،والصفراء والحمراء[٨]. وثمّة فوائد كثيرة (للعمامة)، فقد أثِر عن أبي الأسود الدؤلي (ت٦٩هـ) الذي عدد فوائدها قائلاً إنها: ((جُنّة في الحرب، ومكنة في من الحَرِّ، ومدفأة من القَرّ، ووقار في النّدى، وواقية من الأحداث، وزيادة في القامة))[٩].

---

(١) ينظر: العين (عمم) ١ / ٩٤.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (عمم):١/ ٨٩،و المخصص:م / ١:س / ٤: ٨٢.

(٣) نفسهما.

(٤) ينظر: المحكم (عمم) ١ / ١٠٧.

(٥) ينظر: العين (عمم) ١ / ٩٤، و السيرة النبوية (ابن هشام):٣/ ١٨٢،و البيان والتبين: ١/ ٢٥٧.

(٦) ينظر: تهذيب اللغة (عمم):١/ ٨٨،و محاضرات الأدباء: ٢/ ٣٨٢.

(٧) ينظر: تهذيب اللغة (عمم):١/ ٨٩.

(٨) ينظر: السيرة النبوية (ابن هشام):٣/ ١٨٢،والبيان والتبين: ١/ ٢٥٧.

(٩) ينظر: البيان والتبين: ١/ ٢٣٦، وينظر: محاضرات الأدباء: ٢/ ٣٨٣.

وصار لبس (العِمامة) عادة من عادات العرب بعد الإسلام أيضاً، وأضحت شعاراً للمسلمين، حتى عدت جزءاً من لباس المسلمين في الدولة الإسلامية(١).

واستعملت لفظتا (العِمامة) و(عِمامَتِي)، المضافة إلى ياء التكلم مرة واحدة في نهج البلاغة (٢)، للدلالة على لباس الرأس المعروف. ومن ذلك قول الإمام مخاطباً (أنس ابن مالك)(٣)، داعياً عليه بعدما بعثه الإمام إلى (طلحة والزّبَير) عند مجيئهما إلى البَصْرَة يذكرهما شيئاً مما سمعه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في معناهما، فلوى (أَنَس) عن ذلك ورجع اليه قائلاً: أني نسيت ذلك الأمر(٤).فقال(عليه السلام): ((**إِنْ كُنْتَ كَاذِباً، فَضَرَبَكَ الله بِهَا بَيْضَاءَ لَامِعَةً لَا تُوَارِيهَا الْعِمَامَةُ**))(٥). فدعا الإمام عليه بالبَرَصِ، وهو داء يصيب الجلد، فيجعل ما تحته كَلَحمِ الأصداف العديمة الدّم، وينبت عليه الشعر الأبيض(٦). وقد ذكر الشريف الرضي أن أنساً أُصيب بهذا الدّاء فيما بعد في وجهه، فكان لا يُرَى إلاّ مُبَرْقَعاً(٧).

(١) ينظر: الفاظ الحضارة (زوين): ١/ ٥٦٦.

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٢٤.

(٣) هو أنس بن مالك بن المنضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن النّجار. يكنى بأبي حمزة. كان خادماً لرسول الله (صلى الله عليه وآله). وصار مفتياً مقرئاً، روى عن النبي جملة من الأحاديث. وهو آخر من مات من الأصحاب.ينظر:الطبقات الكبرى: ٧ / ١٧،و سير أعلام النبلاء:٣/ ٣٩٦.

(٤) نهج البلاغة: ٦٦٤.

(٥) نفسه: قصا/ ٣١١: ٦٦٤.

(٦) ينظر: الحاوي في الطب: ٧/ ٤٧٥

(٧) ينظر: نهج البلاغة: ٦٦٤. وقد نقل ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) حديث (البَرَص) ودعاء الإمام على (أنسٍ ابن مالك) ؛ لمّا سأله (عليه السلام) عن قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيه: ((اللهُمّ والِ مَن وَالاهُ و عَادِ مَن عَادَاه))، فقال أنس: كَبِرت سِنيِّ و نسيت، فقال له الإمام:))إِنْ كُنْتَ كَاذِباً، فَضَرَبَكَ الله ببَيْضَاءَ لَا تُوَارِيهَا الْعِمَامَةُ)). ينظر:المعارف:١/ ٥٨٠ وشرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد):١٩ / ١٧٩. ويظهر من هذه الحادثة أن سبب دعاء الإمام على (أَنَس) لم يكن لأنّه بعثه إلى (طلحة والزبير) كما يذكر

وقد استعمل الإمام مفردة (العِمامة) بوصفها لباساً من الألبسة التي يغطى بها الرأس. واختياره لهذه المفردة،أو هذا النوع من اللباس، لبيان عدم نفعها في ستر الداء الذي سيُصاب به هذا الرجل وموراته والمواراة، فكأنّه (عليه السلام) يريد القول أنْ لا قيمة لعمامتة ؛ لأنه لم يحترم نفسه ومكانته بين الأصحاب، فصارت عِمّته علامة على انحطاط قدره وإنزلته إلى مراتب الذمِّ والهجاء، بدلاً من كونها علامة من علامات السيادة والرّفعة، بسبب من ادعائه النّسيان في ما اشتهر عن أقوال للنبي بحقّ الإمام ومنزلته، ومنها حديث (الغدير)؛ فلا ينبغي لمثل هذا الرجل نسيان مثل هذه الاحاديث، وهو الذي كان خادماً للنبي، حتى بكثرة الرواية عنه[١]. وهو ما يفند إدعاءه النّسيان. فضلًا عن أنّ (البَرُص) أكثر ما يكون أثره في الوَجه، ولهذا يعمد مَن يُصاب بها إلى التَّقَنّع. ولهذا كان أنس كثيراً ما يرى مبرقعاً، ولكن تركيزه (عليه السلام) كان على بيان أثر دعائه على (أنس بن مالك) من الجانبين النفسي والخارجي، من خلال ما سيخلفه هذا المرض الجلدي من تأثير في نفس المصاب به، فضلاً عن نِفار الناس منه وابتعادهم عنه، ولهذا أكدّ الإمام على موضع (العِمامة) من الرأس، لمكانه الذي يتضمن العِزّة والشّموخ والوقار في الإنسان، علاوة على اشتماله على السمع والبصر والعقل، ولهذا كانت العرب تقول: ((إنَّ شيئاً فيه السّمع والبصر، لحقيق بالصَّون))[٢]. غير أن (أنساً) لم يَصُن،حسبما يفهم من قول الإمام، سمعه وبصره، وتناسى أشهر الأحاديث المأثورة عن النبيِّ بحقِّ الإمام (عليه السلام).

الشارح ابن أبي الحديد، وإنّما لادّعائه نِسيان حديث (الغدير).

(١) وقد وصف الحافظ الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) (أَنَساً)بـ(المُحَدِّث)و(راوية الإسلام)،وأنّه (روى عن النبيِّ علماً جمّاً). ينظر: سير أعلام النبلاء:٣/ ٣٩٦.

(٢) ينظر: البيان والتبين: ١/ ٢٥٧.

أقول: وقد وردت مفردة (عِمَامَتي) مضافة إلى (ياء المتكلِّم)، للدلالة على عمامة الإمام علي التي قصد بها عدم اتخاذها موضعاً للاحتماء والتَّدَرّع لمن رفع شعاراً كشعار الخوارج من كلمة حق يراد بها باطل سواء احتمأ به أو بغيره. وجاء ذلك في (خ/ ١٢٦).

مُتَلَفِّع

اللِّفَاع خمار المرأة الذي تستر به رأسها وصدرها[١]. والتَّلَفّع اشتمال الإنسان بالثّوب حتى يجلِّل جسده[٢].

وقد استعمل الإمام لفظة (مُتَلَفِّع) بصيغة اسم الفاعل المفرد، وجمعها (مُتَلَفِّعون) مرة واحدة لكل منهما في كلامه الوراد في نهج البلاغة[٣]، للدلالة على الالتحاف والاشتمال. ومن ذلك قوله (عليه السلام) في سياق تفصيل أحوال الملائكة، وخضوعهم لأمر الباري جل جلاله الذي يقول فيه: ((**وَمِنْهُمُ الثَّابِتَةُ فِي الأرضينَ السُّفْلَى أَقْدَامُهُمْ...وَالْمُنَاسِبَةُ لِقَوَائِمِ الْعَرْشِ أَكْتَافُهُمْ.نَاكِسَةٌ**[٤]**دُونَهُ أَبْصَارُهُمْ، مُتَلَفِّعُونَ تَحْتَهُ بِأَجْنِحَتِهِمْ...**))[٥].والنص يصف الملائكة الذين يحملون عرش الله جل شأنه على أكتافهم، وهم خاضعون مطأطِئي إبصارهم في إشارة الى كمال خشيتهم الله تعالى واعترافهم بقصور عقولهم عن إدراك ما وراء كمالاتهم المقدّرة لهم وعظمة المشاهدة في خلق عرشه[٦]. وتبدو صورة التّلفّع التي وصف بها

(١) ينظر: العين (لفع):٢/ ١٤٦.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (لفع):٢/ ٤٢،و لسان العرب (لفع):٨ / ٣٢٠.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤١١.

(٤) الناكس المُطأطئ رأسه من ذلٍّ. ينظر: لسان العرب (نكس):٦ / ٢٤١.

(٥) نهج البلاغة: خ / ١: ٢٠.

(٦) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني):١ / ١١٧.

الإمام هيئات الملائكة أشبه ما تكون بصورة الطائر الذي يلتفّ بجناحيه عندما يستقر في مكانه الذي يؤوب إليه. وقد التفت الشارح البحراني الى هذا الضرب من التصوير الفني، ذاهباً الى أنّه ((لمّا استعار لفظ الأجنحة، اسْتَلزم ذلك أن يكون قد شَبّهَهُم بالطائر ذي الجناح، ثم لمّا كان الطائر عند قبض جناحه يشبه المُتَلَفِّع بثوبه والملتحف به، وكانت أجنحة الملائكة التي هي عبارة عن كمالهم في قدرهم وعلومهم، مقبوضة قاصرة عن التعلق بمثل مقدورات الله ومبدعاته، واقفة دون جلاله وعظمته في صنعه، لا جرم أشبه ذلك قَبْض الأجنحة المُشبه للتَلَفّع بالثوب، فاستعار (عليه السلام) لفظ التلفع أيضاً، وكنّى به عن كمال خضوعهم وانقهارهم تحت سلطان الله وقوّته...))[1]. وهذا الوجه من المعنى راجح، مع إمكان أن يحمل لفظ (مُتَلَفِّعُونَ) الدلالة على الحَجب والاستتار عمّا لا يكون في حدود صلاحياتهم وقدراتهم التي وضعها الله فيهم.

وقد استعملت لفظة (مُتَلَفِّع) بالدلالة المتقدمة نفسها، وذلك في وصف الإمام (عليه السلام) لرأس الطاووس واكتسائه بالألوان المتعددة وذلك في (خ/ ١٦٥).

مِعْجَر

المِعْجَر عند اللغويين ثوبٌ تَعْتَجِر به المرأَة، وهو أَصغَر من الرداء، وأَكبر من المِقْنَعة[2]. والعِجَار ثَوْب تَلُفُّه المرأة على رأسها بشكل مستدير، ثم تتجَلْبَب فوقه بجلبابها[3].

(١) نفسه: ١/ ١١٧، ١١٨.

(٢) ينظر: العين (عجر): ١/ ٢٢٢، ٢٩٣، ولسان العرب (عجر) ٤/ ٥٤٤.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (عجر): ١/ ٢٣١.

وقيل: هي ثياب تكون باليَمن[١]. أمّا الاعتِجَار، فهو لفّ العِمَامة على الرأس من غير إرادة ما تحت الحنك[٢].

و مفردة (مِعْجَر) من مفردات نهج البلاغة التي وردت فيه مرة واحدة[٣] بوزن (مِفْعَل) دالة على الاعتجار، وهو ما يُلَفُّ به رأس الإنسان مع وضع جلبابٍ عليه. وقد استعمل الإمام هذه المفردة في وصف مخرج عنق الطاووس إلى بطنه من حيث تتعدد الوانه واستدارتها، إذ يقول:((... **وَمَخْرَجُ عَنُقِهِ كَالإِبْرِيقِ وَمَغْرِزُهَا إِلَى حَيْثُ بَطْنُهُ كَصِبْغِ الْوَسِمَةِ الْيَمَانِيَّةِ أَوْ كَحَرِيرَةٍ مُلْبَسَةٍ، مِرْآةٌ ذَاتَ صِقَالٍ، وَكَأَنَّهُ مُتَلَفِّعٌ بِمِعْجَرٍ أَسْحَمَ**[٤]))[٥]. يبيّن الإمام في هذا الوصف الألوان التي يزدهي بها من قمة رأسه إلى حيث بطنه. ويصفه الإمام بهيأة المتَلَفِّع الذي لفّ رأسه وعنقه باللّفاع الذي تعتجر به المرأة وتشده على رأسها كالرّداء[٦]. وهذا الضرب من المَعْاجَر أسحم ذو سوادٍ، حتى يُخَيّل للناظر اليه أنّ هذا الطير قد التحف بملحفة سوداء امتزجت بالخضرة، إشارة إلى كثرة رونقه وبريقه[٧]. حتى كأنّه قد تَقَنّع بهذا المِعْجر[٨].

أقول: ويلحظ أن الإمام قد نقل هذه المفردة من دلالتها المادية إلى الدلالة على تآزر ألوان الطاووس وميلها إلى السواد المَشُوب بالخضرة. وهذا ضرب من توسّع المعنى وتطوّره.

---

(١) ينظر: العين (عجر): ١/ ٢٢٢.

(٢) ينظر: العين (عجر): ١/ ٢٢٢، ٢٩٣، وتهذيب اللغة (عجر): ١/ ٢٣١.

(٣) المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢٩٢.

(٤) الأسحم الأسود. ينظر:لسان العرب (سحم): ١٢/ ٢٨١.

(٥) نهج البلاغة: خ ١٦٥ :٢٩٨.

(٦) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٩/ ٢١٠.

(٧) نفسه.

(٨) ينظر: الديباج الوضي: ٣/ ١٣٧٣.

الظواهر اللغوية

استعمل الإمام الصيغ الصرفية الآتية في المجال الدلالي الخاص بالألبسة، وهي (افْتَعَل، فعّل، تَفَعَّل، تَفَعْلَل)، وهي لأغراض المبالغة والتكثير في الفعل، وجميعها من الابنية المزيدة. أمّا أبنية الجموع، فقد وردت منها صيغة (فَعَالِيْل، فُعَل، ومَفَاعِل)، وهما من أبنية جموع الكثرة. في حين وردت صيغة (فَعُول) التي ساق الإمام على وزنها مفردة (لَبُوس).

تبيّن من خلال تتبع المفردات في نهج البلاغة، وجود علاقة ترادف جزئي بين الألفاظ الآتية:(الجِلْباب و المئزر)، و (لباس، ثوب، رداء)، و (الرّياش، حُلَل، حريرة، القَزّ)، و (موشي وموَشّاة، وديباج، وبُرْدَيْه، عَصْب)، و(طِمْريه، رَثّا)، و (أهدام والمتداعية).

ثمة علاقة بين تقابل دلالي بين لفظتي (شِعَار) و(دِثَار) فاللفظة الأولى تدل على اللباس القريب من الجسم، في حين أن (الدِّثار) تدل على ما يتدثر به من لباس فوق بقية الألبسة.

تبيّن وجود علاقة عام بخاص، وذلك بين الألفاظ (صوف، خشن)، (نسج، رداء، (كسوة)، و (الحريرة و السَّرَق)، و(الصّوف، مدرعة)، و (لبس) وبقية مشتقاتها مع سائر الألفاظ الدالّة على اللّباس والأردية.

وردت مجموعة من الألفاظ المعرّبة في هذا المجال الدلالي. وهي لفظة (السَّرق) التي تلفظ بالفارسية (سَرَه)،وهي ضرب من ضروب الحرير.

انزاحت أكثر الألفاظ دلالتها الحقيقية، ومنها لفظة (لَبِسَ) التي دلّت لباس العز والكرامة، ولفظة (مِئْزر) التي استعملها الإمام كناية عن التأهب والاستعداد

بقرينة لفظ (اشْدُد)، فضلاً عن لفظتي (شَمِّر) الدّالة على رفع أطراف الثياب، و(سَدَلْت) التي استعملها الإمام للدلالة على إرخاء السّتر بينه وبين الخلافة، فقد أراد بذلك ضرب الصَّفح عن هذه القَضِيّة دون أن يراد باللفظة المتقدمة إرخاء الثوب حقيقة.

وقد استعار الإمام لفظة (الشّعار) الدالة على الثياب الملاصقة للبدن، ونقلها من تلك الدلالة إلى دلالة أخرى، وهي القرابة القريبة الخاصة لأهل البيت (عليهم السلام) من النبي الأكرم، مفيداً من إيحاء هذه اللفظة على التماس والقرب من البدن، كما استعملها أيضاً في الدلالة على القرب من القرآن الكريم.

أورد الإمام تعبير (سَرابِيل القطِران) أخذاً إياها من القرآن الكريم في مقام ما يعرض له (المجرمون) من العذاب يوم القيامة. بقرينة الاشتمال والتلفع بقطران العذاب.

الفصل السادس
ألفاظ الأمراض والعلل

جدول دلالي يبيّن شيوع ألفاظ الأمراض والعلل ومتعلقاتها

مرتبة بحسب كثرة كل مفردة على الأخرى

الأمراض الخاصة بالنفس	جِنّـة، كآبـة، مألوسـة، مختبـط، دَنِـف، علـز، تَهْجـر
الهزال والضعف	يَعْيـا، نَهَكَتكُـم، هزالـه، وَصـب، شـحِبة، نحِيفـة
علل النّطق ومتعلقاتها	بكماء، خرسُوا، مُتَتَعْتع، عَقابيل
أدوات العلاج	حَدِيْدة، مَيْسمها، مراهمه، الكَيّ
أمراض السّمع	أصَمَّتهُ، تستك، وقِرَ
ألفاظ أمراض البصر	العُشْوة، كَمَها، مُعوراً
ألفاظ أمراض الجلد	مجذوم

المبحث الأول
الأمراض الخاصة بالنفس

جِنّة

الجُنُون ضرب من المَسَّ. وأصله من الاختلاط والسّتر الذي يطغى على العقل حسبما يفهم من أقوال اللغويين(١).

وقد وردت لفظة (جِنَّة) بلفظ المفرد مرة واحدة في نهج البلاغة، ولفظة (الجُنُون) جمعاً بوزن (فُعُول) مرتين، الثانية منهما متصلة بضمير الغائب (جُنُونه)(٢)، للدلالة على (الجُنُون) المعروف الذي يُصاب به المرء من المَسَّ. ومن ذلك قوله (عليه السلام) في وصف(الحِدّة): ((**الْحِدَّةُ ضَرْبٌ مِنَ الْجُنُونِ، لِأَنَّ صَاحِبَهَا يَنْدَمُ، فَإِنْ لَمْ يَنْدَمْ فَجُنُونُهُ مُسْتَحْكِمٌ**))(٣). فـ(الحِدّة) في الأصل الطَّيش وما يعتري الإنسان من النّزق والغضب(٤). وقد جعلها الإمام نوعاً من الجنون الذي يأخذ المرء، لما كان من عواقبها النّدم الذي يعقب الطيش والنّزق الذي يقوم به(المُحْتَد) المتسرّع بقوة ونشاط في الأمور والمضاء فيها، ولاسيما إذا كان ذلك بغير حق. فتكون عاقبة ذلك الندم. والظاهر أنّ الجامع بين (الحِدّة)، بوصفها ضرباً من الانفعال النفسي، و(الجنون)، وهو من موارد الشيطان ومَسّه. هو الطّيش والنّزق. فالجنون حالة مخصوصة تعرض للإنسان بسبب خروجه عن العقل، والأخذ بأوامره(٥).

---

(١) ينظر: العين (جنن): ٦/ ٢١، وتهذيب اللغة (جنن): ١٠/ ٢٦٧، ٢٦٨، والمحكم (جنن): ٧/ ٢١٢.

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لالفاظ نهج البلاغة: ٩٢.

(٣) نهج البلاغة قصا / ٢٥٥/ ٦٤٨.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة (حدد): ٣/ ٢٧٠، ولسان العرب (حدد): ٣/ ١٤١.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٤٦٣.

ويذكر المختصون بالطّب أنّ (الجنون) يكون مصحوباً بالتّوثّب والحركات السريعة القوية،فضلاً عن السّهر والاختلاط الدائم في العقل من جرأة وإقدام وخبث نفسٍ[١]. وهذا الوصف يتفق مع ما يظهر على(المُحْتَدّ) من غضب وتسّرع ونزق وطيش، ولهذا جعله الإمام نوعاً من (الجنون)؛ فالأخير عام، وفرعه (الحَدّة). فغالباً ما يعود المُحْتَدّ الى صوابه عند ندمه، وإلاّ فهو مجنون مستحكم الجنون ودائمه. وهذا هو الفارق بين الأمرين. وقد وردت لفظة (جنّة)، و (جُنُونة) بالدلالة نفسها في (خ/ ٢٤٤، قصا / ٢٥٥).

كآبة

الكآبة سوء الهيئة والانكسار من الحزن في الوجه خاصة[٢].

وقد وردت لفظة (كآبة) ثلاث مرات في نهج البلاغة[٣]. للدلالة على ما يظهر في الإنسان من انكسار وسوء هيأة وحزن مصحوب بالغّمَّ والأذى. ومن ذلك قوله (عليه السلام) في سياق الاستعاذة من الهمّ والغّمَّ والانكسار، لّما عزم على المسير الى الشام: ((**اللهمَّ إِنّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ**[٤] **السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ، وَسُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الأهل وَالْمَالِ والْوَلَدِ**))[٥]. يستعيذ الإمام من أذى السَّفر، وما يعرض فيه من التعب واشتداد المشي المصحوب بالدّهس الذي يشق على صاحبه ويُنصبه[٦].

(١) ينظر: الحاوي في الطب: ١/ ١٣٠.

(٢) ينظر: العين (كأب): ٥ / ٤١٨، وتهذيب اللغة (كآب): ١٠/ ٢١٧.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لالفاظ نهج البلاغة: ٣٩٢.

(٤) الوَعْث الدهس والمشي الذي يشتد فيه على صاحبه. ينظر: غريب الحديث (أبوعبيد): ١/ ٢٢٠.

(٥) نهج البلاغة: خ/ ٤٦: ٨٧. وقد نقلت المدونات الخاصة بغريب الحديث قول الإمام المتقدم. ينظر: غريب الحديث (أبوعبيد): ١/ ٢٢٠، والنهاية في غريب الحديث: ٤/ ١٣٧.

(٦) ينظر: غريب الحديث (أبوعبيد): ١ / ٢١٩.

فضلاً عن الاستعاذة من (الكآبة) عند الإياب والمنقلب. فيرجع من سفره الى أهله بأمرٍ يصيبه في سفره فيكتئب منه[١]. والكآبة ضرب من الأذى الذي تصاب به النفّس يكون مصحوباً بسوء الهيأة والانكسار من الحزن. ولا يكون المرء كئيباً إلاّ إذا وصل الى درجة تتغيّر فيها نّفسه من شِدّة الهَمَّ والغَمَّ والحزن. ولهذا شرط اللغويون أن تكون آثار الكآبة ظاهرة في الوجه خاصّة[٢]. أقول: وقد تعرضت مفردة (كآبة) للتطور الدلالي، فانتقلت من دلالتها المتقدمة الى الدلالة على بعض الأمراض النفسية في الوقت الحاضر. ويكون هذا النوع من العلل مرتبطاً بالحزن والخوف والضجر وسوء الفكرة[٣].وقد وردت اللفظة المتقدمة بالدلالة نفسها في (خ/ ٦٤). وثَمّة استعمال وردت فيه اللفظة المتقدمة في بعض الأبيات الشعرية التي تمثّل بها أمير المؤمنين (عليه السلام) في (ك / ٣٦).

مألوسة

الأُلْس اختلاط العقل وذهابه[٤]. والمألوس الضعيف العقل[٥]. وزاد الخليل على ذلك بأنّ المألوس هو الضعيف شبه المُخَبّل[٦].

واستعملت لفظة (مَألُوسَة) مرة واحدة في كلام الإمام الوارد في نهج البلاغة

---

(١) ينظر: غريب الحديث (أبوعبيد): ١ / ٢٢٠، والنهاية في غريب الحديث: ٤ / ١٣٧.

(٢) ينظر: العين (كأب): ٥/ ٤١٨، وتهذيب اللغة (كأب): ١٠/ ٢١٧.

(٣) ينظر: الحاوي في الطب: ١/ ٦٢، وينظر: ٣/ ٣٩٩.

(٤) ينظر: غريب الحديث (أبوعبيد): ٤ / ٤٩٥، وتهذيب اللغة (ألس): ١٣/ ٤٩. والمحكم (ألس): ٨/ ٥٤٩.

(٥) ينظر: المحكم (ألس): ٨/ ٥٤٩.

(٦) ينظر: العين (ألس): ٧/ ٣٠٢.

بصيغة اسم المفعول[١]، للدلالة على اختلاط القلوب وإصابتها بالجنون. وذلك في مقام ذمَّ الناس وتأفُّفه منهم، لشدّة رغبتهم بالحياة الدنيا ورضاهم بالذّل بدلاً من العزّ كلما دعاهم الى الجهاد. يقول (عليه السلام): ((**أُفٍّ لَكُمْ لَقَدْ سَئِمْتُ عِتَابَكُمْ! أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الاْخِرَةِ عِوَضاً وَبِالذُّلِّ مِنَ الْعِزِّ خَلَفاً؟ إِذَا دَعَوْتُكُمْ إِلَى جِهَادِ عَدُوِّكُمْ دَارَتْ أَعْيُنُكُمْ، كَأَنَّكُمْ مِنَ الْمَوْتِ فِي غَمْرَة، وَمِنَ الذُّهُولِ فِي سَكْرَة، فَكَأَنَّ قُلُوبَكُمْ مَأْلُوسَةٌ، فَأَنْتُمْ لاَ تَعْقِلُونَ**))[٢]. أراد (عليه السلام) وصفهم بالانصراف عن دعوته الى الجهاد، بما يظهر عليهم من الذّهول والتظاهر بعدم الوعي والتّحَيّر. فشبّه قلوبهم بالجنون والاختلاط وذهاب لُبِّها. فأنزلها منزلة العَقل، مع كونها محل للعواطف والانفعال. فلا يوصف المرء بالأُلس إلاّ في عقله، ولكنه لمّا أراد إظهار كرههم للجهاد، وميلهم نحو الحياة الدنيا وذُلّها،لهذا عمد الى استعمال هذه المفردة في الإبانة عن ضعف تفكيرهم وقلة شأن الآخرة عندهم، وتفضيلهم الدنيا عليها. وبهذا يدخل في ايحاءات المفردة المتقدمة الدلالة على الغش والكذب والخيانة والسرقة وتغيّر الخُلُق[٣]، فضلًا عن اختلاط العقل وضعفه، حتى يكون صاحبه بمنزلة المَخبّل. وهذهِ علامة على حيرة هؤلاء وترددهم في إجابة الإمام (عليه السلام)[٤].

مُخْتَبط

الخَبْط الضَّرْب[٥]. والخَبْط المَسُّ[٦]. وخبطه الشيطان، إذا مسه بأذى و خَبَله

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢٨.

(٢) نهج البلاغة: خ / ٣٤: ٧٥.

(٣) ينظر: مع نهج البلاغة: ٧٢.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٢٧٨، والديباج الوضي: ١/ ٣٩٥.

(٥) ينظر: العين (خبط): ٤/ ٢٣٣

(٦) نفسه.

وأجنّـه[١].

وقـد وردت لفظـة (مُخْتَبـط) بصيغـة اسـم الفاعـل مـرة واحـدة في نهـج البلاغـة، للدلالـة عـلى مـن أُصيـب بنظـام عقلـه فأخـذ يتصـرّف عـلى غـير هـدى. وسـاق الإمـام هـذه المفـردة وصفـاً (للأشـعث بـن قيـس) الـذي طـرق الإمـام ليـلاً بملفوفـة في وعائهـا، فأنكرهـا عليـه الإمـام إنـكاراً شـديداً بقولـه: ((**وَأَعْجَـبُ مِـنْ ذلِـكَ طَـارِقٌ طَرَقَنَـا بِمَلْفَوفَـةٍ فِي وِعَائِهَـا، وَمَعْجُونَـةٍ شَنِئْتُهَا، كَأَنَّـمَا عُجِنَـتْ بِرِيـقِ حَيَّـة... فَقُلْـتُ: أَصِلَـةٌ، أَمْ زَكَاةٌ، أَمْ صَدَقَـةٌ؟ فَذلِكَ مُحَرَّمٌ عَلَيْنَا أهل الْبَيْـتِ! فَقَـالَ: لاَ ذَا وَلاَ ذَاكَ، وَلكِنَّهَا هَدِيَّـةٌ، فَقُلْـتُ: هَبِلَتْكَ الْهُبُولُ!**[٢] **أَعَنْ دِيـنِ اللهِ أَتَيْتَنِي لِتَخْدَعَنِي؟ أَمُخْتَبِطٌ أَنْـتَ أَمْ ذُوجِنَّـة، أَمْ تَهْجُر...**))[٣]. يصـف (عليه السلام) (الأشـعث بـن قيـس) بعـدّة أوصـاف بعـد مـا قدّم لـه ضربـاً مـن الحلـواء بقصـد (الرُّشـا). فذَمّـه الإمـام أشـدّ الذَّمَ،ووصفـه بـ(المُخْتَبط)،وهـو الـذي ضربـه المَسّ مـن الشـيطان فَخَبلـه، وصـار لا يعـرف مـا يفعـل مـن اختـلاط الأمورعليـه ؛ لمـا غلـب عليـه المَسَّ،فبـدا كأنـه يخبـط مـا حولـه ويَهْدمـه كـما يفعـل البعـير عندمـا يخبـط مـا أمامـه. فاسـتعار(عليه السلام) صفـة مـن أوصـاف الـدواب لهـذا الرجـل،لأظهـار شِـدة الوطـئ والاضطـراب الـذي يُنتِجـه الخبـط الـذي أصيـب بـه.وجـاء التعبـير المتقـدم عـلى سـبيل الاسـتفهام الـذي أخرجـه (عليه السلام) لغـرض الإنـكار[٤]. وهـو مـن الأغـراض التـي يخـرج اليهـا الاسـتفهام، لتنبيـه السـامع ليرجـع الى نفسـه، فيخجـل ويرتـدع ويعيـا ؛ لأنّـه هـمَّ بفعـل غـير مقبـول، وجـوّز أمـراً لا يكـون حسـبما يذكـر البلاغيـون[٥]. ولهـذا

(١) ينظر: العين (خبط): ٤/ ٢٢٣، وتهذيب اللغة (خبط): ٧/ ١١٣.

(٢) الهَبل النكل. ينظر: لسان العرب (هبل): ١١/ ٦٨٦.

(٣) نهج البلاغة خ / ٢٢٤: ٤٣٨.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٤ / ٥٥.

(٥) ينظر: دلائل الاعجاز، لعبد القاهر الجرجاني: ١/ ١٠٥.

استحقّ هذا الرجل توبيخ الإمام وتقريعه، لما قام به من عمل أنكره (عليه السلام) أيّما إنكار، لأنه لا يرتضي شراء الذّمم التي يمارسها أمثال هذا الرجل.

دَنِف

الدّنف المرض المخامِر اللازم(١). وقيل: بل هو المرض ما كان واستمر(٢).

والمفردة المتقدمة من مفردات نهج البلاغة التي استعملها الإمام مرة واحدة في كلامه(٣)، دالة على المريض الذي خامرته العلّة والألم. وذلك في كلامه الذي يصف فيه حال أخيه (عقيل)؛ لمّا أملق، فيقول(عليه السلام) واصفاً كيفية نَهْر أخيه: ((... **ثُمَّ أَدْنَيْتُهَا مِنْ جِسْمِهِ لِيَعْتَبِرَ بِهَا، فَضَجَّ ضَجِيجَ ذِي دَنَف مِنْ أَلَمِهَا...**))(٤). والنص وصف لحال عقيلٍ لمّا أحسَّ بحرارة (الحديدة) المُحْماة التي أحماها الإمام وأدناها منه ليعتبر بحرارتها وأذاها، مذكّراً له بعذاب القيامة الذي سيلاقيه إذا ما أعطاه مما ائتُمِن عليه من حقوق الرّعية. وذلك إشعار منه لأخيه وغيره بأهمية الحفاظ على الأمانة من القائمين عليها، وعدم التصرف بها على أيِّ وجه كان إلّا لمن استحقّ ذلك. فضلاً عن وجوب أداء الحقوق الشرعية الى أصحابها وعدم المحاباة بها.

وأمّا إيثار الإمام مفردة (دَنِف) دون سواها من الألفاظ في هذا السياق؛ فيبدو أنّ ذلك راجع الى كونها دلالتها على المبالغة في العِلّة المصحوبة بالحُزن، فاللفظة المتقدمة على بناء (فَعَل)، وهذا البناء من الأبنية التي تفيد المبالغة باسم المفعول(٥).

---

(١) ينظر: العين (دنف): ٨/ ٤٨، وتهذيب اللغة (دنف): ١٤/ ٩٧.

(٢) ينظر: المحكم (دنف): ٩/ ٣٤٩.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لالفاظ نهج البلاغة: ١٥٩.

(٤) نهج البلاغة: خ/ ٢٢٤: ٤٣٨.

(٥) ينظر: معاني الأبنية: ٧٣.

كأن مراد الإمام من استعمال هذه المفردة، الدلالة على تغلّب الأذى ودوامه في (المُدْنِف) الذي أصابته العلّة ؛ وهو ما يناسب الحال التي يكون عليها المعذبون في النار يوم القيامة الذي يدوم بهم هذا الحال من العذاب في الآخرة، حتى يُستوفى منهم الحق الذي أخذوه في الدنيا، وهو ما يريد الإمام التذكير به، ولعله أراد القول إن الحال في الآخرة يشبه حال المدنِف في الدنيا الذي أعيته العلل الملازمة لبدنه، فأصبح نحيلاً هزيلاً لا يقوى على شئ، وأثّر ذلك على سلامة نفسه التي جرى عليها البؤس والشقاء، وهو ما زاد في سوء حاله.

علز

قال الخليل: ((العَلَزُ شبه رِعْدة تأخذ المريض، كأنّه لا يَسْتقِّر من الوَجع))[١]. ويقال للمريض على الشيء الذي تأخذه الرِعْدة فيما يَحرص عليه بأنّه عَلِز[٢]. والعَلَز القَلَق والضَّجر[٣]، والكَرب عند الموت[٤]. ويوصف الذي ينزل به الموت بالعَلَز[٥].

ومفردة (علز) من مفردات نهج البلاغة، التي استعملها الإمام مرة واحدة[٦]، للدلالة على هَلَع المريض ورِعدته عند نزول المرض أو الموت به. يقول (عليه السلام) في سياق الحديث عن هَرَم الإنسان، وتَسارع العِلَل إليه: ((...**فَهَلْ يَنْتَظِرُ**

---

(١) المعين (علز): ١/ ٣٥٥، ولسان العرب (علز): ٥/ ٣٨٠.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (علز): ٢/ ٨٢، ولسان العرب (علز): ٥/ ٣٨٠.

(٣) ينظر: لسان العرب (علز): ٥/ ٣٨٠.

(٤) نفسه.

(٥) نفسه.

(٦) ينظر: المعجم المفهرس لالفاظ نهج البلاغة: ٣١٣.

أهل بَضَاضَةِ[١] **الشَّبَابِ إِلاَّ حَوَانِي**[٢] **الْهَرَمِ؟. وَأهل غَضَارَةِ**[٣] **الصِّحَّةِ إِلَّا نَوَازِلَ السَّقَمِ؟ وَأهل مُدَّةِ الْبَقَاءِ إِلاَّ آوِنَةَ الْفَنَاءِ؟ مَعَ قُرْبِ الزِّيَالِ**[٤]**، وَأُزُوف الانتِقَالِ، وَعَلَزِ الْقَلَقِ...))**[٥]. يشير الإمام في كلامه الى عاقِبَة الحياة التي يُطمح اليها، ويمثل هذا الأمر بما يلقاه أهل غضارة الشَّباب الذين يتمتعون بالصّحة وسَلامة البَدن والقوّة، ولكِنَّ مصيرهم فيما بعد سيكون الى (الهَرم)، الذي يضعف فيه كل شيء في البَدَن، وكذلك حال من كان يَنْعُم بِسَعة من العافية وصِحّة الجسد، فلابُدّ أن تنزل به العِلل والآفات، حتّى ينتقل الى (آوِنة الفَنَاء). وقد عبّر (عليه السلام) عن اقتراب هذا الفناء ونزوله في الإنسان بمفردة (الزّيّال)، وهي الفراق وأُزوف الحياة. وعند ذاك يبدأ الراغبون في البَقَاء ودوام العيش في الدنيا، بالاضطراب والتّضجّر وسوء الحالة النفسية، لقرب نزول الموت بهم هذا من جهة. ومن جهة أخرى يبدو

(١) البَضَاضَةُ كثرة اللحم في الجسم. والبَضَاضة أيضاً رقة الجلد ونعومته. ينظر لسان العرب (بضض): ٧/ ١١٨.

(٢) الحُيُن الدهر، والحواني نوازل الدَّهر. وتجمع عند اللغويين على (حَوَائن). ينظر لسان العرب (حين): ١٣/ ١٣٦. ولكن الإمام (عليه السلام) جمعها على (حَوَانِي). وهو مما انفرد به (عليه السلام)،فلم أجد إشارة عند المعجمين على هذه الصورة من الجمع. هذا اذا كانت اللفظة مأخوذة من الدلالة على الزمن أو الحين، فأمّا اذا دلّت على الانحناء وتحّدب الظهّر وطأطأة الرأس،فمفردة (حَوَاني)،عندئذٍ، جمع (حَانِيَة)، وهي انحناء ظهَر الشيخ وتحدّبه بسبب من الرهم. ينظر: تاج العروس (حنو): 37 /492.

(٣) أصل الغضارة الطَّينْ الحُرُّ، ثم صار اللفظُ متسعاً دالًا على النَّعْمة وسعَةَ العيش والخِصْب في كل شيء. ينظر لسان العرب (غضر): ٥/ ٢٣.

(٤) الزّيال الفراق والمباعدة. ينظر: لسان العرب (زيل): ١١/ ٣١٧.

(٥) نهج البلاغة: خ/ ٨٣: ١٢٨. وقد نقلت المدونات اللغوية كلام الإمام (عليه السلام) المتقدم برواية أخرى هي: ((هل يَنْتَظِرُ أهل بضاضَةِ ذالشباب إلاّ عَلَزَ القَلَقِ)). النهاية في غريب الحديث والأثر: 3 /287، لسان العرب (علز): 5 /380.

أن مرحلة (العلز) التي يمر بها هذا النوع من الناس، راجعة الى أنّهم لم يكونوا يتوقّعون الخروج من هذه الدنيا التي أملوا فيها طول البقاء ودوام المكث فيها. فضلاً عن عدم توقّعهم فقدان الغضارة والنضارة التي يكونون عليها بوصفها علامات من علامات الشباب والفحولة وقوّة البدن.

أقول: ومفردة (علز) توحي بالدلالة على أعلى مرحلة من مراحل القلق، فهي حالة أشدّ من (القَلق) ؛ ولهذا لا أجد أنّها تدل على (القلق) حسبما ذهب بعض اللغويين[١]، بدليل أنّ الإمام استعمل مفردة (العلز) مضافة الى كلمة (القلق)، ما يعني أنهما حالتان مختلفتان، فإن أردنا التقريب بينهما، قلنا أن العلاقة بينهما هي من قبيل علاقة الجزء بالكل،أوعلاقة الخاص بالعام. فالقلق عام، و(العلز) أخص منه،بوصفه حالة أعلى من القلق مع زيادة تصل بالمرء حد الهلع.وقد أكد هذا المعنى شُرّاح نهج البلاغة الذين ذهبوا الى عدّ (العَلز) هو الوَجع الذي يُصيب الإنسان عند المرض أو الموت[٢] ؛ فيكون المرء هَلِعاً خائفاً[٣]. أقول: فكأنما (العَلَز) إحساس عند المرء بدنوَّ أجله وقُرب ارتحاله الى الآخرة. فالاضطراب والهلع اللّذان يُصيبان المُعتلّ يُمثّلان علامة على أُزوف حياته وانتهائها في علّة الموت.

تَهْجُر

الهَجْر هذيان المُبَرْسَمِ والمَحْمُوم[٤]. وقد وردت لفظة (تَهْجُر) في نهج البلاغة مرة واحدة[٥]. دالة على الهَذْي والفعل المستقبح المنكر. وذلك في قوله (عليه السلام)

(١) ينظر: تهذيب اللغة (علز): ٢/ ٨٢.

(٢) ينظر: معارج نهج البلاغة: ١/ ٣٧٥، وشرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٦ / ٢٠٧.

(٣) نفسهما.

(٤) ينظر: العين (هجر): ٣/ ٣٨٧، تهذيب اللغة (هجر): ٦/ ٢٨.

(٥) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٦٦.

الـذي يتحـدث فيـه عـن (الاشـعث بـن قيـس) قائـلاً ((... **أَمُخْتِبِـطٌ أَنْـتَ، أَمْ ذُو جِنَّـةٍ، أَمْ تَهْجـرُ...**))[١] أراد الإمـام: أنّ المخاطـب وصـل بفعلـه هـذا حـدَّ الهذيـان. فكـما أنّ المحمـوم المعتـل يهـذي بـكلامٍ لا يعـرف معنـاه. فكذلـك هـذا الرجـل الـذي ابتغـى رِشـوة الإمـام ومسـاومته عـلى دينـه. وتحمـل هـذهِ المفـردة في ثناياهـا الدلالـة عـلى الفُحـش والبـذاءة في الـكلام واللّغـو فيـه، فضـلاً عـن قـول غـير الحـقّ[٢].

(١) نهج البلاغة: ح/ ٢٢٤: ٤٣٨.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (هجر): ٦/ ٢٨، والمحكم (هجر): ٤/ ١٥٧.

المبحث الثاني
ألفاظ الهزال والضعف

يَعْيَا

الإعياء الكَلال[١]، والداء العَيَاء هو الذي لا دواء له من الحُمْق وغيره[٢]. ويقال: عَيّ فُلان بالأمر، إذا عجز عنه. وأَعْيا الرّجل إذا عجز عن الضّراب[٣]. واستعمل الإمام مفردات (يَعْيا) بصيغة الفعل المضارع، و(العِيَّ) مرتين في نهج البلاغة، في حين وردت الفاظ (أَعْيُتنا)، و(أعْيتْهُم)، و(عَيُّوا)، و(العَيَاء)، و (تَعايا) مرة واحدة لكل واحدة منها[٤]، للدلالة على ما يأتي:

أولاً: الدلالة على العجز عن القيام بالشيء.

وهو أكثر المعاني استعمالاً في النهج. وتنقسم هذه الدلالة على قسمين أيضاً هما:

١- العجز عن الكلام والإبانة. وهو خلاف البيان والفصاحة. وشاع هذا المعنى في كلامه (عليه السلام). ومن ذلك قوله في عهده إلى (مالكٍ الأشتر) في سياق وصاياه بالعناية بالرّعية، إذ يقول: ((...**ثُمَّ احْتَمِلِ الْخُرْقَ مِنْهُمْ وَالْعِيَّ، وَنَحِّ عَنْكَ الضِّيقَ وَالأَنِفَ، يَبْسُطِ اللهُ عَلَيْكَ بِذلِكَ أَكْنَافَ رَحْمَتِهِ**))[٥]. والسياق - هنا - سياق وصية بتحمّل الناس وما يصدر عنهم من تصرّفات ومنها الخُرق، وهو الحُمق

(١) ينظر: العين (عيي): ٢ / ٢٢.

(٢) نفسه

(٣) ينظر: لسان العرب (عيا): ١٥ / ١١١.

(٤) ينظر المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٣٢.

(٥) نهج البلاغة: ك / ٥٣: ٥٦٢.

والرّعُوْنة[1]. والعِيّ، وهو عدم القدرة على الكلام المستقيم أو المُهذّب، بحيث لا يفصح عن حاجته أو يُبِين عنها. ومما يدل على ذلك مجيء مفردة (مُتَتَعْتِعٍ) في السياق المتقدم،إذ استعملها الإمام في السياق نفسه، للدلالة على التردّد في الكلام والاضطراب والعجز عن الإبانة بسبب من العِي والخوف[2]. فكأنّ هذا الضرب من الناس أعيوا وتردّدوا عن ذكر حاجاتهم،لما فيهم من الخوف والاضطراب الذي يصيبهم عند لقائهم الوالي. وربّما دخل مع هؤلاء أصحاب العاهات والعيوب النطقية التي تمنعهم من الإبانة عمّا وقع في نفوسهم من مطالب تعرض على الولاة. ومن هذه الدلالة ما ورد في (خ / ٢، ك / ٥٣، قصا / ٣٤٧).

وعلى النقيض مما تقدم نجد الإمام (عليه السلام) استعمل مفردة (يَعْيَا) المسبوقة بـ(لا) النافية، للدلالة على نفي صفة العجز عن الإبانة والإفصاح وعدم الإفهام عن القرآن الكريم. وذلك في كلامه الذي يصف القرآن: ((**وَكِتَابُ اللهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، نَاطِقٌ لاَ يَعْيَا لِسَانُهُ، وَبَيْتٌ لاَ تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ، وَعِزٌّ لاَ تُهْزَمُ أَعْوَانُهُ.**))[3]. ووَصفه القرآن بـ(الناطق الذي لايَعْيَا لسانه) يراد به الدلالة على عدم ضيق مفردات القرآن الكريم وقصور دلالاتها، فالقرآن ناطق لا يعجز عن الإفصاح والبيان، وهو المتكلّم الذي لا يَكِلّ كما تكل وتعيا ألسِنة الفصحاء الذين نزل فيهم القرآن ليكون معجزاً لا يستطيعون مجاراته ومحاكاة أساليبه وطرائقه في النّظم والبيان.فالكثير من مفردات القرآن الكريم معروفة في لغة العرب،غير أن الله تبارك؟ وتعالى صنع من هذه المفردات تراكيب عجز الفصحاء من قريش وغيرهم عن أن يأتوا بمثلها.

(١) ينظر: لسان العرب (خرق): ١٠ / ٧٣.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (عت): ١/ ٧٣، وشرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٧/ ٦٨.

(٣) نهج البلاغة: خ / ١٣٣: ٢٤١.

أقول: واستعماله(عليه السلام) مفردة (النّاطق) مأخوذة من القرآن الكريم نفسه الذي وظّف المفردة المتقدمة، للدلالة على شهادة الكتاب الكريم على الكافرين بالحقّ. يقول تبارك وتعالى: ﴿**هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[١]. ونطق الكتاب هو شهادته عليهم بالحق من غير زيادة ولا نقصان[٢]. ومال البعض من المفسّرين إلى عدّ ثبوت هذه الأعمال التي في الكتاب بمنزلة النّطق بالحق[٣]. والمعنى أنّ البيان الشّافي في هذا الكتاب هو بمنزلة النّطق[٤]. وأما مفردة (لِسَان)، فمستعملة بكثرة في القرآن الكريم أيضاً، وفي صدارة ذلك قوله جل جلاله في صفة القرآن وبيانه: ﴿**وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ**﴾[٥]. أقول: إن هذه الصفات القرآنية، وهي (النّطق واللّسان) استعملها الإمام (عليه السلام)، لوصف القرآن الكريم بعدم العجز عن البيان والإفصاح مهما تقادم الزمن أو تطاول الأمد عليه. ولعلّه يومئ بذلك إلى نفسه في كونه القرآن الناطق الذي لايكِلّ عن أداء القرآن الكريم وتلاوته، وهو بمنزلة (الكتاب) الذي لاَ يفْتُر ولا يقصر عن بيان دلالته ومقاصده[٦]. فضلًا عن تطبيق أحكامه على الناس جميعاً دون تمييز، ومعرفته مصاديق الخير والشر في الحياة الدنيا من خلال القرآن الكريم وأحكامه. ومال بعض شرّاح النهج إلى عدّ مفرِدة (ناطق)، وقوله:(لسان لا يَعْيا) استعارات كنّى

(١) الجاثية / ٢٩، وينظر: المؤمنون / ٦٢.

(٢) ينظر:الكشاف:٤/ ٢٩٦، ومجمع البيان:٩/ ١٣٣.

(٣) ينظر:التبيان (الطوسي):٩/ ٢٦٢.

(٤) ينظر:مجمع البيان:٩/ ١٣٣.

(٥) النحل / ١٠٣.

(٦) ينظر:شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٥٧٦.

بهما عن بيان الكتاب على مرور الأوقات(١). وهذا الوجه قريب مما ذهب اليه المفسّرون في تفسير قوله تعالى: ﴿**هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ...**﴾(٢). ومما يدعم ذلك ما ورد في المأثور من كونه (عليه السلام) ((القرآن النَّاطِق))(٣). ويرى المفسرون أنّ الإمام المعصوم يعد تجسيداً عملياً لكتاب الله تبارك وتعالى، فمنه يؤخذ التفسير والتأويل(٤). وكثيراً ما كان الإمام (عليه السلام) يؤكد في كلامه الوارد في (نهج البلاغة) على أنّ القرآن الكريم (صَامِت نَاطِق)، ومن ذلك قوله: ((... **فَهُو بَيْنَهم شَاهِدٌ صَادِقٌ، وصَامِتٌ نَاطِقٌ**))(٥)، ويقول في موضع آخر: ((**فَالْقُرآنُ آمِرٌ زَاجِرٌ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ، حُجَّةُ الله عَلَى خَلْقِهِ**...))(٦). وفضلًا عن وصفه القرآن (بالصامت الناطق)، فإنه وصف النبي الأكرم وآله (عليهم السلام) بذلك. فقال في صفة النبي: ((... **كَلَامُهُ بَيَانٌ، وَصَمْتُهُ لِسَانٌ**))(٧). كما قال ذلك في اهل البيت (عليهم السلام): ((...**هُمُ الّذِينَ يُخْبِرُكُم حُكْمُهُم عَن عِلْمِهِم، وَصَمْتِهُم عَن مَنْطِقِهِم**...))(٨). ولعل كثرة تداوله(عليه السلام) الأمثلة الثنائية مثل (الصّمت والمَوت)، يوحي بأنّ(الصّمت) هو نطق بحد ذاته، وأنّ (الصّامت) لا بد له من مترجم يتولى بيانه والإفصاح عما يريد قوله.

---

(١) نفسه.

(٢) الجاثية/ ٢٩.

(٣) موسوعة المصطفى والعترة (ع)، حسين الشاكري: ١٣/ ٣٢٥.

(٤) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، للشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ١٨/ ٣٨٥، وموسوعة المصطفى والعترة: ١٣/ ٣٢٥.

(٥) نهج البلاغة: خ / ١٤٧: ٢٥٨.

(٦) نفسه: خ/ ١٨٣: ٣٣٤.

(٧) نهج البلاغة: خ/ ٩٦:١٧٦.

(٨) نفسه:خ/ ١٤٧: ٢٥٨.

ثانياً: الدلالة على الداء الذي لا يمكن شفاؤه.

وهذه الدلالة الثانية من حيث الشيوع التي وردت في نهج البلاغة، وقد أفادت فيها مفردتا (العَيَاء، وتَعَايا) الدلالة على المرض والداء الذي يُعجِز عن الشفاء. فمن استعمال المفردة الأولى قوله(عليه السلام) في سياق كلامه عن المنافقين وصفاتهم:((... **يَمْشُونَ الْخَفَاءَ وَيَدِبُّونَ الضَّرَاءَ. وَصْفُهُم دَوَاءٌ،وَقَوْلُهُمْ شِفَاءٌ، وَفِعْلُهُم الدَّاءُ الْعَيَاءُ. حَسَدَةُ الرَّخَاءِ، وَمُؤَكِّدُو الْبَلاَءِ، وَمُقْنِطُو الرَّجَاءِ.**))[1]. والعَيَاء المرض الذي يعي الأطباء[2]. والإمام يريد بهذا التعبير بيان صفة هؤلاء المنافقين في هذا المقطع من كلامه. فأقوالهم هؤلاء كأقوال الزاهدين العابدين في الموعظة والتقوى، وأفعالهم أفعال الفُسّاق الضّالين من معصية الله تبارك وتعالى[3]. وهذا هو الداء الأكبر الذي عبّر عنه الإمام بـ(الدّاء العَيَاء). ونظير هذه الدلالة وردت في (خ/ ٢٢١).

ثالثاً: العجز عن المَحَاول وتحقيق المطالب.

ومن ذلك قوله(عليه السلام) في سياق خطبته له عن الاستسقاء والطلب إلى الله تعالى بإنزال الغيث والرحمة. يقول الإمام: ((**اللهمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ نَشْكُو إِلَيْكَ مَا لاَ يَخْفَى عَلَيْكَ، حِينَ أَلْجَأَتْنَا الْمَضَايِقُ الْوَعْرَةُ، وَأَجَاءَتْنَا الْمَقَاحِطُ الْمُجْدِبَةُ، وَأَعْيَتْنَا الْمَطَالِبُ الْمُتَعَسِّرَةُ...**))[4]. وأعيَتْنا -هنا- أعجزتنا المطالب التي تعسَّرت علينا. ومثل هذه الدلالة وردت في (خ / ١٩١).

---

(١) نفسه: خ / ١٩٤: ٣٨٦. وقد نقلت كتب الغريب قول الإمام ((وِفعْلُهم الداءُ العياء)). ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٣/ ٣٣٤.

(٢) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ص٣ / ٣٣٤، وشرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٧٣٨.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣ / ٧٣٨.

(٤) نهج البلاغة: خ/ ١٤٣: ٢٥١.

نَهَكَتكم

النّهْك التَّنَقُّص[١]. يقال: نَهَكَته الحُمَّى. أجْهَدْته وأنقَصَت لحَمه ورُئي أثَرها وأثر الهُزال عليه من المَرض[٢]. والظّاهر أنّ دلالة النَّقص في هذه الكلمة آتية من قولهم: (نَهَكت الناقَةَ حَلْباً)، إذا أنقَصتها، فلم يبق في ضَرعِهَا لبن[٣].

وقد استعمل الإمام مفردات: (أَنْهَك)، (نَهَكَتْكُم) و(مَنْهكَةٌ) و(النَّواهِك). ولكلٍ منها موضع واحد في نهج البلاغة[٤]، للدلالة على ما يأتي:

أولاً: ضَعْف القوة البدنية وإنقاص العدد والعُدّة.

وهو الضعف الناتج عن الحرب واشتدادها. وقد استعمل له الإمام الفعل (نَهَكَ) المتصل بكاف الخطاب، وصيغة أفعل التفضيل (أَنْهك). وذلك في سياق حديثه عن حال الناس واضطرابهم في أمر الحكومة يوم (صِفّين). إذ يقول: ((**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ أَمْري مَعَكُمْ عَلَى مَا أُحِبُّ، حَتَّى نَهَكَتْكُمُ الْحُرْبُ، وَقَدْ، وَاللهِ أَخَذَت مِنْكُمْ وَتَرَكَتْ، وَهِيَ لِعَدُوِّكُمْ أَنْهَكُ**))[٥]. وقوله (نَهَكتْكُم). أي: أضعفت قوة بدنكم، فضلاً عن إنقاص عددكم وعُدَّتِكم. ولهذا قال موضحاً كيفية الإنهاك: ((وَقَدْ - واللهِ - أَخَذَتْ مِنْكُم وتَرَكَتْ)). ولكنه أظهر لهذه الجماعة التي يخاطبها انّ (الإنهاك) الذي أصابهم، كان أقلّ من ما أصاب عدّوهم. ولهذا استعمل مفردة (أنْهَك)، وهي بوزن (أَفْعَل) التفضيل، للدلالة على شدة إنهاك الحرب للعدو حتى

(١) ينظر: العين (نهك): ٣/ ٣٧٩، ولسان العرب (نهك): ١٠/ ٤٩٩.

(٢) ينظر: العين (نهك): ٣/ ٣٧٩.

(٣) ينظر: لسان العرب (نهك): ١٠/ ٤٩٩.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لالفاظ نهج البلاغة: ٤٥٩.

(٥) نهج البلاغة: ح/ ٢٠٨: ٤٠٧، ٤٠٨.

أجهدته. وجاء استعمالها لإظهار الفارق بين ضعف اهل العراق الذين شاركوا مع الإمام في الحرب، ومستوى الضعف الذي وصل اليه أعداؤه في العدد والعُدّة. فقد ذكر المؤرخون أنّ القتلى من أصحاب معاوية يوم (صِفّيْن) كانوا أكثر من القتلى من أصحابه (عليه السلام)، فقد ذكر نصر بن مزاحم (ت ٢١٢هـ) أنّ الذين أُصيبوا بـ(صِفَّيْن) من اهل الشام خمسة وأربعون الفاً، في حين أن عدد من أُصِيب من اهل العراق هم خمسة وعشرون الفاً[١]. وقد ذهب بعض شرَّاح النهج إلى تفسير مفردة (نَهَكتكم) في كلام الإمام بـ(الإخْلاق)، كأنّه يومئ إلى تشبيه حال الناس في الحرب بالثوب المُنْهَك الذي أخلقه اللّبس[٢]. وهذه التفاتة غير بعيدة،مستوحاة من الدلالة اللغوية لمفردة (أنْهك)، فالإنهاك بالنسبة للإنسان أشبه (بالإخلاق) بالنسبة للثياب، فكلاهما بمنزلة البِلى والتخّرق. ونظير الدلالة المتقدمة ما جاء في (ك / ٥٣).

ثانياً: الدلالة على المُبْليات، وهي التي تُخْلِق جَسد الميّت بعد موته.

وجاءت هذه الدلالة من خلال إيراد مفردة (نَوَاهِك) التي استعملها الإمام بزنة(فَوَاعِل). يقول (عليه السلام) في سياق كلامه عن الموتى: ((**هَلْ دَفَعَتِ الأَقَارِبُ، أَوْ نَفَعَتِ النَّوَاحِبُ، وَقَدْ غُودِرَ فِي مَحَلَّةِ الأموات رَهِيناً، وَفِي ضِيقِ الْمُضْجَعِ وَحِيداً، قَدْ هَتَكَتِ الْهُوَامُّ جِلْدَتَهُ، وَأَبْلَتِ النَّوَاهِك جِدَّتَهُ، وَعَفَتِ الْعَوَاصِفُ آثَارَهُ وَمَحَا الْحَدَثَانُ مَعَالِمَهُ**))[٣]. (والنَّوَاهِك) في هذا النص هي المُنْهِكات التي تخْلِق جسد الأموات وتُبْليه. ولهذا قال الشارح البحراني: ((أَنْهَكه: أَخْلَقَهُ وَأَبْلاَهُ))[٤]. والبناء

(١) ينظر: وَقْعَة صفينّ، لنصر بن مزاحم: ٥٥٨.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٤/ ١٤.

(٣) نهج البلاغة: خ/ ٨٣: ١٢٨، ١٢٩.

(٤) شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢ / ٣٨٥.

الـذي استعمله الإمـام لهـذه المفـردة هو(فَوَاعِـل)، المعـدود مـن أبنيـة جمـع الكثـرة[١]. ويوحـي هـذا البنـاء بالدلالـة على ثبـوت النقـص والهـزال في الموتـى بعـد موتهـم. فكأن هـذه الكلمـة (النّواهـك) أبلـغ مـن سـواها في هـذا السياق، لكونهـا تـدل عـلى ثبـوت الوصـف في هـؤلاء، فضـلاً عـما تشـير اليـه مـن الكثـرة والمبالغـة في تعـدد هـذه المبليات التـي تصيـب الإنسـان وتُخْلِـق جسـده، مـع اشـتمال ذلـك عـلى الاسـتمرار والمداومـة. وقـد أشـار الدارسـون إلى أن (فَوَاعِـل) أقـرب إلى جمـع الأسـماء منـه إلى جمـع الصفـات، وهـو أدل عـلى الثبـوت وأقـلّ في الحركـة[٢].يريـدون بالحركـة الدلالـة عـلى التكثـير والاسـتمرار كـما يبدو.وهـذه الخصائـص إن لم تكـن متوافـرة في أغلـب المفـردات التـي تصـاغ على هـذا الـوزن، فأحسـب أنهـا موجـودة في مفـردة (النّوَاهِـك) التـي استعملها الإمـام (عليه السلام) التـي يُلحـظ فيهـا معنـى الاسـتمرار والتجـدد والتكثـير في وصـف حـال الموتـى الذيـن أبلـت النّوَاهِـك جدتهـم وأخلقتهـم، وهـذه الفكـرة تعـزز الإشـارة إلى عـذاب القـبر الـذي يعـرض للإنسـان في قـبره.

هُزَاله

الهُـزَال نَقِيـض السَّـمن[٣]، والهَزِيْلَـة اسـم مشـتق مـن الهُـزَال، وهـي الناقـة التـي أصابهـا الضعـف وقلّـة اللحـم[٤]. يقـال: أهْـزَل القَـوْم،إذا ضَعَفـت ماشِـيَتهُم، فهـم مَهْزُولُون[٥].وأصـل الهُزَالِ مأخـوذ منـة قِلّـة اللَّحـم في البـدن حسـبما يذكـر ابـن دريد[٦].

(١) ينظر: معاني الأبنية:١٥٥.

(٢) ينظر: معاني الأبنية:١٥٥.

(٣) ينظر: العين (هزل): ٤/ ١٤.

(٤) نفسه.

(٥) ينظر جمهرة اللغة (هزل): ٢/ ٨٢٧.

(٦) نفسه.

وقد استعمل الإمام مفردتا (هُزَاله) بوزن (فُعَال)، مضافة إلى ضمير الغائب، و(هَزِيل) بوزن (فَعِيْل)، مرة واحدة لكل منهما في كلامه الوارد في نهج البلاغة[١]، للدلالة على ما يأتي:

أولاً: الدلالة على هزيل الحَب.

وهذه الدلالة مختصة بالحَبّ الحصِيد، من (القمح والشعير) وغيرها. وقد وصفها الإمام -هنا- بتعبير(هَزِيل الحبَّ)، في سياق كلامه عن فتنة بني أُميّة، التي تدوس الناس دوس الحصيد. يقول (عليه السلام): ((... **رَايَةُ ضَلاَلَة قَدْ قَامَتْ عَلَى قُطْبِهَا، وَتَفرَّقَتْ بِشُعَبِهَا، تَكِيلُكُمْ بصاعها. قائدها خارج عن المِلّةِ... تَعْرُكُكم عَرْكَ الأدِيْمِ، وتَدُوسُكُم دَوْسَ الحَصِيدِ، وتَسْتَخلصُ المُؤمِنَ من بينكم استِخْلاصَ الطّيْرَ الحَبّةَ البَطِيْنَةَ مِن بَيْنِ هَزِيْل الحَّبِّ**...))[٢].وهزيل الحبَّ هو الفارغ الذي لا مادة فيه من حُبوب الطّعام، وهي (الحِنْطة، والشعير، والرز). ويسّمى هذا الحب (بالهَزيل) عند الزُرّاعِ الآن بـ(الصَّنِف). وأصله – في اللغة مأخوذ – فيما أحسب – من قولهم: صَنَّف الشَّجَر، بفتح الصاد، إذا بدأ يورق بِصنْفين، صنف قد أوْرَقَ، وآخُر لم يُورِق كما يذكر المعجميون[٣]. أمّا ما ذكره الإمام، في قوله (هَزِيلُ الحَبّ)، فهو إشارة إلى الناس من غير المؤمنين الذين ستصيبُهم آثار الفتنة الأموية التي ذكرها الإمام. وقصد بقوله (الحَبّة البطِينة) (المؤمنين) الذين سَيَتَتَّبعُهم اهل الفتنة للإيقاع بهم. وقد عمد (عليه السلام) إلى هذا الضّرب من التعبير بوساطة (التشبيه)، للإبانة عن كيفية تتبّع الأمويين الناس من ذوي الإيمان الراسخ، فعقد مشابهة بين

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٦٩.

(٢) نهج البلاغة:خ / ١٠٨: ١٩٧.

(٣) ينظر:لسان العرب (صنف):٩/ ١٩٨.

(استخلاص الطير للحبَّ الممتلئ) وتركه لـ(هَزِيْل الحَبَّ)، وبين تتبّع الفئة الضّالة للمؤمنين. ووجه الشبّه بين هذين الطرفين هو الدَّقة في الأخذ والتتبّع، فضلاً عن استطعام هؤلاء القضاء على المؤمنين ومحو أثرهم. وقد وظف الإمام في هذا السياق مفردة (هَزِيْل) بصيغة (فَعِيل)، وهي بناء من أبنية الصّفة المشبهة التي تدل عند الصّرفيين على ثبوت الوصف فيمن وصف بها مع لزومه ودوامه[(١)]. كأنّ مَن ثبتت فيه صفة هزال العقيدة وضعف الإيمان، يكون بعيداً عن طلب الأمويين وتتبّعهم، كما تكون (الحبّة الهَزِيلة) بعيدة عن نظر الطير وعنايته لعدم انتفاعه بها. وقد علّق الشارح البحراني على قول الإمام، ذاهباً إلى أنّه استعار لفظ (الدَّوْس)؛ لإهانَتِهم وشدّة امْتِهَانِهم بالبلاءِ، مشبّهاً ذلك بدوس الحصيد من الحنطة وغيرها، ثم أشار إلى تتبّع اهل تلك الضّلالة المؤمنين، واستقصائهم للإيقاع بهم، فشبّه ذلك باستخلاص الطير الحبة السمينة الممتلئة من الفارغة الهزيلة، فالطيور تَرتَاز بمناقيرها سمِين الحَبّ من هزيله، متخلّياً عن الهزيل منه[(٢)].

ثانياً: الدلالة على ضعف الجسم وقلّة لحمه.

واستعملت هذه الدلالة في سياق حديثه عن النبي موسى (عليه السلام) وزهده إذ يقول: ((**وَلَقَدْ كَانَتْ خُضْرَةُ الْبَقْلِ تُرَى مِنْ شَفِيفِ صِفَاقِ بَطْنِهِ، لِهُزَالِهِ وَتَشَذُّبِ لَحْمِهِ**))[(٣)]. والهُزال الذي يقصده الإمام هو ضعف جسم كليم الله، وقِلّة لحمه؛ لأنّه لا يُقيم للطعام والنَّهم وزناً، فيأخذ منه ما يقيم به أوده ويعينه على العبادة والتقوى، فهولم يسأل الله الاّ خبزاً يأكله. حسبما يقول (عليه السلام). وجاء استعماله

(١) ينظر: معاني الأبنية: ٧٤.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٥١٣.

(٣) نهج البلاغة: خ / ١٦٠: ٢٨٢.

مفردة (هُزَال) بصيغة (فُعَال)، وهذا البناء هو من الأبنية الدالة على الأعراض والعلل والأصوات(١). كأنّه لمّا أراد التعبير عمّا في النبي (موسى)(عليه السلام) من زُهد وعدم عناية بالأكل والشبع، جاء بمفردة (هُزَال) على البناء المتقدم، لبيان العلل والأعراض التي تبدو عليه من قلّة أكله، مع ملاحظة أنّ الإمام لم يُرد بهذه الصيغة، الدلالة على ضعف القدرة العقلية والبنية الجسمية للنبي (موسى)،كما يفهم من دلالة بناء(فُعَال)، وإنما أراد الإبانة عن عدم بِطنَته وانصرافه إلى الأكل والشرب ؛ لأنّه لم يُعنَ بطيب الطعام والشراب زهداً وورعاً.

وَصَب.

الوَصَب المَرض و الأوجاع(٢). والوَصَب شدّة التّعب وكثرة الأوجاع مع فتور البدن ونحوله ؛ بسبب من المرض والمشقة(٣). واستعمل الإمام مفردتا (وَصَب)،و(أوْصَاب) جمعاً على (أَفْعَال) مرة واحدة لكلٍ منها في نهج البلاغة(٤)، للدلالة على ما يأتي:

أولاً: الدلالة على الأمراض و التعب والنصب.

وجاء ذلك في سياق كلامه (عليه السلام) الذي يتحدث فيه عن الموتى وحالهم عند رجوعهم إلى بارئهم يقول: ((**وَالْمرءُ فِي سَكْرَة مُلْهِية، وَغَمْرَة كَارِثَة، وَأَنَّة مُوجِعَة، وَجَذْبَة مُكْرِبَة وَسَوْقَة مُتْعِبَة. ثُمَّ أُدْرِجَ فِي أَكْفَانِهِ مُبْلِساً، وَجُذِبَ مُنْقَاداً سَلِساً،**

(١) ينظر: شرح ابن عقيل: ٣/ ١٢٥.

(٢) ينظر: العين (وصب): ٧/ ١٦٨، وتهذيب اللغة (وصب): ١٢/ ١٧٨.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (وصب): ١٢/ ١٧٨، ولسان العرب (وصب): ١/ ٧٩٧.

(٤) ينظر المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٨٣.

ثُـمَّ أُلْقِـيَ عَـلَى الأَعْـوادِ رَجِيـعَ وَصِـب، وَنِضْـوَ سَـقَم، تَحْمِلُـهُ حَفَـدَةُ الْوِلْـدَانِ...))[١].

يصوّر الإمام - كما يبدو من النص - حال الميّت وانقياده إلى قبره (رَجْيعَ وَصبٍ) راجعاً من سفره في الحياة الدنيا إلى حياة الإقامة الدائمة، كما ترجع الدواب من سفرها[٢]. ويخلّف هذا السّفر تعباً ومشقّة في الأبدان، ولهذا عبرّ(عليه السلام) عن هذه الأوجاع والآلام الدائمة بمفردة (وَصَب)،التي تلزم البدن طول الحياة، باعتبار أنّ الحياة الدنيا تعب ونصب ومشقّة، فضلاً عمّا تشتمل عليه من المعاناة التي تخلّفها أمراض الحياة. واستعمال هذه المفردة يمثل ضرباً من تأثره بمفردات القرآن الكريم، فهذه الكلمة وردت في الذكر الحكيم بدلالتين ؛ الأولى هي الدلالة على التوجّع والألم. وذلك في قوله تبارك وتعالى ﴿... **وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ**﴾[٣]. وأمّا الدلالة الثانية، فهي الدلالة على دوام الدين واستمراره حسبما يذكر الرّاغب[٤]، في قوله تعالى شأنه ﴿**وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللهِ تَتَّقُونَ**﴾[٥]. وقد أفاد (عليه السلام) -كما يبدو- من تَينِك الدلالتين باستعمال المفردة المتقدمة للدلالة على استمرار الأوجاع والعلل ودوامها، فضلاً عن الدلالة على الضنك والتّعب والمشقّة.وهذه كلّها تؤدي إلى المرض والاعتلال. وقد أفاد شُرَّاح نهج البلاغة من ذلك، فذهبوا إلى تفسير مفردة (وَصَب) بالوجع والمرض[٦]، مستعينين- فيما يبدو- بالدلالة المعجمية لهذه المفردة في بيان معناها السياقي الذي ورد. وقد وردت

---

(١) نهج البلاغة: خ / ٨٣: ١٣٣: ١٣٤.

(٢) ينظر: لسان العرب (رجع): ٨ / ١١٤.

(٣) الصافات / ٠٩.

(٤) ينظر: مفردات الفاظ القرآن: ٨٧٢.

(٥) النحل / ٥٢.

(٦) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٦ / ٢١٤، وشرح نهج البلاغة (البحراني): ٢ / ٣٩٣.

مفردات في قول الإمام تعضد المعنى وتقويه، من قبيل: (غَمَرَات الآلام) و(طَوَارِق الأوجَاعِ)و(الأسْقَام)، و(أَنَّة مُوجِعَة). وفي سياق آخر، وردت مفردة (أَوْصَاب) بصيغة الجمع على(أَفْعَال)، في كلام الإمام عن اختيار الأنبياء واحتجاجهم على النّاس بالتَّبلِيغ، بأن: ((**وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ، وَيُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ: مِنْ سَقْف فَوْقَهُمْ مَرْفُوع، وَمِهَاد تَحْتَهُمْ مَوْضُوع، وَمَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ، وَآجَال تُفْنِيهِمْ، وَأَوْصَاب تُهْرِمُهُمْ، وَأَحْدَاث تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ**))[1].

وقد دلّت مفردة (أَوْصَاب) على الأمراض التي تصيب الناس حتى تُهرِمهم. فهي ترافقهم منذ النشأة إلى آواخر أعمارهم فيتوجعون منها ألماً. ويعانون منها سهراً وحُمى. وتتضمن المفردة أيضاً الدلالة على التعب والضّنك الذي يمر به المرء في حياته، بسبب مما يمر به من سوء في أحواله وأوضاعه. وهو ما يدفعني إلى عد العِلل والآفات النفسية واقعة ضمن دلالة مفردة (أوْصَاب) على المرض ؛ لأن هذه العوارض النفسية، ومنها الغضب والرّوع والفزع والحزن من أسباب الهرم. ومن أشدّها وقوعاً هو (الهَمُّ) الذي يصاحبه الحزن والغضب. ولهذا جعل الإمام (الهَمَّ) علّة لـ(الهَرَم) في قوله: ((**الهَمُّ نِصْفُ الهَرَمِ**))[2].أمّا استعماله مفردة (أوْصَاب)، جمعاً على (أَفْعَال)،فقد أعان على كثرة هذه (الأوصاب) وتنوعها وتعدّدها بالنسبة إلى الإنسان الذي تتابع عليه الهموم والمتاعب بشتى أنواعها، فضلاً عن دوامها واستمرارها. فهذه العلل والمتاعب دائمة لازمة لا تنفك الحياة منها.

(١) نهج البلاغة: خ / ١: ٢٣.

(٢) نهج البلاغة: قصا / ١٤٣: ٦٢٨.

شَحِبَة

الشحوبُ هو تغيّر اللون بسبب من السَّفر أو الهزال والهمّ والعمل[١]. وقد خُصّ الشُّحوب في الجسم بتغيُّر اللّون، فضلاً عن ضعف البدن وهُزاله[٢].

وجاءت مفردة (شَحِبَة) مرة واحدة في نهج البلاغة[٣]، للدلالة على شُحُوبة الجَسَد وتغيُّره في مَضْجَع الموت. يقول: ((**وَقَدْ غُودِرَ فِي مَحَلَّةِ الأموات رَهِيناً، وَفِي ضِيقِ الْمُضْجَعِ وَحِيداً، قَدْ هَتَكَتِ الْهُوَامُّ جِلْدَتَه... وَصَارَتِ الأَجْسَادُ شَحِبَةً بَعْدَ بَضَّتِهَا، وَالْعِظَامُ نَخِرَةً بَعْدَ قُوَّتِهَا...**))[٤]. فالأجساد التي وصفها الإمام بـ(شَحِبَة)، هي أجساد الموتى التي فقدت نضارتها وقوتها،بعدما كانت غضّة طريّة ناعمة. وتبدو مفردة (شَحِبة)أملك بالسياق الذي تكلّم فيه أمير المؤمنين الذي قصد الإبانة عن ثبات التغيّر في أجساد الموتى وشدته. وهو ما يعبّر عنه باتِّصاف صاحب الصّفة بها.فهذه الكلمة تبين حال تلك الأجساد بعد الموت وزوال ما فيها من الحسن والغضاضة. في حين أنّه لو أتى بالمفردة المتقدمة على وزن (فَاعِل)، فقال (شَاحِبة) لما تحقق المعنى المتقدم ؛ لما في اسم الفاعل من الحدث والحدوث، وعدم الملازمة لفاعله[٥]. فانتهاء هذه (الأجساد) إلى الموت والهلاك، يؤكد ثبات الصفة المتقدمة فيها وملازمتها لها. ولهذا أجد ما ذهب اليه الشارح ابن أبي الحديد من دلالة لكلمة (شَحِبة) في قول الإمام،وتفسيرها بـ(الهَالِكة)[٦]. مخالف لسياق النّص

---

(١) ينظر: العين (شحب) ٣ / ٩٨، والمحكم (شحب): ٣ / ١١٧.

(٢) ينظر لسان العرب (شحب): ١ / ٤٨٤.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢٣٥.

(٤) نهج البلاغة: خ/ ٨٣: ١٢٨، ١٢٩.

(٥) ينظر: معاني الأبنية ٢٦،وما بعدها.

(٦) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٦ / ٢٠٦.

الـذي يتَجه نحـو الثبات والـدوام وعـدم الحـدوث.

نَحِيْفة

النَّحيف الـضَّرِب الجسـم، القليل اللّحـم[١]. والنَّحافـة الهُـزال[٢]. وقيـل: بـل هـي قلّـة اللّحـم خلقـه، وليس بسـبب مـن الهُـزال[٣].

ومفـردة (نَحِيفَـة) مـن مفـردات نهـج البلاغـة التـي اسـتعملها الإمـام مـرة واحـدة[٤]، للدلالـة عـلى الأجسـاد الضّعيفـة الدقيقـة التـي هَزُلَـت مـن كثـرة العبـادة وقلّـة الـزاد. وذلـك في سـياق وصفـه (عليه السلام) المتقـين الذيـن يقـول فيهـم. ((**قُلُوبُهُـمْ مَحْزُونَـةٌ، وَشُرُورُهُـمْ مَأْمُونَـةٌ، وَأَجْسَـادُهُمْ نَحِيفَـةٌ، وَحَاجَاتُهُـمْ خَفِيفَـةٌ، وَأَنْفُسُـهُمْ عَفِيفَـةٌ**))[٥]. ووصفهـم بنَحافَـة الأجسـاد، للدلالـة عـلى عـدم انشـغالهم بالملـذات والانـصراف إلى تخيّر الأطعمـة والأشربـة، فكنَّـى عـن زُهدِهـم بمفـردة(نَحِيفَـة) ؛ لأنّهـم إنـما ((**عَظُـمَ الْخَالِـقُ فِي أَنْفُسِـهِمْ، فَصَغُـرَ مَـا دُونَـهُ فِي أَعْيُنِهِـمْ، فَهُـمْ وَالْجَنَّـةُ كَمَـنْ قَـدْ رَآهَـا، فَهُـمْ فِيهَـا مُنَعَّمُـونَ، وَهُـمْ وَالنَّـارُ كَمَـنْ قَـدْ رَآهَـا، فَهُـمْ فِيهَـا مُعَذَّبُـونَ**))[٦]. فروّضُـوا أنفسـهم رياضـة، ووضعـوا لهـا مَنهجـاً يوصلهـم إلى رضـا الله تبـارك وتعـالى. ولهـذا شـغلتهم العبـادة والخـوف مـن المعصيـة عـن الأكل الـذي يلهيهـم عـن الطاعـة. فـ((**قَـدْ بَرَاهُـمُ الْخَـوْفُ بَـرْيَ الْقِـدَاحِ، يَنْظُـرُ إِلَيْهِـمُ النَّـاظِرُ فَيَحْسَـبُهُمْ مَـرْضَى، وَمَـا بِالْقَـوْمِ**

(١) ينظر: العين (نحف): ٣/ ٢٤٩، وتهذيب اللغة (نحف): ٥ / ٧٢.

(٢) ينظر: لسان العرب (نحف): ٩ / ٣٢٤.

(٣) المحكم (نحف): ٣/ ٣٨٣.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٣٦.

(٥) نهج البلاغة: خ / ١٩٣: ٣٨١.

(٦) نفسه.

مِنْ مَرَضٍ...))(١). وذلك هو سبب ضعفهم ونحافة أجسادهم. وبهذا يكون الإمام قد وسّع من دلالة المفردة المتقدمة، فضمّنها الدلالة على الزّهد والورع، فضلاً عن التقوى ؛ لأن نحافة أجسادهم كانت بسبب من هذه الخصال التي يتميزون بها. وبهذا تكون لفظة (نَحِيفَة) – في هذا السياق – دالة على التغير في الجسم، وتحوله من حال الامتلاء إلى حال أخرى علامتها قِلّة اللحم وهزال الجسم وانصرافه عن تخيّر الأطعمة والاشربة.

(١) نفسه: ٣٨٢

المبحث الثالث
ألفاظ علل النّطق ومتعلقاتها

بَكْمَاء

الأَبْكَم الأَخَرْس الذي لا يتكلّم[١]، ويقال للمُمْتنِع من الكلام جَهْلًا أو تعمّداً إنه بَكم عنه[٢]. وقيل: الأبكم هو الذي كان أخرساً من ولادته[٣]. وذهب بعض اللغويين إلى عدَّ (البكم) عاماً يشمل فقد حواس الإنسان جميعاً من نطق وسمع وبصر[٤].وفرّق الأزهري بين (الأَخْرَس والأَبْكَم)، فالأخرس هو الذي خُلِق ولا نُطقِ له، كالبهيمة العَجماء، في حين أن الأبكمُ هو الذي للسانه نُطْق، ولكنه لا يَعْقِل الجواب[٥]. وهذه الصَّفَة تعني (العِيَّ) عندهم. والعَيِيُّ هو الأَقْطَعُ الأبكم اللسان[٦].

ووردت مفردات (تُبكْم) و (بَكْماَء)، و (بُكم) في نهج البلاغة، وكان نصيب كل واحدة منها الاستعمال مرّة واحدة[٧]. إلّا مفردة (بُكْم) بصيغة الجمع على (فُعْل) التي استعملها الإمام مرتين[٨]. وجاءت هذه المفردات للدلالة على ما يأتي:

---

(١) ينظر: العين (بكم): ٥ / ٣٨٧.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: لسان العرب (بكم): ١٢ / ٥٣.

(٤) ينظر: المحكم (بكم): ٧/ ٧٢.

(٥) ينظر: تهذيب اللغة (بكم): ١٠ / ١٦٣.

(٦) نفسه.

(٧) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٦٠.

(٨) نفسه.

اولاً: الدلالة على العِيّ،وهو السّكوت والامتناع عن الكلام.

وهذه الدلالة التي جاءت بها مفردة (تُبْكم) تعني أنّ جميع الخلق من البشر سيُبْكمون ولا يقدرون على الإفصاح والإبانة يوم القيامة. وجاء ذلك في سياق حديثه عن يوم القيامة الذي يُفلْح فيه المُتَّقُون في يوم تَشخَص فيه الأبصار(١): ((**ويُنْفَخُ في الصُّوْرِ فتَزْهقُ كُلُّ مُهْجَةٍ، وَتَبْكَمُ كُلُّ لَهْجةٍ...**))(٢). و يَعجَز في هذا اليوم كل فصيح عن الكلام بحضرة البارئ جل جلاله، ولاسيّما أولئك الذين باعوا آخرتهم بدنياهم. فاستعمل (عليه السلام) جملة (تَبْكَمُ كَلّ لَهْجَةٍ)،لإظهار هذا المعنى فتعبير (كلُ لهجة) إشارة الى تعدد لغات العالم والمتكلمين بها الذين (سَتُبْكَمُ) الْسنَتِهم عن الكلام بهذه اللهجات التي يتكلّمون بها. ومما يُلْفِت النظر استعماله(عليه السلام) مفردة لهجة، للدلالة على الناطقين المتحدثين من إنْسٍ وغيرهم، فضلاً عن اللهجة نفسها التي ستكون غير قادرة على إعانة المتكلّمين بها أو تمكينهم من استعمالها. ولهذا قال الإمام: (وتَبْكَمُ كلُ لَهْجَةٍ)، فجعل اللّهجة هي الفاعل في الكلام وليس الناطقين بها في إشارة الى كونها هي التي تعيا عن النّطق وأداء الجواب. والمراد باللّهجة -هنا- هي اللُغَة التي جُبِل عليها النّاس، فاعتَادها ونشأ عليها(٣). و مال بعض شُرَّاح نهج البلاغة الى تفسير مفردة (تَبْكَمُ) بـ(تَخْرس)(٤). مستفيداً-فيما يبدو- من الدلالة المعجمية لمفردة (بكم).

---

(١) اشارة الى قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَّ غَافِلاً عَماَّ يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّماَ يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ إبراهيم / ٤٢.

(٢) نهج البلاغة: خ / ١٩٥: ٣٩٠.

(٣) ينظر: لسان العرب (لهج): ٢ / ٣٥٩.

(٤) ينظر نهج البراعة: ١٨/١٢.

ثانياً: الدلالة على عدم الفهم والعقل.

وهذه الدلالة قرآنية المنشأ عند الإمام، إذ اختارها من أساليب القرآن الكريم. ويمكن لحاظ هذا التأثير في قوله (عليه السلام) في سياق الذمّ: ((**مَا لِي أَرَاكُمْ أَشْبَاحاً بِلاَ أَرْوَاح، وَأَرْوَاحاً بِلاَ أَشْبَاح، وَنُسَّاكاً بِلاَ صَلاَح، وَتُجَّاراً بِلاَ أَرْبَاح، وَأَيْقَاظاً نُوَّماً،... وَنَاظِرَةً عُمْيَاءَ، وسَامِعَةً صَمَّاءَ، وَنَاطِقَةً بَكْمَاءَ!...**))[(١)]. ويصف(عليه السلام)هذه الطائفة من الناس بالصفات المتضادة في ظاهرها، المجتمعة فيهم في حقيقة الأمر[(٢)]. فذكر منها صفتي (النّطق والبُكم)، فضلاً عن اجتماع النُسْك فيهم من دون الصّلاح، وهو بهذا يؤكد عدم إفادتهم من هذه الجوارح ؛ فهم من الأحياء (الناطَقةُ)التي لا تعي ولا تعقل، شأنهم في ذلك شأن كل ما نطق من الحيوان[(٣)]. فلا فائدة في نُطْقِهم ؛ لأنهم يتحدثون بما لا قيمة له من الكلام. وإنّما وصِفُوا بهذه الأوصاف، لعدم ترتب آثارها عليهم، فإنهم يسمعون بآذانهم دون أن يحصل فيهم أثر من سمعهم هذا الذي ينبغي أن يكون سمعاً واعياً مفيداً، وينطقون بألسِنتهم،ولكنهم بُكم المشاعر والأحاسيس[(٤)]. وبالعودة الى استعمالات القرآن الكريم، نلحظ أنّ المعنى الذي قصد اليه الإمام يتفق مع قوله تعالى: ((**مَثَلُ الَّذَيْنَ كَفَروا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعَق بما لا يَسْمَع الاّ دُعَاءً ونِدَاءً صُمٌ بُكْمٌ عُمْيٌ فهَمُ لاَ يعقِلون**))[(٥)]. ونفي العقل عنهم هو تفسير لفقدانهم تلك الحواس التي مَتَّعَهم الله بها، لكن دون توظيف صحيح لها. وثَمّة دلالة استعملها الإمام – هنا– وهي توظيفه أسلوب الالتفات، وهو من

(١) نهج البلاغة: خ/ ١٠٨: ١٩٦.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٣/ ٣٤.

(٣) ينظر في دلالة مادة (نطق) لسان العرب (نطق): ١٠ / ٣٥٤.

(٤) ينظر: منهاج البراعة: ٧/ ٢٤٠.

(٥) البقرة / ١٧١ وينظر: الأنعام / ٣٩.

الأساليب البلاغية التي ينقل فيها الخطاب من الحضور الى الغيبة وبالعكس[١].

فعدل (عليه السلام) من خطاب الجمع المذكر في قوله (أشباحاً، ونُسَّاكاً، وتجّاراً، وأيْقَاظاً، وشُهُوداً) الى خطاب المفردة المؤنثة، في قوله (نَاظِرة عَميَاء، وسَامِعَة صَمّاء، ونَاطِقَة بَكْمَاء)، لأنّه قصد بذلك معنى الجماعة أو الطائفة، فضلاً عن التَّفنُّن في الصّياغة[٢].

ويبدو لي أنه عدل في خطابه ؛ لأنّه قصد بذلك وصف جوارحهم بالأوصاف المتقدمة، وهو ما دفع الى الانتقال من الجمع المذكر الى المفرد المؤنث، كأنّه يومئ الى أنّ عيونهم وقلوبهم وآذانهم وألسِنَتِهم بعيدة عن الحقّ والصّواب الذي ينبغي أن تكون عليه هذه الجوارح. فكأن هذه الأبصار ناظرة العيون، ولكنّها عمياء البصيرة، وسامعة الآذان، ولكنهم صُمّ القلوب، وناطقة الألسن بكماء المشاعر، فاستعار لهم الفاظ العمى والصمم والبكم مع وصفهم بأضدادها، إشارة الى بيان تقصيرهم وقصور نظرهم في آيات الله وسماع ندائه وكلامه[٣].

ومما يمكن به تسويغ الإنتقال في الخطاب التوطئة للحديث عن (الفِتنَة) التي قدّم لها الإمام بقوله: ((**رَايَةُ ضَلاَلَة قَدْ قَامَتْ عَلَى قُطْبِهَا، وَتَفرَّقَتْ بِشُعَبِهَا...**))[٤]. و مفردة (الفتنة) وصفاتها التي ذكرها (عليه السلام) من الألفاظ المؤنثة ومن خلال الجمع بين قوله: ((**نَاظِرة عَمْيَاء، وسَامِعَة صَمّاء، ونَاطِقَة بَكْمَاء**)). وقوله ((**رَايَةُ ضَلالٍ...**))، يصبح المعنى، أنكم مع وجود هذه الحواس فيكم، فإنكم غير منتفعين بها، فتُبْصِرُون (راية الضّلال) التي قامت على قُطْبِها، وتتبعونها على مع ما فيها من ضلال، ولا تُبِصْرُون راية الحق، و الأشد من ذلك أنّكم تسمعون لقائد هذه

(١) ينظر: التعريفات،للشريف الجرجاني: ١/ ١٠.

(٢) ينظر: بهج الصباغة: ٩ / ٥٦.

(٣) ينظر: منهاج البراعة:٧/ ٢٤٠.

(٤) نهج البلاغة: خ ١٠٨: ١٩٧.

الراية الضّالة وتجيبونه الى ضلاله، و تَبْكُمون أَلْسِنَتِكُم عن إجابة صاحب الحَقّ و،هو الإمام(عليه السلام)، فـ((**أَيْنَ تَذْهَبُ بِكُمُ الْمَذَاهِبُ، وَتَتِيهُ بِكُمُ الْغَيَاهِبُ، وَتَخْدَعُكُمُ الْكَوَاذِبُ؟ وَمِنْ أَيْنَ تُؤْتَوْنَ، وَأَنَّى تُؤْفَكُون...، فَاسْتَمِعُوا مِنْ رَبَّانِيِّكُمْ، وَأَحْضِرُوهُ قُلُوبَكُمْ، واسْتَيْقِظُوا إِنْ هَتَفَ بِكُمْ...**))[1] .وثَمّة دلالتان شبيهتان بالدلالة المتقدمة وردتا في (خ/ ٩٧، خ ١٠٨).

خَرَسُوا

الخَرَس ذهاب الكلام خِلقة أوعِيّاً[2]. والأخرس هو الذي لا صوت له[3]. ومنه قولهم: كتيبة خَرْسَاء، وهي التي لا يسمع لها صوت ولا جَلَبة[4].

وقد وردت الفاظ (خَرسُوا) و(يُخْرِس)،و(خُرْساً) و(مُخْرَسُون) في نهج البلاغة مرة واحدة لكل مفردة منها[5]، للدلالة على العِيّ وعدم القدرة على الكلام. ومن ذلك قوله (عليه السلام) في سياق ذم الفَقْر وما يفعله بالناس: ((... **والفَقْرُ يُخْرِسُ الفَطِن**[6] **عن حُجَّته..**))[7]. فلمّا كان (الفَقْر) عاملًا في عدم انتباه الإنسان، ومقدرته على التّبصّر في الأمور ؛ بسبب من انشغال الفقير بلوازم عيشه وحاجاته الضرورية، لهذا وصفه الإمام بأنّه (يُخْرِس) النَّبِه من الناس عن بيان حُجَّته. لكونه يذل المرء ويؤثّر في قدراته العقلية والذهنية ويجعله منشغلاً في كيفية تحصيل قوته وقوت

(١) نفسه.

(٢) ينظر: العين (خرس): ٤/ ١٩٥، والمحكم (خرس): ٥ / ٧٣.

(٣) نفسهما.

(٤) نفسهما.

(٥) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٣٥.

(٦) الفَطِن الفَهِمُ. ينظر: لسان العرب (فطن): ١٣/ ٣٢٣.

(٧) نهج البلاغة: قصا / ٣: ٥٩٩.

عيالـه. فوظّـف الإمـام المفـردة المتقدمـة (للفَطِـن) مـن النـاس الـذي يصيبـه (الفقـر) (والإقـلال) في عيشـه، بلحـاظ الشـبه بينـه وبـين (الأخـرس) في عـدم القـدرة عـلى الإبانـة والإفصـاح عـن حجتـه[١].

وقـد استعملت مفـردات (خَرَسوا) و (خرساً) و (مُخْرَسُون) بالدلالـة عـلى العِـي وعـدم المقدرة عـلى الكلام في (خ/ ١١٩، ٢٢١).

مُتَعْتِع

التّعْتـع و التّعتَعَـة الفَأفَـأة[٢]. وهـي صفـة في الـكلام تعنـي الـتردُّدُ فيـه، بسـبب مـن الحَـصرِ والعِـيَّ[٣]. وهـذا التلكـؤ في الـكلام مأخـوذ أصـلًا مـن تـردد الدابـة وعـدم قدرتهـا عـلى السّـير في الرّمـل. يقـال: تَعْتَـع البَعِـير وغـيره مـن الـدواب، إذا سَـاخ في وُعُوثَـة الرَّمـال[٤]. وقـد أخـذ هـذا الوجـه مـن التَّعَثّـر، فوصـف بـه الـكلام الـذي لا يقـدر عليـه صاحبـه وذلـك بـأن يَعْيَـا بكلامـه ويـتردد[٥]. واتَّسَـع هـذا المعنـى الـذي تـدل عليـه المفـردة، فصـار يستعمل في وصـف مـن يقـع في تخبُّطٍ أو وَحْـل. يقـال: وَقَـع القـوم في تَعَاتِـع، وذلـك إذا وَقَعـوا في أراجِيـف وتَخْلِيـطٍ[٦].

وجـاءت مفـردة (مُتَعْتِـع) بصيغـة اسـم الفاعـل في نهـج البلاغـة في موضعـين، في حـين وردت لفظـة (تَعْتَعُـوا) مـرة واحـدة[٧]. ويفهـم مـن السياقات التـي وردت منهـا

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٣٩٢.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (عت): ١/ ٧٣.

(٣) نفسه.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة (عت): ١/ ٧٣، ولسان العرب (تعع): ٨/ ٣٥.

(٥) ينظر: لسان العرب (تعع): ٨/ ٣٥.

(٦) نفسه.

(٧) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٧٣.

هـذه المفـردات انهـا تـدل عـلى مـا يـأتي:

أولاً: الدلالة على التردد والتَّعَثُّر في الكلام بسبب من الخوف.

وقـد افـاد الإمـام مـن السياق النبـوي في توظيـف مفـردة (مُتَتَعْتِـع) بصيغـة اسـم الفاعـل في كلامـه، لغـرض إبانـة دلالـة الـتردد والتلكـؤ في الـكلام. يقـول(عليه السلام) في كتابـه الى(مالـكٍ الأشـتر): ((**وَاجْعـلْ لِـذَوِي الْحَاجَاتِ مِنْـكَ قِسْـماً تُفَـرِّغُ لَهُـمْ فِيـهِ شَـخْصَكَ، وَتَجْلِـسُ لَهُـمْ مَجْلِسـاً عَامّـاً، فَتَتَوَاضَـعُ فِيـهِ للهِ الَّـذِي خَلَقَـكَ، وَتُقعِـدَ عَنْهُـم جُنْـدَكَ وَأَعْوَانَـكَ مِـنْ أَحْرَاسِـكَ وَشُرَطِـكَ، حَتَّـى يُكَلِّمَـكَ مُتَكَلِّمُهُـمْ غَـيْرَ مُتَعْتِـعٍ**...))[١]. ومـن خـلال السـياق تبـدو دلالـة التلكـؤ في الـكلام عنـد مخاطبـة الـوالي بسـبب مـن الخـوف مـن سُـلطته وسَـطوة حرّاسـه وشُرطِـه، وليـس بسـبب مـن العِـي وعـدم الإفصـاح. ويحتـج الإمـام في صياغـة التعبـير الأخـير مـن هـذا المقطـع الـذي ضمنّـه مفـردة (مُتَتَعْتِـع) بـما ورد عـن رسـول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في هـذا الشـأن، إذ يقـول: ((**فـإني سَـمِعْتُ رَسُـولَ اللهّ** (صلى الله عليه وآله وسلم) **يَقُـوْلُ في غـير مَوْطِـنٍ: ((لَـنْ تُقَـدَّسَ أُمّـةٌ لا يُؤْخَـذُ للضَعيْـفِ فيهـا حَقُّـهُ مـن القَـوِيِّ غَـيْرَ مُتَتَعْتِـعٍ**))[٢]...))[٣]. وأمّـا دلالـة المفـردة في حديـث النبـي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقـد أبـان عنهـا المصنّفـون في (غريـب الحديـث)، فذهبـوا الى دلالتهـا عـلى عـدم القلـق والإزعـاج حين التكلّـم، والتَّظَلُّـمِ عنـد الحاكـم[٤]. وتحمـل المفـردة المتقدمـة -أيضـاً- الدلالـة عـلى الـتردّد والاضطـراب في الـكلام نتيجـة للعِـي والخـوف الـذي يصيـب الضعيـف مـن

---

(١) نهج البلاغة: ك/ ٥٣: ٥٦٢.

(٢) السـنن الكـبرى، للبيهقـي: ١٠/ ٩٣، وفيهـا: ((إنّ الله لا يقـدّس أمّـةً، لا يأخُـذ الضعيـف حقّـه مـن القـوي، وهـو غـير متَعْتع)). وينظر: مسند أبي يعلى: ٢/ ٣٤٤، والنهاية في غريـب الحديـث: ١/ ١٩٠، والديبـاج الـوضي: ٥/ ٢٥٧٧.

(٣) نهج البلاغة: ك/ ٥٣: ٥٦٢.

(٤) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ١/ ١٩٠.

الناس[١]. أقول: وهذه الدلالة ليست بعيدة عمّا عليه في كلام الإمام، لتقارب السياقين من جهة، فضلاً عن كونه أخذ اللفظة المتقدمة من كلام النبي (ﷺ)، فالمُتَتَعْتِع- عند الإمام- هو الذي يُزعَج ويُقْلَق[٢].خوفاً على حاجته ونفسه من الحاكم وأحراسه.وربما يكون الخوف والقلق النفسي الذي يصيب هؤلاء راجع الى حرصهم على عدم الفشل في الكشف عن حوائجهم وطلباتهم،فتصيبهم الدهشة والتردد وعدم القدرة على الكلام.وقد آثر بعض شرّاح النهج الركون الى الدلالة اللغوية في تفسير مفردة (مُتَتَعْتِع) عند الإمام، فجعلها منحصرة في التردد الحاصل من حصر أو عِيٍّ[٣].

ثانياً: الدلالة على عدم الافصاح والإبانة عن المراد.

وهذه الدلالة متعلقة بعدم قدرة المتكلم على أن يكون بليغاً فصيحاً لسِناً وموجِزاً في قوله. وهذه الدلالة - عندي - أخصّ من انعدام القدرة على التّكلّم والتلكّؤ والتّعثّر في الكلام عند شروعهم في الحديث، أو خوفهم من السلطان وأعوانه. في حين أنّ الخلل في صياغة النصوص أو التكلم بفصيح الكلام، أمر خاص مُتعلّق بالإحاطة بقواعد اللغة وقوانينها. وبالعودة الى النص الذي استعملت فيه مفردة (تَعْتَعُوا)، يُلحظ أنّها استعملت بالدلالة المتقدمة نفسها. يقول(عليه السلام) في سياق ذكر فضائله على غيره من الناس: ((**فَقُمْتُ بِالأمْرِ حِينَ فَشِلُوا...ونَطَقْتُ حِينَ تَعْتَعُوا، وَمَضَيْتُ بِنُورِ اللهِ حِينَ وَقَفُوا، ومَضَيتُ بِنُورِ اللهِ حِينَ وقَفُوا، وَكُنْتُ**

(١) شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٧/ ٦٨.

(٢) شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٧/ ٦٨.

(٣) ينظر: الديباج الوضي: ٥/ ٢٠٧٦، ومع نهج البلاغة: ٩٤.

أَخْفَضَهُـمْ صَوْتـاً، وأعْلاَهُـم فَوتـاً...))[١]. وفي ضوء إيحاءات هذا النص. أقول: إنّ غرض الإمام في إنشاء هذه الخطبة بيان فضله ومنزلته، فمال بمفردة (تَعتَعوا) الى عدم قدرة غيره على الإفصاح والمنطق السّليم من الإبانة عن المعاني وعلو اللغة. وذلك عندي رهن بالثنائيات التي صنعتها للتفرقة بين مواقفه، ومواقف غيره ممن هم دونه شرفاً ومنزلة وسابقة الى الإسلام والدفاع عنه، فاستعمل لفظة (نَطَقْتُ) المتصلة بضمير المتكلم، وقابلها بمفردة (تَعْتَعُوا) التي جعلها ضداً لها. ولو رجعنا الى الدلالة المعجميّة لمفردة (نَطَقْت) ؛ لوجدنا أنّها تدل على المِنْطِيْق البَلِيْغ من الناس[٢]. وهذا هو المعنى الذي قصد اليه الإمام في قوله (نَطَقْت). يريد: نَطَقْت بالحقَّ بليغاً مُفصِحاً، ولكنّكُم تَعْتَعْتم، وأصابكم العِيّ وعدم الإبانة والفصاحة في القول، لأنّكم ركبتم الباطل وجانبتم الحق.

أَثْرَمَ

الثَّرَم انكسار سِن من الأسنان، ولا يكون إلاّ من الأسنان المتقدمة مثل الثّنايا والرباعيات[٣]. وقيل: بل الثَّرم هو انكسار السَّنَّ من أصْلها، ومنها الثنايا التي وُصِف الثَّرَم بأنّه انكسارها خاصة دون بقية الأسنان[٤].

وقد استعمل الإمام مفردة (أَثْرَم) مرّة واحدة في نهج البلاغة[٥]. في وصف (البُرْج بن مُسْهِر الطّائي) من الخوارج[٦]، لمّا خاطب الإمام بـ(صِفِّين) قائلًا (لا

---

(١) نهج البلاغة: خ / ٣٧: ٨٠.

(٢) ينظر لسان العرب (نطق): ٢/ ٢١٦.

(٣) ينظر: جمهرة اللغة (ثرم): ١ / ٤٢٣.

(٤) ينظر: لسان العرب (ثرم): ١٢ / ٧٦.

(٥) ينظر: معجم المفهرس لالفاظ نهج البلاغة: ٧٥.

(٦) هو البُرُج -بالباء المضمومة-، والمُسِهْر- بضم الميم وكسر الهاء-. بن جلّاس بن الأرث الطائي،

حُكمَ الاّ للهِّ). فقال له الإمام:((**اسْكُتْ قَبَحَكَ اللهُ يَا أَثْرَمُ، فَوَاللهِ لَقَدْ ظَهَرَ الْحَقُّ فَكُنْتَ فِيهِ ضَئِيلاً شَخْصُكَ، خَفِيّاً صَوْتُكَ...**))[١]. والنص في ذمّ هذا الرجل بذكر صفة من صفاته، وهي (الثَّرم)، فقد كان الُبرْج ساقط الثنيّة[٢]. فأهانه (عليه السلام) بأن دعاه بها كما يُهان الاعور بأن يقال له يا أعور[٣]. يريد بذلك تمييز هذا النفر من الناس عمّن سواه، بذكر الصّفة التي تميّزه، فضلاً عن وصفه بضآلة شخصه وخفاء صوته تعريضاً به في عدم الالتفات الى أقواله وحقارته، فكأنه برز دون شرف أو شجاعة أو قِدَم كما يطلع قَرْن الماعِز. وهذا من البلاغة بمكان، فمن البليغ، تشبيه مَن يُراد إهانَتَه بما كان مهيناً حقيراً من الأوصاف، وتشبيه مَن يُراد تعظيمه بالعظيم الخطير على حدَّ قول الشارح البحراني[٤].

عَقَابِيل

العُقْبول ما يَبثُر بالشفتين، بسبب من الحُمَّى، وواحدتها عُقْبُولة[٥]. وقيل بل هي قُرُوح صِغار تَخرج بالشَّفَة من بقايا المرض أو العشق أو العداوة والبغضاء[٦].

أحد بني جديلة من جديلة طيّئ. شاعر معمّر من معمّري الجاهلية،كانت إقامته في ديارهم بنجد.وهو من شعراء الخوارج الذين نقل عنهم أبو تمّام أبياتاً من شعرهم.وقد نادى بشعار الخوارج، بحيث يسمعه الإمام، فزجره (عليه السلام): ينظر: شرح ديوان الحماسة، للخطيب التّبريزي:1/ 186، والأعلام،للزركلي:47/ 2،ونهج البلاغة (ابن أبي الحديد): 103/ 10،وشرح نهج البلاغة (البحراني): 3 / 726.

(١) نهج البلاغة: خ / ١٨٤ : ٣٣٧.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٠/ ١٠٣.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة: (البحراني): ٣/ ٧٢٦.

(٥) ينظر: العين (عقبل): ٢/ ٣٠١.

(٦) ينظر: لسان العرب (عقبل): ١١/ ٤٦٦.

وقد وردت لفظة (عَقَابِيْل) جمعاً على (فَعَالِيْل) مرّة واحدة في نهج البلاغة[١]. دالة على الصّعَاب والمَشَقَّة في تحمّل الفاقَة وآثارها التي تخلّفها على الإنسان من تعب وجهدٍ. يقول(عليه السلام) في سياق الحديث عن الأرزاق وتقديرها:((**وَقَدَّرَ الأَرْزَاقَ فَكَثَّرَهَا وَقَلَّلَهَا، وَقَسَّمَهَا عَلَى الضِّيقِ والسَّعَةِ... ثُمَّ قَرَنَ بِسَعَتِهَا عَقَابِيلَ فَاقَتِهَا، وَبِسَلاَمَتِهَا طَوَارِقَ آفَاتِهَا، وَبِفُرَجِ أَفْرَاحِهَا غُصَصَ أَتْرَاحِهَا**))[٢]. والعَقَابِيل جمع عُقْبول، وأصلها القروح التي تخرج على الشفاه من بقايا الأمراض والعِلل. وقد وسّع الإمام من دلالة هذه المفردة، مضفياً عليها الدلالة المشَقّة والفاقة التي تخلفها آثار العوز. وهي جزء من أحوال العيش في الحياة الدنيا ؛ لأنّ الله تبارك وتعالى قسّم الأرزاق وقدّرها ضيقاً وسَعَة، فمن وَسِع عليه رزقه، أنفق من سَعَته كما يقول الله جل جلاله في الآية المباركة: ﴿**لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللهُ لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا**﴾[٣]. وهذا المعنى القرآني صاغ منه الإمام (عليه السلام) قولته المتقدمة، ليظهر أنّ اليُسر والعُسر كلاهما ابتلاء،لأجل بيان شكر غنيها وصَبر فقيرها، ومن ثُمّ قابل الإمام بين الأضداد، فجعل (عَقَابِيل) الفاقة ملازماً للّسّعَة. وطوارق الآفات نقيضاً للسّلامة. وقد ذهب المصنفون في (غريب الحديث) وبعض شرّاح النهج الى تفسير مفردة (عَقَابِيل) في قول الإمام بالدلالة على آثار المرض[٤].

---

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣١١.

(٢) نهج البلاغة: خ / ٩١: ١٦٥. وقد نقلت المدونات اللغوية كلمة الإمام المتقدمة تضمّنت لفظة (عَقَابِيل). ينظر: النهاية في غريب حديث: ٣ / ٢٦٩، ولسان العرب (عقبل): ١١/ ٤٦٦.

(٣) الطلاق / ٧.

(٤) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٣/ ٢٦٩، وشرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٨ / ١٩، والديباج الوضي: ٢/ ٧٤٥.

ويبدو أنّه (عليه السلام) قصد من توظيف الكلمة المتقدمة الدلالة على الآثار التي تتركها وتخلّفها (العَقَابِيل) في الإنسان عند العلة، ولاسيما في (شفتيه) من أثر الحمّى وغيرها، فتبدو كأنها حلاً وقروح مؤلمة. ولّما كان سياق الكلام يتحدث عن الأرزاق وتقسيمها على الناس من جهة الكثرة والقّلة اختباراً للناس بالشكر والصبّر، لهذا جعل الإمام مفردة (عَقَابِيل) في قبالة (العُسْر والضّيق والفاقة) التي تعرض للإنسان، حتى تبدو عليه علامات الأذى والعلة الناتجة من شدائد الأمور وسوئها، فصّور العواقب التي تعرض للمرء بصورة (العَقَابيل) التي تظهر على آثارها على الشفتين عند الحمّى، بوصفها علامة من علامات السقم والمرض. وثمّة قضية أخرى تتميز بها هذه المفردة، وهو إيحاؤها الصوتي الذي يناسب دلالتها المعجميّة، فاجتماع صوتي (العين والقاف) فيها. وهذان الحرفان إذا اجتمعا في كلمة أضافا عليها حُسْناً وقوّة، نظراً لنصاعة (العين) ولذاذة مَسْمعها، وقوْة (القاف) وصحة جرسها على حدَّ تعبير ابن جني[1]. والجمع بين هذين الصوتين يناسب دلالتها على الشدة والقوّة،فضلاً عن الدلالة على صعوبة الحال وسوء العقبة وشدتها.

(١) ينظر: سر صناعة الإعراب: ١ / ٦٥.

المبحث الرابع

ألفاظ أدوات العلاج

حَدِيْدة

يذكر اللغويون (الحديد) في مصنفاتهم، وهو عندهم جوهر معروف منيع القطع واحدته حديدة[١]. وصاحبه الحدّاد المشتغل به [٢]. وأصل اللفظ مأخوذ من (الحَدّ)، وهو المَنْع، فيُسمّى السَجّانُ حَدّاداً ؛ لأنّه يَمنع المَسجون عن الحركة[٣].

وقد وردت لفظة (حديدة) مرتين في نهج البلاغة[٤]، للدلالة على الحديد المعروف الذي يُصنع منه (المِوْسَم) الذي يُكوى به المريض عن اعتلاله، وتُوسَم به الحيوانات. واستعمل الإمام هذه المفردة في سياق حديثه عن زهده وورعه، وموقفه مع أخيه (عقيل ابن أبي طالب) الذي يقول في إملاقه: ((**وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلاً وَقَدْ أَمْلَقَ، حَتَّى اسْتماحَنِي مِنْ بُرِّكُمْ صَاعاً، وَرَأَيْتُ صِبْيَانَهُ شُعْثَ الشُّعُورِ، غُبْرَ الأَلْوَانِ مِنْ فَقْرِهِمْ... فَأَحْمَيْتُ لَهُ حَدِيدَةً، ثُمَّ أَدْنَيْتُهَا مِنْ جِسْمِهِ لِيَعْتَبِرَ بِهَا، فَضَجَّ ضَجِيجَ ذِي دَنَف مِنْ أَلَمِهَا، وَكَادَ أَنْ يَحْتَرِقَ مِنْ مِيسَمِهَا، فَقُلْتُ لَهُ: ثَكِلَتْكَ الثَّوَاكِلُ، يَا عَقِيلُ ! أَتَئِنُّ مِنْ حَدِيدَة أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا لِلَعِبِه، وَتَجُرُّنِي إِلَى نَار سَجَرَهَا جَبَّارُهَا لِغَضَبِهِ! أَتَئِنُّ مِنَ الأذَى وَلاَ أَئِنُّ مِنْ لَظىً ؟**))[٥]. والحديدة التي أحماها (عليه السلام) كانت بداعي الاختبار والاعتبار. فقد أراده أن يعتبر بها من نار الآخرة.

(١) ينظر: العين (حدد): ٣/ ١٩، ٢٠، والمحكم (حدد): ٢/ ٥٠٤.

(٢) ينظر: العين (حدد): ٣ / ١٩، ٢٠.

(٣) ينظر: جمهرة اللغة (حدد): ١/ ٩٥.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٥١٠٤.

(٥) نهج البلاغة: خ/ ٢٢: ٤٣٧، ٤٣٨.

متّخِذاً منها وسيلة لمداواةِ علل النفس وأمراضها التي لا تبرأ الاّ بالكَيّ، شأنها في ذلك شأن الأمراض التي تحتاج الى استعمال المِكْواة في إبرائها. فمع كل ما يصاحب هذه الأداة من ألم وأذى عند استعمالها، فهي وسيلة للعلاج الموجِع الذي يراد منه إبراء المريض من علّته.

مَيْسَمِها

الوَسْم أثر الكَيّ[١]. وبَعِير مَوْسُوم بسِمة يُعرف بها من قَطع أذنٍ أو كيٍ[٢]. ويقال لأداة الوَسْمِ (المِيْسَم)، وهي المِكواة التي يُوسم بها،وجمعها مَوَاسِم[٣]، أو مَيَاسِم[٤]. وأصله(مِوْسَم)، فقُلبت الواو ياء مراعاة لكسرة الميم[٥].

واستعمل الإمام مفردتا (مَيْسَمِها)، و(مَوَاسِم) مرة واحدة لكلٍ منها في نهج البلاغة[٦]، للدلالة على الأدوات التي تستعمل في الكَيَّ، بوصفه طريقة من طرائق العلاج.ومن ذلك قوله (عليه السلام) في وصف النبيّ الأكرم: ((**طَبِيبٌ دَوَّارٌ بِطِبِّهِ، قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ، وَأَمْضى مَوَاسِمَهُ، يَضَعُ من ذلِكَ حَيْثُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ**...))[٧]. وذلك أنّه (صلى الله عليه وآله وسلم) يعرف متى يستعمل(مَرَاهِمه) ومع أيّ شخص، فضلاً عن معرفته طريقة الإبراء بهذه (المَوَاسِم)، وهي الأدوات التي تُحمى لمداواة وكيّها. فَثَمّة من تكون حاله بحاجة الى هذه (المَواسِم)، أي الى أساليب العقاب والشدَّةِ دون اللّين، حتّى

(١) ينظر:العين(وسم):٧/ ٣٢١.

(٢) ينظر: العين (وسم): ٧ / ٣٢١، وتهذيب اللغة (وسم): ١٣ / ٧٧.

(٣) نفسهما.

(٤) ينظر: لسان العرب (وسم): ١٢ / ٦٣٥.

(٥) نفسه

(٦) ينظر المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة:٤٨٣.

(٧) .نهج البلاغة: خ / ١٠٨ :١٩٦.

يعود الى رُشْده وسبيله. وهناك من يكون بحاجة الى ما هو أخفّ من هذه السُبُل في إعادته الى الصّواب. فكأنّه (عليه السلام) نقل المفردات المتقدمة من دلالتها المعروفة الى الدلالة على الطرائق التي يتّخِذها النبي الأكرم في ترغيب الناس وهدايتهم الى الله تبارك وتعالى. فأمّا من كان مكنهم عاصياً ضالاً عن سواء السبيل، فاتخاذ الترهيب لازم معه حينئذٍ.

أمّا مفردة (مِيْسمِها)، فقد جرى استعمالها في قوله: ((**وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلاً وَقَدْ أَمْلَقَ حَتَّى اسْتَماحَنِي مِنْ بُرِّكُمْ... صَاعاً، وَرَأَيْتُ صِبْيَانَهُ شُعْثَ الشُّعُورِ، غُبْرَ الأَلْوَانِ، مِنْ فَقْرِهِمْ، كَأَنَّمَا سُوِّدَتْ وُجُوهُهُمْ بِالْعِظْلِمِ، وَعَاوَدَنِي مُؤَكِّداً، وَكَرَّرَ عَلَيَّ الْقَوْلَ مُرَدِّداً... فَأَحْمَيْتُ لَهُ حَدِيدَةً، ثُمَّ أَدْنَيْتُهَا مِنْ جِسْمِهِ لِيَعْتَبِرَ بِهَا، فَضَجَّ ضَجِيجَ ذِي دَنَف مِنْ أَلَمِهَا، وَكَادَ أَنْ يَحْتَرِقَ مِنْ مِيسَمِهَا...**))(١). وزهده (عليه السلام)، واجتنابه التصّرف بأموال المسلمين، هو الذي دفعه الى القيام بالرّد على (عقيل) بالطريقة التي يذكرها، مع كونه من المُملِقِين بحسب وصف الإمام له بيت المال، بوصفه واحداً من الرّعية الذين يستحقّون العطاء لاسيّما وأنه من الفقراء المملقين. لكنّ الإمام أحمى له تلك الحديدة التي كاد يحترق من لظاها وهو لّما يَسِمُه بها، وإنّما أدناها منه فحسب، فآذاه مِيسَمُها بسبب قربها، قاصداً بذلك -فيما يبدو- تعليم النّاس أنّ التّصرّف بأموال الدولة ليس بالأمر الهيّن، والأخذ منها يوجب غضب الله تبارك وتعالى، ولاسيّما إذا كان ذلك على جهة المحاباة والحظوة، بأن يؤخذ من هذه الأموال ما يراد به تقريب الناس الى الحكام محاباة وأثرة، وبخاصّة إذا كان الطرف المُعطَى فقيراً ضعيف الحال، فيستغل القائمون على الحكم ضعفه وجوع عياله لتسخيره الى غايات دنيئة كأن يجعل من هذا النوع من الناس جواسيس

---

(١) نفسه: خ / ٢٢٤: ٤٣٧، ٤٣٨.

ورقباء على المؤمنين، فيوجب ذلك غضب الله تبارك وتعالى، ويلقى القائمون بذلك في نار الآخرة التي يسجرها الجبار لهذا النوع من الأمناء على أموال المسلمين. ويفهم من كلام شُرّاح النّهج أن الإمام قرّب هذا المَيْسم من يد أخيه حتّى بانَ موضع أثرها في يده[1].

مَرَاهِمه

المَرْهَم -عند اللغويين -أَليَن ما يكون من الدواء الذي يُضمَّد به الجِراح[2]. يقال مَرْهَمْت الجِراح إذا طَليته بالمَرْهَم[3].

وجاءت مفردة (مَرَاهِمه) في نهج البلاغة مرة واحدة[4]. بصيغة الجمع على (مَفَاعِل) مضافة الى ضمير الغائب، للدلالة على الأدوية التي يُعَالِج بها النبي (صلى الله عليه وآله) مَرضاه، وهم مَرضى العقول والقلوب. يقول (عليه السلام): ((**طَبِيبٌ دَوَّارٌ بِطِبِّهِ، قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ، وَأَمْضى مَوَاسِمَهُ، يَضَعُ من ذلِكَ حَيْثُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ، مِنْ قُلُوب عُمْي، وَآذَان صُمٍّ، وَأَلْسِنَة بُكْم؛ مُتَتَبِّعٌ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ الْغَفْلَةِ**))[5]. يصف النّص النبيَّ بـ(الطيب) ؛على أساس أنّه بُعِث لمعالجة الحال التي كان الناس عليها في جاهليتهم، فجعله (عليه السلام) بمنزلة الطبيب، لما يقدمه من إعانة في في علاج الناس وإبرائهم، ويكون على يديه إخراجهم من السّقم الى الصّحة. فناسب ذلك استعماله مفرده (مَرَاهِمه) التي تناسب صفة (الطّبيب)، الذي ينبغي عليه إحكام صنعته وتهيئة لوازم العلاج وإحكامها،فضلاً عن ضبط مقاديرها وتراكيبها لتكون

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١١/ ١٨٩.

(٢) ينظر: العين (مرهم): ٤ / ١٢٨، ولسان العرب (مرهم): ١٢ / ٥٥٩.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (مرهم): ٦/ ٢٨٣.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٩٥.

(٥) نهج البلاغة: خ / ١٠٨: ١٩٦.

نتائجها ذات أثر في إبراء المرضى وشفائهم. وهو ما تفيده مفردة (مَرَهم) التي تذكر المدونات الطبية أنها تُعمل من الشّحوم و المركبات الأخرى لتكون دواء يعين على الإبراء[١]. وقد نقل الإمام مفردة (مَرَاهِمة) من دلالتها على العلاج المعروف ناقلاً إيّاها الى الدلالة على الطرائق التي يستعملها (صلى الله عليه وآله وسلم) في إبراء الناس مما أصابهم من علل العقول والقلوب وسقمها. وذلك بإرشادهم الى الله تبارك وتعالى، وتعليمهم طاعة النبي وآله(عليهم السلام) والاهتداء بهم الى مكارم الأخلاق. متتبعاً في ذلك مواضع الغفلة في نفوسهم وتنبيههم عليها بلطيف القول وطيّب الكلام مع مداراة الناس. فجاءت مفردة (مَرَاهِمه) أنسب لهذا السياق ؛ لتضّمنها الدلالة على اللَّين والرَّقة وحسن المعاملة. فهذه الكلمة تدل- بحسب تعبير اللغويين - على أَلْيَن ما يكون من الدواء الذي يضمّد به الجرح. فجاءت مفردة (مَرَاهِمه) مناسبة لما يقوم به النبي واهل البيت من سبل في إلآنة قلوب الناس وهدايتهم، ونقلهم مما هم فيه من عمى القلوب والآذان وبُكم الألسِنَة، فيتتبّعه النبي وآله بقصد علاجه ومداواته[٢]. وتحتمل المفردة المتقدمة الدلالة على العلوم ومكارم الأخلاق التي يختص بها النبي. ولهذا أشار بعض الشّرّاح الى أن الإمام استعار الكلمة المتقدمة، مكنّياً بها عن تلك الخصال التي يحملها النبي[٣].

الكَيّ

الكَيّ مصدر كَويْت الجرح أكوِيْه كيّاً، والكيّ هو إحراق الجلد بحديدةٍ ونحوها[٤]. وتسمّى الحديدة التي يُكَوَى بها المِكواة، في حين يقال لِموضع الكَيّ

(١) ينظر: الحاوي في الطب: ١/ ١١٨.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٧/ ١٤٣ والديباج الوضي: ٢ / ٨٥٦.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣: ٥١٠، ٥١١.

(٤) ينظر: العين (كوي): ٥ / ٤٢١.

في الجسم كيّة[١]. والكيُّ بالنار من العلاج المعروف في كثير من الأمراض. وقد جاء في أحاديث كثيرة النّهي عنه، وإنما نُهي عنه من أجل أنّهم كانوا يُعظّمُون أمره ويرون أنّه يَحسِم الدّاء فإذا لم يُكْو العضو من الجسم عطب وبطل، فنهي عن ذلك المعنى، وأبيح لهم إذا جُعِل الكيّ سبباً للشفاء لا علّة له، فالله هو الذي يُبْرِئ ويشفي[٢].

واستعملت مفردة (الكَيّ) مرة واحدة في نهج البلاغة[٣]، للدلالة على القصاص بوصفه آخر وسائل العقوبة. يقول الإمام بعدما بويع بالخلافة، وطلب اليه بعض الناس عقاب من أجْلَب على (عثمان بن عفّان)، تسكيناً لفتنة (طلحة والزبير) بعد نكثهما بيعته(عليه السلام) وتَشَتُّت كثير من الناس عنه[٤]. فأجابهم قائلًا: ((... **إنيّ لست أجهل ما تَعلَمُون، ولكِن كيْفَ لِي بِقُوّةٍ والقَوْمِ المُجْلِبُون... يَمْلِكُونَنَا ولانَمْلِكهم، وهَاهُم هَؤُلاءِ قد ثَارَت مَعهُم عِبْدَانِكم، والتَفَّت إليهِم أعْرابُكم... فَاهْدَؤا عَنّي وانْظُرُوا مَاذَا يَأتِيكُم بهِ أَمْرِي... وسأُمْسِكُ الأمرَ مَا اسْتَمْسَكَ، وَإذَا لَمْ أَجِد بُدّاً، فَآخِرُ الدَّواءِ الْكَيُّ**))[٥]. وقوله (آخر الدواء الكَي) يراد به أنّه آثر الصَّبر على ما قام به (طلحة والزبير) حتى يرى آخر أمرهما، وإلاّ فقِتال اهل البغي والنّكث آخر الدواء. فكنّى عن جهاد هؤلاء وقتالهم بمفردة (الكّيَّ). وهذه الكلمة تدل على نوع من العلاج الذي تتّبعه العرب في مداواة الجراح والعلل والآفات. وهو منتهى الأدواء التي يُعمد اليها إذا عَضُل الداء واستعصب علاجه. وكذلك الحرب

---

(١) نفسه.

(٢) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٢/ ٣٩٤، ولسان العرب (كوي): ١٥ / ٢٣٥.

(٣) ينظر:المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة:٤٠٥.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة(البحراني):٣/ ٦٧٥.

(٥) نهج البلاغة: خ / ١٦٨: ٣٠٥،٣٠٦.

وقتال العُصاة عند الإمام، فإنها آخر سبيل يَسلكه مع هذه الطائفة الناكثة[١]. وإلّا فتأخره عن القصاص من قتلة (عثمان) كان لما ذكره في صدارة خطبته المتقدمة من كثرة القوم وقوّة بأسهم بإزاء قلّة أصحاب الإمام، وهو عذر مقبول عند الله تعالى، فضلاً عن أنّ القصاص - هنا - لا يصلح بارتكاب أمرٍ أكبر منه، وهو قتال المُجلِبين على الخليفة[٢]. وتذكر المدونات أنّ الإمام (عليه السلام) لعن قتلة الخليفة عثمان بقوله: ((اللهّم ألْعَنْ قَتَلَةَ عثمانَ في البرّ والبَحْرِ والسَّهْل والجبل))[٣]. ومن الجدير بالذكر الإشارة الى أنّ قوله: ((آخر الدّواء الكيُّ)) هو من الأمثال العربية التي استعملتها العرب[٤]. وقد تمَثَّل به (عليه السلام) مناسبة لمقام الخطاب الذي يتكلّم فيه الإمام؛ فـ(الكَيّ) ضرب من العلاج الذي يعمد اليه عند سوء حال المريض واشتداد العلّة فيه. وكذلك (الكيّ)،وهو -هنا- المواجهة العسكرية التي جعلها الإمام آخر السبل التي سيلجأ اليها للخلاص من سطوة هذه الفئة التي عاثت في الأرض فساداً.

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٦٧٥، والديباج الوضي: ٣/ ١٤٠٨.

(٢) ينظر: الديباج الوضي: ٣/ ١٤٠٨

(٣) نفسه.

(٤) مجمع الأمثال: ١/ ٢٩٢، وجمهرة الأمثال: ١/ ٩٧، والمستقصى في أمثال العرب: ١/ ٣.

المبحث الخامس

ألفاظ أمراض السّمع

أصَمّتهُ

الصّمم -في اللغة- مأخوذ من قولهم (حجر أَصمّ)، أي صلب مُصَمت[١]. أو من قولهم صِمام القارورة،وهو سِدَادها. وصَمَمْت القارورة.أي سَدَدْتُها[٢]. والصَّمم ضرب من العلل تصيب الأذن في الإنسان[٣]. وهي تمثّل المرتبة الثانية من مراتب فقدان السمع عنده، فإنها تجيء بعد (الوَقْر) الذي يعد أول مراحل ضعف السّمع، ومن بعده يجئ(الصَّمْم) بحسب ترتيب اللغويين[٤]. والصَّمم عندهم انسداد الأذن وثقل سّمْعها وذهابه[٥]. ومن هذا المعنى وصفت الفتنة بأنها (صمّاء عمياء)، وهي التي لاسبيل إلى تسكينها ؛ لأنها كالأصّم من الناس الذين لا يسمعون الاستغاثة[٦]. وكانت العرب في الجاهلية تسمّي(رجباً) شّهْر الله الأصّم ؛ لأنّه كان لا يُسّمع فيه صوت مستغيث ولا حركة قتالٍ أو قَعقَعة سلاح؛ لأنه من الأشهر الحُرم[٧].

وقد وردت مفردات (الصُّم) بصيغة الجمع ست مرات في نهج البلاغة.

(١) ينظر: لسان العرب (صمم): ١٢/ ٣٤٢.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: جمهرة اللغة (صمم): ١ / ١٤٤.

(٤) ينظر: فقه اللغة (الثعالبي): ١ / ٢٢.

(٥) ينظر: لسان العرب (صمم): ١٢ / ٣٤٢.

(٦) نفسه.

(٧) نفسه.

ومفردة (يَصُمّ) التي استعملت مرتين،في حين جاءت مفردات (أَصَمَّتْهُ، وتَصَام، ويصّمه، والصمّاء وصَمَما) مرة واحدة لكلٍ منهما[١]، للدلالة على ما يأتي:

أولاً: الدلالة على صمم الأذن وعدم السّمْع بها.

وهو أكثر المعاني وروداً في كلام الإمام. ومن ذلك قوله (عليه السلام) في سياق حديثه عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ومكانته السّامية، وأثره في شفاء مَرضْى الكفر. يقول (عليه السلام): ((**طَبِيبٌ دَوَّارٌ بِطِبِّهِ، قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ، وَأَمْضى مَوَاسِمَهُ،يَضَعُ مِن ذلِكَ حَيْثُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ، مِنْ قُلُوب عُمْيٍ، وَآذَان صُمٍّ، وَأَلْسِنَة بُكْم...**))[٢]. فالنبي -في النّص- طبيب يعالج مرضى الحواس وآفاتها من عمي البصر و البصيرة، والذين صمّت آذانهم عن سماع الحق وندائه.وقد جعل الإمام العمى في قوله للقلوب، والحال أنّه للعيون،لكنه لمّا أراد وصف جوارحهم بالعلل والآفات التي تعرض لها الحواس، لهذا وصف جوارحهم بالعلل والآفات التي تصاب بها الحواس، في إشارة إلى ما أصيب به هؤلاء من تغاضٍ وإغفال عن الحق، وانصرافهم عن مبدأ التفكير والتّفكّر الذي ينبغي أن يُعملوا فيه أبصارهم وبصائرهم وقلوبهم وأسماعهم التي تحتاج إلى الدربة على قول الحقّ. وقد أفاد(عليه السلام) من التعبير القرآني في صياغة المعنى الذي قصد إليه. فقد وصف القرآن الكريم القلوب بالعمى، بعدما نفى العمى عن الأبصار، لأن القلوب هي محل العقل والتّفكّر. يقول تبارك وتعالى ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾[٣]. وقد شرح المفسرون

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة:٢٦٠، ٢٦١.

(٢) ينظر: نهج البلاغة: خ / ١٠٨: ١٩٦.

(٣) الحج / ٤٦.

معنى الآية المباركة، فذكر الزّمخشري أن معناها: ((أنّ أبصارهم صحيحة سالمة لا عمى بها. وإنما العمى بقلوبهم. أو لا يُعتدّ بعمى الأبصار، فكأنه ليس بعمى بالإضافة إلى عمى القلوب. فإن قلت: أي فائدة في ذكر الصدور؟ قلت: الذي قد تعورف واعتقد أنّ العمى على الحقيقة مكانه البصر، وهو أن تصاب الحدقة بما يطمس نورها. واستعماله في القلب استعارة ومثل، فلما أريد إثبات ما هو خلاف المعتقد من نسبة العمى إلى القلوب حقيقة ونفيه عن الأبصار، احتاج هذا التصوير إلى زيادة تعيين وفضل تعريف، ليتقرّر أنّ مكان العمى هو القلوب لا الأبصار، كما تقول: ليس المضاء للسيف ولكنه للسانك الذي بين فكيك، فقولك: «الذي بين فكيك» تقرير لّما ادّعيته للسانه وتثبيت؛ لأنّ محلّ المضاء هو هو لا غير، وكأنك قلت: ما نفيت المضاء عن السيف وأثبته للسانك فلتة ولا سهواً مني، ولكن تعمدت به إياه بعينه تعمداً))[1]. وهذا النهج القرآني اتبعّه الإمام في استعمال آخر وردت فيه مفردة (صُمٌّ) دالة على فَقد السَّمع، في طائفة من الناس من ذوي الأسماع، وهذا الأمر من بديع التعبير الذي يصف فيه (أهل الكوفة) الذين كان يعاني منهم ومن مواقفهم غير الثابتة مع كثرة نُصْحه وإرشاده لهم. يقول (عليه السلام): ((**يَاأهل الْكُوفَةِ، مُنِيتُ مِنْكُمْ بِثَلاَث وَاثنَتَيْنِ: صُمٌّ ذَوُوأَسْماع، وَبُكُمٌ ذَوُو كَلاَم، وَعُمْيٌ ذَوُو أَبْصَار، لاَ أَحْرَارُ صِدْق عِنْدَ اللِّقَاءِ، وَلاَ إِخْوَانُ ثِقَة عِنْدَ الْبَلاَءِ**))[2]. والسياق في توبيخهم وذمَّهم، فأراد أن يُظهر سوء حالهم، فوَصَفهم بأنهم (صُم ذوو أسماع). في إشارة إلى أن آذانهم مُعطَّلة عن الاستجابة إلى الحق، فهي لا تسمع سوى الباطل، وتصم عن الحق. ومثلها بقية جوارحهم. وكلامه هذا تفسير لقوله الذي تقدّم على هذا النص الذي يدعوهم فيه إلى الجهاد قائلاً:

(١) الكشاف:٣/ ١٦٤.

(٢) نهج البلاغة: خ ٩٧: ١٧٧.

((اسْتَنْفَرْتُكُمْ لِلْجِهَادِ فَلَمْ تَنْفِرُوا، وَأَسْمَعْتُكُمْ فَلَمْ تَسْمَعُوا، وَدَعَوْتُكُمْ سِرّاً وَجَهْراً فَلَمْ تَسْتَجِيبُوا...))[١]. ينصّ الإمام على أنه أسْمَعهم ولكنهم تَغَافَلُون عن قوله ولم يسمعوا له، أو يتبصّروا به. وهذا الوجه من توظيف الألفاظ لإظهار الدلالة عدم الإسْمَاع، فوجود في القرآن الكريم الذي اتخذه(عليه السلام) معتمداً في صياغة نصوص كلامه وتنسيق مفرداته. فالقرآن الكريم يقول في سياق الحديث عن اليهود والنصارى الذين يحرّفون الكَلِم عن مواضعه: ﴿**مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ...**﴾[٢]. وقولهم (سَمِعْنا وعَصَيْنا) هو بمنزلة (صُمٌ ذوو أسماع) ؛ لانّ السَّامع الذي يَعْصي ما يَسمع أصَمّ، مع كونه يسمع ما يُقال. وربما يكون هذا المعنى من جهة الصّمم في العقل لا من صمم الآذان، فالسَّمع للأُذن، والصّمم للعقل والأذهان. كأن سماع الأقوال يكون من جانب الأذن، والتّبصّر بهذه الأقوال ومعرفة معانيها ودلالاتها يكون من جهة العقول. وهذا الوجه الأخير يمكن الإفادة منه في تفسير قوله (عليه السلام) في سياق حديثه عن (الحكمة) والقرآن الكريم الذي هو **((حَيَاةٌ لِلْقَلْبِ الْمَيِّتِ، وَبَصَرٌ لِلْعَيْنِ الْعَمْيَاءِ، وَسَمْعٌ لِلأُذُنِ الصَّمَّاءِ، وَرِيٌّ لِلظَّمْآنِ... كِتَابُ اللهِ تُبْصِرُونَ بِهِ، وَتَنْطِقُونَ بِهِ، وَتَسْمَعُونَ بِهِ...))**[٣]. فالقرآن وحكمته بصر وسمع، فضلاً عن كونه حياة للقلب الميت ووسيلة للسمع أيضاً. كأنه لمّا اشتمل على قوانين الحياة جميعاً من الحكمة والموعظة والإحسان والعدل ونبذ الجور والتسلّط والبغضاء والمنكر والبغي على الناس، فضلاً عن أصول التوحيد ونفي الشركة عن

(١) نفسه.

(٢) النساء / ٤٦

(٣) نهج البلاغة: خ / ١٣٣ : ٢٤٢.

الله تبارك وتعالى، لهذا كان بمنزلة الحياة للقلوب الميّتة بالظلم والعسف والجور على الناس، وبمنزلة البصر الذي يهتدي به المرء،والسّمع الذي يتحسس به الإنسان ما صدر عن غيره من أقوال.وثَمة دلالات أخرى من هذا الوجه وردت في: (خ/ ٤، خ/١٠٨، خ / ١٧٦، خ / ٢٢١، ك ٣٣).

ثانياً: الدلالة على الصَّخْر الأصم الصّلْب.

وهي كناية عن القلوب في هذه الدلالة. وقد جنح الإمام بمفردة (صُمّ) إلى دلالة أخرى وهي الدلالة على الصّخر الأصم المصْمَت الشّديد. وذلك في موضعين من نهج البلاغة، منها قوله في سياق حديثه عن تخاذل الناس وتفرّقهم بعد قضية التحكيم: ((**أَيُّهَا النَّاسُ، الْمُجْتَمِعَةُ أَبْدَانُهُمْ، الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ، كَلامُكُم يُوهِي الصُّمَّ الصِّلابَ، وَفِعْلُكُمْ يُطْمِعُ فِيكُمُ الأعْدَاءَ...**))[١]. ويُوهِي.أي يُضعف الحجارة الصّلاب الشديدة القوّة. وفي (الصُمّ الصّلاب) استعارة، فقد أخذ(عليه السلام) هذا الوصف من أوصاف الحجارة، وجعلها وصفاً للقلوب التي تضعف من سماع كلام هؤلاء النّفر[٢]. وهذا الضرب من المشابهة الذي استعمله الإمام قريب من تشبيهات القرآن الكريم،الذي وصف القلوب بأنها (قاسِية)، أو كـ(الحجارة من حيث القسوة). يقول تبارك وتعالى:((**ثُمَّ قَسَتْ قُلوْبكُم من بَعْدِ ذلكَ فهي كالحِجارةِ أو أشَدُ قَسْوَةً وإنَّ مِنَ الحجارة لَمَا يَتَفَجَّرُ منه الأنْهارُ وإنَّ منها لَمَا يَشَّقَقُ فَيَخْرُجُ منه الماءُ**))[٣]. وبهذه الدلالة البلاغية، يكون لمفردة (الصُمّ) معنى آخر علاوة على المعنى القريب الذي يفهمه المتلقي من ذكر هذه المفردة، فيكون تعبير

(١) نفسه: خ / ٢٩: ٦٦.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢ / ٢٦١.

(٣) البقرة / ٧٤.

(الصُمّ الصّلاب) يدل على الصخر الأصمّ، و المراد به القلب القوي الذي يوهيه كلام هذه الطائفية من الناس الذين ذَمَّهُم الإمام في قولته. وأما ما ركن اليه البحراني من ذكر تشبيه القرآن الكريم للقلوب بالحجارة، وانّ قول الإمام واستعارته تماثل هذا الاستعمال القرآني، ففيه نظر ؛ لأنّ القلوب إنما تكون قاسية، أو كالحجارة إذا سُلِبَت منها الرحمة والعاطفة، وليس كذلك قَلبه (عليه السلام)، فهو القلب العطوف ذو الرحمة. ولعل الشارح البحراني أراد بذلك أنّ شجاعة قلبه وجَلَدِهِ تكون كالحجارة القاسية الصّلبة، لأنّه يتحمل المواقف الصعبة جميعاً بلا وَهْيٍ أو كللٍ.

ومن دلالة الصُمُ على الصخر الصلب، وهو كناية عن أولئك النفر الذين يعالجون نكباتهم بالكِبر والخيلاء، ما ورد في (خ / ١٩٥).

ثالثاً: الدلالة على الحيّات الصُمّ التي لا تنهر بِزَجْرِها.

واستعمل الإمام هذه المفردة وصفاً للأفاعي التي لا تَسْمَع الزجرَّ، فكأنها صمّاء. وهذا الوصف جاء في سياق حديثه عن حال العرب قبل بْعثَة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله). يقول (عليه السلام): ((**أنَّ اللهَ سُبحانَه بَعَثَ مُحَمَّداً نَذِيراً لِلْعَالَمِينَ، وَأَمِيناً عَلَى التَّنْزِيلِ، وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ العَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينِ، وَفِي شَرِّ دَار، مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجارَة خُشْن، وَحَيَّات صُمٍّ، تشْرَبُونَ الكَدِرَ، وَتَأْكُلُونَ الجَشِبَ، وَتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ...**))[1].

والنص وصف لحالِ العرب وبيئتهم التي كانوا عليها قبل البعثة النبوية، و هذا النص يمثّل الوصف الحقيقي لحالتهم في العيش، ومجاورتهم تلك الأفاعي الصّم التي تعدّ أدهى الحَيّات ؛ لعدم انزجارها بالأصوات التي تسمعها [2]. ويتضمّن النص بيان الله ورسوله عليهم، الذي أبدلهم بما كانوا عليه من سوء. ونقلهم

(١) نهج البلاغة: خ / ٢٦: ٥٩.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن ابي الحديد): ١٢ / ١٨.

إلى ريف المهاد وليّنه فضلاً عن عبادة من يستحق العبادة وهو الله تبارك وتعالى [(١)]، بعدما كانوا يعبدون الآلهة التي لا تغني عنهم شيئاً. ويمكن أن تكون لفظة (صُم) وصفاً **للأعداء**، على سبيل الاستعارة والكناية عن المكر والدهاء الذي يصدر منهم، فجعلهم بهذه المنزلة إشارة إلى دهائهم وشِدّة أذاهم كما تكون عليه (الحيات الصُّم) من الأذى. كما يستفاد من ذلك عدم انزجار هذا الصنف من الناس المؤذين وانصياعهم إلى قول الحق والرجوع إلى الصراط المستقيم.

رابعاً: الدلالة صَمَمِ الديار.

وهذا من الدلالات المجازية عند الإمام، فقد عبّر (عليه السلام) عند كلامه عن أهل القبور بعد تلاوته قوله تعالى ﴿**أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ**﴾[(٢)]. أقول: عبّرت عن حالهم وحال ما بقي من ديارهم بقوله: ((**وَإِنَّمَا كَانُوا جَمِيعاً فَتَشَتَّتُوا، وَآلافاً فافْتَرَقُوا، وَمَا عَنْ طُولِ عَهْدِهِمْ، وَلاَ بُعْدِ مَحَلِّهِمْ، عَمِيَتْ أَخْبَارُهُمْ، وَصَمَّتْ دِيَارُهُمْ، وَلكِنَّهُمْ سُقُوا كَأْساً بَدَّلَتْهُمْ بِالنُّطْقِ خَرَساً، وَبِالسَّمْعِ صَمَماً**...))[(٣)]. وصَمم الديار كناية عن فراغها منهم، وكونها خالية إلاّ من أجسادهم دون حركاتهم وسكناتهم وأصواتهم. فيكون صمم من لا يعقل، وهي الديار في قوله دليل على موت أصحابها الذين سُقَوا كأس المنية، فأبدلهم ربّهم بالنطق خرساً، وبالسمّع صَمَاً، وبالحركات سكوناً. وإسناده الصّمم إلى الديار مجاز، فهو كقولهم (نَهَارُه صَائِم، ولَيلُه قَائِم)[(٤)]. فالنهار لا يصوم والليل لا يقوم، وإنما الذي يصوم

(١) نفسه

(٢) التكاثر / ١، ٢.

(٣) نهج البلاغة: خ / ٢٢١: ٤٢٦، ٤٢٧.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٤ / ٤٠.

النهار ويقوم الليل هو الإنسان الموصوف بهذا الوجه من العبادة. والظاهر أن (صَمم الدّيار) يراد منها أنزالها منزلة من يعقل؛ فإذا نوديت ولم تُجِب، فهي صمّاء لا محالة، كأنها لا تسمع مثلما لا يسمع البشر اذا أصاب أذنه شيء من الخلل أو الإعراض عن المنادى. ولهذا يحتمل تعبير (صمَّت دِيَارهم) الدلالة على (صَمْتِ الديار) لا على (صَمَمِها)، وتقدير المعنى - حينذاك - خَرَست ديارهم عن الإجابة عندما نُودِيت، لأنها مفتقرة إلى أصحابها الذين غادروها إلى الحياة الأخرى.

استكّت

أصل السَّك، أو السّكَك صِغر قَوْف الأذن، وضيق صِماخها ولزوقها بالرأس[١]، ومن ثمَّ وُصف به الصَّمَم[٢].

وقد استعملت مفردات (اسْتكَّت) و (تُسْتَكَّ) و (اسْتِكَاك) في نهج البلاغة، وكان نصيب كل واحدة منها من الاستعمال مرة واحدة[٣]. وأمّا دلالتها، فقد استعملها الإمام جميعاً بدلالة استكاك الأسماع و فقدان السَّمْع.وقد ورد موضعان من تلك المواضع في سياق حديثه(عليه السلام) عن الموتى وحياة القبور، في حين انفراد استعمال واحد بمجيء مفردة (تسْتَكّ) في سياق حديثه عن الموت والاستعداد له.ومن هذه الدلالة قوله (عليه السلام): ((**وَبَادِرُوا الْمُوْتَ وَغَمَرَاتِهِ، وَامْهَدُوا لَهُ قَبْلَ حُلُولِهِ.... فَإِنَّ الْغَايَةَ الْقِيَامَةُ، وَكَفَى بِذلِكَ وَاعِظاً لِمَنْ عَقَلَ، وَمُعْتَبَراً لِمَنْ جَهِلَ! وَقَبْلَ بُلُوغِ الْغَايَةِ مَا تَعْلَمُونَ مِنْ...هَوْلِ الْمُطَّلَعِ، وَرَوْعَاتِ الْفَزَعِ، وَاخْتلاَفِ**

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة (سكك): ٣/ ٣٠٠، ولسان العرب (سكك): ١٠، ٤٣٩.

(٢) ينظر: لسان العرب (سكك): ١٠ / ٤٣٩.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢١٧.

الأَضْلاَعِ، وَاسْتِكَاكِ الأَسْمَاعِ، وَظُلْمَةِ اللَّحْدِ))[١]. والإمام يشير في قوله إلى أهوال (القَبْر) وعواقبه، ومنها (اسْتِكَاك الأَسْمَاع). وهذا الضرب من فقدان السمَّع يمثل - لدى المتلقي - دلالة نفسية تؤدي به إلى تصور أهوال القبر وعذابه، بوصفه مرحلة من مراحل الانتقال إلى الباري تبارك وتعالى، فتمتع الإنسان (بالسَّمْع) والمقدرة على سماع الأصوات والكلام يجعله بشراً متكاملاً. فكيف به إذا فَقد حواسه واحدة تلو الأخرى، ومنها سمعه الذي يستَكّ من انسداد أُذنيه بتراب القبر، وهذه الصورة يمكن أن تفسّر لنا استعماله(عليه السلام) مفردة (اسْتِكَاك) في السياقات التي يتحدث فيها عن الموت و عواقب القبر وأهواله. فإنّ انطباق التراب على جسد الميّت وتدثّره به، يؤدي إلى ضغط جسمه و وامتلاء حواسّه بالتراب، ومنها الأذن التي تنضغط بقَوفِها الذي يضيق شيئاً فشيئاً، حتى يلتصق بالتراب مُستكّاً في القَبْر. فكأنّ سمعه وحواسّه الباقية تك وتلتصق برأسه إشارة إلى انشقاقها واندثارها فيه. ويبدو أنّ مفردة (اسْتِكاك) أو الجذر (سكّ) بصورة عامة يحمل دلالة صوتية أدّت به إلى تفضيله على بقية المفردات التي تعبّر عن حال فقدان السمَّع، كمفردة (الَصَمَم) أو (الطَّرش) مثلاً. فبنية المفردة زادت من قيمتها الدلالية، فثَّمة تدرج في الصّمم وفقدان السّمع توحي به كلمة (اسْتِكَاك) التي تشعر بحدوث انغلاق مفاجئ في الأذن يؤدي إلى انحسار السّمع واندثاره، فكأنّ ذلك أشبه بغَلِق بابٍ مفتوح بِدُفعهِ بقوة، ومن ثَمَّ غلقه بسرعة دفعه واحدة. وهكذا أتصور دلالة (اسْتِكَاك الأذن). وأمّا شُرّاح النهج، فقد فسّروا مفردة (اسْتكَّت) بالدلالة على صمم الأذان[٢]. فلم يتعد فهمهم لها سوى المعنى المتقدم. وفي مجال الموازنة بين القيمة الدلالية للمفردة المتقدمة وبقية المفردات التي تتضمن الدلالة على فقد

(١) نهج البلاغة: خ / ١٩٠: ٣٥٣.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ١٢١.

السّمع، نجد أنّ الاستكاك يمثل أعلى مرتبة من مراتب الصمم، بخلاف (الطرش) مثلاً الذي يدل على أهون الصَّمم(١)، فلا يكون المصاب بالطّرش مُسْتَكّ السَّمع، فهو يَسمع الصوت والكلام العالي. ولهذا لم يستعمل الإمام مثل هذه الألفاظ في المواضع التي أراد أن يعبَّر بها عن فقدان السمَّع في القَبْر، وفي عالم خلق الملائكة الذين يُسَبحَّون الله تبارك وتعالى، بحيث تُسْتكُّ الأسماع من زَجَلِهم وتسبيحهم له. والمعنى نفسه استعمل في (خ/ ٩١، خ / ٢٢١).

وُقِرَ

الوقْر ثقل في الأذن إذا ثَقَلت عن السمع(٢). وقيل: بل هو ذهاب السَّمْع كلّه دون ضعف الأذن؛ لأنّ ثِقل السَّمْع أخفّ من ذهابه كلّه(٣). وعدّ الثعالبي (ت ٤٩٥ هـ) الوَقْر من أول مراتب الصَّمَم، فإذا زادَ، فهو صُمُمٌ، فإن زاد، فهو الطَّرش(٤).

وجاءت مفردات (وُقِرَ)، و (وَقْراً)، و (الوَقِرة) في نهج البلاغة مرة واحدة لكل مفردة منها(٥)، للدلالة على ما يأتي:

أولاً: الدلالة في فقدان الفَهْم والتبَصّر في الكلام.

وهو أعلى درجة من درجات الصَّمَم. ومنه قوله(عليه السلام) في سياق الدعاء بوقر أذن من لم يسمع (الواعية): ((**بِنَا اهْتَدَيْتُمْ في الظَّلْمَاءِ، وَتَسَنَّمْتُمُ العلْيَاءَ، وبِنَا**

(١) ينظر: لسان العرب (صمم): ٢ / ٣٤٢.

(٢) ينظر: العين (وقر): ٥ / ٢٠٦، ولسان العرب (وقر): ٥/ ٢٨٩.

(٣) ينظر لسان العرب (وقر): ٥ / ٢٨٩.

(٤) ينظر: فقه اللغة (الثعالبي): ١ / ٢٢١.

(٥) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٩٠.

انْفَجَرْتُم عَنِ السِّرَارِ، وُقِرَ سَمْعٌ لَمْ يَفْقَهِ الوَاعِيَةَ، وكَيْفَ يُرَاعِي النَّبْأَةَ مَنْ أَصَمَّتْهُ الصَّيْحَةُ؟))[١]. والإمام يريد بقوله: (وُقِرِ سّمْعٌ لم يَفْقهِ الواعية) الدعاء بفقدان سمع من لم يسمع صوت النبي (صلى الله عليه وآله) بذكر منزلة أهل البيت (عليهم السلام) التي الذي صرّح بها النبي غير مرة. وقيل: بل الدعاء بالوقر إشارة إلى عدم فقههم بيانه (عليه السلام) بعدما سمعوه منه من زواجر ونواهي ومواعظ[٢].

ويحتمل أن تكون كلمة الإمام المتقدمة جملة خبرية ليس المراد منها الدعاء، وإنما الإخبار عن وقْر سَمْع من لم يَسْمع الواعية، وهي أوامره ونصائحه لهم. ولو مِلْنا إلى عدَّ لفظة (وُقِر) من باب الدعاء بالوقر على أسماع هؤلاء الذين لا يفهمون النصح والإرشاد الذي يصدر عن أمير المؤمنين، فحق عند ذاك - أنْ تكون اللفظة المتقدمة دالة على الصَّمم. وليس على ضعفه؛ والمراد بالصّمم - هنا - عدم الفهم والفقه. ولهذا أجرى كلامه مجرى الدعاء عليهم بالوقر وعدم الفقه وليس بعدم (السّماع). وبيان ذلك أنه (عليه السلام) لّما كان متيقناً من كونهم لا يفهمون كلامه، ولا يدركون مواعظه؛ لهذا دعا عليهم بالوقر من جهة الفقه والفهم؛ فالعلّة في هؤلاء ليست في أسماعهم التي تسمع، وإنما في عقولهم التي دعا عليها بـ(الوَقْر) والصمم، ولهذا قال: ((**وكيف يراعي النبأة من أصمتّه الصيحة**))[٣]. كأنه (عليه السلام) يقسّم (الوَقر) و (الصّمم) قسمين، الأول مخصوص - عنده - بعدم الفهم، والثاني مخصوص بالأذن الفاقدة لسمعها. وقد تنبّه إلى هذا الضرب من التعبير الشارح الخوئي الذي أشار إلى أنّ المقصود بالسّمع ليس مجرد السّماع والاستماع، بل الفقه والفهم والاتعاظ بالمواعظ والنصائح بعد إدراك سمعها، فإن أدركها السامع ولم

(١) نهج البلاغة: خ / ٤: ٣٤.

(٢) ينظر: منهاج البراعة: ٣ / ١١٠.

(٣) نهج البلاغة: خ / ٤: ٣٤.

يفقهها ويعمل بها، فهو حري بالدعاء بالوقر[١].أقول: كأن قول الإمام: ((**وكيف يُراعي النبّأة من أصمته الصيحة**))[٢]. إشارة إلى عدم فهمهم كلامه واتعاظهم به، فأستفهم متعجباً من عدم مراعاة هؤلاء الصوت الهادي بعدما صرخ فيهم، وأعلى لهم صوته حتى صمّوا، ولكنهم - مع كل ذلك - لم يفهموا ويعتبروا. ونظير ذلك ما ورد في قوله (عليه السلام) الذي استعمل فيه مفردة (وقراً)، للدلالة على الوقر والضعف وعدم السمع والفهم معاً. يقول أمير المؤمنين: ((**اضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ النَّاسِ، فَهَلْ تُبْصِرُ إلاَّ فَقِيراً يُكَابِدُ فَقْراً، أَوْ غَنِيّاً بَدَّلَ نِعْمَةَ الله كُفْراً، أَوْ مُتَمَرِّداً كَأَنَّ بِأُذُنِهِ عَنْ سَمْعِ الْمَوَاعِظِ وَقْراً!. أَيْنَ خِيارُكُمْ وَصُلَحَاؤُكُمْ...**))[٣].

ويبدو أنّه وظّف الاستعمال القرآني في قوله هذا، من خلال إيراد مفردات (كأنّ، ووَقْراً) التي وردت في قوله تعالى شأنه ﴿**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾[٤]. وما زال القرآن الكريم يكرر هذه المفردة (وقراً) غير مره ويذمّ من لم يفقه آيات الله تعالى.وذلك لبيان عاقبة من لم يَسْمع المواعظ، والرجوع إلى نص الإمام (عليه السلام)،فلا يبدو أنّ المراد من مفردة (وقرا) في النص ضعف السَّمْع فحسب وإنما يتعدى ذلك إلى وقر محل الإفهام وهي العقول.

ثانياً: الدلالة على ضعف السّمع.

وهذه الدلالة تمثل الأصل في معنى مفردة (وَقْر)، وقد استعملها الإمام في

---

(١) ينظر: منهاج البراعة: ٣/ ١١٠.

(٢) نهج البلاغة: خ/ ٤: ٣٤.

(٣) نفسه: خ/ ١٢٩: ٢٣٦.

(٤) لقمان/ ٧، ينظر: الأنعام/ ٢٥، والإسراء/ ٤٦، والكهف/ ٥٧.

سياق حديثه عن قوله تعالى شأنه ﴿**رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ...**﴾[١]. وعن (الذّكر) الذي يقول فيه (عليه السلام): ((**إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الذِّكْرَ جِلاَءً لِلْقُلُوبِ، تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْوَقْرَةِ، وَتُبْصِرُ بِهِ بَعْدَ الْعَشْوَةِ، وَتَنْقَادُ بِهِ بَعْدَ الْمُعَانَدَةِ**))[٢]. والوْقرة، هي المرّة الواحدة من الوَقْر. وهو ثقل السَّمع[٣]. والذّكر - هنا - هو السبب في زوال (الوَقرة) من الآذان، كأنَّ ذكره تبارك وتعالى بمنزلة الدواء الذي تزال به أعراض الحواس وعللها من (الوَقْر)، و(العَشو) في العين وغير ذلك.

(١) النور / ٣٧.

(٢) نهج البلاغة: خ / ٢٢٢:٤٣١. وقد نقلت المدونات اللغوية قول الإمام الذي استعمل فيه لفظة (الوقرة). ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٥ / ٢١٢ ولسان العرب (وقر): ٥ / ٢٨٩.

(٣) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٥ / ٢١٢، ولسان العرب (وقر): ٥ / ٢٨٩.

المبحث السادس
ألفاظ أمراض البصر

أعشى

الأعشى هو الذي لا يُبصر بالليل، وهو بالنهار بصير(١). وقيل: هو الذي ساء بصره من غير عمى(٢). وقد جاءت مفردة (العشْوة) ثلاث مرات في نهج البلاغة، في حين جاءت لفظة (عَشَوات) مرتين، وألفاظ (عَشِيتْ)، و (أَعْشتْ) و (أعشى)، و(عشا)، و (عَشاها)، و (عَاشٍ) واحدة لكل منها في النهج(٣). وذلك للدلالة على ما يأتي:

أولاً: الدلالة على عشا الأبصار

ويشتمل ذلك ضربين؛ الأول منهما عشى أبصار الناس. ومنه قوله (عليه السلام) في وصف جلاء عشى البَصَر عن الأعْيُن في مقام التذكير بضروب نِعم الله تبارك وتعالى على الخلق.((**جَعَلَ لَكُمْ أَسْمَاعاً لِتَعِيَ مَا عَنَاهَا، وَأَبْصَاراً لِتَجْلُوَ عَنْ عَشَاهَا**))(٤). أراد بـ(عَشَاها) الدلالة على عدم القدرة على الإبصار بالعيون، حتى جلا الله تعالى عنها ذلك. إذ يولد الإنسان غير قادر على البصر والمعاينة، حتى تمر عليه مدة من الزمن، فتبدأ حواسّه بالعمل ومنها البصر الذي يبدأ انكشاف عشاه.

---

(١) ينظر: العين (عشو): ٢/ ١٨٨، وتهذيب اللغة (عشا)، ٣/ ٣٥.

(٢) نفسهما.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٠٣، ٣٠٤.

(٤) نهج البلاغة: خ/ ٨٣: ١٢٧.

فاستعمل الإمام مفردة (تَجْلو) الدالة على الانكشاف والفُرج[١]. مشيراً بذلك إلى الطريقة التي يمنح الله تبارك وتعالى بها (شبكِية العين) القدرة على الإحساس بالضوء من خلال (المَخَارِيط) المسؤولة عن الرؤية في الضوء[٢]. ولّما كان الإنسان بحاجة إلى الرؤية في الظلام، لهذا أعطى الله تبارك وتعالى القدرة (للعُصَيْبات) الموجودة في (الشّبَكِيّة)، لتمكّن العين من الرؤية في الظلام بطرائق متعددة، منها آلية تحول (الأصْبِغَة) في (العُصيبَات) إلى أصبغة حسّاسة للضوء،وآليّة تغيّر حجم (حَدَقة العين)، ومن ثَمّ بوساطة (التّلازم العَصبي) بين (الشبكية والدماغ)، فيتم جلاء العَشا عن العين، ويرفع الله البصر تلك الظلمة ويمنحه القدرة على الإبصار في الظلام كما في النّور[٣].

أقول: وهذه الظلمة التي يكون معها الإنسان غير قادر على الإبصار ليلاً، هي علة (العَشا). وبهذا تكون المفردة المتقدمة مناسبة لمعنى عدم (الإبصار ليلاً)، فضلاً عن تضّمنها الدلالة على عدم (التّبَصّر) و(التّفَكّر) و(الاهتداء)،فمَنّ الله تبارك وتعالى على الإنسان بـ(جَلاء) كل هذهِ الظلمات التي أعشى المرء عنها.

أما الضرب الثاني الذي وردت فيه لفظة (عشِيَت)، فهو سياق بيان قدرة الله تبارك وتعالى على(إعْشاء) عين (الخَفَافيش) وعدم إبصارها ؛ إذ يقول(عليه السلام): **((وَمِنْ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ، وَعَجَائِبِ خِلْقَتِهِ، مَا أَرَانَا مِنْ غَوَامِضِ الْحِكْمَةِ فِي هذِهِ الْخَفَافِيشِ[٤] الَّتِي يَقْبِضُهَا الضِّيَاءُ الْبَاسِطُ لِكُلِّ شيَء، وَيَبْسُطُهَا الظَّلَامُ الْقَابِضُ لِكُلِّ**

(١) ينظر لسان العرب (جلو): ٦ / ١٨١.

(٢) ينظر: تفسيرات فسيولوجية في نهج البلاغة، للدكتور عمار جاسم مسلم: ٥٩.

(٣) نفسه: ٥٩.

(٤) الخّفاش طائر شديد الطيران، كثير التكَفّي في الهواء سريع التقلّب فيه، يتميز بخلّوه من الريش واقتصار جلده على اللحم، ومن أعاجيبه أنه لا يطير في ضوء،لأنه قليل شعاع العين كما يذكر الجاحظ.

حَيٍّ، وَكَيْفَ عَشِيَتْ أَعْيُنُهَا عَنْ أَنْ تَسْتَمِدَّ مِنَ الشَّمْسِ المُضِيئَةِ نُوراً تَهْتَدِي بِهِ فِي مَذَاهِبِهَا))[١]. يشير الإمام في هذا النص إلى جملة من القضايا العلمية الخاصة بهذا النوع من الطير، فوصفها بالانقباض والانبساط، كناية عن استتارها في النهار، ورغبتها في السكون في ما أظلم من المواضع، على العكس من بقية المخلوقات التي تطير في النّهار وتستتر بالليل. وانتشار هذه الطيور بالليل يظهر رغبتها في الاستتار وعدم الميل إلى النور ويعلل الإمام ذلك بعجزها عن أخذ النور من الشمس المضيئة نهاراً، فهذا الضّرب من الطيور ضعيف قوى البصر، فلا يبصر ليلاً ولا نهاراً ؛ لأنه قليل شعاع العين الذي يصدر من ناظرها ؛ وعدم ظهوره في النهار راجع إلى أنّ بصر ناظره يلتمع في شدّة بياض النهار، فالنور المتلألئ ضار لعيون الموصفين بحدة البصر[٢]. أمّا ظهوره في الليل فلاحتياجه الكَسب والطعام، فيلتمس الوقت الذي لا يكون فيه الظلام غامراً قاهراً غالباً، ولا الضياء معشياً رادعاً، وذلك في وقت غروب القرص وبقية الشّفق، لأنه وقت هيج البعوض وأشباهه، فيخرج الخفّاش لطلب الطّعم في هذا الوقت[٣]. ولهذا عدّ من أعاجيب الخلق. وقد وصفه الإمام وصفاً علمياً دقيقاً، مختَصِراً ذلك كله بتعبير (عَشِيت أعْيُنَها)، الذي دلّ به على عدم قدرة هذه الطيور على الإبصار ليلاً ونهاراً، فجعلها بمنزلة من ساء بصره.ناقلاً المفردة المتقدمة من الدلالة على عدم الإبصار بالليل والإبصار بالنهار، إلى الدلالة على عدم الإبصار بالليل والنّهار معاً. فوسّع من دلالة هذه المفردة،وجعلها مخصوصة بهذا النوع من الطيور.

ينظر: الحيوان: ٣/ ٥٢٦، ٥٢٧.

(١) نهج البلاغة: خ/ ١٥٥: ٢٧١.

(٢) ينظر: الحيوان: ٣/ ٥٢٧.

(٣) نفسه.

وقـد وردت لفظـة (أعْشَـت) بصيغـة الفعـل المـاضي المتّصـل بتـاء التأنيـث، للدلالـة عـلى عـدم القـدرة عـلى التميـز والإبصـار في (ك / ٦٥). في حيـن جـاءت مفـردة (عَشـا) بالدلالـة نفسـها في (ح / ١٩٨).أمّـا مفـردة (عَـاشٍ) بصيغـة اسـم الفاعـل،فقـد وردت دالـة عـلى الجاهـل الـذي يركـب مـا التبـس عليـه مـن الأمـور التـي لا يعـرف وجهها، فهـو في ذلـك كالأعشـى الـذي ضعـف بصره،فـما عـاد يبصر مـا أمامـه. وجـاء ذلـك في (خ / ١٧).

ثانياً: الدلالة على الظلمات والمبهمات من الأمور.

واختصـت بهـذه الدلالـة مفـردات (العِشْـوَة) وجمعهـا (عَشَـوات). ومـن ذلـك قولـه(عليه السلام) في وصـف (الجَاهـل) وتحيرّه واضطرابـه: ((**جَاهِلٌ خَبَّاطُ جَهلات، عَاشٍ رَكَّابُ عَشَـوَاتٍ**))[1]. ولفظـة (عَشَـوات) جمـع

(عِشْـوة) مثلثـة الحـرف الأول[2]. وهـي -في اللغـة- أول ظلمـة الليـل[3]. ومنهـا أخـذت الدلالـة عـلى (العشَـا)، بوصفهـا علّـة مـن العلـل الخاصـة بالبـصر. ولمـا أراد(عليه السلام) وصـف حـال (الجَاهِـل)، ومبالغتـه في الاضطـراب وعـدم التّبَـصّر في الأمـور، اسـتعمل - في ذلـك- لفظتـي (جَهَـالات) و (عَشَـوَات) بصيغـة الجمـع المؤنـث، للدلالـة عـلى كثـرة إلْمام هـذا النفـر مـن النـاس بالجهـل والحيرة، موظفـاً صيـغ المبالغـة لهذيـن المعنيين، فـكلمتا(خَبّاط) و(ركّاب) كلاهمـا بـوزن (فَعّـال) الـذي يـدل عـلى كثـرة

(١) نهـج البلاغـة: خ / ١٧: ٤٧. وقـد نقلـت مصنفـات (غريـب الحديـث) قـول الإمـام المتقـدم بروايـة مختلفـة، وهـي (خَبّـاط عَشَـوات). ينظـر: غريـب الحديـث (ابـن قتيبـة): ٢/ ١٢٣، وغريـب الحديـث (ابـن الجـوزي): ١/ ٢٦٢، والنهايـة في غريـب الحديـث: ٣/ ٢٤٢.

(٢) ينظر: تارج العروس (عشو): ٣٩/ ٤٥.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (عشو): ٣ / ٣٨.

تكرار الفعل والمبالغة فيه عند الموصوف به. فكأنه لكثرة مزاولته للفعل أصبح صنعة ملازمة له[١]. فضلًا عن دلالة هذا البناء على النّسب والصُحبَة[٢]. فإذا قيل (رَكاّب عَشَوات) - حسبما عبّر الإمام - فهذا يعني أنّه ذو عشوة مصاحب لها،وهي ملازمة له، حتى صارت كأنها سجية وطبيعة من طبائعه. وإنما أضاف الإمام هذه الصيغة إلى مفردة (عشوات) يفهم منه الدلالة على وصف الجاهل بالتّخبّط والحيرة وركوب الأمور على غير بيانٍ وهدى[٣]. فجاء استعمال المفردة المتقدمة لما فيها من إيحاء على الظلام والتغطية أولاً، فضلاً عن ارتباطها بالدلالة على من يمشي في الليل بلا نور يهتدي به، فيتحيّر ويضل[٤]. ويوحي هذا التعبير بدلالات متعددة لعل في صدارتها عدم الاهتداء إلى الدين الحقّ، فيبقى(الجاهل) راكباً ظلمة الكفر، تائهاً في عقائد الضلال والفتن.

أقول: وقد استعمل الإمام نقيضاً لهذا التعبير، وهو قوله (كشّاف عَشَوات) الوارد في (خ/ ٨٧)، للدلالة على (المُتّقي) من الناس الذي يُبصر طريقه ويسلك سبيله إلى الإيمان والحق، فضلاً عن استعماله مفردة (العُشوة) في الدلالة على الظلمة التي لا يهتدى بها، وذلك في (خ/ ١٥١، ٢٢، ٢٢٢).

كَمَهاً

الكَمه العمى الذي يولد عليه ابن آدم، فيكون متحيراً غير مبصرٍ[٥].

(١) ينظر: شرح الشافية: ٢/ ٨٤، ٨٥، ومعاني الأبنية: ١٠٨.

(٢) ينظر: معاني الأبنية: ١٧٣، ١٧٤.

(٣) ينظر: تاج العروس (عشو): ٣٩/ ٤٥.

(٤) ينظر: غريب الحديث (ابن قتيبة): ٢ / ١٢٣، وغريب الحديث (ابن الجوزي): ١ / ٢٦٢ والنهاية في غريب الحديث: ٣/ ٢٤٢.

(٥) ينظر: العين (كمه): ٣ / ٣٨٣، وتهذيب اللغة (كمه): ٦/ ٢١.

واستعملت لفظتا (كَمَها)،و(الكُمه) بصيغة الجمع على (فُعْل) مرة واحدة لكلٍ منهما في نهج البلاغة(١)، للدلالة على عمى البصيرة والضّلال. ومن ذلك قوله (عليه السلام) في سياق تحذير عامله على (مكّة) من أناسٍ بعثهم (معاوية) إلى موسم الحج لخداع الناس وتضليلهم. إذ يقول: ((**إِنَّ عَيْنِي بِالْمَغْرِبِ كَتَبَ إِلَيَّ يُعْلِمُنِي أَنَّهُ وُجِّهَ إِلى الْمَوْسِمِ أُنَاسٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، الْعُمْيِ الْقُلُوبِ، الصُمِّ الأَسْمَاعِ، الْكُمْهِ الأَبْصَارِ، الَّذِينَ يَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالبَاطِلِ**...))(٢).يحذر الإمام عامله على مكّة من جمهرة من النّاس الشاميين الذين بعثهم معاوية جواسيس للخداع والتضليل وإثارة الفتن بين الناس في موسم الحج.ويصف الإمام هؤلاء الجماعة بأنّهم (عُمي القُلوب،صُمّ الأسماع،كُمْه الأبصار). فأسند (العَمى إلى القلوب)، و(الكُمْه إلى الأبصار) والأصل أنّ (العَمى والكُمه) كلاهما للبَصر، لكنه أنزل قلوبهم منزلة (العيون)، لبيان ضعفها وعدم تمييزها، في كونها طُبعت على الفتن والضّلال. فكما أنّ (العين) تعمى وتضعف من فقد البصر، فكذلك تضعف القلوب ويقلّ تمييزها حتّى تصير ذات غلظة من القسوة وعدم الرّأفة والتّمييز بين الحق والباطل.

أمّا إسناده (الكُمه) (للأبصار)، فيُراد منه الدلالة على ما هو أبعد من الدلالة المعجمية لمفردة (كمه)التي تدل على العمى الذي يصاب به المرء منذ الولادة. ففي هذا التعبير دلالة على وجود ضرب من الاستعداد الفطري في هؤلاء على الضّلال والإضلال هذا من جهة، ومن جهة أخرى تتضمن المفردة الدلالة على عمى البصيرة أيضاً، وهي عدم القدرة على التمييز والتفكير و التدّبر في الأمور. فكأنّ هؤلاء لّما كانوا فاقدين التمييز بين الحق والباطل، لذلك وصفهم

---

(١) ينظر: المعجم المفهرس لالفاظ نهج البلاغة: ٤٠٤.

(٢) نهج البلاغة: ك / ٣٣: ٥١٥.

الإمام بـ(الكُمْه الأبصار). فهم بمنزلة الأعمى الذي فقد القدرة على النظر، فأصبح ضالاً حائراً لا يقدر على شيء، فيؤدي به ذلك إلى سحق كل ما يلاقيه، لعدم علمه بالأشياء التي تصادفه، فضلاً عن عدم تحصيلهم العبرة بها من آثار الله سبحانه وتعالى[١]. والإمام بهذا التعبير وغيره - كأنّه(عليه السلام) يشير إلى فساد هذا النوع من الناس وعدم صلاحهم حتى وإن أُرْشِدوا إلى الحق والصواب ؛لأنّهم باعوا دينهم وعقيدتهم وفقدوا الإحساس بالنصائح الإرشادات والعِبر التي يسمعوها. ولذلك يكون هذا الصنف من الناس من الخطورة بمكان على المجتمع، ولهذا أبلغ الإمام عامله بالحذر من هؤلاء.

أقول: إنّ استعمال مفردة (الكُمْه) بصيغة الجمع جاء مناسباً - فيما يبدو- لتعدد أنواع العمى الذي كان عليه هؤلاء الناس، ففيهم (عَمَى القُلُوب)، و(عَمَى الأبصار)، فضلاً عن الإشارة إلى تعدد هؤلاء وكثرتهم. فناسب ذلك مجيئ المفردة المتقدمة بصيغة الجمع. ويُلحظ أثر التعبير القرآني في قول الإمام المتقدم، فقد استعمل الذكر الحكيم مفردة (الأكْمَه) بالدلالة على الأعمى حقيقية،وذلك في قوله تبارك و تعالى الذي يتحدث فيه عن النبيّ (عيسى) (عليه السلام) ﴿... **وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ**...﴾[٢]. وقد ذكر المفسرون أن الأكْمَهَ هو الأعمى على الإطلاق[٣]. وأخذ الإمام هذه الكلمة ونقلها من دلالتها على العمى الحقيقي إلى العَمى المتضمّن لعدم التمييز والتَبصر من خلال الاستعانة بقوله تعالى ﴿... **فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾[٤]. الذي وظّفه الإمام من خلال الأخذ

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغه (البحراني): ٥/ ٢٩٥.

(٢) آل عمران / ٤٩، ينظر: المائدة / ١١٠.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز:١/ ٤٣٩.

(٤) الحج / ٤٦.

ببعض الفاظه ومعناه العام في نسق كلامه، فأتى بمفردة (العَمَى) مع (القلوب)؛ لأنّ القلوب هي محل العقل - بحسب نظر القرآن الكريم الذي يقول ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا...**﴾[1]. فلّما جاء (العمى) مخصوصاً بـ(القلوب) خَصّ (عليه السلام) (الكَمه) (بالأبصار) في إشارة إلى فقد هؤلاء التمييز بين الخير والشرّ.

وقد وردت لفظة (كَمَها) بالدلالة المتقدمة أيضاً، فضلاً عن تضمّنها معنى الانخداع بلذات الدنيا وزينتها الخادعة وذلك في (قصا / ٣٦٧).

مُعْوِراً

المُعْوِر الذي ذهب بصر إحدى عينيه وحِسّها[2]. والمُعْوِر الضعيف الجبان الذي لا خير فيه[3]. وهو القبيح السرّيرة الذي حاجته في دُبره ؟أيضاً[4].

واستعملت لفظة (مُعْوِراً) مرة واحدة في نهج البلاغة[5]، دالة على الرجل الضعيف الجبان الذي اعتصم بعورته ليُكفّ عن قتله. وذلك في سياق وصيته (عليه السلام) لعسكره قبل لقاء العدوّ بـ(صِفّين)، إذ يقول: ((**لاَ تُقَاتِلُوهُمْ حَتَّى يَبْدَأُوكُمْ، فَإِنَّكُمْ بِحَمْدِ اللهِ عَلَى حُجَّة، وَتَرْكُكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّى يَبْدَأُوكُمْ حُجَّةٌ أُخْرَى لَكُمْ عَلَيْهِمْ، فَإِذَا كَانَتِ الْهَزِيمَةُ بِإِذْنِ اللهِ فَلاَ تَقْتُلُوا مُدْبِراً، وَلاَ تُصِيبُوا مُعْوِراً، وَلاَ تُجْهِزُوا**

(١) الحج / ٤٦.

(٢) ينظر: العين (عور): ٢ / ٢٣٥، والمحكم (عور): ٢/ ٣٤٠.

(٣) ينظر لسان العرب (عور): ٤/ ٦١٦.

(٤) نفسه.

(٥) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٢٨.

عَلَى جَرِيح...))[١]. وتتضمن مفردة (مُعْوِراً) عدّة دلالات ؛ ولكن الأقرب فيها إلى السياق، هو ما ذكرته من كونها تدل على مَن استعصم بِعْورَته واستنجد بها ليكف القتل عنه[٢]. دلالة على ضعفه وجُبنه وقبيح سرَيرته التي دعته إلى إظهار (دُبُره وقُبُله) ليكونا حرساً وحماية له. ويعد هذا الصنّف من الناس من أسوأ الرجال وأقلهم شكيمة وعزماً في الحرب. وتحمل المفردة المتقدمة بين ثناياها دلالات أخرى يمكن أن تحمل الباحث على ترجيحها بإزاء الدلالة المتقدمة التي يُعين عليها السياق المتضمّن الوصية بالكفّ عن قتل (المُدبِر) الذي يفر في الحرب، فضلاً عن عدم الإجهاز على (الجريح) الذي عقره جرحه عن القيام. وعدم (إهاجة) النساء بأذى. وهذه جميعاً من أخلاق الحرب عند أمير المؤمنين (عليه السلام) التي تعلمها من القرآن الكريم والنبي الأكرم(صلى الله عليه وآله وسلم).

أقول: وتتضمن مفردة (مُعْوراً) الدلالة على الذي فقد حِس إحدى عينيه في الحرب، فأصبح غير قادرٍ على البصر، فيدخل - حينذاك- ضمن دائرة الجرحى الذين أصيبوا في الحرب، ولهذا أمر (عليه السلام) أن لا يجهز على هذا النوع من المصابين. كما تتضمن المفردة الدلالة على الشخص الغريب المُريب الذي لا دخل له بالحرب ودخل فيها، فَظُنَّ أنّه من طرف الأعداء[٣]. فنهى الإمام من إيذاء هذا النوع من الناس ممن لاعلاقة لهم بالحرب، فضلاً عن عد أتباعهم أو لحاقهم عند ابتعادهم عن الميدان. وهذه الوصية من وصايا الحرب الفريدة التي دعا الإمام إلى الأخذ بها،ويفهم منها ضرورة التّبصّر بالحرب وعدم الاندفاع وراء غريزة الانتقام والقتل في الحرب، فمن الضروري أن يتحلّى المقاتل بأخلاق الإسلام عند مبارزة

(١) نهج البلاغة: ك/ ١٤: ٤٧٢.

(٢) ينظر: شرح البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٥/ ٧٩. وشرح نهج البلاغة (البحراني): ٤/ ٢١٣.

(٣) نفسهما.

العـدوّ ومناجزتـه، فـلا يجهـز إلاّ عـلى مـن يتربّـص بـه القتـل، مـع ضرورة التمييـز بـين الأعـداء وغيرهـم مـن الداخلـين في الحـرب دون أن يكـون لهـم شـأن فيها،كالمغـرر بهـم والمُسَـاوَمِين عـلى أموالهـم وأعراضهـم. وهـذه الوصيـة مـن الوصايـا الدقيقـة التـي تدعـو إلى التـأنّي في أمـور القتـال، فليـس مـن السّـهل التمييـز بـين مـن هـو مـع العـدو أو ليس معه إلاّ لمـن تبصّر في شـأن الطـرف المقابـل، وتمـرّس في معرفـة أغـراض الآخريـن. فكأنـه (عليه السلام) يطلـب مـن جيشـه أن لا يتـسرّع إلى القتـل دون نظـر وروّيـة، حتـى لا يهـرق دم مَـن لا شـأن لـه بالحـرب. وممـا ينبغـي إلفـاتُ النظـر اليـه أنّ تعـدد دلالات هـذه المفـردة راجـع إلى كونهـا مـن (المشـترك اللفظـي) الـذي تشـترك في اللفظـة الواحـدة معانٍ متعـددة يكـون السـياق فيصـلاً في توجههـا. وهـو مـا أدّى إلى أن تزيـد المعـاني التـي تحتملهـا كلمـة (معوراً)،مـا دفـع الـشُّرَّاح إلى التّوسّـع في توجههـا. ومـن ذلـك مـا ذهـب اليـه الشـارح البحـراني الـذي فـسّر المفـردة بـ(المُتَمكَّـنِ منـه)، وهـو الـذي أمكنـت الفرصـة مـن قتلـه بعـد انكسـار العـدوَّ. فشـبهّه بـ(المُعْـوِر مـن الصَّـيْد)،وهـو مـا أمْكَـن نفسـه للصيـاد[1]. وهـذا المعنـى مأخـوذ - فيـما يبـدو - مـن الظهـور والبُـدُوّ الـذي تتضمنـه مفـردة (يُعْـوِر) في قولهـم: أعـورَ لـه الـشيء يُعْـوِر، إذا ظهـر[2]. فـكأن (المُعْـوِر) هـو الـذي يُظهـر نفسـه للقاتـل ليجهـز عليـه. وهـذا الأمـر مـن المسـائل المذمومـة في الناس،فمـن الـذل أن يسـلم المـرء نفسـه لعـدوّه بسـهولة، فيعـد ذلـك مـن الرّذائـل؛ ولهـذا منـع الإمـام أصحابـه مـن أن ينالـوا مـن هـذا الـضرب مـن النـاس.

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٤ / ٢١٣.

(٢) ينظر: المحكم (عور): ٢/ ٣٤٤.

مُرْة

المَرَه خلاف الكُحل[١]. والمَرْهَاء المرأة التي لا تتعهد عينها بالكحل[٢]. والمَرَه والمَرْهة بياض في العين تكرهه عين الناظر[٣]. وعَينٌ مَرْهاء، إذا كانت تضرب إلى البياض[٤]. وهذا الضرب من البياض في العين يمثل مرضاً في العين بسبب من تركها الكُحل.[٥]

و جاءت مفردة (مُرْه) بصيغة الجمع على (فُعْل) مرة واحدة في نهج البلاغة[٦]، للدلالة على ذهاب سواد العين وسقمها بسبب من كثرة البكاء، وذلك في سياق وصفه (عليه السلام) المسلمين الأوائل الذين دُعوا إلى الإسلام فَقَبِلوه، وقرؤا القرآن فأحكموه. إذ يقول مستغيثاً بهم في مقام التعريض ببعض أصحابه بعد ليلة (الهَرير)[٧] بـ(صِفّين): ((**أَيْنَ الْقَوْمُ الَّذِينَ دُعُوا إِلى الاِسْلَامِ فَقَبِلُوهُ ؟ وَقَرؤُا الْقُرْآنَ**

(١) ينظر: العين (مره): ٤ / ٥١، وتهذيب اللغة (مره): ٦ / ١٦٠.

(٢) نفسها.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (مره): ٦/ ١٦٠.

(٤) نفسه.

(٥) ينظر: لسان العرب (مره): ١٣/ ٥٤٠.

(٦) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٢١.

(٧) وهي ليلة من ليالي وقعة (صِفَّين)، فقد زحف الجيشان مُرْتَمِيَنْ بالنبّل حتى فَنِيت، وبالرماح حتى تكسّرت، ومشى بعضهم الى بعض بالسيوف وعمد الحديد، فما سُمِع الا وقع بعضها على بعض. وكان ذلك أشدّ هولاً في صدور الرجال من الصواعق. حتى افترق الجيشان عن سبعين الف قتيل في ذلك اليوم وتلك الليلة التي كان فيها (الأشتر) على ميمنة الجيش، و (ابن عباس) على مسيرته، والإمام أمير المؤمنين في القلب. ينظر: وقعة صفين، لنصر بن مزاحم:٤٧٥. وتسمية هذه الليلة بـ(الهَرير) مأخوذ من صوت (الكلب) إذا نبح، و (الذئب) اذا عوى،وهما مكشرات عن أنيابهما. فشبه نظر (الكُماة) بعضهم بذلك. ينظر: لسان العرب (هرر): ٥ / ٢٦١، والمصباح المنير: ٢/ ٦٣٧.

فَأَحْكَمُوهُ وَهِيجُوا إلى الْجِهَادِ فَوَلَهُوا اللِّقَاحَ أَوْلاَدَهَا، مُرْهُ الْعُيُونِ مِنَ الْبُكَاءِ، خُمْصُ الْبُطُونِ مِنَ الصِّيَامِ...))[1]. أراد بقوله (مُرْه العُيْون)، وصف المؤمنين من المسلمين الأوائل الذين كانت عيونهم تبكي من خشية الله تبارك وتعالى، حتى ابيّضت من الدّمع. فعبّر (عليه السلام) عن حالهم تلك بلفظة (مُرْه) جمع (أُمْرَه) مؤثراً إيّاها على غيرها من المفردات؛ لأنّه قصد بها بيان كثرة بكاء هؤلاء المؤمنين، حتى اعتلّت عيونهم، وأضحت بيضاء قليلة السَّواد من كثرة الدّمع، كأنها صارت كالأرض (المَرْهاء) التي لا شجر فيها[2]. فضلًا عن كونه (عليه السلام) قصد بها استعاضة هؤلاء المسلمين بالدمع بديلاً عن (الكُحل) الذي يزيد في صحة العين وقوّة إبصارها، فصارت الدموع علامة زينتهم وكحلهم. وذلك كلّه من خشية الله تبارك وتعالى. ولهذا ذكر اللغويون أنّ (المَرَه) خلاف الكحل. في العين[3].والأَمْره هو الذي لا يتعهد عينه بالكحل، فيؤدي ذلك إلى أن تضرب عينه إلى البياض بسبب من ترك التكحل[4].

أقول: ويلحظ من استعمال اللفظة المتقدمة أنّ الإمام يشير إلى قوله تعالى في وصف حال النبّي (يعقوب)، لمّا فقد ولده (يوسف)(عليهما السلام): ﴿**وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ**﴾[5]. و ذكر المفسرون أنّ مفردة (أبْيَضّت) تدل على كثرة استعباره وبكائه،ومن ثَمّ محَقت عبراته سواد العين وقلبته إلى بياض كدرٍ حتى عمي

(١) نهج البلاغة: خ / ١٢١: ٢٢٤.

(٢) ينظر: تاج العروس (مره): ٣٦/ ٥٠٠.

(٣) نفسه.

(٤) ينظر: العين (مره): ٤/ ٥١.

(٥) يوسف/ ٨٤.

بصره[1]. ولا يشتدّ بكاء المرء إلّا إذا كانت خشيته شديدة على ما حرص عليه. وكلما ازدادت منزلة هذا الشيء زاد الاستعبار والبكاء عليه، ولهذا وُصِفَ هؤلاء القوم بـ(المُرْه)، في إشارة إلى شدة خوفهم من الله، وحرصهم ورغبتهم في كسب رضاه[2].

(١) ينظر: الكشاف: ٢/ ٤٧٦.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٧/ ٢٢٩.

المبحث السابع
ألفاظ أمراض الجلد

مَجْذُوم

الأجذَم المقطوع اليد[١]. مأخوذ من الجّذْم، وهو القطع[٢]. بل هو سرعة القطع[٣]. والجذام عِلّة تقطع منها الأصابع[٤]. وقيل: بل الجذام داء يعترض في الرأس و يتشوّه منه الوجه[٥].

واستعمل الإمام مفردة(مَجْذُوم) بصيغة (مَفْعُول) مرة واحدة في نهج البلاغة[٦]، للدلالة على من أصابته عِلّة (الجُذام)،وذلك على سبيل تشبيه سوء الدنيا وهوانها عند الإمام بِعَظم خِنْزير في يد مَجذُوم. يقول(عليه السلام): ((**وَاللهِ لَدُنْيَاكُمْ هذِهِ أَهْوَنُ فِي عَيْنِي مِنْ عِرَاقِ خِنْزِيرٍ فِي يَدِ مَجْذُومٍ**))[٧]. وبلغ من هوان الدنيا عنده أن جعلها بمنزلة بـ(عُرَاق خنزير) في يد مجذوم. و(العُرَاق) جمع (عَرق)، وهو العظم الذي يقشر عنه معظم اللحم ويبقى عليه بقية[٨]. وإنما إضاف الإمام المفردة المتقدمة الى كلمة (خِنْزير) من باب إضافة النسبة ؛ كأنّه لمّا أراد بيان النُّفْرة والاشئمزاز من

(١) ينظر: غريب الحديث (أبو عبيد) ٢: ٣ / ٤٨.

(٢) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ١/ ٢٥١.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (جذم): ١١/ ١٤.

(٤) ينظر: مقاييس اللغة (جذم): ١/ ٤٣٩، وجمهرة اللغة (جذم): ١/ ٤٥٤.

(٥) ينظر: غريب الحديث (الحربي): ٢/ ٤٣٠.

(٦) ينظر:المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة:٨١.

(٧) نهج البلاغة: قصا / ٢٣٦: ٦٤٥.

(٨) ينظر: العين (عرق): ١/ ١٥٤، وغريب الحديث (ابن الجوزي): ٢/ ٨٨.

هذا الضّرب من العظام أضافه الى (الخِنْزِير) الذي يعد من الحيوانات المحرّمة في الإسلام بكل أجزائه، ولهذا جعل العظم المنزوع اللحم الذي تبقى فيه بقيّة من اللّحم الرّقيق عظم خنزير، إظهاراً لنفرته وكرهه لهذا النوع من الأطعمة، فإنّ العظم المنزوع اللحم يُعَدّ من أطيب اللُّحْمَان عند العرب على حدَّ تعبير الزَّبيدي، إذا كان من النّعم المحللة الأكل المذبوحة وفقاً للأحكام الشرعيّة، فإذا كُسِرت هذه العِظام وطُبِخَت، وأُكِلَ ما عليها من لحم رقيق كان ذلك من أطيب الطعام وألذّه [١]، فأزال الإمام طيب هذا النوع من المآكل،بجعلها من عظام الخنزير، وهو من أشدّ أنواع العِظام حرمة،لأن(الخنزير) من الحيوانات المحرّمة في الإسلام.ومما زاد من هوانها وسوئها جعلها في يَدِ مَجْذُوم أصابه الجُذام الذي يعد من أسوأ الأمراض وأكثرها أذىً ؛ فهذا المرض ينتشر في البدن كلّه، فَيُفسِد مزاج أعضائه وهيأتها، ويقطع اتّصالها فتتآكل وتسقط سقوطاً عن تقرّحٍ حسبما يذكر الرئيس ابن سينا(ت ٤٢٨هـ)[٢]. ويبدو هذا المرض أشبه بالسرطان العام في البدن ويصحب المعلول به زمناً طويلاً، وربّما يصاحبه التقرّح، فضلاً عن كونه من العلل المُعدية[٣]. وبهذا يتضح سبب استعماله (عليه السلام) هذا الضرب من الوصف، بَعدَّ (عِراق الخنزير) في (يَدِ المجذوم) كأنّه أراد الجمع بين حَرْمَة ما لذَّ من الدنيا وزخرفها، وبين عِللها وأمراضها المُعْدية التي لا يستقيم معها حال الإنسان فضلاً عن عدم دوامها. وذلك كله غاية ما يكون من التّنْفير من هذه الدنيا وبيان حقارتها في عينه (عليه السلام) ونفرته منها[٤]. ويحتمل أن يكون التعبير عن بقايا اللحم في

(١) ينظر: تاج العروس (عرق): ٢٦/ ١٣٦.

(٢) ينظر: القانون في الطب: ٣/ ١٨٨.

(٣) نفسه: ١/ ١١١.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٩/ ٦١، وشرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٨.

العظم من قبيل الإبانة عن حقارة شأنه وقلته، فضلاً عن عدم الفائدة منه، فيكون هذا مناسباً لشأن الدنيا عند الإمام وحقارتها لديه. ومن نافلة القول الإشارة الى أنّ لفظة (عُرَاق) التي استعملها الإمام عدّها اللغويون من الفاظ الجمع النادرة ؛ فبناء (فُعَال) -بضم الأول - من أبنية الجموع العزيزة النادرة التي لم يجيء عليها إلا بضعة أحرف مثل:(تُؤآم جمع تَوْأم، ورُبَاب، وظُؤار، وعُرَاق).[1]

(١) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٣/ ٢٢٠، وتاج العروس (عرق): ٢٦ / ١٣٧.

الظواهر اللغوية

استعمل الإمام بناء (فَوَاعِل) في جمع مفردة (نَوَاهِك) بوصفه أحد أبنية جمع القلة، للدلالة على سعة النواهك وكثرتها. وجاء بناء (أفْعال) مجموعاً عليه لفظة (أوْضَاب). كما أورد (عليه السلام) من أبنية الجمع (فَعَاليْل) الذي جمع عليه لفظة (عَقابيْل) فضلاً عن بناء (فُعْل) الذي اتت عليه لفظتا (كُمْه) و (مُرْه) وهما من الألفاظ الدالة على علل العيون.

وردت صيغة (فُعَال) التي صيغت عليها لفظة (هُزال)، وهي من الصيغ الدالة على العلل والأمراض، و(فَعِيْل) التي جاءت عليها لفظة (هَزِيْل).

وقد ورد من أبنية الأفعال بناء (فَعْلَل)، وهو من أبنية الأفعال الرباعية التي لا زيادة فيها.

لاحظت وجود علاقة ترادف جزئي بين الفاظ: (مَأْلُوسة، وكآبة) و (مختبط، وجِنّة) و (دَنِف، والعَلَز، و تَهجر). وبين (النواهك، والهُزال وهزيل).وثمة ترادف جزئي أيضاً بين (الأوصاب، والشّحوب)، (البكم والخرس). في حين ترادف الفاظ (مُتعْتِع) و (اعيى) في الدلالة على التردد وعدم الكلام؛ بسبب من الخوف. و (الحديدة، ومواسمه، ومَرَاهمه) بوصفها أدوات للعلاج والبرء. وبين (الأعشى، وكُمْه) و (الصمم والوَقْر) وجود علاقة جزء بكل بين (الحِدة) و (الجُنون)، فالحِدّة (ضَرْبُ من الجنون)[١] وهو ما يفهم منه أنّ الجنون عام، والحِدَّة اخص منه؛ لاشتراكها في الانفعال والتّسرّع. وظهر وجود علاقة خاص بعام بين لفظة (حديدة)، وهي لفظة عام. و(مواسم) وهي أداة من الحديد يُوسم بها المرض.

اختصت مفردة (كآبة) بالدلالة على الانكسار وسوء الهيئة والحزن المصحوب

بالغَمَّ، مبتعدة -بذلك - عن دلالتها التي انتهت اليها في الوقت الحاضر بوصفها مفردة دالة على سوء الفكر والخوف بحسب ما يذكره المتخصِّصون بالطِّب.

مال الإمام (عليه السلام) بمفردة (مَأْلُوسَة) الى استعمال متفرّد لم ينتبه له اللغويون، وذلك انه وصف (القلوب) بأنها (مَأْلُوسة) منزلاً إياها منزلة العقل الذي يصاب (بالأُلْس) وليست القلوب.

اتسعت دلالة مفردة (الاخرس) من الدلالة على مَنْ لا صوت له الى الدلالة على العِيِّ وعدم المقدرة على الإفصاح والإبانة في الكلام مثلما اتسعت لفظة (عقابيل) من دلالتها على بقايا آثار الحمّى من الشفتين الى الدلالة على آثار الصعاب والمشقة والفاقة التي يمر بها الانسان.

استعمل الإمام لفظة (أثْرم) للدلالة على سقوط الثنيِّة على سبيل الإهانة.

انفردت مفردة (مُرْه) بالدلالة على سقم العين وزوال سوادها، واتساع بياضها بسبب من كثرة البكاء. وبهذا يُشَمّم من ذلك وقوع الترادف الجزئي في المعنى بين قوله تبارك وتعالى ((وأبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ من الحُزن))،وبين لفظة (مُرْه) التي استعملها الإمام بالدلالة المتقدمة.

أعاد الإمام علي لفظة صَمَم الى دلالتها الأولى، وهي الدلالة على (الصَّخْر الأصمّ المُصَمت)، ومن ثَمّ دَلّ بها على (الحَيّاتِ الصُّمَّ القاتلة التي لا تَنْزجر)،و (صمم الديّار). وهو عدم إجابتها.

انحصرت دلالة لفظة (سَكّ) بَشقّ قَوف الاذن، وضيق صماخها، وهو ما يؤدي الى ضعف السمع أو فقده.

الفصل السابع
الفاظ العلاقات الاجتماعية

جدول دلالي يبيّن شيوع ألفاظ العلاقات الاجتماعية

مرتبة بحسب كثرة المفردات

ألفاظ الأسرة	أهـل – آل، ابـن – ابنـة، أخـو – أخـت، الأب، أمّـه – أمّـك، أسرتـه
ألفاظ القرابة القريبة	عشيرة،عترة، الذمار، الإل، حامتك، العصبة، لُحمته
ألفاظ العقب والأولاد والحفدة	العيال، الحفدة، ربيب، دابر، عقب، سبطاً
ألفاظ القرابة والنّسب والبِطانة	الأرحَام، صِهرِه، الوَلِيجَة، الحَمأ، خَدين
ألفاظ أخوة الأب والأم والجد	عَمّ،خَال، جَد
الألفاظ الدالة على الزوج	بعلها، القَيّم

المبحث الأول
ألفاظ الأسرة

أهل - آل

أهل الرجل زوجه وأخص الناس به(١).

وقد شاع استعمال لفظة (أهل) في نهج البلاغة حتى بلغ عددها مائتين وثمان وخمسين مرة. باشتقاقات مختلفة(٢). والملاحظ أنّ هذه الكلمة لا تتضح دلالتها الا من خلال ما يضاف إليها من كلمات، فتكون دالة في هذا الحال. وقد أمكن من تتبع المواضع التي استعمل فيها الإمام لفظة (أهل) الوصول إلى الدلالات الآتية:

أولاً: الدلالة على مصاحبة الشيء والإقامة عليه.

وهذه أكثر الدلالات سعة في كلام الإمام (عليه السلام) ومن ذلك قوله في وصف أصحاب الدنيا: ((**أَهْلُ الدُّنْيَا كَرَكْب يُسَارُ بِهِمْ وَهُمْ نِيَامٌ.**))(٣). أراد من إضافة (الدنيا) إلى (أهل) الدلالة على أصحابها المغتّربين بها الذين يدينون بدينها. فكأنهم لشدة انتوائهم عليها، وانغماسهم في زخارفها واسهم بها صاروا أهلها المخصوصين بها. ولهذا شَبّههم (عليه السلام) بالرَّكب الذي يتّخذ الدواب سبيلاً إلى غايته التي يحدو اليها، قاطعة بهم الفيافي وهم نِيّام لا يدرون ما مّرَّوا به، وما عرض لهم عند مسيرتهم سوى ما يلاقونه من لذّة النّوم والرؤى التي تداعب أفكارهم أثناء نومهم، وما يلاقونه من مناظر عند ارتحالهم. فلمّا كان (أهل الدنيا) سائرون

(١) ينظر: العين (أهل) ٤ / ٨٩، وتهذيب اللغة (أهل): ٦ / ٢٢٠. ولسان العرب (أهل): ١١ / ٢٨.

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج اليلاغة: ٤٠-٣٤.

(٣) نهج البلاغة: قصا / ٦٤: ٦١١.

إلى الآخرة، وهم في غفلة عمّا سيلاقونه في رحلتهم هذه شبههم بالرّكب من هذه الجهة [١]. ويتضمن كلامه (عليه السلام) الإشارة إلى ما يلاقيه المرء من أفراح وأحزان في حياته الدنيا، فإنّه لا يعلم ما سيلاقيه في مستقبله ؛ فالعِلم بذلك مخصوص بالله تبارك وتعالى. وهو ما أشار اليه الإمام بقوله:((...**يُسَارُ بِهِم وهُم نِيَام**)).واستعماله (عليه السلام) لفظة (أهل) دالة على الصحبة وارد في النهج بكثرة، ومن ذلك ما جاء في: (خ / ٨٣، ٨٦، ٨٧، ٨٩، ٩١، ٩٩، ١٠٨، ١٢٢، ١٣٤ ^٣^، ١٥١، ١٦٥، ١٧١، ١٨٩، ١٩٢ ^٣^، ٢١٧، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٦، ٢٣٠، ك / ٢٦، ٢٧، ٣١، ٥٣ ^١٢^، ٧٠، قصا / ٦٤، ١٣٠، ٣٦٩، ٤١٥، ٤١٦.

أقول: ومما يمكن أن يلحق بالدلالة المتقدمة ما أضيفت فيه لفظة (أهل) إلى اسم بلد من البلد أو مِصر من الأمصار، فضلاً عن إضافة الخِصال والصفات اليها، نحو (أهل الشّام)، أو (أهل العراق)، و (أهل الأمانة) أو (أهل الغَدْر). وغير ذلك من التعابير التي تقرب من هذه الصياغة، مثل (أهل البلاء). وذلك كثير شائع في النهج أيضاً. ومنه قوله (عليه السلام) موازناً بينه وبين معاوية وأصحابه: ((**وَأَمَّا اسْتِوَاؤُنَا فِي الْحَرْبِ والرِّجَالِ، فَلَسْتَ بِأَمْضَى عَلَى الشَّكِّ مِنِّي عَلَى الْيَقِينِ، وَلَيْسَ أَهْلُ الشَّامِ بِأَحْرَصَ عَلَى الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَى الآخِرَةِ.**))[٢]. يريد: أنّ معاوية لا يسبقه في المُضِيِّ على اليقين ؛ فهو ماضٍ في الشّك وضعف الإيمان بالله تبارك وتعالى، ولم يبلغ مرحلة الثبات والمُضي على اليقين التي عليها الإمام، وهو مع ذلك لم يصل إلى الحد الذي بلغه الإمام في الآخرة والفوز بها، فضلاً عن كون حرص (أهل الشام) على الدنيا أقل من حرص (أهل العراق) على الآخرة. فالموازنة التي عقدها الإمام بين أصحابه وأهل الشّام قائمة على أساس السبق

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٤١٠.

(٢) نهج البلاغة: ك / ١٧: ٤٧٤.

والثبات في العقيدة والمُضي على البصيرة واليقين التي يقوم عليها أمير المؤمنين. وبهذا يكون وصفه هو وصف المتقيّن، في قبالة وصف الشّاك. و تعبيره المتقدم تكذيب للمساواة التي أدّعاها معاوية في كتابه إلى الإمام[(١)]. ومن هذه الاستعمالات ما ورد في (خ / ٣١، ٤٣، ٥٥، ٧١، ٨٤، ٩١، ٩٧ [٢]، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١١، ١٤٠، ١٤٧، ١٧٣ [٢]، ١٦٠، ١٧٦، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣ [٢]، ١٩٩ [٢]، ٢١٦، ٢١٨، ك / ١، ١٧، ١٩، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٤٢، ٤٥، ٥٤، ٥٥، ٥٨، ٦١ [٢]، ٧٤، قصا / ٨٠).

ثانياً: الدلالة على أهل بيت النبي (عليهم السلام).

وقد استعمل الإمام في هذه الدلالة لفظتي (آله) و(أهل) مضافاً إليها كلمة (البَيت). وكان نصيب اللفظة الأولى من الورود في نهج البلاغة مائة وست عشرة مرة[(٢)]. في حين وردت لفظة (أهل) بهذه الدلالة خمس عشرة مرة. فضلًا عن موضعين استعمل فيها الإمام مفردة (أهْلك) بالدلالة المتقدمة.

وقبل الإبانة عن إيحاءات اللفظتين المتقدمتين وإظهار ما أضافته من معانٍ إلى سياقات الخطاب العَلوي، نحتاج إلى بيان العلاقة بين تينك الكلمتين من جهة تركيبها. فالنحويون يرون أنّ الأصل فيهما هو كلمة (أهْل)، وأن كلمة (آل) تكونت من إبدال الهاء في (أهل) همزة، فصارت (أأل) بهمزتين؛ أبدلت الثانية منهما الفاً ومُدتّ[(٣)]. ويحتج النحاة لذلك بتصغير الكلمة على (أُهَيْل) لمحاً لأصلها[(٤)].

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٤ / ٢١٧.

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٤.

(٣) ينظر: الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه: ١ / ٣٠٣، وسر صناعة الإعراب، لابن جني: ١/ ١٠٠، والمباحث اللغوية في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (أطروحة دكتوراه)، هادي عبد علي هويدي: ١٠١، ١٠٢.

(٤) ينظر: سر صناعة الإعراب: ١/ ١٠٢، والمباحث اللغوية في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٠٢.

وأما المقصود بتركيب (آل البيت) أو (أهل البيت) آو (آله). فالفرق الإسلامية مختلفة في ذلك ؛ إذ يذهب الشيعة الإمامية إلى أنّ المراد من (أهل / آل -البيت) عترة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهم (علي وفاطمة والحسن والحسين وذريتهم (عليهم السلام)). ويحتجون لذلك بجمهور كبير من النصوص القرآنية والنبوية، فمن الكريم قوله تعالى ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ [١]. ومما يتعلق بهذه الآية من أحاديث، كـ(حديث الكساء). الذي نقلته المدونات الخاصة بالحديث النبوي. فقد ورد في الحديث أنّ النبي (صلى الله عليه وآله): ((**قالَ لفاطمةَ إئتني بِزوجك وأَبْنَيْكِ. فجاءت بهما، فألقى عليهم كساءً فَدَكيّا، ثم وَضَع يدهُ عليهم، ثم قال: اللهُم إنَّ هؤلاء آل محمدٍ فأجعل صلواتك وبركاتك على محمد وعلى آل محمد إنّك حميدٌ مجيد. فقالت أُم سلمة**[٢]: **فَرَفَعْتُ الكِساءَ لأدْخُل مَعَهم،فجذبه من يدي وقال: إنّكِ على خَيْرٍ**))[٣].

---

(١) الأحزاب / ٣٣.

(٢) هي السيدة المحجبة أم المؤمنين هند بنت أبي أميّة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم من المهاجرات الأوائل. كانت قبل زواجها بالنبي (صلى الله عليه وآله) تحت أخيه من الرضاعة (أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي). ودخل بها النبي سنة (4) من الهجرة. وكانت من أشرف النساء نسباً. وهي آخر من مات من أمهات المؤمنين، فقد عمّرت تسعين سنة، حتى بلغها مقتل الإمام الحسين الشهيد (عليه السلام)، فوجمت لذلك وغشي عليها وحزنت عليه حزناً كبيراً ولم تلبث بعده إلاّ يسيراً. وقد روت أحاديث كثيرة عن النبي، وروي عنها أيضاً. ينظر: طبقات ابن سعد: 86/ 8، 87، وسير أعلام النبلاء: 201/ 2، 202.

(٣) مسند أحمد: 323/ 6، وفضائل الصحابة: 602/ 2، ومسند أبي يعلى: 456/ 12، والمعجم الكبير: 53/ 3، و 9 / 25. وثمة أحاديث أخرى في هذا الشأن، منها حديث (الثقلين) الذي يفسر فيه النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) المراد بـ (أهل البيت) بقوله: ((إني تَارِكٌ فيكم الثّقَلَين،أحَدُهما أكْبَرُ من الآخرِ ؛ كتابُ الله حَبلٌ مَمْدُودٌ من السّمَاءِ الى الأرضِ، وعِتْرَتي أهلَ بَيْتِي، وإنّهُما لَن يَفْتَرِقا حتّى يَرِدا عليَّ الحَوضَ)). مسند أحمد: 3 / 14، 17، وفضائل الصحابة: 585/ 2، وسنن الترمذي: 662/ 5، 663.

أمّا بقية الفرق الإسلامية ؛ فمنهم من يذهب إلى أنّ المراد بالتعبير المتقدم ازواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)[١]. ومنهم من يذهب إلى إدخال أزواج النبي مع عترته من أولاد علي وفاطمة وذريتها (عليهم السلام)[٢]. وصفوة القول أنّ جمهور المسلمين يرون أنّ المقصود بـ(أهل / آل- البيت) هم عترة رسول الله (علي وفاطمة والحسن والحسين)، حتى نقل المفسرون أنّ قوله تعالى ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾[٣]. قد نزلت فيهم[٤].أقول: وفي مقام التفريق بين استعمال الإمام لتعبيري (أهل البيت) و (آل محمد) يظهر وجود ترادف تام بينهما، إلاّ في دلالات جزئية دقيقة تكون مرهونة بالسياق. فالإمام (عليه السلام) لم يستعمل هذين التعبيرين إلا في الدلالة على أهل بيت النبي، وهم (علي وفاطمة والحسن والحسين وذريتهما). وكثيراً ما كان يستعمل في هذه السياقات الضمائر المنفصلة التي تؤكد الدلالة وتخصصها. نحو قوله متحدثاً عن فتنة بني أمية، وكون أهل البيت بمنجاة منها: ((**نَحْنُ أَهْلَ الْبَيْتِ مِنْهَا بِمَنْجَاة، وَلَسْنَا فِيهَا بِدُعَاة...**))[٥]. فاستعمل الضمير (نحن) لإفادة اختصاصهم بصفة النّجاة وعدم الدعوة إلى الفرقة والفتنة،فضلاً عن أن النجاة من هذه المحن لا تكون إلا بهم وبطريقتهم المُثلى. ويقول في موضع آخر: ((**مَنْ أَحَبَّنَا**

(١) ينظر: روح المعاني: 13/ 22. واللاّفت للنظر أن المفسر الآلوسي صرف دلالة مفردة (البيت) في قوله تعالى: ((إنّما يُريد اللهُ ليُذْهِبَ عنكُمِ الرِّجسَ أهْلَ البَيْتِ...)). الأحزاب / 33.الى الدلالة على البيت المادي المعروف المصنوع من الخشب أو الطين الذي يتخذ سكناً. فليس المراد عنده بـ(أهل البيت) بيت القرابة والنسب. وهذا تأويل بعيد لا يستقيم مع السياق القرآني.

(٢) ينظر: المحور الوجيز: 4 / 383.

(٣) الأحزاب / 33.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: 8-6/ 22 والمحرر الوجيز: 384/ 4.

(٥) نهج البلاغة: خ / ٩٣: ١٧٢.

أَهْلَ الْبَيْتِ فَلْيَسْتَعِدَّ لِلْفَقْرِ جِلْبَاباً...))[١]. ويلحظ أنّه يستعمل التعبير المتقدم في السياقات التي تتحدث عن الدعوة إلى التعلّق بهم (عليهم السلام) والارتباط بهم ولزوم مَذْهبهم وسَمْتهم. ومن ذلك قوله في مقام الحثَّ على لزومهم: ((**انْظُرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ فَالْزَمُوا سَمْتَهُمْ**[٢]**،وَاتَّبِعُوا أَثَرَهُمْ فَلَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ هُدىً**))[٣]. وقد دأب الإمام على استعمال تعبير (أهل البيت) في المواضع الآتية: (خ/ ٢٦، ٩٣، ٩٧، ١٢٠، ١٩٩، ٢١٧، ٢٢٤، ك/ ٢، ٩، ٢٨، ٢٨، ٣١، ٤١، ٤٧، ٦٢، قصا/ ١١٢، ٤٥٣).ومما يلحق بهذا الاستعمال إيراده لفظة (أَهْلي) مضافاً اليها (ياء المتكلم)، للدلالة على أهل بيت الإمام علي (عليه السلام)، وهم في الوقت نفسه أهل بيت النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم)، وذلك في (ك/ ٤١، ٤٧). فضلاً عن استعماله لفظة (أَهْلك) الواردة في القرآن الكريم[٤]، في حديثه عن (الصلاة). واصفاً اصطبار رسول الله عليها. وذلك في (خ/ ١٩٩). أمّا استعماله لفظة (آل) مضافاً اليها اسم النبي (محمد) (صلى الله عليه وآله وسلم)، فيجيء ذلك كلما ذكر النبي الأكرم، تطبيقاً لأمر النبي الذي سُئِل عن كيفية الصلاة عليه، فقال: ((**إذا انْتم صَلَّيْتم عليَّ فَقُولوا: اللّهُمَّ صَلَّ على مُحمدٍ النّبي الأُمّي وعلى آل محمد، كما صَلَّيْتَ على إبراهيْم وآل إبْراهيمَ...**))[٥]. فضلًا عن استعماله تعبير (آل محمد) كلّما قصد بيان تفرّدهم وندرة وجود غيرهم في هذه الأرض: ((**لا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّد** (عليهم السلام) **مِنْ هذِهِ الأُمَّةِ أَحَدٌ...**))[٦]. يعني أنهم لا مثيل

(١) نفسه: قصا/ 112: 621.

(٢) السَّمْت حسن النحو في مذهب الدين والفعل. ينظر: لسان العرب (سمت): 2/ 46.

(٣) نهج البلاغة: خ/ 97: 178.

(٤) إشارة الى قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ طه/ ١٣٢.

(٥) صحيح البخاري: 1233/ 3، مسند أحمد: 119/ 4.

(٦) نهج البلاغة: خ/ 2: 27.

لهم في هذه الأمة أبداً ؛ لأنهم أساس الدين، وعماد اليقين ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصيّة والوراثة. وقد جاء كلامه المتقدم بعد ذَمّه قوماً ((**زَرَعُوا الفُجُورَ، وَسَقَوْهُ الغُرُورَ، وَحَصَدُوا الثُّبُورَ..**[1]))[2]. مشيراً بذلك إلى الفارق بين (آل محمد)، وغيرهم من أصحاب الفجور والهلاك في الدنيا والآخرة. وثَمّة موضع آخر شبه فيه (آل محمد) بـ(نجوم السماء) في مقام مدحهم وبيان منزلتهم في الناس قائلاً: ((**أَلاَ إِنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّد(صلى الله عليه وآله وسلم)، كَمَثَلِ نُجُومِ السَّماَءِ إِذَا خَوَى**[3] **نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ**...))[4]. فوجود (آل محمد) بين الناس كوجود النجوم العالية في كبد السماء،والحاجة اليهم كالحاجة إلى النجوم التي تنير الظلمة وتسطع بأنوارها لأهل الأرض.هذا من جهة، ومن جهة اخرى أنّه شبّههم بالنجوم، لكونها علامات يهتدي بها الناس إلى الأماكن التي يقصدونها، ويَتبيّن بها بدايات الأنواء والمواسم التي تتعاقب على الأرض، فتشبيههم بنجوم السّماء يشير إلى كونهم الهُداة الذين يستضيء بهم المسافر ويهتدي طريقه في تيه البيداء، كما يسترشد بهم المقيم أيضاً. فهم القادة إلى سبيل الله تبارك وتعالى وطريقه المستقيم الذي ينبغي على الناس الاهتداء إليه والمضي فيه على بصيرة من الأمر. وقد كنّى (عليه السلام) عن شهادة أحدهم و موته بخلو السماء من بعض النجوم البارزة فيها[5]. ومن خلال هذه الموازنة يتبين الفارق الدلالي بين تعبيري الإمام بـ(أهل البيت) و(آل محمد) اللّذين

---

(١) الثّبُور الهلاك واللعن والعذاب. ينظر: لسان العرب (ثبر): 99/ 4.

(٢) نهج البلاغة: خ / ٢:٣٧.

(٣) خَوى – بالقصر– خلا. وأكثر ما يستعمل في خُلُوّ الفَم من الطعام. ينظر: تاج العروس (خوي): 23/ 38.

(٤) نهج البلاغة: خ / 100: 182.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): 491/ 3.

وظّف فيها مفردتي (أهل) و (آل)، للدلالة على (علي وفاطمة والحسنين) وذريتهم من بعدهم (عليهم السلام). وأجد من المناسب في هذا المقام أن أذكر ما ذهب اليه ابن جنّي الذي عمد إلى التفريق بين لفظتي (أهل وآل). مشيراً إلى أنّ مفردة (آل) أخصّ من (أهل)، فهي تختصّ بالدلالة على أشرف الأسماء وأخصّها دون الشائع الأعم منها[١]. واحتجّ لهذا الوجه باستعمالها في كلمة ((اللهم صَلّ على محّمّد وآلِ محُمّد)). وفي قولهم (آل الله)، فضلاً عن ورودها في مدح (مؤمن آل فِرعون) في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ﴾[٢]. وهذا التوجيه مقبول يمكن أن نفسرّ به استعمالات الإمام (عليه السلام) لتعبير (آل محمد) على جهة الإضافة إلى أشرف الأسماء وأخّصها عند الله تبارك وتعالى وعند الناس، وهو اسم النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم). ولكن هذا الوجه الذي ذهب اليه ابن جنّي لايتفق مع السياق القرآني الذي استعمل لفظة (أهل) مضافة إلى كلمة (البيّت) في مقام المدح والتشريف والاختصاص أيضاً في غير موضع من الذكر الحكيم كقوله تعالى: ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ الله رَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيد﴾[٣]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٤]. مع استعماله كلمة (آل)، للدلالة على الخاصّة المقّربين من الأنبياء وآلِهم، في سياقات القصص القرآني الدال على العبرة والاعتبار من قبيل قوله تعالى: ﴿إِلَّا آَلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٥].

(١) ينظر: سر صناعة لإعراب: 1/ 102، والمباحث اللغوية في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 102.

(٢) غافر / 28.

(٣) هود / 73.

(٤) الاحزاب / 33.

(٥) الحجر. / 59

وقوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ﴾(١). ولم يقتصر القرآن الكريم على ذلك، بل استعمل اللفظة المتقدمة مع كلمة (فِرْعون) في مقام الذّم والتّقريع في قوله تبارك وتعالى ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾(٢). وقد نهج الإمام (عليه السلام) نهج القرآن الكريم في هذا التعبير، مستعملاً تركيب (آل فِرْعون) في قوله الذي يذم فيه من سار على سَمْت هؤلاء بقوله: ((**قَدْ مَارُوا**(٣) **فِي الْحَيْرَةِ، وَذَهَلُوا فِي السَّكْرَةِ، عَلَى سُنَّةٍ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ**))(٤). أقول: ويجوز أن يكون المقصود بتركيب(أهل البيت) وصفهم (عليهم السلام) بأنّهم عشيرة النبي وأقُرباؤه المختصون به، الذين يمثلون امتداده بين القبائل من يَسْتأنس بهم النبي ويألفهم دون غيرهم. ولّما كان أهل البيت (عليهم السلام) يألفون (البّيْت) بكل ما تحمله هذه المفردة من دلالات وإيحاءات على شرف المكان وقداسته، لهذا جاء تعبير (أهل البيت) دالاً على استحقاقهم وتأهّلهم لنيل شرف الحظوة عند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، حتى صار (البيت) مأهولاً بهم يألفهم ويألفونه. وهذه الدلالات حاضرة عند الإمام (عليه السلام) مقصودة في كلامه الذي استعمل فيه التعبير المتقدم. في حين أنّه أراد من قوله: (آل محمد) جميع ما تتضمّنه لفظة (آل) من دلالات، كأنه يومئ بها إلى أنهم بمنزلة (إلّ) الخيمة وعمدها الذي تقوم عليه(٥). وهم في الواقع كالعمد الذي يعين النبّي في أداء رسالة الله تبارك وتعالى، وفي طليعتهم الإمام علي (عليه السلام) الذي ما ادّخر وسعه في ذلك. ويحتمل أن يريد أيضاً الدلالة على العلو والارتفاع والإحاطة، فضلاً عن

(١) الصافات / 130.

(٢) الاعراف / 130.

(٣) الموْر التردد والتّسّرع في الحَيْرة. ينظر: لسان العرب (مور): 186/ 5.

(٤) نهج البلاغة: خ / 150: 262.

(٥) ينظر: المحكم (ألل): 393/ 10.

الصّفاء واللّمعان. وهذه من الدلالات التي يوردها المعجم العربي لمفردة (آل) وبقية اشتقاقاتها[١]. فكلّما أراد الإمام معنى التّأهّل والاستحقاق، فتراه يتخذ تعبير (أهل البيت) سبيلاً إلى ذلك. وثَمّة قضية أخرى أجدها مرتبطة بقوله (آل محمد)، وهي مسألة ترتبط بالجانب الصوتي لبنية (آل) واتساقها مع دلالتها، فإنّ صوت المد الذي تفتح به الكلمة المتقدمة منحها ضرباً من الفخامة و الامتداد في ذهن السَّامع، الامر الذي اكسبها نوعاً من الايحاء بالعلو والارتفاع والامتداد. وهذا الامر واضح في ارتباط لفظة (آل) بهذِهِ المعاني في المعجم العربي[٢]. ومما يمكن أن يلحق بالدلالة المتقدمة، استعماله (عليه السلام) لفظة (أهل) دالة على أبناء الرجل وعائلته المقرّبة منه. وذلك في غير الدلالة على النبي وآله. فقد وردت تلك الدلالة في (خ/ ٤٦، ١٠٢ ٢، ١٠٨، ١٠٩، ١١١، ١٢٦، ١٢٧، ١٥٤، ١٧٢، ١٩٠، ٢٠٩، ٢٢١، ك/ ٤١، ٥٣، ٧١، قصا / ٢٥٧، ٣٥٢).

ثالثاً: الدلالة على الزوجة.

وقد استعمل الإمام لهذه الدلالة لفظة (أهل) المتصلة بضمير الغائب (أهْله) في سياق النصح والإرشاد، لّما رأى قوماً يرمُقُون امرأة بأبصارهم، فقال (عليه السلام): ((...**إنَّ أبْصَارَ هَـذهِ الفُحُولُ طَوَمِحٌ، فإذَا نَظَرَ أحَدُكُمْ إلى امْرَأَة تُعْجِبُهُ فَلْيُلاَمِسْ أَهْلَهُ، فَإنَّمَا هِيَ امْرَأَةٌ كَامْرَأَتِه**))[٣]. أراد بالمُلامَسة مجامعة الرَّجل لزوجته. فكنّى عن ذلك بلفظ (المُلامسة) الذي استعمله القرآن الكريم كناية عن (الجماع) في

---

(١) ينظر: المحكم (آل): 450/ 10، ولسان العرب (ألل): 23/ 11.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة (ألل): 18/ 1، 19، والمحكم (ألل): 10/ 450 ولسان العرب (ألل): 23/ 11.

(٣) نهج البلاغة: قصا/ 420: 686.

قوله تعالى: ﴿... وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا..﴾(١). و يرشد الناس إلى الخلاص من فتنة النظر المحرّم بملامسة الزوجة ومقاربتها(٢). فهي المؤهلة لنظر اليها نظر طِماحٍ في الشريعة الإسلامية دون بقية النساء اللواتي حرّم الله النظر اليهنّ بريْبَة.

ابن ـ ابنه

الابن الوَلَد(٣)، وهو المُتولَّد من أبويه. والجمع أبْناء(٤). وقد استعمل الإمام (عليه السلام) المفردة المتقدمة باشتقاقات متعددة، فقد وردت لفظة (ابن) سبعاً وستين مرة في نهج البلاغة. في حين وردت كلمة (بُنَي) مصغّرة ست عشرة مرة. تلتها مفردة (أبناء) التي جاءت ثلاث عشرة مرة. ولفظة (بَنِيْن) جمعاً على (فَعِيْل) ثلاث مرات، و(بَنَات) مرتين. في حين جاءت الفاظ (ابُنكَ، ابنُه، أبنائنا، أبناءها، بَنُون) مرة واحدة لكل واحدة منها(٥)، للدلالة على ما يأتي:

اولاً: الدلالة على الأولاد وذوي القرابة في الرّحم.

وهذه الدلالة شائعة في كلامه (عليه السلام)، فكثيراً ما يُستعمل تعبير (ابن أبي) أو(ابن آدم)، أو(ابن أمي) ومن ذلك قوله الذي يذمَّ فيه معاوية قائلاً: ((وَهَلُمَّ(٦)

---

(١) النساء/ 43. وينظر: المائدة/ 6.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): 5 / 500.

(٣) ينظر: المحكم (بني): 501/ 10، ولسان العرب (بني): 89/ 14.

(٤) ينظر: المغرب في ترتيب المعرب: 88/ 1.

(٥) ينظر: المعجم المفهرس لالفاظ نهج البلاغة: 64، 65.

(٦) هَلُمَّ اسم فعل أمر بمعنى (أقْبل) وهي مكونة من (الهاء) التي ضُمّت اليها (لم) فجعلت كالكلمة الواحدة. وهي تستعمل للواحد والاثنين والجماعة ينظر: كتاب سيبويه: 332/ 3، 248/ 1، 252، ولسان العرب (هلم): 617/ 12.

الْخُطْبَ[1] **فِي ابْـنِ أَبِي سُـفْيَانَ...**))[2]. ونظـير دلالـة لفظـة (ابـن) المتقدمـة مـا ورد في (خ / ٣، ٥، ١٩، ٢٥، ٢٧ ٢، ٦٦، ٣١، ٦٨، ٨٤، ٩٧، ١٢٣، ١٣٥، ١٦٠، ١٦٢، ١٦٤، ١٩٢، ١٨٢، ٢٣٨ ٢، ك/ ٣٩، ٧٥، ٢٧، ٣٥، ٢٤ ٣، ٥٠، ٤٤، ٥٣، ٣٨، ١٣، ٤١، ٤٤، ٤٥، ٦٣، ٩، ٣٦)، (قصـا / ٤٣ ٢، ١٤٧، ٢٦٢، ١٩٢، ٢٥٤، ٢٦٧، ٣٢٦، ٣٧٩، ٤١٩، ٤٥٤، ٢٥).

وقـد اسـتعمل الإمـام لفظـة (ابـن) جمعـاً عـلى صيغتـي (أَفْعَـال)، و(فَعْـول). فجاءت كلمة (أبْنَاء) ثلاث عشرة مرة - كما تقدم - فضلاً عن موضعين أضيفت فيهما الكلمة إلى ضمير المتكلمين (نا) (أبْنَاءَنا)، وضمير الغائبة (أبْنَاءَنا). في حين أنّه استعمل لفظتي (بَنِيْن) جمعاً في حالة النصب في ثلاثة مواضع، ولفظة (بَنُون) في موضع واحد فحسب. ويعمد الإمام إلى استعمال لفظة (أبْنَاء) - بهذا الوزن - للدلالة على (الأولاد) من الذّرية المتولدة من الأب والأم، مثلما استعملها بالدلالة على (الأبناء) الذين يرتبطون بالدنيا وشرورها، فضلاً عمّن يرتبط بالآخرة. فمن دلالتها على الذُرّية قوله (عليه السلام) في سياق الحديث عن قَتْل الآباء والأبناء مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في سبيل الإسلام: ((**فَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله**(صلى الله عليه وآله وسلم)**، وَإِنَّ الْقَتْلَ لَيَدُورُ بَيْنَ الآبَاءِ وَالأَبْنَاءِ وِالإخْوَانِ...**))[3]. مشيراً إلى أنّ أغلب المسلمين الأوائل كانوا يقاتلون قراباتهم من آبائهم وأبنائهم إلى جنب رسول الله طلباً لرضا الله تبارك وتعالى ورسوله، ومن أجل ثبات الإسلام وانتشاره. فاستعمل (عليه السلام) بناء (أفْعَال) المعدود من أبنيه جموع القِلّة[4]، للدلالة على الكثرة - فيما يبدو - ؛ لأنّ هذه

(١) الخطب الشأن او الامر صَغُرا وعظم. ينظر: لسان العرب (خطب): 360/ 1.

(٢) نهج البلاغة: خ / 162: 289.

(٣) نفسه: خ / 122: 225، 226.

(٤) ينظر: معاني الأبنية: 135.

الصورة من قتل الآباء والأبناء كانت شائعة في معارك الإسلام الأولى. فناسب ذلك استعمال بناء (أَفْعَال) لهذا السياق. وتبدو هذه الدلالة مناسبة أيضاً للسياقات التي يتحدث فيها الإمام عن تنزيه الله تبارك وتعالى من اتّخاذ (الأبناء) قليلهم وكثيرهم. وذلك في قوله في مقام توحيد الخالق وتنزيهه: ((**لَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْلُوداً، وَلَمْ يُولَدْ فَيَصِيرَ مَحْدُوداً، جَلَّ عَنِ اتِّخَاذِ الأبْنَاءِ، وَطَهُرَ عَنْ مُلامَسَةِ النِّسَاءِ**))[١]. و(جَلّ) أي: عظم قدره من أن يكون له أولاد البتة وكذلك في السياقات التي يتحدث فيها عن أحوال الأمم السالفة. ويجيء البناء المتقدم عند الحديث عن المودة بين القرابات بين الآباء الذي يستتبعه التقرّب بين الأبناء أنفسهم. ووردت هذه الدلالة في المواضع الآتية من النهج: (خ/ ١، ٥٦، ٨٣، ١٢٢، ١٨٢، ك/ ٢٨، قصا/ ٣٠٨).

أمّا الدلالة على (بُنُوّة) الناس للدنيا والآخرة وما يتعلق بها، فقد استعملها الإمام في غير موضع من النّهج. ففي كلام له في سياق الوعظ والإرشاد يقول فيه محذّراً الناس من الدنيا: ((**أَلاَ وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ حَذَّاءَ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلاَّ صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الأنَاءِ اصْطَبَّهَا صَابُّهَا أَلاَ وَإِنَّ الآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ، وَلِكُلٍّ مِنْهُمَا بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الآخِرَةِ، وَلاَ تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ كُلَّ وَلَد سَيُلْحَقُ بِأُمِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...**))[٢]. أراد: أنها مُدْبرة بسرعة. ولذلك وصفها (بالحَذّاء) في إشارة إلى

(١) نهج البلاغة: خ/ 186: 344.

(٢) نفسه: خ/ 42: 84. ولم اجد من اللغويين من ذكر أن (الحَذّاء) و(الحَذّ) السرعة. سوى انهم ذكروا أنّ (الحَذّاء) هو صانع النَّعال. ولعل هذه الدلالة تليق بالسياق الذي استعمله الإمام لمناسبتها سوء الدنيا وفعلها بالناس. فهي كمن يصنع الأحذية لتدوسهم بها. ينظر: تاج العروس (حذو): 37/ 413.

سرعة مضيّها وانقضائها حسبما يذكر السيد الشريف الرضي[١]. وروي (جَذّاء). أي مقطوعة كأنها قد قطعت خيرها ونفعها عن الناس، فليس فيها غير الشَرّ والأذى. والملاحظ أنه(عليه السلام) قد أورد في هذا النص مفردة (بَنُون) جمعاً للدلالة على الأبناء. كأنه يريد وصف مَن انغمس في ملذات الدنيا وزخارفها بكونه ابناً لها، كما أنه وصف من صرف نفسه إلى الآخرة، والعمل من أجلها، حتى صار كأنّه ابنها. فوصفهم بأنهم (بَنون) للدنيا والآخرة. فجاء بجمع كلمة(ابن) – في هذا السياق – على ضربين ؛ الأول منها جمع ملحق بالجموع السالمة، وتمثله مفردة (بَنُون)، والثاني من أبنية جموع القِلة، وهو لفظة (أبْناء). وليس المراد – فيما يبدو – بهاتين اللفظتين الدلالة على القِلّة، مع أنّ الدارسين يعدونها كذلك، ولاسيما الجموع السالمة التي تدل عندهم على القلة[٢]. فالسياق يوحي بانصرافها إلى الكثرة ؛ مناسبة لحال الناس الذين غرّتهم الدنيا بما فيها من الشهوات، فصاروا أبناء لها تأخذهم أنّى شاءت. وهذا النمط من الناس كُثر وليسوا قليلين. في حين أنّ أبناء الآخرة الذين شغلوا بها، وضربوا صفحاً عن الدنيا، فيمكن أن يكونوا قليلين بإزاء (أبناء الدنيا) ؛ فالذين يعملون لآخرتهم هم أقل من أهل الدنيا. ولهذا ساق الإمام كلامه بنصح المخاطبين إلى أن يكونوا من (أبناء الآخرة) دون الدنيا. وعلل ذلك بأنّ كل ولد سيلحق بأمِّه يوم القيامة. في إشارة منه إلى أنّ من شأن (الولد) الميل إلى الأم ونزوعه اليها أُلفاً بها وطلباً لحنانها. ولهذا صوّر العلاقة بين الناس وطرائقهم في الحياة بصورة العلاقة بين الأبناء والآباء، مستعيراً لفظ (الأبْنَاء) للخلق، ولفظ (الدنيا والآخرة) للأم، ووجه الاستعارة الميل الذي تتضمنه نفوس الأبناء نحو أمهاتهم وآبائهم ؛ فمنهم من يميل إلى الآباء، ومنهم

(١) نهج البلاغة: خ/ 42: 84.

(٢) ينظر: معاني الأبنية: 144،145.

من يميل إلى الأمهات[١]. وقد أرشد (عليه السلام) إلى ضرورة أن يكون الإنسان من أبناء الآخرة الطالبين لها العاملين من أجلها ؛ ليتحقق القرب من الله تبارك وتعالى يوم القيامة، وليكونوا مرضيين عنده حينذاك. وقد استعمل الإمام نظير هذا التعبير في قوله الذي يتحدث فيه عن حُبَّ الناس للدّنيا، وذلك في قوله: ((**النَّاسُ أَبْنَاءُ الدُّنْيَا، وَلاَ يُلاَمُ الرَّجُلُ عَلَى حُبِّ أُمِّهِ.**))[٢]، لأنها ترعاه وتمنحه حنانها وشفقتها. ولكنها لا تغني عنه من الله شيئاً حسبما يقول الله تبارك وتعالى ﴿**قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾[٣]. وقد وردت دلالة لفظة (أبناء) و (بَنِين) نفسها في (خ / ٢٣، ١٠١، ١٤٣، ١٩٢).

صيغة التصغير (بُنَي)

وكثرت هذه الصيغة في (نهج البلاغة) وقد استعملها الإمام كفي المواضع جميعاً في تركيب النداء، مخاطباً به ولده الإمام الحسن (عليه السلام) سوى موضع واحد فحسب خاطب فيه ولده محمد بن الحنفية. ومن ذلك قوله (عليه السلام) في سياق نفي الشريك عن الله تبارك وتعالى: ((**وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ، أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكٌ لأَتَتْكَ رُسُلُهُ، وَلَرَأَيْتَ آثَارَ مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ...**))[٤].وينفي الإمام الشَّرْكة عن لله تبارك وتعالى مستعملاً أسلوب الشرط بـ(لو) التي تدل على امتناع الشّركة وانتفاؤها[٥].

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): 2 / 296.

(٢) نهج البلاغة: قصا / 303: 663.

(٣) التوبة / 24.

(٤) نهج البلاغة: ك / 31: 502.

(٥) ينظر: مغني اللبيب: 99/ 1.

فافتراض الشريك يلزم أن يكون له رُسُل تنبئ عنه، فضلاً عن ظهور آثار ذلك المُلك والسلطان. فلو كان ذلك لكان الشّريك إلهاً مستجمعاً شرائط الإلهية جميعاً وإلاّ لم يصلح للشَّركة[1]. أمّا خطاب الإمام لولده (عليه السلام) وندائه بلفظة (بُنَي) مصغّراً كلمة (ابن)، فالغرض من تصغيرها - فيما يبدو - الدلالة على الإكرام والرَّحمة والتَلُّطف بولده. وقد أشار اللغويون إلى هذا المعنى المتحصل من تصغير لفظة (ابن) على (بُنَي). ويفهم من قوله المتقدم تعليمه الناس طرائق المخاطبة، وأساليب النّصح والإرشاد والتوجيه التي تحتاج إلى تقديم يتضمن الدَّقة في تخيّر الألفاظ التي توحي بالرَّقة والرأفة وحسن الرعاية للمخاطب. وهذه كلها عوامل مساعدة في تقبّل النصائح والوصايا التي يراد من الآخر الأخذ بها وتطبيقها. و شاع هذا الاستعمال في وصاياه لأولاده الذين يخاطبهم في خطاباته لهم كلها بـ(يابُنَي)، ولاسيّما في وصيّته لولده الإمام الحسن (عليه السلام). ومن هذه المواضع ما ورد في (ك / ٣١ ١٣، قصا / ٣٨ ٢، ٣١٩).

استعماله (عليه السلام) لفظ (ابنه / بنات) الدال على المؤنث.

وقد جاءت لفظة (ابنة)، وجمعها (بنات) في نهج البلاغة. إذ استعملت مفردة (بَنات) و(ابنتك)مرتين في نهج البلاغة، للدلالة على ما يأتي:

أولاً: الدلالة على السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام).

وجاء ذلك في سياق مخاطبته (عليه السلام) للنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، لمّا دفن سيدة نساء العالمين قائلاً: ((**السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ عَنِّي، وَعَنِ ابْنَتِكَ النَّازِلَةِ فِي جِوَارِكَ، وَالسَّرِيعَةِ اللَّحَاقِ بِكَ...**))[2]. فنسبها الإمام في هذا المقام إلى رسول الله، مستعملًا

(١) ينظر: فقه اللغة (الثعالبي): 1/ 91.

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لالفاظ نهج البلاغة: 65.

مفردة (ابنَتُك) في إشارة إلى بيان درجة قرابتها منه (ﷺ)، قاصِداً بذلك إنها أقرب الناس إلى النبي الأكرم، وتربطها به صلة (البنّوّة)، فضلاً عن كونها أسرع الناس لحاقاً به. وآثر (عليه السلام) أسلوب السلام على الرسول نيابة عنه وعن ابنته السيدة فاطمة (عليها السلام)؛ رعاية لآداب الخطاب مع النبي، ومواظبة على نَدْبه[١]. وتعزيته بوفاتها. ووصفها بتعبير (النّازلة في جوارك)، و (السَّريعة اللّحاق بك). إيماء إلى كونه قد دفنها قرب أبيها، لتحظى بجواره مثلما حظيت به في الدنيا. كأنّ في ذلك تأكيد منه على أداء ما عليه من نحو النبي والزهراء (عليهما السلام) معاً في إنزالها قرب النبي[٢]. ومن ثّمّ بينّ حالته بعد وفاة سيدة نساء العالمين قائلًا: **((قَلَّ يَا رَسُولَ الله، عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبْرِي، وَرَقَّ عَنْهَا تَجَلُّدِي**[٣]**...))**[٤]. واستعماله لفظة (قَلّ) للصَّبر، تنبيه على تسليمه لقضاء الله (جل جلاله)؛ فما وصف نفسه بفقد الصَّبر على الرغم من فداحة المصيبة التي نزلت به بوفاتها (عليها السلام)؛ وإنما استعمل لفظ (قَلَّ)، كأنه كان يترقب وقوع هذا الأمر الذي أخبر به النبي الأكرم[٥]، ولهذا

(١) ينظر: منهاج البراعة: 12/ 13.

(٢) وقد ورد في الحديث عن النبي (ﷺ) أنّه: ((دَعا ابنَتِهِ فاطمة فَسَارّها، فَبَكَتْ،ثم سارّني فاخبرني أني أول من يتبعه من أهله فضحِكتُ)) فضائل الصحابة: 754/ 2. وذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، لمحب الدين الطبري: 42/ 1. وشائع في المدونات الخاصة بالحديث النبوي انّه (ﷺ) قال: ((ما بين قَبْري ومْنبَري رَوْضة من رياض الجنّة)). مسند احمد: 64/ 3. وسنن النسائي: 489/ 2. أقول: ويبدو أنّ الامام (عليه السلام) يشير بكلامه المتقدم الى موضع دفن السيّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)؛ لانهم فسروا كلام النبي المتقدم بكونه الى إشارة موضع دفنها (عليها السلام).ينظر: منهاج البراعة: 13 / 12.

(٣) التّجَلّد إظهار الجَلَد، وهو التَّصَبرّ، وتكلّف الجلادة. ينظر لسان العرب (جلد): 126/ 3.

(٤) نهج البلاغة: خ / 202: 403.

(٥) فقد روت كتب الحديث النبوي الشريف انه (ﷺ) قال لعلي (عليه السلام): ((سلامٌ عليك أبا الريحانتين من الدنيا، فعن قليلِ يذهب ركناك والله خليفتي عليك. فلما قُبض النبي.. قال علي: هذا احد الركنين الذي قال رسول الله... فلّما ماتت فاطمة. قال: هو الرّكن الآخرُ الذي قال رسول الله)). فضائل

أعقب كلامه المتقدم بقوله: ((**إِلاَّ أَنَّ لِي فِي التَّأَسِّي بِعَظِيمِ فُرْقَتِكَ، وَفَادِحِ مُصِيبَتِكَ، مَوْضِعَ تَعَزٍّ...**))[1]. أمّا توظيفه مفردة (صَفِّيتك) جاء للدلالة على كونها غنيمة رسول الله وصفوته التي وهبها تبارك وتعالى له. فـ(الصَّفِي) في اللغة مأخوذ من الصّفاء وعدم الكدر. وهو النقي الخالص من كل شيء[2]. وهي (عليها السلام) جديرة بأن تكون الصَّفِيّة النقِيّة الخالصة من كل كدر التي اختارها الله جل جلاله، لتكون من ذريّة النبي الأكرم، فهي صفوته وخاصته. وهذا الأمر يفسر استعماله لفظتي (ابنَتك) و (صَفيّتك) مضافاً اليها (كاف) الخطاب، كأنّه يومئ إلى إحدى فضائل النبّي بوصفه والد الزهراء (عليها السلام).أقول: وقد وردت لفظة (البَنات) بالجمع دالة على جماعة البنات، وذلك في (خ/ ٢٠٢).

ثانياً: الدلالة على هوام الأرض وما فيها من موارد وكائنات.

وقد استعمل لهذه الدلالة لفظة (بنات) مضافة إلى كلمة (الأرض). وذلك في قوله (عليه السلام) مبينًا علم الله تبارك وتعالى: ((**عَالِمُ السِّرِّ مِنْ ضَمَائِرِ الْمُضْمِرِينَ... وَعَوْمِ**[3] **بَنَاتِ الْأَرضِ فِي كُثْبَانِ الرِّمَالِ...**))[4].

والنّص بيان لاطلاع الله وعلمه بكل شيء بحركاته وسكناته ؛ بوصفه الصّانع المقدّر للكون. وقد استعمل الإمام تركيب (بَنَات الأرْض) للدلالة على ما تضمنته الأرض من هوام وحشرات في باطنها، مصوّراً (الأرض) بهيأة الأُمَّ الودود لبناتها،

الصحابة: 623/ 2.

(١) نهج البلاغة: خ / 202: 403.

(٢) ينظر: لسان العرب (صفا): ١٤ / ٤٦٣.

(٣) العَوْم السَّباحة. ينظر: لسان العرب (عوم): 432/ 12.

(٤) نهج البلاغة: خ / 91: 167.

مستعيراً مفردة (البَنات) لهذه الهوام، إتماماً لنسق الاستعارة ووجه المشابهة بين (الأم) و (الأرض)، فلّما كان من عادة الأولى الحَمْل والولادة، وتضّمنها الجنين في بطنها، جاء بالتعبير المتقدم ليوحي بانطواء هذه الأرض على تلك الهوام وما صغر منها الدواب في باطنها، و خص ذلك بلفظ (بَنَات) دون غيرها من الألفاظ الدالة على الأبناء كلفظة (أولاد) وغيرها، مناسبة – فيما أحسب– للعلاقة الوشيجة بين البنت وأُمَّها. فالبنات إلى الأُمَّهات أميَل، وإلى سماع قولهن أرغب، وإنما تَطَّلع الأم على حال بناتها أكثر مما يطّلع الأب على ذلك[1]. ويلحظ أنّ الإمام استعمل لفظة (عَوْم)، ليدل بها على انطواء هذه الهوام في باطن الأرض تشبيهاً لذلك بالعَوْم في الماء على سبيل الاستعارة.

أقول: وثمّة رواية أخرى ذكرها شُرَّاح النهج لتعبير الإمام (بَنَات الأرض)، فقد روي (نَبَات الأرض)[2].وبهذا يكون الاستعمال على أصله ؛ ويراد بهذا القول الدلالة على أصول النباتات والأشجار وعروقها التي تنطوي عليها الأرض، وتكون مغرساً لها ومغذياً لأجزائها. وبحسب هذه الرواية تكون مفردة (عَوْم) دالة على التّضمّن والاحتواء أيضاً. كأنه شبّه عروق هذه الأشجار بالكائنات التي تسبح داخل الماء.

ويبدو أنّ رواية (نَبَات الأرض) أليق بكلامه (عليه السلام)، وأكثر إبلاغاً من رواية

---

(١) ينظر: لسان العرب: (أمر): 30/ 4.

(٢) أورد هذه الرواية كل من: البحراني في شرحه: 457/ 2، وقد جعلها هي الرواية المعتمدة.في حين اعتبر ورواية (بَنَات الأرض) الرواية الثانية. وسار على نهجه أيضاً صاحب الديباج الوضي: 750/ 2، ومنهاج البراعة: 38/ 7. في حين آثر الشارح ابن أبي الحديد تعبير (بنات الأرض). ينظر: شرح نهج البلاغة: 24/ 7، وتبعه في ذلك صاحب مصادر نهج البلاغة وأسانيده: 164/ 2، و د. صبحي الصالح: خ / 91: 167.

(نبات الأرض). فتعبير (بنات الأرض) يتضمن إيحاءات متعددة ؛ فهو يحتمل الإشارة إلى الأنهار الصَّغار، والغُدران التي تتضمن بقايا الماء حسبما يذكر بعض اللغويين[١]، فضلًا عن الدلالة على جراثيم الأرض وهوامها التي تكون في الرِّمال[٢]. وقيل إنّ بنات الأرض هي المواضع التي تخفى على الراعي عند بحثه عن المراعي الكثير العشب[٣]. وهذه الدلالة الأخيرة تشتمل أيضاً على النّبات الذي تتغذى عليه الدواب، فيكون المراد من (بَنَات الأرض) النبات أيضاً[٤]

أخُو ـ أُخْت

الأخ هو من ولَدَه أبُوك وأُمك أو أحدهما، ويُطْلق أيضاً على الأخ من الرَّضاع[٥]. والأخ أيضاً الصَّديق والصَّاحب[٦]. ووردت لفظة (الأخ) باشتقاقات متعددة في نهج البلاغة بلغ مجموعها جميعاً إحدى وثمانين مرة[٧]، للدلالة على ما يأتي:

أولاً: الدلالة على الأخوة غير النَّسَبِيّة، وهي أخوّة الصَّداقة أو الصُحْبة.

وهي من أكثر الدلالات شيوعاً في نهج البلاغة، فقد استعملت كثيراً في كلامه (عليه السلام). و يرجع ذلك إلى تركيز أمير المؤمنين على العناية بالعلاقة الاجتماعية الناشئة من المصاحبة واتخاذ الأخوان ؛ بوصفها الضرب الثاني من ضروب

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة (بسر): 286/ 12، وفقه اللغة (الثعالبي): 5/ 1.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): 24/ 7.

(٣) ينظر: لسان العرب (بسر): 57/ 4.

(٤) نفسه.

(٥) ينظر: تاج العروس (أخو): ٣٧/ ٤٦.

(٦) ينظر: لسان العرب (أخا): ١٤/ ١٩، وتاج العروس (أخو): ٣٤/ ٤٦.

(٧) ينظر: المعجم المفهرس لالفاظ نهج البلاغة: ٢١/ ٢٢.

الأخّـوة بعـد أخـوّة النَّسـب. ومـن ذلـك قولـه (عليه السلام) في سـياق وصَّيتـه إلى بعـضِ عمّالـه عـلى الصدقـات: ((**آمَـرهُ بِتَقْـوَى اللهِ فِي سَرَائِـرِ أُمُـورِهِ وَخَفِيَّـاتِ عَمَلِـهِ... وَآمَـرهُ أَلاَّ يَجْبَهَهُـمْ**[١]**، وَلَا يَعْضَهَهُـمْ**[٢]**، وَلَا يَرْغَـبَ عَنْهُـمْ تَفَضُّـلًا بِالْإِمَـارَةِ عَلَيْهِـمْ، فَإِنَّهُـمُ الإِخْـوَانُ فِي الدِّيـنِ، وَالأَعْـوَانُ عَلَى اسْتِخْرَاجِ الْحُقُـوقِ**))[٣]. فجـاء بمفـردة (الإخـوان) بصيغـة الجمع،للدلالـة عـلى الأخـوّة غـير النسـبية،وهي أخـوّة الديـن التـي يـرى اللغويـون أن المفـردة المتقدمـة مختصـة بهـا. يقـول ابـن منظـور في ذلـك: ((وأكثـر مـا يسـتعمل (الإِخْـوان) في الأصدقـاء، والإخْـوّة في الـولادة))[٤]. ويبـدو أنّ هـذا الأمـر رَهْـن بالّسـياق. فـإنّ القـرآن الكريـم اسـتعمل لفظـة (إِخْـوان) للدلالـة عـلى أخـوّة الصّحبـة والصّداقـة، ومنـه قولـه تعـالى ﴿**وَنَزَعْنَـا مَـا فِي صُدُورِهِـمْ مِـنْ غِـلٍّ إِخْوَانًـا عَـلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِـينَ**﴾[٥]. واستعملها في موضـعٍ آخـر للدلالـة عـلى الأخـوّة في النَّسـب، وهـو قولـه تعـالى الـذي يتحـدث عـن أحـكام سَـتر النسـاء زِينَتَهـنَّ عـن الأجانـب. ﴿**وَقُـلْ لِلْمُؤْمِنَـاتِ يَغْضُضْـنَ مِـنْ أَبْصَارِهِـنَّ وَيَحْفَظْـنَ فُرُوجَهُـنَّ وَلَا يُبْدِيـنَ زِينَتَهُـنَّ إِلَّا مَـا ظَهَـرَ مِنْهَـا وَلْيَضْرِبْـنَ بِخُمُرِهِـنَّ عَـلَى جُيُوبِهِـنَّ وَلَا يُبْدِيـنَ زِينَتَهُـنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِـنَّ أَوْ آَبَائِهِـنَّ أَوْ آَبَـاءِ بُعُولَتِهِـنَّ أَوْ أَبْنَائِهِـنَّ...**﴾[٦]. وهـذا الاختـلاف في دلالـة المفـردة راجـع إلى اختـلاف سـياقي الآيتـين، فـما كان الخطـاب فيـه لعمـوم المؤمنـين والدلالـة عـلى الكَثْـرة تسـتعمل فيـه اللفظـة دالـة عـلى أخـوّة الصُّحبـة والرَّفعـة، وإلاّ فهـي دالـة عـلى أُخُـوَّة النّسـب إذا

---

(١) جَبَهَهُ جَبْهاَ، أي رَدَّه عن حاجته، واستَقْبَلَهُ بما يكره. ينظر: لسان العرب (جبه): ١٣/ ٤٨٣.

(٢) العَضهة البُهتانُ والإفكُ والنَّميْمية. ينظر: لسان العرب (عضه): ١٣/ ٥١٥.

(٣) نهج البلاغة: ك / ٢٦/ ٤٨٤.

(٤) لسان العرب (أخا): ١٤/ ٢٠، وينظر تاج العروس (أخو): ٣٧/ ٤٦.

(٥) الحجر / ٤٧.

(٦) النور / ٣١، وينظر: الأحزاب / ٥٥.

أُريد التعبير عن خطاب الخاصة والدلالة على القِلَّة[1]. وعلى هذا النَّسق استعمل الإمام لفظة (إخوان) للدلالة على أخوّة الدين. ومجيء هذه الكلمة بصيغة جمع الكثرة يوحي بكثرة (إخوَة الدَّين) الذين يُعزّ بهم شأْن المرء المسلم.

والملاحظ أنّ أمير المؤمنين قد اخذ من القرآن الكريم هذا التعبير، وهو قوله تعالى شأنه: ﴿**فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾[2]. ونظير هذا التعبير ما ورد في (خ/ ١١٨، ١٢٢، ٢٢٥، ك/ ٥٣، قصا / ٢٨٩). وقد وصف الإمام إخوة الجَور والظلم بـ(الإخوان). فقال في عهده إلى (مالك الأشْتَر) لمّا نَهاه عن تولية وُزراء الأشْرَار،معللاً ذلك بقوله: ((**إِنَّ شَرَّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ لِلأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيراً، وَمَنْ شَرِكَهُمْ فِي الآثَامِ، فَلاَ يَكُونَنَّ لَكَ بِطَانَةً**[3]، **فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الْأَثَمَةِ**[4]، **وَإِخْوَانُ الظَّلَمَةِ**...))[5]. فجعل (عليه السلام) من كان وزيراً للأشرار عوناً للأثمة وإخواناً للظلمة، فهم إخوانهم فيما توافَقُوا عليه من ظُلْمِ الناس والبَطْش بهم. فصارت لفظة (إخوان) – هنا– دالة على أُخوّة (العمل، والمنهج). ولّما كان السياق سياق نَهي وتَنْفِير من اتخاذ هؤلاء الوزراء والأعوان شركاء في الإدارة ؛ فلهذا استعملها الإمام بالدلالة المتقدمة مناسبة للسياق، فضلاً عن الإشارة بها إلى القِلَّة بدلاً من الكثرة ؛ لأنّ هؤلاء ليسوا من الكثرة ؛فهم فريق قليل جمعه. ولهذا وصفهم بلفظة (أَعْوان) و هي جمع على وزن (أفْعَال) من أبنية جموع القِلّة. وصارت قرينة تَصرف دلالة الكَثرة في (إخْوان) إلى القِلّة. وقد فسَّر

(١) ينظر: معاني الأبنية: ١٣٨.

(٢) التوبة / ١١.

(٣) البِطانةُ الدُّخلاءُ الذين يُنبَسط اليم، ويُسْتبطنُون. ينظر: تاج العروس (بطن): ٣٤/ ٢٦٤.

(٤) الإِثْم الذَنبُ، و (الأَثَمَةُ) جمع (آثم). ينظر: لسان العرب (أثم): ١٢/ ٦.

(٥) نهج البلاغة: ك / ٥٣: ٥٤٨، ٨٤٩.

بعض الشُرّاح تعبير (إخْوان الظَّلَمَةَ) بأَنَّهم المُؤاخون لهم على أخذ المظَالم[١]. ومثل هذا الضرب من التعبير بدلالته المتقدمة استعمله أمير المؤمنين (عليه السلام) في (خ/ ١٩٢).

استعمال لفظة (إخوان) للدلالة على إخُوّة النَّسَبِ.

وورد هذا النوع من التَّعْبير في قول الإمام الذي يتحدث فيه عن مواقفه مع بقيّة أَصحابِ النَّبيَّ الخُلَّص في قتال المشركين. يقول(عليه السلام): ((**وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله(صلى الله عليه وآله)، نَقْتُلُ آبَاءَنا وَأَبْنَاءَنَا وَإِخْوَانَنا وَأَعْمامَنَا، مَا يَزِيدُنَا ذلِكَ إلاَّ إِيماناً وَتَسْلِيماً**...))[٢]. وتحتمل ألفاظ القرابة الواردة في السَّياقِ الدلالة على القرابة القريبة، فتكون الفاظ (آباء، وأبناء، وإخوان، وأعمام) بحسب هذا الوجه على أصلها. ومن بين هذه الألفاظ مفردة (إخوان) التي تدل على الأخوّة في النَّسب، من أولاد الأب والأم، أو الأخوة من الأب، أو من الأمَّ، ويدخل في ذلك الأُخوة من الرَّضاعة. ويُبيَّن الإمام في هذا النص فضله وصنيعه مع بقيّة الصحابة المخلصين في الجهاد بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فكان كل واحدٍ منهم يقتل أباه وولده، وإخوانه طلباً لرضا الله تعالى وذَبّاً عن دينه، فلا يزيده ذلك إلاّ إيماناً[٣].

أقول: لو حُمِل النَّص على هذا الوجه ؛ لكان عدّ مفردات القرابة المتقدمة، ومنها لفظة (إخوان) على أصلها أدَلَّ في إظهار شدة التَّحمّل والطّاعة لله تبارك وتعالى ولنبَّيه، فليس سهلاً على الإنسان أن يقتل أباهُ أو أخاه في سبيل شئ ما. ولكن الإسلام أذْهَب هذا الضرب من الحمِيَّة في النفوس، والعصبية للأهل والعشيرة في سبيل أن يضرب الإسلام بِجِرَانه ويتَّسع امتداده. فصار جهادُ الأقارب

(١) ينظر: الديباج الوضي: ٥/ ٢٥٢.

(٢) نهج البلاغة: خ/ ٥٦: ٩٦.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٣٢٠.

وقَتلِهم ضرباً من الإيمان والتَّسليم لأمر الله تعالى. وتحمل هذه الألفاظ الدلالة على القرابة بعامّة، وليس على نحو القرابة الخاصَّة، لفظة (إخْوان) تدل على أخوّة الصُّحْبة والصَّدَاقة، فيقتل المسلمون -حينذاك- قراباتهم البعيدة العَامّة،فضلاً عن إخوانهم من رفاقهم السَّابقين طمعاً في رضا الله ورسوله وحفاظاً على الإسلام. وقد أشار بعض شُرَّاح نهج البلاغة إلى هذا المعنى، ففسَّر ألفاظ القرابة الواردة في النص المتقدم بأنّ الإمام (عليه السلام) أراد جميع الأقارب[١]. و يُفهم من هذا التعبير عدم اختصاص تلك الألفاظ بدلالتها الحقيقية المعروفة.

تَعْبيْر (أخو / القبيلة)، (أخَو / الحرب).

وهذان التعبيران شائعان في نهج البلاغة، فكثيراً ما أضاف الإمام مفردة (أَخ) إلى (قَبِيْلة) من القبائل. وقد لاحظتُ أنّه(عليه السلام) يستعمل هذا التعبير في السَّياقات التي يتمثَّل فيها بالشَّعر الذي ينتقِيه الإمام ليناسب الغرض الذي يسُوقه للمتلقّين. وثَمَّة موضع واحد استعمل فيه تعبير (أَخو مِذحج) إشارة إلى (مالك الأشْتَر). فمن ذلك قوله في سياق حديثه عن معصية الناسِ له ومخالفتهم رأيه في شأن التحكيم: ((... **أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ مَعْصِيَةَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ الْعَالِمِ الُمجَرِّبِ تُورِثُ الْحُسْرَةَ، وَتُعْقِبُ النَّدَامَةَ، وَقَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ في هذِهِ الْحُكُومَةِ أَمْرِي، وَنَخَلْتُ**[٢] **لَكُمْ مَخْزُونَ رَأْيِي، لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرٍأَمْرٌ**[٣] **! فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الُمخَالِفِينَ... فَكُنْتُ**

(١) ينظر: الديباج الوضي: ١/ ٤٧٨.

(٢) نَخَل الشيء، صَفَّاهُ.ينظر: لسان العرب (نخل): ١١/ ٦٥.

(٣) هذا المثل من الأمثال المشهورة التي تمثل بها الإمام (عليه السلام) في هذا النص. و (قَصِيرُ) هو مولى (جُذيْمَة الأبْرش) الذي خَطَب (الزبّاء بنت عمرو بن طريف) التي كانت على الشام والجزيرة من قبل الرّوم، فأجابته الى ذلك، وهمَّ (جذيمة) بالرّحيل اليها، فَنَهاهُ (قَصِيْرُ) عن ذلك، فعَصاهُ وسَارَ حتى وصلا بين (هيت والأنبار). فقال له (قصير): ارجع وَدَمك في وَجهك. فأبى وقال له:

وَإِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ أَخُو هَوَازِنَ(١) **أَمَرْتُكُمُ أَمْري بِمُنْعَرَجِ اللِّوَى فَلَمْ تَسْتَبِينُوا النُّصْحَ إِلاَّ ضُحَى الْغَدِ**(٢)))(٣). ما نهاهم فيه أمر التحكيم، والركون اليه، عاقبةً سَيْئة لا يَعْقُبها خَيْر، لأنه نَصَحهُم وهو مُصيبٌ في رأيهِ، لكنهم أبوا عليه وخالفوه فكأنما يريد أنْ يقول لهم قولته الشهيرة أُثِرت عنه ((**وَلكِنْ لا رَأْيَ لِمَنْ لاَ يُطَاعُ**))(٤) وهذه الكلمة لم تُسْمع من أحد قبل الإمام (عليه السلام) وهي جارية مجرى المثل، وتعد من بديع الأمثال وغرائب الحكم(٥). ولهذا أكَّدَ حاله مع هؤلاء الجماعة بما جاء في شعر (أَخُو هوازن)، يريد بذلك الشاعر (دُرَيْد بن الصَّمة(٦)، وهو من قبيلة (هوازن) العدنانية. ولم يصرّح الإمام باسمه، وإنما ذكره بنسبه إلى قبيلته، دلالة على ملابَسَته

(لا يُطَاع لِقَصِير أَمْر)، فذهبت هذه الكلمة مثلاً. ينظر جمهرة الامثال: ١/ ٢٣٤، ومجمع الأمثال: ١/ ٢٣٣، والمستقصى في أمثال العرب: ١/ ١٢٦، وفيه (لايطاع لقيصر رأي).

(١) هوازن، وهم بطن من (قَيْس) العَدْنانية. وهم بنو هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَة بن قيس بن عيلان، ولهوازن بطون كثيرة منها: بنو سعد بن بكر بن هوازن، وبنو سَلُوْل. وقد قاتلت (هوازن) التبي يوم (حُنَيْن)، وكان قائد جيش المشركين يومذاك (مالك بن عون النَّصْري بن هوازن). ينظر: تاريخ الطبري: ٢/ ١٦٦ وما بعدها، والعقد الفريد، لابن عبد ربه الأندلسي: ٣/ ٣١٨.

(٢) البيت للشاعر دريد بن الصمة، وهو في ديوانه:٦١. برواية: ((أمَرتُهُم... فلم يستبينوا الرُّشْد..))،وينظر شرح نهج البلاغة (ابن ابي الحديد): ٢/ ١٦٤.

(٣) نهج البلاغة: خ/ ٣٥: ٧٨.

(٤) ينظر: نهج البلاغة: خ/ ٢٧: ٦٤.

(٥) ينظر: الديباج الوضي: ١/ ٣٥٩.

(٦) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٢/ ١٦٤، ودريد بن الصّمة هو شاعر من شعراء الجاهلية، ينتسب الى قبيلة هوازن العدنانية، وهو من فرسان العرب الذين كانت لهم أيام وغارات، أدرك الإسلام ولم يُسْلم، وشَهِد (حُنَيْناً) مع المشركين وكان يومذاك أعمى، وقد عمّر طويلاً حتى خَرِفَ. ينظر: الأنساب، للسمعاني: ٤/ ١٨٥، والعقد الفريد: ٣/ ٣١٨. والأعلام للزركلي: ٢/ ٣٣٩. والديباج الوضي: ١/ ٤٠٧ هامش (٤).

لهم[١]. وقرابته منهم أو أنّه من نَسلهم ومن بين ظَهرانيَّهم.

أقول: وجرى الإمام في هذا الوجه مجرى القرآن الكريم الذي استعمل هذا الضرب من التعبير في حديثه عن بعثة الأنبياء إلى الأمم التي أرسِلوا اليها. ومن ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[٢]. وقوله: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٣]. وافترق المفسرون في معنى قوله تعالى (أَخَاهُم) وهل هو من نحو أخوّة القرابة بالقرابة القريبة، أو لا؟. فذهب فريق من المفسرين إلى أنَّ هوداً (عليه السلام) كان واحداً من تلك القبيلة[٤]. وبَينّ الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) العِلّة في ذلك بقوله: ((وإنما جُعِل واحداً منهم ؛ لأنّهم أَفْهَم عن رَجُل مِنهم، وأعرف بحاله في صِدْقِه وأمانته))[٥]. وليكون الْأُنس بكلام النبّي وأفعاله أكمل وأليَق[٦]؛ فلا تكونَنَّ لهؤلاء القوم حُجّة في انه جاءهم رسول او نبي من غير جِلدتهم. وهذا المعنى يناسب وصف الأنبياء بالأخوّة فيمن بُعِثوا فيهم. في حين ذهب فريق آخر من المفسرين إلى أنّ تعبير القرآن بمفردة (أَخَاهم) يراد به أُخُوّة الصُّحبة والمعاشَرة. أنه صاحبهم ورسولهم[٧]، ويحتج أصحاب هذا

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٢٨٤.

(٢) الأعراف / ٦٥.

(٣) الأعراف / ٧٣ وينظر: الأعراف / ٨٥، هو / ٥٠، ٦١، ٨٤، و النمل / ٤٥، والعنكبوت / ٣٦.

(٤) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ٢/ ٣٦، والتفسير الكبير: ١٤/ ١٢٥.

(٥) الكشاف: ٢/ ١١٠.

(٦) ينظر: التفسير الكبير: ١٤/ ١٢٥.

(٧) نفسه.

الوجه بأنّ هذا التعبير جاء على عادة العرب التي تسمّي صاحب القَوم (أخا القَوم)، ومنه قوله تعالى: ﴿**قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾[1] وفسَّروا كلمة (أُخْتَها) بـ(صَاحِبتها) وشبيهَتِها[2].

أقول: و الظاهر أنّ القرآن الكريم أراد من وصف النَّبي هود (عليه السلام) بـ(أخي عادٍ) مع كونهم كفاراً الدلالة على أُخُوَّة الجنس والعشيرة، والمصاحبة باعتبار ما سيكون عليه حال الأنبياء مع أقوامهم من صحبتهم ومعاشرتهم، فأما أخّوة الجنس، فالمراد بها أنّه من جِنسهم ونوعهم الإنساني. وأمّا أخوْة العشيرة، فهي القرابة في النَّسب حتّى وإن كانت بعيدة؛ فهو من الأُمّة نفسها التي بُعِثَ اليها. وبهذا يَتّضِح الاستعمال القرآني الذي احْتِذى الإمام سَمْتَه ونهج طريقته مستعملاً تعبير (أخا هَوَازن) أو (أخُو بني أسد)، للدلالة على نوع العلاقة والقرابة بين (القَبِيْلة) وبين من أطلق عليه لفظ (أَخ)، فضلاً عن الدلالة على الاصطحاب والعِشرة.

أقول: وللتعبير المتقدم نظائر في نهج البلاغة نجدها في: (خ / ٢٧، ١٢٨، ك/ ٣٦، ٣٨، ٦٤). أمّا التعبير بـ(أخا الحرب) فقد ورد في حثّه لأهل مِصر بالنَّفْرِ إلى قِتال عدّوهم قائلاً: ((....**انْفِرُوا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ إلى قِتَالِ عَدُوِّكُمْ، وَلاَ تَثَّاقَلُوا إِلى الأَرْضِ، فَتُقِرُّوا بِالْخَسْفِ**[3]**، وَتَبُوؤُوا**[4] **بِالذُّلِّ، وَيَكُونَ نَصِيبُكُمُ**

(١) الأعراف / ٣٨.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ١٤/ ١٢٥.

(٣) الخَسْف سُؤوخ الأرض بما عليها، والخَسْف الهزال والذلُّ وتحميل الانسان ما يكره. ينظر: لسان العرب (خسف): ٩ / ٦٨.

(٤) أصل البَوَاءِ اللّزُوم، وباء بذنبه أي التزم به، واحتمله. ينظر: لسان العرب (بوأ): ١ / ٣٧.

الأَخَسَّ[١]**، وَإِنَّ أَخَا الْحَرْبِ الأَرِقُ**[٢]**، وَمَنْ نَامَ لَمْ يُنَمْ عنْهُ، وَالسَّلَامُ.))**[٣]. والسياق كلّه حثّ على الاستعداد وعدم التثاقُل في النفير إلى قتال العدو. ولهذا ناسب أن يستعمل الإمام عبارة (أخا الحرب)، للدلالة على صَاحِبِها المُتأَهِّب لها، فمَن كانت هِمَّته كبيرة، وكان أهلاً للحرب، فمن لوزامه قِلّة النَّوم والسهر لإدراك الحرب[٤]. استعداداً لها واستقبالاً. وبإزاء ذلك يكون الضعيف المتواني عن الجهاد مُتَرَبَّصاً به مطموعاً في أخذِه والقضاء عليه. لهذا أنشأ (عليه السلام) هذا التعبير ؛ لإبلاغهم أنّ من تَرَقَّبَ (الحرب) وانتظر شروعها، فهو أخوها وصَاحبها الذي يرعاها بالانتظار والأُهْبَة وتهيئة العدد والعُدَّة ؛ فلا يُباغته العدو أو يُفاجأُ به. ومن هنا كانت لفظة (الأخ) مناسبة للسياق الذي نظمه الإمام، للدلالة على الصُحْبة والملازمة[٥]. ولّما كانت (الحرب) ومجاهدة العدو من الأمور الهَامّة التي تتطلّب المراقبة وعدم الغَفْلَة؛ فقد وظَّف أمير المؤمنين لفظة (الرِق)،للدلالة على سهر (المترقَّب للحرب)، وعدم غضّ طرفه عن عدُوّه. وهذه المفردة تدل على السّهر وذَهَاب النوم باللَّيْل ؛ لعلَّة[٦]. وعِلَّة الأَرِق في قَول الإمام (الحرب) أو (الجهاد)، وهي علّة كافية لتكون سبباً في ذهاب النوم وعدم الراحة.

ثانياً: الدلالة على الشَّقيْق.

وهذه الدلالة كثيرة أيضاً في النهج. فاستعملت فيها لفظة (أخ) على أصلها في

---

(١) الخَسَاسة الدَّناءة، والخَسيْئ الدَّنئ الرَّذل. ينظر: لسان العرب (خس): ٦ / ٦٤.

(٢) الأرقُ السَهَرُ، وهو ذهاب النوم بالليل. ينظر: لسان العرب (أرق): ١٠ / ٤.

(٣) نهج البلاغة: ك / ٦٢ : ٥٧٩.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢ : ٥/ ٣٧٠، ٣٧١.

(٥) ينظر: لسان العرب (أخو): ١٤/ ٢٠.

(٦) ينظر: المحكم (أرق): ٦ / ٤٧٢، ولسان العرب (أرق): ١٠/ ٤.

قوله (عليه السلام) مجيباً بعض أصحابه الذي قاله له: ((**وددتُ أنّ أخِي فُلاناً كانَ شاهِدِناً؛ لِيَرَى مَا نَصَرَكَ اللهُ به على أعدَائك**))[1]. وكان ذلك بعدما أظفره الله بأصحاب الجَمَل[2]. فقال له الإمام (عليه السلام): ((**أَهَوَى[3] أَخِيكَ مَعَنَا؟فقال: نَعَم. قالَ: فَقَدْ شَهِدنَا، وَلَقَدْ شَهِدَنَا فِي عَسْكَرِنَا هذَا أَقْوَامٌ فِي أَصْلاَبِ[4] الرِّجَالِ، وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ، سَيَرْعُفُ[5] بِهِمُ الزَّمَانُ، ويَقْوَى بِهِمُ الايمَانُ**))[6]. و(الأخ) -هنا- هو الأخ الشقيق الذي يَنْشَق عن الآخر ليكون أخاً له[7]. ولهذا الاستعمال نظائر وردت في(خ / ٢٣، ٨٣، ١٢٣، ١٢٤، ١٤١، ١٩٢، ك/ ٣١، ١٠ ،٦٤ ،٤ ٢).

ثالثاً: الدلالة على المؤاخاة.

وأورد الإمام لهذه الدلالة مفردة (الإخاء) في سياق وصفه حال الموتى في مَضَاجع القُبور. إذ يقول (عليه السلام): ((**جِيرَانٌ لاَ يَتَأَنَّسُونَ، وَأَحِبَّاءُ لاَ يَتَزَاوَرُونَ، بَلِيَتْ بَيْنَهُمْ عُرَى[8] التَّعَارُفِ، وَانْقَطَعَتْ مِنْهُمْ أَسْبَابُ الْاِخَاءِ، فَكُلُّهُمْ وَحِيدٌ وَهُمْ**

---

(١) ينظر: مصادر نهج البلاغة وأسانيده: ١/ ٣٤١.

(٢) نفسها.

(٣) الهَوَى إرادة النَّفْسِ. ينظر: تاج العروس (هوي): ١٠/ ٣٢٦.

(٤) الصُّلْب عَظْمٌ من لُدنِ الكاهلِ الى العُجْب، والجمع (أصْلاب)، والصُّلْبُ الظَّهْرِ والجماع ؛ لأنَّ المَنِيَّ يَخْرجُ منه. ينظر: لسان العرب (صلب): ١: ٥٢٦، ٥٢٧.

(٥) الرعاف دم يَسْبِقُ من الأنْفِ. ينظر: لسان العرب (رعف): ٩ / ١٢٣، وإنما اراد الإمام هنا الكناية عمّن يجيء بهم الزمان لاحقاً.

(٦) نهج البلاغة: خ / ١٢: ٤٠.

(٧) ينظر: لسان العرب (شقق): ١٠/ ١٨٢.

(٨) العُرى جَمْعُ (عُرْوة) بالضَّمَّ، وهي المِقْبضُ من الدَّلْوِ والكوز: ينظر تاج العروس (عرو): ٣٩/ ٢٥.

جَمِيعٌ))[١]. والإخاء عند اللغويين المُؤاخاة والأُخُوَّة[٢]. ويفهم من النّص أنّ الموتى ربما تكون بينهم معرفة على سبيل القَرَابة الخَصِيْصة، فيكون بعضهم إِخْوة على الحقيقة، أو أنّهم بعيدون في القرابة، ولكنهم إخوان على سبيل الرَّفقة والصُّحبة في الدنيا لمّا كانوا أحياء. ويحتمل أن يكون المراد أنّ هؤلاء أصحاب ورُفقاء في قبورهم، لكنّما انقطعت بينهم أصول المؤاخاة في حالهم هذا ؛ لأنهم صَرْعى لا يَتَأَنَّسُ بعضهم ببعض، ولهذا وصف (عليه السلام) تلك الصورة بانقطاع (الإِخَاء) فيما بينهم. أقول: وكل الدلالات المتقدمة صالحة لأَنْ تؤخَذ من مفردة (الإِخَاء)، فالدلالة على الإخاء والأُخُوَّة القريبة والنَّسبيْة تقويها القرائن اللفظية الواردة في السياق، من قبيل لفظة (أسباب). والسَّبّب في اللغة القَطْع[٣]. وهو أيضاً قطعقطع الرقَطْعُ قطع الرَّحم[٤]. ويفهم من ذلك أنّ قَطع الأسباب – هنا– يراد به قَطْع الأرحام، وهي علاقاتُ القرابة بين الأموات ومن هذهِ القرابات قرابةُ الأُخوّة في الرَّحم. وقد ذكر المعجميّون أنّ (الإِخَاء)، و(المُؤاخاة) الفاظ تدل على قرابة الإخاء والأخوّة[٥]. وأمّا الدلالة على قرابة الرَّفقة والصُحبة في الله، أو في الدين و في الخَلق، فقرينتها في السياق المتقدم مفردة (التَّعَارُف) وهي في اللغة مَعرفة الناس بعضهم بعضاً[٦]، بحيث تكون بينهم علاقات بسبب من هذه المعرفة التي وصفها الإمام في قوله بمفردة (بَلِيَت).أي انْقطعت بينهم علائقِ التّعارف

---

(١) نهج البلاغة: خ / ٢٢١: ٤٢٧.

(٢) ينظر: تاج العروس (أخو): ٣٧/ ٤٨.

(٣) ينظر: لسان العرب (سبب): ١/ ٤٥٥.

(٤) نفسه.

(٥) ينظر: تهذيب اللغة (أخو): ٧/ ٢٥٤، ولسان العرب (أخو): ١٤/ ٢٢.

(٦) ينظر: لسان العرب (عرف): ٩/ ٢٣٧.

وَرَثَّتْ[١] وتقادمت وعفا عليها الزمن فما عادت تشتد وتقوى كما كانت في الحياة الدُّنيا. وهذه المفردات تعزز من كون هؤلاء الموتى ليسوا أقارب، وإنما معارف تربطهم العلاقات الاجتماعية من قبيل الصُحْبة والصداقة والجِيْرة وغير ذلك من العلاقات الاجتماعية.

أخواتها

الأُخت مؤنث الأخ[٢]. وهي صيغة على غير بناء المذكر كما يذكر اللغويون، و (تاؤها) بدل من الواو في (أُخُو)،وليست علامة تأنيث[٣]. وتجمع هذهِ اللفظة على (أَخوات)[٤].

وقد وردت لفظة (أخواتها) بِصيغة الجمع في نهج البلاغة مرة واحدة[٥]، دالة على الأخوات من الخِصَال التي تكون في الرجال. وذلك في قَوله الذي يتحدث فيه عن الخِصَال الرائعة في الرَّجال: ((**إذَا كَانَ في رَجُل خَلَّةٌ رَائِعَةٌ فَانْتَظِرْ أَخَوَاتِهَا**))[٦]. والمراد بلفظة (أَخَوَاتِها) أخوات الخَلّة الرائقة، وهي - بالفَتح- الخَصْلَة التي تكون في الرَّجل[٧]. وغالباً ما تختص هذه (الخَلَّة) بالخَصْلَة الحَسَنة

(١) نفسه (بلا): ١٤/ ٨٦.

(٢) ينظر: العين (أخو): ٤/ ٣١٩.

(٣) ينظر: المحكم (أخو): ٥/ ٣١٤.

(٤) نفسه.

(٥) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢٣.

(٦) نهج البلاغة: قصا/ ٤٤٥: ٦٩٠، ونقل هذه الكلمة عن الإمام علي (عليه السلام) الميداني في (مجمع الأمثال): 2 / 454. وينظر:مصادر نهج البلاغة وأسانيده: 307/ 4.

(٧) ينظر: المحكم (خلل): ٤/ ٥١٥.

حسبما يذكر اللغويون[١]. وقد وصف الإمام لفظة (الخَلَّة) بـ(الرَّائِقة). والرائِق والرَّوقَة الجميل جداً من الناس[٢]. وراق الماء، إذا صَفَا [٣].ويفهم من ذلك أنّ الخَصْلةَ الرائقة هي الجميلة الصافية التي في الانسان وتكون لها أخوات من الخِصَال الطيِّبة، التي ينبغي تَرَقُّبها وانتظارها منه ؛ لأنّ الخَلوق من النّاس لابدّ أن يكون فيه جملة من الأخلاق الفاضلة، فَيُتوقع منه المزيد من تلك الخِلاَل، فَمن كان شأنه الصِدْق فلا بدّ أن ينتظر منه الوفاء وحُسْن الصُحبة[٤]. ويحتمل أن يكون المراد من لفظة (أَخَوَاتِها) الدلالة على النظير والمشابه أيضاً.

الأب

الأَب الوَالِد[٥]، والاسم منه الأُبُوَّة[٦]. والأَب في كلام العرب يدل على التربية والتغذية. والعرب تقول: ماله أبٌ يَأْبُوه. أي يَغْذوه ويُرَبِّيْه[٧]. والأُبوُّة الآباء، مثل العُمُومْة والخُؤُوْلة[٨]. ويجمع اللفظ على (أَبُوْن)، و (آباء)[٩]، ويثنّى على (أَبَوَان)[١٠]. وربما أُطْلِق هذا اللفظ على الأب والأُمَّ معاً على التّغْليب[١١].

---

(١) نفسه.

(٢) نفسه (روق): ٦/ ٥٥٤.

(٣) نفسه.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٥٠٥.

(٥) ينظر: المحكم (أبو): ١٠/ ٥٦٢، ولسان العرب (أبو): ١٤/ ٧.

(٦) ينظر: المحكم (أبو): ١٠/ ٥٦٢.

(٧) ينظر: لسان العرب (أبو): ١٤/ ٨.

(٨) نفسه.

(٩) نفسه.

(١٠) نفسه.

(١١) نفسه.

وقد وردت لفظة (الأَب) في نهج البلاغة بكثرة، فبلغ عدد مرات ورودها بصور مختلفة ثلاثاً وخمسين مرة[١]. كان أكثرها شيوعاً صيغة المفرد المتكلم (أبيِ) باستعمالات متعددة من قبيل:(أباً)، و (أبو)، و(أبوهم). ومن ثَمّ تلتها صيغ الجمع (آباء) وما خوطب بها مثل (آباؤك) وغيرها[٢]، للدلالة على ما يأتي:

أولاً: الدلالة على الأب، وهو الوَالِد.

وهي أكثر الدلالات شيوعاً في نهج البلاغة، وغالباً ما استعملت فيها لفظة (أب) دالة على الكُنْية، إشارة إلى ما كان مستعملاً من أنهم يُكنُّون الناس بِكُنىً يشَتهِرُون بها، فتصِير بمنزلة الأسماء عندهم. ومن ذلك قوله (عليه السلام) في سياق خطابه لـ(أبي ذَرٍ الغَفاري[٣] لَمّا أَخرجه الخليفة(عثمان) إلى(الرَّبَذَة)[٤]: مُكَنّياً إيّاه بكُنيته: ((**يَاأَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ غَضِبْتَ للهِ، فَارْجُ مَنْ غَضِبْتَ لَهُ، إِنَّ الْقَوْمَ خَافُوكَ عَلَى دُنْيَاهُمْ، وَخِفْتَهُمْ عَلَى دِينِكَ، فَاتْرُكْ فِي أَيْدِيهِمْ مَا خَافُوكَ عَلَيْهِ... وَسَتَعْلَمُ مَنِ الرَّابِحُ غَداً...**))[٥]. أقول: وكنيته هذه أشهر من اسمه، وكان معروفاً بها، فهو (أبو ذَرَّ)، واسمه(جُنْدُب بن جنادة الغفاري)[٦]. ولا يخفى مالِ كنية (أبي ذر) من

---

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١١، ١٢.

(٢) نفسه.

(٣) هو جُنْدُب بن جنادة الغفاري، أحد السابقين الأولين من نجباء النبي محمد (صلى الله عليه وآله).فهو العابد الزاهد القانت رابع الاسلام ورافض الأزلام، لم تكن تأخذه في الحق لومة لائم، ولا تفزعه سطوة الولاة والحكّام. كان من أصحاب الإمام علي (عليه السلام) المخلصين.ومات (بالرّبذة) التي نفي اليها. ينظر: حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصفهاني: 156/ 1، وسير أعلام النبلاء، للذهبي: 46/ 2.

(٤) الرَبَذّة – بفتح أولها وثانيها – قرية من قرى المدينة التي تبعد عنها مسافة ثلاثة أيام على طريق الحجاز.فيها موضع قبر أبي ذرٍ الغفاري الذي توفي فيها سنة(٢٣هـ).ينظر:معجم البلدان:٢ / ٢٤.

(٥) نهج البلاغة: خ / ١٣٠: ٢٣٧.

(٦) ينظر: حلية الأولياء: ١/ ١٥٦، وسِيرَ أعلام النبلاء: ٢/ ٤٦.

إيحاء ودلالة على الصَّبْر والنّزاهة وعدم الخوف في الله تبارك وتعالى، فضلاً عن الزهادة والعبادة والقنوت وصدق القول ومتابعة النبي وآله (صلولت الله عليهم جميعاً). ومن معززات هذا الضرب من الدلالة في السياق العَلَوي ذكر الإمام (عليه السلام) اسمه في تصدير كتبه إلى الولاة وغيرهم. ذاكراً كنية أبيه (أبي طالب) التي شاعت عنه بما توحيه من دلالة على المؤازرة والمعاضدة للنبي الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم) في نصرته على المشركين، فضلاً عمّا فيها من إشارة إلى الزّعامة والسيادة وعلوم الهمة والمنزلة في قريش. يقول (عليه السلام) في بعض وصاياه: ((**هذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِب أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي مَالِهِ، ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ...**))[1].

أقول: وفي قُبالة هذا التوظيف لمفردة (أَبِ) في تركيب الكُنَى، استعمل أمير المؤمنين كنية (أبي سُفْيَان) في خطاب معاوية دون أن يصرّح باسمه، وذلك في سياق كتابٍ بعثه إلى (عمرو بن العاص) يقول فيه: ((**فَإِنَّكَ جَعَلْتَ دِينَكَ تَبْعاً لِدُنْيَا امْرِىءِ ظَاهِرِ غَيُّهُ، مَهْتُوك سِتْرُهُ، يَشِينُ الْكَرِيمَ بِمَجْلِسِهِ، وَيُسَفِّهُ الْحَلِيمَ بِخِلْطَتِهِ، فَاتَّبَعْتَ أَثَرَهُ، وَطَلَبْتَ فَضْلَهُ... فَإِنْ يُمَكِّنِ اللهُ مِنْكَ وَمِنِ ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ أَجْزِكُمَا بِمَا قَدَّمْتُمَا...**))[2]. ولم يرد الإمام التصريح باسم (معاوية) في هذا السياق، واكتفى بنسبته إلى أبيه (أبي سفيان)، دلالة على أنّه أخذ مكانته وخصاله من أبيه أبي سفيان الطّلِيْق يوم فتح مكة. وليس بخافٍ ما في أبي سفيان من خصال صار بها في طليعة أعداء الإسلام والنبي في بدء الدعوة الإسلامية. ومن دلالة لفظة (أب) وصيغها الأخرى على الأبّوة التي بمعنى (الوالد) ما جاء في (خ/ ٢٧ ٢، ٩٧، ٣٤، ١٢٣، ١٧٢، ٥، ١٦٤، ١٨٧، ٢٣٥، ٤٢، ك / ١٨، ٣٩، ٤٤، ١٧، ٣٥، ٧١، ٤٣).

(١) نهج البلاغة: ك/ ٢٤: ٤٨٠.

(٢) نفسه: ك/ ٣٩: ٥٢٢.

ثانياً: الدلالة على الأجداد.

ويسمّيهم الإمام (الآباء)، وذلك إشارة إلى أنهم من أصلابهم. يقول (عليه السلام) في سياق تذكيره بسير الناس على هدي آبائهم: ((**أَوَلَسْتُمْ أَبْنَاءَ الْقَوْمِ وَالاباءَ، وَإِخْوَانَهُمْ وَالأَقْرِبَاءَ؟ تَحْتَذُونَ أَمْثِلَتَهُمْ... وَتَرْكَبُونَ قِدَّتَهُمْ**[١]... **فَالْقُلُوبُ قَاسِيَةٌ عَنْ حَظِّهَا، لاَهِيَةٌ عَنْ رُشْدِهَا، سَالِكَةٌ فِي غَيْرِ مِضْمارِهَا...**))[٢]. وسياق التقرير بالاستفهام إشارة - هنا- إلى أنّ هؤلاء القوم هم أبناء مَن وصف الإمام حالهم وحال آبائهم الذين أصابهم الموت وفعل بهم ما فعل[٣]. فالإمام يصِف قبل هذا النص حال المَوْتى وما يجري عليهم بقوله: ((...**فَهَلْ دَفَعَتِ الأَقَارِبُ، أَوْ نَفَعَتِ النَّوَاحِبُ**[٤] **وَقَدْ غُودِرَ فِي مَحَلَّةِ الْأَمْوَاتِ رَهِيناً**[٥]، **وَفِي ضِيقِ الْمَضْجَعِ وَحِيداً...**))[٦]. مذكراً الناس بأنّهم أَبناء القَوم الذين وصف حالهم أو إخوتهم[٧]، وهذا الوجه تنبيه منه للسَّامعين على أخذ العِبرة من حال الماضين بالموت، فلابد أن يكوون الناس جميعاً أمثالاً لهؤلاء في الأحوال كلها[٨]. ومن دلالة (الأب) على الآباء الماضين والأجداد ما ورد في (خ/ ١، ٥٦، ٨٩، ٩٩، ١٠٦، ١٢٢، ١٩٢، ٢٠٣، ٢٢١، ك/ ٣١، قصا / ١٣١ / ٣٨٩).

---

(١) القِدَّةُ الطريقة من الناس. ينظر: لسان العرب (قدد): ٣/ ٣٤٤.

(٢) نهج البلاغة: خ / ٨٣: ١٢٩.

(٣) ينظر: الديباج الوضي: ٢/ ٥٩٥.

(٤) النَّحيْب رفعُ الصَوْت بالبُكاء. والنواحِب البواكي. وقد نقل ابن منظور كلام الإمام (عليه السلام) الذي وردت فيه هذه المفردة، وأوضح دلالتها عنده. ينظر: لسان العرب (نحب): 750 /1.

(٥) الرَّهينُ المحبوس: وكل شيء رهنته، فقد حبسته. ينظر: لسان العرب (رهن): ١٣/ ١٨٩.

(٦) نهج البلاغة: خ/ ١٢٨:٨٣.

(٧) ينظر: الديباج الوضي: ٢/ ٥٩٥.

(٨) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٣٨٦، ٣٨٧.

ثالثاً: الدلالة على نَفْي الكافي أو المُربّي:

وهو في هذا السياق بمنزلة (الأب)، وكثيراً ما استعمل الإمام هذه الدلالة في سياق الدعاء. ومن ذلك قوله مخاطباً أصحابه، مُستنهضاً هممهم، بعدما غزا أصحاب معاوية بعض المدائن التي تحت حكم الإمام (عليه السلام) ((**مُنِيتُ**[١] **بِمَنْ لَا يُطِيعُ إِذَا أَمَرْتُ وَلا يُجِيبُ إِذَا دَعَوْتُ، لاَ أَبَا لَكُمْ! مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ رَبَّكُمْ؟ أَمَا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ...**))[٢]. والتعبير بـ(لا أباكم) مركب من (لا) التي لنفي الجِنس واسمها، وهو كلمة (أبّ)، وخبرها مضمر إضمار (المكان)[٣]، الذين يرون أنّه تُرِك استخفافاً به واستغناء عنه[٤]. وأصله (لَا أبَ لَكَ)؛ لأنّ (لا) لا تعمل إلا في النّكرات[٥]. وإنّ إضافة الألف إلى كلمة (أب) لتصير (لا أبا لك)، يؤْذِن عندهم بالإضافة والتعريف والتّنْكير، وهذان الأمران متناقضان متدافعان كما يظهر[٦].

وقد ذهب النحاة مذاهب متعددة لتأويل هذا التناقض في التركيب، فذكروا - مثلاً - أنّهم قصدوا بنصب هذا المضاف المعرّف، وهو لفظة (أب) بـ(لا) من غير تكريرها تخفيفاً، لأن حقّ المعارف المنفية بـ(لا) الرفع مع تكرير (لا)، ففصلوا بين المتضايفين لفظاً حتى يصير المضاف بهذا الفصل، كأنه ليس بمضاف، فلا يستنكر عند ذلك نصبه[٧]. وهذا التوجيه يحمل نوعاً من التّعسّف،ولهذا يبدو

---

(١) مُنِيتُ، من المَنِيَّة، وهي الموتُ، ومُنِيْتُ. أي: أبْتُلِيْتُ. ينظر: لسان العرب (مني): ١٥/ ٢٩٢، ٢٩٤.

(٢) نهج البلاغة: خ / ٣٩: ٨١، ٨٢.

(٣) يقصدون بذلك أن تقدير الخبر هو (لا أباك مكان كذا موجود). ينظر الأصول في النحو: ١/ ٤٠٢.

(٤) ينظر: الأصول في النحو: ١/ ٤٠٢.

(٥) ينظر شرح الرضي على الكافية: ٢/ ١٥٤.

(٦) نفسه.

(٧) نفسه.

أنّ اعتبار هذا التعبير كلام جرى مجرى المَثَل يؤدي إلى التخلص منهذا الإشكال. وقد تكرر في كلام ابن منظور أنهم ركبوا هذا التعبير وجعلوه كالشيء الواحد[١]. وذكر بعض من اللغويين أنّ استعمال التركيب المتقدم لا يعني نَفي (الأب) في الحقيقة، فهو تعبير خرج مخرج الدّعاء تقديره: أنّك عندي ممَّن يستحِقّ أن يُدعى عليه بِفقد أبِيه[٢].

وقد روي عن الخليل أنه قال: إن (لا أبالك) تعني: لا كافي لك[٣]. أقول: وقد جاء هذا التعبير في نهج البلاغة غير مرة في سياق اللّوم والتَّقريع الذّم وربّما ورد في سياقات المدح أيضاً كما يذكر الجوهري[٤]. ومن ذلك قوله (عليه السلام) في سياق ذَمَّ الرّاضيْن بالتَّحْكيم.((**وَقَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ هذِهِ الْحُكُومَةِ فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُنابذين[٥]، حَتَّى صَرَفْتُ رَأْيِي إلى هَوَاكُمْ، وَأَنْتُمْ مَعَاشِرُ[٦] أَخِفَّاءُ الْهَامِ[٧]، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ[٨]، وَلَمْ آتِ ـ لَا أَبَا لَكُمْ ـ بُجْراً[٩]، وَلَا أَرَدْتُ**

(١) ينظر: لسان العرب (ويل): ١١/ ٧٣٧.

(٢) ينظر: الخصائص: ١/ ٣٤٣، ٣٤٤.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (أبي): ٥/ ٢٥٤.

(٤) ينظر: الصحاح (أبا): ١/ ٣.

(٥) النَّبْذُ الطّرْحُ.ونَبَذ الشيء القاؤه، والمنابذة المقاتلة. ينظر لسان العرب (نبذ): ٣/ ٥١١، وتاج العروس (نبذ): ٩/ ٤٨٢.

(٦) المَعْشر هو الذي صارت إبله عِشاراً، والمعَاشِر أيضاً القريب والصَّدِيقُ. ينظر: لسان العرب (عشر): ٤/ ٥٧٤.

(٧) الخِفة ضد الثقل، ويكون في الجسم والعقل، والهَامَةُ والهامَ الرأس. والمراد – هنا– النص على خِفّة العقل ومِلّته. ينظر: لسان العرب (خفف): ٩/ ٧٩، (وهوم): ١٢/ ٦٢٤.

(٨) السَّفَاهَةُ خِفَّةُ الحلْم، وأصلها الخِفّة والحركة، والجهل، والحِلْم – بالكسر – هو الأناةُ والعَقْل. ينظر: لسان العرب (سفه): ١٣/ ٤٩٧. و (حلم): ١٢/ ١٤٦.

(٩) البُجر–بالضم– الشرّ والأمر العظيم.ينظر:تاج العروس (بجر):١٠/ ١٠٦.

لَكُمْ ضُرًّا))(١). وقد استعمل الإمام تعبير (لا أبالكم) دعاء على هؤلاء القوم على سبيل ذَمِّهم ؛ لأنَّ نفي الأَبِ، وعَدَمِ الإلْحاقِ به يَسْتَلْزِمُ العَارَ والسُّبَّةَ(٢). ولمّا كان النصُّ يتجه نحو تقريع المخاطبين وذَمِّهم، فإن قوله (عليه السلام) (لا أبالكم) يتناسب مع الدعاء بأن لا يكون لهؤلاء أب يُعِزّهم، ويَشدّ ظهورهم، فضلاً عن أنّ نفيه يَستلزم نفي العَشيرة والنّسب أيضاً، فكأنه دَعا عليهم بالذُّلّ وعدم النّاصر كما يذكر الشُّرَّاح(٣). أقول: وقد تكرر التعبير نفسه - أعني قوله (لم آتِ - لا أباكم - بُجْراً) -في (خ / ١٢٧). في حين وجاء قوله (لا أبالكم) في (خ / ٣٩) بالدلالة المتقدمة نفسها.

وثَمَّة استعمال آخر للإمام، وهو (لاَ أَبَا لِغَيْرِكُمْ أو لِغيْرِك) بدلاً من (لا أبا لكم) جاعلاً كلمة(غَيْركم) بدلاً من (لكم). وقد ورد هذا التعبير في موضعين من نهج البلاغة، كلاهما سياق تقريع ولوم ومن خلال النص يَتَبيّن المعنى الذي يقول فيه الإمام في ذَمَّ العَاصِيْنَ من أَصْحَابِه: **((أَحْمَدُ اللهَ عَلَى مَا قَضَى مِنْ أَمْر، وَقَدَّرَ مِنْ فِعْل، وَعَلَى ابْتِلاَئِي بِكُم أَيَّتُهَا الْفِرْقَةُ الَّتِي إذَا أَمَرْتُ لَمْ تُطِعْ، وَإذَا دَعَوْتُ لَمْ تُجِبْ... وَإنِ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى إمَام طَعَنْتُمْ... لاَ أَبَا لِغَيْرِكُمْ ! مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ وَالْجِهَادِ عَلَى حَقِّكُمْ؟ الْمَوْتَ أَوِ الذُّلَّ لَكُمْ...))**(٤). والتعبير في هذا النص مخالف لما استعمله أمير المؤمنين في السياقين السابقين، فالدعاء بِنفي الأب - هنا - هو لغير العَارِضِيْن من أصحابه، مع أنّ السياق سياق ذم وتقريع، فإنّه (عليه السلام) مع ضجره

---

(١) نهج البلاغة: خ/ ٣٦: ٧٩،٨٠.وقد نقلت المدونات المعجمية كلام الإمام (لم آتِ - لا أبا لكم - بُجْرا). ومنها: لسان العرب (بجر): ٤/ ٤١، وتاج العروس (بجر)::١٠/ ١٠٦.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٢٨٧.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٢٨٧، والديباج الوضي: ١/ ٤١٢.

(٤) نهج البلاغة: خ / ١٨٠: ٣٢٥،٣٢٤.

منهم، ومقته لمواقفهم وابتلائه بهم، قصد نفي الأبِ عن غيرهم، دعاء بالذلّ على غيرهم، تلطُّفاً بهم[1]، ورعايةً لحالهم ؛ لأنّ المعروف في التقريع هو استعمال (لا أبا لكم) دعاء بفقد الأب[2]. ولكنه تلطَّف بهم فوجَّهَ الدُّعاء و الذَّم لِغيرهم[3]. وقد ذهب بعض الشُّرَّاح إلى أنّ قوله (لاَ أبا لِغيْرِكم) تدل على المَدْحِ في سياق الذَّم، فإنّه لمّا شَرع بلوم أصحابه وذمّهم، خاطبهم بقوله: (لا أبا لِغيْرِكم) مدحاً لغيرهم[4]، تَعْريضاً بهم، في كونهم لا كافيَ لهم ولا أصل. في حين أنّ غيرهم لا أبَ لهم يُورِثهم عاراً وخِزياً، وهم ينفردون بهذا عن غيرهم[5]. أقول: ومع احتمال هذا المعنى، فلا يمكن الجمع بينه وبين دلالة التَلَطُّف بهؤلاء القوم التي ذهب اليها بعض الشّراح، لنخرج بمعنى جامع يُظهر رأفة الإمام بهذه الفِرْقة من أصحابه، ومدحه لغيرهم الذين انمازوا عنهم بطاعتهم أمرائهم ورغبتهم فيهم، ولا أَظنّ أنّ الإمام يتلطّف بهذه الجماعة التي يَذمّها أشدَّ الذَّم إلى حدّ أنّه دعا عليهم بالموت و الذُّلّ. في حين أنّ أصحاب معاوية يتبعونه ويطيعونه طاعة عمياء. أقول: إن تعبير الإمام (لا أبا لغيركم) يوحي بدلالة الذَّم الذي يشبِه المدح لهؤلاء الذين يعملون بإمرة معاوية وأتباعه، مُتَّخذاً من قضية اتباعهم له مجالاً للثناء على طاعتهم وكفايتهم له بأنفسهم دون عناء منه، مقارنة بما يبذله أمير المؤمنين (عليه السلام) من جهد مع أصحابه، ولكنهم مع ذلك كلّه يعصونه ما أمرهم ويطيعون أنفسهم.وثمة موضع آخر ورد فيه التعبير نفيه في (ك / ٤١) وبالدلالة المتقدمة نفسها.

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٧٠٧.

(٢) ينظر: نهج البلاغة (محمد أبو الفضل ابراهيم): ١ / ٤٢٦.هامش (٥).

(٣) ينظر: نهج البلاغة (عبده): ٢/ ٢٨٦ هامش (١)، ونهج البلاغة (صبحي): ٣٢٥. هامش (١).

(٤) ينظر: الديباج الوضي: ٣/ ١٤٥٨.

(٥) ينظر: معارج نهج البلاغة: ١/ ٣١٧.

ثالثاً: الدلالة على الكُنية المَذْمُومَة.

ويجيء الإمام بالكُنية – هنا– للدلالة على ذّم المكنّى بها. وإنزاله منزلة المُحتقِر بكنيته هذه. وقد وردت في كلامه (عليه السلام) كُنْيَتان ؛ هما:

١– أبو الأَكْبُشِ الأرْبَعة:

وجاءت هذه الكُنْية في سياق ذمّه (مروانَ بن الحَكَم)، بعدما أخذ أَسِيراً يوم الجمل، واسْتشفع الإمامان الحَسن والحسين (عليهما السلام) له عند الإمام، فخلى سَبِيْله. وقد ذكر عنده أن يبايعه مروان[١]، فقال: ((**أَفَلَمْ يُبَايِعْنِي بَعْدَ قَتْلِ عُثْمانَ؟. لَا حَاجَةَ لِي فِي بَيْعَتِهِ! إِنَّهَا كَفٌّ يَهُودِيَّةٌ، لَوْ بَايَعَنِي بِيَدِهِ لَغَدَرَ بِسُبَّتِه. أَمَا إِنَّ لَهُ إِمْرَةً كَلَعْقَةِ الْكَلْبِ أَنْفَهُ، وَهُوَ أَبُو الأَكْبُشِ الأَرْبَعَةِ، وَسَتَلْقَى الأُمَّة مِنْهُ وَمِنْ وَلَدِهِ يَوْماً أَحْمَرَ**))[٢].

ويذكر الإمام في هذا النص خصالاً متعددة لـ(مروان بن الحكم) معلناً عدم الحاجة إلى بيعته ؛ لأنّ له كفاً يهوديّة. فكنّى بهذا التعبير عن صفة الغدر فيه. ناسباً كفه إلى اليهود المعروفون بالغْدرِ والخُبْث[٣]، مناسبة لما يحمله هذا الرجل من خصال الغدر والدهاء والمكر والخديعة. وناسب الإمام بين صفات اليهود وصفات(مروان بن الحكم) من خلال مفردة (سُبَّتِه)، وهي في اللغة الأست[٤]. فاستعملها (عليه السلام) إهانةً له وغِلْظة عليه ؛لأنّه لّما اشتهر بالغدر المعدود من أقْبَح الرذائل، نسَب ذلك إلى السُّبَّة، بوصفها الموضع الذي تخرج منه القذارة في الإنسان، مورداً هذا الوصف للإشارة إلى كون(مروان) منشأ للغدر والأخلاق الرذيلة، ولّما كان

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٦/ ١١٧، ومصادر نهج البلاغة وأسانيده: ٢/ ٧٢.

(٢) نهج البلاغة: خ / ٧٣: ١١٣.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٦ / ١١٧، وشرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٣٥٥.

(٤) ينظر: تاج العروس (سبب): ٣/ ٣٥.

(الأست) مما يحرص الإنسان على إخفائه وسَتره، لهذا وظّفه الإمام في كناية عن صفة الغدر الخفي[١]. وقد ذكر الشارح ابن أبي الحديد أنّ كلام الإمام يمكن أنْ يُحْمل على الحقيقة لا المجاز؛ لأنَّ الغادِر من العرب كان إذا عزم على الغَدْر بعد عهد عاهده، حَبَق[٢]، استهزاءً بما كان قد أظهره من العهد سخرية وتهكُّماً[٣]. وأمّا قوله (عليه السلام): ((كَلَعْقَةِ الْكَلْبِ أَنْفَهُ))، فقد أراد بها قَصِر مُدَّة حَكَم مروان بن الحكم[٤]؛ فشبهها بلعقة الكلب لأنْفِه؛ وإنما خَصّه بِلَعقة الكَلب؛ مناسبة لسياق الذَمّ[٥]، فضلًا عمّا في لعقة الكلب من قذر ولعاب تشمئز منه النّفس وتضرب عنه صفحاً، في إشارة إلى ما حملته مدة حكم مروان على قصرها من قتل وإيذاءٍ للناس، فجاء استعمال هذا التعبير في وصف إمارته التي دامت أربعة أشهر حسبما يذكر المؤرخون[٦]، فإنه بويع بالشّام سنة (٦٤ هـ) وهلك سنة (٦٥هـ)[٧]. وقيل إنه حكم تسعة أشهرٍ[٨]. وأمّا أنّه (عليه السلام) كنّاه بـ(أبي الأَكْبُشِ الأَرْبَعَةَ)، فقد ذهب الشُرَّاح إلى أنّ المُراد بهؤلاء الأكبُش مذهبين، فمنهم من يرى أن الإمام أراد بهم أولاد مروان لصُلبه، وهم (عبد الملك الذي ولي الخلافة بعده، وعبد العزيز الذي

(١) ينظر: نهج البلاغة(عبده):١/ ١١٢، هامش(٣)، ونهج البلاغة (صبحي):١١٣، هامش(٣).

(٢) الحَبْقُ ضِرَاطُ المِعْز والإبل، وقد يستعمل في الدلالة على ما يصدر من الناس من اصوات تخرج من الأسْتِ كما يذكر اللغويون. ينظر: العين (حبق): ٣/ ٥٥، والمحكم (حبق) ٣/ ٢٢.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٦/ ١١٨.

(٤) نفسه.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٣٥٥.

(٦) ينظر: مروج الذهب، للمسعودي: ٢/ ٢٠٦.

(٧) ينظر: مروج الذهب: ١/ ٣٨٦، والكامل في التاريخ، لابن الأثير: ٢/ ٢٠٠

(٨) نفسهما.

وَلي مِصر، ومحمّد الذي ولي الجزيرة، وبِشْر، أو (الحَكَمُ) الذي وَلي العراق)[١]. و جوّز فريق آخر من الشُرَّاح أنْ يكون مُراده (عليه السلام) من تعبير (الأكبش الأرْبَعة) أحفاد(مروان بن الحكم)، وهم بَنُو وَلَدِهِ عبد الملك (الوَليْدُ، وسُلَيْمان، ويَزِيد، وهشام)، فإنه لَمْ يَلِ الخلافَةَ من بني أميَّة ولا من غيرهم أربعة إخوة إلاّ هم[٢]، فعلى الوجه الأول، تكون كلمة (أبو) دالة على الأب بمعنى الوالد و أبو الأبناء، في حين أنّ الأخذ بالمذهب الثاني، يؤدي إلى تغيير دلالة مفردة (أبو) من (ألاب - الوالد) إلى (الجَدّ)، وهو أبو الآباء. ولهذا فإنني أمِيْل إلى الأخذ بدلالة لفظة (أبو) على (الأب بمعنى الوالد)، وترجيح المذهب الأول الذي رَكَن اليه ابن أبي الحديد، والعّلامة البحراني، وأبو الحسين يحيى بن حمزة الحسيني[٣]. فهو أولى الوجوه كما يذكر الشارح ابن أبي الحديد[٤]. فظاهر التعبير يوحي أن المراد من مفردة (أبو) الأبّوة الحقيقية، وليست الأبْوّة التي تشمل أبّوة أبناء الأبناء، ولهذا يكون االمقصود بـ(الأكبش الأربعة) أولاد مروان لِصُلْبه، لا أنّهم أولاد ابنه عبد الملك. ولعلنا يمكن أن نستعين بالدلالة اللغوية لمفردة (الأكْبش) لمعرفة انسجامها مع سياق النص، فالكَبْش - في اللغة- فَحْل الضَّأن[٥]. ومن المجاز قولهم:(كَبْش

---

(١) ينظر: معارج نهج البلاغة: ١/ ٣٥٦، وشرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٦/ ١١٨ وشرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٣٥٦، والديباج الوضي: ٢/ ٥٤٤.

(٢) ينظر شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٦/ ١١٨. وشرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٣٥٦. ومصادر نهج البلاغة وأسانيده: ٢/ ٧٤.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٦/ ١١٨، وشرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٣٥٦، والديباج الوضي: ٢/ ٥٤٤.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٦/ ١١٨.

(٥) ينظر: المحكم (كبش): ٦/ ٦٩١.

القَـوم)، وهـو رَئيسـهم و سـيّدهم[١]. أو حامِتُهـم والمنظـور إليـه فيهـم[٢]. وقـد فَهِـم بعض الـشُرَّاح مـن مفـردة (الأكْبش) الدلالـة على (الأمَراءِ)[٣]. في حين جنح ابـن أبي الحديـد إلى دلالتهـا عـلى الأبطـال الأنْجَـاد[٤].

وبحسـب هـذا الوجـه يكـون الإمـام أراد بذكـر تعبير (الأكبـش الأربعـة) مـدح هـؤلاء والثناء عليهـم بوصفهـم أمـراء وأبطـالاً أنجـاداً، أو رؤسـاء وسـادة حسـبما ورد في المدونـات المعجميّـة. ولكـنّ هـذه الـدلالات لايمكـن الأخـذ بهـا، وهـي وإن قُبِلَـت، فعلى ضَعفٍ وتَأْويـل ؛ لعـدم استقامتها مـع سياق الـذمَّ والتقريـع الـذي يتحـدث فيـه الإمـام عـن والـد هـؤلاء (الأكْبُش الأربعـة)، ويصفـه بـأنّ لـه كفّـاً يهوديـة وغـدراً خفيّاً، وأنّ الأمّـة سَـتَلْقى منـه ومـن أولاده يومـاً أحْمـر، إشـارة إلى مـا سَـيُلحِقُونه بهـا مـن قَتْـلٍ وإهـلاكٍ للحـرث والنّسْـل هـذا أولاً. وثانيـاً إننـا يمكـن أن نفهـم مـن تعبـيره (عليه السلام) المتقـدم دلالات أخـرى غـير مـا ذهـب اليـه الـشُرَّاح، فـ(الأكْبُش) جمـع بـوزن (أَفْعُـل)، وهـو مـن أبنيـة جمـوع القِّلـة[٥]. وهـو يوحـي بالدلالـة عـلى قِلّـة شـأن هـؤلاء الأربعـة، وليـس قلّـة عددهـم فحسـب،وهم في ذلـك كأولاد فَحـل الضَّـأن الموصوفـون باللّـين واسـترخاء البطـن والضعـف، تشـبيهاً لهـم بأمّهـم الضّأنـة مـن النّعـاج[٦]. فإننـا نَلْمَـسُ في (الكبْـش) دلالـة عـلى صِغـر العمـر وحداثيتـهِ. فالمعجميـون يذكـرون أنّ (الحَمَـل)

(١) ينظر: تاج العروس (كبش): ١٧/ ٣٤٥.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: معارج نهج البلاغة: ١/ ٣٥٦.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٦/ ١١٨.

(٥) ينظر:معاني الأبنية: ١٣٥.

(٦) ينظر تاج العروس (ضأن):٣٥/ ٣٢١.

إذا أثْنى، أو أرْبعَ. أي خرجت رُباعَّيته. صار كبَشاً[١]. ولعله (عليه السلام) أراد أنهّم لّما يزالون في مُقْتبَل عُمرِهم، ولا يخفى أنّ هذه المرحلة من العُمْر تكون مَشوبة بالنّزق والطيش وعدم الاتزانِ، فضلاً عن عدم النّضج العقلي.

ويجوز في التعبير المتقدم وجه آخر، هو احتماله دلالة (التَّهَكُّم)، فكأنّ الإمام يريد القول أنّ مروان وأبناءه وأحفاده، ما هم إلاّ قَادَة لا تباعهم وأصحابهم ومن سار في ركبهم إلى النار؛ لأنهم سَيُذيقون الأُمَّة أيّاماً حمراء بائسة مجدبة مملوءة بالظّلم والطّغيان، فهم سَادَة القَوم ورؤساؤهم في هذا السبيل، وهم حُمَاة أصْحابهم ومَنَعَتُهم من الدخول إلى الجنَّة. وهم في كُلّ ذلك أبطالٌ أنجادٌ لا ينازعهم أحدٌ في هذه الأمور.

٢- أبا وَذَحة.

استعمل الإمام هذه الكُنْية إيماء منه إلى (الحَجَّاج بن يوسف الثقفي)[٢]، حسبما يذكر السَّيَّد الشريف الرضي[٣]. وجاءت الكنية المتقدمة في سياق إخباره عن تسلّط (غُلاَم ثَقِيف) على أهل العراق: ((**أَمَا وَاللهِ، لَيُسَلَّطَنَّ عَلَيْكُمْ غُلاَمُ ثَقِيف**

(١) نفسه: (كبش): ١٧/ ٣٤٥.

(٢) هو الحَجّاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود الثقفي أمير العراق. ولد سنة (٤٠هـ، أو ٤١هـ) وكان فصيحاً بليغاً فاسقاً ظلوماً سافكاً للدماء، اتصل بعبد الملك بن مروان بعدما كان شرطياً عند بعض عمّاله، وأعجب به وولاه. وصار والغاً في دماء الناس، لا يَصْبر عن سَفكها، حتى رووا أنه كان يُخبْر عن نفسه بأنّ ذلك أكبر لذّاته. ينظر: سِمط النجوم العوالي في أبناء الأوائل والتوالي، لعبد الملك بن حسين الشافعي المكي: ٣/ ٢٩٥، والتحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، لشمس الدين السخاوي: ١/ ٢٦٥.

(٣) ينظر: نهج البلاغة: ٢١٩.

الذَّيَّـالُ[١] **المَيَّـالُ**[٢]**، يَـأْكُلُ خَضِرَتَكُـمْ**[٣]**، وَيُذِيـبُ شَـحْمَتَكُمْ، إِيـه أَبَـا وَذَحَـةَ**[٤]**))**[٥].

ويحتفل النص بأوصاف ذَمِيمة لـ(غُلام ثقيف) من صفتي التَّبختر والاستعلاء إلى الميل والذيل الشديدين، وهي من أوصاف المتكبرَّين. فقد كان هذا الرّجل مُتبَختراً ميّالاً يُكثر من التَّمايل كبراً[٦]. وقيل بل أوصافه هذه تدل على غير الخيّلاء والتّكبرّ، فالذَّيّال التَّائه، والمَيَّالُ الظَّالم[٧]. فكأنما المعنى: أنه يَتِيهُ في ظُلْمه دون أي شيء يُصده أو يَمنعه. وكنّى (عليه السلام) بلفظ (خَضِرَتكُم)، عن الأموال وحُسن الأحوال وما هم عليه من الأُبَّهة وسلامة النفوس[٨]. واستعار لفظة (يأكل)[٩]، للدلالة على زوال هذه النِّعم التي كانوا فيها قبل تَسَلطه عليهم. فصار ثَمّة تناسب من قبيل التّضاد

(١) الذّيْل آخر كل شيء، والذَّيّال من الخَيْل المتبْختر في مِشْيته. كأنه يَسْحب ذَيْل ذنبه. وذال الرَّجل، إذا تَبَخْتر. ينظر: لسان العرب (ذَيل): ١١/ ٢٦٠.

(٢) المَيْل العُدُول الى الشيء والإقبال عليه. ينظر: لسان العرب (ميل): ١١/ ٦٣٦.

(٣) نقلت المدونات اللغوية قول الإمام المتقدم برواية أخرى نصّها: ((اللهم سَلّط عَلُيهم فَتَى ثَقْيفٍ الذَّيَّال المَيّال، يَلْبسُ فَرْوتها ويأكلُ خَضرتها)). ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٢/ ٤١، ولسان العرب (خضر):: ٤/ ٢٤٤، و (وذح): ٢/ ٦٣٢. وقد نقل الأزهري رواية أخرى لقول أمير المؤمنين (عليه السلام). وذلك برواية (الدَّيَّان المَنَّان)، بدلاً من (الّذيال الميّال). ينظر: تهذيب اللغة (خضر): 49/ 7، ومصادر نهج البلاغة وأسانيده: 259/ 2، وفيه (الذّيال المنان) منقولة عن (التهذيب). في حين أنّ رواية التهذيب هي (الدّيان). بالنون والذال المهملة.

(٤) الوذْح ما تعلّق بأصواف الغنَم من البَعر والبَوْل والقَذَر. والوَذَحةُ الخُنْفُساء من الوَذَحِ، وهو ما يتعلّق بألْية الشّاه من البَعَر، فَيَجفّ. ينظر: لسان العرب (وذح): ٢/ ٦٣٢.

(٥) نهج البلاغة: خ / ١١٦: ٢١٩.

(٦) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٥٤٩، ومع نهج البلاغة: ١٦٩.

(٧) ينظر: شرح نهج البلاغة (أبن أبي الحديد): ٧/ ٥١٧.

(٨) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٥٤٩.

(٩) نفسه.

بـين مفردة(يـأكل) و(خَضَرتكـم)، التـي تفيـد الدلالـة عـلى النَّعمـة[١]. فـالأكل- في اللغـة- الإطعـام، وهـو يـدل عـلى النقـص في الوقـت نفسـه[٢]، فكأنـه يطعـم نفسـه مـن رفـه عيشـهم وغضاضتـه، ويُنقْص مـا عندهـم مـن خـير. وفسّر اللغويـون قـول الإمام:(يـأكلُ خِضرَتهـا) بأنّـه يـأكل هَنيِئهـا، وغَضَّهـا وناعِمهـا[٣]. مـن لـوازم الحيـاة ومَعْيشتها. أمّا قوله (يُذيب شَحْمتكُم)، فإنها استعارة لِثرائهم وقوَّتهم[٤]، ووصفه بالإذابة، للدلالة على إفنائهم بالقتل والإهانة[٥].وتبدو هذه الدلالة أليق بالسَّياق ؛ فإذابـة الـشيء تعنـي تَغيـيره[٦]، وإحالتـه إلى شيء يخـر غـير مـا كان عليـه سـابقاً. وهـذا يستلزم الانهـاك، وربـما كالأذى أيضـاً. وقولـه (عليه السلام) (أبـا وَذَحـة)، فقـد تقـدّم أنّ (الـوَذَح) في اللغـة هـو مـا تَعلّـق بأصـواف الغَنـم مـن البَعـر أو البَـول والقَـذر[٧]. وقيـل هـو مـا تعلّـق بألْيَـة الكَبْـش مـن هـذا القَـذَر[٨]. وقـد فَسَرَّ الشريـف الـرضي لفظة (الوَذَحة) في النَّص بـ(الخُنُسَاء)[٩]. وهي كُنيتة أومأ بها (عليه السلام) إلى الحجّاج[١٠]. وأنكـر ابـن أبي الحديـد مـا نقلـه السـيد الشريـف الـرَّضي، (رحمـه الله) ذاكـراً أنّـه لم يجد

(١) ينظر: لسان العرب (خضر): ٤/ ٢٤٤.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة (أكل): ١/ ١٢٢.

(٣) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٢/ ٤١، ولسان العرب (خضر): ٤/ ٢٤٤.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٥٤٩.

(٥) نفسه.

(٦) ينظر: لسان العرب (ذوب): ١/ ٣٩٦.

(٧) ينظر: تهذيب اللغة (وذح): ٥/ ١٣٥، ولسان العرب (وذح): ٢/ ٦٣٢.

(٨) نفسه.

(٩) نهج البلاغة: خ / ١١٦: ٢١٩.

(١٠) نفسه.

ذلك في كتاب من كتب اللغة، ولم يسمع به من شيوخ الأَدَب وأهله[١]. فَأمّا أنّه لم يجد في كتب اللغة مثل هذه الدلالة، فذلك صحيح نسبياً، فإنّ المدونات الأولى لم تذكر هذا المعنى، فـ(الخليل، والأزهري، وابن دريد، وابن فارس، والفيروزآبادي، والمُطّرزي) لم يذكروا في مُصَنَّفاتهم أنّ الوَذَحة هي الخُنْفُساء[٢].

أقول: وأمّا المدونات المعجميّة التي ذكرت الدلالة المتقدمة، فكثيرة أيضاً، ولكنها صُنِّفَت بعد وفاة ابن أبي الحديد، ومنها مُعْجَمي ابن منظور، والزَّبيدي[٣]. ومما يؤيد ذلك ما استدركه الزَّبيدي في مادة (وذح)، إذ يقول: ((**ومما يُسْتَدْرك عليه، الوَذَحةُ الخُنْفُساء من الوَذَح، وهو ما يتعلّق بِألْيَة الشّاةِ من البَعر فيجفّ...**))[٤]. وهذا الاستدراك يدل على إغفال المعاجم لهذا المعنى، أو عدم تنبّه أصحابها إلى الدلالة السالفة الذكر. أمّا كتب الغريب، فقد أوردت الدلالة المتقدمة، فقد ذكرها الخَطّابي (ت ٣٨٨هـ)[٥]، والزمخشري (ت ٥٣٨هـ)[٦]، وابن الأثير الجزري (ت ٦٠٦هـ)[٧]، فضلًا عن شرّاح عِدّة لنهج البلاغة، وفي صدارتهم البيهقي الأنصاري (ت ٥٦٥هـ)[٨] وهو من المعاصرين -فيما يبدو- لابن أبي الحديد.

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (أبن أبي الحديد): ٧/ ٢١٨.

(٢) ينظر: العين (وذح): ٣/ ٢٨٥، وتهذيب اللغة (وذح): ٥/ ١٣٥، وجمهرة اللغة (وذح): ١/ ٥١٠، ومقاييس اللغة (وذح): ٦/ ٩٩. والقاموس المحيط (وذح): ١/ ٣١٥، والمغرب في ترتيب المعرّب: ٢/ ٣٤٨.

(٣) ينظر: لسان العرب (وذح): ٢/ ٦٣٢، وتاج العروس (وذح): ٧/ ٢٠٧.

(٤) تاج العروس (وذح): ٧/ ٢٠٧.

(٥) ينظر: غريب الحديث (الخطأبي): ٣/ ١٧٢.

(٦) ينظر: الفائق: ٤/ ٥٣.

(٧) نفسه: ٥/ ١٦٩.

(٨) ينظر: معارج نهج البلاغة: ١/ ٤٧٣.

أقـول: ورود هـذه الدلالـة عنـد شُرَّاح نهجـه (عليه السلام) يـدل عـلى وجودهـا في المدونـات اللغويـة التـي عـاصرت ابـن أبي الحديـد أو سبقته، ولعلـه لم يطّلـع عـلى هـذه المدونـات. وأقـول في هـذه الكُنْيـة ودلالتهـا ؛ فَمذهـب ابـن أبي الحديـد أنّ الإمـام (عليه السلام) إنّـما كنّـاهُ بذلـك عـلى عـادة العـرب إذا أرادت تعظيـم الإنسـان، كَنَّتـه بـما هـو مَظَنَّـة التعظيـم، فيقولـون:(أبـو المِقْدام، وأبـو المغْوار)، فـإن أرادت تحقيره والغَـضّ منه، كنَّته بـما يُستحقر ويُستهان بـه[1]. ((**فلّما كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يعلم من حال الحَجَّاج نجاسته بالمعَاصي والذنوب، حَتى لو شُوْهِدت بالبَصَر ؛ لكانت بمنزلة البَعر المُلْتَصق بِشَعر الشَّاء، كنّاهُ (أبو وَذَحة). ويمكن - أيضاً - أن يُكنَّيه بذلك لِدمامته في نفسه، وحقارة منظره، وتَشويه خِلقته، فإنّه كانَ قَصيراً دَمَيماً نحيْفاً أخْفَش العينين، مِعْوجُّ السَّاقيْن، مجْدور الوَجْهِ... فكنَّاه بأحْقر الأشياء، وهو البَعَرة**))[2].

أقـول: لمّـا كانـت دلالـة (الوذحَـة) في اللغـة عـلى الخُنْفُسـاء أو كنيتهـا، مرفوضـة عنـد ابـن أبي الحديـد، فلهـذا رَجّـح أن تكـون دلالتهـا عـلى البَعـر والقـذَر الـذي يلتصـق بألْيـةِ الشـاة. وأزيـد عـلى ذلـك بأنّهـا تـدل عـلى حَقَـارة هـذا الشـخص وسـوء شـخصه، وممـا يـدل عـلى ذلـك مـا ذُكِـر في قصّـة الحَجَّاج مـع الخُنْفُسـاء التـي كان يسميّهـا بــ(وَذَحِ الشـيطان)[3]، فتكـون الكُنيـة التـي اسـتعملها الإمـام لـه أَنسـب للمعنـى وأقـرب،

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٧/ ٢١٩.

(٢) نفسه.

(٣) ذكرت المدونـات التأريخيـة قصصـاً متعـددة في حـال الحجّـاج مـع الخُنفُسـاء، وأنـه كان ينكـر أنْ تكـون مـن خلـق الله، وقـد نَسَـب خلقهـا الى الشـيطان، وثَمّـة روايـة تشـير الى سـوء خُلـقُ الحجـاج، وهـي تتعلّـق بالخنفسـاء أيضـاً نـضرب عنهـا صَفَحـاً إجـلالاً لمقـام البحـث. وقـد نقـل الكثـير مـن العلـماء هـذه الروايـات. ينظـر: غريـب الحديـث (الخطـأبي): ٣/ ١٧٢، وغريـب الحديـث (للحـربي): ٣/ ١١٩١، والفائـق: ٤ / ٥٣، والنهايـة في غريـب الحديـث: ٥/ ١٦٩، وشرح نهـج البلاغـة (ابـن أبي الحديـد): ٧/ ٢١٨، وشرح نهـج البلاغـة (البحـراني) ٣/ ٥٥٠ والديبـاج الـوضي: ٢/ ٩٧٤، ونهـج البلاغـة (محمـد أبـو الفضـل

وتبقى - حينذاك- دلالتها على الاستخفاف به والإهانة والحقارة مستعملة دراجة، ولاسيّما إذا عرفنا أنّ من شأن(الوَذَحَة) التّعلّق و الارتباط بقذارة الدواب من شاة وغيرها، فتُعالج ذلك وتدفعه بأرجلها(١). وبهذا تكون علاقة (الوَذَح) أو (الوَذَحة) علاقة ارتباط بين القذارة وما يَألفها ويعيش معها من دُوَيبات. فناسب ذلك أن يكنّى بـ(أبي وَذَحة)، لما فيه من رَذالة نفس، وسخف همّة.

وثمّة وجه آخر لهذه الكُنية، يكون بالرُّكون إلى رواية مفردة (وَذَحة) بـ(وَدَجة)(٢)، بالذّال المُهملة و الجيم. من (الوَدَج)، وهو عِرْق مُتَّصل في العُنُقِ(٣). وقيل هما عِرْقان غليظان عن يمين ثَغرة النَّحر ويسَارها، وهما من الجداول التي تجري فيها الدِّماء(٤). ولو أخذنا بهذه الرواية، فإنّ كُنية الحجّاج تدل - عند ذاك- على كونه قَتَّالاً شديد السَّفْك للدماء ؛ فلا يتناهى عن قَطع الأوداج وإباحة الدِّماء(٥). وبهذا تكون كنيته بـ(أبِي وَدَجة) إيحاء على الأجرام والقَتل وإهدار أرواح

ابراهيم): ١/ ٢٧٣. هامش(٤).

(١) ينظر: الديباج الوضي: ٢/ ٩٧٥.

(٢) اعتمد هذه الرواية وأثبتها في شرَحه كل من: البيهقي الأنصاري في معارج نهج البلاغة: ١ / ٤٧٣، وأبي الحسين يحيى بن حمزة بن علي الحسيني في الديباج الوضي: ٢/ ٩٧٤. وقد أشارا الى الروايات الأخرى في هذه المفردة. في حين نقل هذه الرواية وذكر دلالتها كل من: ابن أبي الحديد في شرحه: ٧/ ٢١٩، و ابن ميثم البحراني في شرحه: ٣/ ٥٥٠، والسيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب في مصادر نهج البلاغة وأسانيده: ٢/ ٢٥٩، والسيد هاشم الميلاني في (نهج البلاغة) أيضاً: ٣٠٤، فضلاً عن المدونات الخاصة بغريب الحديث، ومنها على سبيل المثال: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٥/ ١٦٩، ومن المعاجم أيضاً لسان العرب (وذح): ٢/ ٦٣٢، وتاج العروس (وذح):٧/ ٢٠٧.

(٣) ينظر: لسان العرب (ودج): ٢/ ٣٩٧.

(٤) نفسه.

(٥) ينظر: معارج نهج البلاغة: ١/ ٤٧٣، وشرح نهج البلاغ (أبي أبي الحديد): ٧ / ٢١٩.

الناس. ويشهد لهذه الدلالة -عندي- قرائن لفظية وردت في سياق كلام الإمام (عليه السلام) منها؛ لفظة (لَيُسلَّطَنَّ). والتَّسلَّط -في اللغة- مرتبط بالظُلم والجور والقَسوة والعُسف، وهو القَهر والقَوَّة والصَّخَب والغَلَبة[١]. أمّا القرينة الثانية، فهي قرينة (القَسَم) الذي عَزَّز به الإمام الإخبار بِتسلّط هذا الشَّخص على الكوُفة. فضلاً عن القرائن الخارجية التي تؤيد هذا الوجه. فإنّهم ذكروا وَلَع الحجّاج بالدماء وسَفكها، حتى أنّه كان يُخبر عن نفسه بأنّ ذلك أكبر لذّاته[٢]؛ لأنّه لا يتناهى عن رؤية الدماء وإهدارها. وبهذا وغيره مما لم نورده من المرويات التأريخية في بيان شدة ظُلمه وغلبته على الرّعية، يظهر جواز تَقَبُّل السَّياق لرواية (أبا وَدَجة) -أيضاً- بديلاً لمفردة (وذحة).

أمّة ـ أمّك

الأُمّ الوالدة[٣]. والأمّ في كلام العرب أصل كلّ شيء[٤]. وتجمع هذه اللفظة على (أُمَّهات)، و(الأُمَّات)[٥]. و يفرّق اللغويون بين هذين الجمعين، فـ(الأُمَّهات) بالهاء جمع لمن يَعقِل من النساء، في حين أنّ (أُمّات) بغير (الهاء) هي لِمَن لا يعقل[٦]. وإنما كانت التفرقة بين النوعين (بالهاء)؛ لتكون الأخيرة علاقة للفظة (الأُمَّهات) الدَّالة على بنات آدم[٧].

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة (سلط): ٣/ ٩٥، ولسان العرب (سلط): ٧/ ٣٢٠.

(٢) ينظر: سمط النجوم العوالي: ٣/ ٢٩٥، والتحفة اللطيفة في تأرخ المدينة الشريفة: ١/ ٢٥٦.

(٣) ينظر: العين (أمّا): ٨/ ٤٣٣.

(٤) ينظر: لسان العرب (امة): ١٣/ ٤٧٢.

(٥) ينظر: المحكم (امم): ١/ ٥٧٥.

(٦) ينظر: المحكم (امم): ١/ ٥٧٥.

(٧) ينظر: لسان العرب (امة): ١٣/ ٤٧٢.

وقد استعملت لفظة (أُمَّـهِ) خمس مرات في نهج البلاغة، في حين جاءت لفظة (أُمَّـي) و (أُمّـك) أربع مرات لكل واحدةٍ منهما، ولفظة (الأُمَّـي) ثلاث مرات، واقتصرت لفظة (أُمَّهاتِك) على موضعٍ واحد فحسب[١]، وذلك للدلالة على ما يأتي:

أولاً: الدلالة على الوالدة.

وهو أكثر الدلالات شيوعاً في لفظة (أم) ومشتقاتها. ومن ذلك قول الإمام (عليه السلام) في سياق النهي عن التّكبُّر: ((**وَلاَ تَكُونُوا كالمُتَكَبِّرِ عَلَى ابْنِ أُمِّهِ مِنْ غَيْرِ مَا فَضْلٍ جَعَلَهُ اللهُ فِيهِ سِوَى مَا أَلْحَقَتِ الْعَظَمَةُ بِنَفْسِهِ مِنْ عَدَاوَةِ الْحَسَدِ**..))[٢]. والمراد بـ(المُتَكَبِّرِ عَلَى ابنِ أُمِّهِ). في النّص (قَابِيل) الذي قتل أخاه (هابِيْلَ) عن كِبر وحَسَد[٣]. ووصفه(عليه السلام) بـ(ابن أمَّه) للدلالة على الأُخُوَّة بلحاظ الإشارة إلى كونهما خرجا من بطن واحدة بياناً لأثر الأمّ في حملهما، فضلاً عن إظهار عظيم قدرة الله تبارك وتعالى في قضية الولادة، والنزاع الذي تعانيه الأمّ عند الطَّلْقِ والولادة، وهو ما يُفسَّر لنا شيوع العاطفة لدى الأمّهات على أولادهِنّ، وتَعَلّق الأبناء بأمهاتِهم أكثر من الآباء، ولاسيّما في أوائل أعمارهم. وإذا نظرنا إلى الأصل اللغوي لمفردة (أُمّ) بعين الاعتبار وعرفنا أنها تدل على الأصل في كل شيء[٤]، يتّضح أثرها أصل في النشأة ولو كان ذلك على سبيل العاطفة و الحنان اللَّذين تحملهما الأُمّ لأولادها في أصل خِلْقتِها وتكوينها. ونظير دلالة لفظة (أم) على الوالدة ما جاء في (خ / ١١٢، ١٦٣ ٢، ١٦٤، ١٨٧، ١٩٢، ٢٣٥، ك / ٤١، قصا / ٤١٧).

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٤، ٣٥.

(٢) نهج البلاغة: خ / ١٩٢.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٤/ ١٥٢.

(٤) ينظر: لسان العرب (أمه): ١٣/ ٤٧٢.

التعبير بـ(وَيْلَ أُمّه)

وهـذا النـوع مـن التعبـير، دعـاءٌ عـلى (الأُمّ) بالوَيْـلِ وفَقْـد الابْـنِ، فَأمّـا المعنـى الأوّل فقـد استعمله الإمـام في سياق ذَمَ أهـل العـراق. يقـول الإمـام: ((... **وَلَقَـدْ بَلَغَنِـي أَنَّكُـمْ تَقُولُـونَ: عَـلِيٌّ يَكْـذِبُ، قَاتَلَكُـمُ اللهُ! فَعَـلَى مَـنْ أَكْـذِبُ؟ أَعَـلَى اللهِ؟ فَأَنَـا أَوَّلُ مَـنْ آمَـنَ بِـهِ! أَمْ عَـلَى نَبِيِّـهِ؟ فَأَنَـا أَوَّلُ مَـنْ صَدَّقَـهُ! كَلاَّ وَاللهِ، ولكِنَّهَـا لَهْجَـةٌ غِبْتُـمْ عَنْهَـا، وَلَمْ تَكُونُـوا مِـنْ أَهْلِهَـا، وَيْـلُ امِّـهِ**[1]**، كَيْـلًا**[2] **بِغَـيْرِ ثَمَـنٍ! لَـوْ كَانَ لَـهُ وِعَـاءٌ، (وَلَتَعْلَمُـنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ)**[3]**...))**[4]. وينكـر الإمـام على هـؤلاء اتّهامهم لـه بالكـذب – وحاشـاه مـن ذلـك– وإنـما قـال: ((**ولكِنّهـا لهجـةٌ رَغبْتهـم عنهـا**)). للدلالـة عـلى صِـدْق حديثـه (عليه السلام)، وعـدم معرفتهـم بـدلالات مـا يقولـه لهـم، والمَنَافِـع المستفادة مـن أقوالـه[5]. والمـراد بـ(اللهجـة) اللُّغـة التـي جبـلَ عليهـا الإنسـان[6]. واللهجـة – أيضـاً – اللَّسَـان، والصَّـدْق[7]. وبهـذه الـدلالات يمكـن أن نفسر (اللّهجـة) في قَولـه المتقدم بأنها لسـان الصَّـدْقِ الـذي يتحدث بـه الإمـام (عليه السلام) وكلمـة الحقَّ التـي جُبل عليهـا، والتـي انحـرف عنهـا النـاس وغابـوا ؛ حتـى صـاروا يعـدّون الصّـدْقَ كذبـاً، والكـذب صدقـاً ؛ لعـدم تمييزهـم بين صِحـاح الكـلام وكذبـه ؛ ولهـذا قـال لهـم الإمـام: ((**وَلَمْ تَكُونُـوا مِـنْ أَهْلِهَـا**)). أمّـا قولـه (وَيْـلُ أَمِّـهِ) فَأَصلهـا عنـد اللغويـين مركبـة مـن

---

(١) نقل اللغويون قَوْلَة الإمام (عليه السلام) هذه، ومنهم: أبن الأثير في النهاية فر غريب الحديث: 35/ 5.

(٢) الكيُل المِكيْال، والكيل هو كَيْلُ البرِّ ونحوه. ينظر: لسان العرب (كيل): ١١/ ٦٠٤.

(٣) ص/ ٣٨.

(٤) نهج البلاغة: خ / ٧١: ١٠٩.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (أبن أبي الحديد): ٦/ ١٠٦.

(٦) ينظر: لسان العرب (لهج): ٢ / ٣٥٩.

(٧) نفسه.

(وَيْ) و (لِأِمَّـهِ) فحُذِفت الهمزة من كلمة(أُمَّه)، وأُلْقيتْ حركتها على (اللام) من (لِأِمَّه)[١]. فصارت الكلمة مركبة (وَيْلُمَّهِ). وقيل: إن (وَيْل) كلمة تامَّة، رُكبت معها كلمة (أُمَّه)، ثُم حُذِفت همزة (أُم) واتّصَلَت اللام بالميم ؛ لكثر الكلام[٢].

أمّا دلالة هذا التركيب، فالأصل فيه الذَم والدّعاء بالوَيْلِ والثُّبور ؛ يدل على ذلك مفردة (وَيْل)، وهي في اللغة كلمة عذاب[٣]. وكل مَن وقع في هلكة، فإنّه يَدعو بالوَيل[٤]. وقيل: الوَيْل الوارد في قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾[٥]. هو وادٍ في جهنَّم من قَيحٍ ودم[٦]. و(الوَيْل) كلمة عذاب تدل على الذَّمَّ والدعاء[٧]، ومقتضى تركيبها مع لفظة (أُمَّه) يحوّل الدلالة إلى الدعاء على الأمَّ بالوَيل والعذاب، وهذا هو الأصل فيها، وقد استعملها الإمام للدلالة على التَّعَجُّب واستعظام الأمر الذي سَمِعَه من (أهل العراق)، وما افتروه عليه اتهامٍ بالكذب. فاستعملها (عليه السلام) في مقام استعظام قَوْلِهم تحقيراً لهم ولما ذهبوا اليه، ودعاءً على أمَّ أصحاب هذا الوجه بالوَيْل والثبور حسبما يبدو من النَّص.

ويحتمل أنّه أراد - بهذا التعبير- المناسبة لحال أهل العراق وما وقعوا فيه من خَطَلٍ وتَيْهٍ وضلال، فاستعمل لهم ولرأيهم هذه الكلمة التي يُشَتّم فيها الجَفاء والخشونة كما يذكر المبرد[٨] (ت ٢٨٥هـ). إرادة ذمهم وذمَّ أفكارهم. ومما زاد في

---

(١) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٥/ ٢٣٥، ولسان العرب (ويل): ١٤/ ١١.

(٢) ينظر: لسان العرب (ويا): ١٥/ ٤١٨.

(٣) ينظر: تاج العروس (ويل): ٣١/ ١٠٦.

(٤) نفسه.

(٥) الجاثية / ٧ وينظر: المرسلات: ١٠، ١٩،٢٤، ٢٨، ٣٤، ٣٧، ٤٠ وغيرها.

(٦) ينظر: تنوير المقابس من تفسير ابن عباس: ١/ ٤٢٠، والمحرر الوجيز: ٥/ ٨١.

(٧) ينظر: لسان العرب (ويل): ١١/ ٧٣٩.

(٨) ينظر: الكامل في اللغة والأدب: ٣/ ٢١٦ وشرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٦/ ١٠٦.

تقريعهم قوله: ((**كَيْلاً بِغَيْرِ ثَمَنٍ! لَوْ كَانَ لَهُ وِعَاءٌ**)). يريد: أنّه (عليه السلام) يَكيْلُ لهم المواعظ والحِكَم والمعارف وسداد الرأي بَغْير ثَمن. ولكن لا وعاء حافظ لهذه الجمهرة من الأفكار والحكم والآراء التي لا تعيها أذُن واعية. وقد ذكر الشُرَّاح أنّه (عليه السلام) يفيض عليهم من الأخلاق الكريمة والحِكم البالغة التي لا يريد بها جزاء ولا ثمناً، ولكنهم لا يفقهون ذلك، فاستعار لذلك لفظة (الكَيْل) ليكنَّي به عن كثرة ما يُلْقيه عليه من الحكم والعِلوم[١]. ثم ختم كلامه المتقدم بآية من القرآن الكريم، مشيراً بها إلى ما سَيَلْقَوْنه من نتائج جهلهم وإعراضهم عمّا أمرهم به، وإنهم سيلقون غَيّاً وندامة على ما فرّطوا في جَنْب الله[٢]. وقد اعتبر ابن أبي الحديد خِتام كلامه(عليه السلام) بالآية المباركة من أَحْسَن ما خَتَم به أمير المؤمنين كلامه[٣].

ثانياً: الدلالة على النّسبة إلى أُمّ القُرَى.

وجاء الإمام لهذه الدلالة بمفردة (الأُمي)، وصفاً للنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم). يقول في سياق الوعظ والإرشاد: ((**فَأَفِقْ أَيُّهَا السَّامِعُ مِنْ سَكْرَتِكَ، وَاسْتَيْقِظْ مَنْ غَفْلَتِكَ، وَاخْتَصِرْ مِنْ عَجَلَتِكَ، وَأَنْعِمِ الْفِكْرَ فِيما جَاءَكَ عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم) مِمَّا لاَ بُدَّ مِنْهُ...**))[٤]. وتوحي لفظة (الأمِّيّ) بالدلالة على نسبته النّبي إلى (أُمّ القرى) التي كانت فيها دعوته ومسكنه، فهي من أمّهات القرى، ولهذا نسب (صلى الله عليه وآله وسلم) اليها حسبما يروى عن الإمام محمد بن علي الجواد (عليه السلام)[٥]. وقد وردت اللفظة نفسها في (خ / ١٠١، وقصا / ٤٥). الذي استعملها وصفاً لنبي الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم)، وذلك في

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٣٥٠.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٣٥٠.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (أبن أبي الحديد): ٦/ ١٠٦.

(٤) نهج البلاغة: ح / ١٣٥: ٢٦٨.

(٥) ينظر: علل الشرائع، للصدوق: ١/ ١٨٨.

قوله تعالى شأنه ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ...﴾(١).

وقد اختلف المفسرون في دلالة لفظة (الأُمي) في ألآيتين الكريمتين ؛ ويمكن أيجاز ذلك فيما يأتي:

١- أنَّ الأُمِّيَّ هو الذي لا يقرأ ولا يكتب (٢). وقد عدوا ذلك من أعظم دلائل نبوته (ﷺ)، فكأنه أتى بالعلوم الجمَّة من غير قراءة ولا كتابة (٣). ولذلك قال تعالى ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾(٤).

٢- أنّ (الأُمي) هو المنسوب إلى أُمَةِ العرب وصفتهم.فقد كان أكثرهم أُميّون، لم يكونوا يكتبون ولا يقرؤون، وكان النبي (ﷺ) كذلك، فلهذا السبب وصفه بكونه أميّاً.(٥)

٣- وقال بعضهم: إن (الأُمّي) مَنْسوب إلى (الأُمَّ) والمعنى: أنّه ولدته أمّه قبل تعلّم الكتابة(٦).

٤- أن (الأُمّي) مَنْسوب إلى (أم القُرى)، وهي مكّة التي كانت من (أمّهات

---

(١) الاعراف / ١٥٧، ١٥٨.

(٢) ينظر: مجمع البيان: ٤/ ٤٠٤، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٢/ ٤٧.

(٣) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ٢/ ٤٧.

(٤) العنكبوت / ٤٨.

(٥) ينظر:التفسير الكبير: ١٥/ ١٩.

(٦) ينظر: مجمع البيان: ٤ / ٤٠٤، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٢/ ٤٧.

القُـرى)، فَنَسَـبه الله تبـارك وتعـالى اليهـا[١]. وهـذا الوجـه مَـرْوي عـن الإمَامـين أبي جَعْفَـر محمـد بـن عـلي البَاقـر، ومحمـد بـن عـلي الرضـا (عليهما السلام). فقـد ورد في الخـبر أنهـم سـألوا الإمـام محمد بـن علي الجواد بـن الإمـام علي بـن موسـى الرِّضـا (عليهما السلام). قائلـين: ((يَابْـنَ رَسُـوْلِ الله: لِمَ سُـمِّيَ النَّبِـيُّ الأُمـيّ؟ فقـال (عليه السلام): مَـا يقـولُ النـاس ؟ قيـل: يَزْعَمُـوْن أنّـه إنّـما سُـمِّي الأُمـيّ ؛ لأنَّـه لم يُحْسِـن أنْ يَكْتُـب. فقال (عليه السلام): كَذَبُـوا. عليهـم لَعْنَـةُ الله أنّـى ذلـك، واللهُ يقـول في محكـم كتابـه: ﴿هُـوَ الَّـذِي بَعَـثَ فِي الْأُمِّيِّـينَ رَسُـولًا مِنْهُـمْ يَتْلُـو عَلَيْهِـمْ آيَاتِـهِ وَيُزَكِّيهِـمْ وَيُعَلِّمُهُـمُ الْكِتَـابَ وَالْحِكْمَـةَ وَإِنْ كَانُـوا مِـنْ قَبْـلُ لَفِـي ضَلَالٍ مُبِـينٍ﴾[٢]. فكيـف يُعَلِّمُهـم مـا لا يُحْسِـن؟ والله لقـد كان رسـول الله (صلى الله عليه وآله)يقـرأ ويكتـب بثلاثـة وسَـبْعين لسـاناً ؛ وإنـما سُـمِّي (الأُمِّي)، لأنّـه كان مـن أهـل مكـة، ومكـة مـن أمَّهـاتِ القُـرى، وذلـك قـول الله عـزّ وجـل ﴿وَهَـذَا كِتَـابٌ أَنْزَلْنَـاهُ مُبَـارَكٌ مُصَـدِّقُ الَّـذِي بَـيْنَ يَدَيْـهِ وَلِتُنْـذِرَ أُمَّ الْقُـرَى وَمَـنْ حَوْلَهَـا وَالَّذِيـنَ يُؤْمِنُـونَ بِالْآَخِـرَةِ يُؤْمِنُـونَ بِـهِ وَهُـمْ عَـلَى صَلَاتِهِـمْ يُحَافِظُـونَ[٣]﴾[٤]. والأوجـه المتقدمـة في تفسـير لفظـة (الأُمِّـي) تتبايـن في الضَّعْـف والقـوّة، ولكـن أقواهـا وأرجحهـا مـا ذهـب اليـه الإمـام محمـد بـن عـلي الجـواد (عليه السلام)، في أن نسـبة النبـي (صلى الله عليه وآله) إلى (مكـة)،بوصفهـا (أُمّ القـرى)، يوضـح شِـدّة ارتباطـه بمـكان البْعثَـة وأهلهـا الذيـن بُعِـث اليهـم ليخرجهـم مـن الظلـمات إلى النّـور. ومـن خـلال هـذا العـرض لـلآراء يمكـن القـول إنّ لفظـة (الأمّـي) في نهـج البلاغـة هـي نفسـها التي استعملها القرآن الكريـم، فأخذهـا الإمـام (عليه السلام) للدلالـة عـلى نِسـبة النبـي إلى (أم القـرى)، لعـدم جـواز وَصْـف النبـي (صلى الله عليه وآله) بالأُمِّيـة فيتعلـم القـراءة والكتابـة،

(١) ينظر: علل الشرايع، للصدوق: ١/ ١٨٣، ومجمع البيان: ٤/ ٤٠٤.

(٢) الجمعة / ٢.

(٣) الأنعام / ٩٢، والشورى / ٧.

(٤) علل الشرائع: ١/ ١٨٨، ١٨٩، ومجمع البيان: ٤/ ٤٠٤.

لأنها مدعاة إلى الجهل. وهو مما لا يجوز عليه (صلى الله عليه وآله)، وبخاصة أنّ السياقات التي جاءت فيها المفردة المتقدمة في نهج البلاغة، هي سياقات إظهار لعلم النبي الخاتم واختباره بما سيقع. فليس من الجائز أن يخبر بالمعجزات (والغيبيات)، من دون أن يكون متعلّماً.

رابعاً: دلالة لفظة (الأُم) على (الدُنيا).

وورد هذا الاستعمال في قوله الذي يتحدث فيه عن حب الدنيا ؛ إذ يقول: ((**النَّاسُ أَبْنَاءُ الدُّنْيَا، وَلاَ يُلاَمُ الرَّجُلُ عَلَى حُبِّ أُمِّهِ**))[(١)]. وجعل (عليه السلام) الدنيا (أُمّاً) للمفتون بها، وعدّ هؤلاء أبناء لها، على جهة الاستعارة باعتبار ميلهم اليها[(٢)]. وهذا التعبير توبيخ للناس وتعريض بهم على حب الدنيا والانغماس فيها[(٣)]. وأمّا قوله:(لا يُلامُ...)، فتهكّم يومئ به إلى عدم لوم من انغمس فيما جبل عليه وصار عادة له. وفيه توبيخ لمن كانت طبيعته اللؤم. مثلاً - فيقال له: لا لوم عليك فيما جبلت عليه، لأنه طبعك وعادتك.

خامساً: الأم بمعنى القرابة من جانب النساء.

وفي هذه الدلالة تتسع مفردة (أمّ) ؛ لتكون دالة على الأمهات بصورة عامة، سواء أكانت (الأم) التي هي (الوالدة)، أم (الجدة)، و (العمة)، و (الخالة). من الغابرات والحاضرات.يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) في سياق ردة على رجل سمعه يذم الدُّنيا: ((**أَيُّهَا الذَّامُّ للدُّنْيَا، الْمُغْتَرُّ بِغُرُرِهَا، الْـمَخْدُوعُ بِأَبَاطِيلِهَا! أَتَغْتَرُّ بِالدُّنْيَا ثُمَّ تَذُمُّهَا؟... مَتَى اسْتَهْوَتْكَ، أَمْ مَتى غَرَّتْكَ؟ أَبِمَصَارِعِ آبَائِكَ مِنَ الْبِلَى، أَمْ بِمَضَاجِعِ**

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٤٧٤.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه.

أُمَّهَاتِكَ تَحْتَ الثَّرَى...))(١). فجاءت مفردة (الأُمهات) بصيغة الجمع (بالهاء)، للدلالة على العاقلات كما يذكر اللغويون، الذين عدّوا الجمع المتقدم مخصوصاً بالعقلاء، في حين أنّهم جعلوا مفردة (أُمات) خاصّة بالدلالة على غير العاقل(٢). وساق الإمام التعبير المتقدم على سبيل الاستهزاء والتهكم بمن ذم الدنيا، وهو مغتر بها، تنبيهاً له على عدم الاغترار ؛ وذلك لسوء صنيع الدنيا بأهلها وأصحابها(٣)، الذين صرعت آباءهم، وأضجعت أُمهاتهم تحت الثرى من قبلهم. وتوحي لفظة (أُمهاتك) بالدلالة على قرابات المخاطب بعامة، وفي صدارتهن (الأم) و هي والدته، ومن ثم بقية النسوة من أقربائه.

أسرته

الأسرة العشيرة والرَّهط الأدنون(٤). وقيل: بل هم أهل بيت الرّجل(٥).

وقد وردت لفظة (أسرته) مضافاً اليها ضمير الغائب مرتين في نهج البلاغة، في حين جاءت لفظة (أُسره) و (الأُسر) بصيغة الجمع مرة واحدة لكل منهما(٦)، للدلالة على أسرة رسول الله (ﷺ)، وهم أصله وأهل بيته الأدنون منه من ذرّية علي وفاطمة (عليهما السلام). ومن ذلك قوله أمير (عليه السلام) في سياق مدح النبي الأكرم وآل بيته: ((**ابْتَعَثَهُ بِالنُّورِ الْمُضِيءِ، وَالْبُرْهَانِ الْجَلِيِّ... أُسْرَتُهُ خَيْرُ أُسْرَة، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ**

(١) نهج البلاغة: قصا / ١٣١: ٦٢٥، ٦٢٦.

(٢) ينظر: لسان العرب (أمة): ١٣/ ٤٧٢.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٤٣٣.

(٤) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ١/ ٤٨، ولسان العرب (أسر): ٤/ ٢٠.

(٥) نفسهما.

(٦) ينظر: المعجم المفهرس لالفاظ نهج البلاغة: ٢٦.

شَجَرَة...))[1]. ومفردة (أسرة) في هذا السياق تتضمن الدلالة على أهل بيت النبي من ولد الإمام علي والزهراء (عليهما السلام)، فضلاً عن الإشارة بها إلى نسبه الطاهر الذي ولد منه. ولعل الدلالة الأولى أملك بالسياق من الثانية التي دلّ عليها قوله ((شجرته خير الشجر)) التي يومئ بها إلى أصله ونسبه على سبيل الاستعارة كما يذكر الشّرّاح[2]. مثلما استعار مفردة (أغصانها) لأشخاص أهل بيته (عليهم السلام)، وهم علي وفاطمة وأولادهم[3]. الذين وصفهم بـ(الأغصان المعتدلة) إشارة إلى شرفهم وفضلهم[4]. ويستفاد من لفظ (أسرة) الدلالة على شد العضد والاستقواء. كأنّ هذا اللفظ مشتق من (الأسار)، وهو الرباط الذي يشد به الأسير[5]. وقد وردت لفظة (أسرته)،و (الأُسر) بالدلالة المتقدمة نفسها في(خ/ ٢ ٩٤).

---

(١) نهج البلاغة: خ / ١٦١: ٢٨٦. وقد ورد هذا التعبير نفسه في (خ / ٩٤) من نهج البلاغة.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٦٥٦.

(٣) نفسه.

(٤) نفسه.

(٥) ينظر: العين (اسر): ٧/ ٢٩٣، والنهاية في غريب الحديث: ١/ ٤٨.

المبحث الثاني
ألفاظ القرابة القريبة

عَشِيرة

عشيرة الرجل بنو أبيه الأدنون(١). وقيل: هم القبيلة(٢).

وقد استعمل الإمام مفردة (عَشِيْرة) ست مرات في نهج البلاغة، أربع منها أضيف الى اللفظة فيهما ضميرا الخطاب والغيبة (عَشِرَتك) و (عَشْيرته)(٣)، للدلالة على قرابة الإنسان وقبيلته الذين ينتمي اليهم، ويعتمد عليهم في الأمور شتّى. ومن ذلك قوله في سياق النصح والإرشاد موصياً ولده الإمام الحسن (عليهما السلام): ((**وَأَكْرِمْ عَشِيرَتَكَ، فَإِنَّهُمْ جَنَاحُكَ الَّذِي بِهِ تَطِيرُ، وَأَصْلُكَ الَّذِي إِلَيْهِ تَصِيرُ، وَيَدُكَ الَّتي بِهَا تَصُولُ**))(٤). ولفظ (العشيرة) - هنا- يجمع بين الخاص والعام، فإنّه يدل بحسب - خطاب الإمام - على أهل الإمام الحسن وقبيلته المعروفة. في حين يتجاوز هذا اللفظ الدلالة المتقدمة، إذا تحوّل الخطاب من الخاص الى السامعين جميعاً من غير الإمام الحسن، لأنّ كلامه (عليه السلام) عام لا يخصصه المورد الذي قيل فيه، فيشمل الناس جميعاً، فلا يخرج أحد من أن تكون له عشيرة وأصل يصير اليه، ولهذه العلّة أمر الإمام بإكرام العشيرة؛ لأنهم بمنزلة جناح المرء الذي يستعين به في الأمور جميعاً. فاستعار لهم لفظ الجناح؛ كناية عن تعلّق أمر الارتقاء والعلو والرفعة التي ينالها المرء بهم؛ فهم عصبته التي تسانده وتعينه على أمره. وهم يده

(١) ينظر: المحكم (عشر): ١/ ٣٦٠، ولسان العرب (عشر): ٤/ ٧٦٤.

(٢) نفسها.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٠٣.

(٤) نهج البلاغة: ك / ٣١: ٥١٣.

التي يصول بها ويجول. وقيل إنما استعار لهم لفظ (الجَناح)، لأنّهم كونهم المبدأ نهوض الإنسان وقوته على الحركة[١]. وقد وردت لفظة (عشيرة) و (وعشيرتك، وعشيرته) بالدلالة المتقدمة نفسها في (ك / ٩، قصا / ٤١٨) و (ك/ ٧١، خ / ٢٢٣).

عِتْرته

عِترة الرجل أصله. وأقرباؤه من ولده ووِلد ولده[٢]. وعقبه من صلبه[٣].

وقد استعملت مفردة (عِتْرته) مضافة الى ضمير الغائب مرتين في نهج البلاغة، في حين جاءت لفظة (عتَرة) اسم جنس، وجمعها (العِتَر) مرة واحدة لكل منهما[٤]، للدلالة على ما يأتي:

أولاً: الدلالة على أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

ومن ذلك قوله (عليه السلام) متحدثاً عن آل البيت في سياق مدح النبي وآله: ((**عِتْرَتُهُ خَيْرُ الْعِتَرِ، وَأُسْرَتُهُ خَيْرُ الأُسَرِ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ الشَّجَرِ**))[٥]. أراد بـ(عِتْرته) أهل بيته (عليهم السلام) من وِلد علي وفاطمة الزهراء (عليهما السلام). والعِتْرة في اللغة - كما ذُكِر سلفاً- ولد الرجل وعقبه من صُلبه. وعِتْرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هم وِلد فاطمة البتول حسبما يذكر اللغويون[٦]، الذين احتجوا لهذه الدلالة بقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((**إنيّ تاركٌ فيكم الثَّقَلينْ، كتب الله وعِتْرَتِي أهْلَ بَيْتي**))[٧]. وعلّقوا على هذا الحديث: أنّه جعل العِتْرة أهلَ

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة: ك / ٣١: ٥١٣.

(٢) ينظر: العين (عتر): ٢/ ٦٦.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (عتر): ٢/ ١٥٧.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢١٩.

(٥) نهج البلاغة: خ / ٩٤: ١٧٤.

(٦) ينظر: تهذيب اللغة (عتر): ٢ / ١٥٧، ولسان العرب (عتر): ٤ / ٥٣٨.

(٧) مسند احمد بن حنبل: ٣/ ١٤، ١٧ وفيه: ((إني تاركٌ فيكم الثقلين أحدهما اكبر من الآخر كتابُ

البيت، وهم آله الذين حُرِّمت عليهم الصدقة المفروضة الذين لهم (الخَمس) المذكور في سورة الأنفال[(١)]. أمّا شرّاح النهج، فلم يبتعدوا عن تفسير لفظة (عِتْرته) بـ(أهل البيت) (عليهم السلام) من ولد علي وفاطمة (عليهما السلام)، وهم أخصُّ أقاربه الأدنون منه الذين أوصى بهم (صلى الله عليه وآله) بقوله المتقدم[(٢)]. ويبدو أنّ ابتداء الإمام بذكر أفضلية النبي من خلال التعبير بـ(عِتْرته خير العِتر)، إشارة الى أنهم أخصّ به وأقرب منزلة، فضلاً عن كون هذه المفردة أكثر دلالة على هذا المعنى من لفظة (أُسْرة)، التي تبدو في هذا السياق بالمرتبة الثانية بعد مفردة (العِتْرة)، فالأُسَرَة هي الأورمة التي ولد منها النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله)، في حين أنّ (عِترته) هم أهل بيته. ولهذا قال النبي (صلى الله عليه وآله) عندما أراد الوصيّة بما خلّفه في المسلمين: ((**إني تاركٌ فيكم الثَّقَلَيْن، كتابُ الله وعِتْرتي أهْلَ بَيْتي**)) ولم يقل (أُسرتي)؛ لأنّه أراد الوصيّة بالأخص، وهذا الفارق بين اللفظتين تشير اليه المدونات اللغوية التي تذكر أنّ (الأُسرة) هي عشيرة الرجل ورهطه الذين يُتَقوى بهم[(٣)]. وقد التفت الشارح البحراني الى قصية تقديم

الله حبلٌ ممدودٌ من السماء الى الارض، وعترتي أهلُ بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحَوضَ)).
وينظر في هذا الحديث: فضائل الصحابة: ٢/ ٥٨٥، ٦٠٣ وسنن الترمذي: ٥/ ٦٢٢، ٦٦٣، وسنن النسائي: ٥/ ٤٥، ومسند ابن الجعد: ١/ ٣٩٧، والمعجم الصغير المسمى بـ(الروض الداني): ١/ ٢٢٦، والمعجم الكبير: ٣/ ٦٥، ٦٦ و ٥/ ١٥٤، والمستدرك على الصحيحين: ٣/ ١١٨، ومسند أبي يعلى: ٢/ ١٦٥، ٢٩٧، ٣٠٣. وقد أورد هذا الحديث المعجميون أيضاً. ينظر تهذيب اللغة (عتر): ٢/ ١٥٧، ولسان العرب (عتر): ٤/ ٣٨.

(١) ينظر: تهذيب اللغة: ٢/ ١٥٧. وآية الخمس التي في سورة الأنفال هي قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لله خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى...﴾ الانفال/ ٤١.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٤٧٥، والديباج الوفي: ٢/ ٧٧٧، ومنهاج البراعة: ٧/ ٨٤، ٨٥.

(٣) ينظر: لسان العرب (أسر): ٤/ ٢.

كلمة (عِتْرَتِهِ) على كلمة(أسْرته) في كلام الإمام، فذهب الى أنّ الأولى أخصّ من الثانية، وأقرب منها الى النبيَّ. واحتجّ لذلك بسياق الحديث النبوي[١]. وتتضمن مفردة (عِتْرَته) التي أضيف اليها ضمير الغائب العائد على النبي إيحاءات عديدة، فالعِتْرة -في اللغة- سَاق الشّجرة وأصلها[٢]. والعِتْرة خشبة المِسْحاة ويدها[٣]. وهي - أيضاً- بقلة إذا قطع أصلها خرج منها لبن، فينبت من حوالها شُعَب سِت أو ثلاث يتداوي به[٤]. و (العُترُ) الشِدّة والقوْة، و(العَتّار) الرجل الشجاع القوي على السير في المواضع الوُحْش الخُشْن[٥]. والعِتْرة قطعة مِسْك خالصة[٦].والعترة الصخرة العظيمة التي يتخذ الضّبّ عندها مأوى له وذلك لقلة هدايته واهتدائه الى مكانه. ولو قُلبت المفردة المتقدمة بتقديم بعض حروفها على البعض على طريقة تقليبات الخليل؛ لظهرت لدينا مفردة (تُرْعَة)، وهي الرّوضة على المكان الذي فيه تسلط وارتفاع[٧].

ومن خلال هذا التتبع المعجمي التاريخي للمفردة المتقدمة نلحظ أنّ أغلب معانيها تدور حول الأصل والشدة والقوّة والتفرّع وطيب الشيء وغَلاة ثمنه، فضلاً عن الرّوضة الغنّاء. وهذهِ الدلالات لا تخلوا منها مفردة (عترة) التي اختارها النبي الأكرم لوصف أهل بيته (عليهم السلام). وستظل هذه المفردة قابلة

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٤٧٥ / ٤٧٦.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (عتر): ٢/ ١٥٧.

(٣) نفسه.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة (عتر): ٢/ ١٥٧، وتاج العروس (عتر): ١٢/ ٥١٨.

(٥) ينظر: تهذيب اللغة (عتر): ٢/ ١٥٧.

(٦) ينظر: تهذيب اللغة (عتر): ٢/ ١٥٧، وتاج العروس (عتر): ١٢/ ٥٢٠.

(٧) ينظر: تهذيب اللغة (عتر): ٢/ ١٥٨.

للاتساع الدلالي في إيحاءاتها التي تضيفها المفردة على مَن خُصّ بها من ذرية النبي (ﷺ)، فأهل البيت هم الأصل والشجرة الطيبة، وهم الشجاعة والقوة والثبات والرّوضة الغنّاء التي يؤى اليها في الدنيا والآخرة، وهم العلامة التي يهتدي بها الضّالون المضَلّلون.

وقد استعمل الإمام مفردة (عِتْرة) مضافة الى لفظة (النبَّي) بالدلالة المتقدمة نفسها في (خ / ٨٧).

ثانياً: الدلالة على قرابة الرجل وأسرته الذين يعتمد عليهم.

وقد جاءت هذه الدلالة في سياق نصحه الناس، وإرشادهم الى ضرورة عدم إهمال أهليهم إذا استغنوا، وأصبحوا أغنياء، يقول(عليه السلام): ((**أَيُّهَا النّاسُ، إِنَّهُ لاَ يَسْتَغْنِي الرَّجُلُ ـ وَإِنْ كَانَ ذَا مَال ـ عَنْ عَتَرَتِهِ، وَدِفَاعِهِمْ عَنْهُ بِأَيْدِيهِمْ وَأَلسِنَتِهِمْ...**))[١]. يريد(عليه السلام) ؛ أن عِتْرة الرجل من ذُرِّيته ونَسْله أقرب اليه من أمواله التي لابد أن تصير الى غيره لاحقاً، لأنهم أعطف عليه من غيره، إذا نزلت به نازلة، ولسانه المدافع عنه في الناس ؛ فلا يَعْدِلَنَّ الأغنياء وغيرهم عن القرابة الخاصّة ؛ لأنّه سيحتاج اليهم لاحقاً.

الذّمَار

الذَّمّار الحَرَم، والأَهْل، والحَوْزة، والحَشَم[٢]، والذَّمَار، هو كُلّ ما يلزم حمايته والدَّفْع عنه[٣]. وإنما سُمَّي ذِمَاراً ؛ لأنّه يجب على أهله التَّذَمُّر له[٤].

---

(١) نهج البلاغة: خ / ٢٣/ ٥٤.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (ذمر): ١٤/ ٣١٠، ولسان العرب (ذمر): ٤/ ٣١٢.

(٣) نفسهما.

(٤) ينظر: لسان العرب (ذمر): ٤/ ٣١٢.

وقد وردت مفردة (الذَّمار) مرتين في نهج البلاغة[١]، دالة على ما يلزم حفظه من الحَرم والأهل والمال. يقول الإمام في سياق حَثَّ أصحابه على القتال: ((... **وَرَايَتَكُمْ فَلاَ تُمِيلُوهَا وَلاَ تُخِلُّوهَا، وَلاَ تَجْعَلُوهَا إِلاَّ بِأَيْدِي شُجْعَانِكُمْ، وَالْمَانِعِينَ الذِّمَارَ مِنْكُمْ**...))[٢]. يُشير الى مكانة (الرّاية) في الحرب، لأنها أصل نظام العَسكر، الذي يدور عليه أمره، و يتشجع بها الجيش ما دامت قائمة[٣]. لهذا أمرهم (عليه السلام) أن لا يُميلوها أو يُخلّوها،وأن يجعلوها في أيدي الشجعَان من الجُند، وهم المانعون الذَّمار،الذين لا تنكل عزيمتهم، ولا يكونوا مدعاة لِتذَمُّر أهلهم وسخطهم ؛ فإنهم لا يَنْكِفؤون على أعقابهم، ويموتون دفاعاً عن المحارم والعِرض والمال، وكل ما يلزم حفظه والقَتْل في سبيله.

أقول: و فسَّر ابن أبي الحديد مفردة (الذَّمار) في كلام الإمام بأنّها ((ما وراء الرَّجُل مما يحق عليه أن يحميه، وسُمَّي ذماراً ؛ لأنه يجب على أهله التّذمُّر له. أي الغضب))[٤]. وما ذهب اليه الشارح المعتزلي هو مذهب اللغويين في دلالة هذه المفردة، فقد ذكروا نظير هذا الوجه من الدلالة في مدوناتهم المعجميّة كما تقدم ذكره. وقد استعمل الإمام لفظة (الذَّمار) بالدلالة نفسها في (خ / ١٧١).

الإل

الإلُّ قُربي الرَّحم كما يقول الخليل[٥]. وقيل: بل الإلُّ العَهد والذَّمة والحِلف[٦].

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٧١.

(٢) نهج البلاغة: خ / ١٢٤: ٢٢٨.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢: ٣/ ٥٥٩.

(٤) شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٨/ ٦.

(٥) ينظر: العين (ألل): ٨/ ٣٦٠.

(٦) ينظر: تهذيب اللغة (ألل): ١٥/ ٣١٢.

وقال بعض اللغويين هي اسم من أسماء الله تعالى[١].

وقد وردت لفظة (الإلّ) مرة واحدة في نهج البلاغة، دالة على الرحم والقُربى. وذلك في سياق ذمَّ الإمام (عليه السلام) (لعمرو بن العاص).الذي يقول فيه: ((**إِنَّهُ لَيَقُولُ فَيَكْذِبُ، وَيَعِدُ فَيُخْلِفُ... وَيَخُونُ الْعَهْدَ، وَيَقْطَعُ الإِلَّ...**))[٢]. ويشتمل النص على جملة من الصفات الذميمة التي يتميز بها هذا الشخص، ومنها قطع (الإلّ) التي تدل في هذا السياق على القرابة والرَّحم ؛ كأنّه بأفعاله هذه يتعمد قطع الرحم والقرابة بينه وبين غيره. ودلالة هذه اللفظة في هذا النص على (القرابة) أحَقّ من دلالتها على (العهد) كما ورد عند اللغويون في دلالتها المعجمية ؛ فقد جعل الإمام (القَطْع) في النص(للرحم أو الإلّ)، في حين أنّه جعل(الخيانة)(للعهد)، وهذا الأمر هو الفيصل في بيان الدلالة السياقية لمفردة (الإل). والإمام بهذا التعبير الدقيق يخالف ما ركن اليه الشعراء من جعل(القطع) مخصوصاً (بالرَّحم) و(الخيانة) بـ(الإلّ). فهاهم اللغويون ينقلون قول الأعشى الذي يذكر فيه القطع لـ(لرّحِم)،والخيانة لـ(إلّ) في قوله[٣]:

أبْيَضُ لا يَرْهَبُ الهُزَالَ ولا   يَقْطَعُ رَحماً ولا يَخُونُ إِلاّ

وكلامه (عليه السلام) هو الأفصح تعبيراً، والأجدر قبولاً من الشعر المتقدم. أمّا اختياره هذه المفردة دون بقية الألفاظ الدالة على الرّحم والقرابة، فيبدو أنّه راجع الى تأثّره بالقرآن الكريم ومفرداته، وذلك أنّ القرآن الكريم استعمل اللفظة

---

(١) نفسه.

(٢) نهج البلاغة: خ / ٨٤: ١٣٦، ١٣٧. وقد نقل اللغويون قول الإمام المتقدم. ينظر: النهاية في غريب الحديث: ١/ ٦١.

(٣) ديوانه: ٢٣٥. وينظر: جمهرة اللغة (ألل): ١ / ٥٩، والمحكم (ألل): ١٠/ ٣٩٤.

المتقدمة في قوله تعالى ﴿...وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً...﴾(١). وأبان المفسرون عن دلالات الآية المباركة، فذكروا أنّ المشركين لا يكون لهم عهد إذا ظهروا على المسلمين، لأنّهم لا يراعون القرابة والعهد وأعراق الرَّحم(٢).

أقول: وقد أراد (عليه السلام) من قوله – السالف الذكر – ما أشارت إليه الآية الكريمة وسابقتها التي يقول فيها الله تبارك وتعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٧) كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾(٣). كأنّه يصف (عمرو بن العاص) بهذه الأوصاف القرآنية المشتملة على الكذب، وخيانة العهد وقطع الصَّلات والحدود المتعلقة بالقُربى. أمّا المسوّغ الآخر لاستعماله مفردة (الإلّ)، فيبدو أنه راجع الى رغبته في إظهار الشِدّة في قطع العلاقة السببيّة بين أطراف القرابة والرحم، و بين ذوي الصلات، سواء أكانت صلات نسبية سببيّة، أم صلات عهود ومواثيق، فاستعمل تلك المفردة لكونها تحمل تلك الدلالات بوصفها المشترك اللفظي الذي تتسع معانيه ذات السَّعة الدلالية التي تلائم السياق الذي انتظمت فيه. ولهذا يمكن أن تحتمل المفردة المتقدمة الدلالة على العلاقة بين المرء والخالق جل جلاله من جهة قُرْب (العَبْد) من (معبوده)، من خلال سعيه الى كسب رضا الله تبارك وتعالى، فكلّما أنجز الإنسان ما عليه من طاعات وعبادات، كلما اقترب وقرب من ربّه أكثر. وعلى هذا الوجه يكون

(١) التوبة / ٨.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز: ٣/ ٩ والتفسير الكبير: ١٥/ ١٨٤.

(٣) التوبة / ٧، ٨.

(عمرو بن العاص) انموذجاً من نماذج قطع الصلة بين المرء وبين البارئ سبحانه وتعالى، فضلاً عن كونه أحد الأسباب التي تمنع الناس من طاعة الله وأداء أوامره، واجتناب نواهيه.

حَامَّتك

الحميم القريب الذي تودّه ويودّك[١]. وحَامَّة الرَّجُل خاصَّة أهله، ومن يَقْرُب منه[٢]. وهم أَهلُه وولده وذو قرابته[٣]. ومن ذلك الحديث الذي نقلته كتب الغريب والمعاجم: ((**أنّ النبيَّ (صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قد جَلَّلَ عَلِيّاً وحسناً وحَسَيْناً وفاطِمَة كِسَاءً، ثم قال: اللّهُمَّ هَؤُلاءِ أهْلُ بَيْتي وحَامَّتي، اللّهُمَّ أَذْهب عَنْهُم الرِّجسَ وطَهِّرهُمْ تَطْهِيْراً**))[٤].

وقد استعملت مفردة (حأَّمتكَ) مرة واحدة في نهج البلاغة[٥]، دالة على القرابة الخاصة للمرء، وهم أهله وأولاده. وجاءت هذه الدلالة في سياق عَهده (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لـ(مالك الأشتر)، ينهاه في بعضه أن يُقْطعَ لأحدٍ من حاشيته وحامَّتِه قِطْعةً أرض. يقول: ((**وَلاَ تُقْطِعَنَّ لأحَدٍ مِنْ حَاشِيتِكَ وَ حَامَّتِكَ قَطِيعَةً**))[٦]. ويتضمّن النّص

---

(١) ينظر: لسان العرب (حمم): ١٢/ ١٥٣.

(٢) ينظر: غريب الحديث (الحربي): ١/ ٥٧٩، والنهاية في غريب الحديث: ١/ ٤٤٦، ولسان العرب (حمم): ١٢/ ٢٥٣.

(٣) ينظر: لسان العرب (حمم): ١٢/ ١٥٣.

(٤) مُسْند أبي يعلى: ١٢/ ٤٥١ والحديث في: الجامع الصحيح (سنن الترمذي): ٥ / ٣٥١ دون لفظة (حامّتي). وهو في: النهاية في غريب الحديث: ١/ ٤٤٦، ولسان العرب (حمم): ١٢/ ١٥٣ مبدوء بـ((اللهُمَّ هَؤلاءِ أهْلُ بَيْتِي...)).

(٥) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٢٦.

(٦) نهج البلاغة: ك/ ٥٣: ٥٦٤.

نهياً من تسليط الأقارب والحواشي والخواص على رقاب الناس، وأن لا يُمكّنهم من الاستئثار والتّطاول عليهم[١]. فاستعمل الإمام مفردة (حَاشِيتك) و (حامَّتِك)، لبيان نوعين من خاصّة (الوالي)، فالأولى هم حواشي الوالي،و هم صغار الناس من ذوي المنزلة المتدنّية، إذا انضموا الى جانب الولاة وغيرهم من عِلْيَة القوم[٢]. أمّا القسم الثاني، فهم الحَامّة والقرابة من أهل الوالي وأولاده. وقد أمر (عليه السلام) واليه على مِصْر، أنْ لا يُسلَّط هذين الصنفين من المقربين اليه على الناس، أو يُقْطعهم القطائع من الأراضي، ليستأثروا بها على الرعية. محاباة لهم وأثرة على الرّعية.

العَصَبَة

أصْل العَصَب أطْناب المَفاصِل الذي يُلائم بينها[٣]. وعَصَبَة الرَّجُل أولياؤه الذُّكور من وَرَثته[٤]، ومنهم الأب والابن وهما طَرَف، والعَمّ والأخ، وهما جانب[٥]. والعرب تسمّي قرابات الرّجل أطرافه[٦]، فلّما أحاطت به هذه القرابات وعَصَبت بِنَسَبِه ؛ سُمُّوا عَصَبَة لأنهّم اسْتكفوا بهذا النَّسَب[٧]. ويبدو أنّ هذا المعنى مأخوذ من الإحاطة بالشيء. فكل شيء استدار بشيء، فقد عَصَب به ؛ ولهذا يقال للعمائم عَصائِب، واحدتها عِصَابة[٨]؛ لأنهّا تعصب بالرّأس.

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٧/ ٧٥.

(٢) ينظر: المحكم (حشو): ٣/ ٤٦٤، وتاج العروس (حشو): ٣٧/ ٤٣١.

(٣) ينظر: العين (عصب): ١/ ٣٠٨.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة (عصب): ٢/ ٣٠.

(٥) نفسه.

(٦) نفسه.

(٧) نفسه.

(٨) نفسه.

وقد وردت مفردة (العَصَبة) مرة واحدة في نهج البلاغة[١]. دالة على عَصَبة المرأة من أوليائها، وهم الأب والابن، والعم والأخ، فهؤلاء هم عَصَبتها الذين أحاطوا بها. وعُصِبَت بقرابتهم لها. يقول (عليه السلام) في بُلُوغ النساء: ((**إِذَا بَلَغَ النِّسَاءُ نَصَّ الْحِقَاقِ فَالْعَصَبَةُ أَوْلَى**))[٢]. وقد اختلف شرَّاح كلام الإمام في دلالة مفردات هذا النَّص. فذهبوا الى أنّ كلمة (النَّصَ) تدُل على مُنْتَهى الأشياء وأقصاها[٣]. ومنه قيل: نَصَصْت الرَّجُل، إذا استقصيت مسألته، حتى يستخرج كل ما عنده[٤]. وذكر أبو عبيد القاسم بن سَلّدم (ت ٢٢٤ هـ) أنّ المراد بـ(نَصّ الحِقَاق) الإدراك ؛ لأنّه مُنتهى الصَّغَر، وهو الوقت الذي يَخْرج منه الصَّغير إلى أن يصير كبيراً بالغاً[٥]. وعلى هذا يكون مراد الإمام أنّ النساء إذا بَلَغن ذلك الحال. فالعَصَبة أَولى بالمرأة من أمِّها[٦]. والمراد بالعَصَبَة – هنا– أولياء المرأة من الذّكور حَصراً، وهم الأب والابن، وهما طَرَف، والعَمّ والأخ، وهما جانب من قرابات النَّساء[٧].

---

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢٠٤.

(٢) نهج البلاغة: غ/ ٤: ٦٥١. وقد نقل اللغويون كلمة الإمام (عليه السلام) المتقدمة، ونسبوها اليه، وكثير منهم ممن سبق السيد الشريف الرضي، ومنهم أبو عبيد القاسم بن سلاّم الهروي (ت 224 هـ) في كتابه (غريب الحديث): 457/ 3 وقد تبعه في ذلك فصيلٌ من اللغويين منهم (الأزهري) في تهذيب اللغة (حقق): 16/ 2، وابن الجوزي في غريب الحديث: 227/ 1 و 412/ 2. والجوهري في الصحاح (نصص): 212/ 2 والزمخشري في الفائق في غريب الحديث: 437/ 3، ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث: 563/ 5، وابن منظور في لسان العرب (حقق) 53/ 10، والزبيري في تاج العروس (نصص): 181/ 18.

(٣) ينظر: غريب الحديث (أبوعبيد): ٣/ ٤٥٧.

(٤) نفسه.

(٥) ينظر: غريب الحديث (أبوعبيد): ٣/ ٤٥٧.

(٦) ينظر: غريب الحديث (أبوعبيد): ٣/ ٤٥٧.

(٧) ينظر: تهذيب اللغة (عصب): ٢/ ٣٠٢، والفائق: ٣/ ٤٣٧، والنهاية في غريب الحديث: ٥/ ٦٣.

ومَثَّل أبو عبيد (العَصبَة) في النص بأنهم مَحْرم المرأة من الأخوة والأعمام؛ وليس لهؤلاء أنّ يزّوجوا اليَتيْمة - مثلاً - حتى تُدْرِك[١] حسب ما يفهم من قول الإمام. واستعمل (عليه السلام) الفعل (بَلَغ) مسُنْداً الى الفاعل المؤنث، وهو لفظة (النّساء)، ولكنّه لم يؤنث الفعل معها. ولم يلتفت شُرّاح النّهج الى هذا النوع من التركيب، وتنبّه له الدكتور عبد الكريم السّعداوي الذي عدّه من قبيل قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ**﴾[٢] ؛ فعدم تأنيث الفعل مع كون الفاعل مؤنثاً حقيقاً، راجع الى أنّ الفاعل من أسماء الجمع[٣]. أو هو جمع لكلمة (المرأة) من غيرِ لفظها حسبما يرى اللغويون[٤]. ولهذا صحّ معه تذكير الفعل مع أنّه مؤنث حقيقي. والفعل (بَلَغَ) في هذا النّص، يتضمن الدلالة على البلوغ الشّرعي في النساء، وهو أن تَرى الفتاة ما تراهُ النساء من علامات البلوغ ومنها الحَيْض الذي تصير به الفتاة امرأة بحسب القوانين الشرعية. وسِنّها عند ذلك هو سِنّ البُلُوغ. وهو ما أغفله أغلب اللغويين ؛ لأنهم عُنوا بمفردتي (نَصّ) و (الحِقَاق) دون بقية المفردات الواردة في النّص. وقد شرح السيد الشّريف الرضي كلام الإمام من خلال بيان الدلالات المعجمية للمفردتين المتقدمتين أعلاه، فذكر أنّ (النّصّ) تدل على منتهى الأشياء ومبلغ أقصاها، كالنَّصّ في السَّيْر عند الدَّابة، وهو وصولها الى أقصى ما تقدر عليه من السّيْر. وفسَّر عبارة (نَصَّ الحِقَاق) بالإدراك ؛ بوصفه منتهى الصَّغر، وهو الوقت الذي يخرج منه الصغير الى حد الكبر. و جعل هذا النوع من التعبير من

---

(١) ينظر: غريب الحديث (أبو عبيد): ٣/ ٤٥٧.

(٢) يوسف / ٣٠.

(٣) ينظر: غريب نهج البلاغة: ٣٠٦.

(٤) ينظر: لسان العرب (نسأ): ١٥/ ٣٢١.

أفصح الكنايات وأغربها[١]. وأمّا (الحِقَاق) عنده، فهو مُحُاقّة الأُم للعَصبَة من أولياء المرأة في الجدال والخصومة، والتنازع بينهما في حقَّ الولاية على المرأة. ومن ذلك قول أحدهما للآخر: ((أنا أحقّ منك بهذا))[٢]. وقد اختار الشريف الرضي أن يكون المراد من قول الإمام (نَصّ الحِقَاق)، هو ((بلوغ المرأة الحَدَّ الذي يجوز فيه تزويجها وتصرّفها في حقوقها، تَشبِيهاً بالحِقَاق من الإبل، وهي جمع حِقّة وحِقّ، وهو الذي استكمل ثلاث سنين ودخل في الرابعة، وعند ذلك يبلغ الى الحَدَّ الذي يتمكن فيه من ركوب ظَهره، ونَصَّه في السَّيْر))[٣].

أمّا موقف شُرّاح نهج البلاغة، فقد ضعّف بعضهم ما ذهب اليه أبو عبيد القاسم بن سلام في دلالة الألفاظ في قول الإمام، فضلاً عمّا ذهب اليه الشريف الرّضي أيضاً، فقد عدّ ابن أبي الحديد كلامهما مما لا يشفي الغليل ؛ لأنهما فسّرا معنى مفردة (النّص) بعامّة، ولم يُفسَّرا تعبير (نَصّ الحِقَاق)، ليتطابق معنى اللفظ مع المعنى العام للمفردة حسبما يرى الشّارح المعتزلي[٤]. ويظهر -عندي- أنّ الخلاف بين اللغويين شُرَّاح نهج البلاغة في معنى قول الإمام، راجع الى مفردة (الحِقَاق) فحسب ؛ لأنّ لفظة (نَصّ) واضحة الدلالة في المدونات المعجمية، حتّى أنّ شُرَّاح النهج استعانوا بها لتكون مُدْخلاً لفهم مفردة (الحِقاق)، التي تعددت

(١) ينظر: نهج البلاغة: غ / ع: ٦٥١. ويبدو أن السيد الشريف أخذ هذا التفسير من أبي عبيد القاسم بن سلاّم،الذي شرح كلام الإمام (عليه السلام) في كتابه (غريب الحديث): 457/ 3. وقد أشار السيد الشريف الى ذلك في شرحه. ينظر: نهج البلاغة: غ / 4: 652.

(٢) ينظر: نهج البلاغة: غ / ٤: ٦٥٢.

(٣) نفسه.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٩ / ٩٢،٩٣. وأمّا ما ذهب اليه أبو عبيد وغيره من المصنّفين في الغريب، فهو في: غريب الحديث (أبوعبيد): ٣/ ٤٥٧، والفائق: ٣/ ٣٧، والنهاية في غريب الحديث: ٥/ ٦٣، والديباج الوضي: ٦/ ٢٩١٧.

دلالتها، فأرجعها بعضهم الى المُحَاقَقة والمُجَادلة والخُصُومة. ومنهم من جعلها دالة على الحِقَاق من الإبل أو الحِقّة والحِقّ،الذي استكمل ثلاث سنين ودخل في الرابعة، فبلغ أن يحمل عليه، فهو في ذلك حِقّ[١]. وهذه الدلالة اختارها الشريف الرضي لتكون فيصلاً في معنى كلام الإمام،ووافقه في ذلك الشارح البحراني[٢]. ومنهم من روى هذه المفردة (نَصَّ الحَقَائِق)[٣]. وذكروا أنّ (الحَقَائِق) جمع الحَقِيقَة، وهي ما يصير اليه حَدّ الأمر[٤]. واحتَجّ ابن أبي الحديد على هذا المعنى، ذاكراً أنّ (الحَقَائِق) جمع (حِقَاق)، وليس جمع (حَقِيْقَة)، و(الحِقَاق) جمع (حِقّ)[٥].

أقول: وقد ذكر الفيروزآبادي (ت ٨٠٧هـ) أنّ مفردة (حِقَاق) بناء من أبنية جمع الجمع[٦]. ويمكن توظيف هذهِ الوجه في ترجيح ما قصد الإمام اليه، فبلوغ النساء الغاية في تمام عَقْلِهِنَّ ومعرفة حقائق الأمور، يجعلهن قادرات على تمييز الصالح لهن من الطّالح، ولاسيّما في اختيار الأزواج والاستقرار البيتي. وهو ما يؤدي الى إمكان تزويجهنّ وجَعلهنَّ ربّات حِجَال، قادرات على تحمل أعباء الزواج. ولهذا استعمل الإمام مفردة (حِقَاق) بصيغة منهى الجموع ؛ ليدل بها على الغاية في الحد الذي تبلغه المرأة من الكمال والوعي والبلوغ الشرعي و العقلي معاً. كما يدل جمع الجمع على منتهى الغاية في الجمع. وهذا المعنى لم يلتفت اليه الكثير الشُرَّاح والدّارِسين

(١) ينظر: المحكم (حقق): ٢/ ٤٧٥.

(٢) ينظر: نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٥١٣.

(٣) ينظر: غريب الحديث (أبو عبيد): ٣/ ٤٥٧، وغريب الحديث، (ابن الجوزي): ١/ ٢٢٧ و ٢/ ٤١١، والفائق: ٣/ ٤٣٧.

(٤) ينظر: غريب الحديث (أبو عبيد) ٣/ ٤٥٨، وغريب الحديث (ابن الجوزي): ٢/ ٤١١. ومع نهج البلاغة: ١٣٣.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٢٠/ ٩٣ وغريب نهج البلاغة: ٣١١.

(٦) ينظر: القاص من المحيط (حقق): ١/ ١١٣٠.

حسبما أعتقد اليه الكثير من الدارسين. ولو جعلنا مفردة (حِقَاق) جمعاً لكلمة (حَقِيقَة)،لاتّسقّ ذلك مع الوجه الذي أراه، فالحقيقة هي الوصول الى سِرّ الشيء وكُنْهه. وكذلك المرأة التي تصل (نَصَّ الحَقَائِق)، فإنها تكون – عند ذاك– مُمَيِّزة لما ينفعها ويضّرها، فتعرف حقيقة أمرها في هذه الحالة. ولَو دَلتّ مفردة (نَصّ) على منتهى بلوغ الشيء، وهذه واحدة من دلالات هذه الكلمة في المعجم، لاسْتَقام المعنى الذي اختلف الشّرّاح فيه الإبانة عنه. ولو عُدّت مفردة (نَصّ) دالّة على الارتفاع والظهور حسبما يذكر المعجميون في دلالات مادة (نَصّ). كقولهم: (نَصّ الحديث نَصّاً، إذا رَفَعَه)، ونَصَّ ناقتَه، أي رفعها في السَّيْر، باستقصاء ما عندها من السَّيْر. وانتَصَّ السَّنَام إذا ارتفع(١).

وبحسب هذا الوجه يكون الإمام (عليه السلام) استعار لفظ (الحِقَاق) لأثْدَاء البِنْت الصّغيرة، إذا نهدت وارتفعت،فيتحقق – هنا– شبهها بالحِقّة في البروز، والظهور والارتفاع. وكون المعنى– حينئذٍ –: إذا بلغت الفتاة حدَّ ارتفاع ثَدِيَيهَا، فأبوها وعمّها أولَى بتزويجها لِمن أراد. وقد اختار هذا الشّارح البحراني الذي رَجَّح كلام الشريف الرضي، وصحح له الوجه البلاغي الذي استعمل له الإمام عبارة (نَصَّ الحِقاق)، إذ جعله الشريف الرضي تشبيهاً للمرأة بالإبل الحِقَاق، في حين أنّ هذا الضّرب من التعبير هو من باب الاستعارة وليس التشبيه،مع كون الاستعارة تعتمد التشبيه في أركانها(٢). ثُم قال البحراني: ((وقيل: يُحْتَمل أن يُراد بالنَّصّ الارتفاع. يقال: نَصَّت الضّبّة رأسَها، إذا رَفَعْته، ومنه مِنَصَّة العَروس، لارتفاعها عليها. ويكون قد استعار لفظ الحِقَاق لأثْداءِ الصَّغيرة، إذا نَهَدت حدَّ ارتفاع

(١) ينظر: تاج العروس (نصص): ١٨/ ١٧٨.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني) ٢:٥١٣.

أثدائِهِنّ، كانت العَصَبة أولى بهنَّ من الأمَّ؛ لأنه وَقْت إدراكهنّ وعلامة صلاحيَّتِهِنَّ للتَزوِيج))[١]. وقد اختار هذا الوجه -أيضاً- الباحث عبد الكريم السّعداوي[٢]، الذي أخذه -فيما يبدو- عن الشارح البحراني.

أقول: ولو تَنَبَهْنا الى مفردة (بَلَغَ) في صدارة كلام الإمام، لبَانَتِ المعاني المتداولة في كلامه (عليه السلام)، ولم تكن هناك حاجة الى الوجوه المتقدمة. فمن دلالات لفظة (بَلَغ) البُلُوغ والوصول والانتهاء[٣]. ومن ذلك بلوغ الفتاة أو الجارية والصّبي سِنّ التكليف وهو بلوغهما وإدراكهما. بشكل يتحقق معه تكليفهما الشرعي وتبرز في الفتاة علامات النساء الظاهرة، من قبيل بروز النّهدين، فتصير امرأة كَعَاب. وهو وصف يُطْلق على الفتاة إذا نَهَد ثدياها وارتفعا[٤]. فضلًا عن علامات أخرى طبيعية. ولهذا كان الإمام دقيقاً جداً في استعمال الألفاظ في قوله المتقدم. فجاء بمفردة (بَلَغ) للدلالة على تحقق البلوغ الشرعي للمرأة[٥]، وجاء كذلك بلفظ (النَّساء)، إشارة الى انتقال الفتاة أو الجارية من مَرحلة عمرية الى مرحلة أخرى جديدة، وهي بلوغها مبلغ النّساء، واتّصافها بأوصافها الطبيعية. موظّفاً تعبير (نَصّ الحِقاق) الذي يدل على بلوغ الإبل السّنة الرابعة من أعمارها، ما يجعلها مؤهّلة للرّكوب والجدّ في السَّير. في حين جاء بمفردة (العَصَبة)، للدلالة على قرابات النّساء من محَارِمها الذين لهم الحَقّ في تزويجها وكفالتها، وهم الأب

(١) نفسه.

(٢) ينظر: غريب نهج البلاغة: ٣١٤.

(٣) ينظر: لسان العرب (بلغ): ٨/ ٤١٩.

(٤) ينظر: تاج العروس (كعب): ٤/ ١٥١.

(٥) وقد أشار ابن أبي الحديد الى هذه الفكرة إشارة عابرة، ذاكراً أنّ المرحلة أو الحد الذي تكتمل فيه المرأة والغلام ويتهيأ فيه للجدال والمناظرة،هو سِنّ البلوغ: ينظر: شرح نهج لبلاغة (ابن ابي الحديد): ٢٠/ ٩٣.

والابن والعَم والأخ. وقد مَثَّل الشريف الرّضي لهؤلاء بالأخوَةِ والأعْمام[١]. وأضاف بعض الشّرّاح الأخوال اليهم[٢].

أمّا بالنسبة الى الولاية على المرأة، فقد ذكر الشريف الرّضي أنّ (الإخوة، والأعمام) أَوْلى بالمرأة من أُمِّها في الولاية عليها[٣].ويرى الفقهاء أنّ الوَلي الشرعي على المرأة هو الأب والجَدّ إذا كانت صغيرة، فأمّا إذا كانت كبيرة، فلا خلاف في عدم ولايتهم عليها[٤].

أقول: ذكر الشريف الرضي (الأخوة والأعمام) في الولاية على المرأة راجع الى ما ورد من دلالة معجمية لمفردة (العَصَبة)،وقد أخذ الشريف الرضي ذلك من المتن المعجمي الذي فسّر العَصَبة بالأب والابن والعَم والأخ. ومن الطبيعي أن تكون الدلالة المعجمية للمفردة المتقدمة تختلف عن الدلالة الشَّرعية المتعلقة بأحكام الولاية على النساء، فضلاً عن أنّ الباحث نفسه اعتَّد - فيما يبدو- بدلالة لفظة (العَصَبة) على الأب والعم في كلام الإمام (عليه السلام)[٥].

لُحْمَتُه

اللُّحْمة - بالضَمّ - القرابة[٦]. يقال: بينهما لُحْمة ونَسَب.أي: قَرابة[٧]. ولُحمة

---

(١) ينظر: نهج البلاغة: غ / ٤: ٦٥٢، ومصادر نهج البلاغة وأسانيده: ٤/ ٢٠٦.

(٢) ينظر: الديباج الوضي: ٦/ ٢٩١٥٤.

(٣) ينظر: نهج البلاغة:٦٥٢.

(٤) ينظر: شرائح الإسلام في مسائل الحلال والحرام، للمحقق الحلي: ٤/ ٢٨، وغريب نهج البلاغة: ٣٠٨.

(٥) ينظر: غريب نهج البلاغة: ٣١٤.

(٦) ينظر: لسان العرب (لحم): ١٢/ ٥٣٨، وتاج العروس (لحم): ٣٣ / ٤٠٣.

(٧) ينظر: تاج العروس (لحم): ٣٣/ ٤٠٣.

النَّسب ما تشابك منه[١]. ولُحْمة الثَّوب، ما سُدِيَ به بين سَدي الثَّوْب[٢]. ورُبّما كان هذا المعنى مأخوذاً من قولهم: لا حَمَ الشيء بالشيء، اذا ألْزَقَه به[٣].

ومفردة (لُحْمتهِ) من مفردات نهج البلاغة التي استعملها أمير المؤمنين مرة واحدة[٤]، للدلالة على القرابة. وذلك في بيان من هو وَلُي النبيَّ وعدوّه. يقول (عليه السلام): ((**إنَّ وَلِيَّ مُحَمَّد مَنْ أَطَاعَ اللهَ وإِنْ بَعُدَتْ لُحمَتُهُ، وَإِنَّ عَدُوَّ مُحَمَّد مَنْ عَصَى اللهَ وَإِنْ قَرُبَتْ قَرَابَتُهُ**))[٥]. فجعل طاعة الله تبارك وتعالى ميزاناً في تحديد القرابة من النبي الأكرم، ومعصية الله تبارك وتعالى، عداوة له (صلى الله عليه وآله)،حتى مع كون العاصي من قريباً من النبي. و(اللُّحْمَة) -في النّص- النَّسَب والقرابة حسبما يذكر ابن أبي الحديد الذي لم يبتعد- في تفسير المفردة المتقدمة- عن دلالتها المعجميّة[٦]. وزاد بعض الشّرّاح على هذا الوجه وصف القرابة بالخَصِيصَة[٧].

وأمّا استعماله (عليه السلام) هذه المفردة دون غيرها ؛ فالسياق الذي صاغه الإمام يُراد به إظهار قوة العلاقة بين النبي (صلى الله عليه وآله) وبين المطيع لله تبارك وتعالى بكل ما تعنيه هذه الطّاعة من معنى،وذلك بالأخذ بأوامره وأداء عبادته على أتَمّ وجه، واجتناب نواهيه التي دعا الى الابتعاد عنها. فتحقق اللّحمة في هذا المقام يكون بشرطه وشروطه كما يقال. ويقوم ذلك على معيار إيثار طاعة الله على طاعة هوى

(١) ينظر: لسان العرب (لحم): ١٢/ ٥٣٨.

(٢) ينظر: لسان العرب (لحم): ١٢/ ٥٣٨، وتاج العروس (لحم): ٣٣/ ٤٠٣.

(٣) ينظر: لسان العرب (لحم): ١٢/ ٥٣٨.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٠٨.

(٥) نهج البلاغة: قصا / ٩٦: ٦١٦.

(٦) ينظر: شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: ١٨/ ٢٠٠.

(٧) ينظر: الديباج الوضي: ٦/ ٢٧٨٥.

النفس وشيطانها،فضلاً عن طاعة الظالمين. فسَاقَ الإمام مفردة (لُحْمتة) للدلالة معنى الالتحام والتشابك في العلاقة بين شخصين، كما تشتبك أجزاء الثَّوب بعضها بالبعض الآخر، أو كما تلتحم أجزاء الجَسَد سوياً.

المبحث الثالث
ألفاظ العقب والأولاد والحفدة

العَيال

عَيال الرَّجُل من تكفّل بهم[١]. ورجل مُعِيْل.أي: ذو عِيالٍ[٢].

وقد وردت لفظة (العيال) في نهج البلاغة أربع مرات[٣]، للدلالة على ما يأتي:

أولاً: الدلالة على كثرة العِيال الذين يتكَفّل بهم المَرء.

وذلك أنّ لفظة (عِيَال) من الفاظ الجمع على زِنة (فِعَال)، وهي من الفاظ الكثرة؛ ويُقال لَمن عنده أُسرة كبيرة يتكفّل بها وبعيشها (مُعِيْل)، أي ذو عيال. وكثرة العيال مدعاة إلى التَّضييْق على الإنسان المُعيْل، لهذا أمرَ (عليه السلام) عامله على (مَكّة) أن يَصرف ما اجتمع عنده من أموال على (ذوي العِيَال) و(المجَاعة)، في قوله: ((**وَانْظُرْ إلى مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ مِنْ مَالِ الله فَاصْرِفْهُ إلى مَنْ قِبَلَكَ مِنْ ذَوِي الْعِيَالِ وَالْـمَجَاعَةِ**))[٤]. وتوحي مفردة (العِيَال) في هذا النص بثقل المُتكفّل بهم على المُعيْل، فكانوا سبباً في عوزه وفَقْرِه ومجاعته؛ لأنه يُنْفق جُلَّ ما يملك عليهم. ويتضح ذلك ببيان دلالات أُخر للجذر اللغوي (عَيل)، فمنه (العَالَة)، وهي الفَاقة[٥].

(١) ينظر: المحكم (عيل): ٢/ ٢٤٥.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٢٨.

(٤) نهج البلاغة: ك/ ٦٧: ٥٨٦.

(٥) ينظر: تاج العروس (عيل): ٣٠/ ٨٣.

و(العَيْلَةَ)، وهي الحاجة[١]. ومنه العَوَز أيضاً[٢]. وهذه الدلالات جميعاً تفيد في بيان ضَعْف الحال الذي يعاني منه (ذو العِيَال). ولهذا عطف الإمام لفظة (المجاعة) على (العِيَال) في إشارة إلى أن المَجاعة من أسباب كثرة(العيال) ؛ لأنّها من لوازم الافتقار إلى التَّرف والرّفاه في العيش. و ذِكَره (ذوي العيال)، وتقديمهم على (ذوي المجاعة) يؤيد ماتقدّم ؛ فقد رَتّب (عليه السلام) هذين الصنفين من الناس بحسب شِدّتهم في الاحتياج، مقدّماً (ذوي العيال) ؛لأنّه يمثل الأكثر حاجة إلى ما يسد رمق عياله وأهله. وقد أحسَّ بعض الشُرَّاح بهذهِ المسألة -فيما يبدو- فذكر أنّ أمر الإمام عامله بصرف المال على الرّعية،وأن يَتَوخّ في ذلك الأحْوَج، فالأحْوَج[٣].

أقول: وقد ورد نظير للدلالة المتقدمة لمفردة (عِيَال)، في (قصا / ١٤١).

ثانياً: الدلالة على التكفل والاعتماد.

وتكون مفردة (عِيَال) في هذا النّص، دالة على المُتكَفّل بهم من الناس من الذين يعتمدون على (المَعْيل) في حياتهم. وقد صوّر الإمام اعتماد المخلوقات جميعاً على الله تبارك وتعالى، أروع تصوير؛ موظفاً في ذلك لفظة (عِيَال) في قوله الذي يصف فيه الله تبارك وتعالى: ((... **وَهُوَ المَنَّانُ بِفَوَائِدِ النِّعَمِ، وَعَوائِدِ المَزِيدِ وَالْقِسَمِ، عِيَالُهُ الخَلائِقُ، ضَمِنَ أَرْزَاقَهُمْ، وَقَدَّرَ أَقْوَاتَهُمْ، وَنَهَجَ سَبِيلَ الرَّاغِبِينَ إِلَيْهِ**...))[٤]. وهو (عليه السلام) يجْعَل من الخلائقِ كلها عيالًا لله جلّ جلاله ؛ لأنّه هو الذي يتكفل برزقهم وتدبير أحوالهم وتقدير أقواتهم، وهم يعتمدون عليه في ذلك

(١) نفسه.

(٢) ينظر: المحكم (عيل): ٢/ ٢٤٦.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٣٧٩.

(٤) نهج البلاغة: خ / ٩١: ١٤٩.

كُلّه. فإنّه (جل جلاله) ((**لاَ يَفِرُهُ الْمَنْعُ، وَلاَ يُكْدِيهِ الإِعْطَاءُ وَالْجُودُ**))[١]، كما يقول أمير المؤمنين. فلا يفتقر ولا تُعْوِزه كثرة (الخلائق)، كما هو شأن (ذوي العِيال)، ولا يُصِيبه ما يُصِيب خَلْقه من قِلّة الخير والعطاء حاشاه من ذلك. وقد أشار بعض الشُرَّاح إلى أن مفردة (عِيال) مستعارة استعارها الإمام للخَلْق بالنّسبة إلى رَبِّهم. ووجه المشابهة في ذلك: أنّ عِيال الرَّجُل هم من جمعهم ؛ لجَلْب القُوت لهم وإصلاح حالهم، وكذلك هم الخَلْق الذين خلقهم الله تبارك وتعالى وجمعهم تحت عنايته ؛ لإصلاح أحوالهم في معاشهم ومعادهم[٢].

أقول: ويبدو الأثر النّبوي واضحاً في كلام الإمام (عليه السلام)، فقد ورد في الحديث الشريف أنّ: ((**الخَلْقَ كُلُّهم عِيَالُ الله، فأَحَبُّ الخَلْقِ إلى الله أَنْفعُهم لِعيالِهِ**))[٣].ويبدو أنّه تأثّر بهذا النوع من التعبير النبوي في صياغة فكرة أنّ الخلق جميعاً عيال لله تبارك وتعالى من جهة رعايته لهم وتكفّله بأرزاقهم وحاجاتهم، فضلاً عن توفير أسباب الحياة لهم، من صحة وعافية ومأوى. والحديث النبوي وكلام الإمام كلاهما في الحثّ والتّرغيب على حسن القيام على العيال، وضرورة مداراتهم والسّهر على شؤونهم وتوفير مستلزمات العيش لهم. ونظير الدلالة المتقدمة لمفردة (عِيَال) في الاعتماد والتكفّل، ما ورد في (ك/ ٥٣).

---

(١) نفسه.

(٢) شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٤٣١، والديباج الوضي: ٢/ ٦٨٠.

(٣) المعجم الكبير: ١٠/ ٨٦، وبُغْيَة الباحث عن زوائد مَسْند الحارث المعروف بـ(زوائد الهيثمي)، للحارث بن أبي أسامة المعروف بالحافظ الهيثمي: ٢/ ٨٥٧، ومسند الشهاب، لأبي عبد الله القضاعي: ٢/ ٢٥٥،والديباج الوضي: ٢/ ٦٨٠.

الحَفدة

الحَفد الخِفَّة في العَمل والخِدمة[١]. وهذا هو أصل الدلالة عند اللغويين[٢]. والحَفَدَة وَلَد الوَلَد[٣]. والحَفَدة الخَدَم عند العَرَب والأعوان أيضاً[٤]؛ لأنهم يجتمع فيهم التَّجمُّع والتَّخفيف[٥]. أي تخفيف الحِمْل عن صاحبه. فكل مَن عمل عملًا أطاعَ فيه، فهو حَافِد[٦]. وقد وردت مفردة (حَفَدة) في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللهِ هُمْ يَكْفُرُونَ**﴾[٧].

وتعددت آراء المفسرين في لفظة (حَفَدَة)، فذهب ابن عباس إلى أنّ (الحَفَدة) هم بَنَو البَنِين[٨]. يريد بذلك أولاد الأولاد الذين هم أعوان الرّجل. وقيل: هم الخَدم والأعوان[٩]. وذهب بعض المفسّرين إلى أن (الحَفَدة) هم الأصْهَار[١٠]. أو

(١) ينظر: العين (حفد): ٣/ ١٨٥، ولسان العرب (حفد): ٣/ ١٥٣.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (حفد): ٤/ ٢٤٧، ومقاييس اللغة (حفد): ٢/ ٨٤.

(٣) ينظر: العين (حفد): ٣/ ١٨٥.

(٤) نفسه.

(٥) ينظر: مقاييس اللغة (حفد): ٢/ ٨٤، ولسان العرب (حفد): ٣/ ١٥٣.

(٦) ينظر: تاج العروس (حفد): ٨/ ٣٢.

(٧) النحل / ٧٢.

(٨) ينظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: ١/ ٢٢٧، وغريب القرآن (السجستاني): ١/ ٤١٠، والإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق (دراسة قرآنية لغوية وبيانية)، د. عائشة عبد الرحمن: ٣١٧.

(٩) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري) محمد بن جرير الطبري: ١٤ / ١٤٤، ومجمع البيان: ٦/ ٢٠٧.

(١٠) ينظر: المحرر الوجيز: ٣/ ٤٠٨.

أَختَـان الرَّجـل عـلى بَنَاتـه[١]. والظاهـر أنّ الـذي جعـل المفسريـن يفترقـون عـلى هـذهِ المذاهـب في دلالـة مفـردة (حَفَـدة)، هـو كونهـا مـن (المشـترك اللفظـي)، الـذي تتعـد فيـه دلالات الكلمـة الواحـدة. ولهـذا كثـرت لآراء في هـذه الكلمـة التـي أعتقـد أنهـا تـدل- في الآيـة المباركـة- عـلى أولاد الأولاد، بقرينـة لفظـة (بَنِـين) التـي تـدل عـلى الأولاد مـن ذُرِّيـة الرَّجـل[٢]. ولا يبعـد أن يكـون المـراد مـن ذِكرهـم بهـذا اللفـظ، كونهـم مـن خَـدم الإنسـان وأعوانـه الذيـن يعتمـد عليهـم ويسـتكفي بهـم في النُّـصرة والمـؤازرة، فضـلاً عـن كونهـم أحفـاده في الأصـل[٣]. وهـذا المعنـى يرجّحـه السّـياق الـذي جـاءت فيـه الكلمـة، فهـو سـياق تَفَضُّـل وإنعـام مـن الله تبـارك وتعـالى الـذي هيّـأ للإنسـان لـوازم الحيـاة بـكل مـا فيهـا. وقـد أشـار إلى ذلـك المفسّر ابـن كثـير(ت ٧٧٤ هـ) في تفسـيره لفظـة (حَفَـدة) في الآيـة المباركـة[٤].

وبالعـودة إلى كلام الإمـام (عليه السلام)، فقـد اسـتعملت فيـه المفـردة المتقدمـة مرتـين في نهـج البلاغـة، وجـاءت لفظـة (حَافِـد) بصيغـة اسـم الفاعـل المفـرد مـرة واحـدة[٥]، للدلالـة عـلى مـا يـأتي:

أولاً: الدلالة على الأعْوَان.

وقـد وردت هـذه الدلالـة في سـياق كلامـه عـن نهايـة الشـباب وأُزُوف الانتقـال

---

(١) ينظر: مجمع البيان: ٦/ ٢٠٧.

(٢) ينظر: تاج العروس(بني):٣٧/ ٢٢

(٣) ينظر: غريب الحديث (ابن فتيبة): ١/ ٤٧٤.

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: ٢/ ٥٧٨، والفاظ العلاقات الاجتماعية في القرآن الكريم، دراسة تطبيقية لألفاظ الأسرة والقرابة، رسالة ماجستير، صالح هادي شمام: ١٢١.

(٥) ينظر: المعجم المفهرس لالفاظ البلاغة: ١١٤.

إلى الآخرة، وذلك قوله (عليه السلام): ((**فَهَلْ يَنْتَظِرُ أَهْلُ بَضَاضَةِ**[١] **الشَّبَابِ إِلاَّ حَوَانِيَ**[٢] **الْهَرمِ**[٣]، **وَأَهْلُ غَضَارَةِ**[٤] **الصِّحَّةِ إِلَّا نَوَازِلَ السَّقَمِ؟... مَعَ قُرْبِ الزِّيَالِ**[٥]، **وَأُزُوفِ**[٦] **الانتِقَالِ، وَعَلَزِ الْقَلَقِ، وَأَلَمِ الْمَضَضِ... وَتَلَفُّتِ الِاسْتِغَاثَةِ بِنُصْرَةِ الْحَفَدَةِ وَالأَقْرِبَاءِ، وَالأَعِزَّةِ وَالْقُرَنَاءِ**))[٧]. وتبدو مفردة (الحفَدة) في هذا السياق دالة على الأعوان الذين يُنْتَظَر منهم الإعانة والنُّصرة في المَواقف العظيمة كموقف الموت وغيره. ومما يُعزز ذلك أنّ الإمام عطف على اللفظة المتقدمة كلمة(الأقرِبَاء)،ولو كان المراد بلفظة (الحَفَدة) أولاد الأولاد من أحفاد الإنسان، لما عطف عليها كلمة (الأقرباء)لأنّ هذه المفردة عامة يدخل فيها أولاد الأولاد أيضاً،لأنهم من قرابات الإنسان.

أقول: وقد أختار رُجلُّ شُرَّاح النهج تفسير مفردة (الحفدة) بالأعوان[٨]. ومع هذا، فإننا يمكن أن نُوسّع من دائرة مصاديق لفظة (الحَفَدة)، فنجعل كل مَنْ أعان وسَاعد الإنسان في أمرٍ عَسيْر صَعْب، فهو من حَفَدَتهِ، وبهذا يَصير اولاد

(١) بَضَّ الشيء، سَالَ وخرج ماؤه، وبضاضة الشباب رِقّة اللون وصفاءه الذي يؤثر فيه ادنى شيء ينظر: لسان العرب (بضض): ٧/ ١١٩.

(٢) الحواني جمع (حانية)، وهي التي تحني ظهْر الشيخ وتُكِبّه. ينظر: النهاية في غريب الحديث: ١/ ٤٥٥.

(٣) الهَرَمُ اقصى الكبر. ينظر: لسان العرب (هرم): ١٢/ ٦٠٧.

(٤) الغضارة النعمى والسَّعة في العيش. ينظر: لسان العرب (غضر): ٥/ ٢٣.

(٥) الزّيال الفِراق والتباين. ينظر: لسان العرب (زيل): ١١/ ٣١٦.

(٦) الأُزُوْف الاقتراب. ينظر: لسان العرب (أزف): ٩/ ٤.

(٧) نهج البلاغة: خ / ٨٣: ١٢٨.

(٨) ينظر:شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٦/ ٢٠٦، وشرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٣٨٦، والديباج الوضي: ٢/ ٥٩٢.

الأول من الحَفَدة، وخدم الانسان وحاشيته منهم ايضاً وهذه الدلالات التي تحملها المفردة يمكن ان يحتملها النَّص، لسبب من أن لفظة (الحَفَدة) من المشترك اللفظي الذي تتعدد في معاني الكلمة الواحدة على سبيل اتفاق اللفظ واختلاف المعنى كما يسميه اللغويون(١). وثراء هذه الكلمة دلالياً، هو الذي يجنح بها إلى هذه الاحتمالات التي يكون السياق فيصلاً في تحديد دلالتها.

ثانياً: الدلالة على الأحْفاد، وهم بَنُو البَنِيْن.

وهذه الدلالة وردت في سياق كلامه (عليه السلام) عن تجهيز المَيِّت ونقله إلى دار غُربته: ((... **ثُمَّ أُلْقِيَ عَلَى الأَعْوادِ رَجِيعَ**(٢) **وَصِب، وَنِضْوَ سَقَم، تَحْمِلُهُ حَفَدَةُ الوِلْدَانِ، وَحَشَدَةُ**(٣) **الإخْوَانِ، إلى دَارِ غُرْبَتِهِ...**))(٤). وأشار بقوله (أُلْقِيَ عَلَى الأَعْوادِ)، إلى وَضع الميّت في النَّعش، كأنّه رجِيع تعب عاد تواً من سَفَرِهِ مُنهكاً مَهزولاً كالدّابّة التي ترجع من السّفر، فَتُسَاق إلى سَفَر آخر. وهي لمّا تزَل بعد مُنهكة مَهزولة، لكثرة تِردادها في الأسفار. وكذلك حال ابن آدم، الذي يجيء من سفر الدُّنيا مِلْؤه الهُزال لكثرة ما يحمله من الذنوب والخطايا، مُلقىً على نَعشه تحمله (حَفدة الوِلدان). يعني أحفاده من أولاد أبنائه وبناته أيضاً، لأنهم يدخلون في الأحفاد من قرابة الإنسان فضلاً عن أبنائه أنفسهم. ولاشَكَّ أنَّ الأبناء وأبناء الأبناء هم المُقَدَّمون في حَمل جنازة أبيهم عند موته، ولهذا يرجح أن يكون المراد بـ(حَفَدة الوِلدان) - هنا- الأبناء وأبناء الأبناء. على الرَّغم من أنَّ اللغويين يَرون

(١) ينظر: علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر: ١٤٩.

(٢) أصل الرجوع الإنصراف. والرَّجْيع من الدواب ومن الإبل، ما أُرجع من سَفَرٍ الى سَفرٍ، وهو الكالُ. ينظر: لسان العرب (رجع): ٨/ ١١٦.

(٣) الحّشْدُ الجمع. ينظر لسان العرب (حشد): ٣/ ١٥٠.

(٤) نهج البلاغة: خ / ٨٣: ١٣٤.

أنَّ مجـيء صيغـة (فَعَلَـة) جمعـاً لـ(فَعِيْـل) قليـل الـورود في اللغـة[١]. وهـم يقصـدون بذلـك أنّ (حَفَـدة) هـي جمـع (حَافِـد)، وليسـت جمـع (حَفِيـد)؛ لأنّ (حَفِيْـداً) بـوزن (فَعْيـل)، والكثير في (فَعِيْـل) أن تجمـع عـلى (أَفْعَـال)، فيقـال: حَفيْـد. وجمعـه أَحْفَـاد. وقَلَّ أن يُقـال (حَفَـدة)[٢]. وهـذا الـكلام راجـع إلى أنّ صيغـة الجمـع (فَعَلـة) تطَّـرد في كل وَصـف لمذكـر عاقـل عـلى وزن (فاعـل) صحيـح الـلام، نحـو كاتـب وجمعهـا كَتَبَـةَ، وعَـالِمٍ وجمعهـا عَلَمَـة[٣].

إنّ المسـألة المتقدمـة ليسـت مُطّـردة بحيـث يكـون جمـع (فَعَلَـة) مَقْتـصراً عـلى مـا كان مفـرداً بوزن(فاعـل)، فقـد ورد جمـع (فَعِيْـل)، وهـو مفـرد، عـلى (فَعَلَـة)، وأقـرّ الدارسـون المحدثـون ذلـك، ومنهـم الدكتـور

إبراهيـم السَّـامرائي الـذي قـال: ((أقـول: وجَمْـعُ (الحَفَيْـد) أحْفـاد، وحَفَـدَة. والكثير في جمـع (فَاعِـل) عـلى (فَعَلَة)...))[٤].هـذا أولًا. وثانيـاً أنّ مـن اللغويـين مـن ذكـر أنّ بنـاء (فَعِيْـل) يُجمـع عـلى (أَفِعْلـة)، للدلالـة على القِلّـة، مثـل رَغيْـف وأرْغفـة[٥]. وذكـر بعـض المحدثـين مـن الصرفيـين أنّ (فَعِيْـلاً) تِـرد مجموعـة عـلى (أفْعـال) بقِلّـة، نحـو: أَشْرَاف جمـع شَرِيْـف، وأشْـهَاد جمـع شَـهِيْد[٦].

أقـول: ويمكـن اعتـماد أقـوال الصّرفيـين المتقدمـة في جـواز مجـيء كلمة(حَفَـدَة) جمعـاً لـ(حَفيْـد)؛ لأنّ أبنيـة الجمـوع لا تخضـع لمقيـاس محـدد، فمنهـا مـا يجيء مجموعـاً

(١) ينظر: مع نهج البلاغة: ١٣٢.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: المقتضب، للمبرد: ١/ ١٢٥، ومعاني الأبنية: ١٥٠.

(٤) مع نهج البلاغة: ١٣٢.

(٥) ينظر: الأصول في النحو: ٢/ ٤٤٩.

(٦) ينظر: المهذب في علم التصريف، د. هاشم طه شلاش وصاحبه: ١٨٥.

على بناء في سياق معين، في حين أنّها ترد مجموعة على بناء آخر في سياق آخر، فهذه القضية رهن بالمعنى الذي تُساق هذه الأبنية لأدائه. وليس ببعيد أن يكون هذا الخروج عن الاطّراد في جمع صيغة (فَعيل) على (فَعَلة)، مختصاً بلغة الإمام (عليه السلام)،بوصفه إمام الفصحاء بعد النبي (صلى الله عليه وآله)، فلا غرابة منه هذا الاستعمال الذي وظَّفه لِمنح السّياق ضرباً من السّعَة في الدلالة وإثراء المعنى ؛ من خلال إيثار جمع الكَثرة على جمع القلّة، فإنّه لو استعمل لفظة (أَحْفاد) بدلاً من (حَفَدة)، لَفُهِم من النص قِلّة مَن يحمل الميِّت من أهْله، ولاقْتَصر الذين يحملون نَعْشَه على أحفاده من أولاد أبنائه فَحسب، في حين أنّ (حَفَدَة) تتسِع لِتَشْمِل أولاد الأولاد، ومن هم في طَلِيعة الأعْوان والخَدم الذين يَسْتعين بهم المرء في السَّراء والضَّرَّاء وحين البَأْس. فضلاً عن دلالتها على بقيَّة الأصهار والأختان.

إنّ تخصيص لفظة(حَفَدة)، في هذا السياق، بأولاد الأولاد مع احتمالها دلالات أخرى ثانية، يَعضده لديَّ استعمال الإمام (عليه السلام) مفردة (حَشَدة) بوزن (فَعَلة) في السياق نفسه أيضاً، لتحقيق الانسجام الصوتي بين اللفظتين، فضلاً عن تعزيز الدلالة التي سيقت اليها مفردة (حَفَدة). فـ(الحَشَدة) في اللغة جمع (حَاشِد)، وهم القَوم المَجتمعون المُخفُّون في التَّعاون[١].

وهذه الدلالة المعجميّة تعضد المراد من لفظة (حَفَدة) التي رَجَّحتُ لها الدلالة على أبناء الأبناء وغيرهم من الأعوان من القرابات وغيرهم.ولهذا اختار صاحب الديباج الوضي ما يقرب من هذا الوجه[٢].

(١) ينظر: مقاييس اللغة (حشد): ٢ / ٦٦، ولسان العرب (حشد): ٣/ ١٥٠.

(٢) ينظر: الديباج الوضي: ٢/ ٦١٤.

ثالثاً: الدلالة على الاسراع في الخِدْمة.

واستعمل الإمام مفردة (حَافِد) بوزن اسم الفاعل المفرد لهذه الدلالة، وذلك في سياق كلامه عن الملائكة: ((... **وَلَيْسَ فِي أَطْبَاقِ السَّمَاءِ مَوْضِعُ إِهَابٍ**[١] **إِلاَّ وَعَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ، أَوْ سَاعٍ حَافِدٌ، يَزْدَادُونَ عَلَى طُولِ الطَّاعَةِ بِرَبِّهِمْ عِلْماً**...))[٢]. يُبيِّنُ النص ما يقوم به الملائكة من سجُود وسَعي في طاعة الله تبارك وتعالى. والملاحظ أنّ الإمام (عليه السلام) استعمل صيغة (فَاعِل) للإبانة عن هذه الأفعال، وهي (السجود، والسَّعي، والحَفْد)؛ لما فيها من دلالة على الدوام والثبوت، فضلاً عمّا تضمنها الحَدَث والحدوث وفاعلها[٣]. فهذه الصيغة التي وصف بها الملائكة في أنّ كلّ واحدٍ منهم (سَاجدٌ وسَاعٍ، حافَد) أليَق بحالهم؛ لأنهم دائمو (السّجود،والسَّعي، والحَفْد) في الأوقات كَلّها، فضلاً عن ثبوت هذه الأوصاف فيهم – وهذه الدلالات مأخوذة من صيغة (فاعل)[٤]. وبالعودة إلى الدلالة التي أفادتها المفردة المتقدمة، فإن الشُرَّاح جعلوها دالة على الإسراع[٥]. في الامتثال لطاعة الله تبارك وتعالى[٦]. وهذه الدلالة هي الأصل في مادة (حَفَد) التي تدل على الإسراع والخفَّة في العمل[٧]. و (الاحْتِفَاد) هو السرُّعة في كلّ شيء[٨]. وبهذا يصير معنى كلامه

(١) الإهابُ الجِلْدُ. ينظر: العين (أهب): ٤ / ٩٩.

(٢) نهج البلاغة: خ / ٩١: ١٦٠.

(٣) ينظر: معاني الأبنية: ٤٦، ٤٧.

(٤) نفسه: ٥١، ٥٢.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٦ / ٣٣٣، وشرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٤٥٥، والديباج الوضي: ٢/ ٧٢٩.

(٦) ينظر: الديباج الوضي: ٢/ ٧٢٩.

(٧) ينظر: لسان العرب (حفد): ٣/ ١٥٣.

(٨) نفسه.

الإمام:أنّ كلَّ واحد من الملائكة ساجد أو سَاع مُسرِع مخِفّ في عبادته لله تبارك وتعالى دون كَلَل أو مَلَل.

رَبِيْب

((الرَّبيْب ابن امرأة الرَّجل من غيرِه))[١]. والرَّبيبة الحاضِنة[٢]؛ وسميت بذلك؛ لأنها تُصْلِح الشيء وتقوم به وتجمعه[٣]. والرَّبيْب زوج الأمَّ أيضاً[٤].

ومفردة (رَبيْب) من الفاظ نهج البلاغة التي وردت فيه مرتين [٥]، للدلالة على ما يأتي:

أولا: الدلالة التربية والنَّشْأة على العِزّ والخَيْر.

وجاءت هذه الدلالة في قوله (عليه السلام) الذي يتحدث فيه عن الموتى وحالهم قبل الممات وبعده: ((...**فَكَمْ أَكَلَتِ الأَرْضُ مِنْ عَزِيزِ جَسَد، وَأَنِيقِ لَوْن، كَانَ فِي الدُّنْيَا غَذِيَّ تَرَف، وَرَبِيبَ شَرَف..**))[٦]. والنَّص يصور حال الموتى قبل وفاتهم، وعيشهم في الحياة الدنيا. فأشار(عليه السلام) إلى نعيمهم وترفهم الذي كانوا يَرْفلون به في الحياة الدنيا، التي ربّوا فيها على الشرفِ والعِز بالنعيم[٧].

(١) المحكم (ربيب): ١٠/ ٢٣٦.

(٢) ينظر: المحكم (ربيب): ١٠/ ٢٣٦، ولسان العرب (ربيب): ١/ ٤٠٥.

(٣) نفسهما

(٤) نفسهما

(٥) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٧٨.

(٦) نهج البلاغة: خ/ ٢٢١: ٤٢٩.

(٧) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١١/ ١٢٥.

ثانياً: الرّبيب الكافل والمُربّي.

وقد وردت هذه الدلالة في وصف الإمام ل(محمد بن أبي بكر)[١] الذي قَلَّده (مِصْر)، فَقُتِل فيها.

يقول (عليه السلام) في ذلك: ((**وَقَدْ أَرَدْتُ تَوْلِيَةَ مِصْرَ هَاشِمَ بْنَ عُتْبَةَ**[٢]**، وَلَوْ وَلَّيْتُهُ إِيَّاهَا، لَمَا خَلَّى لَهُمُ الْعَرْصَةَ**[٣]**، وَلَا أَنْهَزَهُمُ الْفُرْصَةَ، بَلَا ذَمٍّ لِمُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْر، فَلَقَدْ كَانَ إِلَيَّ حَبِيباً، وَكَانَ لِي رَبِيباً**))[٤]. والنصَّ في مَدْح (محمد بن أبي بكر)، الذي رعاه الإمام وربّاه،حتى صار القَيِّم عليه والمُربّي؛ فسُمّي رَبِيْبه، وقد تَزوّج الإمام بِأُمِّ (محمد)، فصار زوج أُمِّه. ويمكن أن يضاف إلى هذا المعنى أيضاً دلالة تلك المفردة الكفالة والتَّعَهُّد والحُنوّ على هذا اليتيم من زوج أُمِّه.

---

(١) هو محمد بن أبي بكر القرشي التيمي، المكنى بأبي القاسم، ولد في حجة الوداع، وأمه (أسماء بنت عُمَيْس)، مات عنها زوجها، فتزوجها الإمام (عليه السلام).ونشأ محمد في حجره (عليه السلام)، وشهد معه (صِفّين) و (الجَمل)، ثمّ أرسله الإمام الى مِصْر أميراً عليها، فدخلها في شهر رمضان سنة (37هـ). ثم أرسل معاوية جيشاً بقيادة عمرو بن العاص الى مصر، فقاتلهم محمد حتى قتلوه في صفر سنة (38هـ). وكان الإمام (عليه السلام) يثني عليه ويفضله؛ لعبادته واجتهاده. وقد جعله على الرَّجَّالة يوم صفين. ينظر: تهذيب التهذيب: 70/ 9، وتهذيب الكمال، لأبي الحجاج المزي: 541/ 24.

(٢) هو هاشم بن عُتبة بن أبي وقاص القرشي الزهري، أبن أخي سعد أبن أبي وقاص، يُكنّى (بأبي عمرو). أسلم يوم الفتح، وكان من الفضلاء الأخيار، فُقِئت عينه يوم (اليرموك)، ثم اشترك في معركة (القادسية)، وأبلى فيها بلاءً حسناً. وصحب الإمام علي وشهدَ معه (الجمل) و (صِفّين)، فكان بطلاً شجاعاً، حتى لقب (بالمِرقَال) لجرأته وشجاعته في الحرب، وكانت بيده راية الإمام يوم (صِفّين)، إذ كان فيها على الرَّجَّالة، فقاتل حتى قُطعت رجله، فما زال يقاتل وهو باركٌ، قائلاً: ((الفَحْل يَحْمي شوْله معقولاً)).وقتل يومذاك. ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ٤/ ١٥٤٦ والثقات، لأبي حاتم البَسْتي: ٣/ ٤٣٧.

(٣) العرصة كل بقعة واسعة بين الدور وليس فيها بناء. ينظر: لسان العرب (عرص): ٧/ ٥٢.

(٤) نهج البلاغة: خ / ٦٨: ١٠٦.

الدَّابر

الدَّابـر العَقِـب[١]، وهـو مأخـوذ - فيـما يبـدو، مـن ظَهْـر الـشيء و قفـاه. فالدُّبْـر والدُّبُـر الظَّهْـر[٢]. والدَّابِـر مـن السّـهام أو القِـداح، هـو الـذي لم يخـرج، فهـو خـلاف الفائـز فيهـا ؛ وسـمّي بذلـك لأنـه ولي دُبُـرَ صاحبـه[٣].

وقـد جـاءت لفظتـا (الدّابـر، ودَابـري) في نهـج البلاغـة مـرة واحـدة لـكل منهـما[٤]، للدلالـة عـلى العَقِـب و الخَلَـف الـذي يَخْلـف المـرء. ومـن ذلـك قولـه (عليه السلام) في سـياق الدعـاء: ((**الْحَمْدُ لله الَّذِي لَمْ يُصبِحْ بِي مَيِّتاً وَلاَ سَقِيماً، وَلاَ مَضْرُوباً عَلَى عُرُوقِي بِسُوء، وَلاَ مَأْخُوذاً بِأَسْوَإِ عَمَلِي، وَلاَ مَقْطُوعاً دَابِرِي...**)) [٥]. ويحَمـد الإمـام اللهَ على ضـروب النِّعـم التـي أنعمهـا عليـه، وعـدد منهـا الحيـاة، والصحـة، والسـلامة مـن الآفـات، ومـن الأخـذ بالجريـرة، ومـن ثَـمّ (قطـع الدَّابـر). وهـو الظَّهْـر والقفـا و آخـر كل شيء. وبـه يُعَّـبر عـن نَسْـل الإنسـان وعَقبـه ؛ لأنّـه يَخلفـه مـن بَعـده ويحـل في مكانـه،ويكـون تابعـاً ومُلْحقـاً بـه في البنُـوّةِ. فاسـتعمل أمـير المؤمنـين تعبـير(ولا مَقْطوعـاً دابـري)، للدلالـة عـلى عـدم قطـع نَسْـله وعقبـه[٦]. وقـد احتمـل الشـارح البحـراني أن يكـون المـراد بلفـظ (دابـري) الظَّهْـر بعينـه. وتكـون دلالـة (القطـع) -هنـا -كنايـة عـن الرَّمـي بالدَّواهـي العظيمـة التـي مـن شـأنها قَصـم الظَّهـر وقَطـع القُـوَّة والعضـد[٧]. وهـذا احتـمال وارد،

---

(١) ينظر: لسان العرب (دبر): ٤/ ٢٦٨.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة (دبر): ٢/ ٣٢٥.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٥١.

(٥) نهج البلاغة: خ/ ٢١٥: ٤١٧.

(٦) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٤/ ٢٧.

(٧) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٤/ ٢٧.

وهو غير بعيد عن دلالة مفردة (دابر) التي يراد بها النَّسْلِ والخلف؛ فقطع النَّسْل يمثّل مصداقاً من مصاديق قطع الدابر وقصم الظّهر، فإنّها تنهك قدرة المرء وتمنعه من الأداء الطبيعي لتكوين النَّسْل. وقد وردت لفظة (الدَّابر) دالة على الخَلف والعُقب ايضاً في (ك / ٥٥).

عَقِب

((عَقِبُ الرَّجُلِ وَلَدُهُ، وولد وَلَده البَاقون من بَعْدِهِ))[١]. وقولهم: لا عَقِب له. أي لم يَبْق له ولَد ذَكر[٢] وأصل العَقِب في اللغة هو آخر كل شيء[٣]، ومنه قيل لولد الرجل عَقِبه[٤].

واستعملت مفردة (عَقِب) مرتين في نهج البلاغة [٥]، للدلالة على أبناء الناس ونَسْلهم. يقول(عليه السلام) في سياق الوصية برعاية أولاد الناس: ((**أَحْسِنُوا فِي عَقِبِ غَيْرِكُمْ، تُحْفَظُوا فِي عَقِبِكُمْ**))[٦]. يريد: أن الإحسان في نَسْل بقيّة الناس، كأولاد لأخوة وبقيّة القرابات، يكون مقدمة لحفظ عِقبَكم وأولادكم الذين يَعْقبونكم الانصراف من هذه الدنيا، أو عند السّفر وترك العِيال دون معيل. ولعل إيثاره (عليه السلام) مفردة (عَقِب) بالدلالة، راجع إلى أنه كان يتحدث عن (العَقِب) الذين يَخْلفهم الرجل من بعده، سواء أكانوا يخلفونه بعد وفاته، فيكونوا عندئذ بحاجة إلى الإحسان والرعاية، أو من يخلفهم من وُلْدِهِ عند سفره و ارتحاله إلى مكانٍ ما،

(١) العين (عقب): ١/ ١٧٨.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (عقب): ١/ ١٧٩، ولسان العرب (عقب): ١/ ٦١١.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة (عقب): ١/ ١٧٩.

(٥) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣١٠.

(٦) نهج البلاغة: قصا / ٢٦٤: ٦٥٦.

ابتغاء العِلم أو الحجَّ مثلاً. وهذه المعاني تستلزم أن يكون هؤلاء الأولاد عَقِباً يتركهم خَلْفه. مما يَجْعلهم بحاجة إلى الإحسان والحفظ. ولاسيما إذا كانوا صغاراً.

ويلمس في المفردة المتقدمة (عَقِب) الدلالة على شِدة العلاقة بين الرَّجل وذّريته أيضاً ؛ لأنهم صُلبِه وعصبته، إذ تبين شدة العاطفة والشوق إلى الأبناء عند الارتحال عنهم. وقد ذكر اللغويون أنّ من دلالات مفردة (عَقِب) دلالتها على (العَصَب) الذي يكون في المَتْنيْن والعْلبَاء مرتبطاً بلحم الإنسان والبَعْير، وهو من أصلب أنواع العَصَب وأمتَنِه[١]. فكأنّ ارتباط الرّجل بعَقِبِه كارتباط العَصَب الذي يكون في متن الإنسان من جسمه، فضلاً قوّة هذا النوع من العَصَب الذي يشد به قوام المرء وبدنه.

سِبطاً

السَّبط وَلد الابن والابنة[٢].

وقد وردت لفظة (سِبْطاً) مرة واحدة في نهج البلاغة[٣]، للدلالة على الطائفة من الملائكة. يقول (عليه السلام) لمّا عزم على لقاءِ القوم بِـ(صفَّيْن) داعياً بهذا الدعاء: **((اللهمَّ رَبَّ السَّقْفِ المْرفُوعِ، وَالجُوِّ المَكْفُوفِ[٤]، الَّذِي جَعَلْتَهُ مَغِيضاً[٥] لِلَّيْلِ وَالنَّهارِ، وَمجْرىً لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ... وَجَعَلْتَ سُكَّانَهُ سِبْطاً مِنْ مَلائِكَتِكَ، لاَ يَسْأَمُونَ مِنْ عِبَادَتِكَ...))** [٦]. يشير الإمام في دعائه إلى آيات الله تبارك وتعالى،

(١) نفسه.

(٢) ينظر: المحكم (سبط): ٨/ ٨٣٩، ولسان العرب (سبط): ٧ / ٣١٠.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢٠٩.

(٤) كفَّ الشيء يكفه، إذا جمعه، والمكفوف المجموع: ينظر: لسان العرب (كفف): ٩/ ؟؟.

(٥) غاض الماء بغيض مغيضاً إذا نقص: ينظر: لسان العرب (غيض): ٧/ ١.

(٦) نهج البلاغة: خ / ١٧١: ٣٠٨، ٣٠٩.

ومنها خلق السماء وجعل سكّانها من طوائف الملائكة، الذين لا يفتُرُون عن عبادته، فاختار (عليه السلام) مفردة (سِبْطاً)؛ للدلالة على طوائف الملائكة و جماعاتهم، لما في هذه المفردة من اتساع دلالي، بوصفها من الألفاظ المشتركة المعنى، فهي تدل على الجماعة، والطائفة، والفِرقة، والامتداد. فكأنما هؤلاء الملائكة جماعة ممتدون في طول السماء وعرضها، يطوفون بعرش الله تبارك وتعالى يطيعونه ويخضعون لأمره أنّى شاء ومتى شاء. والمفردة المتقدمة تناسب المعنى الذي يظهر قدرة الله جل جلاله وعظمته. ولو استعمل الإمام مفردة أخرى بدلاً من هذه المفردة، مثل لفظة (قبيلة) أو(جماعة)، لما أدّت هذه المفردات الدلالة المتقدمة فيما أحسب، لأنّه قصد بها الإشارة إلى معنى كثرة هؤلاء الملائكة وامتدادهم في السّماوات والأرض، فضلاً عن بيان اجتماعهم وطوافهم بعرش الله.

أقول: ويبدو الأثر النبوي واضحاً في كلامه (عليه السلام)، من خلال استعماله مفردة (سبط) الواردة في قول النّبي (صلى الله عليه وآله) في واصفاً الإمامين الحسنين (عليهما السلام): ((**الحَسَنُ والحُسيْن سِبْطانِ مِنَ الأسْبَاط**))[1]. فهما حفيدا رسول الله[2]، من ابنته الزهراء (عليها السلام).وقيل: إنّ (سِبْطا) - هنا- تدل على الأمة أو الطائفة. أي: أنهما طائفتان وقطعتان منه (صلى الله عليه وآله)[3]. وهي تفيد في النّص المتقدم الدلالة على امتداد نَسل رسول الله بالحسنين (عليهما السلام) ؛ فمفردة (سبط) مأخوذة من (السّبوط)، وهو-في اللغة- الطول والامتداد. ومنه قيل: (السَّاباط)، لما يحد بين الدارين من سقف. وكذلك قيل لبعض أنواع الشجر (سَبْط)؛ لأنه طويل ممتد. فضلا عن أنّ السَّبْط في اللغة أيضاً

(١) المعجم الكبير:٣/ ٣٢،و٣/ ٥٧،والمعجم الأوسط:٦/ ٣٢٧،والمعجم الصغير:١/ ٧٥.

(٢) ينظر: لسان العرب (سبط): ٧/ ٣١٠.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (سبط): ١٢/ ٢٤٠، النهاية في غريب الحديث: ٢/ ٣٣٤.

يـدل عـلى الطائفـة والجماعـة[1]. وقيـل: أنّ اللفـظ المتقـدم يـدل عـلى معنـى (القَبْيلـة) عنـد اليهـود، كـما تـدل مفـردة (القبيلـة) عـن العـرب[2]. فهـي تفيـد الرجـوع إلى أب واحـد. وإنـما سُـمّي (سِبْطاً)، ليفرق بن ولـد إسـماعيل وَولـد اسـحاق (عليهما السلام)[3]. و نقـل عـن بعـض اللغويـين أنّ (السَّـبط) في كلام العـرب هـم الأولاد[4].

(١) نفسها.

(٢) ينظر: المحكم (سبط): ٨/ ٨٣٩، وتاج العروس (سبط): ١٩/ ٣٢٩.

(٣) ينظر: تاج العروس (سبط): ١٩/ ٣٢٩.

(٤) نفسه.

المبحث الرابع
ألفاظ القرابة والنّسب والبِطانة

الأرْحَام

الرَّحم هو بيت منبت الوَلد ووعاؤه في البَطن(١). ومنه أخذت الدلالة على (الرَّجم)، وهي القرابة القريبة(٢). وقد عكس ابن فارس الفكرة المتقدمة، فذكر أنّه من دلالة لفظة (رَحِم) على القرابة القريبة أُخذت تسمية بيت مَنبت الولد بـ(الرَّحِم)(٣). ويبدو الوجه الأول أكثر قبولًا ؛ لأنّ رَحِم الأمَّ يمثل مكاناً للرأفة والقرابة، وتقع به على كل من يجمع بينه وبين غيره نَسَب أيضاً(٤). وتُطْلق اللفظة المتقدمة على الأقارب من جهة النساء أيضاً(٥).

واستعملت لفظة (رَحِم) في نهج البلاغة غير مرة، بحيث بلغت مرات ورودها بصيغها المختلفة ستّاً وعشرين مرة ؛ ثلاث عشرة منها بصيغة المفرد، و ثلاث عشرة بصيغة الجمع(٦). وانقسمت دلالة هذه اللفظة على قسمين، وهي بحسب شيوعها كالآتي:

أولاً: الدلالة على القرابة.

وهي أكثر الدلالات استعمالاً في كلام أمير المؤمنين، ومنها قوله في سياق

---

(١) ينظر: العين (رحم): ٣/ ٢٢٤، وتهذيب اللغة (رحم): ٥/ ٣٤.

(٢) ينظر: العين (رحم): ٣/ ٢٢٤، ولسان العرب (رحم): ١٢/ ٢٣٢.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة (رحم): ٢/ ٤٩٨.

(٤) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٢/ ٢١٠، ولسان العرب (رحم): ١٢ / ٢٣٣.

(٥) نفسهما.

(٦) ينظر: المعجم المفهرس لالفاظ نهج البلاغة: ١٨٤.

الحدثّ على صِلَة الرَّحم، بوصفها واحدة مما يتوسَّل بها المتوسلون الى الله سبحانه ((... **وَصِلَةُ الرَّحِمِ فَإِنَّهَا مَثْرَاةٌ فِي الْمَالِ وَمَنْسَأَةٌ**[1] **في الأجَلِ**..))[2]. وأراد بـ(الرَّحِم) – هنا– القرابة، بقرينة مفردة (صِلَة) التي تدل على الإحسان الى الأقْربين من ذوي النَّسب والعطف عليهم والرفق بهم[3]. فكأنما (بِصَلةِ الرَّحم) يتحقق الوَصل بما بين الأقرباء من علاقة القرابة والمصاهرة، وغيرها من درجات القُرب بين الناس. والضِدُّ من ذلك هو (قطع الرَّحم). وهو عدم التّواصل والمداومة بين الأرْحَام القريبة أو البعيدة.

وقد حَثّ الإسلام على إدامة الرَّحِم فيما بين الأقارب، وجعل له فوائد كثيرة في صدارتها ما ذكره الإمام (عليه السلام) من كونه ثراء للمال، وإطالة للعمر ؛ ترغيباً لهم في توثيق الصّلة بين القرابات.

وقد وردت لفظة (الرَّحم) دالة على القرابة بقسيمها (القريبة والبعيدة) في لنهج البلاغة في المواضع الآتية: (خ / ٢٦، ١٣٩، ١٥٠، ١٥١، ١٦٣، ١٦٤، ١٧٢، ٢٠٩، ٢١٧، ٢٣١، ك / ١٨، ٢٨ ٢، ٣٦، قصا / ١٠٢، ٢٤٧، ٢٩١).

ثانياً: الدلالة على الرَّحم،وهو مكان ولادة الطفل في بطن الأمّ.

وقد جرى استعمال هذه الدلالة عند الإمام في مواضع متعددة. منها قوله في

---

(١) المَنْسأة التأخير والإطالة، ينظر: لسان العرب (نسأ): ١/ ١٦٦.

(٢) نهج البلاغة: خ / ١١٠: ٢٠٥. ويبدو أنّ هذه الكلمة مأخوذة من الحديث النبوي: ((... فإنَّ صِلَة الرَّحم مَحبّة في الأهل مَثْراة في المالِ مَنسَأةُ في الأثَرِ)). سنن الترمذي: ٤/ ٣٥١، وهو في: النهاية في غريب الحديث: ٥/ ٤٣ ولسان العرب (نسأ): ١/ ١٦٦، وتاج العروس (نسأ): ١/ ٤٦١ دون قوله (محبه في الأهل).

(٣) ينظر: لسان العرب (وصل): ١١/ ٧٢٨.

سياق كلامه عن عِلْم الله تبارك وتعالى: ((.... **فَيَعْلَمُ سُبْحَانَهُ مَا فِي الأَرْحَامِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى، وَقَبِيحٍ أَوْ جَمِيلٍ،...وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ...**))[١]. وعَنى (عليه السلام) بـ(الأرحام) هنا، الموضع الذي ينمو فيه الطفل في بَطْن أمّه، فهو مستقر النشأة الأولى للإنسان حتى ولادته وجاءت لفظة (رَحِم) دالة على بيْت مَنْبت الولد في بطن أمّه في نهج البلاغة في المواضع الآتية. (خ/ ١٢، ٨٣، ٩٠، ٩٤، ١٠٩، ١٢٨، ١٥١، ١٦٣).

صِهْره

الصِهْر حَرَمَة الخُتُوْنة[٢]. والصِهْر هو المتَزوّج في القَوْمِ[٣]. ويبدو أنّ أصل هذه المفردة مأخوذ من القرابة والاتصال بالناس. يقال: ((أَصْهَرْت بهم، إذا اتصَلْت بم، وتَحَرّمْت بجوارٍ أو نَسبٍ أو تزوّج))[٤]. ولعل دلالة التقرّب والاتصال هذه انتقلت،بعد ذلك، لتكون علاقة نَسَبٍ وزواج على سبيل القرابة الحقيقية، فصارت لفظة (صِهْر) تطلق على زوج بِنت الرجل وزوج أُخْته[٥]. فهو الحَمَأ من قبل الزوج[٦]، فأهل بيت المرأة أصْهَار، وأهل بيت الرجل أَخْتَان[٧]. والخِتن أبو امرأة الرّجل، أو أخو امرأته[٨]. وربما جعلوهم جميعاً أصهاراً أيضاً[٩].

---

(١) نهج البلاغة: خ / ١٢٨: ٢٣٥.

(٢) ينظر: العين (صهر): ٣/ ٤١١، ولسان العرب (صهر): ٤/ ٤٧١.

(٣) لسان العرب (صهر): ٤/ ٤٧١.

(٤) نفسه.

(٥) نفسه.

(٦) نفسه.

(٧) نفسه.

(٨) نفسه.

(٩) نفسه.

وقد وردت لفظة (صِهر) ثلاث مرات في نهج البلاغة [١]، دالة على النَّسب والقرابة عن طريق الزواج من النساء. ومن ذلك قوله (عليه السلام) في سياق كلامه على الشورى: ((... **فَصَبَرْتُ عَلَى طُولِ الْمُدَّةِ، وَشِدَّةِ الْمِحْنَةِ، حَتَّى إِذا مَضَى لِسَبِيلِهِ جَعَلَهَا في جَمَاعَة زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ. فَيَاللهِ وَلِلشُّورَى مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الاْوَّلِ مِنْهُمْ، حَتَّى صِرْتُ أُقْرَنُ إِلَى هذِهِ النَّظَائِرِ** [٢] **لكِنِّي أَسْفَفْتُ** [٣] **إِذْ أَسَفُّوا، وَطِرْتُ إِذْ طَارُوا، فَصَغَا** [٤] **رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِه** [٥]**، وَمَالَ الاْخَرُ لِصِهْرِهِ، مَعَ هَنٍ وَهَنٍ**)) [٦]. يشرح الإمام حاله عندما اختير واحداً من أهل الشّورى الذين اختارهم الخليفة (عمر بن الخطاب)، لمّا قَرُبت مَنيَّته جاعلاً الخلافة في سِتةٍ كان الإمام واحداً منهم [٧]. ويستفهم (عليه السّلام) مُتَعَّجباً في أنّه متى اعترض الشَكَّ فيه مع الخليفة الأول، حتى أنّه يُقرن الى هذه النّظائر وأمثالها [٨]. فإنّه طَلب الأمر - أي الخلافة - عندما كان مقروناً بكبار القوم، وقد قرنوهُ الآن بالأصاغر منهم. ثم انتقل الإمام الى بيان أحوال هؤلاء الرَّهط من أصحاب الشورى، الذين مالوا عنه، وجنحوا الى اختيار غيره للخلافة، فهم بين حاقدٍ عليه وكارهٍ له، وبين من يحوز الأمر الى

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢٦١.

(٢) النظائر جمع نظرة، وهي المثل والشبه في الأشكال والأخلاق والأفعال. ينظر لسان العرب (نظر): ٥/ ٢١٩.

(٣) أسفَّ الطائر إسفافاً، إذا طار على وجه الأرض، وأسفَّ السحابُ اذا دَنا من الأرض. ينظر: جمهرة اللغة (سفف): ١ / ١٣٤.

(٤) صَغَا أي مال. ينظر: تاج العروس (صغو): ٣٨/ ٤٢٣.

(٥) الضغن الحقد. ينظر: لسان العرب (ظغن): ١٣/ ٢٥٥.

(٦) نهج البلاغة: خ / ٣: ٣٠.

(٧) ينظر: تاريخ الرسل والملوك: ٢/ ٥٦٠، ٥٦١، وشرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١/ ١٨١، ١٨٢.

(٨) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٠/ ١٨١.

قرابته. فأمّا الحاقِد عليه والمُبْغض له، فالمراد به(سَعد بن أبي وقاص)[1]. حسبما يذكر الشّارح البيهقي الأنصاري[2]. أمّا الذي مال الى صِهْره ونَسِبه، فهو (عبد الرحمن بن عوف)[3]. وقد أشار الإمام بكلمة (صِهْره) الى (عثمان بن عفان)، الذي كان واحداً من أهل الشورى أيضاً، فَجنح إليه (عبد الرحمن بن عوف) لنَسَبٍ كان بيْنهما ومصَاهَرة. وقد ذكر الشُرَّاح أنّ زوج (عبد الرحمن بن عوف)، وهي (أُمّ كلثوم بنت عُقْبة بن أبي معيط)، وهي أُخت عُثمان من أُمِّه[4]. وهذا هو السبب -فيما يبدو- الذي دفع بالرَّجل الميل الى صِهره ؛ لأنّه زوج أُخته. وزاد الإمام (عليه السلام) من بيان هذا المَيْل الذي وصف به (عبد الرحمن بن عوف) بذكر الكناية بمفردة (هَنٍ وهَن). وهي من الكنايات التي تستعمل في الدلالة على الأشياء القبيحة[5]. وقصد بذلك أنّ ميل هذا الشخص لم يكن لمجرد المصاهرة بينهما فحسب ؛ وإنّما لأشياء أخرى يحتمل أن يكون منها الغبطة بوصول هذا

---

(١) هو سعد بن أبي وقاص، واسم أبوه هو مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب يكنى سعد بأبي اسحاق، وأمه (حَمَنَة بنت سفيان بن أميّة بن عبد شمس)، وهو من السابقين في الإسلام، توفي سنة (٥٥هـ).ينظر: الطبقات الكبرى: ٣/ ١٣٧ تقريب التهذيب:١/ ٢٣٢.

(٢) ينظر معارج نهج البلاغة: ١/ ٢٣٤، وشرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١/ ١٥ وشرح نهج البلاغة (البحراني): ١/ ١٧٩.

(٣) هو أبو محمد عبد الرحمن بن عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب، كان اسمه في الجاهلية (عبد عمرو)، ولد بعد عام الفيل بعشر سنين، وكان من السابقين الى الإسلام، وهو أحد الستة الذين اختارهم الخليفة عمر في الشورى. ينظر: الطبقات الكبرى: ٣/ ١٢٤، وسير أعلام النبلاء: ١/ ٦٨.

(٤) ينظر معارج نهج البلاغة: ١/ ٢٣٤، وشرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١/ ١٨٥، وشرح نهج البلاغة (البحراني): ١/ ١٧٩، والديباج الوضي: ١/ ٢١٧.

(٥) ينظر: الديباج الوضي: ١/ ٢١٧.

الأمر اليه[١]، أو الإفادة من حصول نسيبه لهذا المنصب الذي سيدر عليه الكثير من المغانم والفوائد والمكاسب الدنيوية. وقد وردت لفظة (صِهْر) دالّة على المعنى نفسه في (خ/ ١٦٢، ١٦٤).

الوَليجة

الوُلُوج الدُّخُول[٢]. الوَلِيْجة هي بِطَانة الرَّجُلِ ودُخلته[٣]. وهم خاصة الإنسان[٤]. وهذه المفردة مأخوذة من الوُلُوج، وهو الدّخول كما يذكر اللغويون[٥]. والوَلِيْجة اللَّصيْقُ بالناس المختص بهم، وهو ليس منهم[٦]. وتجمع هذه اللفظة على وَلائِج[٧].

وقد استعملت لفظة (الوَليْجة) بصيغة المفرد،و (الوَلائج) بصيغة الجمع مرة واحدة لكلٍ منهما في نهج البلاغة[٨]، للدلالة على ما يأتي:

اولاً: الدلالة على كتمان أمر البَيْعة وإسراره في النَّفْس.

وجاء ذلك في قول الإمام الذي يتحدث فيه عن (الزُّبيْر) وبيعته للإمام: **((يَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ بَايَعَ بِيَدِهِ، وَلَمْ يُبَايِعْ بِقَلْبِهِ، فَقَدْ أَقَرَّ بِالبَيْعَةِ، وَادَّعَى الوَلِيجَةَ، فَلْيَأْتِ**

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ١/ ١٧٩، ١٨٠.

(٢) ينظر: العين (ولج): ٦/ ١٨٢، والمحكم (ولج): ٧/ ٥٥٤.

(٣) نفسها.

(٤) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٥/ ٢٢٣.

(٥) ينظر لسان العرب (ولج): ٢/ ٤٠٠.

(٦) ينظر: تهذيب اللغة (ولج): ١/ ١٣١ وتاج العروس (ولج): ٦/ ٢٦٢.

(٧) ينظر: تاج العروس (ولج) ٦ / ٢٦٢.

(٨) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٩٣.

عَلَيْهَا بِأَمْرٍ يُعْرَفُ، وَإِلاَّ فَلْيَدْخُلْ فِيمَا خَرَجَ مِنْهُ))[١]. ويريد (عليه السلام) بـ(أدّعى الوَلِيْجة)، أدّعاء الزُّبير إسرار عدم رغبته في بَيعة الإمام في قَلْبه، وإنه بايع بِيَدِهِ لا بِقلْبه وإيمانه[٢]. حتّى روي عنه أنه ورَّى في البَيْعة تَوْرية[٣]. ولهذا ردّ عليه الإمام بأنّ ذلك إقرار للبيعةِ منه، وأنّ أدّعاءَهُ (الوَلِيْجة)، وإضماره أمراً آخر لا يقوم عليه دليل، مطالباً إيّاه بالدليل على ما أضمره في نفسه[٤]. وإلا فيلزمه الدخول فيما خرج منه.

أقول: وأصل (الوليْجة) بطانة الرَّجل ودُخْلته وخاصَّته[٥]. وهذه الدلالة مأخوذة من دُخول الشيء في الشيء[٦]. ثم صارت اللفظة بعد ذلك دالة على دُخُول الشيء في الشّئ، وهو ليس منه، ومن ثَمَّ أُطلِقْت على اللَّصِيْق من الناس[٧]، وهو الدّاخل بين القوم دَخِيْلَةً.

وقد وَسَّع الإمام من دلالة هذه المفردة في السياق المتقدم، فجعلها دالّة على ما أضمره (الزُّبَيْر) في قَلْبه من أمر، فكأنما أَوْلَج أمره وكتمه في نفسه، وصيّره بطانَة له وخاصّة، وأظهر غيره للملأ؛ لأن (الزبْير) ادّعى الدخول في البَيْعة مكرهاً[٨]. وأنه أضمر في نفسه غير هذا.

---

(١) نهج البلاغة: خ / ٨: ٣٨ وقد وردت هذه الكلمة مروية عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في كتب اللغة، ينظر: النهاية في غريب الحديث: 223/ 5، ولسان العرب (ولج): 400/ 2.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١/ ٢١٧، وشرح نهج البلاغة (البحراني):١/ ١٩٤.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١/ ٢١٧.

(٤) نفسه.

(٥) ينظر: العين (وَلَج): ٦/ ١٨٢، والنهاية في غريب الحديث: ٥/ ٢٢٣.

(٦) ينظر: المحكم (ولج): ٧/ ٥٥٤.

(٧) ينظر: تهذيب اللغة (ولج): ١١/ ١٣١.

(٨) ينظر: الديباج الوضي: ١/ ٢٥٠.

ومن الجدير بالذكر أنّ الإمام (عليه السلام) وظّف هذه المفردة في كلامه، للتعبير عمّا قال (الزُّبَيْر)،متّخِذاً من هذه المفردة القرآنية سبيلاً له لبيان هذا المعنى، فقد وردت المفردة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(١).أمّا في دلالة هذه الكلمة، فقد ذكر المُصَّنفون في غريب القرآن أنهّا تدل على البِطانة الدّخلاء من المشركين الذين يخالطهم المسلمون ويودّونهم(٢). وفي الآية تعريض بالمنافقين الذين اتّخذوا الولائِج من الكفّار، ولاسيما عند فرض القتال(٣). والولائج هم الدُّخلاء من المشركين الذين كان بعض المسلمين يوادّونهم من دون الله ورسوله.

ثانياً: الدلالة على البِطانة الداخليّة لأكمام الشَّجَر.

واستعمل الإمام (عليه السلام) لهذه الدلالة لفظة (وَلَائِج) بصيغة الجمع، وأتى بها في سياق بيان قُدْرة الله تبارك وتعالى على العلْم والخَلْق. يقول (عليه السلام): ((**عَالِمُ السِّرِّ مِنْ ضَمَائِرِ الْمُضْمِرِينَ، وَنَجْوَى الْمُتَخَافِتِينَ**(٤)... **وَهَمْسِ**(٥) **الْأَقْدَامِ، وَمُنْفَسَحِ**(٦) **الثَّمَرَةِ مِنْ وَلَائِجِ غُلُفِ الْأَكْمَامِ**...)) و(ولائج غُلُف الأكمام) أي ما كان داخلاً في بطانةِ

(١) التوبة / ١٦.

(٢) ينظر: غريب القرآن، (ابن عُزَيز السّجستاني): ١/ ٤٨٠، والبيان في تفسير غريب القرآن ؛ لشهاب الدين المصري:١/ ٢٢٢.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: ٣/ ١٤.

(٤) النّجْوى إسرار الشيء. وأصله من النجاة بالسرَّ. والتخافت والخفوت هو ضَعْف الصوتِ. ينظر: تاج العروس (نجو): ٤٠/ ٢٩، (خفت): ٢/ ٣٠.

(٥) الهمس الخَفيُّ من الصوت الوَطئ.وهَمَس الأَقْدَامِ أخْفَى ما يكون من صوتِ الوَطئ. وينظر: لسان العرب (همس): ٦/ ٢٥٠.

(٦) الفُسْحَة السّعة، ومَراح مُنْفسخٌ، أي كثير النَّعَم. وينظر: لسان العرب (فسخ): ٢/ ٥٤٣.

أغلِفةِ أكْمامِ الثَّمر في الأشجار. والغُلُف جمع غِلافٍ، وهو الصّوان، وما أشتمل على الشيء، كقميص القَلْبِ، وكِمامُ الزَّهر[١] والأكْمام هي أغلِفةُ الزَّرع التي يخرج منها، وأكمام النَّخْلةِ ما غَطّى جُمّارها من السَّعْفِ واللَّيْف[٢]. وهو (الكِمُّ) بالكَسْرِ[٣]. ومن هذا البيان اللغوي للمفردات المجاورة للفظة) (ولائج). يمكن الوصول الى دلالة هذه المفردة، فالولائج هي ما دخل في الشيء كما مر سلفاً، وهي – هنا– لا تعني ما دخل في الشيء وهو ليس منه، وإنما المراد بها بِطانَةُ غُلُف اكمام الشَّجَر، وهو ما تَضُمنّه الأكمام واغلفتها من بَراعِم. وقد ناسب استعمال هذه الكلمة بصيغة الجمع مع ما بعدها من مفردات استعملت بالجمع أيضاً، وهي لفظة (غُلُف) التي وردت مجموعة على (فُعُل)، والأكمام التي جمعت على (أفْعَال).وإنما أورد أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا التعبير للدلالة على أنّ الله تبارك وتعالى عالم بكل صغيرة وكبيرة في الكون.

أقول: وقد وردت لفظة (ولائج) دالة على البطانة والاعتصام في (خ/ ١٥٠، ٢٣٩). في حين دَلّت على الإسلام وطريقته في (خ / ١٠٦).

الحَماُ

الحَمُو أبو الزَوْج وأخوهُ[٤]. وقيل: إنَّ كلّ من ولي الزوج من ذي قرابته، فهم أَحْمَاء المرأة[٥]. وكذلك أم الزَّوج، فهي حَمَاة الزَّوْجة[٦]. وربّما همزوا المفردة المتقدمة،

(١) ينظر: لسان العرب (غلف): ٩/ ٢٧١.

(٢) نفسه (كمم): ١٢/ ٥٢٦.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة (كم): ٥/ ١٢٢، والفاظ الشجر والنبات في القرآن الكريم (دراسة ومعجم)، رسالة ماجستير، أسعد جواد الخفاجي: ٧٠.

(٤) ينظر: العين (حمأ): ٣/ ٣١١، وتهذيب اللغة (حمأ): ٥ / ١٧٦.

(٥) نفسهما.

(٦) ينظر: العين (حمو): ٣/ ٣١١.

فقالوا: حمؤ، وحَمَأ[١]. وتجمع لفظة (الحَمَأُ) على (أَحْمَاء)[٢].

وقد وردت مفردة (الحَمَأ) بالهمز مرة واحدة فقط في كتاب نهج البلاغة[٣]، وذلك في قوله (عليه السلام) الذي يتحدث فيه عن (طَلْحَة بن عبيد الله والزُّبَيْر ابن العوام) قائلاً: ((**وَاللهِ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَراً، وَلاَ جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نَصِفاً. وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقّاً هُمْ تَرَكُوهُ، وَدَماً هُمْ سَفَكُوهُ، فَإِنْ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ نَصِيبَهُمْ مِنْهُ، وَإِنْ كَانُوا وَلُوهُ دُونِي، فَمَا الطَّلَبَةُ[٤] إِلاَّ قِبَلَهُم... وَإِنَّهَا لَلْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ**[٥]،

(١) نفسه.

(٢) ينظر: المحكم (حمأ): ٣/ ٤١١.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٢٣.

(٤) الطلب محاولة وجدان الشيء وأخذه، والطِلبة – بكسر اللام– ما طلبته من شئ. ينظر: لسان العرب (طلب): ١/ ٥٦٠.

(٥) (الفئة الباغية) مصطلح أو تسمية تطلق على (النّاكثين) الذين نكثوا بيعتة الإمام علي(عليه السلام)، وهم (طلحة والزبير). وقد أُثر عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) – كما تروي المدونات الحديثية – أنّه أمر الإمام (عليه السلام) بقتال (النّاكِثين)، وذلك في قوله لأمير المؤمنين (عليه السلام): ((تُقَاتِلُ الناكثِيْن والقاسطِيْن والمارِقِيْن)). ينظر: المستدرك على الصحيحين: 150/ 3. أقول: والحديث المروي عن النبي (صلى الله عليه وآله) في ذلك هو قوله: ((ياعَلِيُّ: سَتُقَاتِلُكَ الفِئَةُ البَاغِيَةُ، وأنْتَ على الحقِّ، فَمَنْ لَمْ يَنْصُرْكَ يومَئذٍ فليسَ مِنّى)). كنز العمال في سُنن الأقوال والأفعال، للمتقي الهندي: ١١/ ٢٨٢، وتاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية مَنْ حَلّ بها من الأماثل ؛ لأبي القاسم الشافعي:٤٢/ ٤٧٣، والغدير، للعلامة الأميني: ٣/ ٢٠٤. ومن الغريب ما ذكره الدكتور إبراهيم السامرائي عند حديثه عن دلالة مفردة (الحمأ) في كلام الإمام (عليه السلام)، وأنها تدل على مطلق القريب والنّسيب، وأنّ الإمام كنّى بها عن (الزُّبَيْر) فقال: ((.... وجاء في الأثر في كتب الشيعة، أنّ النبّي أخْبَرَ عَلِيّاً أنه سَتَبْغي عليه فِئةٌ فيها بعض أحْمائه وإحدى أزواجه...)). مع نهج البلاغة: 16 والحال أنّ هذا الخبر مروي عند غير واحدٍ من المسلمين، ومنهم من ذكرناهم آنفاً، فليس للدكتور السامرائي (رحمه الله) أنْ يقصر الخبر على كتب المسلمين الشيعة،وقد رواه (ابن أبي الحديد) الذي نصّ على ذلك بقوله ((...وقد كان النبي(صلى الله عليه وآله) أعلم علياً بأنّ فئة من المسلمين تبغي عليه أيّام خلافته، فيها بعض زوجاته وبعض أحمائه...)) ينظر: شرح نهج البلاغة:9/ 28.

فِيهَا الْحُمأُ وَالْحُمَةُ...))[١]. والسياق - هنا - سياق إنكار وردّ على طلحة والزُّبير، اللّذَين لم يُنصفا الإمام (عليه السلام) في حَقّه، وادّعوا عند خروجهم عليه أنهم يطلبون بدم الخليفة (عثمان بن عفان). لهذا ردّ عليهم أمير المؤمنين بكلامه هذا، واصِفاً إيّاهم بـ(الفِئة الباغية) المكونة من (الحَمأ، والحُمَة). ومفردة (الحَمأُ) من الفاظ القرابة التي تدل على من تكون قرابته بسبب من الزواج بالنساء. فالحمأ هو أبو زوج المرأة أو أخوه[٢].

وقد ذكر شُرَّاح النّهج أنّ الإمام قد كنّى بالمفردة المتقدمة عن (الزُّبيْر)؛ لأنّه كان ابن عَمَّة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). وكل ما كان من النّسَب بسبب القرابة الرجل يقال له (حَمَأ) وجمعه (أحْماء). وما كان بسبب من المرأة، فهم الأُختَان[٣]. وقد ذهب بعض الشُرَّاح الى توسيع دلالة مفردة (الحمأ)، بجعلها دالة في سياق كلام الإمام على القريب والنَّسيب مطلقاً[٤]. ويلحظ أنّ شرّاح النهج الذين اختاروا أن تكون مفردة (الحمأ) كناية عن (الزُّبير)، اعتمدوا السياق الخارجي في بيان هذه الدلالة، وهو سياق الحديث النبوي؛ فقد رُوي أنّ النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) قد أخبر الإمام أنّه ستقاتله (الفِئة الباغية) عند تولّيه الخلافة، فلّما خرج عليه (أصحاب الجمل)، وفيهم (طَلْحة والزُّبيْر، وأم المؤمنين (عائشة)، قال(عليه السلام) قولته المتقدّمة، مستعملاً تعبير (الفئة الباغية)، وكأنّه يُوميء الى أنها الفئة التي أخبره النبي بخروجها عليه، حتّى أنّه استعمل لفظة (الفِئة) محلاة بـ(ال) التعريف التي دَلّتْ في هذا الموضع من

---

(١) نهج البلاغة: خ / ١٣٧: ٢٤٤-٢٤٥.

(٢) ينظر: العين (حمو): ٣/ ٣١١، ومع نهج البلاغة: ١٣٦.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي ياالحديد): ٩/ ٢٨، ونهج البلاغة (عبدة): ١ / ٢٢٢ هامش (٣)، ونهج البلاغة: ٢٤٥ هامش (٢) ومع نهج البلاغة: ١٣٦.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٩/ ٢٨، ونهج البلاغة (عبده) ١ / ٢٢٢ هامش (٣).

كلامه على مَعْهُود بينه وبين رسول الله، حَتّى لقد ذكر الشُرَّاح أنّ لام التعريف في لفظة (الفئة) تشعر بأنّ نَصّاً قد كان عنده، أنّه ستخرج عليه فِئة باغية، عَيّن له النبي بعض علاماتها، فلّما لاقى أصحاب الجمل، ورأى تلك العلامات فيهم قال: (إنّها الفِئة الباغية)، ولولا ذلك لقال الإمام (وإنّها لِفئةُ باغيةٌ) على التنكير[1]. وقد صرّح بذلك غير واحد من الشّرّاح، ومنهم محمد أبو الفضل إبراهيم الذي اختار أن يكون المراد بـ(الفئة الباغية) أصحاب الجمل جميعاً. وكأنّه يختار الوجه الذي ذهب اليه ابن أبي الحديد في ذلك[2].وبالرجوع الى دلالة مفردة (الحَمَأ) في سياق كلامه(عليه السلام)، نلحظ أنّها تحتمل دلالتين ؛ الأولى الدلالة على مطلق القرابة والنَّسَابة كما ذكر ذلك الشُرَّاح، فهي غير مخصوصة بالنَّسْيب الذي هو والد الزوج وأخوه، لأنّ المفردة المتقدمة لو كانت كناية عن (الزُّبير)، فالزُّبير بحسب التَوْصِيف الذي يذكره اللغويون، لا يكون من أَحْماء النبي (صلى الله عليه وآله) أو الإمام، لأنّه ابن عَمّتهما معاً[3]، ولا يمكن قبول هذا الأمر من الشرَّاح الذين ارتضوا بدلالة لفظة (الحَمَأ) على القرابة من النبّي، إلاّ إذا وَسَّعنا من المعنى الذي تفيده المفردة المتقدمة، بجعلها دالة على مطلق القريب والنَّسب. حسبما اختار ذلك بعض الشُرَّاح[4]. أو أن تكون لفظة (الحَمَأ) لا يراد بها أن يكون (الزُّبيرْ) حَمَأ رسول

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٩/ ٣٠، وشرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٥٨٣، ٥٨٤.

(٢) ينظر: نهج البلاغة(محمد أبو الفضل إبراهيم): ١/ ٣٠هامش(٥).

(٣) لأنّ أمَّ (الزُّبيرْ) (صفية بنت عبد المطلب)، هي أُخْت (عبد الله) والد النبيّ محمد (صلى الله عليه وآله)، وأخت (أبي طالب) والد أمير المؤمنين علي، فعلى هذا يكون الزبير ابن عمّة النبي والإمام علي في الوقت نفسه، ويكون الزبير في إزاء ذلك ابن خالِ الإمام علي. وقد وقعت بعض شروح نهج البلاغة في غلط لعله بسبب من الطباعة،حينما ذكرت أنّ (الزّبير) هو ابن خالة الإمام (عليه السلام).ينظر: نهج البلاغة، تعليق السيد محمد الحسيني الشيرازي: 257 هامش (1).

(٤) ينظر: نهج البلاغة: (عبدة): ١/ ٢٢٢ هامش (٣)، ونهج البلاغة: ٢٤٥ هامش (٢)، ومع نهج

الله (ﷺ)، وإنما حَمَأُ لأمِّ المؤمنين عائشة، من جَهة قرابته من النبي الأكرم، بوصفه ابن عَمَّتِه، وهو من هذه الجهة بمنزلة الأخ لرسول الله. ولّما كان أخو الزوج مما يطلق عليه لفظ (الحمأ) بالنسبة للزوجة أيضاً. لهذا وظف الإمام المفردة المتقدمة في الاشارة الى هذا المعنى، وبذلك يصبح الزُّبير حَمَأ السيدة(عائشة) من جهة قرابته من النبي فحسب دون النظر الى بقية أسباب القُرْبى الأخرى التي تُربِطه بالإمام علي، أو مع (أم المؤمنين)، لأنّه زوج أُخْتِها(أسماء بنت أبي بكر)[١].

أقول: وثمّة دلالة أخرى تدل عليها مفردة (الحَمأ) يمكن توظيفها في اسكناه معانٍ أخرى للسياق العَلَوِي، فمن دلالات(الحَمأ) في اللغة الكدرة وفساد الرائحة. فضلاً عن الطَّيْن الأسْودِ المُنْتِن الذي خالطْته الحَمَأةُ، فكَدُر وتغيّرت رائحته[٢]. ومن هذه الدلالة قوله تبارك و تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ**[٣] **مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ**[٤]﴾[٥].

أقول: وبهذا المعنى تصبح مفردة (الحَمَأ) في كلام الإمام، دالة على فَسَاد هذه الفئة وقذارتها، وسوء ما تفعله بالأمة من فِتنٍ. فكأنّه(عليه السّلام) يشبّه أصحاب هذه الفئة وقادتها بالطِيْنَة السّوداء التي خالطتها الكُدرة وغيّرتها حتى

البلاغة: ١٣٦.

(١) هي أسماء بنت أبي بكر زوجة بن العوّام، وأمُّ أولاده، عبد الله وعروة بن الزبير. أسلمت بمكة، وبايعت رسول الله (ﷺ). عاشت مائة سنة، حتّى ماتت سنة (٧٣ هـ) أو (٧٤ هـ).ينظر: الطبقات الكبرى: ٨/ ٢٤٩، ومعرفة الثقات: ٢/ ٤٤٩، وتقريب التهذيب: ١/ ٧٤٣.

(٢) ينظر: المحكم (حمأ): ٣/ ٤١١، ولسان العرب (حمأ): ١/ ٦١.

(٣) الصلصال هو الطين اليابس الذي يصل منن يبسه. ينظر: لسان العرب (صلل): ١١/ ٣٨٢.

(٤) المسنون المتغير الرائحة (المنتن). ينظر: المحرر الوجيز: ٣/ ٣٥٩.

(٥) الحجر / ٢٦. ينظر الآيات: ٢٨، ٣٣.

أصبحت ذات رائحة كريهة مُنتِنةٍ. وذلك - فيما يبدو - إشارة الى ما سَتُخلّفه هذه الطائفة من أذىً وقتل في المسلمين. وقد أشار الشارح البحراني الى هذا الوجه من الدلالة لمفردة (الحَمَأ) التي جعلها الإمام ((استعارة للغِلِّ والفَسَاد الذي كان في صدور هذه الفئة، ووجه الاستعارة استلزامه لتكدير الإسلام، وإثارة الفتنة بين المسلمين كما تكدّر الحَمَأُ وتخبثه..))[١].

أقول: وكما كنّى الإمام عن (الزُّبير) بـ(الحَمَأ)، فإنّه استعمل مفردة (الحُمَة)، كناية عن السيدة (عائشة) التي تَزَعَّمت أصحاب الجَمَل. حسبما ذكر ابن أبي الحديد[٢]، والدكتور إبراهيم السامرائي الذي تابعه في ذلك[٣]. وأصل (الحُمّة) في اللغة إبْرة العَقْرب والزّنبور[٤]. وإنما هي سُمُّ كل شيءٍ يَلْدغ أو يلْسع[٥]. ومن هذه الدلالة نلمس معنى الأذى والشِدَّة والألم الذي تُسبِبِّه (الحُمَة) للملدوغ بها، وهذه المعاني كلّها مُسَّوغات للكناية عمّا تفعله (الفئة الباغية وقادتها) في الإسلام والمسلمين من أذىً وقَتْل وألم كما يفعل سُمُّ العقرب بالملدوغ[٦].

خَدِيْن

الخِدْنُ - في اللغة - مُحدَّث الجَوَاري وصديقُهن[٧]. وخِدْنُ الجارية مُحُدّثها[٨].

---

(١) شرح نهج البلاغة (البحراني):٣ / ٥٨٤.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٩/ ٢٨.

(٣) ينظر:مع نهج البلاغة: ١٣٦.

(٤) ينظر: العين (حمي): ٣/ ٣١٣.

(٥) ينظر: العين(حمي): ٣/ ٣١٣، وتهذيب اللغة (حمم): ٤/ ١٤.

(٦) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٥٨٤.

(٧) ينظر: تهذيب اللغة (خدن): ٧/ ١٢٥، ولسان العرب (خدن): ١٣/ ٣٩.

(٨) ينظر: العين: (خدن): ٤/ ٢٣٢، وتهذيب اللغة (خدن): ٧/ ١٢٥.

وكانت العرب في الجاهلية لا يمْتَنِعون من خِدْنٍ يُحَدِّث جواريهم، فجاء الإسلام وهدم هذا الأمر[١]. إذ قال تبارك وتعالى في بيان صِفة الجواري من مُلْكِ اليَمِن: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٢]. والخَدِين مُخادِنُك الذي يكون معك في ظاهر أمرك وباطنه[٣].

ومفردة (خَدِين) من الفاظ نهج البلاغة التي استعملها الإمام مرة واحدة في نهج البلاغة[٤]، للدلالة على الصَداقة والصُحْبة القريبة. يقول(عليه السلام) في سياق ردّه على مَن عاتبه على تَسْويتِهِ في العطاء: ((....**لَوْ كَانَ الْمَالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ، فَكَيْفَ وَإِنَّمَا الْمَالُ مَالُ اللهِ. أَلاَ وَإِنَّ إِعْطَاءَ الْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ تَبْذِيرٌ وَإِسْرَافٌ، وَهُوَ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ فِي الدُّنْيَا وَيَضَعُهُ فِي الآخِرَةِ، وَيُكْرِمُهُ فِي النَّاسِ وَيُهِينُهُ عِنْدَ اللهِ، وَلَمْ يَضَعِ امْرُؤٌ مَالَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ إِلاَّ حَرَمَهُ اللهُ شُكْرَهُمْ وَكَانَ لِغَيْرِهِ وَدُّهُمْ، فَإِنْ زَلَّتْ بِهِ النَّعْلُ يَوْماً فَاحْتَاجَ إِلَى مَعُونَتِهِمْ فَشَرُّ خَلِيل وَأَلأَمُ خَدِين**))[٥]. و(الخَدِين)

---

(١) نفسه.

(٢) النساء/ ٢٥، وينظر اللفظ نفسه في المائدة/ ٥.

(٣) ينظر: العين (خدن): ٤/ ٢٣٢، وتهذيب اللغة (خدن): ٧/ ٢٥.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٣.

(٥) نهج البلاغة: خ/ ١٢٦: ٢٣١، ٢٣٢. وقد نقلت كتب الغريب والمعاجم قول الإمام في هذه الخطبة: ((... فَشَرُّ خَلِيل وَأَلأَمُ خَدِين)). ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٢/ ١٥، ولسان العرب (خدن): ١٣/ ١٣٩، والمعجم الوسيط: ١/ ٢٢٢.

في قولـه: الصديـق القريـب. ولَعَلّـه أشَـدّ الأصدقـاء قربـاً ومـودّة، وبحسـب السَّـياق المتقدم، يكـون اللفظ دالاً عـلى أكثر الأصدقـاء لومـاً وعتابـاً، فـإنّ الـذي تـزِلُّ النَّعْـل بـه (القَـدَم) عـن طريـق خَطَئِـه وعِثاره نتيجـة لما يمـر بـه مـن ظـروف ونـوازل مـن الدّهـر، واحتـاج الى مسـاعدة مـن يُنفـق عليـه المـال، وهـو مـن غـير المُسْـتَحِقِين لـه، فهـم تاركـوه لا محالـة في ضيقِـه وعُسرهِ، فكأنـما هـو شَرُّ خليـل لهـم، وألْأم صديـق عندهـم، فيبتعدون عنـه عنـد شِـدَّته. متناسـين مـا كان يقـوم بـه مـن أجلهـم مـن إسراف وتبذيـر في الأمـوال التـي ليسـت مـن حَقِّهـم، حتّـى اسـتغلّه أصحابـه، فأصبـح عنـد الله مهانـاً، لمـا فـرّط في أمـوال المسـلمين مؤثـراً بهـا غـير المسـتحقين لهـا. ولهـذا اسـتعمل الإمـام (عليه السلام) تعبـير (شَرّ خليـل) و (ألْأم خديـن) في الإشـارة الى كُـره أصحـاب هـذا النـوع مـن النـاس لـه وابتعادهـم عنـه ؛ لأن علاقتهـم بـه علاقـة منفعـة و. بعدمـا كان مقدمـاً عندهـم، فهـو خَلْيْلُهـم وصديقهـم المخصـوص المقـرّب منهـم.

المبحث الخامس
ألفاظ أخوة الأب والأم والجد

عَمّ

العَمُّ أخو الأبِ[١]. والجمع أعمامٌ، وعُموم و عُمُومة[٢].

وقد استعملت لفظة (عَمّك) ثلاث مرات في نهج البلاغة، في حين جاءت لفظة (عَمَّ). و(أَعْمام). و (أَعْمَامنا) مرة واحدة لكلٍ منها[٣]، للدلالة على ما يأتي:

أولاً: الدلالة على أخوة الأب وغيرهم من أقربائه وصَحبْته.

ومن ذلك قوله (عليه السلام) واصفاً وقَفة المسلمين مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((**وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ(صلى الله عليه وآله وسلم)، نَقْتُلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا وَإِخْوَانَنَا وَأَعْمَامَنَا، مَا يَزِيدُنَا ذلِكَ إلاَّ إِيمَاناً وَتَسْلِيماً**....))[٤]. وتحتمل مفردة (أعْمَامِنا) - هنا- الدلالة على العَمَّ الذي هو أخو الاب، و هو المعنى الأول الذي تفيده الفاظ القرابة الواردة في هذا السياق، ومنها هذه اللفظة. أمّا المعنى الثاني الذي تقدمه هذه المفردة وأخواتها، فهو دلالتها على الأعمام من قرابة الأب بَعامّة، ومنهم عَمُّ الأب، وأولاد عُمومته، وهم بمنزلة الأعمام. ويتعدى الأمر الى أن يكون أبناء القبيلة الواحدة، والقبائل المتفرّعة عنها أبناء عُمْومة أيضاً. وبهذا تصير مفردة (أعمام) في هذا السياق متسعة الدلالة. ويُسعِفنا المعجم العربي في الإبانة عن ذلك ؛ فمن معاني مفردة(العَمَّ)

---

(١) ينظر: لسان العرب (عمم): ١٢/ ٤٢٣.

(٢) ينظر: تاج العروس (عمم): ٣٣ / ١٤٣.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٢٤.

(٤) نهج البلاغة: خ/ ٥٦: ٩٦.

الدلالة على الجماعة من الناس[١]. وبهذا تكون المفردة المتقدمة موحية بالدلالة على الجماعة والعصبة التي كانت العرب تستقوي بهم عند الشدائد. فما لبث هؤلاء أن تحولوا الى أعداء يفصل الاسلام والإيمان بين صلاحهم وعدمه. فدخولهم تحت لواء الإسلام يبعد عنهم الحرب والمنازلة والبأس.

ونظير دلالة لفظة (العَمّ) على القرابة بسبب من صُحبة الأب، أو العُمومة في العشيرة. ما ورد في (ك / ٤١).

ثانياً: الدلالة على أُخوة الأب مطلقاً.

وقي صدارة هذا المعنى قوله (عليه السلام) في تذكير الناس أنّه ابن عمَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، في قوله الذي يحثّ فيه أصحابه على القتال يوم (صِفّين): ((**وأعْلَموا أنكم بِعَيْنِ الله، وَمَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، فَعَاوِدُوا الْكَرَّ**[٢]**، وَاسْتَحْيُوا مِنَ الْفَرِّ**[٣])) [٤]. فقصد بقوله (ابن عَمَّ رسولَ الله) نفسه، و(عَمُّ رسول الله)، هو أبو طالب سَيد البطحاء. وخصَّ أمير المؤمنين نفسه بهذه التسمية، ولم يستعمل مفردة أخرى بدلاً منها، مثل (أخي رسول الله) أو (علي بن أبي طالب)؛ لأنه أراد – فيما يبدو – النصَّ على قرابته من النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) من خلال أبيه أبي طالب(رضوان الله عليه). والاشارة الى أبي طالب في هذا النص بكونه عمّ النبي تتضمّن الإشارة الى مكانته وأثره في الحِرصِ على النبي، ومَنْع قريش من إيذائه. فلاقى ما لاقاه من قريش في سبيل ابن أخيه خاتم الأنبياء. ولهذا قصد(عليه السّلام) تذكيرهم

(١) ينظر: تاج العروس (عجم): ٣٣/ ١٤٥.

(٢) الكرُّ الرَّجوع على الشيء. ينظر: لسان العرب (كرر): ٥ / ١٣٥.

(٣) الفر الرَّوغانُ والهَرَبُ. ينظر لسان العرب (ضرر): ٥/ ٥٠.

(٤) نهج البلاغة: خ / ٦٦: ١٠٤.

بمنزلة أبيه، ومنزلتة من أخيه النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله)،الذي يمثل الحِصن لأصحابه في هذه المعركة كما كان عمّه أبو طالب حِصْناً للنبي ومَنَعة دونه. وبهذا يكون تأويل النص حسبما يفهم من كلام الإمام أنّهم سيكونون في منعة وحفظ مادام علي فيهم[1]. والسياق -هنا- يخُرج لفظة (عَمّ) مخرج المدح لمكانة من دلّت عليه، ومنزلة ابنه في القُرْب من خاتم الأنبياء من جهة القرابة السببيّة والنّسبيّة، فضلاً عن أخوّتهما في الإسلام.

ومما جاءت فيه لفظة (أعْمام) في الدلالة على العَمّ أخو الأب، ما جاء في (ك/ ٦٤) الذي يذّم فيه الإمام معاوية وقرابته من أعْمامِه وخؤولته الذين قاتلهم للدخول في الإسلام.

خَالِك

الخَال أخو الأُمّ[2]. ويجُمع على (أخْوَال)[3]. و(خُؤُولة) للكثير من الجمع[4].

واستعمل الإمام لفظة (خَال) بصيغتي الإفراد والجمع. فجاءت لفظة (أَخْوالك) أربع مرات، في حين استعملت مفردة (أخوال) مرة واحدة فحسب[5]، للدلالة على (أخِي الأُمّ). سواء أكان لأمِّها وأبيها أو أخوها من القرابة البعيدة. فَمِن الدلالة على (أخي الأم) لأُمّها وأبيها، وهو الخَال الصَّريح القَريب، ما خاطب به الإمام (عليه السلام) معاوية بن أبي سفيان مُذكّراً إيّاه بمن قَتَلهم الإمام من

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٨٤١.

(٢) ينظر: المحكم (خول): ٥ / ٣٠٠، ولسان العرب (خول): ١١/ ٢٢٤.

(٣) ينظر: تاج العروس (خول): ٢٨/ ٤٤٣.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة (خول): ٧ / ٢٢٨، وتاج العروس (خول): ٢٨/ ٣.

(٥) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٤٨.

قرابته: ((... **فَأَنَا أَبُو حَسَنٍ قَاتِلُ جَدِّكَ وَخَالِكَ وأَخِيكَ شَدْخاً**[١] **يَوْمَ بَدْر، ذلكَ السَّيْفُ مَعِي، وَبِذلِكَ الْقَلْبِ أَلْقَى عَدُوِّي**....))[٢]. والمراد بمفردة (خالِك) خال معاوية لأمَّه من أبيها وأمَّها (الوَليْدُ بن عُتْبة) أخو (هِنْد بِنت عُتْبَة). الذي قَتَله أمير المؤمنين مع بقية أسلافه في معركة(بَدرٍ)[٣]. وتشهد السياقات التي جاءت فيها لفظة (خَال) بصيغة المفرد، و (أخوال) بصيغة الجمع، على انحطاط المعنى الذي تفيده هذه المفردات، واشتمالها على الذَّمّ والتهُّكم بهؤلاء القرابات الذين يرتبطون بمعاوية من جهة الأمّ.ومِمّا يدل على ذلك قوله(عليه السلام) مخاطباً معاوية: ((... **وَطَلَبْتَ أَمْراً لَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ وَلاَ فِي مَعْدِنِهِ، فَمَا أَبْعَدَ قَوْلَكَ مِنْ فِعْلِكَ!! وَقَرِيبٌ مَا أَشْبَهْتَ مِنْ أَعْمَام وَأَخْوَال! حملتهم**

الشَّقَاوة[٤] **وتمنّي البَاطِلِ عَلى الجُحُودِ بِمُحَمّدٍ (صلى الله عليه وآله)، فُصِرُعُوا مَصَارِعَهُمْ**[٥]....))[٦]. يريد الإمام أنّ معاوية ليس أهلاً للخلافة وولاية أمر المسلمين ؛لأنّه من الطلقاء والمنافقين الذين تخالف أفعالهم أقوالهم. ولهذا غمزه أمير المؤمنين بـ(أعْمَامِهِ وأخوَالِه)، الذين كان لهم القِدح المُعلَّى في الشَّقَاوة ومعاندة الإسلام والوقوف بوجهه، وممارسة الأفعال المشينة، ولاسيّما مُناوءتهم وجحودهم للنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله)، حتى صُرعوا في معاركهم ضد النبي والإسلام على يدِ الإمام (عليه السلام).

(١) الشَدْخُ في كل شيء رطب. وقيل: هو التَّهْشيْم، ويُراد به كسر اليابس كل شيء أجوف. ينظر: لسان العرب (شدخ): ٣/ ٢٨.

(٢) نهج البلاغة: ك / ١٠: ٤٦٨.

(٣) ينظر شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٥/ ٦٢، ٦٣، والديباج الوضي: ٥/ ٢٦٦١.

(٤) الشّقَاوة خلاف السّعادة.ينظر:مقاييس اللغة (شقو):٣/ ٢٠٢.

(٥) الصَّرَع الطرْح في الارض والمصارع مواضع سقوط الناس عند الموت. ينظر: العين (صرح): ١/ ٢٩٩١.

(٦) نهج البلاغة: ك / ٦٤: ٥٨٢.

أقول: ومفردة (الشَّقَاوة) في كلام الإمام تدل على مُعاناة هؤلاء وابتعادهم عن السعادة في الدنيا والآخرة؛ لأنّهم تكلّفوا الانحراف، واتخذوا العداوة والبغضاء للنبي سبيلاً لهم، فَغَلَبْت عليهم الخصال المتقدمة.

وذكر بعض شُرَّاح النّهج أنّ المشابهة التي أشار اليها الإمام مرتبطة بأعمام معاوية وأخواله، فَمن جهة العُمومة أراد إخوة أبيه (أبي سُفْيان)، ومن الخُؤولة أراد (الوَلِيْدُ بن عُتْبة)، وهو وأبوه من قتلى بَدْر، وهم أهل الكُفر والطُغْيان والمكابرة في الحقدّ[١]. ويلحظ أنّ الإمام (عليه السلام) استعمل لفظتا (أعْمام) و (أخْوال) بصيغة الجَمع على (أَفْعَال)، وهو بناء من أبنية القِلّة يتضمّن الإشارة الى قِلَّة شأن أعْمَام معاوية وأَخوَالِهِ.فضلاً عن قلّة عددهم فإنه لم يكن له أَعْمام وأخوال كثيرون حسبما يذكر الشارح البحراني[٢]. الذي تَنَبّه الى استعمال مفردتي (أَعْمام، وأَخْوال) من حيث ورودهما على بِنَاء(أَفْعَال) مُنكَّراً،مشيراً الى أنّ التّنكير هو الذي أدَّى الى إبراز معنى القِلَّة فيهما[٣].

أقول: إنَّ الدلالة على القلة والكثرة رَهْن بالصيغة الصرفية التي يُوْرَد اللفظ عليها، فضلاً عن السَّياق الذي قد يَصرف دلالة البناء من الكثرة الى القِلّة وبالعكس. ولهذا إذا جاء الجمع نكرة دالاً على القِلّة، فإن تنكيره يعزّز من دلالته على القِلّة، لا أن يكون هو الأصل في صَرف دلالة الجمع الى القِلّة.

ومن دلالة لفظة (خَال) على الخؤولة القريبة أيضاً قوله (عليه السلام) في رسالته التي

(١) ينظر: الديباج الوضي: ٥/ ٢٦٦٣.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٣٧٥.

(٣) نفسه.

بعثها الى (الزُّبَير ابن العَوَّام)[١]. يَسْتَفِيْئهُ[٢] الى طاعته قبل (حرب الجَمل)[٣]. يقول الإمام مخاطباً (عبد الله بن عباس)[٤]. الذي أنْفَذَه برسالته: ((**لاتَلْقَينَّ طَلْحَةَ**[٥]، **فَإنَّكَ إنْ تَلْقَهُ تَجِدْهُ كَالثَّوْرِ عَاقِصاً قَرْنَهُ**[٦]، **يَرْكَبُ الصَّعْبَ وَيَقُولُ: هُوَ الذَّلُولُ،**

(١) هو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العُزّي بن قصي بن كلاب ابن عمّة رسول الله (ﷺ) (صفية بنت عبد المطلب)، وابن أخي (خديجة) زوج رسول الله. تزوج (أسماء بنت أبي بكر)، وشهد مع النبي بدراً وما بعدها، وهاجر الهجرتين.وهو أحد الستة أصحاب الشورى. قُتل يوم الجمل، التي اشترك فيها، وقد لقية الإمام (عليه السلام) وذكّره بما سمعه عن رسول الله (ﷺ) قائلاً له: ((أنشدك الله أسمعت رسول الله (ﷺ) يقول: ((انك تقاتلُ علياً، وأنت ظالمٌ له)). قال: نعم. فانصرف من المعركة. فتبعهُ رَجُلٌ فقتله سنة (36هـ). ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة: 2 / 554، وتهذيب التهذيب: 426/ 12.

(٢) أصل الفيء ما كان شمساً فنسخه الظلّ، وإنما سُمّي بذلك، لرجوعه من جانب الى جانب. ويستفيئه يُرجعه. ينظر: لسان العرب(فيأ): ١ / ١٢٤، ١٢٥.

(٣) ينظر: مصادر نهج البلاغة وأسانيده: ١/ ٤١٠.

(٤) هو أبو العباس عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن عمَّ رسول الله (ﷺ)، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، ودعا له النبي بالفهم في القرآن الكريم، و التّفقه في الدين وتعلّم التأويل، فكان يسمى (البحر) و (الحَبْر)؛ لسعة علمه، وهو من الفقهاء.توفى سنة(٦٨ هـ) بالطائف. ينظر: تفريب التهذيب: ١/ ٣٠٩، وتذكرة الحفاظ: ١/ ٤٠.

(٥) هو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم القرشي التّيمِي، كنيته (أبو محمد).وهو أحد السابقين الى الإسلام أسلم على يد أبي بكر، وهو أحد الستة أصحاب الشورى. شهد طلحة يوم (الجَمل) محارباً لعلي(عليه السلام).وقد قتله مروان ابن الحكم،الذي رماه ذلك اليوم فقتله ؛ لأنّه كان ممن حاصر (عثمان بن عفّان) واستبد عليه، فقتله مروان، وقال بعد ذلك: ((لا أطلب بثأري بعد اليوم)): ينظر: الاستيعاب: 766/ 2، والطبقات الكبرى: 214/ 3، والإصابة في تمييز الصحابة: 529/ 3.

(٦) العَقْص التواء القَرن على الأذنين الى المُؤخَّر وانعطافه. وهو مأخوذ من عَقْص الشَعر، و لَوْي الخِصْلَة منه، ومن ثَمّ عَقْدها وإرسالها مَضْفُورة. ينظر: لسان العرب (عقص): ٧ / ٥٥، ٤٥٦، ٤٤٦.

وَلكِنِ الْقَ الزُّبَيْرَ، فَإِنَّهُ أَلْيَنُ عَرِيكَةً[١]**، فَقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ ابْنُ خَالِكَ: عَرَفْتَنِي بَالحِجَازِ وَأَنْكَرْتَنِي بِالعِرَاقِ، فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا))**[٢]. وشبّه الإمام (طلحة بن عبيد الله) بالثّور في عَقص قَرنه. في إشارة الى ضفر شعره ولَوْيِه كما يلوى قرن الثّور. وفي هذا التعبير كناية عن تكبّر (طلحة) واستعلائه وغَطرسَته وغروره[٣]،فضلًا عن سُوء خُلُقه وشِحة نفسه[٤]. ويبدو أنّ هذه الخِصال التي ذكر الإمام في (طلحة) غير موجودة في (الزّبير)، ولهذا وصفه (عليه السّلام) بـ(أنّه أَلْيَنُ عَرِيكَةً) ؛ كأنّه لمس فيه سَهولة الجانب ؛ وسلاسة الطّبع وعدم التكلّف والمجاذبة[٥]. وهذا المعنى مأخوذ من لِين الجِلد بَعد عَركِه ودَبْغِه.

واستعمل الإمام أسلوب التذكير (بالقرابة والرّحم) ؛ لأجل استمالة (الزُّبير) وإرجاعه الى الحَقَّ ليس لحاجته الى هذا الرّجل، وإنّما رغبة في عدم تركه ينصرف الى الباطل، ولهذا رغب في تحريك الجانب الإيجابي فيه وإثارة الهمّة فيه للرجوع الى الحقّ. وقد علّق شُرَّاح النهج على هذا التعبير، ذاكرين أنّه من لطيف القول وحُسن الاستمالة[٦]. فإنّه (عليه السّلام) أورد تعبير(ابن خالك) ؛ إشارة الى القرابة التي تربطه مع (ابن الزُّبير)، فإنَّ (با طالب بن عبد المطلب) والد الإمام علي، هو (أخو صَفِيّة بنت عبد المطّلب)[٧]، و (صَفِيّة) هي زَوج (العَوّام بن خويلد).

(١) العَرْك للأديم، الدَّلك والحَكُّ، والعريكة في الإنسان الطبيعية والسليقة التي عليها الإنسان. ينظر:لسان العرب (عرك):١٠ / ٤٦٥.

(٢) نهج البلاغة: خ / ٣١: ٦٨، ٦٩.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٢٦٧.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٢/ ١٢٩.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٢ / ١٢٩، والديباج الوضي: ١ / ٣٧٧.

(٦) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٢/ ١٣٠، وشرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٢٦٧.

(٧) ينظر: الطبقات الكبرى: ٧ / ٧٤٣، والإصابة في تمييز الصحابة: ٧/ ٢٣٥، وشرح نهج البلاغة

وقد ولدت له (الزُّبَير)، وبهذا يكون (الزُّبير) ابن عمّة الإمام علي. فقصد الإمام إفاءته واستمالته عن طريق تذكيره بالقرابة التي بينهما، فلهذا الأمر وقع في القلب وتأثير في النّفس[١]. وهذا الأسلوب من أساليب القرآن الكريم، فقد حكى لنا القرآن قول (هارون) للنبي (موسى) (عليه السلام) في سياق استعطافه، وتذكيره بحقّ الأخوّة التي بينهما، وذلك في قوله جل جلاله ﴿**وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾[٢]... وقوله تعالى في سياق القصة نفسها: ﴿**قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي**﴾[٣]. فجاء (هارون) في خطابه النبي (موسى) (عليه السلام) بتعبير (يا أبن أمّ) وذكر المفسرون أنّ هارون استعمل هذا التعبير ؛ لأنّه أدعى الى العَطف والرَّقَّة، وأعظم للحقَّ الواجب بينهما، فذكّره بحقَّ الأُمَّ التي قاسَت فيهما الشّدائد والمخاوف أيّام الحَمْل والنّفاس[٤]. وعلى هذا النَّسقِ آثر الإمام (عليه السلام) التعبير بذكر الرَّحم، على وصف نفسه بـ(أمير المؤمنين) التي تمثّل الوصف بالإمامة والإمارة، لّما كان غرضه (عليه السلام) تقريب الزُّبَيْر واستمالته وإرجاعه الى جادة الحَقَّ، وتعريفه البَصيرة، ومنعه من الانصراف الى جانب البغي والشّقَاق[٥].

(البحراني): ٢/ ٢٦٧.

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٢/ ١٣٠، وشرح نهج البلاغة (البحراني): ٢ / ٢٦٧.

(٢) الأعراف / ١٥٠.

(٣) طه / ٩٤.

(٤) ينظر: الكشاف: ٢/ ١٥٢، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٢/ ٤٥.

(٥) ينظر: الديباج الوضي: ١/ ٣٧٨.

جَدّك

الجَدّ أبو الأبِ وأبو الأمّ[١]. والجمع أَجْداد، وجُدوْد[٢].

وجاءت لفظة (جَدّك) ثلاث مرات في نهج البلاغة، ولفظة (جدكما) مرة واحدة[٣]، للدلالة على (والد الأُمّ)، وهو خير الآباء لخير الأُمهّات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، الذي وصفه أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصيّته للإمامين الحَسَنين (عليهما السلام) بـ(جَدَّكما) ؛ الذي يقول فيه: ((.... **وَقُولاَ بِالْحَقِّ، وَاعْمَلاَ لِلأَجْرِ، وَكُونَا لِلظَّالِمِ خَصْماً، وَلِلْمَظْلُومِ عَوْناً. أُوصِيكُمَا، وَجَمِيعَ وَلَدِي وَأَهْلِي وَمَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي، بِتَقْوَى الله، وَنَظْمِ أَمْرِكُمْ، وَصَلاَحِ ذَاتِ بَيْنِكُمْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ جَدَّكُمَا ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ صَلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلاَةِ الصِّيَامِ**[٤]))[٥]. وقد اكتسبت مفردة (جَدّكما) دلالة التشريف والرُّقي، من خلال من سّمّي بها، وهو رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وإضافتها إلى الإمامَين الحسنين(عليه السلام)، في حِين جاءت مفردة (جَدَّك) مُنحطَّة الدلالة عندما استعملها(عليه السلام) في الإشارة إلى جدَّ معاوية بن أبي سفيان ؛ الذي قتله الإمام (عليه السلام). وكثيراً ما غَمَز أمير المؤمنين (معاوية) بِذكر جدَّه وبقية أهله الذين قُتِلُوا على يد

(١) ينظر: لسان العرب (جدد): ٣/ ١٠٧.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٨٠، ٨١.

(٤) مستدرك الوسائل، للميرزا النّوري: ١٣/ ٤٤١، وجامع أحاديث الشيعة، للشيخ اسماعيل الملايري: ١٨/ ٣٩٥.

وتروي بعض المدونات الخاصة بالحديث النبوي الحديث بالرواية الآتية: ((ألا أخبركم بافضل من دَرَجَةِ الصيام والصّلاة والصَّدقة. قالوا: بلى قال: إصْلَاحُ ذَاتِ البضيْن...)). ينظر: سُنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي: ٤/ ٢٨٠، والجامع الصحيح (سُنَن الترمذي)، لمحمد بن عيسى التّرمذي: ٤/ ٦٦٣.

(٥) نهج البلاغة: ك/ ٤٧: ٥٣٨.

الإمام كفّاراً، وكان الإمام يردد ذلك بِفَخرٍ، وهو يُكاتب معاوية قائلاً: ((**وَعِنْدِيَ السَّيْفُ الَّذِي أَعْضَضْتُهُ**[1] **بِجَدِّكَ وَخَالِكَ وَأَخِيكَ فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ...**))[2]. يشير الإمام في قوله إلى أنّه لّما يزل عنده السيف الذي ضرب به جَدَّ معاوية وخاله وأخيه. يريد بِجدّه (عُتْبة بن ربيعة بن عبد شمس)، وهو (أبو هِند) زوجة (أبي سفْيان بن حرب)، وجَدُّ معاوية لأمّه [3]. وأمّا خَاله، فهو (الوَليْدُ بن عُتبة). وأمّا أَخُوه، فهو (حَنْظَلة بن أبي سُفْيان)، وكلهم قَتَلهم الإمام علي (عليه السلام) يوم بَدْرٍ[4].

أقول: وكان الإمام (عليه السلام) يَفْتَخر بقتل هؤلاء؛ لأنهم رأس العداوة للإسلام وللنبي (صلى الله عليه وآله وسلم). فقد كان (عُتْبة بن ربيعة) قائد جيش المشركين (يَوْم بَدرٍ)[5]. كما كان (أبو سفيان بن حرب) قائد جيش الكفّار يوم أُحُد[6]. ولهذا قال الإمام ((وعنْدي السَّيف...))؛ تذكيراً له ببقاءِ ذلك السيَّف مجرداً لقتال أولاد هؤلاء القوم الذين نازعوا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وحاولوا دفعه عن نشر الإسلام،وذلك كله في سياق الترهيب والتحذير لمعاوية من أن يُصيبه ما أصاب آباءه وأجداده[7].

ونظير هذه الدلالة التي دَلّتْ عليها مفردة (جَدَّك)، ما ورد في (ك / ١٠، ٢٨). وكلها خاصة بِجَدِّ معاوية لأُمِّه.

---

(١) العضُّ الشّدُّ بالأسْنانِ على الشيء. وأَعْضَضْته بالسَّيْف. أي ضَرَبته. ينظر: لسان العرب (عضض): ١٨٨/٧.

(٢) نهج البلاغة: ك / ٦٤: ٥٨٢.

(٣) ينظر: الثقات: ٣/ ٤٣٩.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٥ / ٦٢، ٦٣، وشرح نهج البلاغة (البحراني): ٤/ ٢٠٨.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٥ / ٦١.

(٦) نفسه.

(٧) نفسه.

المبحث السادس
الألفاظ الدالة على الزوج

بَعلها

البَعْل الزوج[١]. وإنما سُمَّي زوج المرأة بَعْلًا ؛ لأنّه سَيَّدها ومالكها، وبَعْل الشيء -في اللغة- مالكه وَربهُ[٢]. قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا[٣] إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾[٤].

وفَسّر ابن عباس مفردة (بعْل) في القرآن الكريم بـ(الرّب). ونُقل عنه أنّه لم يَدْر ما البَعْل في القرآن الكريم، حتى سَمِعَ أعرابياً سأله عن صاحب الناقة، فقال له: أنا بَعْلُها. أي رَبُّها[٥]. وأما التَّبعُل، فهو إطاعة المرأة لزوجها، وحُسْن العِشْرة معه[٦].

واستعمل الإمام لفظتا (بَعْلها)، و (التَّبعُل) مرة واحدة لكلٍ منهما في كلامه

---

(١) ينظر: العين (بعل): ٢/ ١٢٩، ومقاييس اللغة (بعل): ١ / ٢٦٤.

(٢) ينظر: جمهرة اللغة (بعل): ١ / ٣٦٥، ولسان العرب (بعل) ١١/ ٥٨.

(٣) ومن نافلة القول الإشارة الى رأي النحويين في نصب كلمة (شيخاً) في الآية المباركة. فالبصريون يعدونه منصوباً على الحال من المشار اليه، وهومفردة (بَعْلي). ينظر: إعراب القرآن، للنحاس: ٢/ ١٠٢. ومشكل إعراب القرآن، لمكي بن أبي طالب: ١/ ٣٧٠. أما الكوفيون فَيَرَوْن أن (شيخاً) منصوبة على التقريب، على سبيل إعمال اسم الإشارة عمل (كان) وأخواتها. ينظر: معاني القرآن (الفرّاء): ١/ ١٢، ومجالس ثعلب، لأبي العباس ثعلب: ١/ ٤٢، ٤٣، وأسماء الإشارة في القرآن الكريم. دراسة لغوية ونحوية. رسالة ماجستير، حسام عدنان رحيم: ٧٣، ٧٤.

(٤) هود / ٧٢.

(٥) ينظر: جمهرة اللغة (بعل): ١ / ٣٦٥.

(٦) ينظر العين (بعل): ٢/ ١٤٩، والنهاية في غريب الحديث: ١/ ١٤١.

الـوارد في نهـج البلاغـة[١]، للدلالـة عـلى مـا يـأتي:

أولا: الزَّوْج.

وذلـك في قولـه (عليه السلام) متحدثـاً عـن خيـار خصـال النسـاء: ((**خِيَارُ خِصَالِ النِّسَاءِ شِرَارُ خِصَالِ الرِّجَالِ: الزَّهْوُ**[٢] **وَالْجُبْنُ وَالْبُخْلُ، فَإِذَا كَانَتِ الْمَرْأَةُ مَزْهُوَّةً لَمْ تُمَكِّنْ مِنْ نَفْسِهَا، وَإِذَا كَانَتْ بِخِيلَةً حَفِظَتْ مَا لَهَا وَمَالَ بَعْلِهَا، وَإِذَا كَانَتْ جَبَانَةً فَرِقَتْ**[٣] **مِنْ كُلِّ شِيءٍ يَعْرِضُ لَهَا**))[٤]. يـوازن الإمـام بـين خِصَـال النسـاء، والرَّجـال، فيذكـر أنّ مـا كان معيبـاً مـن هـذه الخصـال في الرجـال، ومنقصـة فيهـم، يُعـد مـن خيـار الخصـال في النسـاء، وخَـصَّ أمـير المؤمنـين مـن هـذه الخصـال (الزَّهْـو والكِبْر، والجُبْـن، والبُخْـل). فَمَـن كان مـن الرجـال متكـبّراً أو جبانـاً أو بخيـلاً، فهـو مذمـوم في المجتمـع. في حـين أنّ هـذهِ الخصـال لـو صـارت في المـرأة أو كانـت فيهـا ؛ فإنهـا لا تكـون منقصـة فيهـا،بـل قـد تكـون حصانـة لهـا كـما هـي خصلـة الزَّهـو فيهـا التـي تمنعهـا مـن أن تمكّـن نفسـها للغَـيْر. كـما يقـول الإمـام (عليه السلام). وأمّـا بُخلهـا، فهـو حصانـة وحُـرص لِمَالِهـا ومَـال زوجهـا مـن الإسراف والتبذيـر في غـير محلـه. ولكـن يشـترط أن تكـون هـذه الصفـات غـير طاغيـة عـلى المـرأة، بحيـث تصـير عامـلاً موجّهـاً لتصرفاتهـا والتّأثـير فيهـا، فيُصيبهـا الغـرور والتّكـبّر عـلى النـاس جميعـاً في غـير المواضـع التـي يُحسـن فيهـا اسـتعمال هـذه الأوصـاف. أو أن يطغـى عليهـا البخـل فتصـير مُقـتَّرة حتـى عـلى أولادهـا مثـلاً.

---

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٥٧.

(٢) الزّهْوُ في اللغة المنظرُ الحَسَنُ، ثـم صـار دالّا عـلى الكِبر والتَّيْـهِ والعظمـة والفَخـر. ينظر تـاج العـروس (زهـو): ٣٨/ ٢٣٦،٢٣٤.

(٣) الفِرقُ الخَوْفُ والجَذعُ. ينظر: لسان العرب (فرق): ١٠/ ٣٠٤.

(٤) نهج البلاغة قصا / ٢٣٤: ٦٤٤، ٦٤٥.

وتبدو مفردة (بَعْلها) في النص أنسب للسياق من لفظة (زوج)؛ لأنّ لفظة (بَعْل) توحي بالدلالة على الزّوج الذي يمتلكها، فيكون لها بَعْلاً (زوجاً)، وسيّداً، أو رَبّاً. في حين أنّ مفردة (زَوْج) يُفْهم منها الدلالة على عدم الإنفراد ومقارنة الشيء حسبما يذكر ابن فارس[١]. فلّما كان السَّياق الذي يتكلم فيه أمير المؤمنين سياق تمييز بين صفات كلٍ من الرجال والنساء، ولم يكن الكلام مخصصاً لبيان العلاقة بين الرجل والمرأة، لهذا استعمل الإمام مفردة (بَعْل) التي تتضمّن سعة في المعنى أكثر مما تتضمنه كلمة (زوج). ولهذا استعمل القرآن الكريم لفظة (بَعْلي) على لسان (سَارَة) زوج النبيَّ (إبراهيم) (عليه السلام) في قوله تبارك وتعالى ﴿**قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ**﴾[٢]. وقد ذكر المفسرون أنّ (بَعْلي)-هنا- تعني القائم بالأمر، فأطلق على الزّوج؛ لأنّه يقوم بأمر الزَوجة[٣].

ثانياً: الدلالة على حُسْن إطاعة الزوج وعشرته.

وساق الإمام لبيان هذه الدلالة مفردة (التَّبعُّل)، وذلك في قوله الذي يتكلم فيه عن أنواع العبادات في الإسلام وفوائدها؛ إذ يقول (عليه السلام): ((**الصَّلاَةُ قُرْبَانُ**[٤] **كُلِّ تَقِيّ، وَالْحَجُّ جِهَادُ كُلِّ ضَعِيف، وَلِكُلِّ شَيْء زَكَاةٌ، وَزَكَاةُ الْبَدَنِ الصِّيَامُ، وَجِهَادُ الْمَرْأَةِ حُسْنُ التَّبَعُّلِ**[٥]))[٦]. ويجمع الإمام في كلامه المتقدم جملة من الحِكم الخاصة

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة (زوج): ٣/ ٣٥.

(٢) هود/ ٧٢.

(٣) ينظر: تفسير البيضاوي: ٣/ ٢٤٦، وروح المعاني: ١٢/ ٩٩.

(٤) القُربَان ما يتقرب به الى الله تعالى ابتغاء القرب والوسيلة. ينظر العين (قرب): ٥/ ١٥٣.

(٥) الحديث مروي عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله)، وهو في: مُسند الشهاب: ١/ ٨٢، وشعب الإيمان: ٢/ ٧٣، ٧٤، ومعارج نهج البلاغة: ٨٣٤.

(٦) نهج البلاغة: قصا/ ١٣٦: ٦٢٨.

ببعض أركان الإسلام وعباداته، فوضع في صدارتها (الصّلاة) التي يتقّرب بها الأتقياء الى الله تبارك وتعالى طلباً للقُربِ منه(١). ثمّ أتى على (الحَجّ)، الذي جعله بمنزلة الجِهاد للضعفاء الذين لا يقدرون على أداء هذا الفَريضة، فجعله جهاداً لهذا الصّنف من النّاس ؛ لما في الحجّ من مشقة السّفر ومجاهدة النفس الأمارة بالسّوء(٢). وخص (عليه السلام) الضُعفاء من الناس بهذه العبادة، فرقاً بين الجهاد والقِتال، وبين الجهاد، هو حجُّ بيت الله الحرام(٣). فللأول رجال أشداء أقوياء الجسم والبدن، في حين أنّ الضعفاء الذين لا يقدرون على المنازلة في الحرب، فلهُم أن يُنازِلوا شهواتهم وأنفسهم، فَيَكْبَحُون جماحها بالسَّفر الى الله، والنزول عند أوامره، يُعينهم في ذلك (الصَّوْم)، الذي لا يَقِلُّ شأناً عن الجهاد في الحج، فإنه إرغام للنَّفْس على ترك المعاصي، وتخليصها من الزَّهو.

وقد خصَّ الإمام المرأة بنوعٍ من الجِهاد، فضلاً عمّا كُلفت به من عبادات، ومنها (الحجّ) الذي كَلَفت به أيضاً. فَأمّا جهاد المرأة، فهو (حُسْنَ التَّبَعّل) كما يقول الإمام. و (التَّبعُّل) في هذا السياق هو حُسْن مُعاشرة المرأةِ لزوجها وطاعته، وحفظ ماله وعِرْضه، حسبما يذهب الشُرَّاح(٤). ولَعلّ المراد بـ(التَّبَعُّل) هنا دلالة أوسع مما فَهِمه الشُرّاح، ففي لفظة (التَّبعُّل) ضرب من المبالغة في ترغيب المرأة على أداءِ ما عليها من طاعات للزوج. وقد أُخِذت دلالة المبالغة هذه، من الصيغة الصرفية لمفردة (تبعُّل)، وهي (تَفَعُّل). وهذا البناء يُفيد، فضلاً عن التّنصيص على

---

(١) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٤/ ٣٢.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٤٣٥.

(٣) نفسه.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١/ ٢٦٧، وشرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٤٣٥.

الكثرة، الدلالة على التكلُّف والطَّلبِ والمطاوعة، كما يذكر النحويون[1]. وتحمل المفردة أيضاً ظلالاً كثيرة من المعنى، منها الإشارة الى أنْ تَصِيْر المرأة سكناً لزوجها فتُزيل همومه، وتحقق له فروض الطاعة التي تجعله سيداً مطاعاً في بيته وأهله، حسبما أمر به الشّارع المقدّس. ويبدو أنّ هذا المعنى مُقَدّم عند اللغويين. بل أظنّ أنّ هذه المفردة كانت لا تستعمل عند العرب إلاّ في الدلالة على (حُسّن العِشرَة في الحياة الزوجية)، من إرضاء المرأة لزوجها في الفراش. حتّى ورد عن الإمام (عليه السلام) في حديث أيّام التّشريق[2] في الحجّ قوله: ((**إنهّا أيّامُ أكْلٍ وشْرُبٍ وبِعَال**))[3]. والبِعَال هو النكاح وملاعبة الرجل امرأته ومباشرتها[4]. وتَبعُّلها له هو حُسْن مصاحبتها وعِشْرتها له[5].

ويبدو أنّ هذا هو السبب الذي دعا بعض شُرّاح النهج الى تخصيص مفردة (تَبَعّل) بالدلالة على ((حُسْنِ المُلاعبة و الدّعابة له لِتطييْب نَفْسهِ))[6]. ومن ثَمَّ اتسعت دلالة هذه المفردة، ولاسيّما في النّص الوارد عن الإمام، فصارت تطلق على حُسْن معاشرة البَعْل وطاعته في كل شيء من أمور حياته، بشرط أن لا تكون هذه الطاعة خارجة عن حدود ما فرضه الله تبارك وتعالى. فَتُطيعه - مثلاً - في ما يُغْضب الله رغبةً منها في حُسْنِ التَّبَعُّلِ له،فمن من أهم أسرار التَّبَعُّلِ أن تكون

(١) ينظر: شرح ابن عقيل: ٤/ ٢٦٤.

(٢) وهي الأيام الثلاث التي بعد يوم النَّحر.

(٣) النهاية في غريب الحديث: ١/ ١٤١، ومسند شمس الأخبار، لعلي بن حميد القرشي ١/ ٤٣٨، والديباج الوضي: ٦/ ٢٨٣٤.

(٤) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ١/ ١٤١.

(٥) نفسه.

(٦) الديباج الوضي: ٦/ ٢٨٣٤.

الطاعة له فيما يرضي الله جل جلاله[١].

القَيّم

القَيَّم -في اللغة- مَن يَسُوس الأمرَ[٢]. وقَيِّم القَوْم هو الذي يَسُوسهم ويُقَوِّمُهم[٣]. وقَيِّم المرأة زَوجها[٤]. وإنما قيل له قَيِّم ؛ لأنّه يقوم بأمرها وما تحتاج اليه[٥].

ولفظتا (القَيِّم)، و(قَيِّمتها) من الفاظ نهج البلاغة التي استعملت فيه مرة واحدة لكلٍ منهما[٦]،للدلالة على ما يأتي:

أولاً: الدلالة على الحاكم والقائم بالأمر،الذي يسوس أمر الناس ويحكمهم.

ووردت هذه الدلالة في سياق نُصْحِه(عليه السلام) الخليفة (عمر بن الخطاب)، الذي استشاره في الشّخوص لقتال الفُرس بنفسه[٧]. فقال له الإمام: ((**إِنَّ هذَا الْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ نَصْرُهُ وَلاَ خِذْلاَنُهُ بِكَثْرَة وَلاَ بِقِلَّة، وَهُوَ دِينُ اللهِ الَّذِي أَظْهَرَهُ، وَجُنْدُهُ الَّذِي أَعَدَّهُ وَأَمَدَّهُ، حَتَّى بَلَغَ مَا بَلَغَ، وَطَلَعَ حَيْثُ طَلَعَ، وَنَحْنُ عَلَى مَوْعُود مِنَ اللهِ، وَاللهُ مُنْجِزٌ وَعْدَهُ، وَنَاصِرٌ جُنْدَهُ.وَمَكَانُ الْقَيِّمِ بِالْأَمْرِ مَكَانُ النِّظَامِ**[٨] **مِنَ الْخَرَزِ يَجْمَعُهُ**

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٤٣٥.

(٢) ينظر: العين (قوم): ٥/ ٣٢٣.

(٣) نفسه.

(٤) ينظر: جمهرة اللغة (قوم): ٢/ ٩٧٩، والنهاية في غريب الحديث: ٤/ ١٣٥.

(٥) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٤/ ١٣٥.

(٦) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٨٨.

(٧) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٩/ ٧٥. ونهج البلاغة (أبو الفضل إبراهيم): ١/ ٣٣٢.

(٨) النظام السَّلك الذي يجمع الخرز. ينظر: لسان العرب (نظم): ١٢/ ٥٧٨.

وَيَضُمُّهُ...))[١]. وافتتح الإمام إرشاده هذا بالإشارة الى الإسلام وما وعد الله سبحانه وتعالى المسلمين من إظهار الإسلام على سائر الأديان الأخرى كُلَّها، وأنّه مُنْجز وَعْدهُ، وناصر جُنْده. وهذه كلها دلالات قرآنية نظمها الإمام بصياغة عَلَوِيَّة أرْدَفها بتَشْبيه (القَيِّم بالأمر)،وهو الحاكم أو الخليفة[٢]، وهو الذي يَسُوس الناس ويتولّى أمورهم، شَبَّهَه بنظام الخرز وهو سِلكُها الذي ينظمها ويحفظها من التّفرّق.

ثانياً: الدلالة على الزوج الذي يقوم بأمر المرأة.

وجاءت هذه الدلالة في قول الإمام الذي يذمَّ فيه أهل العراق: ((...**فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَالْمُرْأَةِ الْحَامِلِ، حَمَلَتْ فَلَمَّا أَتَمَّتْ أَمْلَصَتْ، وَمَاتَ قَيِّمُهَا...**))[٣]. والقيَّم - هنا- هو الزوج الذي يقوم بأمر امرأته و يتعهّد شؤونها. فهو القَيَّم عليها من جهة كونه يسوس أمر البيت ويدبّر احتياجاته واحتياجات الزوجة فيه - وتشبيه الإمام لأهل العراق بـ(المرأة الحَامل) التي مات قيمَّها، فيه إشارة الى تشتّت أمرهم وانقطاع واسطة عقدهم التي يعتمدون عليها في شؤونهم. فكأنهم في ذلك بمنزلة المرأة التي لا تقدر على إدارة شؤونها دونما زوج يعينها ويسدّدها في ذلك. فـ(الزوج/ القيَّم) هو المتولي لأمور (المرأة / الزوجة)، وهو الذي يقضي ما لم تكلف به في الشّريعة من أمور وحوائج. وكذلك هؤلاء الذين يذّمهم الإمام بعدم وجود مدَبَّر لهم يسوسهم ويجمع شتات أمرهم ويتكفّل بأداء ما عليهم من أمور.

---

(١) نهج البلاغة: خ / ١٤٦: ٢٥٥.

(٢) ينظر: الديباج الوضي:٣/ ١١٦٠.

(٣) نهج البلاغة: خ / ٧١: ١٠٩.

الظواهر اللغوية

استعمل الإمام بناء (أَفْعَال) جمعاً لكلمة (ابن)، وبناء (فَعُول) جمعاً آخر لكلمة (بَنُون)، في حين أنه أورد كلمة (بَنْين)، وهي وسابقتها من الأبنية الملحقة بالجموع السالمة. فضلاً عن استعمال وزن التصغير (بُنَي) بوزن (فُعَيْل)، للدلالة على الإكرام والتَّلطُّف والتّرحم بولدِهِ الإمام الحسن (عليه السلام)، فضلاً عن مجيئ كلمة (حَفَدة) بوزن (فَعَلّه).

استعمل الإمام لفظة (أخ)، للدلالة على أخوّة الدَّين والصحبة، مضيفاً الى هذا البناء دلالة جديدة، وهي الدلالة على أخوّة الصداقة والصحبة، فضلاً عن الدلالة على أخوّة الولادة. وقد تجاوز الإمام بهذه المفردة الى الدلالة على أخوّة (المنهج والعمل) معاً.

استعمل الإمام بنائي (فُعْلة) و(فُعَل).والبناء الأول اسم جنس جمعي يفرّق بينه وبين واحدة بالتاء، إذ ينقل الى الجمع على (فُعَل) جمعاً على (أُسَر)، للدلالة على أُسَرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) التي تعد خير الأُسَر.

استعمل الإمام بناء (فَعِيلة) التي سيق على وزنها كلمة (عَشِيْرة) التي تدل على عشيرة المرء وجناحه الذي يستعين به على الحياة. في حين جاء بناء (فِعْلَة)، وهو من أبنية الاسم المفرد وجمعها (عِتَر) على (فِعَل)، للدلالة على عِترة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهم أهل بيته وخاصته.

جاءت مفردة (الذَّمار) بوزن (فِعَال) للدلالة على حرم الرجل وأهله وحوزته التي يدافع عنها ويمنعها من الأذى.

استعملت كلمة (الإلّ) للدلالة على قُربى الرَّحم.

وقـوع الـترادف الجزئـي بـين كلـمات (الذمـار، الحاقـة) و (العصبـة) و (السـبط، الحفـدة).

ثمـة علاقـة جـزء بـكل بـين (الأب، الأبنـاء) و(العيـال، الأم) و(الحفـدة، بنـين) (العقـب، الوليجـة) و(الحمـأ، والعـم) و (الخـال، الجـدّ).

وقـوع الـترادف الجزئـي بـين كلمتـي (بعلهـا، القيَّـم)، فكلتاهمـا تـدلان عـلى زوج المـرأة.

الفصل الثامن

ألفاظ الأدوات والآلات

جدول دلالي يبيّن شيوع ألفاظ الأدوات والآلات

مرتبة بحسب كثرة كل مفردة على الأخرى

أدوات الضرب والقصّ	سَوطًا، الجَلَم، العِصِيّ، الفِهْر، الهِرَاوة
أدوات الكتابة	الأقلام، ألِق، جِلْفة، دَوَاتك، قَرْمِط
آلات الطرب واللّهو	القدِاح، المزامير، عَرْطبة، كُوْبة

المبحث الأول
ألفاظ أدوات الضرب والقصّ

سَوطاً

السَّوط في اللغة خلط الشيء بعضه ببعض (١). والسَّوط ما يُجلد به،وإنّما سُمِّي سَوطاً ؛ لأنّه إذا سِيط به إنسان أو دابّةٌ خَلَط الدم باللحم (٢).

وقد وردت ألفاظ (تُسَاطُنَّ)،و(سَوْط)، و(سَوْطاً)، و(سَوْطُك)،و (سَوْطها، و(سَوْطي)، و(السِّياط) في نهج البلاغة مرة واحدة لكل منها (٣)، للدلالة على ما يأتي:

أولاً: الدلالة على السَّوط الذي يُجلد به.

وهي أكثر الدلالات شيوعاً في نهج البلاغة، ومنها قوله (عليه السلام) في سياقة الوعظ والإرشاد: ((**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ بَثَثْتُ لَكُمُ الْمَوَاعِظَ الَّتِي وَعَظَ بِهَا الأَنْبِيَاءُ أُمَمُهُمْ، وَأَدَّيْتُ إِلَيْكُمْ مَا أَدَّتِ الأَوْصِيَاءُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ، وَأَدَّبْتُكُمْ بِسَوْطِي فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا، وَحَدَوْتُكُمْ بالزَّوَاجِرِ فَلَمْ تَسْتَوْسِقُوا لله أَنْتُمْ! أَتَتَوَقَّعُونَ إِمَاماً غَيْرِي يَطَأُ بِكُمُ الطَّرِيقَ، وَيُرْشِدُكُمُ السَّبِيلَ؟...**))(٤). ويذكّر الإمام الناسَ بما وَعَظَهم من المواعظ التي بثتها الأنبياء في أُممها، وما أدّاه إليهم من عهود الأوصياء، فضلاً عن تأديبهم بِسَوْطِه، إشارة منه إلى عدْله الذي ساقهم به، أو دلالة على الحدود التي أقامها

(١) ينظر: لسان العرب (سوط): ٧/ ٣٢٥.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢٢٩.

(٤) نهج البلاغة: خ / ١٨٢: ٣٣٢.

بينهـم. وربّـما استعمل الإمـام لفـظ (سـوط) للدلالـة عـلى الظلـم والقَهْـر والغَلَبـةِ، وذلـك نحـو قولـه (عليه السلام) في سياق كلامـه عـن بنـي أميّـة: ((...**حَتَّـى يَظُـنَّ الظَّـانُّ أَنَّ الدُّنْيَـا مَعْقُولَـةٌ**(١) **عَـلَىَ بَنِـي أُمَيَّـةَ، تَمْنَحُهُـمْ دَرَّهَـا، وَتُورِدُهُـمْ صَفْوَهَـا، وَلَا يُرْفَـعُ عَـنْ هـذِهِ الأُمَّـةِ سَـوْطُهَا وَلاَ سَـيْفُهَا، وَكَـذَبَ الظَّـانُّ لِذلِـكَ. بَـلْ هِـيَ مَجَّـةٌ**(٢) **مِـنْ لَذِيـذِ الْعَيْشِ يَتَطَعَّمُونَهَـا بُرْهَـةً، ثُـمَّ يَلْفِظُونَهَـا جُمْلَـةً!**))(٣). والسياق في وَصـفِ دوام حكـم بني أميّة، وزوالـه حسبما يـرى (عليه السلام) الـذي يشبّهه بمجّة من الشراب الـذي مـا يلبث أن يبصـق مـن الفـم. وأشـار بذكـر مفـردة (سـوطها) إلى ظلمهـا وتجبّرهـا، معـززاً هـذه الدلالـة بذكـر لفظـة (سَـيْفها)، في إيحـاءٍ إلى القَتْـل والدمـاء التـي سـفكها الأمويـون. فأمّـا توظيـف مفـردة (سـوط) في هـذا السـياق، فهـو نهـج سـار فيـه الإمـام عـلى غـرار القـرآن الكريـم الـذي يقـول: ﴿**فَصَـبَّ عَلَيْهِـمْ رَبُّـكَ سَـوْطَ عَـذَابٍ**﴾(٤). أي: عـذاب عصيـب شـديد؛ لأنّ العـذاب قـد يكـون بالسَّـوْط؛ لأنّـه يقتـضي التكـرار والـترداد في الـضرب(٥). وقـد وردت لفظـة (سـوط) في مواضـع أُخـر في نهـج البلاغـة بالدلالـة المتقدمـة في (خ/ ١٧٦، ك/ ٥١، ٥٣).

ثانياً: الدلالة على الخَلْط كما يخلط الزاد في القِدر ويُسَاط.

وقـد وردت هـذه الدلالـة مـرة واحـدة، وذلـك في قولـه(عليه السلام) في سياق حديثـه عـن

---

(١) معقولـة محبوسـة، مأخـوذ مـن قولهـم عقلـه عـن حاجتـه أي حبسـه عنهـا كـما يُعقـل البعـير. ينظـر: لسـان العـرب: (عقـل): ١١/ ٤٥٩.

(٢) مَجَّ الشرابَ إذا رَمَاهُ. ينظر: لسان العرب (مجج): ٢/ ٣٦١.

(٣) نهج البلاغة: خ/ ٨٧.

(٤) الفجر/ ١٣.

(٥) ينظر: المحرر الوجيز: ٥/ ٤٧٩.

الفتن التي ستمر على الناس، ومنها فتنة الأمويين وغيرهم من أمراءِ الجور(١): ((**أَلاَ وَإِنَّ بَلِيَّتَكُمْ قَدْ عَادَتْ كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ بَعَثَ اللهُ نَبِيَّهُ**(صلى الله عليه وآله)**، وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَتُبَلْبَلُنَّ بَلْبَلَةً**(٢)**، وَلَتُغَرْبَلُنَّ غَرْبَلَةً**(٣)**،وَلَتُسَاطُنَّ سَوْطَ الْقِدْرِ،حَتَّى يَعُودَ أَسْفَلُكُمْ أَعْلاَكُمْ...**))(٤).والسَّوطُ الخَلط والحرق.وإنما ضربَ(عليه السلام) المثل بـ(سَوْط القِدر) إشارة إلى ما يصيب الطعام من اضطراب في القدر مع الحرارة العالية فيتصلب الطعام فيه، كما إذا حركة أحد وأداره(٥).

الجَلَم

الجَلَمُ أداة تستعمل في القَطْعِ والجَزِّ(٦). وهو ما يُجَزُّ به الشّعر والصُّوْفُ، والجلمانِ شَفْرَتاه(٧).

وقد وردت لفظة (الجَلَم) في نهج البلاغة مرة واحدة(٨)، للدلالة على المِقْراض الذي يجزّ بها الصُّوف أو الشّعر. وذلك في قوله(عليه السلام) الذي يتحدث فيه عن التَّزهيد في الدنيا واحتقارها إذ يقول: ((**فَلْتَكُنِ الدُّنْيَا أَصْغَرَ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنْ حُثَالَةِ**(٩)

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ١/ ٢٠٥.

(٢) البلبلة الخلط والهم والحزن، ينظر: النهاية في غريب الحديث: ١/ ١٥٠.

(٣) الغَرْبَلَةُ النَخْل والتنقية. ينظر: لسان العرب (غربل):١١/ ٤٩١.

(٤) نهج البلاغة: ج/ ١٦: ٤٤. وقد. ورد قول الامام (عليه السلام)(لَتُبَلْبَلُنَّ بَلْبَلَةً، وَلَتُغَرْبَلُنَّ غَرْبَلَةً) في النهاية في غريب الحديث:١/ ١٥٠.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ١/ ٢٠٤.

(٦) ينظر: مقاييس اللغة (جلم): ١/ ٤٦٧.

(٧) ينظر: لسان العرب (جلم): ١٢/ ١٠٢.

(٨) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٨٧.

(٩) الحُثالة الرّديء من كل شيء، وقيل هو القشارة من التمر والشعير وما أشبهها، وكل ذي قشارة إذا نقّيَ فهو حثالة، وحثالة القرظ نفايته، ينظر: لسان العرب (حثل): ١١/ ١٤٢.

الْقَرَظِ[١]، **وَقُرَاضَةِ الْجَلَمِ، وَاتَّعِظُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ قَبْلَ أَنْ يَتَّعِظَ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ...))**[٢]. والإمام يدعو في قولته هذه إلى احتقار الدنيا والزهد فيها، ولهذا ناسب أن يصفها بِحُثالَة القَرظ، إشارة إلى الرّديء من قِشر ما يُدْبَغ به من ثَمر القَرَظ وما بقي من بعد الدّبغ[٣]، وألمح بذكر (قُراضَةِ الجَلَم) إلى حقارة وقِلّة شأن ما يَجُزُّ من صُوفٍ أو مَشعْر عند الجَزِّ. والغاية من هذا التصوير هو الابتعاد عن الدنيا وتركها؛ لأنّ استحقار الشيءِ واستصغاره يكون دافعاً لتركه والإعراض عنه[٤].

العِصِيّ

العَصَا العودُ[٥]. وأصل العَصَا الاجتماع والائتلاف[٦]، وقيل: إنّما سُمّيت (عصا)؛ لأنّ الأصابِعَ واليد تتجمع عليها من قولهم عَصَوت القوم، إذا جمعتهم[٧].

وقد وردت لفظة (العِصِيّ) في نهج البلاغة بصيغة الجمع مرة واحدة[٨]، دالة على العِصِيّ التي تستعمل في التَّوكُّيءِ. وذلك في سياق وصفه(عليه السلام) دخول النبي (موسى وهارون) على (فرعون): **((وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونُ(عليهما السلام)عَلَى فِرْعَوْنَ، وَعَلَيْهِمَا مَدَارِعُ الصُّوفِ، وَبِأَيْدِيهِمَا الْعِصِيُّ...))**[٩].

(١) القَرَظ نوع من الشجر الذي يُدبغ به الأدم، ينظر: لسان العرب (أدم): ٧/ ٤٥٤.

(٢) نهج البلاغة: خ / ٣٢: ٧٢.

(٣) ينظر: الديباج الوضي: ١/ ٣٨٧.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٢٧٤.

(٥) ينظر: تاج العروس (عصو): ٣٩/ ٥٢.

(٦) ينظر: لسان العرب (عصو): ١٥/ ٦٤.

(٧) ينظر: لسان العرب (عصو): ٥/ ٦٤، وتاج العروس (عصو): ٣ / ١٥٢.

(٨) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٠٥.

(٩) نهج البلاغة: خ / ١٩٢: ٣٦٧.

والسياق – هنا – يتحدث عن تواضع الأنبياء ورقَّة حالهم، ولهذا وصف أمير المؤمنين دخول النبي(موسى وأخيه هارون) وهما بهذه الحال،بما عليهما من مدارع الصوف،وهي لباس التواضع.ثم ذكر (العِصِيّ) التي تعد من لوازم النبي موسى(عليه السلام) ؛ لأنها وسيلته التي يتوكأُ عليها. كما أنّه يعتمد عليها في أن يَهُشّ بها على غَنمه. وهذه الدلالة مأخوذة من القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**وَمَا تِلْكَ بِيَمِنِكَ يَا موسَى. قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهشُّ بها على غَنَمي ولي فيها مآرب أُخرى**﴾[1]. وقد قَدَم موسى(عليه السلام) غَرض التّوَكُّئ بالعَصا على غيرها من الأغراض الأُخرى ؛ لأنّها وسيلته التي يستعين بها على المضيِّ والقيام بأداء لأعمال. أقول: ولهذا وصف الإمام دخولهما (عليهما السلام) على فِرعون وبأيدهم العصِيِّ، في إشارة منه إلى كونها من العلامات الفارقة التي يتميز بها النبي (موسى)(عليه السلام)، فضلاً عن كونها لازمة من لوازمه التي لا تفارقه، لما فيها من مآرب عددها النبي نفسه كما ورد في النص القرآني المبارك حتى صارت بعد ذلك(حيّة تَسعى)[2]. وقد استعمل الإمام كلمة (العِصِيّ) في هذا السياق بصيغة الجمع، فإنّ (عِصِياً) جمع على (فُعُول) وأصله (عُصُوٌّ)[3]، ولكنّهم لّما قلبوا الواو ياء[4]، كسروا الحرف الوسط من الكلمة، فصارت (عِصِيّ) – بالكسر – عند الجمع. وقد استعمل الإمام هذه اللفظة بصيغة الجمع مع أنّ الداخلين على (فرعون) كانا اثنين،وهما (موسى و هارون). ويبدو أنّ الغاية الدلالية من توظيف الجمع في سياق التثنية راجع إلى

---

(١) طه / ١٧، ١٨.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى:((فألقاها فإذا هي حية تسعى))

(٣) ينظر: الصحاح (عصو): ١/ ٤٧٥، ولسان العرب(عصا): ١٥/ ٦٣.

(٤) إنّما قلبوها (ياءً) ؛ لأنّ هذا الضرب من الجمع تُقلَب واوه عند الجمع (ياءً)، ينظر: لسان العرب (فتا): ١٥/ ١٤٦.

إلفات النظر إلى حالهما وما دخلا به من تواضع، وقلة شأن فيما يَلبسانه من ثياب أو يحملانه من عِصِيٍّ.

الفهْر

الفِهْر الحَجَر قدر ما يُكسر به جَوز أو يُدَقّ به من شيء[(١)]. وقيل: هو الحَجَر الذي يملأ الكفِّ[(٢)]. وذكر الخليل أنّ عامّة العرب تؤنث هذا اللفظ[(٣)]. ومفردة (الفِهْر) من ألفاظ نهج البلاغة التي وردت فيه مرة واحدة[(٤)]، للدلالة على الأداة التي كانت تُضرب بها المرأة في الجاهلية حسبما يقول أمير المؤمنين في سياق كتابه الذي وجَّهه لعِسكره قبل لقاء العدوّ بـ(صِفِّيْن)، ناهياً إيّاهم عن قتل المُدْبِر، والإجهاز على الجريح، أو أن يُهيّجوا النساء بأذىً. يقول(عليه السلام): ((**لاَ تُقَاتِلُوهُمْ حَتَّى يَبْدَأُوكُمْ، فَإِنَّكُمْ بِحَمْدِ الله عَلَى حُجَّة فَإِذَا كَانَتِ الْهَزِيمَةُ بِإِذْنِ الله فَلاَ تَقْتُلُوا مُدْبِراً، وَلاَ تُصِيبُوا مُعْوِراً، وَلاَ تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيح، لاَ تَهِيجُوا النِّسَاءَ بِأَذىً، وَإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ، وَسَبَبْنَ أُمَرَاءَكُمْ، فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ الْقُوَى وَالأَنْفُسِ وَالْعُقُولِ، إِنْ كُنَّا لَنُؤْمَرُ بِالْكَفِّ عَنْهُنَّ وَإِنَّهُنَّ لَمُشْرِكَاتٌ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَتَنَاوَلُ الْمَرْأَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِالْفِهْرِ أَوِ الْهِرَاوَةِ فَيُعَيَّرُ بِهَا وَعَقِبُهُ مِنْ بَعْدِهِ**))[(٥)]. والنص يشير إلى ضَعف النساء بعامّة، وكيف كان الرّجل يمْتَهن المرأة في الجاهلية إلى حدِّ ضربها بالحَجر والعصا، ولكنّ هذه الظاهرة كانت تُلْحق بصاحبها عاراً يُعَيّر به عَقِبه أيضاً كما يذكر الإمام. وإنّما خصّ (الفِهْر) – ههنا – لاظهار الأداة التي كانت تُضرب بها المرأة

---

(١) ينظر: العين (فهر): ٤/ ٤٥، ولسان العرب (فهر): ٥/ ٦٦.

(٢) ينظر: لسان العرب(فهر): ٥/ ٦٦.

(٣) ينظر: العين (فهر): ٤/ ٤٥.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس للألفاظ نهج البلاغة: ٣٥٧.

(٥) نهج البلاغة: ك/ ١٤: ٤٧٢.

في ذلك الوقت(١).

الهِرَواة

الهراوة العَصَا(٢). وقيل هي العَصَا الضَّخْمَة التي تستعمل في الضرب(٣).

وجاءت هذه المفردة في نهج البلاغة مرة واحدة(٤)، دالة على العَصَا الضخمة التي تُضرب بها المرأة في الجاهلية. وذلك في قوله (عليه السلام): ((... **لاَ تَهِيجُوا النِّسَاءَ بِأَذىً، وَإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ، وَسَبَبْنَ أُمَرَاءَكُمْ، فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ الْقُوَى وَالأَنْفُسِ وَالْعُقُولِ، إِنْ كُنَّا لَنُؤْمَرُ بِالْكَفِّ عَنْهُنَّ وَإِنَّهُنَّ لَمُشْرِكَاتٌ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَتَنَاوَلُ الْمَرْأَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِالْفِهْرِ أَوِ الْهِرَاوَةِ فَيُعَيَّرُ بِهَا وَعَقِبُهُ مِنْ بَعْدِهِ**))(٥). أقول: إن التوظيف الدلالي لمفردة(الهِراوة) يُومئ الى الطريقة التي كان الجاهِلّي يعامل المرأة بها، فضلاً عن شِدّة أذاها، فإنّ (الفِهْرَ) و (الهِرَاوة) من وسائل الأذى الذي كان يصيبها، بوصفها من الأدوات والآلات الموجعة التي كانت تستعمل في الضَرب، فضلاً عن كونها توحي بضعف مستعملها الذي كان يستلّط على النساءِ الضعيفات بهذه الوسائل. ولهذا ذكر أمير المؤمنين أنَّ الرجل الذي يتناول المرأة بهذه الأدوات يُعيّر بذلك هو وعَقِبه من بَعده، إيماءً منه إلى بعد هذا الضرب من التصرفات ليس من سِيماء الرّجولة.

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٤/ ٢١٣.
(٢) ينظر: المحكم (هرو): ٤/ ٤١٥.
(٣) ينظر: لسان العرب (هرو): ١٥/ ٣٦٠، وتاج العروس (هرو): ٤٠ / ٢٩٩.
(٤) ينظر: المعجم المفهرس لالفاظ نهج البلاغة: ٤٦٩.
(٥) نهج البلاغة: ك / ١٤: ٤٧٢.

المبحث الثاني

ألفاظ آلات الطرب واللّهو

القِداح

القِـدْح- بكسر القـاف – قِـدْح السَّـهم وجمعـه قِـداح (١). يقـال: قَـدَح في القِـدْح يَقْـدَح، وذلـك إذا خَـرَقَ في السَّـهْمِ بِسِـنْخِ النَّصْـلِ (٢). والقِـدْح في ترتيـب صناعـة السِّـهام هـو المرحلـة التـي يُـراش فيهـا السَّـهْم وينصـل فيسـمّى قِدحـاً. فقـد سـمّت العـرب المراتـب التـي يُهَيَّـأ فيهـا السَّـهم لأن يكـون سـهماً يُرمـى بـه. وأولها قطـع الغصـن الـذي يصنـع منـه السَّـهم، ويُسـمّى – عندهـا – قِطعـاً، ومـن ثَـمّ يُـبرى ويُقَـوّم، فـإذا قَـوِّم يُـرَاش ويُنْصَـل، وهـو القِـدْح حينئـذ، فـإذا ريـش ورُكِّـب نَصلـه صـار نَصـلاً وقِدحـاً للمَيْسَـر (٣). ويجمـع لفـظ (القِـدْح) جمـع تكسـير على(فِعَـال)، و(أفعـال) للقِلـة، و(أَفَاعِيـل). فيقولـون فيهـا (قِـدَاح)، و(أَقْـدَاح)، و(أَقَادِيْـح).

وقـد جـاءت مفـردة (قِدَاحـه) مرتـين في نهـج البلاغـة،ومفردة((القِـداح) مـرة واحـدة(٤)، وبصيغـة الجمـع عـلى (فِعَـال)، بدلالتـين:

الأولى: الدلالة على القِداح التي تستعمل في القمار، وهي قِداح الَميْسر.

وقـد اسـتعملها الإمـام مثـلاً في انتظـار الفـوز الـذي يأمَلُـه الُمقامِـر عـلى نحـو المقارنـة بينـه وبـين الُمنتَظـر لداعـي الله تعـالى، ومـا عنـد الله خـير وأبقـى. يقـول(عليه السلام): ((... **كَالفَالِجِ اليَاسِرِ الَّذِي يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزَةٍ مِنْ قِدَاحِهِ تُوجِبُ لَهُ المَغْنَمَ، وَيُرْفَعُ عَنْهُ** بها

(١) ينظر: غريب الحديث (ابن قتيبة): ١/ ٦٠، ولسان العرب (قدح): ٢/ ٥٥٤.

(٢) ينظر: لسان العرب (قدح): ٢/ ٥٥٤.

(٣) ينظر: نفسه.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٦٤.

المَغْرَمُ. وَكَذٰلِكَ المَرْءُ المُسْلِمُ البَرِيءُ مِنَ الخِيَانَةِ يَنْتَظِرُ مِنَ اللهِ إِحْدَى الحُسْنَيَيْنِ: إِمَّا دَاعِيَ اللهِ فَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لَهُ، وَإِمَّا رِزْقَ اللهِ فَإِذَا هُوَ ذُو أَهْلٍ وَمَالٍ))[١]. فشبّه(عليه السلام) انتظار المسلم البريء من الخيانة والذنب، وترقيه إحدى الحسنين من الله تبارك وتعالى بترَقّب الياسر القادح بالسّهام. في إشارة الى قرب فوزه برضا لله تعالى.

الثانية: الدلالة على الطريقة التي تُبرى بها السِّهام وتُنحت.

وهي مرحلة من مراحل صناعة السِّهام التي تستعمل في الحرب وفي المَيْسر، فإنّها بعد قطعها تُبرى وتُقوَّم قبل أن تُراش وتُنصل[٢]. وقد صوّر الإمام – بذكر مفردة (بَرْي القِدَاح) – حال الأتقياء الذين قد بَرَاهم الخوف بَري القِدَاح عند نَحتِها وتهذيبها. يقول (عليه السلام): ((**وَأَمَّا النَّهَارَ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ، أَبْرَارٌ أَتْقِيَاءُ، قَدْ بَرَاهُمُ الْخَوْفُ بَرْيَ الْقِدَاحِ، يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّاظِرُ فَيَحْسَبُهُمْ مَرْضَى، وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ...**))[٣]. وهؤلاء الأتقياء في نظر الإمام (عليه السلام) إنّما بَرَاهم (خوف الله) تبارك وتعالى، ولم يُقوِّمهم أو يُهذبهم أحد غيره، فصارت أجسادهم نحيلة نحيفة، كأنها هي السَّهم الذي يُعدّ للقدح به. يقول الشارح البحراني في بيان وجه الشّبه بين بَري الخوف للمتقين وبري القِداح: ((وشبّه بَرْيَ لهم ببَرْيِ القِدَاحِ ووجه التشبيه شِدَّةُ النَّحَافَةِ، ويتبع ذلك تغيّر السّحنات والضعف عن الانفعالات النفسية من الخَوْف والحزن حتى يَحْسَبُهُم النّاظِرُ مَرضى وإن لم يكن بهم مَرض))[٤]. ويُفهم من قوله (عليه السلام) (بَراهم خوف الله)، تطبّع هؤلاء على خصال يريدها الحق جل

(١) نهج البلاغة: خ / ٢٣: ٥٤، وقد تكرر مثل هذا الكلام في (غريب كلامه/ ٨) من النهج.

(٢) نفسه: خ / ١٩٣: ٣٨٢.

(٣) نفسه:خ/ ١٩٣: ٣٨٢.

(٤) شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٧٣١.

جلاله منهم ومن غيرهم، فهم قد هذّبوا أنفسهم وأبدانهم وشذّبوها لتكون على نسق الطاعة والإيمان، فصاروا من الاستقامة والعِفة والورع بمكان.

المزامير

يقال للذي يُغنِّي الزَّامر والزَّمَّار، وأمّا القَصَبة التي يُزَمَّر بها، فهي زَمَّارة[1]. والمِزمار واحد المَزامِير، وهو آلة من القصب يُزمّر بها و يُغَنَّى[2]. والزِّمار هو صوت النَّعام، وقد زَمَرَت النّعامة تَزمر زِمَاراً[3].

وقد وردت لفظة (المَزاميْر) في نهج البلاغة مرة واحدة[4]، دالة على مَزامِير النبي داوود(عليه السلام)، وما كان يتلوه ويقرأه من (الزَّبُور) بصُحفه وأدعيته التي كان يدعو بها بصوتٍ شجيٍ يُسْحِرُ السامعين ويصف الإمام ذلك بقوله: ((**وَإِنْ شِئْتَ ثَلَّثْتُ بِدَاوودَ صَاحِبِ الْمَزَامِيرِ، وقارئ أَهْلِ الْجَنَّةِ...**))[5].(صاحب المزامير) الإشارة إلى الكتاب المقدّس للنبي (داوود)، وهو(الزَّبور)، فضلاً عن بديع صوت النبي عند قراءة هذه الزبور. فقد روي في المأثور التاريخي أنّ (داوود) (عليه السلام) أُعطِي من طِيب النَّعم ولذَة ترجيع القراءة ما كانت الطيور والوحوش تجتمع إليه لأجل صوته[6]. وقد أكّد الإمام هذه الحقيقة، فذكر أنّه (صاحب المزامير)، وهي عبارة استعارها الإمام لصوت (داوود) كما يذكر الشارح البحراني[7]؛ لأنّه قارئ أهل

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة (زمر): ٤/ ٣٦٢، ولسان العرب (زمر): ٤/ ٣٢٧.

(٢) ينظر: لسان العرب (زمر): ٤/ ٣٢٧.

(٣) ينظر: العين (زمر): ٧/ ٣٦٥.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٢٠٢.

(٥) نهج البلاغة: خ/ ١٦٠: ٢٨٣.

(٦) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٩/ ١٧٧.

(٧) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٦٥٣.

الجنّـة وصاحـب الصـوت الحسـن الرشـيق الـذي يشـبه المزامـير في طيبهـا وحـلاوة نغمهـا وسلاسـته[١]. فضرب(عليه السلام) لفظ (المَزامِير) مثلًا لحسـن صوت النبي وحـلاوة نغمتـه، كأنّـه في حَلْقـه مزامـير يُزَمّـر بها.أقـول: والملاحـظ في اللفظـة المتقدمـة أنّـه(عليه السلام) نقلهـا مـن الدلالـة عـلى النصـوص المقدسـة للنبـي (داوود) إلى الدلالـة عـلى شـجي الصـوت والنهايـة في روعتـه.

العَرْطَبة

العَرْطَبَـة ضَرْب مـن أدوات الملاهـي، وهـي العُـوْد عنـد اللغويـين[٢]. وقيـل: بل هي الطَّبْل، أو الطّنبـور[٣]. ويبـدو أنّ هـذا النـوع مـن وسـائل اللهـو لـه دلالتـين، فالعَرْطَبة عنـد الأحْبَـاش هـو الطبـل، وهـو ينسب إليهـم في المعجـمات العربيـة. فالعَرْطَبَـة طَبْـل الحَبَشـة[٤].وذهب الجواليقـي إلى أنّ العُرطُبـة – بفتـح العـين والطـاء وضمّهـما – اسـم للعُـودِ مـن أدوات الموسـيقى في الملاهـي[٥]. وهـذه اللفظـة مـن الألفـاظ المعرّبـة – كـما يبـدو – فقـد ذكـر الجواليقـي أنّهـا لفـظ فـارسي معـرّب تـدل عـلى الطّنبـور عندهـم[٦]. وقيـل:[٧] بـل هـي الطّنبـور بلغـة الـروم.

(١) ينظـر: الديبـاج الـوضي: ٣/ ١٢٩٩، وقـد ورد في المأثـور عـن النبـي (صلى الله عليه وآله) أنّـه وصـف (أبـا موسـى الأشـعري)، وكان حسـن القـراءة في القـرآن بقولـه: ((لَقَـد أُوتي هـذا مِزْمـاراً مـن مَزامـير آل داوود))، إشـارة إلى إحـرازه ضربـاً مـن حـلاوة الصـوت التي يتميـز بهـا النبـي داوود(عليه السلام)، ينظـر: مسـند أحمـد: 351/ 5، وصحيـح مسـلم: 546/ 1.

(٢) ينظر: غريب الحديث (أبوعبيد): ٤/ ٢٧٩، والنهاية في غريب الحديث: ٣/ ٢١٦.

(٣) ينظر: غريب الحديث (ابن الجوزي): ٢/ ٨٧.

(٤) ينظر: لسان العرب (عرطب): ١/ ٥٩٤.

(٥) ينظر: المعرّب: ٢٨٢، و ألفاظ الحضارة (زوين): ١/ ٣٨٤.

(٦) ينظر: نفسها: ومما تجدر الإشارة إليه أنّ (د.علي زوين) لم يشر إلى أعجمية هذه المفردة وفارسيتها.

(٧) معارج نهج البلاغة: ٢/ ٨١٣.

وقد وردت هذه اللفظ في نهج البلاغة مرة واحدة[١]، وذلك في سياق كلامه عن الزهد والزاهدين و وعبادة الله تبارك وتعالى في جَوْف الليل. يقول(عليه السلام): ((... **إِنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ قَامَ فِي مِثْلِ هذِهِ السَّاعَةِ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ: إِنَّهَا سَاعَةٌ لاَ يَدْعُو فِيهَا عَبْدٌ إِلاَّ اسْتُجِيبَ لَهُ، إلاَّ أَنْ يَكُونَ عَشَّاراً أَوْ عَرِيفاً أَوْ شُرْطِيّاً أَوْ صَاحِبَ عَرْطَبَة أَوْ صَاحِبَ كَوْبَة**))[٢]. والإمام ينقل قول النبي داوود (عليه السلام) فيمن لا يستجاب دُعاؤهم في تلك السّاعة. ودلت مفردة (عَرْطَبة) في هذا السياق على آلة اللّهو، وهي الطُّنْبُور حسبما يذكر شُرّاح النهج[٣]. وهي الآلة التي يُلعب بها في اللّهو. واستعمل الإمام هذه المفردة لتكون رمزاً للأدوات التي تستعمل في مجالس اللهو والطرب المحرمين، بما في ذلك بقية الآلات الموسيقية الأخرى. ولعل شيوع هذه الآلة وكثرة استعمالها عند أصحاب الطرب الذين استعملوها في مواطن الطرب والغناء هو الذي جعلها تصير رمزاً لهذه الأمور المحرّمة في الشريعة الإسلامية، بل في الشرائع السابقة لها، ومنها شريعة النبي (داوود) الذي صدر منه هذا القول. ومن الجدير بالذكر أنّ هذا النص الذي صاغه الإمام (عليه السلام) في حواره مع بعض أصحابه، نص وارد عن النبي الأكرم. فقد نقلت كتب غريب الحديث النبوي قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((**إنَّ الله يَغْفِرُ لِكلِّ مُذْنِبٍ إلاّ صَاحِبَ عَرْطَبَةٍ أو كوبَةٍ**))[٤]. ومن الطبيعي أن يكون الإمام قد تأثر في صياغة كلماته المتقدمة بقول النبي المتقدم.

كُوبَة

الكُوبَة -عند الخليل- قَصَبات تجمع في قِطعة أديم، ثُمّ يُخرز بها و يُزمَّر

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة:٢٩٨.

(٢) نهج البلاغة: قصا / ١٠٤: ٦١٨، ٦١٩.

(٣) ينظر: معارج نهج البلاغة: ٢/ ٨١٣، ومع نهج البلاغة: ٢٦١.

(٤) النهاية في غريب الحديث: ٣/ ٤٤٠ و وينظر: لسان العرب (عرطب): ١/ ٥٩٤.

فيها[١]. وإنّما سُميّت كوبة ؛ لأنّ بعضها كُوِّب على بعض وأُلْزِق[٢]. وقيل: بل الكوبَة الطَّبْل الصغيْر المُخَصّر[٣]. ووسع بعض اللغويين من دلالة هذه الكلمة، فذكروا أنّها تدل على الشطرنجة أو النِّرد في كلام أهل اليمن[٤]. وتذكر بعض المدونات اللغوية أنّ هذه اللفظة من الألفاظ غير العربية فهي - عندهم - لفظة معرّبة[٥].

وقد وردت هذه المفردة في نهج البلاغة مرة واحدة[٦]، إذ استعملها الإمام في سياق حديثه عن الزاهدين، والذين لا ترد دعوته في الليل. واستثنى منهم فئات ذكرهم في حديث النبي داوود.يقول الإمام(عليه السلام):((... **إِنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ قَامَ فِي مِثْلِ هـذِهِ السَّاعَةِ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ: إِنَّهَا سَاعَةٌ لاَ يَدْعُو فِيهَا عَبْدٌ إِلاَّ اسْتُجِيبَ لَهُ، إِلاَّ أَنْ يَكُونَ عَشَّاراً أَوْ عَرِيفاً أَوْ شُرْطِيّاً أَوْ صَاحِبَ عَرْطَبَة أَوْ صَاحِبَ كَوْبَة**))[٧]. والكُوبة - هنا - الطَّبْل حسبما يذكر السيد الشريف الرضي في تعليقه على النص المتقدم[٨]. أو هي الطبل المُخصرّ كما ذكر اللغويون. وقد وسع الإمام من إيحاءات هذه المفردة لتكون عنده علامة على آلات اللّهو والطرب المحرّمة في الشرائع السماوية.

---

(١) ينظر: العين: (كوب): ٥/ ٤١٧.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: نفسه، وجمهرة اللغة (كوب): ١/ ٣٧٨.

(٤) ينظر: العين (كوب): ٥/ ٤١٧، والمعرّب (كوب): ٣٤٣.

(٥) ينظر: المعرّب: ٣٤٣.

(٦) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٠٤.

(٧) نهج البلاغة: قصا / ١٠٤: ٦١٨،٦١٩.

(٨) نفسه.

المبحث الثالث
ألفاظ أدوات الكتابة

القلم

القَلَم هو ما يكتب به[١]. وأصل القَلم القَطع والبرَي[٢]. وإنّما سُمّي القَلَم قلماً؛ لأنّه قُلِّم مَرّة بعد مرّة[٣].

وقد استعملت لفظة (الأقْلام) بصيغة الجمع على (أَفْعَال) مرتين في نهج البلاغة، في حين جاءت لفظة (القلم) محلاة بـ(أل) ومضافة إلى (كاف) الخطاب (قلمك) مرة واحدة لكل واحدة منهما[٤]؛ للدلالة على ما يأتي:

أوّلاً: الدلالة على الأقلام التي تُسجّل بها أعمال العباد.

وجاءت هذه الدلالة في سياق كلام الإمام عن (العَمل) الذي يُكسب صاحبه رضا الله تبارك وتعالى، وتُسجّله الملائكة الموكلة بالإنسان. وجاء ذلك في موضعين ؛ منهما قوله (عليه السلام):((**فَاعْمَلُوا وَالْعَمَلُ يُرْفَعُ، وَالتَّوْبَةُ تَنْفَعُ، وَالدُّعَاءُ يُسْمَعُ، وَالْحَالُ هَادِئَةٌ، وَالأَقْلامُ جَارِيَةٌ....**))[٥]. والنّص تنبيه وإرشاد على وجوب العمل الصَّلح على ضرورتها في مقدّمة الخطبة بقوله: ((**فَإِنَّ تَقْوَى اللهِ مِفْتَاحُ سَدَاد، وَذَخِيرَةُ مَعَاد...**))[٦]. أمّا أمره بـ(العَمَل) ؛ فلأنّه مفتاح السِّداد الذي ينال به المرء جزاءه

(١) ينظر: تهذيب اللغة (قلم): ٩/ ١٤٨، ولسان العرب (قلم): ١٢/ ٤٩٠.

(٢) نفسهما.

(٣) نفسهما.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة:٣٨١.

(٥) نهج البلاغة: خ/ ٢٣٠: ٤٤٤.

(٦) نفسه.

من الله، فإن كان عمله صالحاً جزاه الله به خيراً، وإن كان طالحاً، فجزاؤه العقاب. ولهذا ذكر (عليه السلام) أنّ (العَمَل يُرْفع) إلى الله جل جلاله، ومن ثَمَّ اتبعه بذكر النَّفع الذي تفيده التَّوبة النّصوح. وذلك إشارة إلى قبول التوبة ممن أذنب أو أعمل عملاً غير صالح. وأمّا مفردة (الأقلام)، فقد أشار بها الإمام إلى (أقلام) الكرام الكاتبين الذي يسجّلون أعمال النّاس[١]. واستعمال هذه المفردة مقترنة بـ(أل) التعريف أفاد الدلالة على العَهد الذي تدل عليه هذه (الأقلام)، فإنّها ليست من (أقلام) الدنيا المعروفة، وإنّما هي أقلام مخصوصة بـ(الحفظة)الذين يكتبون الأعمال[٢].

وخلاصة قول الإمام (عليه السلام) أنّ (العَمَل)باقٍ حتى منتهى حياة الإنسان، وهو نافع له يوم القيامة، والأقلام جارية بالكتابة حتى سقوط التكليف عن الإنسان بموته.أقول: إنّ توظيف الإمام لمفردة (الأقلام) يمثل إشارة إلى قوله تبارك وتعالى ﴿**لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ**﴾[٣].

والكتابة المعروفة تكون (بالقَلَم)، فكأنّه (عليه السلام) يومئ إلى المعنى القرآني المتقدم بذكر مفردة (الأقلام) التي تعد وسيلة الكتابة، سواء أكان إحصاء هذه الأعمال بتدوينها وكتابتها بالصورة المعروفة عند الإنسان، أم بشكل آخر يختلف عمّا يعرفه الإنسان من الكتابة. ولهذا ذكر المفسرون في تفسير الآية المباركة أنّ الكتابة هي في صحائف الحفظة متبوعاً بحفظ الله لهذه الأعمال، وإثباتها في أعمالهم بشكل يمنعها من تُنسى، وذلك على جهة الوعيد بأنّه تعالى لن يفوته أبداً إثبات الشيء

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٣/ ٧.

(٢) نفسه.

(٣) آل عمران / ١٨١.

وتدوينه[١]. وقد وردت لفظة (الأقلام) بالدلالة المتقدمة نفسها في (خ/ ٩٤).

ثانياً: الدلالة على (القَلَم) المعروف الذي يكتب به.

وجاءت هذا الاستعمال في قوله (عليه السلام) لكاتبه عبيد الله ابن أبي رافع: ((**أَلِقْ دَوَاتَكَ، وَأَطِلْ جِلْفَةَ قَلَمِكَ، وَفَرِّجْ بَيْنَ السُّطُورِ، وقَرْمِطْ بَيْنَ الْحُرُوفِ...**))[٢]. والقلم الذي ورد ذكره في قوله هو القلم الذي يُكتب به. وقد أخذ الإمام من هذا(القلم) صِفَةَ الدِّقة فيه، فَشَبَّه به الخَطَّ الذي يظهر عند فَتْقِ سَمعِ (الطّاووس)؛ إذ يقول في ذلك: ((... **وَمَعَ فَتْقِ سَمْعِهِ خَطٌّ كَمُسْتَدَقِّ الْقَلَمِ فِي لَوْنِ الأُقْحُوَانِ**[٣]))[٤]، يشبّه بياضه بلون نَبت (الأُقْحُوان)[٥] الذي له- كما يذكر اللغويون - نورأبيض[٦]. فكما أنَّ القلم إذا كان بري برياً جيداً فيُكتب به الخَطّ المستقيم الدقيق، فكذلك الخَطُّ الذي يبدأ عند أذن الطاووس.

جِلْفَة

الجِلْفَة من القَلَم ما بين مَبْراه وسِنَّتِه[٧]. وقد وردت مفردة (جِلْفَة) مرة

---

(١) ينظر: الكشاف: ١/ ٤٧٥.

(٢) نهج البلاغة: قصا / ٣١٥: ٦٦٥.

(٣) الأُقحُوان: نَبْت من نبات الرَّبيع دقيق العيدان، له نور أبيَض ورائحة طيّبة، واحدته (أقْحُوَانة)، تشبّه به الأسنان ؛ لأنّه كثغر جارية حدثة السِّنِّ، وذكر اللغويون أنّه المسمّى بـ(البَابُوْنَج)، ينظر: لسان العرب (قحا): ١٥/ ١٧١.

(٤) نهج البلاغة: خ/ ١٦٥: ٢٩٨.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٦٦٨.

(٦) نفسه.

(٧) ينظر: القاموس المحيط (جلف): ١/ ١٠٣٠، وتاج العروس(جلف): ٢٣ / ٩٨، ومعجم أسماء الأشياء (اللطائف في اللغة)، لأحمد الدمشقي (جلف): ١/ ٣٢٦.

واحدة في نهج البلاغة(١)، للدلالة على سنَّة القلم وإطالتها. وذلك في قوله الذي يُرْشد فيه كاتبه (عُبيد الله بن أبي رافع)(٢)، بأن يهُيِّئ ما ينفعه من لوازم لتحسن خطِّه. يقول(عليه السلام): ((**أَلِقْ دَوَاتَكَ، وَأَطِلْ جِلْفَةَ قَلَمِكَ، وَفَرِّجْ بَيْنَ السُّطُور، وقَرْمِط بَين الحُرُوف، فَإِنَّ ذلِكَ أَجْدَرُ بِصَباحَةِ الخَطِّ**))(٣).ويرشد الإمام كاتبه إلى تهيئة شرائط حُسن الخَطِّ وجودة بيانه. متّخذاً من مفردة (جِلفَة) الدالة على القَطع والقَشر(٤)سبيلًا الى زيادة إطالة القلم، إشارة إلى إطالة هيئة فتحته وسنانه التي يُستمدّ بها المِداد، وهو ما يُعِين على الاستمرار بالكتابة على نهج غير متقطع. فأمّا

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٨٧.

(٢) هو عبيد الله بن أبي رافع المدني مولى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ومن خواص أصحاب الإمام علي (عليه السلام) وكاتبه. حضر معه وقعة الخوارج بالنهروان، وكان ثقة كثير الرواية، وله مصنفات منها (كتاب في قضايا أمير المؤمنين)، و(كتاب تسمية من شهد مع أمير المؤمنين الجَمل وصفين والنهروان من أصحابه) و(كتاب في فنون الفقه).ينظر: الطبقات الكبرى: ٥/ ٢٨٢، وتاريخ بغداد، للخطيب البغدادي: ١٠/ ٣٠٤، وتهذيب التهذيب: ٧/ ١٠.

(٣) نهج البلاغة: قصا / ٣١٥: ٦٦٥. وقد ورد هذا النص مروياً عن الإمام (عليه السلام) قبل جمع الرضي لنهج البلاغة، فقد رواه أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهيشاري (ت٣٣١هـ) في: الوزراء والكتاب: ٢٣،١٤، والشيخ المفيد محمد بن النعمان (ت٤١٣هـ) في كتابه الجمل: ١٣٨، والراغب الأصفهاني (ت في حدود٤٢٥هـ) في كتابه محاضرات الأدباء: ١/ ١٣٣ في باب (الوصيّة بتقويم حروف الكتابة) برواية:((... وأطِلْ سِنّ قَلَمِك...)) بدلاً من ((جِلْفَة قلمك...)). وقد أشار إلى ذلك المتأخرون من الباحثين، ينظر: مصادر نهج البلاغة وأسانيده: ٤/ ٢٤٥، وغريب نهج البلاغة: ١٨٧. أقول: وقد ذكرت كتب النوادر هذا النص أيضاً مروياً عن الإمام(عليه السلام) أيضاً، وممن رواه أبو مسحل الأعرابي (ت ١٩٩ هـ) في نوادره: ١/ ١٢٩، وينظر: غريب نهج البلاغة: ١٨٧. فضلاً عما ذكره اللغويون وفي طليعتهم ابن الأثير والجزري وابن منظور والزبيدي من توثيق نسبة هذا القول لأمير المؤمنين(عليه السلام) وذلك في مادة (قَرْمط) التي وردت في قول الإمام(عليه السلام). ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٤/ ٥٠، ولسان العرب (قرمط): ٧/ ٣٧٧، وتاج العروس (قرمط): ٢٠/ ٢٢.

(٤) ينظر: مقاييس اللغة (جلف): ١/ ٤٧٤.

إذا كانت (الجِلْفَة) قصيرة، فذلك يؤدي إلى قلة مِدَادها، وهو ما يقطع المفردات وحروفها، ويكثر التفاوت بينها[١]. وبهذا يكون قِصرَ (الجِلْفَة) مدعاة إلى رداءة الخطِّ وخفاء حروف الكلمات. فاجتماع الشرائط المتقدمة في خطِّ الكُتّاب يؤدي إلى صَبَاحته، وجمال رَسمِه.

دَوَاتَك

الدَّواة هي الأداة التي يجعل فيها المِداد الذي يمُدّ القَلم، فيكتب منها[٢]. وتسمّى عند الكُتّاب المَحْبَرة[٣]. ولفظة (دَوَاتَك) من ألفاظ نهج البلاغة التي وردت فيه مرة واحدة[٤]، للدلالة على الأداة التي يُجعل فيها مِداد القَلَم. وذلك في قول أمير المؤمنين(عليه السلام): ((**أَلِقْ دَوَاتَكَ، وَأَطِلْ جِلْفَةَ قَلَمِكَ.....**))[٥]. يريد: أصلح مداد مَحْبَرتِك وهيِّئها للكتابة،لتكون مادة لقلمك بالحبر الذي يُستعان به في الكتابة.

أَلِق

لِيْقَة الدَّوَاة، ما اجتمع في وَقَبَتها[٦] من السَّواد بمائها[٧]. وقد وردت مفردة (أَلِق) بصيغة فِعل الأمر مرة واحدة في نهج البلاغة [٨]، وذلك في قوله (عليه السلام):((**أَلِقْ**

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٩/ ١٨٢، وشرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٤٧٦، والديباج الوضي: ٦/ ٢٩٥٩.

(٢) ينظر: لسان العرب (مدد): ٣/ ٣٩٨، و(دوي): ١٤/ ٢٧٩، والمصباح المنير: ١/ ٢٠٥.

(٣) ينظر: المعجم الوسيط: ١/ ٣٠٦.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٦٦.

(٥) نهج البلاغة: قصا / ٣١٥، ٦٦٥.

(٦) الوَقَبَة: النُّقْرَة، ينظر: غريب الحديث (ابن قتيبة): ٦/ ٣٧٠.

(٧) ينظر: العين (ليق): ٥/ ٢١٤، وتهذيب اللغة (ليق): ٩/ ٢٣٤.

(٨) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤١٤.

دَوَاتَكَ، وَأَطِلْ جِلْفَةَ قَلَمِكَ، وَفَرِّجْ بَيْنَ السُّطُورِ، وقَرْمِطْ بَيْنَ الْحُرُوفِ، فَإِنَّ ذلِكَ أَجْدَرُ بِصَبَاحَةِ الْخَطِّ))[١]. وتذكر المدونات المعجمية دلالات متعددة لمفردتي (اللِّيق، واللِّيْقَة)، فقد ذكر الخليل أنّ (اللِّيْق) شيء يُجعل في دواء الكُحْل والقطعة منه (لِيْقَة)[٢]. ثمّ ذكر أنّ ليقة الدّواة هو ما اجتمع في نُقْرتها من السَّواد المختلط بمائها[٣]. كأنّه يومئ بذلك إلى مِدادها الذي يلتصق بقطعة الصوف التي تُمِدّ القَلَمَ بالحِبر، ومع ذلك كله، فإنّ اللغويين الأوائل لم يحددّوا دلالة لهذه المفردة، واكتفوا بذكر التّصريفات الخاصة بتلك الكلمة، كقولهم: ((لِقْتُ الدَّواةُ، فهي مَلِيْقَة، وَلُقْيُها فهي مَلُوْقَة... مُلاَقَة))[٤]. وأمّا اللفظ (أَلِقْ) الذي استعمله الإمام(عليه السلام)، فيبدو أنّه مأخُوذ من مفردة (لِيْقَة) التي تدل على الصُّوفة المنْقُوشَة التي تُعمل للدواة قبل أنْ تُبَلّ، وهي التي يُسَمِّها اللغويون البُوهَة[٥]. وهذه الصُّوفة هي التي تحمي سِنّ القَلم من أن تَصطدم بقعر الدواة، فضلاً عن أنّها تمتص الحِبْر من الدواة على نحو متساوٍ،فحينما يغطس القلم فيها تعطيه من المداد بقدر حاجته[٦]. وقد وَجّدت عند الأدباء ضرباً من خصائص لِيْقَة الدَّواة والقَلم، وشرائطها لدى الكُتّاب؛ فقد ذكروا أنّه يُسْتَحب فيها أن تكون طَيّبة الريح، ومن الأَولى عندهم أن تكون من الحرير الخشن ؛ لأنّ انتفاشها في المحبرة وعدم تلبُّدها أَمْكن للكاتب في أنْ يُشِمَّها رَوق القلم. ومن المفيد أن تتعهد بالمِلح والكافور، فذلك آمن لها

(١) نهج البلاغة:قصا/ ٣١٥: ينظر: العين (ليق): ٥/ ٢١٤، وتهذيب اللغة (ليق): ٩/ ٢٣٤.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (ليق): ٩/ ٢٣٤.

(٣) ينظر: العين (ليق): ٥/ ٢١٤.

(٤) تهذيب اللغة (ليق): ٩/ ٢١٤.

(٥) ينظر: تهذيب اللغة (بوه): ٦/ ٢٣٤، ولسان العرب (بوه): ١٣/ ٤٧٩.

(٦) ينظر: الآلة والأداة وما يتبعها من الملابس والمرافق والهنات، لمعروف الرصافي: ٣٧، ٣٢١، وغريب نهج البلاغة: ١٨٩.

من التّبَخُّر [1]. وأمّا أصل اشتقاق هذه المفردة التي استعملها الإمام، فهي مأخوذة من (أَلَق يُلِيق إِلاقة)، كما يشير إلى ذلك اللغويون[2].

أمّا موقف شُرَّاح نهج البلاغة من مفردة (أَلِقْ) الواردة في كلامه (عليه السلام)، فإنّ أغلبهم فسّرها بالأمر بإصلاح مداد الدّواة[3]، فهي دعوة الى كاتبه بإعداد دواته، وتمكين ليقتها من المِداد الذي في المَحبرة. ويحتمل أن يتَّسِع ذلك إلى أن يكون الأمر مخصوصاً بتحسين (اللِّيقة)، وجودة اختيارها أيضاً. كأنّه يوصي أن يكون كاتبه حَسُن الاختيار لِصُوْفَة دواته، كيما تجود في تَحْبِير القَلم، وذلك إذا كانت (اللِّيقة) من جيد الصُّوف، أو من الحرير الخَشن كما يذكر الأدباء المختصون بهذا الضرّب من أدوات الكتابة ولوازمها[4]، فذلك يُعين على عدم تلبدها بالحِبرْ فيسهل أمر الكتابة، فضلاً عن جودة التصاق الجلفة بهذا الضرب من اللِّيق. ومن هنا يتبيّن فرادة استعماله(عليه السلام) لهذه المفردة التي تبدو عليها سيماء الغرابة وقِلّة الاستعمال في المدونات الأدبية. وهو ما أشار إليه اللغويون الذين صَرّحوا بهذه الغرابة، وفي طليعتهم الخليل الذي يقول: ((أَلَقْتُ الدّواة إِلاَقَةً، ولِقْيُها لِيْقَةً، والأولى أَغْرب))[5]. فضلًا من أنهّم أشاروا إلى دلالتها على الالتصاق ولزوم الشيء[6]، وبحسب هذا المعنى فإنّ أجود اللِّيق هو ما لزق الحِبْر به. ولهذا ذكر الأدباء أنّ

(١) ينظر: ربيع الأبرار، للزمخشري: ١/ ٣٢١، وصبح الأعشى في صناعة الإنشا، للقلقشندي: ٢/ ٤٩٩.

(٢) ينظر: العين (ليق): ٥/ ٢١٤، ولسان العرب (ليق): ١٠/ ٣٣٤.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٩/ ١٨٢، وشرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٤٧٦، والديباج الوضي: ٦/ ٢٩٥٩.

(٤) ينظر: صبح الأعشى: ٢/ ٤٩٩.

(٥) العين (ليق): ٥/ ٢١٤، والقاموس المحيط (ليق): ١/ ١١٩١، وتاج العروس (ليق): ٢٦/ ٣٦٨، وغريب نهج البلاغة: ١٨٨، ١٨٩.

(٦) ينظر: تهذيب اللغة (ليق): ٩/ ٢٣٤، ولسان العرب (ليق): ١٠/ ٣٣٤.

اللّيقة لا تسمّى بذلك حتى تُلاَق في الدّواة بالِمداد[١]، كأنّ ذلك علامة على لزوق الحِبْر بها. أقول: إنّ أمر الإمام كاتبه بتعَهّد دواته والعناية بِلَيقتها وإصلاحها ووضع الصوفة فيها[٢] لم يتخذ سبيل التعابير اللغوية المعتادة من خلال استعمال أيِّ تعبير آخر يدل على العناية(بداوة المِداد)، وصوفتها.فإنّه قصد الى توظيف مفردة تَتّسِم بضرب من النّدرة والغرابة،بوصفها من الألفاظ المخصوصة بِصَنعة الكتابة التي يتداولها جمهور خاص من المعروفين بهذا العمل، حتى أنّ بعض الدارسين قطع بعدم شياعها في شعر العرب ونثرهم قبل الإمام(عليه السلام) كما شاعت عندهم مفردات خاصة بصنعة الكتابة ولوازمها[٣].وهذا الأمر يدل على تفرّده (عليه السلام) واختصاصه باستعمال هذه اللفظة بالدلالة المتقدمة، مع أنّ اللغويين لم يُفيدوا من استعمال أمير المؤمنين لهذه الكلمة، ولم يعتنوا بذكر النص الذي أوردها فيه مثلما صنعوا مع بقية المفردات التي ذكرت في هذه الدراسة.

قَرْمِط

القَرْمَطة دِقّة الكتابة وتداني الحروف والسّطور فيها حسبما يقول الخليل[٤]. وجاءت المفردة المتقدمة في كلام الإمام الوارد في نهج البلاغة مرّة واحدة[٥]؛ للدلالة على دِقّة كتابة الحروف وإبانتهاعند الكتابة، وذلك في قوله (عليه السلام):((**أَلِقْ دَوَاتَكَ،وَأَطِلْ جِلْفَةَ قَلَمِكَ،وَفَرِّجْ بَيْنَ السُّطُورِ،وقَرْمِطْ بَيْنَ الْحُرُوفِ،فَإِنَّ ذلِكَ**

(١) ينظر: صبح الأعشى: ٢/ ٤٩٨.

(٢) ينظر: مع نهج البلاغة: ٣٢١.

(٣) ينظر: غريب نهج البلاغة: ١٨٩.

(٤) ينظر: العين (قرمط): ٥/ ٢٥٨، وتهذيب اللغة (قرمط): ٩/ ١٠٤، والمحكم (قرمط): ٦/ ٦٢٤.

(٥) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٦٢.

أَجْـدَرُ بِصَباحَـةِ الخَـطِّ))[١].

ومفـردة (قرْمِـط) التـي اسـتعملها الإمـام مأخـوذة، فيـما يبـدو، مـن القَرمَطـة في المشي، وهـو ضَرب مـن تـداني المشي وتقـارب الخَطـو[٢]. قـد وصفـوا بـه مَـشي البَعـير أيضـاً، فقالـوا: قَرمَـط البَعـير، إذا قـارب خُطَـاه وتدانـى مَشْـيه[٣]. واسـتعمال (عليه السلام) لهـذه المفـردة يمثـل ضربـاً مـن التّوسّـع في دلالتهـا ؛ لأنّـه جنـح بهـا مـن الدلالـة الأوّلى إلى الدلالـة على المقاربـة في رسـم الحـروف، وتدانيهـا بعضهـا مـن البعـض الآخـر، بحيـث تكـون الكلمـة حسـنة الهيئـة دقيقـة الضبـط مـن حيـث أشـكال رسـمها، فـلا تكـون الحـروف طويلـة في ذلـك، وإنّـما قصيـرة عـن الإطالـة[٤]، لئلَا تبـدو الحـروف بعيـدة عـن هيـأة رسـمها المعروفـة عنـد القـرَّاء. ويبـدو أنّ الإمـام لم يقتـصر في إيـراده لهـذه المفـردة على المعنـى المتقـدم، وإنّـما أضفـى عليهـا ضربـاً مـن الدلالـة على جمـال رسـم الحـروف ودقتهـا، كأنّ الـذي يقرمـط كتابتـه ينقشـها نقشـاً[٥].

(١) نهج البلاغة: قصا / ٣١٥: ٦٦٥.

(٢) ينظر: المحكم (قرمط): ٦/ ٦٢٤، ولسان العرب (قرمط): ٧/ ٣٧٧.

(٣) ينظر: لسان العرب (قرمط): ٧/ ٣٧٧، وتاج العروس (قرمط): ٢٠/ ٢٢.

(٤) ينظر: الديباج الوضي: ٦/ ٢٩٥٩.

(٥) ينظر: جمهرة اللغة (نمنم): ١/ ٢٢٤.

الظواهر اللغوية

استعملت كلمة (الجَلَم) دالة على المِقْراض الذي يُجزّ به الصوف أو الشعر، دلالة على حقارة الشيء المقروض وقلة شأنه.

استعملت مفردة (العِصِي) في الدلالة على ما يتوكأ عليه من الآلات التي يستعان بها في السير، وهي (عِصِيّ النبي موسى وأخيه هارون).

جاءت كلمة (الفهْر)، للدلالة على الحجر الذي كانت تضرب به المرأة في الجاهلية. ونظير ذلك مفردة (الهرّاوة)، وهي العصا الغليظة الضخمة التي كانت تضرب بها النساء في الجاهلية استضعافاً لهن.

استعمل الإمام بناء (فِعَال) الذي أورد عليه مفردة (قِداح)، وهي السهام التي تستعمل في لعبة القمار والمَيْسر. في حين جاء بناء (مَفَاعِيل) جمعاً لكلمة (مَزامير) التي دلت على ما كان يتلوه النبي داود (عليه السلام) من (الزَّبور)، وهو كتابه الذي انزل عليه.

استعملت مفردة (عرطبة)، وهي الطبل المعروف بـ(طَبْل الحَبَشة)، ومفردة (كُوْبة)، وهي الطَّبل المُختصر الذي كُوَّبَ بعض جلده على البعض الآخر وألزق بها، للدلالة على هاتين الأداتين من أدوات اللهو والطّرب المحرّمتين. وجاءت اللفظتان مترادفتان ترادفاً جزئياً.

استعملت أبنية (أفْعَال)، و(فِعْلة) جمعاً لمفردات (الأقلام) وهي الآلة التي يكتب بها، فضلاً عن (جِلْفَة) القلم، وهي ما بين مبراه وسَنَّتِه. إذ وقع بينهما نوع من علاقة (التضام)، وهي علاقة الجزء بالكل، فجِلفَة القلم جزء من القلم.

استعملت مفردة (دواة) دالة على المِحبرَة التي يتزود منها القلم بالمداد.

دلت مفردة (قَرْمِط)، وهي فِعْل أمرٍ، يدل على دقة أحرف الكتابة، وتداني حروفها وسطورها ليكون ذلك أجدر بصباحة الخط.

الفصل التاسع

ألفاظ الفُرُش والأغطية والنّمارق

جدول دلالي يبيّن شيوع ألفاظ الفرش والأغطية والنّمارق

مرتبة بحسب كثرة كل مفردة على الأخرى

ألفاظ الفُرُش والأغطِية والنَّمارق	المَهْـد، فِرَاشـاً، العَـرش، غِطَـاء، دِثَـار، وسّـدتك، النّمْرقـة، بِسَـاطاً، سَـفَائِف الخُـوْص،

المَهْد

المَهد المَوْضع الذي يُهيأ لينام فيه الصَّبيّ[١]. وذهب اللغويون الى أن أصل المهد هو التّوثير، وإنما يقال للفراش مِهاد لِوَثَارَته[٢]. والمِهَاد البَسْط يقال: مَهُدت الفراش إذا بسطته ووطّأته[٣]. والمَهد والمِهاد الفِراش نَفسه[٤]. واستعملت لفظة (المَهْد) في القرآن الكريم غير مرة، ومنها الدلالة على (مَهد) الصّبي، وذلك في قوله تبارك وتعالى في المسيح (عليه السلام): ﴿**إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ**﴾[٥]. وقد وردت لفظة (مِهاد) في الذكر الحكيم،للدلالة على موضع النوم والاستقرار، فجعل الله تبارك وتعالى الأرض مهاداً، في قوله: ﴿**لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ**﴾[٦]. ويلحظ أن الآية الكريمة تضمنت مفردة (مِهَاد) دالة على الاستخفاف بالظالمين الذين يخاطبهم الله في الآية المباركة بجعل جهنم مهاداً لهم، استهزاءً وتهكماً بهم. وقد وردت مفردة (مَهْد) باشتقاقات متعددة في نهج البلاغة، بلغت جميعاً اثني عشرة مرة[٧]. وبمعان يمكن حصرها في فيما يأتي:

أولاً: دلالتها على الأرض.

استعمل الإمام (عليه السلام) (مَهد) ومشتقاتها للدلالة على الأرض، بحيث شاع هذا

(١) ينظر: العين (مهد): ٤/ ٣١ والمحكم (مهد): ٤/ ٢٧٥.

(٢) ينظر: المحكم (مهد): ٤/ ٢٧٥، ولسان العرب (مهد): ٣/ ٤١٠.

(٣) نفسها.

(٤) ينظر: لسان العرب: ٣ / ٤١٠.

(٥) آل عمران / ٤٥، ٤٦. وينظر: المائدة / ١١٠، ومريم / ٢٩.

(٦) الأعراف / ٤١.

(٧) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٢٧، ٤٢٨.

المعنى عنده في سياقات متعددة، ولعل مرد ذلك - فيما أحسب - يرجع الى التأثر بالمنهج القرآني، الذي وصف الأرض بالمِهاد في غير موضع من الذكر الحكيم[1]. ومن المواضع التي جاءت فيها اللفظة بالدلالة المتقدمة، قوله (عليه السلام) في سياق حديثه عن الخالق جل شأنه وعظيم مخلوقاته: ((**الحُمْدُ لله المَعْرُوفِ مِن غَيْرِ رَوِيَّة، والخالقِ من غيرِ رَوِيَّةٍ، الذي لم يَزَلْ قَائماً دائماً إذْ لاسَمَاءٌ ذاتُ أبْرَاجٍ.... ولاَ فَجٌّ ذُو آعْوِجَاج، وَلاَ أَرضٌ ذَاتْ مِهَاد....**))[2]. والمهاد - هنا - الوثير من الأرض التي هي كالفراش لأهلها، كأن هذه الأرض لم تكن مستقراً وثيراً مبسوطاً في بدء الخلق. ومن ذلك أيضاً، قوله متحدثاً عن عجيب صنعة الكون، وخلق السماء والأرض في قوله: ((**فَسُبْحَانَ مَنْ أَمْسَكَها بَعْد مَوَجَانِ مَياهِهَا، وأَجْمَدَهَا بَعْدَ رُطُوبَةِ أكْنَافِهَا، فَجَعَلَهَا لِخَلقِهِ مِهَاداً، وَبَسَطها لهُم فِرَاشاً فَوْق بَحْرِ لُجِّي رَاكِدٍ لا يَجْرِي...**))[3]. أي جعلها لهم مهاداً مبسوطاً يفترشونه ويستقرون عليه. والإشارة -هنا- بلفظة (مهاداً) تدل على التّوثير، و تذليل الأرض للعباد منه جل جلاله، ولهذا قال (عليه السلام) بعد ذلك: ((**وبَسَطها لهم فراشاً...**)). أي دحاها، وجعلها مبسوطة. كناية عن استقرارها ووطأتها، وعدم غلظتها عليهم. ومن الدلالة المتقدمة ما جاء في (خ / ١، ٩١، ١٦٣، ١٩٨).

ثانياً: الدلالة على تهيئة الأمر

وذلك بأن ترد المفردة دالة على تهيئة الأمر وتنظيمه، ليتسنى أداء صاحبه لحوائجه. وهذه الدلالة أقل من سابقتها شيوعاً في كلام الإمام. ولعلها مأخوذة في أصلها من (المِهَاد) بمعنى (الفِراش) أو (التّسوية). وذلك أن تهيأة الأمر تعني

(١) ينظر على سبيل المثال: آل عمران / ٤٦، المائدة / ١١٠، ومريم / ٢٩، النبأ / ٦.

(٢) نهج البلاغة: خ/ ٩٠: ١٤٦، ١٤٧.

(٣) نفسه: خ/ ٢١١: ٤١٣.

تمهيده وتسهيله. وقد ورد هذا المعنى في قوله (سلام الله عليه) في سياق وعظ الناس، وحثّهم على العمل والعبادة: ((**فَلْيَعَمَل العَامِلُ مِنْكم في أَيَّام مَهَلِهِ، قَبْلَ اْرهَاق أَجَلِه، وفي فَرَاغِهِ قبل أَوَانِ شُغُلِهِ، وَفي مُتَنفّسِهِ قَبْلَ أنْ يؤخَذَ بِكَظَمِهِ وَلْيُمَهِّد لِنَفْسِهِ وقَدَمِهِ، وَلْيَتَزَوّد منَ دارِ ظَعْنِهِ، لِدارِ إقامَتِهِ**))[١]. ومهد – هنا – تعني التوطئة والتهيئة تسهيلاً لإدراك غايته. وقد أخذ (ﷺ) هذا المعنى من قوله تعالى شأنه: ﴿**مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ**﴾[٢]. أي: يوطئون لأنفسهم منازلهم في الجنة[٣]. فكأن الذي يعمل لآخرته كمن يهيئ لنفسه، ويمهد لها الوثير من الفراش. وهناك مواضع آخر وردت بالدلالة نفسها هي: (خ/ ١٥٣، ١٩٠).

ثالثاً: الدلالة على طهارة المولد وشرف المنبت

وهذه من الدلالات المميزة لدى الإمام؛ فقد استعمل فيها مفردة (**مَمَاهِد**) دالة على طهارة مَولِد النبي الأكرم (ﷺ) وشرف منبته. جاعلاً رحم النبي وعائلته مَهْداً طاهراً له. وذلك في قوله الذي يذكر فيه الرسول:((**مُسْتَقره خَيْرُ مُسْتَقَر، ومَنْبَته أشْرف مَنْبَت، فِي مَعَادِنِ الكَرَامِة، ومَمَاهِد السَّلامَة، قَد صُرِفَت نَحْوه أفْئِدَة الأبْرَارِ...**))[٤]. ويبدو أن الإمام (ﷺ) قد قصد بـ(**مَمَاهد السّلامة**)، الأحضان الطاهرة التي نشأ فيها النبي الخاتم (ﷺ) بقرينة قوله:((**مَنْبَتُه أشْرَفُ مَنْبِت، في مَعادِنِ الكَرَامَة...**)). والمنبت هو مكان مولد الذي يكنّى به عن ذلك وفي. وصفها

---

(١) نهج البلاغة: خ/ ٨٦: ١٣٨، ١٣٩.

(٢) الروم/ ٤٤.

(٣) ينظر: الكشاف: ١/ ٥٣٧

(٤) نهج البلاغة: خ/ ٩٦: ١٧٦.

بـ(السّـلامة) إشـارة الى سـلامتها مـن كل عيـب ونقـص.

وقـد احتمـل الشـارح البحـراني أن يكـون مـراد الإمـام مـن قولـه ((مَمَاهِـد السّـلامة))، مـا تقلَّـب فيـه النبـي ونشـأ عليـه مـن مـكارم الأخـلاق التـي مهـدت لسـلامته مـن سـخط الله[١]. أقـول: وتقّلـب النّبـي في الأصـلاب الشـامخة والأرحـام المطهـرة، يسـتلزم أيضـاً نشـأته عـلى مكارم الأخـلاق التي مهدت لـه السّـلامة، ورضـا الله جـل جلالـه. ويُحتمـل أن يكـون الُمـراد بقولـه (مَمَاهـد السّـلامة). كنايـة عـن (مكـة والمدينـة)، وهمـا محـال التوطئـة التـي مهدهـا الله تعـالى لعبادتـه، وأعدّهـا للسـلامة مـن عذابـه[٢]. فكأنهـا للنبـي الآمـان في الأرض والحـرم الآمـن، فلهذا سـلمت مـن كل شيء. وإنـما خـصَّ النبـي بهـا، لأنهـا موطنـه ومحـل أهلـه. وهـذا الوجـه مـن المعنـى مبنـي عنـد بعـض الـشراح عـلى قـول الإمام:((مسـتقره خـير مسـتقر))، فإنـه إشـارة الى (مكـة)، وكونهـا مسـتقر خلـق الله ومحـل كعبتـه[٣].

رابعاً: الدلالة على صعوبة العيش وشدة الألم.

وجـاء هـذا المعنـى في إشـارة الى تـصرّم الدنيـا، وقـرب اطّـلاع الآخـرة. يقـول (عليه السلام): **((ثُـمَّ إِنَّ اللهَ سُـبْحَانَهُ بَعَـثَ مُحَمَّـداً (صلى الله عليه وآله وسلم) بِالْحَـقِّ حِـيْنَ دَنَـا مِـن الدُّنْيَـا الانْقِطَـاعُ، وَأَقْبَـلَ مِـنَ الآخِـرَةِ الاطِّـلاَعَ، وأَظْلَمَـتْ بَهْجَتُهَـا بَعْـد إِشْراقٍ وَقَامَـتْ بِأَهْلِهَـا عـلى سَـاقٍ، وَخَشُـنَ مْنهَـا مِهَـادٌ....))**[٤]. وخشـونَة المهـاد كنايـة عـن شـدة الألم في الدنيـا[٥]، وبَـرَم

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٢٧٨.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٢٧٨.

(٤) نهج البلاغة: خ/ ١٩٨: ٣٩٦، ٣٩٧.

(٥) نفسه. هامش (١).

أهلها بها بعدما ما سكنها الكفار وقادتها لشركهم بالله جل جلاله.

خامساً: الدلالة على حياة الترف والبذخ.

وهذا المعنى مخصوص- بحسب كلام الإمام الذي أنتج هذه الدلالة - بالفراش ولوازمه خاصة، فاستعملها في قوله (عليه السلام) في التَّنْفِير من الدنيا: ((**وَاعْلَمُوا عِبَادَ الله أَنَّكُم وَمَا أَنْتُم فيه من هَذِهِ الدُّنْيَا على سَبِيلِ مَنْ قُدْ مَضَى قَبْلكُم مِمَّنْ كَانَ أَطْوَلُ مِنكُم أعماراً... أَصْبَحَتْ أَصْوَاتُهُم هَامِدَةً وَرِيَاحُهُم رَاكِدَةً... فَأَسْتَبْدلُوا بالقُصُوْرِ المُشَيَّدَةِ، والنَّمارِق المُمَهَّدةِ الصَّخُوْرَ، والأَحْجَارَ المُسَنَّدَةَ والقُبُوْرَ اللاَّطِئَةَ...**))[1]. والنص يتحدث عن خاتمة الدنيا، بما فيها من ملذات ومتع وسبل راحة. ولهذا أورد الإمام تعبير: ((القُصُور المُشَيدة))، و((النّمارق المَمّهدة)) وإشارة الى هذه المظاهرة الدنيوية، التي تمثل رموزاً من حياة الترف والبذخ التي يعيشها الإنسان في الدنيا. فالقصور علامة على الغنى و الترف المفرط، وهو منتهى الغاية في ذلك ؛ لاشتماله على السّعة والتّحصن[2]. كأن أصحاب القصور في الدنيا أرادوا تشييدها واسعة كالحصون، ليلوذوا بها من عذاب الله وقدرته[3]. أمّا النّمارق المُمهدة، فإشارة الى وثارة منامهم وطيب عيشهم في هذه القصور التي لابد أن تكون نهايتها الى الصخور التي تتضمنها قبورهم، فليس لهم حينئذ الا التراب وسائد.

(١) نهج البلاغة: خ/ ٢٢٦: ٤٤٠، ٤٤١.

(٢) ينظر: لسان العرب (قصر): ٥/ ١٠٠.

(٣) وقد ورد في الذكر الحكيم إشارة إلى ذلك في مقام ذم أهل الكتاب. قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ الله فَأَتَاهُمُ الله مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ الحشر / ٢.

فِراشاً

الفَرْش في اللغة البَسْط. يقال فَرشت الفِراش، إذا بَسَطْتُه [١]. والفَرْش المَفروش من مَتَاع البيت[٢].

وجاءت الفاظ (فِراشاً)، (فِرَاشه) مرتين في نهج البلاغة لكل منهما، في حين استعلمت الفاظ (فَرش)، و (افتَرَشت)، و (فَرَشْتُكم)، و (الفِرَاش)، و(مُفتَرِشُون) مرة واحدة لكل مفردة منها[٣]. وذلك للدلالة على ما يأتي:

أولاً: الدلالة على الفراش الحقيقي.

وهي دلالة تمثل الأصل في معنى مادة (فرش)، بحيث أريد بها -في هذه المواضع- الفراش الذي يبسط لينام المرء عليه. ومن ذلك قوله (عليه السلام) في سياق ذكر علاقته بالنبي الاكرم (صلى الله عليه وآله وسلم): ((**وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِن رَسُوْلِ الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالقَرَابَةِ القَرِيْبَةِ، والمَنْزِلَةِ الخَصِيْصَةِ، وَضَعَنِي فِي حِجْرِةِ وَأنَا وَلَدٌ يَضُمَّنِي إلى صَدْرِه، وَيُكْنفُنِي في فراشِهِ، وَيَمُسُّنِي جَسَدُهُ...**))[٤]. ويحتمل قوله (ويُكْنِفُني) في فراشه معنيين،فهو أما أن يشير الى ضَمِّه فراش النبي، ومبيته فيه[٥]. أو أنه كان ينام مع النبي يوم كان صغيراً ربيباً له. وبهذا تكون دلالة مفردة (فراشه) بيّنه على أن المقصود بها فراش النوم. وقد اكتسبت هذه المفردة أيضاً دلالة أخرى، هي دلالة التشريف والبركة، فلا ريب أن مكانة النبي ومكانه الذي يلبث فيه يكتسب البركة منه. أقول: ولعل

---

(١) ينظر: العين (فرش): ٦ / ٢٥٥، ولسان العرب(فرش): ٦ / ٣٢٦.

(٢) ينظر: لسان العرب (فرش): ٦/ ٣٢٦.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٤٨.

(٤) نهج البلاغة: خ / ١٩٢: ٣٧٨.

(٥) كما صنع في يوم هجرة النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم) الى المدينة.

البركـة حاصلـة أيضـاً مـن ملامسـته جسـد رسـول الله (صلى الله عليه وآله)،وهـو مـا نـصّ عليـه في الخطبـة المتقدمـة، فضـلاً عـن معنى البركـة في مكثـه (عليه السلام) في فـراش النبي.فذلـك يمثـل صيانـة وحفظـاً لـه، حسـبما يذكـر بعـض الـشراح[١]. عـلاوة عـلى ذلـك كلّـه، فالمفـردة توحـي بالدلالـة عـلى شـدة القـرب الـذي حظـي بـه أمـير المؤمنـين مـن لـدن النبـي الأكـرم، وهـو القـرب المكاني والروحي بينهـما الـذي كنّـى عنـه الإمـام بقولـه (يكتنفـي في فراشـه). ففـي هـذا التعبـير إشـارة الى عنايـة النبـي بالإمـام منـذ صغـره.وقـد وردت مفـردة (فـراش) بالدلالـة عـلى الفـراش الحقيقـي المعـروف وذلـك في (خ/ ١٩٠،١٢٣).

ثانيا: الفراش بمعنى الأرض.

وهـذا المعنـى شـائع لديـه(عليه السلام) وقـد جعلـه دالاً عـلى التواضـع والبُعـد عـن الكـبر. ومـن ذلـك قولـه في سـياق الحديـث عـن زهـده وتقـواه واجتنابـه الدنيـا: **((أَتَمْتَلِيءُ السَّـائِمَةُ مـن رَعْيِهَـا، فَتَبْرُكُ وَتَشْـبَعُ الرَّبِيْضَـةُ مِـن عُشـبِهَا، فَتَرْبـضَ، وَيـأكُلُ عَـلِيٌ مـن زادِهِ فَيَهْيَـج؟! قـرَّتْ اذا عَيْنُـهُ إذا اقْتـدى بَعْـد السِّـنِيْن المُتطَاوِلَـة بالبَهِيْمَـةِ الهَامِلَـةِ... طُوبَـى لِنَفْـسٍ أدّت إلى رَبِّهـا فَوْضَهَـا... وَهَجَـرَتْ في اللَّيْـلِ غُمْضَهَـا حتـى إذا غَلَـبَ الكَـرَى عَلَيْهَـا افْتَرَشَـتْ أَرْضَهَـا وَتَوَسَّـدَتْ كَفَّهَـا في مَعْشَـر أَسْـهَرَ عُيُوْنَهُـم خَـوْفُ مَعَادِهِـم...))**[٢]. يريـد (عليه السلام) أن هـذه النفـس التـي بهـذه الخصـال لا يكـون لهـا كلفـة في تهيئـة فـراش أو وِسَـاد طيِّـب ترتـاح حـين تـأوي اليـه[٣]. وذلـك مـن الزهـد والترفـع عـن كل زينـة وتـرف. لذلـك تتخـذ الأرض بتُرابهـا فراشـاً لتنـام عليـه دون تهيئـة للفـراش الوثـير؛ فراحتهـا في افـتراش الأرض. وفي ذلـك إشـارة الى أنّ نهايـة المـرء سـتكون الى

---

(١) ينظر: الديباج الوضي: ٤ / ٢٠٥١.

(٢) نهج البلاغة: ك/ ٤٥: ٥٣٥، ٥٣٦.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥ / ٣٢١.

التّراب. ولهذا صدَّر الإمام قوله الذي يذم فيه بعض عمّاله مشتبّهاً من لا يكترث لأوامر الله بالبهيمة الهاملة التي همّها علفها في حين أن التواضع والتّرفع عن البذخ هو غاية الإنسان المؤمن.أقول: وهذا الاتجاه من المعنى أخذه (عليه السلام) من القرآن الكريم في قوله تبارك وتعالى: ﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لله أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[(١)]. وقد أشار المفسرون الى أن ذلك مجاز، فاتخاذ الأرض فراشاً يشير الى كونها شبيه بما كانوا يقعدون عليه وينامون[(٢)]، وذلك إشارة الى تَذْلِيلها لهم، وتهيئتها للإقامة. والذي ذكره الإمام (عليه السلام)يدل على الزّهد و الورع والخشية من الله تبارك وتعالى ؛ فليس لأحد أن يهنأ بتلك المظاهر، وهو بعيد عن طاعة الحق جل جلاله.وقد وردت مفردة (فراش) بالدلالة المتقدمة نفسها، وذلك في (خ/ ٢١١، قصا / ١٠٤).

ثالثاً: الدلالة على المعروف والخير

وقد جعله الإمام (فراشاً) في دلالة اتخذ فيها المعروف فراشاً يفرشه لغيره. وفي ذلك توسعة للمعنى الذي سيقت فيه المفردة. يقول (عليه السلام) في سياق حديثه عن نفسه، في كونه حجة الله على الناس، ذاكراً فضله عليهم: ((**أَيُّها النّاسُ، خُذُوَها عن خَاتَمِ النَّبِيِّيْنَ... فَلا تَقُوْلُوا بما لا تَعرِفُوْنَ، فإنَّ أَكْثَرَ الحَقِّ فِيما تُنكِرُوْنَ، وأَعْذِرُوا مَنْ لاَ حُجَّةَ لكم عَلَيْهِ - وَهُوَ أَنَا - أَلَمْ أَعمَلَ فِيْكُم بالثّقْل الأكبَر... قد رَكَزْتُ فِيْكُم رَايَةَ الإِيْمانِ، وَوَقَفْكُمُ عَلىَ حُدُوْدِ الحَلاَلِ والحَرامِ، وَأَلبَسْتُكُم العَافِيَةَ مِن عَدْلِي، وفَرَشْتُكُم المَعْرُوفَ مِن قَوْلِي وَفِعلِي، وَأَرَيْتُكُم كرائمَ الأَخلاقِ من**

---

(١) البقرة / ٢٢.

(٢) ينظر: التسهيل للعلوم التنزيل، لمحمد بن أحمد الغرناطي: ١ / ٤٠.

نَفْسِي...))[١]. وقد استعار الإمام لفظ (الفَرش) وجعله للمعروف ؛ لكونه – كما يقول بعض الشّراح، إذا وطيت قواعده فإنه، يستراح به كالفراش[٢]. فقد جعل لهم المعروف والإحسان من جهته (عليه السلام) فراشاً ممهداً [٣] بعد أن جعل لهم العدل لباساً كلباس العافية لهم. وأحسب أن قوله (عليه السلام) (فَرَشْتُكم) أبلغ تعبيراً مما لو قيل(فرشنا لكم)، فهي أكثر دلالة على الإحسان والمعروف بهم من الإمام (عليه السلام)، فضلاً عن اتساق المفردة صوتياً مع قوله (وقَفْتُكم، و البَسْتُكم، وأرَيْتكم) التي انتظمت في سياق حديثه آنف الذكر، ولعل اتصال الخطاب بالفعل (فَرَش) وغيره من الألفاظ يوحي بأن المخاطب به أمر لا يستطيعه ولا يفعله غير الإمام لهؤلاء القوم. وقد بلغ كلام الإمام هذا من النضارة والحسن حداً: ((فقد دلَّ على التجنيس العجيب، و اشتمل على المجاز الرشيق بذكر اللباس والفراش... فقد بذل من نفسه للامة ما أمر الله نبيه أن يبذله لأمته، ويسير فيهم به إبلاغاً في الحجة، وقطعاً للمعذرة))[٤].

رابعاً: الدلالة على افتراش مواضع السجود من الجسم.

وهذا الضرب من التعبير جاء به الإمام في سياق حديثه عن المتقين وصفاتهم وعبادتهم. يقول (عليه السلام): **((أَمَّا اللَّيل، فَصَافُّوْنَ أَقْدَامَهُم تَالِيْنَ لأَجْزَاءِ القُرْآنِ يُرَتِّلُوْنَهَا تَرْتِيْلاً.... وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيْهَا تَخْوِيْنٌ أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِم، وَظَنُّواْ أَنَّ زَفِيْرَ جَهَنَّمَ وَشَهِيْقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِم، فَهُم حَانُوْنَ عَلَى أَوْسَاطِهِم مُفْتَرِشُوْنَ لِجِبَاهِهِم**

---

(١) نهج البلاغة: خ/ ٨٧: ١٤٣.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٤١٨.

(٣) ينظر: الديباج الوضي: ٢ / ٦٥٦.

(٤) الديباج الوضي: ٢/ ٦٥٦، ٦٥٧.

وَأَكُفِّهِـم وَرُكَبِهِـم، وَأَطْـرَاف أَقْدَامِهِـم، يَطْلِبُـوْنَ إِلى الله تعـالى في فكَاكِ رِقَابِهِـم))[١].

واستعمل الإمام في الإشارة الى الصلاة وهيأتها صيغة اسم الفاعل التي تدل على الدوام أو الذات والحدث ودوامه، فالمتقون دائبون على افتراش مواضع سجدوهم، وهي مواضع السجود السبعة التي أمروا بها، وهي التي ورد النص بها في حديث النبي الأكرم: **((أُمِرْتُ أنْ أَسْجُدَ على سَبْعَةِ أعضاء: اليَدَانِ، والرِّجْلاَنِ، والرُّكْبَتَانِ، والوجه))**[٢]. وبهذا ضمّن الإمام حديث النبي المتقدم الذكر، و صاغة صياغة فنية بأن جعل الجبهة وبقية الأعضاء فراشاً يفترشه هؤلاء العُبّاد في صلاتهم، وذلك -فيما أرى- توكيد لشدة وَلَعِهم بالصلاة، وخشوعهم عند أدائها، فهم كالفراش الملتصق بالأرض لا يميّز منهم سوى أبدانهم. وفي ذلك - أيضاً - دلالة على استشعار هؤلاء العباد لراحة الصلاة ولذتها، وهم يطلبون الى الله تعالى العفو والغفران، وفكاك رقابهم من النار.ومن هنا يجيء تفرّد استعمال هذه المفردة عنده (عليه السلام) وسوقها لهذا المعنى.

خامساً: الدلالة على استحرار القتل، وكثرته.

وهذا المعنى صنعه الإمام بجعل (الرؤوس) فراشاً للأرض، في صياغة فنية استعمل فيها (عليه السلام) الكناية، للدلالة على اشتداد والقتل واستمراره في سياق حديثه عن الملاحم، إذ يقول: **((كَأَنِّي بِه قَدْ نَعِقَ بالشَّامِ، وَفَحَصَ**[٣] **براياتِهِ في ضَوَاحِي كُوْفَانَ، فَعَطَفَ عَلَيْها عَطْفَ الضَّرُوسِ**[٤] **وَفَرَشَ الأرْضَ بالرُّؤُوْسِ...))**[٥]. أي

(١) نهج البلاغة: خ/ ١٩٣: ٣٨١، ٣٨٢.

(٢) المعجم الكبير: ١١/ ٩، ٤٩، والديباج الوضي: ٤/ ١٥٨٢.

(٣) الفحص شدة الطلب. ينظر: لسان العرب (فحص): ٧ / ٦٣.

(٤) الضروس هي الناقة العضوض السيّئة الخلق. ينظر: لسان العرب (ضرس): ٦/ ١١٨.

(٥) نهج البلاغة: خ/ ١٣٧: ٢٤٧.

غطاها بالرؤوس كما يغطي المكان بالفراش ن كناية عن كثرة قتله الناس فيها [١].
فصارت الأرض - بهذا الوصف - مفروشة بالجماجم، وهو الفراش المجازي الذي اختلط فيه الدم بالمحاسن التي تمثلها الوجوه. ويُلْمح في هذا التعبير معانٍ هامشية تتعلق بمفردتي (فَرَش) و(الرُّؤوس)، وهي معاني(الظلم، والكثرة) المستفادة من استحرار القتل الذي مارسه (عبد الملك بن مروان) الذي ظهر بالشام خليفة (لمروان بن الحكم)، الذي سار لقتال مصعب بن الزبير الى الكوفة، ومن ثَمّ بعث (الحجاج بن يوسف) إلى قتال (عبد الله ابن الزبير) بمكة، فقتله، وهدم الكعبة [٢] ومن نافلة القول اشارة الى ما ذكره بعض المؤرخين من أن (عبد الملك) امتعض لّما أرسل (يزيد بن معاوية) الجيش لقتال اهل مدينة النبي (صلى الله عليه وآله)، وغزو الكعبة، وقال عند ذلك: ((ليت السماء انطبقت على الأرض))، فلّما صار خليفة فعل مثل ذلك **وأشد** منه بحسب ما يذكره المؤرخون[٣].

العَرش

العرش في كلام العرب سرير المُلْك[٤]. ويستدل اللغويون على اختصاص العرش بسرير الملك بما ورد قي كتاب الله تعالى في وصف عرش ملكة سبأ. في قوله تعالى: ﴿**إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ**﴾[٥]. وقد

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٥٨٧.

(٢) ينظر: المختصر في أخبار البشر، لابن كثير الدمشقي: ١/ ١٣٦، شرح نهج البلاغة (البحراني): ٣/ ٥٨٧.

(٣) ينظر: الفخري في الآداب السلطانية، لابن الطقطقي: ١/ ٤٤.

(٤) ينظر: العين: (عرش):١/ ٢٥٠، ولسان العرب (عرش): ٦/ ٣١٣.

(٥) النمل / ٢٣.

يستعار هذا اللفظ للدلالة على غير سرير الملك حتى قيل لكل سرير عرش[١]. والعرش البيت أيضاً. ويقال لسقف البيت عرش أيضاً[٢]، ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَـٰذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾[٤] قيل: أي ساقطة على سقوفها. التي خرت على الأرض ثم تهدمت حيطانها وذلك إشارة الى خلوها من الناس[٥]. واستعمل (عليه السلام) مفردة العرش ثلاث مرات في كلامه الوارد في نهج البلاغة، في حين جاءت اللفظة نفسها مُسندة الى كاف الخطاب (عَرْشك)، وضمير الغائب (عَرْشه) مرة واحدة لكل منهما[٦]، للدلالة على عرش الله جل شأنه. يقول (عليه السلام) في سياق حديثه عن التقوى: ((أوصاكم بالتقوى، وجعلها منتهى رضاه، فاتقوا الله الذي انتم بعينه... واعلموا انه ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ للهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾[٧] من الفتن... وينزله منزل الكرامة

(١) ينظر: لسان العرب (عرش): ٦ / ٣١٣.

(٢) نفسه.

(٣) البقرة / ٢٥٩.

(٤) الحج / ٤٥، وينظر: الكهف / ٤٢.

(٥) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الغرناطي: ١ / ٣٤٨.

(٦) ينظر: المعجم المفهرس لالفاظ نهج البلاغة: ٢٩٨.

(٧) الطلاق / ٢: وتنظر الايات: ٤، ٥ من السورة نفسها، ويوسف / ٩٠.

عنده في دار اصطنعها لنفسه، ظلها عرشه ونورها بهجته....))[١]، والعرش هو عرش الله جل جلاله، والضمير في (عرشه) يعود اليه تبارك وتعالى. واما دلالة كلمة (عرشه) في قَوْل الإمام، فإنها لا تعني (العرش) بالمعنى المادي المعروف لدى السامعين، من انه سرير الملك مثلاً، او انه مكان للجلوس، وإنما هو قدرة الله وملكه وعظمته. ومما يشهد على هذا المعنى ما ذكره الإمام (عليه السلام) في قوله الذي يصف فيه الخالق تبارك وتعالى بقوله: ((.... **وَكَمالُ التَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيْدُهُ، وَكَمالُ تَوْحِيدِهِ الإِخلاَصُ له، وكمالُ الإخلاص له نَفْيُ الصّفَاتِ عنهِ لشَهادةِ كُلِّ صِفَةٍ أنّها غير الموصوف وشهادة كل موصوف أنّه غير الصّفَةِ**.....))[٢]. قوله (عليه السلام): ((**الحمد لله الكائن قبل ان يكون كرسي او عرش، او سماء، او ارض، او جآن او انس**....))[٣].واستعمال أمير المؤمنين (عليه السلام) لمفردة (عرش) في نهج بلاغته يعد من تأثيرات القرآن الكريم في النّص (العَلوي)، اذ استعملها الذكر الحكيم مراداً بها (عرش الله) (٢١) مرة، ومنها قوله تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾[٤] وقوله: ﴿**إِنَّ رَبَّكُمُ الله الَّذِي خَلَقَ السَّماوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّام ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ الله رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾[٥] ويلحظ أن الله تبارك وتعالى كان كثيراً ما يصف نفسه بالعظمة فضلاً عن نفي الوصف عنه عندما يذكر آية فيها مفردة (عرش)، نحو

(١) نهج البلاغة: ح / ١٨٣: ٣٣٤.

(٢) نفسه: خ/ ١: ١٧، ١٨.

(٣) نفسه: خ/ ١٨٢: ٣٣٠.

(٤) طه / ٥.

(٥) الأعراف / ٥٤، وتنظر: التوبة / ١٢٩، يونس / ٣، يوسف: ١٠٠ وغيرها

قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾(١). وفي هذا دليل على نفي الحد و(المكانية) عنه سبحانه. وهذا المنهج اتخذه الإمام سبيلاً له لنفي الصّفة والحد عن الخالق جل جلاله، واتخذه أهل البيت (عليهم السلام) نهجاً وعقيدة. فقد سئل الإمام الصادق (عليه السلام) عن قوله الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾(٢). فقال: ((استوى في كل شئ أقرب اليه من شيء. لم يبعد منه بعيد، ولم يقرب منه قريب، استوى في كل شيء))(٣). وقال العلامة الحلي (ت٨٤١هـ) معلقاً على قول بعض المجسّمة: إن الله على العرش حقيقة: ((وهذه المذاهب كلها فاسدة ؛ لان كل ذي جهة، فهو مشار اليه ومحل للأكوان الحادثة، فيكون حادثاً، فلا يكون واجباً...))(٤). و غالت المجسمة والمَشِّبهةَ في تجسيم الله وحدِّه. وهو مذهب فاسد كما ذكر العلماء.

وقد استعمل الإمام مفردة (العرش) بدلالة عرش الله في الخطب الآتية(خ/ ١٢، ٩١، ١٦٠، ١٨٢٢).

غِطَاء

الغطاء ما غطِّيت به، أو تغطيت به(٥) والتّغْطية هي المواراة والسّتر. والغطاء هو ما يتغطى به ويُستَر(٦). وتجمع هذه المفردة على (أفْعِلَة)، فيقال: أغطِيَة(٧).

(١) الزخرف / ٨٢، وتنظر، الأنبياء / ٢٢.
(٢) طه / ٥
(٣) أصول الكافي للكليني: ١/ ١٢٨: ١/ ١٢٨.
(٤) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، للعلامة الحلي: ١/ ٢٧.
(٥) ينظر: العين (غطي): ٤/ ٤٣٥، والمحكم (غطي): ٦/ ٨.
(٦) ينظر: لسان العرب (غطي): ١٥/ ١٢٩.
(٧) ينظر: العين (غطي): ٤/ ٤٣٥.

وجاءت لفظة (غطاء) ثلاث في نهج البلاغة، في حين وردت المفردة نفسها مضافة الى ضمير العائية (غطائها) مرة واحدة، ولفظة (أغْطِية) بصيغة الجمع على (أفْعِلَة) مرة مرة واحدة أيضاً[١]، للدلالة على ما يأتي:

أولاً: الدلالة على الحجب والمنع عن رؤية الأخرة.

وهذا المعنى اكثر تداولاً في نصوص النهج، ومنه قول الإمام (عليه السلام) في سياق حديثه عن أهل القبول وحالهم، اذ يقولون بحسب كلمة الإمام (عليه السلام) ((... **وَتنكَّرَتْ مَعَارِفُ صُوَرِنَا، وَطَالَتْ فِي مَسَاكِنِ الوَحْشَةِ إِقامَتُنا وَلَمْ نَجِدْ مِن كَرْبٍ فَرَجاً، وَلاَ مِن ضِيْقٍ مُتَّسَعاً، فَلَوْ مَثَّلْتَهُم بِعَقْدِ أو كُشِفُ عَنْهُم مَحْجُوْبُ الغِطَاءِ لَكَ، وَقدِ ارتَسَخَتْ أَسْمَاعُهُم بِالهَوَامِ فَاسْتَكَّتْ...**))[٢]. والمراد بذلك الغطاء المعنوي الذي يحجب النظر الى عالم الموتى والبرزخ. فصار (الغشطاء) في قول الإمام دالاً على حجب النظر، فهو الحاجب والمانع من رؤية عالم ما بعد الموت. أقول: إن (الغطاء) المحجوب عن هؤلاء هي الموانع التي تحجب الرؤية عن إدراك حقيقة حال هؤلاء. وهذا (الغطاء) غطا معنوي، وليس غطاء مادياً..

ثانياً: الدلالة على حجب غطاء الدنيا:

وقد ورد هذا المعنى في قول الإمام الذي يتحدث فيه عن قدرة الله تبارك وتعالى، وكيف خلق الخلق واسكنهم الدنيا، ثم بعث فيهم رسُلاً يقول(عليه السلام): ((**أَسكَنَ الدَّنْيَا خَلْقَهُ وَبَعَثَ إلى الجِنِّ والإنْسِ رُسُلَهَ؛ لِيَكْشِفَوا لَهُم عَنْ غِطَائِها، وَلْيُحَذِّرُوْهُم مِن ضَرَّائها...**))[٣]. يريد: أنّ الرُّسل هم الذين يرفعون حُجب

---

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٣٣٧.

(٢) نهج البلاغة:خ/ ٢٢١:٤٢٨.

(٣) نفسه: خ / ١٨٢: ٣٣٤.

الدنيا، ويبينون حقيقتها للناس حقيقتها. فكأن الدنيا مغطاة بغطاء، ولعله غطاء اللذات والشهوات الذي يمنع اتخاذها سبيلاً الى الله تعالى.

ثالثاً: الدلالة على ظهور الحقائق بعد خفائها يوم القيامة.

وقد عبر الإمام عن هذا المعنى في عهده الذي كتبه الى(مالك الأشتر) لما ولاّه مصر يقول فيه: ((**وإِيَّاكَ والاسْتِئْثَار بِمَا النَّاسُ فيه أُسْوَةٌ والتَّغَابِي عمّا تُعْنَى بِهِ مِمَّا قَدْ وَضَحَ لِلعُيُوْن، فإِنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنْكَ لِغَيْرِكِ وعمّا قَليلٍ تَنْكَشِفُ عَنْكَ أَغْطِيَةُ الأُمُوْرِ، وَيُنْتَصَفُ مِنْكَ للمِظْلُومِ...**))(١). وأغطية الأمور، هي ستورها التي تخفي الحقائق وتغطيتها، وقد ناسب الإمام بين المضاف والمضاف إليه، بأن جعلهما بصيغة الجمع، على زنة (أَفْعِلَة) للدلالة على تعدد هذه (الحجب)، وكثرتها عند انكشافها، بحيث تظهر عدم ادراك المحجوبِيْنَ بها. وهذا الضرب وما سبقة من (الأغطية) أغطية معنوية، وليس مما يعرف من أضاف الغطاء، بيد أنّ الإمام (عليه السلام) استعمل هذه المفردة على سبيل الاستعارة، ونقلها الى مجال دلالي خاص بالأمور غير المادية ولغة العرب تعرف هذا المعنى، فأنهم يقولون في الدعا: الهم أغظ على قلبه. أي غش قلبه(٢).

رابعاً: الدلالة على الحلم والتأني.

وهو معنى لطيف عند الإمام (عليه السلام)، فقد جعل (الحلم) صفة تستر صاحبها عمّا يجول في نفسه. يقول الإمام في حكمه له: ((**الحِلْمُ غِطَاءٌ سَاتِرٍ، والعَقْلُ حُسَامٌ قَاطِعٌ، فَاسْتُرْ خَلَلَ خُلُقِكَ بِحِلْمِكَ، وَقَاتِلِ هَوَاكَ بَعْقِلكَ**))(٣). والغطاء – هنا – ذو

(١) نفسه: ك/ ٥٣: ٥٦٨.

(٢) ينظر: المحكم (غطي): ٦/ ٨.

(٣) نهج البلاغة: قصا/ ٤٢٤: ٦٨٧.

ملح ايجابي، فإنه قيد يمنع صاحبه ويستره عما يُشِينُه من القبائح في حال انفلت زمام النفس، وبلغ بها الغضب حداً لا يمكن كبح جماحه معه، فعند ذاك يصير الحلم وقاءً لها وغطاء ؛((باعتبار أنّه يَسْتر بسورة الغضب، وقبيح ما يصدر من الأفعال))[١]. وهذا (الغطاء الساتر) يحمي صاحبه ممن ينافره ويعاديه ؛ لأنه بمنزلة العشيرة للمرء[٢]. وفي بيان مزية مفردة (غطاء) على ما سواها من المفردات التي تشابهها في الدلالة، تبدو هذه المفردة مناسبة للمقام ؛ لأن حلم الإنسان أشبة بالغطاء الذي ينشر عليه، ويمنع من كشف ما يسوء منه[٣]. حتى كأنه ستره ولهذه الدلالة أثر معجمي، فالغطاء- في اللغة -هو المواراة والسَّتر ولهذا استعار الإمام (عليه السلام) مفردة (الغطاء) للحلم وأنزله منزلة ما يستر من الأغطية[٤]، فكأن الحلم غطاء مستور يكبح النفس ويمنعها من الانفلات، وظهور مساوئها للآخرين.

دِثَار

والدثار هو ما يُتَدَثَّر به. أي ما يتغطى به، يقال، تدثر أي تَلَفَّف في الدثار[٥]. ويذكر اللغويون أن الدثار، هو ضرب من الثياب التي تلبس فوق (الشِّعار) وهو أول لباس يلبس فوق الجسم. فأمّا الدثَّار، فهو الذي يستدفأ به اتقاءً من البرد[٦]. واستعملت لفظة (دِثَار)،و(دِثَاراً) مرة واحدة لكل منهما في نهج البلاغة. في حين أسندت اللفظة نفسها الى ضمير الخطاب (دِثَاركم)، وضمير الغائبة (دِثَارها) مرة

(١) شرح حكم نهج البلاغة، للعلامة الشيخ عباس القمي: ٦٠.

(٢) إشارة الى قولة الإمام (عليه السلام): ((الحلم عشيرة)). ينظر: نهج البلاغة: قصا/ 18: 686.

(٣) ينظر: لسان العرب (غطي): ١٥ / ١٣٥.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٥٠١.

(٥) ينظر: لسان العرب (دثر): ٤ / ٢٧٦.

(٦) نفسه.

واحدة لكل منهما في كلام الإمام (عليه السلام) الوارد في نهج البلاغة[١]؛ للدلالة على ما يأتي:

أولاً: دلالتها على السيف:

وهذا المعنى ساقه الإمام (عليه السلام) لبيان حال الدنيا قبل بعثه النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، وصور النص حال العرب التي كانت تقوم على القتل والسّلب قبل بعثة رسول الله. يقول الإمام: ((**أَرْسَلَهُ على فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَطُوّل هَجْعَةَ مِنَ الأَمَمِ... وَتَلظٍ مِن الحُرُوْبِ، والدُّنْيَا كاسِفَةُ النُّورِ ظَاهِرَةُ الغُرُوْرِ... ثَمَرُها الفِتْنَةُ، وَطَعَامُهَا الجِيْفَةُ، وَشِعَارُهَا الخُوف ودِثَارُها السَّيْفُ، فَاعْتِبَرُوا عبادَ الله...**))[٢]. ينص الإمام على أن (الدنيا) والمراد أهلها، متدثرة بالسّيف. أي: أنها جعلته لباسها الظاهر للعيان، فهو كالدّثار الذي يلبس فوق (الشّعار)،على جهة التشبيه البليغ. ولّما كان السياق يظهر ذم الدنيا وبيان مساوئها؛ لهذا ناسب مجيئوه بتعبير (دِثَارُها السذيف)؛ للدلالة على اشتمالها على القتل والدماء. فاستعار لها لفظ (الدّثار) في إشارة إلى ظهوره واشتماله عليها كما يشتمل الإنسان بدِثَاره[٣]. وقد علق الشارح ابن أبي الحديد على قول الإمام ((**شِعَارُها الخُوْف، ودِثَارُها السَّيف**)) بقوله: ((ثم جعل الخوف والسّيف شعارها ودثارها؛ فالشّعار ما ولي الجسد، والدِثَار فوق الشِّعار. وهذا من بديع الكلام ومن جيد الصّناعة؛ لأنُه لّما كان الخوف يتقدم السّيف والسّيف يتلوه. جعل الخوف شعاراً ؛ لأنّه الأقرب الى الجسد، وجعل الدِثار تالياً له))[٤].

---

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٥٢.

(٢) نهج البلاغة: ٨٩١٩: ١٤٥، ١٤٦.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٢/ ٤٢٤.

(٤) شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٦ / ٣٠١.

كأنه لّما كان الخوف متعلقاً بالقلب الذي يعد من مواضع الإحساس و الشعور في الإنسان،وهو من أقرب أعضاء الجسم الى البدن، جعله كالشّعار الذي يلبسه المرء مخالطاً بدنه، بخلاف السّيف الذي يكون منفصلاً عن ملاصقة الجسد. فناسب أن يكون كالدّثار فيه(١). أقول: ويحتمل أن تكون مفردة (دِثَارها) دالة على (الوسخ) والقذارة في هذا المقام ؛ مناسبة لحال الدنيا التي يذمها الإمام (عليه السلام) في هذا السياق، فكأنما دِثَار الدنيا - وهو السّيف هنا - يمثل القذر والوسخ الذي تشمل عليه هذه الدنيا ؛ لما يسببه من قتل وأذى للناس، على الرغم من كون (السّيف) يمثل أحد وسائل الدفاع عن النفس، فضلاً عن قيمته المادية في ذلك الزمن. ويستفاد هذا المعنى من المتن المعجمي الذي تذكر فيه دلالات متعددة لمفردة (دِثَار)، ومنها الوسخ وكثرة الصَّدَأ(٢). إذ يقال: دثر السّيف،إذ صَدِئ وبعُد عهده بالصّقال(٣). ولا يبعد أن تكون مفردة (الشّعار) دالة على العلامة، لولا أن مفردة (دِثار) التي تعد قرينة على قرب الدلالة على الألبسة التي تتخذ شعاراً لذلك.أما الاستعمال الآخر، فقد صنعه الإمام مناسباً للمعنى المتقدم، فجعل (السّيف) دثاراً، والمتحدث عنهم غطاؤه وحمائله. وسمّاه في النص (دِثار السّيف).يقول(عليه السلام) في وصف دولة بني أمية وما فعلوه بالرّعية: ((**فَعِنْدَ ذَلِكَ لاَ يَبقَى بَيْتُ مَدَرٍ وَلاَ وَبَرٍ إلاّ وَأَدْخَلَهُ الظَّلَمَةُ تَرْحةً، وَأَوْلَجُوا فيه نِقْمَةً... وَسَيَنْتَقِمُ الله مِمَّنْ ظَلَمَ مَأكَلاً بِمَأْكَلٍ، وَمَشْرَباً بِمَشْرُبِ، من مَطَاعِم العَلْقَمِ وَمَشَارِبِ الصَّبِرِ وَالمَقِرِ، وَلِبَاسِ شِعَارِ الخَوْفِ، وَدِثَارِ السَّيْفِ...**))(٤). ومفردتا (شِعار)، و(دِثار) من ألفاظ الألبسة، ولكنه (عليه السلام) جنح

(١) ينظر: الديباج الوضي: ٢ / ٦٦٨.

(٢) ينظر: لسان العرب (دثر): ٤/ ٢٧٦.

(٣) نفسه.

(٤) نهج البلاغة:خ/ ١٥٨: ٢٧٨، ٢٧٩.

بالمفردة نحو الدلالة على الخوف، وهي من الدلالات غير المادية التي استعار لها لفظ (الشّعار)، جاعلاً منه كالثّوب الشّعار الذي لا يكون تحت بقيّة الثياب؛ لأنه مستور برداء فوقه يسمّى (الدّثِار). ولهذا استعمل الإمام هذه المفردة ونسبها للسّيف، لأنه ظاهر فوق أجسادهم وهم يرتدونه، فأضحى دِثَاراً لهم حسبما يذكر الشّراح[1]. و المعنى الذي يدل عليه هو الاستعداد والتأهب للانتقام. ويبدو أن شُرّاح النهج قد اقتصروا على الدلالة اللغوية لمفردتي (شِعار) و (دِثار). في حين أن المراد من ذلك أبعد بحسب نص الإمام، فالإمام (عليه السلام) قصد بذكر هاتين المفردتين، للدلالة على أن انتقام الله جل جلاله من الظالمين سيكون على جهة المساواة والاقتصاص بالمثل، فيجازي آكل الحرام وشاربه بإذاقة المرّ من المطعم والمشرب، وأمّا من سلبَ الناس لباسهم ومتاعهم، فسيجعل لباسه الخوف ودثاره السّيف الذي يهوي به على الظالمين مسلّطاً بعضهم على بعض. ويبدو هذا المعنى أكثر رجاحة وقبولاً من المعنى السابق الذي ذكره الشرّاح.

ثانياً: الدلالة على طاعة الله تعالى:

وفي هذه الدلالة هذا المعنى جعل الإمام طاعة الله تعالى اشبه باللباس الذي يرتديه الإنسان أيضاً، وتدرج به من كونه (شعاراً) الى كونه (دثاراً)، وذلك بحسب مواضع كل ضرب من هذه الألبسة بالنسبة للجسم. يقول (عليه السلام) في سياق الوعظ والإرشاد ((**فَاجْعَلُوا طَاعَةَ اللهِ شِعَاراً دُوْنَ دِثارِكُم، وَدَخِيْلاً دُوْنَ شِعَارِكُم،**

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن ابي الحديد): ٩/ ١٦٨، وينظر:٦/ ٣٠١. وشرح نهج البلاغة (البحراني):٣/ ٦٤٨. ومن الجدير بالذكر أن هذا النص قد تكرر في موضعين من نهج البلاغة برواية مختلفة. ينظر: نهج البلاغة:خ/ ١٤٦،١٤٥:٨٩، وخ/ ١٥٨:٢٧٩،٢٧٨.

وَلَطِيْفاً بَيْنَ أَضْلاَعِكُم، وَأَمِرْاً فَوْقَ أُمُوْرِكُم...))[١]. ويُظهر النص توزّع الإنسان - بحسب رؤية الإمام علي- على مراتب وقدرات تدرّج فيها الإمام في نُصْحِه ووعْظِه بحسب حال البشر، وأمر أن لا تكون طاعة الله، وهي التقوى، دثاراً يتدثر به دون تفكّر وعناية ترتكز في النفس من لدن الإنسان؛ وإنما يجب أن تكون لصيقة بالبدن مثلها في ذلك مثل (الشِّعار) بالنسبة الى غيره من الألبسة، ومن ثَمّ تكون (دَخِيلاً) مخالطاً للجسد، بحيث تصير أقرب من شعار الجسم إلى الإنسان من مخالطته. ومتصير بعد ذلك (لطِيفاً). أي: قلباً بين أضلاع المرء [٢]. وأميراً فوق الأمور كلّها.أقول: ويبدو أن ذكره(عليه السلام) مراتب التقوى في نفس الإنسان يعود الى ترسيخ التزامها بالتقوى والدربة عليها، فليس من السّهل أن يكون المرء تقياً ملتزماً بضوابط التقوى وآدابها. فضلاً عن أنّ من الناس من تكون تقواه في الظاهر فحسب دون انطوائها في نفسه واعتقادها في قلبه،فيكون بعيداً عن الوَرَع والتُّقْوَى حينذاك. ولهذا بدأ(عليه السلام)، في نُصحه، بِنَقل الإنسان في تقواه من مرحلة (الدِّثار)، وهي الحالة الظاهرة للإنسان تشبيهاً لها بالدِّثار الذي يرتديه المرء فيراه الناس ظاهراً على بدنه، من هذه الحالة الى مرحلة(الشِّعار)، وهي ملاصقة التقوى لجسد الإنسان مثلما يكون (الشّعار) ملازماً للبدن،قريب منه. ومن ثَمّ بعد ذلك تكون (دَخِيلاً) في الجسد،حتى تصبح في (لَطِيفة)، وهو قلبه الذي بين جنبيه، فيكون الإنسان آنذاك تقياً.

---

(١) نهج البلاغة: خ/ ١٩٨: ٣٩٤.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن ابي الحديد): ١٠/ ١٤٨، وشرح نهج البلاغة (البحراني):٣/ ٧٤٩، والديباج الوضي: ٤/ ١٦٣٦.

ثالثاً: الدلالة على الدعاء:

وجعله (عليه السلام) خصله من خصال الزاهدين الذين قال فيهم علي مخاطباً بعض أصحابه: ((.... **طُوبَى للزَاهِدِيْنَ في الدُّنْيَا، الرَّاغِبِيْنَ في الآخِرَةِ، أُوْلئِكَ قَوْمٌ اتَّخَذُوا الأَرْضَ بِسَاطاً، وَتُرَابَهَا فَراشاً، وَمَاءَها طِيْباً، والقُرآن شِعَاراً، والدُعَاءَ دِثَاراً**...))[١].

وفي سياق الزهد وأصحابه اتخذ الإمام مفردات تناسب موضوع النّص وغايته، فجعلها (بُسُطاً، وفُرُشاً، وطِيْباً، وألْبِسَة) للزاهدين، والملاحظ أنه (عليه السلام) قد جمع بين (الشِّعار) و (الدثّار)، وهما لباسان متلازمان عند الناس فجعل القرآن (شعاراً) للزاهدين أي اقرب اليهم من (الشعار) الذي يلامس الجسد مباشرة، ومن ثمِّ علاه بدثار، وهو - هنا - الدعاء، الذي يعد وسيلة المضطر والمحتاج، وهو الأقرب للمرء والأكثر قرباً في مناجاة الله تعالى بعد القرآن الكريم، ولهذا صار بمنزلة (الدثار) كما يصفه الإمام.

وسّدتك

الوِسَادة المِخَدّة التي تُجْعل تحت الرأس[٢]. و الوِساد كل ما يوضع تحت الرأس، وإن كان من التراب أو الحجارة، وجمعه وُسُد[٣]. والوِسَادَة المتكأ أيضاً[٤].

واستعمل الإمام الجذر (وَسَد) ثلاث مرات بصيغة الفعل الماضي المضعف المسند الى ضمير المتكلم وكاف الخطاب (وسَّدتُك)، وبالصيغة المتقدمة نفسها مسنداً الى ضمير المفردة المؤنثة (وَسَّدتُها)، فضلاً عن صيغة المضارع (يتَوَسّد).

---

(١) نهج البلاغة: قصا/ ١٠٤: ٦١٨.

(٢) ينظر: لسان العرب (وسد): ٣/ ٤٥٩.

(٣) ينظر: العين (وسد):٧ / ٢٨٤.

(٤) ينظر: لسان العرب (وسد): ٣/ ٤٥٩.

وكان نصيب كل واحد من هذه الاستعمالات من الورود مرة واحدة[١]، للدلالة على اتخاذ الأرض والحجارة والكف من اليد وسادة للاتكاء والنوم عليها. ومن ذلك ما ذكره(عليه السلام) من اتخاذ النّبي عيسى (عليه السلام) (الحَجَر) وسادة له؛ إذ يقول في مقام بيان زهده وتواضعه:((**كَانَ يَتَوسَّد الحَجَرَ، وَيَلْبسُ الخَشِنَ، ويأْكُلُ الجَشِبَ...**))[٢]. ويفهم من توسد النبي (عيسى) الحجر أنه ما كان يتخذ من الوسائد الناعمة المريحة متّكأً له في نومه واضطجاعه، فكان يُؤثِر الحجر رغبة في التواضع، وتذليلاً للنفس وإبعادها عن متع الدنيا؛ لأن الأنبياء(عليهم السلام) كان يجدون راحتهم في ما يؤذي غيرهم من الناس من الأمور المادية. ومن هنا يلحظ أنّ راحة النبي (عيسى) في توسد الحجر دون غيره؛ لانشغاله بالعبادة والطاعة دون العناية بالدنيا وما فيها. وهذا التعبير الذي أورده الإمام(عليه السلام) يوحي بأن النبي(عيسى) ما كان يهجع في نومه، عند توسّده على (الحجر). وكان جُلِّ همّه التَّفكر والعبادة، وهو ما يشغله عن الأذى الناشئ من خشونة الحجر وأذاه.

أقول: إن ما ذكره الإمام من إسناده التّوسد الى الحجر، واستعمال الفعل (يتوسد)، للدلالة على اتخاذ (الحجر) وسادة في النوم والاتِّكاء عند النبي (عيسى) (تعبير متفرِّد لدى الإمام،وذلك أن اللغويين،ومنهم الخليل، ذكروا أن (المُتَوَسَّد) من الأشياء إذا كانت من التراب والحجارة، فهي تُسَمّى (وِسَاد)[٣]. وهو، كما يبدو، أعم من (الوِسَادة) التي تستعمل في الدلالة على الوثير من المُتَّكئآت.

أمّا الضّرب الثاني من التّوسّد، فهو توسد (الكَفِّ). وقد ورد ذلك في قوله

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٨٢.

(٢) نهج البلاغة: خ/ ١٦٠: ٢٨٣.

(٣) ينظر: العين (وسد): ٧/ ٢٨٤.

(عليه السلام) الذي يتحدث فيه عن النّفس التي تؤدي فروض الطاعة لله تبارك وتعالى، وذلك في مقام مدحها. يقول (عليه السلام): ((**طُوْبَى لِنَفْسٍ أَدَّتْ إلى رَبِّهَا فَرْضَهَا... وهَجَرَتْ في اللّيل غِمْضَها، حتّى اذا غاب الكرى**[١] **عليها، افْتَرَشَتْ أَرْضَهَا، وَتَوَسَّدَتْ كَفَّها في مَعْشَرٍ أَسْهَرَ عُيُونَهم خَوْفُ مَعَادِهم**...))[٢]. والنص في مدح هذا النوع من النفوس التي ذابت في الله تبارك وتعالى وانقادت الى طاعته، مؤدية ما عليها من فروض وعبادة بصورة تامة، حتى أنّها هجرت غِمْضَها وتجافت عن النوم، وأسهرت العيون للطاعة والعبادة. فإن تم لها ذلك وغلب عليها النّعاس، افترشت أرضها وتوسّدت كفها جاعلة منها وسادة تستريح عليها. ولا يخفى ما في (الأرض) و (الكَف) من أذى عندما تتخذان فراشاً ووسادة. ولكن الإمام(عليه السلام) جعل (كفها) بمنزلة (الوِسَادة)، للدلالة على استكانة هذه النفوس و خضوعها الى الله جل جلاله بالطاعة والعبادة والتّفكّر في جلال الخالق ؛ فلم يكن لها شغل بتهيئة فراش أو وساد.

ثانياً: الدلالة على الدفن في القبر.

وهذا المعنى مختص في كلامه بدفن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله)، فذكر مفردة (وَسَّدْتُك)، لافادة معنى إنزال النبي في القبر ودفنه. يقول (عليه السلام) في ذلك: ((... **فلقد وسّدتُكَ في مَلحُودَة**[٣] **قَبرِكَ، وفَاضَت**[٤] **بَيْنَ نَحرِي وصَدْري**

---

(١) الكرى النعاس. ينظر: العين (كري): ٥/ ٤٠٣.

(٢) نهج البلاغة: ك / ٤٥: ٥٣٥، ٥٣٦.

(٣) اللحد والملحود ما حفر في عرض القبر. ينظر: العين (لحد): ٣ / ١٨٢.

(٤) اصل الفَيْض للماء والدمع، ثم اتسع ليدل على ذهاب النفس والموت. وقد ذكر اللغويون أنه لا يقال (فاضَت نَفْسه)، و الصّواب أن يقال: فاض الرَّجلُ، أو (فاظ) بالطاء إذا قُصِد موته. ينظر: لسان العرب (فيض): ٧/ ٢١١، ٢١٠. ولكن استعمال الامام يظهر خلاف ما ذهب اليه اللغويون

نَفْسُكَ...))[١]. يريد بذلك الإشارة الى أنّه هو الذي هَيّأ للنبي الأكرم(صلوات الله عليه) قبره، وهو الذي أنزله ووسَّده في مَلْحُودةِ قَبْره كأنَّ الإمام يشير بذلك الى توليه هذا الأمر دون غيره من الصحابة، وأنّه الذي اختص بالنبيّ و تفرّد بتجهيزه دون سواه، وهو الذي كان آخر الناس عهداً بالنبيِّ. وفي ذلك دلالة على اختصاصه به، وملازمته له حتى في هذا الموقف.أقول: وفي تعبير الإمام ضَرْب من التقديم والتأخير في النّص. فالمعروف أنّ ذهاب النَّفْس، وموت الإنسان يسبق مرحلة دفنه، غير أنّه (عليه السلام) ذكر أنّه (وَسَّدَ) النبيّ في قبره، ومن ثَمّ أعقب ذلك بذكر قوله: **((وفَاضَتْ بَيْن نحري وَصدْري نَفْسُكَ))**. ويبدو أنّ ذلك راجع الى بيان عنايته بالنبي الأكرم، من خلال تهيئة موضع دفنه، وتولِّي ذلك بنفسه، مقدّماً توسيده في قبره على وصف حال موته (صلى الله عليه وآله)، لانّ الاشتغال مجال الوفاة لا يدل على كونه المَعْنِيّ بتحضير مراسم دفنه وإنزاله في قبره الشريف، مع كون ذلك لا يقل أهمية عن دفن النبي.

النّمْرقة

النُّمرُق الوِسَادة، ومفردها نُمرقة[٢]. وهي ضْرب صغير من الوَسَائِد[٣]. ويقال في هذه اللفظة (نِمرِقَة) بالكسر، وهي لغة منسوبة الى بعض الكلابيين[٤]. وقد وردت لفظة (نمْرق) في كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) الوارد في نهج البلاغة مرتين ؛ الأولى بصيغة المفرد المحَلّى بـ(ال) (النّمرقَة)، والثانية بصيغة الجمع على

؛ لأنه استعمل تعبير (فَاضَتْ نفسك) للدلالة على انتقال النبي الاكرم (صلى الله عليه وآله) الى الباري جل جلاله.

(١) نهج البلاغة: خ/ ٢٠٢: ٤٠٢، ٤٠٣.

(٢) ينظر: العين (غرق): ٥/ ٢٦٥، ولسان العرب (نمرق): ١٠/ ٣٦١.

(٣) ينظر: لسان العرب (نمرق): ١٠ / ٣٦١.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة (نمرق): ٩/ ٣١٠، ولسان العرب (نمرق): ١٠ / ٣٦١.

(فَعَائل) (النّمارِق)(١)، للدلالة على ما يأتي:

اولاً: الدلالة على أهل البيت (عليهم السلام).

فقد استعار الإمام مفردة (النُّمْرُقَة) له ولأهل البيت(عليهم السلام) تشبيهاً لهم بالوِسَادة الوسطى التي تتوسط بقية الوَسَائد. يقول(عليه السلام):((**نَحْنُ النُّمْرُقَةُ الوُسْطَى، بِهَا يَلْحَقُ التَّالِي**(٢) **وإلَيْهَا يَرْجِعُ الغَالِي**(٣)))(٤). أراد الإمام أهل البيت (عليهم السلام) بين الناس، بوصفهم أئمة الحقّ، ومستند الخلق في تدبير شؤونهم، وأمورهم، وكل ذلك على وجه العدل المتوسط بين طرفي الافراط والتفريط(٥)، ولهذا جعل (التّالي)، وهو المتأخر عنهم المفرّط بهم، والمقصّر المتجاوز للحد والمفرّط في العَدْل راجع وهو اليهم في ذلك.

أقول: ويمكن أن نفهم من هذا الضّرب من التعبير جعل الإمام أهل البيت (عليهم السلام) بمنزلة (النُّمْرقة الوُسْطَى) يوحي بأنّهم متَّكأ للناس، ومُعْتَمَدٌ في سائر أمورهم، فإنهم يتوَسَّطُون الناس على جهة العدل كأنهم ميزان توزن به الأمور. وإنما وصف النَّمرقة (بالوُسْطى) إشارة إلى كون هذه النمرقة رئيساً بين النّمارق المصفوفة ويمكن أنْ يستفاد من هذا التعبير ايضاً الدلالة على أن اهل البيت (عليهم السلام) مستند للناس، ومحل راحتهم، وذلك من جهة اطمئنان النفوس اليهم،

---

(١) ينظر: المعم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٤٥٨.

(٢) التالي في اللغة التّابع. ينظر: مقاييس اللغة (تلو): ١/ ٣٥١.

(٣) الغالي في اللغة هو تجاوز الحد والقدر، وهو ههنا المبالغ المتعمق في الامر حتى يخرجه ذلك الى اكفار الناس كنحو مذهب الخوارج، وينظر:: غريب الحديث (أبو عبيد): ٣/ ٣ والمحكم (غلو): ٦/ ٥٧.

(٤) نهج البلاغة: قصا / ١٠٩: ٦٢٠.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (البحراني): ٥/ ٤٢٣.

واهتدائهم بهم. فكما يرتاح الناس بأتكائهم على النمارق، فكذلك يكون الراجع الى اهل البيت[١]. ويحتمل أن تكون مفردة (النُّمْرقة) التي شبّه بها الإمام الأئمة (عليهم السلام) مأخوذة من (النُّمْرُقة) التي توضع على الرَّحل ليرتاح عليها الرّاكب عند ارتقائه على البعير، وهي المسماة بالطَّنْفُسَة[٢]. فكأنها -بحسب هذا الوصف- تكون كالفكر الذي يؤمن به الانسان ويعتنقه مركباً له. كما يقولون ركب فلان الأمر، إذا اتخذه عقيدة له. فيحتمل أن تكون استعارة الإمام لهذه اللفظة إشارة الى ما يتخذه الانسان مذهباً له، أو عقيدة يركن اليها ويركبها مركباً يقوده الى الله تبارك وتعالى[٣]. وأما وصف هذه (النّمْرُقة) بـ(الوسطى)، فيراد به،إمّا الدلالة على الأفضلية. بمعنى أنّهم (عليهم السلام) الطريقة الفُضلى من بين بقية الطرائق التي تؤدي بهم الى الخيار الأعلى من العقائد التي يتخذونها عقيدة لهم، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**﴾[٤]. أي: جعناكم الخيار الأعلى[٥]. ويحتمل أن تكون إشارة الى اتصال هذه (النّمُرقة) بسائر النّمارق الأخرى،من جهة توسطها المناهج المتطرّفة لبقية الفرق الديني. والوصف بذلك يومئ الى هذا المعنى[٦]. كأنهم(عليهم السّلام) يمّدون أيديهم الى (التّالي) و(الغَالي)، سعياً الى إعانتهم على التخلص من حالة الافراط والتّفريط التي أصابتهم.

(١) ينظر: نهج البلاغة (عبده): ٤/ ٥٢٤ هامش (٤) .

(٢) ينظر: لسان العرب (نمرق): ١٠ / ٣٦١.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن ابي الحديد): ١٨/ ٢١٨.

(٤) البقرة/ ١٤٣.

(٥) ينظر: المحرر الوجيز: ١/ ٢١٩.

(٦) ينظر: نهج البلاغة (عبدة): ٤/ ٥٢٧ هامش (٤).

ثانياً: الدلالة على الوسائد المُمهدة التي تستعمل في الاتكاء.

واستعمل الإمام لهذه الدلالة مفردة (النّمارق) بصيغة الجمع على (فَعَائِل)،وذلك في سياق كلامه عن الدنيا والتّنفير منها. إذ يقول: ((**وأَعْلمُوا -عَبادَ الله - أنكّم وما انتم فيه من هذهِ الدّنْيا على سَبِيلِ مَنْ قَدْ مَضى قَبْلَكمُ أصْبَحَت أصْوَاتُكُم هَامِدَة... ودِيَارُهُم خاليةً... فاسْتَبْدَلُوا بالْقُصْورِ المُشَيَّدةِ، والنَّمارِقِ المُمَهَّدَةِ الصّخُورَ والاحجارَ المُسَنَّدَة**[1]، **والقبور اللّاطِئَة**[2]...))[3]. والنص في ذكر الدنيا، وتحذير الناس منها؛ لأنهم تاركوها بكل ما فيها من متعٍ دنيوية مادية ومعنوية. فذكر (عليه السلام) الأمور الماديّة التي يزهو الإنسان بها في حياته الدنيا من قصور مُحَصّنة واسعة وفُرش ونمارق مُمهَّدة. فاسْتبدل ذلك بـ(الصّخور والأحجار) التي يستند بعضها الى بعض. وهذه الصخور تمثل البديل (للنّمارق) التي كان يتوسدها المرء في الحياة الدنيا، بما فيها من وثَارة وراحة ولِيْن. ومن الجدير بالذكر الإشارة الى الأثر القرآني الذي بدا في كلام الإمام من خلال استعماله لفظة (نَمارق)، التي تعد إحدى مفردات الفاظ القرآن الكريم التي استعملها القرآن في سياق ذكر صفات الجنة التي وَعد الله المتقين بها. يقول تبارك وتعالى: ((... فيها سرر[4] مرفوعة... ونمارق مصفوفة...)). و(النمارق المصفوفة) هي الوسائد المصفوفة بعضها الى

---

(١) المسندة: أي التي استند بعضها الى بعض. ينظر: العين (سند): ٧/ ٢٢٩.

(٢) اللّطْءُ لذوق الشيء بالشيؤ. ينظر: لسان العرب (لطأ): ١/ ١٥٢: واللاطئة في قول الامام اللاصقة بالارض.

(٣) نهج البلاغة: خ/ ٢٢٦: ٤٤١،٤٤٠.

(٤) السرُّر جمع سرَير، وهو ما يجلس عليه. وهو دلالة على النعمة وخفض العيش. ينظر: تاج العروس (سرر):١٢/ ١٤.

البعض الآخر[١]. وذكر هذه الأمور المادية جاء على جهة الوصف والترغيب بالجنة من خلال ذكر أعلى لوازم الحياة قيمة في ذهن الإنسان لتنجذب نفسه اليها.

بِساطاً

البَسْط نقيض القَبْض[٢]. والبِسَاط - بالكسر - ما بُسِط على الأرض ونُشر. والبَسْط فَرْشَ الفِراش ومده[٣] وفِرَاش يبسط، إذا كان سابغاً واسعاً[٤].وجاءت مفردة (بِسَاطاً) بصيغة المفرد في نهج البلاغة مرة واحدة[٥]، للدلالة على الأرض التي تتخذ بساطاً تفرش عليه بقية الفُرش. وذلك في سياق حديثه (عليه السلام) عن الزاهدين الذين يقول فيهم: ((... **طُوْبَى للزَّاهِدِيْنَ فِي الُدّنْيَا، الرَّاغِبِيْنَ فِي الآخِرَةِ، أُولَئِكَ قَوْمٌ اتَّخَذُوا الأرضَ بِسَاطاً وتُرابُهَا فِرَاشاً، وَمَاءَ طِيْبَاً...**))[٦]. ومفردات النص، ومنها مفردة (بساطاً)، توحي بتأثّر الإمام بالقرآن الكريم، ومفرداته. فكلمة (بِساطاً)، بهذه الدلالة،واردة في القرآن الكريم في قوله تعالى شأنه: ﴿**وَاللهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا**﴾[٧].وفسر المفسرون هذا اللفظ بإمكان التقلّب على الأرض كما يتقلب الرجل على فراشه[٨]. ويبدو أنهم تلمّسوا في ذلك معنى سهولتها والقدرة على التصرف بها. من خلال الزرع والحرث والانشاء. أمّا الدلالة التي أرادها الإمام

(١) ينظر: المحرر الوجيز: ٥/ ٤٧٤.

(٢) ينظر: العين (بسط): ٧/ ٢١٧.

(٣) ينظر: جهرة اللغة (بسط):١/ ٣٣٦.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة (بسط):١٢/ ٢٤٣.

(٥) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ٥١.

(٦) نهج البلاغة: قعا/ ١٠٤: ٦١٨.

(٧) نوح / ١٩.

(٨) ينظر: الكشاف: ١/ ١٢٥.

(عليه السلام) من تضمينه مفردة (بِساطاً) في فتختلف عن المعنى القرآني ؛ فالقرآن الكريم أراد منها - كما يبدو - معنى الصيرورة والتذليل، ولاسيما أنه استعمل الفعل (جَعَلَ) الذي يدل على التطويع والتَّصْيير ؛ ليكون الإنسان قادراً على التّمكّن والإفادة منها. وأمّا في (نهج البلاغة) فقد استعملها (عليه السلام) لتدل على البساط الذي يفرش على الأرض، ومن ثم يجعل فوقه فرشاً أخرى، وذلك بقرينة قوله (عليه السلام) ((**وتُرَابها فِرَاشاً**))، وهو المعنى الآخر الذي أعان على فهم دلالة لفظة (بِسَاطاً). وليس شرطاً في قول الإمام -آنف الذكر - أن يكون هذا البساط سهلاً غير ذي حزن، وإنما يلحظ فيه دلالة الصعوبة وعدم المرونة، وهو شأن الأرض حينما تتخذ مناماً أو ما شابه ذلك، فضلاً عن أن هذه القيمة الدلالية أفادت الاتساق مع حال الزاهدين في الدنيا الذين لا يبالون بزخرفها وريشها.

سَفَائِف الخُوْص

إسفاف الخوص نسج بعضه إلى بعض[1]. وكل شيء ينسج بالأصابع، فهو إسفاف[2]. وسَفّ الحَصِير، نَسَجَه[3]. و الخوص ورق النخل[4]. وقد استعمل الإمام تعبير(سَفَائِف الخُوْص) مرة واحدة في نهج البلاغة[5]، للدلالة على نسج ورق النخل لعمل الحُصُر وما أَشْبَهها من المنسوجات التي تستعمل في الفَرش، وذلك في إشارة الى ما كان يعمله النبي داوود (عليه السلام) بيده من سفائف ينسجها

(١) ينظر: العين (سف): ٧ / ٢٠١.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: لسان العرب (سفف): ٩ / ١٥٣.

(٤) ينظر: العين (خوص): ٤/ ٢٨٥، وتهذيب اللغة (خوص): ٧/ ١٩٨.

(٥) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة:٢١٦، ١٤٧.

ليعيش بها. يقول (عليه السلام): ((**وَإنْ شِئْتَ ثَلَّثْتُ بِدَاُوَد** (عليه السلام) **صَاحِبُ المَزَامِير**[١]**، وقَارِئُ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَلَقَد كانَ يَعْمَلُ سَفَائِفَ الخُوص بِيَدِهِ، ويَقُولُ لِجلَسَائِه: أَيُّكُم يَكْفِيني بَيْعَهَا، ويأكُلُ قُرْصَ الشَّعِيْرِ من ثَمَنِها**))[٢].

فأضاف (عليه السلام) مفردة (الخُوص) إلى (سَفائِف) التي تفيد الدلالة على النَّسج والقدرة على عمل هذا الضّرب من الفَرش وغيرها من الأدوات التي تُصنع من (سَفِّ الخُوص). فضلاً عمّا يفهم من هذا التعبير من دلالة على تواضع النبي داوود (عليه السلام) وإصراره على العيش من كسب يده، في إيماء من الإمام (عليه السلام) إلى الحَثِّ على العمل مهما كانت منزلة الإنسان.

(١) المزامير أداة يزمّر بها، واحدها (مزمار) وتصنع من القصب وهي - هنا - مزامير النبي داوود (عليه السلام) التي كان يتغنى به من الزبور، وضروب الدعاء، فشبه حسن صوته وحلاوة نغمته بصوت المزمار. ينظر: لسان العرب (زمر): ٤/ ٣٢٧.

(٢) نهج البلاغة: خ/ ١٦٠: ٢٨٣.

الظواهر اللغوية

استعمل الإمام مفردة (الممهدة)، للدلالة على الأرض الممهدة تشبيهاً لها بالفراش الممهد الوثير وهو ما يمثل انزياحاً دلالياً أخرج الكلمة عن دلالتها المعروفة على الفراش المادي.

في حين أنّه وظف لفظ (مَمَاهِد) على زنة (مَفَاعِل)، للدلالة على شرف المنبت وطيبه الأصل.

جاءت لفظة (فرشتكم) دالة على فرش المعروف و الخير من القول والفعل.

وقوع الترادف الجزئي بين كلمتي (مهد)و(فرش) في كلام الإمام،وبين كلمة (غطاء) و (دثار).

وظف الإمام كلمة (الفرش)، للدلالة على عرش الله تبارك وتعالى، مبعداً المفردة من دلالتها المادية المعروفة، وهي الدلالة على عرش المُلْك أو سريره الى دلالتها على ملك الله تعالى وعظمته على جميع البشر، أسوة بالدلالة القرآنية التي جاءت بها المتقدمة.

استعمل الإمام بناء (أفْعِلَة)،وهو من أبنية جمع القلة مستعملاً على وزنه مفردة (أغطية)، للدلالة على ستور الحقائق وخوافيها.

استعملت كلمة (الغطاء) دالة على الستر والحجاب الذي يمنع من الاطلاع على أهوال القيامة وما يجري على الموتى من وقائع في حياة البرزخ. فكأنّ هذا الغطاء هو الحوائل والموانع والذنوب التي تحجب المرء من أن يطّلع على أسرار الآخرة.

استعمل الإمام مفردة (غِطاء) دالة على صفة (الحِلْم) التي تستر هوى النفس

وتكبح جماحها من الانفلات من أزمّة الردى والعصبية. واستعملت مفردة (دِثَار) دالة على ما تعرض له الحياة الدنيا من أذى وقتل وتشريد ودمار، بسبب من شياع الحرب والقتال فيها، فهي متدثرة بالسيف بحسب تعبير الإمام.

وظّف الإمام بناء (فَعَائِل) مستعملاً على وزنه مفردة (النَمارق)، للدلالة على ما يتوسد المرء من وسائد في الحياة الدنيا فضلاً عن استعماله مفردة (سفائف) بالبناء المتقدم على ما سيف منه من الحُصُر والبسط. في حين أنّه استعمل مفردة (نمرقة)، وهي اسم جنس جمعي للدلالة على أهل البيت (عليهم السلام) بوصفهم النمط الأوسط الذي يلحق بها التالي ويرجع اليها الغالي بوصفهم ميزان الأعمال.

الخاتمة

بعد الفراغ من هذه الدراسة التي تناولت جانب الألفاظ في (نهج البلاغة)، خلص الباحث الى جمهرة من النتائج التي يمكن تفصيلها بحسب ما يأتي:

تبين من خلال الدراسة شيوع الفاظ الحياة الاجتماعية في (نهج البلاغة بتفاصيلها جميعاً، بحيث بلغ مجموع الألفاظ الدالة عليها (أربعمائة وثمان وخمسين) مفردة عدا الاشتقاقات الصرفية التي استعملت فيها الألفاظ جميعاً. وهو ما يدل على عناية الإمام (عليه السلام) بهذا الجانب من جوانب الحياة الإنسانية. ولهذا نلحظ التركيز واضحاً في هذا المجال من خلال كثرة الألفاظ الدالة على طبيعة الرؤية الاجتماعية والإصلاح الاجتماعي للإنسان الذي عُني به الإمام أيّما عناية. ولهذا وجدناه يوسّع القول في تفاصيل (الحياة الاجتماعية) كلّها من خلال إرشاداته ونصائحه للناس.

وبناءً على ما تقدم يمكن القول:إن (نهج البلاغة) يمثل نظرية اجتماعية متكاملة للإنسان حرص الإمام على صياغتها ؛ لتكون منهجاً يسير عليه الإنسان المسلم وغير المسلم من جهة الحقوق والواجبات التي ينبغي القيام بها. وينطلق الإمام في ذلك من نظرة إسلامية، متخذاً من القرآن الكريم ومواقف النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) ونظره هو (عليه السلام) الى هذه الحياة، سبيلاً لتعريف الإنسان دوره فيها وما عليه القيام به وكيفية التعامل مع أفراد المجتمع، ليصل في ذلك الى مرضاة الله تبارك وتعالى.

شيوع الألفاظ المتعلّقة بوسائط النقل في نهج البلاغة، فقد تصّدرت هذه الألفاظ الدراسة بمجموع الفاظ بلغ عددها (مئة وثماني وعشرين) مفردة، كان

في طليعتها (الفاظ الإبل ومتعلقاتها)، ومن ثَمّ تلتها (الفاظ الخيل ومتعلقاتها)، و(الأتان والحُمُر ومتعلقاتها)، ومن ثَمَّ (السّفن ومتعلقاتها). ويفهم من هذه الكثرة في الاستعمال عنايته بهذا الضرب من المفردات التي اتخذها مثالاً يُفهِم من خلاله الإنسان ما يعرض له من صعاب تتطلب الصبر وإحكام الأمر وعدم التفريط بالقيم الإسلامية والعقائدية.

ولّما كانت عناية الإمام تتجه نحو بناء المجتمع ؛ لهذا حظيت (ألفاظ طبقات المجتمع) بنصيب وافر من المفردات، التي بلغ مجموعها مائة وإحدى وعشرين مفردة. تناولت شتى فئات المجتمع وطبقاته التي فصّل الإمام القول فيها، مقسماً إياها على مراتب بحسب أهمية كل واحدة منها وحاجة كل منها الى غيرها. ولعل عهده الى (مالك الأشتر) يمثل أنموذجاً لهذا التقسيم الطّبقي الذي حرص الإمام فيه على عدم التفرقة بين هذه الفئات الاجتماعية. أمّا تقسيمه لها بالصّور المتقدمة فإنما جاء ليظهر وظيفة كل طبقة من هذه الطبقات في المجتمع وخصائصها. فتقسيمه قائم على أساس التعدد والتكامل بين هذه الطبقات.

وقد جاءت (الفاظ الأكل والشّرب ومتعلقاتها) التي بلغت حصيلتها (ستاً وأربعين) مفردة بالمرتبة الثالثة، كان الغالب فيها المفردات الخاصة بالأكل وأنواعه، بوصفه جزءاً من حياة الإنسان الذي يقيم أَوَد نفسه بهذه الأنواع من الأغذية. وقد حرص الإمام أن يضرب نفسه للناس مثلاً في العِفة والزهد والكفاف من خلال إنصرافه عن تخير الأطعمة والأشربة وما لذَّ منها ؛ ليكون هو والأنبياء أنموذجاً فريداً في القناعة وشظف العيش،فالإسراف في تخيّر الأطعمة يعني التفريط في طاعة الله تبارك وتعالى ونسياناً للفقراء والمعوزين من ذوي الفاقة.

وفي جانب التصوير الفني المشرق للحياة وكائناتها، وردت في نهج البلاغة

طائفة من الألفاظ الخاصة بالزينة والجواهر والطِّيب بلغ عددها (إحدى وأربعين) مفردة. استعملت في الغالب في سياقات التصوير الفني لتشبيه بعض الكائنات التي أنعم الله بها على عباده، من قبيل (الطاووس) الذي حظي بوصف مميز عند الإمام في نهج البلاغة.

جاءت (الفاظ الألبسة ومتعلقاتها) في المرتبة الخامسة من حيث شيوعها. فقد ورد منها (أربعون) مفردة جُلها نُقِل من دلالته الحقيقة الى الدلالة على النّعم التي أسبغها الله تبارك وتعالى على الناس.

أما (الفاظ الأمراض والعلل)، فقد شغلت المرتبة السادسة من هذه الدراسة، بـ(إحدى و ثلاثين) مفردة وظفها الإمام لما يعرض للإنسان من علل تصيبه في حياته الدنيا وفي صدارتها أمراض النفس الإنسانية من عمى البصر والبصيرة، فضلاً عن صمم الأسماع وغيرها. موضحاً طرائق علاج هذه الأمراض من خلال بيان وظيفة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) في إبراء الناس مما أصابهم، بوصفه طبيباً معالجاً للعقائد والأفكار الفاسدة.

وشغلت (الفاظ العلاقات الاجتماعية ومتعلقاتها) من الفاظ القرابة والنّسب المرتبة السابعة من حيث الشيوع، فبلغ مجموعها(تسعاً وعشرين) مفردة وظِّفت لبيان العلاقات التي تربط كل فرد من أفراد المجتمع مع الآخر. متحدثاً عن كثير من هذه الصلات ومنها قرابة أهل البيت (عليهم السلام) من النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) التي لا يجاريهم فيها أحد.

وتلا ذلك من حيث الشيوع كل من(الفاظ الأدوات والآلات) التي بلغ عددها (ثلاث عشرة) كلمة. والفاظ (الفُرُش والأغطية) التي اقتصرت على (تِسع) مفردات فحسب.

أما النتائج الخاصة (بالعلاقات والظواهر الدلالية) بين المفردات، فيمكن بيانها بالآتي:

أولاً: بدا في استعمال الفاظ الحياة الاجتماعية في نهج البلاغة ظهور بعض الظواهر الصوتية، من قبيل استعماله (عليه السلام) مفردة(آل) التي افتتحت بصوت المد، وهو ما منح المفردة ضرباً من الامتداد والرسوخ في ذهن المتلقي مناسبة لحال الشرف ورفعة المنزلة التي ينماز بها أهل البيت (عليهم السّلام).ومن ذلك أيضاً مفردة(السّوار)الدالة على السِّوار الذي يلبس في معصم المرأة، وهو من الألفاظ الفارسية المعرّبة، فقد ذكر أنّ أصله بالفارسية (دِسْتِوَار)،وليس الفارق بين اللفظ العربي والفارسي سوى في تحول المقطع الصوتي (دِسْت) الى (السين) العربية.

ثانياً:وظف الإمام الكثير من الأبنية الصرفية في كلامه الوارد في نهج البلاغة، من قبيل بناء (فاعِل) وهو من أبنية المشتقات المصوغ من الثلاثي الصحيح.ومن ذلك كلمة (الظّالع) التي وردت اسم فاعل محلى بـ(ال). وكثر أيضاً استعمال بناء المصدر (فَعْل) الذي أفاد دلالة على الثبات مثل مفردة (ذَرْعك).

ثالثاً:كثرة أبنية جموع التكسير في قبالة الجموع السالمة في هذا المجال الدلالي، حتّى أنه عمد الى توظيف أبنية قليلة الاستعمال من قبيل بناء (فَعَالِيل) الذي منه مفردة (حَدَابِيْر) جمع (حِدْبار)، و(فُعُل) فضلاً عن بناء (مَفَاعِيل)،مثلما استعملت الأبنية الدالة على المبالغة كبناء (تَفَعَّل)،وأبنية الأفعال المزيدة مثل (اِسْتَفْعَل).

رابعاً: ورود الأبنية الدالة على الأمراض والعِلل من قبيل بناء (فَعْلاء) الذي سيق عليه لفظة (عَشْواء) التي تدل على الناقة غير المبصرة طريقها.

خامساً: شاعت ظاهرة الترادف الجزئي بين الألفاظ بكثرة في مجال الألفاظ الاجتماعية، بحيث فاقت بقية الظواهر الدلالية الأخرى. ومما يلفت النظر أنّ

كلامه (عليه السلام) لايحتمل وقوع ما يسمّى (الترادف التام)، فهو من نمط الفصاحة العالية التي لا تحتمل وضع كلمة محل كلمة أخرى، ولهذا أميل الى استعمال مصطلح (الترادف الجزئي) على أساس وجود شئ من التقارب الدلالي بين المفردات كوقوعه بين كلمتي(الرَّصد، والرُّقباء).

سادساً: ندرة ظاهرة المشترك اللفظي في المفردات موضوع الدراسة،فقد كانت هذه الظاهرة أقل من حيث الورود من الترادف.ومن ذلك استعمال كلمة (مُعْوِر) في الدلالة على من استعصم بعورته،لانقاذ نفسه في الحرب أو غيرها، فضلاً عمّن أصيبت عينه في القتال.

سابعاً: ولم يكن نصيب التضاد اللغوي بأحسن من المشرك اللفظي في نهج البلاغة، فلم يرد منها إلاّ عدد ضئيل من الكلمات، من قبيل مفردة(سَائِم) التي دلّت على المال السَّائم الراعي،وعلى السَّائم الذي يقوم بإسَامة الإبل والدواب في المراعي.وبإزاء ذلك شاعت ظاهرة التقابل الدلالي بين الألفاظ المتضادة في اللفظ والمعنى.

ثامناً:شيوع علاقة التضمين، وهي من علاقة الجزء بالكل كعلاقة مفردة (الأخلاف) بـ(الضّرع)، فالأخلاف أصابع الضّرع.

تاسعاً:وردت الكثير من الألفاظ المعرّبة في كلام الإمام. وكان أكثر هذه الألفاظ وروداً في الحقل الخاص بالفاظ الجواهر والحلي، والألبسة. ومن ذلك مفردات (الزّمُرّد،العِقْيَان،اللّجَيْن،الزّبَرجَد،السّوار، دِيْبَاج، سَرَق، حَرِير، إبْرِيسَم، دَهَاقِين، قَهْرمَانَة).

عاشراً:طرأ تطوّر دلالي واسع على المفردات موضوع الدراسة. فقد ابتعد جمهور كبير من الألفاظ عن دلالته المعجميّة، مكتسباً دلالات أخرى أضافها الإمام الى

هذه الألفاظ التي لم يلتفت المعجميون إليها، وضربوا عنها صفحاً، وذلك راجع فيما أحسب الى أمرين:الأول إغفالهم كلامه (عليه السلام) بدوافع كثير في صدارتها الشّبهة التي أُثِيرَت حول عدم صحة ثبوت نهج البلاغة الى الإمام، وما قيل حول نسبته الى الشريف الرضي فرّع عن ذلك من شبهات أخرى مازال البعض يرددها حتى الآن. أما الأمر الثاني، فيتعلق بموقف العلماء من الاحتجاج بالحديث والنصوص النثرية، وهو ما انعكس على إغفال هؤلاء كلام أمير المؤمنين(عليه السلام).وهذان الأمران أدّيا الى حصول نقص كبير في المدونة المعجمية واللغوية العربية من جهة تتبّع التطور اللغوي و التأريخي للمفردات والمراحل التي مرّت بها الكلمات. وهو ما يسعى الى توثيقه المعجم التأريخي.

حادي عشر: بدا تأثر الإمام واسعاً بالتعبيرين القرآني والنبوي، فجاء كلامه متضمناً الكثير من المفردات التي نظمها بأسلوب قرآني بليغ يتجه نحو الاقتباس مرة، ونحو التضمين مرة أخرى،فكثيراً ما تضمن خطبه وكتبه نصوصاً من القرآن الكريم. كما تضمنت الفاظاً قرآنية وظّفها الإمام في إشارة الى المعنى القرآني في بعض السياقات. ولم يكن ذلك مقتصراً على الذكر الحكيم فحسب، وإنما تجاوزه الى توظيف النصوص والمقولات النبوية الشريفة التي لم يخلو كلامه منها.ويبدو أنّ الإمام أفاد أيضاً من كلام العرب من قبيل الأمثال العربية السائرة التي وظّفها في غير موضع من النهج لبيان المواقف التي يتحدث عنها.من قبيل احتجاجه بالمثل ((**لا يُطَاعُ لِقَصِيرٍ أَمْر**))، و((**كنَاقِل التّمْر الى هَجَر**)).

ثاني عشر: أمّا على مستوى التصوير الفني، فلم يكن استعماله في نهج البلاغة أقلّ شأناً من الظواهر المتقدمة، فقد ظهر في كلام الإمام جمهور كبير من الأساليب البلاغية كالتشبيه والاستعارة والكناية وغير ذلك من الفنون البلاغية.

التوصيات والمقترحات

وبعد ذكر أهم نتائج هذه الدراسة، أرى من الواجب أن أسجِّل جملة من التوصيات والمقترحات التي ربّما تكون معينة في إعادة قراءة (نهج البلاغة) قراءة تتبّع خصائصه اللغوية والأسلوبية، موجِزاً إيّاها فيما يأتي:

أولاً: اعتماد كتاب (نهج البلاغة) منهجاً في الدراسة الأكاديمية العالية، بوصفه أنموذجاً للألفاظ الفصيحة والبليغة، فضلاً عمّا فيه من تراكيب نحوية وأبنية صرفية. واقترح أن يكون ذلك في مراحل الدراسة الأولية أيضاً، ولاسيما في مادة الأدب التي تخلو مدوناته من الإشارة الى هذا الكتاب بذرائع متعددة، مع كونه أهم كتاب من كتب الخطابة التي حفظت لنا كلاماً لسّيد الفصحاء وأمراء البيان بعد رسول الله (ﷺ)، وهو الإمام علي (عليه السلام).

ثانياً: التوّجه نحو تأسيس مركز خاص بدراسة (نهج البلاغة) وكلام أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، وهم أهل الفصاحة والبلاغة الذين يصفهم الإمام علي: بأنّهم (أُمرَاء الكلام)، فهم يمثلون مرحلة مهمة من مراحل التدوين اللغوي في العصر الإسلامي، لأنّهم عاشوا – وبحسب المعايير التي وضعها اللغويون- ضمن عصور الاحتجاج اللغوي التي قيدها علماء العربية، ولكنهم لم يثبتوا عليها، إذ نجدهم يحتجون بأقوال أكلة الضّباب واليرابيع، ويضربون صفحاً عن أقوال أئمة الفصاحة والبلاغة الذين تتلمذ عليهم جمهور كبير من النحويين واللغويين. ولهذا وجب العناية بأقوالهم وتوثيق كلامهم واستقرائه وجمعه من ثنايا الكتب وإعادة تدوينه في مدوّنات تشتمل على خطبهم وأحاديثهم لكي يطّلع عليها دارسو العربية وعلومها، ومن ثَمّ الشّروع بدراسته وبيان خصائصه التركيبية والأسلوبية والدلالية، للخروج بحصيلة جديدة يمكن أن تؤسس أو تغيّر الكثير من الأفكار

التي جرى عليها الدرس النحوي واللغوي. واقترح أن يكون المركز باسم (مركز الدراسات اللغوية في كلام أهل البيت (عليهم السلام).

ثالثاً: تشجيع طلبة الدراسات العليا على دراسة (نهج البلاغة)، واختيار موضوعات لرسائلهم في هذا المدوّن الذي ما زال ثَرّاً غنياً بأساليبه البلاغية والإبلاغية.

رابعاً: تشجيع الدرس اللغوي المقارن الذي يوازن بين كلام الإمام (عليه السلام) والنّظم القرآني والنبوي، للتعرف على نقاط الالتقاء والافتراق بين التعبيرين (القرآني / النبوي) و(العَلوي)، للتعرف على تأثير الإثنين معاً في كلامه (عليه السلام).

خامساً: العمل على ترجمة (نهج البلاغة) الى اللغات العالمية الحية، لتعريف العالم بهذا المدون الذي يمثل القمة في البلاغة والفصاحة بعد كلام الله تعالى وكلام نبيه الكريم،فضلاً عن تعريفهم بطرائقه (عليه السلام)في الإدارة والحكم ومعاملة الرعية.

سادساً: العمل على وضع مستدركات على ما جمعه الشريف الرضي من كلامه (عليه السلام) في (نهج البلاغة)، وذلك أنّ الموجود بين دفتي (النهج) هو ما اختاره الشريف الرضي من كلام الإمام.والظاهر أنّ نسبة ما موجود من كلامه فيه أقلّ مما في المدونات الأخرى. ففي استقراء متواضع لكتب السيرة والتأريخ والمدونات الأدبية واللغوية كالمعاجم وكتب غريب الحديث وجدتُ أنّها تحتفل بالكثير من النصوص التي وثّق أصحابها نسبتها الى الإمام علي، ولكنّها لم ترد في النهج، أو أنّها وردت مقتطعة غير تامة، أو أنّ فيها اختلافاً في بعض مفرداتها. وهو ما دفعني الى البدء بجمع بعض ما عرض لي فيها في حدود المصادر المتوافرة لديَّ.

سابعاً: تأسيس مركز أو مكتبة خاصة بالدراسات العلمية المعنية بتراث الإمام علي (عليه السلام)، ومنه(نهج البلاغة) لغرض إفادة الدارسين والباحثين من هذهِ النتاجات.

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الألـــف

١. الآلـة والأداة ومـا يتبعهـا مـن الملابس والمرافق،تأليـف معـروف الرصـافي، تحقيـق: عبـد الحميـد الرشـودي، مطبعـة العـاني - بغـداد،١٩٨٠م.

٢. الأحكام السـلطانية والولايـات الدينيـة، تأليـف أبـو الحسـن عـلي بـن محمـد بـن حبيـب البـصري البغـدادي المـاوردي (ت ٤٠٥ هـ)،(د. ط)، دار الكتب العلميـة - بـيروت، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م.

٣. أخبـار القضـاة وتواريخهـم، لأبي بكـر محمـد بـن خلـف بـن حيّـان بـن صدقـة الضّبـي المعـروف بـ(وكيـع) (ت٣٠٦هـ)،اعتنـى بنـشره :عبـد العزيـز المراغـي،(ط/ ١)،دار نهضـة مـصر،(د-ت)

٤. أدب الكاتـب،لأبي محمـد عبـد الله بـن مسـلم بـن قتيبـة الدينـوري (ت ٢٧٦ هـ)، تحقيـق:محمـد محيـي الديـن عبـد الحميـد، (ط / ٤)، مكتبـة السـعادة - بمـصر، ١٩٦٣.

٥. أركيولوجيـة الفسـاد والسـلطة في النصـوص الأدبيـة والمدونـات العربيـة القديمـة، د-قـصي الحسـين،(د-ط)،دار ومكتبـة الهـلال، ودار البحار-بـيروت،٢٠٠٩م.

٦. الاسـتيعاب في معرفـة الأصحـاب، تأليـف يوسـف بـن عبـد الله بـن عبـد الله بـن محمـد بـن عبـد الـبَرّ (ت ٤٦٣ هـ)، تحقيق:محمـد علي البجـاوي،(ط/ ١)، دار الجيـل- بـيروت ١٤١٢ هـ.

٧. أسـس بنـاء الدولـة الإسـلامية في فكـر الإمـام عـلي(عليه السلام)، عـلي سـعد تومـان عـدوة، نـشر العتبـة العلويـة المقدّسـة - مكتبـة الروضـة الحيدريـة، العـراق - النجـف الأشرف، ١٤٣٢ هـ/ ٢٠١١ م.

٨. الإصابـة في تمييـز الصحابـة، تأليـف أبي الفضـل أحمـد بـن عـلي بـن حجـر العسـقلاني الشـافعي(ت ٨٥٤ هـ)،تحقيق:عـلي محمد البجاوي،(ط/ ١)،دار الجيـل -بيروت،١٤١٤هـ/ ١٩٩٢م.

٩. الأُصـول في النحـو، تأليـف أبي بكـر محمـد بـن سـهل بـن الـسَرَّاج النحـوي البغـدادي (ت٣١٦هـ) تحقيق:عبـد الحسـين الفتـلي،(ط / ٣)، مؤسسـة الرسـالة - بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨ م.

١٠. الأصـول مـن الكـافي،لثقـة الإسـلام أبي جعفـر محمـد بـن يعقـوب بـن إسـحاق الكلينـي

الرازي(ت٣٢٨هـ)، صححه وعلق عليه: علي أكبر الغفاري، نهض بمشروعه الشيخ محمد الآخوندي،(ط/ ٣)،دار الكتب الإسلامية-طهران،١٣٨١هـ.

١١. الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم دراسة نظرية تطبيقية في التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة، تأليف الدكتور عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي،(ط/ ١)،المطبعة العصرية -بيروت،١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

١٢. الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، للدكتور عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)،(د- ط) ، دار المعارف - مصر، (د-ت).

١٣. الأعلام، تأليف خير الدين الزركلي، (ط/ ٤)، دار العلم للملايين - بيروت،١٩٧٩م.

١٤. الاقتصاد الهادي الى طريق الرّشاد، تأليف شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي(ت٤٦٠هـ)، (د-ط)، منشورات مكتبة جامع جهلستون بطهران - قم المقدسة، ١٤٠٠هـ.

١٥. الألفاظ الفارسية المعرّبة، تأليف أدي شير الكِلداني، (ط/ ٢)، دار العرب للبستاني - القاهرة ١٩٨٧م.

١٦. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل،تأليف العلاّمة الفقيه الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، (د-ط)،نشر قسم الترجمة والنشر في مدرسة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)- إيران، (د-ت).

١٧. الأنساب، لأبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني (ت٥٦٢هـ)، تقديم وتعليق :عبد الله عمر البارودي،(ط/ ١)، دار الجنان -بيروت،١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١٨. أنوار التنزيل وأسرار التأويل،لأبي الخير ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد المعروف بالبيضاوي(ت٦٨٥هـ)،(د-ط)، دار الفكر -بيروت،(د-ت).

البـــاء

١٩. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، تأليف العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي(ت١١١١هـ)،(ط/ ٢)،مؤسسة الوفاء -بيروت،١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٢٠. البداية والنهاية، تأليف أبي الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ)، مكتبة المعارف، بيروت، (د. ط)، (د. ت).

٢١. بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث (زوائد الهيثمي)، الحارث بن أبي أسامة الحافظ نور الدين الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، تحقيق: حسن أحمد صالح البكري، (ط / ١)، مركز خدمة السنة و السيرة النبوية – المدينة المنورة، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م.

٢٢. بلاغة الإمام علي، الدكتور أحمد محمد الحوفي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، بمصر، (د. ط) / ٢٠٠٠ م.

٢٣. البيان والتبيين، تأليف أبي عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، تحقيق: فوزي عطوي، (د-ط)، دار صعب- بيروت،(د-ت).

التــاء

٢٤. تاج العروس من جواهر القاموس، تأليف محمد مرتضى الحسيني الزّبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق: جماعة من المحققين، دار الهداية، (د. ت).

٢٥. تاريخ بغداد،تأليف أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي(ت٤٦٣هـ)،(د-ط)،دار الكتب العلمية-بيروت،(د-ت).

٢٦. تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى،عبد المنعم ماجد،(د-ط)،دار الكتب -القاهرة،١٩٧٣م.

٢٧. تاريخ الطبري،لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ)، (د. ط) دار الكتب العلمية - بيروت،(د. ت).

٢٨. تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها و تسمية مَن حلَّها من الأماثل، تأليف أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ت ٥٧١ هـ)، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر ابن غرامة العمري، دار الفكر - بيروت، ١٩٩٥ م.

٢٩. التبيان في تفسير غريب القرآن، تأليف شهاب الدين أحمد بن محمد بن الهائم المصري (ت بعد ٨٠٠ هـ)، تحقيق: فتحي أنور الدابلوي، (ط / ١)، دار الصحابة للتراث – مصر، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢ م.

٣٠. التبيان في تفسير القرآن، تأليف شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي(ت٤٦٠هـ)،تحقيق وتصحيح :أحمد حبيب قصير العاملي،(ط/ ١)،دار إحياء التراث العربي-بيروت،١٤٠٩هـ.

٣١. التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، تأليف شمس الدين السّخاوي (ت٩٠٢هـ)، (ط/ ١)، دار الكتب العلمية -بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٣٢. تذكرة الحفّاظ، لأبي عبد الله شمس الدين الذهبي(ت٧٤٨هـ)،(ط/ ١)،دار الكتب العلمية -بيروت،(د-ت).

٣٣. التسهيل لعلوم التنزيل،تأليف محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي(ت٧٤١هـ)،(ط / ٤)، دار الكتاب العربي - لبنان، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣ م.

٣٤. التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم، دراسة دلالية مقارنة، تأليف عودة خليل أبو عودة، (ط / ١)، مكتبة المنار - الزرقاء - الأردن، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

٣٥. التعريفات، تأليف علي بن محمد بن علي الجرجاني المعروف بالشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ)،تحقيق :إبراهيم الأبياري، (ط/ ١)، دار الكتاب العربي - بيروت،١٤٠٥هـ.

٣٦. تفسيرات فسيولوجية في نهج البلاغة، للدكتور عمار جاسم مسلم، (ط / ١)، منشورات دار الاجتهاد، ودار الغدير للطباعة والنشر والتوزيع - قم المقدسة ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م.

٣٧. تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) دار الفكر - بيروت، ١٤٠١ هـ.

٣٨. تقريب التهذيب، تأليف أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي (ت٨٥٢هـ)، تحقيق: محمد عوامه، (ط/ ١)، دار الرشيد-سوريا،(د-ت).

٣٩. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، تأليف مجد الدين الفيروز آبادي (ت ٨٠٧ هـ)، دار الكتب العلمية - لبنان، (د. ت).

٤٠. تهذيب الأسماء واللغات، لمحيي الدين بن شرف النووي(ت٦٧٦هـ)،تحقيق:مكتب البحوث والدراسات،(ط/ ١)،دار الفكر -بيروت،١٩٩٦م.

٤١. تهذيب التهذيب، تأليف أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت٨٢٥هـ)، (ط / ١)، دار الفكر - بيروت، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.

٤٢. تهذيب الكمال، لأبي الحجاج يوسف بن التركي عبد الرحمن المزي ، تحقيق: بشار عواد معروف، (ط / ١)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م.

٤٣. تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠ هـ)، تحقيق:محمد عوض

مرعب، (ط / ١) ، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ٢٠٠١ م.

الثـــاء

٤٤. الثقات، لأبي حاتم محمد بن حبَان بن أحمد التميمي البستي (ت ٣٥٤ هـ)، تحقيق:السيد شرف الدين أحمد،(ط / ١)، دار الفكر، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م.

٤٥. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي(ت ٤٢٩هـ)، (د - ط)، دار المعارف بالقاهرة، (د- ت).

الجـــيم

٤٦. جامع أحاديث الشيعة في أحكام الشريعة، للشيخ إسماعيل المعزّي الملا يري، مطبعة مهر - قم المقدسة - إيران ، ١٤١١ هـ.

٤٧. جامع البيان في تفسير آي القرآن، تأليف أبي جعفر بن محمد بن جرير بن زيد بن خالد الطبري (ت ٣١٠هـ)،(د-ط)، دار الفكر، بيروت ، ١٤٠٥ هـ.

٤٨. الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، تأليف أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق:أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان،(د - ت).

٤٩. الجامع الصحيح المختصر(صحيح البخاري)، تأليف أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت ٢٥٦ هـ) تحقيق:د. مصطفى ديب البغا،(ط / ٣)، دار ابن كثير - بيروت، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.

٥٠. الجامع لأحكام القرآن،تأليف أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ)،(د - ط) دار الشعب بالقاهرة، (د - ت).

٥١. الجملة العربية تأليفها وأقسامها، الدكتور فاضل صالح السامرائي، منشورات المجمع العلمي العراقي، بغداد، (د - ط)، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م.

٥٢. الجمل، للشيخ المفيد محمد بن النعمان (٤١٣هـ)،(د- ط)،مطبعة مخللاتي- إيران،١٣٦٨هـ.

٥٣. جمهرة الأمثال، للشيخ أبي هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م.

٥٤. جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن دريد (ت ٣٢١ هـ)، تحقيق:رمزي منير بعلبكي، (ط /

١)، دار العلم للملايين / بيروت، ١٩٨٧ م.
٥٥. جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام،تأليف الشيخ محمد حسن النجفي (ت١٢٦٦هـ)،،حققه وعلّق عليه: الشيخ عباس القرجاني،(ط/ ٧)،دار الكتب الإسلامية، ١٣٩٢هـ.
٥٦. الجيم، لأبي عمرو الشيباني (ت٢٠٦هـ)،حققه وقدم له :إبراهيم الأبياري،مراجعة :محمد خلف الله أحمد،(د–ط)، الهيأة العامة لشؤون المطابع،١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

الحـــاء

٥٧. الحاوي في الطب، تأليف أبي بكر محمد بن زكريا الرازي (ت ٦٦٦ هـ)، تحقيق وعناية :هيثم خليفة طعيمي،(ط / ١)، دار إحياء التراث العربي – لبنان / بيروت، ١٤٢٢ / ٢٠٠٢ م.
٥٨. الحجة في القراءات السبع،تأليف أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه (ت٣٧٠هـ)،تحقيق :د– عبد العال سالم مكرم،(ط/ ٤)، دار الشروق–بيروت،١٤٠١هـ.
٥٩. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء،تأليف أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ)،،(ط/ ٤)،دار الكتاب العربي–بيروت،١٤٠٥هـ.

الخـــاء

٦٠. الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن حني (ت ٣٩٢ هـ)، تحقيق:محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، (د. ت)

الـــدال

٦١. الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ، الدكتور حسام سعيد النعيمي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر – الجمهورية العراقية، ١٩٨٠ م.
٦٢. درَّة التنزيل وغرَّة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز،لأبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالخطيب الإسكافي (ت ٤٠١ هـ)، برواية ابن أبي الفرج الأردستاني، (ط / ١)،دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م.
٦٣. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لعبد الرحمن بن الكمال المعروف بجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، (د – ط) دار الفكر– بيروت، ١٩٩٣ م.

٦٤. دلائل الإعجاز، تأليف الإمام اللغوي عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ)، تحقيق:د-فايز الداية،ود-محمد رضوان الداية،(ط/ ٢)،مكتبة سعد الدين - دمشق،١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٦٥. الديباج الوضي في الكشف عن أسرار كلام الوصي (شرح نهج البلاغة)، تأليف الإمام المؤيد بالله أبي الحسين يحيى بن حمزة بن علي الحسيني (ت ٧٤٩ هـ)، تحقيق:خالد بن قاسم بن محمد المتوكل، إشراف الأستاذ عبد السلام بن عباس الوجيه، (ط / ١) ، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، صنعاء - الجمهورية اليمنية، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م.

٦٦. ديوان أبي فراس الحمداني،تقديم وشرح :عبد القادر محمد مايو، مراجعة :أحمد عبد الله فرهود،(ط/ ١)،دار القلم العربي، سورية-حلب،١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٦٧. ديوان الأدب،تأليف أبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي(ت ٣٥٠هـ)،تحقيق: الدكتور أحمد مختار عمر،مراجعة:الدكتور إبراهيم أنيس (د-ط)، دار إحياء التراث - القاهرة،١٣٩٤هـ/ ١٩٧٠م.

٦٨. ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس،شرح وتعليق :د-محمد محمد حسين،(د-ط)، مكتبة الآداب بالجماميز، والمطبع النموذجيّة-مصر،(د-ت).

٦٩. ديوان امرئ القيس، تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم،(ط/ ٥)،دار المعارف -القاهرة، ١٩٩٠م.

٧٠. ديوان دريد بن الصّمة، تحقيق:د-عمر عبد الرّسول،(د-ط)،دار المعارف -القاهرة،١٩٨٥م.

٧١. ديوان ذي الرمة، قدم له وشرحه :أحمد حسن بسج،(ط/ ١)،دار الكتب العلمية - بيروت،١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٧٢. ديوان كثير عزّة،جمعه وشرحه الدكتور إحسان عباس،(د-ط)،نشر وتوزيع دار الثقافة- بيروت -لبنان،١٩٧١م.

الذال

- ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، تأليف محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري(ت ٦٩٤هـ)،(د.ط)،دار الكتب المصرية -مصر،(د-ت).

الـراء

٧٣. الراعي والرعية (شرح عهد الإمام علي (عليه السلام) إلى مالك الأشتر النخعي)، تأليف توفيق الفكيكي، صححه وضبط متونه سيد إياد الحسيني، (ط / ١)، دار الغدير للنشر ومطبعة معراج – قم المقدسة، ١٤٢٩ هـ.

٧٤. رسائل الإمام علي في نهج البلاغة (دراسة لغوية)، رملة خضير مظلوم البديري، نشر وإعداد مكتبة الروضة الحيدرية في العتبة العلوية المقدسة العراق – النجف الأشرف، ٢٠١١ م.

٧٥. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي (ت ١٢٧٠ هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (د. ت).

الزاي

- الزينة في الكلمات الإسلامية العربية،تأليف أحمد بن حمدان الرّازي(ت٣٢٢هـ)،تحقيق: حسين بن فيض الله الهمداني، (د–ط)،مطبعة الرسالة، القاهرة،١٩٥٨م.

السين

٧٦. سر صناعة الإعراب، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ)، تحقيق:الدكتور حسن هنداوي، (ط / ١)، دارالقلم – دمشق، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

٧٧. سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي،تأليف عبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعي المكي،تحقيق:عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض،(د–ط)،دار الكتب العلمية–بيروت،١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٧٨. سنن أبي داود،تأليف أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت ٢٧٥ هـ)، تحقيق:محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر – بيروت،(د. ت).

٧٩. السّنن الكبرى، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت٤٥٨هـ)،،تحقيق:د–محمد ضياء الرحمن الأعظمي،(د–ط)،دار الخلفاء للكتاب الإسلامي–الكويت،١٤٠٤هـ.

٨٠. سير أعلام النبلاء، تأليف أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي، (ط / ٩)، مؤسسة الرسالة –

بيروت، ١٤١٣ هـ .
٨١. سيرة ابن اسحاق (المبتدأ والمبعث والمغازي)، تأليف محمد بن اسحاق بن يسار (ت ١٥٢هـ)، تحقيق: محمد حميد الله، (د. ط)، معهد الدراسات والأبحاث التعريفية، (د. ت).
٨٢. السيرة النبوية، لأبي محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (ت ٣١٨هـ)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، (ط / ١)، دار الجيل - بيروت، ١٤١١ هـ.

الشـــــين

٨٣. الشافية في علم التصريف، تأليف أبي عمرو جمال الدين عثمان بن عمر الدويني النحوي المعروف بابن الحاجب (ت ٦٨٠ هـ)، تحقيق: حسن أحمد العثمان، (ط / ١)، المكتبة المكية - مكة، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥ م.
٨٤. شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام، للمحقق الحلي جعفر بن الحسن (ت ٦٧٦ هـ)، تعليق: السيد صادق الشيرازي، (ط / ٢)، مطبعة أمير - قم المقدسة، ١٤٠٩ هـ.
٨٥. شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك، تأليف قاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمداني (ت٧٦٩هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (د-ط)، دار الفكر - سوريا، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
٨٦. شرح حكم نهج البلاغة، للعلامة المحقق الشيخ عباس القمي (ت ١٢٥٩ هـ)، (ط / ١)، دار جواد الأئمة، بيروت - لبنان، ١٤٢١ هـ / ١٩٩٨ م.
٨٧. شرح الرّضي على الكافية، تأليف رضي الدين الاستراباذي (ت ٦٨٦ هـ) تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، منشورات مؤسسة الصادق / طهران، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨ م.
٨٨. شرح شافية ابن الحاجب، تأليف الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوي، تحقيق: محمد نور الحسن وجماعته، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٧٥م.
٨٩. شرح المفصل، تأليف موفق الدين بن يعيش (ت٤٦٩هـ)، (د-ط)، عالم الكتب - بيروت، (د-ت).
٩٠. شرح نهج البلاغة، تأليف كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت ٦٧٩هـ)، (ط / ١)، منشورات الفجر - لبنان - بيروت، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م.
٩١. شرح نهج البلاغة، لعز الدين أبي حامد عبد الحميد بن هبة الله مدائني الشهير بابن أبي

الحديد (ت ٦٥٦ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم،(ط/ ١)، مكتبة الحكيم – دمشق، دار الكتاب العربي – بغداد، ١٤٢٦ هـ، ٢٠٠٥ م.

٩٢. شعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسن البيهقي (ت٤٥٨هـ)،تحقيق: السعيد بسيوني زغلول،(ط/ ١)،دار الكتب العلمية–بيروت، ١٤١٠هـ.

الصاد

٩٣. صبح الأعشى في صناعة الإنشا،تأليف أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي (ت٨٢١هـ)،تحقيق:عبد القادر زكار، (د.ط)،وزارة الثقافة – دمشق،١٩٨١م.

٩٤. صحيح ابن حبّان بترتيب ابن بِلبان،لأبي حاتم محمد بن حبّان بن أحمد التميمي البستي (ت٣٥٤هـ)،تحقيق: شعيب الأرناؤوط،(ط/ ٢)،مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٩٥. صحيح مسلم، تأليف مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)،تحقيق:محمد فؤاد عبد الباقي،(د– ط)،دارإحياء التراث– بيروت،(د–ت).

٩٦. صور العادات والتقاليد والقيم الجاهلية في كتب الأمثال العربية من القرن السادس الى التاسع الهجري،للدكتور محمد توفيق أبو علي،(ط/ ١)،شركة المطبوعات للتوزيع والنشر– بيروت،١٩٩٩م.

الطـــــاء

٩٧. الطبقات الكبرى، تأليف أبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري (ت٢٣٠هـ)، دار صادر – بيروت،(د – ت).

العـــــين

٩٨. العقد الفريد، لأحمد بن محمد بن عبد ربَّه الأندلسي (ت ٣٢٨ هـ)، (ط / ١)، دار إحياء التراث، بيروت – لبنان ، ١٤٢٠ هـ/ ١٩٩٩ م.

٩٩. علل الشرائع، للشيخ الجليل أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه الصّدوق القمّي (ت٣٨١هـ)، تقديم :محمد صادق بحر العلوم، (ط/ ٢)، منشورات دار الزهراء، إيران –قم المقدسة، ودار العطار الثقافية – العراق – النجف الأشرف، ١٣٤٨هـ.

١٠٠. علم الدلالة،الدكتورأحمد مختار عمر، (ط/ ١)، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع،

الكويـت، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

الغـــــين

١٠١. الغديـر في الكتـاب والسـنّة والأدب، تأليـف الشـيخ عبـد الحسـين أحمـد الأمينـي النجفـي،(ط/ ٤)،دار الكتـاب العربي-بيروت،١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

١٠٢. غريـب الحديـث،لأبي عبيـد القاسـم بـن سـلاّم الهـروي (ت ٢٢٤ هـ)، تحقيـق: د. محمـد عبـد المجيـد خـان،(ط / ١)، دار الكتـاب العـربي - بـيروت، ١٣٩٦ هـ.

١٠٣. غريب الحديث، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)، تحقيـق الدكتـور عبـد المعطـي أمـين القلعجـي،(ط / ١)، دار الكتـب العلميـة، بـيروت - لبنـان، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

١٠٤. غريب نهـج البلاغـة، أسبابه، أنواعـه، توثيـق نسبته، دراسته، تأليـف عبـد الكريـم حسين السَّـعْداوي، (ط / ١)، مكتبـة الروضـة الحيدريـة، منشـورات فرصَـاد - طهـران، والغديـر للطباعـة والنـشر، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م.

الفـــــاء

١٠٥. الفائـق في غريـب الحديـث، تأليـف محمـد بـن عمـر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق:علي محمـد البجـاوي، ومحمـد أبـو الفضـل إبراهيـم، (ط / ٢)، دار المعرفـة - لبنـان،(د. ت).

١٠٦. الفـاظ الحضـارة في الشـعر العـربي في القـرن الثـاني الهجري،دراسـة ومعجـم، د. عـلي زويـن، (د. ط)، المجمـع الثقـافي - أبـو ظبـي - الإمـارات العربيـة المتحـدة، ١٤٢٧ هـ/ ٢٠٠٦ م.

١٠٧. الفـاظ الحضـارة في القـرن الرابـع الهجـري (دراسـة في ضـوء مـروج الذهـب للمسـعودي)، الدكتـور رجـب عبـد الجـواد إبراهيـم،(ط / ١)، دار الآفـاق العربيـة - مـصر، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣ م.

١٠٨. الفـروق اللغويـة، لأبي هـلال العسـكري (ت٣٩٥هـ)،تحقيـق: مؤسسـة النـشر الإسـلامي التابعـة لجماعـة المدرسـين - قـم المقدسـة،(ط/ ١)، ١٤١٢هـ.

١٠٩. الفـروق، المسـمّى (أنـوار الـبروق في أنـواء الفـروق)،لأبي العبـاس أحمـد بـن ادريـس الصنهاجـي القـرافي (ت٦٤٨هـ)،تحقيق:خليـل المنصـور،(ط/ ١)،دار الكتـب العلميـة- بيروت،١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

١١٠. فضائل الصحابة، لأبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١ هـ)، تحقيق:د. وصي الله محمد عباس، ط / ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.

١١١. فقه اللغة وسر العربية، لأبي منصور عبد الملك الثعالبي (ت ٤٢٩ هـ) تحقيق ومراجعة:عبد الرزاق المهدي،(ط / ١) ، دار إحياء التراث العربي / بيروت، ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م.

١١٢. في التعريب والمعرّب المعروف بـ(حاشية ابن برّي على المعرّب للجواليقي)،لأبي عبد الله بن برّي بن عبد الجبار المقدسي المصري(ت٥٨٢هـ)،تحقيق :د-إبراهيم السامرائي،(د-ط)،مؤسسة الرسالة-بيروت،١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

١١٣. في رحاب نهج البلاغة، مرتضى المطهري، ترجمة:هادي اليوسفي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، ١٩٧٨م.

١١٤. في ظلال نهج البلاغة، تأليف محمد جواد مغنية(ت١٤٠٠هـ)،(ط/ ٣)،دار العلم للملايين -بيروت،١٩٨٨م.

القـــــاف

١١٥. القاموس المحيط، تأليف محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ)، (د – ط)، مؤسسة الرسالة/ بيروت، (د – ت).

١١٦. قراءة ثانية لشعرنا القديم، للدكتور مصطفى ناصف،(د-ط)،دار الأندلس-بيروت،١٩٨١م.

الكـــــاف

١١٧. الكاشف في معرفة من له رواية في الكتاب والسنّة،تأليف أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي الدمشقي(ت٧٤٨هـ)،تحقيق:محمد عوامه،(ط/ ١)،دار القبيلة للثقافة-جدة،١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

١١٨. الكامل في التأريخ، تأليف أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني المعروف بـ(ابن الأثير)(ت٦٣٠هـ)، تحقيق:عبد الله القاضي،(ط / ٢)، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٥ هـ.

١١٩. الكامل في اللغة والأدب، لأبي العباس المبرّد(ت٢٨٥هـ)،تحقيق: محمد أحمد الدالي، (د-ط)،مؤسسة الرسالة -الكويت،(د-ت).

١٢٠. كتاب الخصال، للشيخ الجليل الأقدم الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي(ت٣٨١هـ)،صححه وعلق عليه:علي أكبر الغفاري،(ط/ ١)،منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم المقدسة،١٤٠٣هـ.

١٢١. كتاب العين، تأليف الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت ١٧٠ هـ) تحقيق:د. مهدي المخزومي ، ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

١٢٢. كتاب غريب القرآن، لأبي بكر محمد بن عُزيز السجستاني (ت ٣٣٠ هـ) تحقيق:محمد أديب عبد الواحد حمران، (د- ط)، دار قتيبة، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥ م.

١٢٣. الكتاب المصنف في الأحاديث والأخبار،لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي،تحقيق:كمال يوسف الحوت،(ط/ ١)،دار مكتبة الرشد - الرياض،١٤٠٩هـ.

١٢٤. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تأليف أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨ هـ) تحقيق:عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت،(د - ت).

١٢٥. الكشف والبيان (تفسير الثعلبي)، لأبي اسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري ، تحقيق:أبو محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، (ط/ ١)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠٢ م.

١٢٦. كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد،تأليف العلامة الحلي (ت٧٢٦هـ)،تحقيق :آية الله حسن زاده آملي،مركز الأبحاث العقائدية - إيران،(د-ت).

١٢٧. كفاية المتحفظ في اللغة، تأليف أبي إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن عبد الله الطرابلسي (ت٤٧٠هـ)، تحقيق:السائح علي حسين،(د - ط)، دار إقرأ للطباعة والنشر - طرابلس. الجماهيرية الليبية، (د - ت).

١٢٨. الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت ١٠٩٤ هـ)، تحقيق:د-عدنان درويش، و محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨ م.

١٢٩. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تأليف علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي (ت ٩٧٥هـ)، تحقيق:محمود عمر الدمياطي،(ط / ١)، دار الكتب العلمية -

بيروت، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م.

اللام

١٣٠. لسان العرب، تأليف محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت ٧١١ هـ)، (ط / ١)، دار صادر - بيروت،(د-ت).

١٣١. ليس في كلام العرب، تأليف الحسين بن أحمد بن خالويه (ت٣٧٠هـ)،تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار،(ط/ ٢)،دار العلم للملايين - بيروت،١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

الميم

١٣٢. المجازات النبوية، لمحمد بن الحسين الشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ) تصحيح مهدي هوشمند، (ط / ١)، دار الحديث للطباعة والنشر - قم المقدسة. ١٤٢٢هـ.

١٣٣. مجالس ثعلب،لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب (ت٢٩١هـ)،تحقيق:عبد السلام محمد هارون،(ط/ ٤)،دار المعارف -مصر،١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

١٣٤. مجمع الأمثال، لأبي الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري (ت ٥١٨ هـ)، تحقيق:محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت،(د - ت).

١٣٥. مجمع البحرين،للعالم الفقيه الشيخ فخر الدين الطريحي (ت١٠٨٥هـ)،أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة محمد عادل،تحقيق:السيد أحمد الحسيني،(ط/ ٢)،مكتب نشر الثقافة الإسلامية،١٤٠٨هـ.

١٣٦. مجمع البيان لعلوم القرآن، للإمام أبي علي الفضل بن الحسن الطَّبرسي (ت ٥٤٨ هـ) من كبار علماء الإمامية،(ط / ١)، نشر رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية، طبع مؤسسة الهدى للنشر والتوزيع.

١٣٧. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لعلي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧ هـ)، (د. ط) دار الريان للتراث بيروت، ودار الكتاب العربي - القاهرة، ١٤٠٧ هـ.

١٣٨. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء،تأليف أبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني (ت في حدود ٤٢٥هـ)،تحقيق :عمر الطبّاع،(د- ط)،دار القلم - بيروت،١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

١٣٩. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية

الأندلسي (ت ٥٤١ هـ)، تحقيق:عبد السلام عبد الشافي محمد،(ط / ١)، دار الكتب العلمية - لبنان ١٤٣١ هـ / ١٩٩٣ م.

١٤٠. المحكم والمحيط الأعظم، تأليف أبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق:عبد الحميد هنداوي،(ط / ١)، دار الكتب العلمية - بيروت، ٢٠٠٠م.

١٤١. المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، للدكتور رمضان عبد التواب،(ط/ ٣)،مكتبة الخانجي-القاهرة،١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

١٤٢. المرأة في نهج البلاغة، تأليف الدكتورة نجوى صالح الجواد، معهد الدراسات العربية والإسلامية - لندن، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م.

١٤٣. المزهر في علوم اللغة وأنواعها،لجلال الدين السيوطي(ت٩١١هـ)،تحقيق: فؤاد علي مسور،(ط/ ١)،دار الكتب العلمية-بيروت،١٤١٨هـ/ ١٩٩٠م.

١٤٤. المستدرك على الصحيحين، تأليف أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ)، تحقيق مصطفى عبد القادر،(ط / ١)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م.

١٤٥. مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، تأليف خاتمة المحدثين الحاج الميرزا حسين النوري الطبرسي (ت ١٣٢٠ هـ)، تحقيق:مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، (ط / ٢)، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث - بيروت، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.

١٤٦. المستقصى في أمثال العرب، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت٣٨٥ هـ)، (ط / ٢)، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٨٧ م.

١٤٧. مسند ابن الجعد، لأبي الحسن علي بن الجعد بن عبيد الجوهري البغدادي (ت ٢٣٠ هـ)،تحقيق:عامر أحمد حيدر،(ط / ١)، مؤسسة نادر - بيروت / ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م.

١٤٨. مسند أبي يَعلى، لأبي يَعْلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي التميمي (ت ٣٠٧ هـ)، تحقيق:حسين سليم أسد، (ط / ١)، دار المأمون - دمشق، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.

١٤٩. مسند شمس الأخبار المنتقى من كلام النبي المختار، تأليف الشيخ علي بن حميد القرشيّ وبهامشه حاشية كشف الأستار عن أحاديث شمس الأخبار للعلاّمة محمد بن حسين الجلال،(ط / ١)، منشورات مكتبة اليمن الكبرى صنعاء - اليمن، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.

١٥٠. مسند الشّهاب، لأبي عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي (ت ٤٥٤ هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، (ط / ٢)، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م.

١٥١. مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي (ت ٥٤٤ هـ)، (د - ط)، المكتبة العتيقة، ودار التراث، (د-ت).

١٥٢. مشكل إعراب القرآن، تأليف أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ)، تحقيق :د- حاتم صالح الضامن، (ط/ ٢)، مؤسسة الرسالة -بيروت، ١٤٠٥هـ.

١٥٣. مصادر نهج البلاغة و أسانيده، تأليف السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب، (ط / ٣)، دار الأضواء، بيروت - لبنان، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م.

١٥٤. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، تأليف أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (ت ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية -بيروت (د-ت).

١٥٥. معارج نهج البلاغة، لعلي بن زيد البيهقي الأنصاري (ت ٥٦٥ هـ)، تحقيق: أسعد الطّيب، (ط / ١)، مركز الأبحاث و الدراسات الإسلامية، قم المقدسة، ١٤٢٢هـ .

١٥٦. المعارف، لأبي عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ)، تحقيق: الدكتور ثروت عكاشة، (د - ط)، دار المعارف -القاهرة، (د-ت).

١٥٧. معاني الأبنية في العربية، الدكتور فاضل صالح السامرائي، (ط / ١)، ساعدت جامعة بغداد على نشره، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م.

١٥٨. معاني القرآن، تأليف أبي زكريا يحيى بن زياد الفرّاء (ت٢٠٨هـ)، تحقيق وتقديم ومراجعة: محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي، (ط/ ٢)، عالم الكتب-بيروت، ١٩٨٣م.

١٥٩. معجم أسماء الأشياء، المُسمّى (اللطائف في اللغة)، لأحمد بن مصطفى الدمشقي، (د-ط)، دار الفضيلة -القاهرة، (د-ت).

١٦٠. معجم البلدان، تأليف أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، (ت ٦٢٦هـ)، دار الفكر - بيروت.

١٦١. المعجم الصغير (الروض الداني)، لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (ت ٣١٠ هـ)، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج، (ط / ١) الكتب الاسلامي، دار عمار

بيروت – عمان، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

١٦٢. المعجم في بقية الأشياء، لأبي هلال العسكري(ت ٣٩٥ هـ)، أكمله وعلَّق عليه وضبطه إبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي،(ط / ١)،مطبعة دار الكتب المصرية –القاهرة، ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م.

١٦٣. المعجم الكبير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني،تحقيق :حمدي بن عبد المجيد السلفي، (ط/ ٢)، مكتبة الزهراء – الموصل، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣ م.

١٦٤. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع،تأليف أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي (ت ٤٨٧ هـ)،تحقيق:مصطفى السقا،(ط / ٣)،عالم الكتب – بيروت، ١٤٠٣ هـ.

١٦٥. المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة، لمحمد الدّشتي، والسيد كاظم المحمّدي،(ط / ٦) ، مؤسسة أمير المؤمنين (ع) للتحقيق – قم المقدسة، ١٣٧٥ هـ.

١٦٦. معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٢ هـ)، تحقيق:عبد السلام محمد هارون (ط / ٢)،دار الجيل – بيروت، ١٤٢٠ هـ.

١٦٧. المعجم الوسيط، تأليف إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات،و حامد عبد القادر، ومحمد النجار، دار الدعوة – مجمع اللغة العربية،(د–ت).

١٦٨. المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، لأبي منصور الجواليقي موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر (ت ٥٤٠ هـ)، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر،(ط / ٢)، مركز تحقيق التراث ونشره، مطبعة دار الكتب ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩م.

١٦٩. معرفة الثقات من رجال العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم،تأليف أبي الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي الكوفي، تحقيق:عبد العليم عبد العظيم البستوي،(ط/ ١)،مكتبة الدار بالمدينة المنورة،١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

١٧٠. مع نهج البلاغة دراسة ومعجم، تأليف د- إبراهيم السامرائي،(ط / ١)،دار الفكر للنشر والتوزيع – عمّان، ١٩٨٧ م.

١٧١. المغرب في ترتيب المعرب، تأليف أبي الفتح ناصر الدين المطرّزي(ت٦١٠هـ)،تحقيق: محمد الفاخوري، وعبد الحميد المختار،(ط/ ١)،مكتبة أسامة بن زيد –حلب

-سورية، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

١٧٢. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لجمال الدين بن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ)، حققه وعلّق عليه: د.مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، مرجعة :سعيد الأفغاني، (ط/ ٥)، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر- قم المقدسة، (د-ت).

١٧٣. مفاتيح الغيب أو (التفسير الكبير)، للإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي(ت ٦٠٦ هـ)، (ط / ١)، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م.

١٧٤. المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، للدكتور جواد علي، (ط / ٤)، دار الساقي، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١ م.

١٧٥. المفصّل في صنعة الإعراب، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله الزمخشري(ت٥٣٨هـ)، تحقيق:د-علي بوملحم، (ط/ ١)، مكتبة الهلال-بيروت، ١٩٩٣م.

١٧٦. المقتضب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرّد (ت ٢٧٨هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، (د - ت).

١٧٧. المقتفى من سيرة المصطفى (صلى الله عليه وآله) للإمام المؤرخ الحسن بن عمر بن حبيب (ت ٧٧٩ هـ)، تحقيق :د. مصطفى محمد حسين الذهبي، (ط / ١) دار الحديث - القاهرة ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٦ م.

١٧٨. المقنع في علوم الحديث، تأليف سراج الدين عمر بن علي بن أحمد الأنصاري، تحقيق :عبدالله بن يوسف الجديع، (ط/ ١)، دار فواز للنشر -السعودية، ١٤١٣هـ.

١٧٩. مِلاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتَّعْطِيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، تأليف الإمام أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي (ت ٧٠٨ هـ)، وضع حواشيه عبد الغني محمد علي الفاسي، (ط / ١)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢٧هـ ، ٢٠٠٦ م.

١٨٠. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، تأليف العلامة الميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي (ت ١٣٢٤ هـ)، ضبط وتحقيق: علي عاشور، (ط / ١)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ومؤسسة المظفر الثقافية - النجف الأشرف، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨ م.

١٨١. المنهج الأمني في نهج البلاغة، تأليف محمد صادق الهاشمي، مركز العراق للدراسات -

العراق، (د - ت).
١٨٢. المهذَّب في علم التصريف، تأليف الدكتور هاشم طه شلاش، والدكتور صلاح الفرطوسي،مطبعة جامعة بغداد،(د.ط)،(د.ت).
١٨٣. موسوعة المصطفى والعترة، تأليف حسين الشاكري،(ط/١)،نشر الهادي- قم المقدسة،١٤١٧هـ.
١٨٤. الميزان في تفسير القرآن،تأليف العلامة السيد محمد حسين الطبطبائي(ت١٤١٢هـ)،(د-ط)،منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية - قم المقدسة،(د-ت).

النـــــون

١٨٥. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،تأليف جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي(ت٨٧٤هـ)،(د-ط)، نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي -مصر،(د-ت).
١٨٦. النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري(ت ٦٠٦ هـ) تحقيق،طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناجي، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩ م.
١٨٧. نهج البلاغة، تحقيق وشرح محمد أبو الفضل ابراهيم، (ط / ١) دار الجيل - بيروت، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م.
١٨٨. نهج البلاغة، تعليق آية الله العظمى السيِّد محمد الحسيني الشيرازي،(ط / ٣)، دار العلوم للتحقيق والطباعة و النشر، ١٤٣١ هـ/ ٢٠١٠ م.
١٨٩. نهج البلاغة، للشريف الرضي محمد بن الحسين بن موسى (ت ٤٠٦ هـ)، تحقيق:السيد هاشم الميلاني،(ط / ١)،مكتبة الروضة الحيدرية في العتبة العلوية المقدسة - النجف الأشرف - العراق ١٤٣٠ هـ/ ٢٠٠٩ م.
١٩٠. نهج البلاغة، وهو ما جمعه السيد الشريف الرضي من خطب ووصايا وكتب وكلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، شرح الشيخ محمد عبده، خرَّج مصادره: فاتن خليل اللّبون،(ط / ١)،دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ومؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر (د - ت).
١٩١. نهج البلاغة، وهو مجموع ما اختاره الشريف أبو الحسن محمد الرضي بن الحسن

الموسوي (ت ٤٠٦ هـ) من كلام أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب (ع)، ضبط نصّه وابتكر فهارسه العلمية الدكتور صبحي الصالح،(ط / ١)، دار الهدى، إيران – قم المقدسة،١٤٢٦ هـ.

١٩٢ . نهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، للشيخ محمد تقي التستري،(د-ط)،مكتبة الصدر -طهران، (د-ت).

١٩٣ . النوادر، لأبي مسحل عبد الوهاب بن حريش الأعرابي (ت١٩٩هـ)،تحقيق :د- عزة حسن، (د-ط)، دمشق،١٩٦١م.

الــــواو

١٩٤ . الوافي بالوفيات، تأليف صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤ هـ)، تحقيق:أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت، ١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠م.

١٩٥ . الوزراء والكتّاب، لمحمد بن عبدوس الجهشياري(ت٣٣١هـ)،تحقيق:د-مصطفى السقا وآخرين،(د-ط)،١٩٣٨م.

١٩٦ . وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة ،تأليف المحدث الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤ هـ)، عني بتصحيحه وتذييله الشيخ عبد الرحيم الرباني الشيرازي،(د-ط)،دار إحياء التراث العربي-بيروت،(د-ت).

١٩٧ . وقعة صفِّين، لنصر بن عاصم المنقري(ت ٢١٢ هـ)، تحقيق وشرح :عبد السلام محمد هارون، (ط / ١)، مطبوعات دار الأندلس -النجف الأشرف، بيروت – لبنان، ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م.

ثانياً:الرسائل الجامعية

١٩٨ . أسماء الإشارة في القرآن الكريم (دراسة لغوية ونحوية)، رسالة ماجستير،حسام عدنان رحيم الياسري، كلية الآداب – جامعة القادسية، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م

١٩٩ . الفاظ الشجر والنبات في القرآن الكريم (دراسة ومعجم)، رسالة ماجستير،أسعد جواد يوسف الخفاجي، كلية الآداب – جامعة القادسية، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م.

٢٠٠ . الفاظ العلاقات الاجتماعية في القرآن الكريم(دراسة دلالية تطبيقية لألفاظ الأسرة

والقرابة)، رسالة ماجستير،صالح هادي شمام القريشي،كلية الآداب - الجامعة المستنصرية،١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٢٠١. المباحث اللغوية في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد،أطروحة دكتوراه،هادي عبد علي هويدي الفتلاوي،كلية الآداب – جامعة الكوفة،١٤٢٣/ ٢٠٠٢م.

ثالثاً: البحوث المنشورة في المجلات.

● الطاغوت في العربية، د- عبد الله الجبوري، بحث منشور في مجلة (المورد) التي تصدر عن دار الشؤون الثقافية،المجلد الثلاثون،العدد الأوّل،١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

المحتويات

الفصل الثالث
ألفاظ الأكل والشرب ومتعلقاته

المبحث الأول: ألفاظ الأكل ومتعلقاتها ١٣

١- عامّة الغذاء والأدام ١٣

الغِذَاء ١٣

إدامُهُ ١٨

بقْلة ٢٠

مأْدُبَة ٢١

٢- ألفاظ الخبز وما يصنع منه ٢٦

قُرص ٢٦

بُرّة ٣٠

شعيْرة ٣٤

خُبْزاً ٣٦

القمح ٣٦

٣- الغليظ من الطعام ٣٨

جشوبة ٣٨

العَلْقَم ٤٢

المِلْح ٤٤
٤- الحلو من الأطعمة ٤٧
العَسَل ٤٧
التمْر ٥٠
مَلْفُوْفَة ٥٢
٥- قطع الطعام وبقاياه ٥٣
اللُّمْظة ٥٣
ثُفَالة ٥٩
لُقْمَة ٦١
٦- ألفاظ أدوات الطبخ ومتعلقاتها ٦٣
أ- أدوات الطعام ٦٣
وعاء ٦٣
الجفان ٦٨
مائدة ٦٩
ب- أدوات الطحن ومتعلقاتها ٧١
الرّحَى ٧١
قُطْب ٧٥
ثِفَالُها ٧٧
ج- أدوات الطبخ وما ينصب عليه ٧٩
القِدّر ٧٩
أَثَافي ٨١
د - أدوات القطع ٨٣
المُدَى ٨٣
المبحث الثاني: ألفاظ الشرب وأدواتها ٨٦
١- أدوات حمل الماء وحفظه: ٨٦
الكأس ٨٦

غَرْب ٨٩
النَّوط ٩٢
الإداوة ٩٥
الإبرِيق ٩٦
قَعْب ٩٨
٢- الآبار ومتعلقاتها ١٠٠
الرَّكِيّ ١٠٠
الطَّوِيّ ١٠١
الأَرْشِية ١٠٨
٣- المشرب المُرّ ١١٠
الصَّبِر ١١٣
مَقِرة ١١٤
زُعَاق ١١٧
٤- المشرب الكَدِر اللون ١٢٠
الكَدِر ١٢٠
آجِن ١٢٢
الرَّنَق ١٢٥
٥- اللّبن من المشرب ١٢٧
اللّبن ١٢٧
خاثِرك ١٢٨
٦- بقايا الماء ١٣٠
سَمْلَة ١٣٠
صُبَابة ١٣١
٧- أدوات القِرب والسّقاء ١٣٢
الوِكَاء ١٣٢
السِّقاءِ ١٣٦

٨- مشرب أهل النار ١٣٨
صَدِيد.. ١٣٨
٩- أدوات تقسيم الماء في السَّفر ١٣٩
المَقْلَة.. ١٣٩
المبحث الثالث: ألفاظ شرب الخمر وأوقاتها ١٤٢
الخَمْر ١٤٢
الصّبُوح ١٤٧
يُغْبَقُون ١٥٠
النَّبيذ ١٥٢
الظواهر اللغوية ١٥٤

الفصل الرابع

ألفاظ الزينة والجواهر ومتعلقاتها

المبحث الأول: ألفاظ الجواهر والحلي ١٦٠
زَخَارِفَها.. ١٦٠
الذهب.. ١٦٢
الحِلي ١٦٥
زِبْرِجِهَا.. ١٧١
العِقْيَان ١٧٣
الزَّبَرجد ١٧٨
أَصْدَاف ١٨٠
الفِضّة ١٨١
اللُّجَيْن.. ١٨٢
نُطِّقت.. ١٨٢
الوَرِق ١٨٤
تِبْراً ١٨٦

تيجان ١٨٨
جواهر ١٩١
حِجْلَها ١٩٢
رُعُثَها ١٩٤
زُمُرّدة ١٩٥
أسَاوِرة ١٩٨
عَسْجَدِيَّة ٢٠٠
فُصُوص ٢٠١
فِلِز ٢٠٢
قُلْبَها ٢٠٣
قَلَائِدَهَا ٢٠٤
كَبَائس ٢٠٥
المُكَلّل ٢٠٦
اللُّؤلُؤ ٢٠٧
المَرْجَان ٢٠٩
وِشَاحُة ٢١٢
يَاقوْتة ٢١٤
المبحث الثاني: ألفاظ الزينة ومتعلقاتها ٢١٨
صِبْغ ٢١٨
أولاً: الدلالة على تنوّع ألوان الطيور وتعددها. ٢١٨
ثانياً: الدلالة على تغيير الأخلاق. ٢٢٠
الكُحْل ٢٢٢
الخِضَاب ٢٢٦
مَدارِي ٢٢٧
العِظْلِم ٢٢٨
الوَسِمَة ٢٢٩

المبحث الثالث: ألفاظ العطر والرياحين ٢٣١
طِيْب ٢٣١
رَيْحَانَة ٢٣٣
عَرْفُه ٢٣٦
المِسْك ٢٣٨
عَطِر ٢٣٩
الظواهر اللغوية ٢٤١

الفصل الخامس

ألفاظ الألبسة ومتعلقاتها

المبحث الأول: ألفاظ ألبسة الجسم ٢٤٨
١- الثياب النّاعمة من الحرير وغيره.......................... ٢٤٨
الرِّيَاش.. ٢٤٨
دِيبَاج ٢٥١
رَيْط ٢٥٣
حُلل ٢٥٥
مَوشِى ٢٥٧
حَرِيرَة ٢٥٩
السَّرَق ٢٦٠
بُرْدَيه ٢٦١
عَصْب ٢٦٢
الفَرْو ٢٦٣
القَزّ ٢٦٦
٢- عامّة الثياب ٢٦٨
لَبَس ٢٦٨
ثَوْب ٢٧٧

أولاً: دلالتها على الثياب ٢٧٧
ثانياً: الدلالة على نقاء النّفس وطهارتها ٢٧٩
الشّعار ٢٨٢
سَرَابِيل ٢٨٨
نَسَائِج ٢٩٦
رِدَاء ٢٩٩
كِسْوَة ٣٠١
تَقَمَّصَهَا ٣٠٢
٣- الثياب البالية ٣٠٥
رَقَّعْت ٣٠٥
طِمرِه ٣٠٦
رَثّاً ٣٠٨
أهْدَام ٣١٠
المُتَدَاعية ٣١٢
مُقَطَّعَات ٣١٤
٤-الخشن من الثياب ٣١٦
مِدرَعَتِي ٣١٦
الخَشِن ٣٢٠
الصُّوف ٣٢٢
٥- ستر أعلى البدن ٣٢٣
جلابيب، مئزر ٣٢٣
جَلابِيْب ٣٢٣
مِئْزَرك ٣٢٧
٦- هيأة اللباس ٣٢٩
شَمَّر ٣٢٩
سَدَلت ٣٣٠

٧- لباس الموت ٣٣٢
أَكْفَان ٣٣٣
المبحث الثاني: ألفاظ لباس القدم ومتعلقاتها ٣٣٥
النَّعْل ٣٣٥
يَخْصِف ٣٣٩
شِرَاكَيْه ٣٤١
شِّسْع ٣٤٢
المبحث الثالث: ألفاظ لباس الرأس ومتعلقاته ٣٤٥
العِمَامَة ٣٤٥
مُتَلَفِّع ٣٤٨
مِعْجَر ٣٤٩
الظواهر اللغوية ٣٥١

الفصل السادس

الفاظ الأمراض والعلل

المبحث الأول: الأمراض الخاصة بالنفس ٣٥٦
جِنّة ٣٥٦
كآبة ٣٥٧
مألوسة ٣٥٨
مُخْتَبط ٣٥٩
دَنِف ٣٦١
علز ٣٦٢
تَهْجُر ٣٦٤
المبحث الثاني: ألفاظ الهزال والضعف ٣٦٦
يَعْيَا ٣٦٦
نَهَكَتكُم ٣٧١

هُزَاله ٣٧٣
وَصَب. ٣٧٦
شَجِبَة ٣٧٩
نَحِيْفَة ٣٨٠
المبحث الثالث: ألفاظ علل النّطق ومتعلقاتها ٣٨٢
بَكْماء ٣٨٢
خَرَسُوا ٣٨٦
مُتَعْتِع ٣٨٧
أَثْرمَ ٣٩٠
عَقَابِيل ٣٩١
المبحث الرابع: ألفاظ أدوات العلاج ٣٩٤
حَدِيْدة ٣٩٤
مَيْسَمِها ٣٩٥
مَرَاهِمه ٣٩٧
الكَيّ ٣٩٨
المبحث الخامس: ألفاظ أمراض السّمع ٤٠١
أصَمَّتهُ ٤٠١
استكّت ٤٠٨
وُقِرَ ٤١٠
المبحث السادس: ألفاظ أمراض البصر ٤١٤
أعشى ٤١٤
كَمَهاً ٤١٨
مُعْوِراً ٤٢١
مُرْة ٤٢٤
المبحث السابع: ألفاظ أمراض الجلد ٤٢٧
مجْذُوم ٤٢٧

الظواهر اللغوية ٤٣٠

الفصل السابع

ألفاظ العلاقات الاجتماعية

المبحث الأول : ألفاظ الأسرة ٤٣٦
أهل – آل ٤٣٦
ابن – ابنه ٤٤٦
أَخُو – أُخْت ٤٥٥
استعمال لفظة (إخوان) للدلالة على إخُوّة النَّسَبِ. ٤٥٨
تَعْبِيْر (أخو / القبيلة)، (أخَو / الحرب). ٤٥٩
أخواتها ٤٦٦
الأب ٤٦٧
ثانياً: الدلالة على الأجداد. ٤٧٠
أمّة – أمّك ٤٨٥
أسرته ٤٩٣
المبحث الثاني: ألفاظ القرابة القريبة ٤٩٥
عَشِيرة ٤٩٥
عِتْرته ٤٩٦
الذَّمَار ٤٩٩
الإل... ٥٠٠
حَامَّتك... ٥٠٣
العَصَبَة... ٥٠٤
لُحْمَتُه ٥١١
المبحث الثالث: ألفاظ العقب والأولاد والحفدة ٥١٤
العَيال ٥١٤
الحَفَدة ٥١٧

الدَّابر ٥٢٦
المبحث الرابع: ألفاظ القرابة والنّسب والبِطانة ٥٣١
الأرْحَام ٥٣١
صِهْره ٥٣٣
الوَليجة ٥٣٦
ثانياً: الدلالة على البِطانة الداخليّة لأكمام الشَّجَر. ٥٣٨
الحَمأ ٥٣٩
خَدِيْن ٥٤٤
المبحث الخامس: ألفاظ أخوة الأب والأم والجد ٥٤٧
عَمّ ٥٤٧
خَالِك ٥٤٩
جَدّك ٥٥٥
المبحث السادس: الألفاظ الدالة على الزوج ٥٥٧
بَعلها ٥٥٧
القَيِّم ٥٦٢
الظواهر اللغوية ٥٦٤

الفصل الثامن

ألفاظ الأدوات والآلات

المبحث الأول: ألفاظ أدوات الضرب والقصّ ٥٧٠
سَوطاً ٥٧٠
الجَلَم ٥٧٢
العِصِيّ ٥٧٣
الفِهْر ٥٧٥
الهِرَواة ٥٧٦
المبحث الثاني : ألفاظ آلات الطرب واللّهو ٥٧٧

القِداح ٥٧٧
الأولى: الدلالة على القِدَاح التي تستعمل في القمار، وهي قِدَاح المَيْسر. ٥٧٧
العَرْطَبَة ٥٨٠
كُوبَة ٥٨١
المبحث الثالث: ألفاظ أدوات الكتابة.. ٥٨٣
القلم.. ٥٨٣
جِلْفَة ٥٨٥
دَوَاتَك ٥٨٧
أَلـق ٥٨٧
قَرْمِط ٥٩٠
الظواهر اللغوية ٥٩٢

الفصل التاسع

الفاظ الفرش والأغطية والنمارق

المَهْد ٥٩٦
فِرَاشاً ٦٠١
العَرش.. ٦٠٦
غِطَاء ٦٠٩
دِثَار ٦١٢
وسّدتك ٦١٧
بِسَاطاً.. ٦٢٤
سَفَائِف الخُوْص ٦٢٥
الظواهر اللغوية ٦٢٧
الخاتمة.. ٦٢٩
التوصيات والمقترحات ٦٣٥
ثبت المصادر والمراجع ٦٣٧

ثانياً:الرسائل الجامعية ٦٥٦
ثالثاً: البحوث المنشورة في المجلات. ٦٥٧